مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٩٠) لشهر شباط لسنة ٢٠٢٤

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047
البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٩٠) لشهر شباط لسنة ٢٠٢٤

عدد الصفحات : ٧٤٢ صفحة

تصميـــم واخـــراج

عـــلا صالح الجراح

دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. وفاء عدنان حميد

مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. انعـــام مهـدي علـي	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصـــي صبحـي عباس	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عـــادل شـابث جابـر	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضـــل مهـدي بيـات	تركيا
أ.د. حسيـــن القهوانـــي	الاردن
أ.د. مـــارجريتا فـان أيـس	المانيا
ا.د. والتـــر زالابيرجـــر	المانيا
أ.د. بيتـــر ميكلـــوس	المانيا
أم.د. فـــاروق محمـد علـي	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليـــث مجيـد حسين	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطـــق ابراهيـم	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جـواد	كليـــة الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حســو منصـور	كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

التصحيح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لمى فائق جميل

التصحيح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(١٢) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:

أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).

ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦) الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (١٤) .

ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word.

٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.

١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز(١٥) يوم.

١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .

١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.

١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :

jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر.

- **لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.**

رئيس التحرير

فهرس العدد (٩٠)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	إمارة الحج في عهد الخليفة الهادي (دراسة تاريخية)	ا. د. وجدان فريق عناد	٣-١٦
٢.	الأثر السياسي والاجتماعي للو افديه في دولة المماليك عهد السلطان كتبغا ٦٩٤-٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ – ١٢٩٦م	أ.م.د. أنوار جاسم حسن العنبكي	١٧-٣٨
٣.	اثر حركة التجارة العربية الإسلامية ودورها في نشر الإسلام ومظاهر حضارته في جنوب شرق أسيا	أ.م.د.ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي	٣٩-٨٤
٤.	اثر حربي يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ على الفنون والادب في مصر	م.د. عمر عناد حمود مطلك	٨٥-١١٠
٥.	الأعراف والتقاليد والحفاوة بالطفل في بلاد الأندلس	م.م علاء شاكر هادي	١١١-١٣٤
٦.	المظاهر الحضارية في اليمن القديم	ماجد احمد علي أ.د.عادل شابث جابر	١٣٥-١٥٠
٧.	التجارة الداخلية والأسواق التجارية في إقليم خوارزم بعد الفتح الإسلامي (٩٣هـ/٧١١م)	أ. د. وفاء عدنان حميد م. م. حليم نعمه أحمد	١٥١-١٧٤
٨.	الفتائل ووقود المسارج	شيماء صلاح احمد الجنابي أ. د. ماجدة حسو منصور عيسو	١٧٥-١٩٤
٩.	علماء الجزيرة الفراتية من خلال كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م)(دراسة كمية)	أ.م.د. سفانة جاسم محمد	١٩٥-٢٢٤
١٠.	موقف الدول الأوروبية الكبرى من الحرب اليونانية – العثمانية (١٧ نيسان – ١٨ أيار ١٨٩٧)	أ.د. حمزة ملغوث البديري	٢٢٥-٢٨٠
١١.	ابن جبير الرحالة والشاعر العربي الأندلسي	د. ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي	٢٨١-٣٠٤
١٢.	البعد الحركي ومدلولاته في الخطاب القرآني	م.د .بشرى هادي علوش	٣٠٥-٣٣٢

١٣.	خلاصة التقارير في تحرير الدراهم والدنانير لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)	م. م. صهيب محمود محل الجميلي	٣٣٣-٣٨٢
١٤.	مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام	م.د عباس علي خلف	٣٨٣-٤٣٢
١٥.	دور المرأة اليهودية في النشاط الاقتصادي في مصر خلال القرن(٥هـ/١١م)	م.م امال عدنان احمد	٤٣٣-٤٤٨
١٦.	حرية الرأي في العصر النبوي	م.د. علي جاسم حسين	٤٨٩-٤٧٠
١٧.	موقف حزب الشعب السوري من الاحداث السورية ١٩٤٨-١٩٥٠	م.م. نسرين فيصل داود	٤٧١-٥٠٢
١٨.	المهدي عبد الله مؤسس الدولة الفاطمية	سالم جاسم راضي أ.د. غنية ياسر كباشي	٥٠٣-٥٤٤
١٩.	المقدمات الحِجاجية في تفسير مناهج البيان	م. د . زهراء عبد الحسين خزعل السوداني أ. د. صالح هادي شمام القريشي	٥٤٥-٥٧٠
٢٠.	اللعنات والتسميات المتعلقة بها واسبابها	كوثر علي حسين ا.د سعد سلمان فهد	٥٧١-٥٩٤
٢١.	دور الأنهار في حضارة بلاد الرافدين (الزراعة و الري أنموذجا)	جاسم حسين يوسف ا. د. سعد سلمان فهد الشويلي	٩٩٥-٦٢٢
٢٢.	موقف إذاعة بغداد من الاحداث في مصر عام١٩٥٢-١٩٥٧	عبادة حسين علي أ.م.د. أثمار كاظم سهيل	٦٢٣-٦٤٨
٢٣.	ملامح عامة عن حياة الملك نبوخذ نصر الاول	أ.م.د. مها حسن رشيد	٦٤٩-٧٠٤
٢٤.	تاريخ ظهور المخطوط وتطوره	أ. م . د ضياء نعمه محمد أ. د . ناهض عبد الرزاق دفتر	٧٠٥-٧٤٢

إمارة الحج في عهد الخليفة الهادي

(دراسة تاريخية)

ا. د. وجدان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي– جامعة بغداد

wjdan_fareeq@rashc.uobaghdad.edu.iq

إمارة الحج في عهد الخليفة الهادي (دراسة تاريخية)

ا. د. وجدان فريق عناد

الملخص

الباحث في تاريخ الدولة العربية الإسلامية يجد ان إمارة الحج اخذت حيزا كبير من عناية الخلفاء . لكونها مرتبطة بركن من أركان الإسلام فضلا عن بعدها السياسي فهي رمز قوة السلطة السياسية فالخليفة الشرعي هو من له السيطرة على الحرمين وهومن يقيم الحج للمسلمين. ومن هذا المنطلق لابد ان تنال ما تستحق من الدراسة والبحث.

وفي عهد الخليفة العباسي موسى الهادي نجد ان تلك الإمارة كانت متزامنة مع حدث تاريخي هو واقعة فخ التي كان لنتائجها المستقبلية اثر مفصلي في خارطة العالم الإسلامي وظهور دولة الأدارسة في المغرب الإسلامي .

الكلمات المفتاحية :**امارة الحج ، الخلافة العباسية ، الخليفة الهادي.**

Emirate AL-Hajj during the reign of Caliph Al-Hadi

Historical study

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

Revival of Arab Scientific Heritage Center- University of Baghdad

Abstract :

The researcher in the history of the Arab-Islamic state finds that the emirate of Hajj took a large part of the care of the caliphs - because it was linked to the Islamic religion. In addition to its political dimension, it is a symbol of the strength of political authority.. Therefore, you must get the study and research you deserve

During the era of the Abbasid Caliph Musa al-Hadi, we find that this emirate coincided with a historical **event,(waqieat fakh) ,** whose future

consequences had an impact on the map of the Islamic world, with the emergence of (Al-adarsa) state in the Islamic Maghreb.

Keywords: Emirate AL- Hajj, Abbasid Caliphate, Caliph Al-Hadi

المقدمة

إمارة الحج في الدولة العربية من المواضيع التي تستحق البحث والدراسة لكونها تتعلق بإدارة ركن من أركان الإسلام إلا وهو موسم الحج ، ونالت تلك الإمارة عناية الخلفاء في كل الحقب الزمنية ، لكون تلك الإمارة أصبح لها بعد سياسي ، فغدت من رموز السلطة السياسية، فالخلافة لا تكتمل شروطها دون ان يكون للخليفة السيطرة على الحرمين وعلى اقامة الحج للمسلمين. فضلا عن ان موسم الحج هو موعد لاجتماع المسلمين من كل أنحاء العالم الإسلامي لذلك هو اهم وسيلة للإعلان عن سياسية الخلافة وايصالها إلى جميع رعاياها في كل الأصقاع.

لذلك اخترنا الكتابة في هذا الموضوع لكونه ضمن دائرة اهتمامنا فضلا عن ابتعاد الباحثين عن الخوض في عهد الهادي منفردا بسبب قصر مدة خلافته والخشية من عدم توفر المادة الكافية. وبالتالي لم يسلط الضوء على إمارة الحج في عهده على الرغم من اهميتها تعكس الأوضاع العامة في تلك الحقبة الزمنية .

ولكنها لم تسلط الضوء الكافي على إمارة الحج في عهده ، على الرغم من أهميتها لكونها المرآة التي تعكس واقع ما كانت عليه الأوضاع العامة في تلك الحقبة

مشكلة الدراسة :

تعد إمارة الحج من المنصب الهامة في تنظيم الدولة العربية الإسلامية ومع تطور شؤون الدولة اخذت بعد سياسيا فاق الغاية الاساس منه وهي تنظيم اداء مناسك الحج وتسيير الحجيج الى الديار المقدسة . وستكون مشكلة البحث هي دراسة تلك الإمارة في عهد الخليفة العباسي موسى الهادي .

. وتحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١- هل أصاب منصب إمارة الحج في عهد الخليفة موسى الهادي تغير عن ما سبقه من الخلفاء ؟

٢-ما اثر تلك الإمارة على الحياة السياسية في عهده ؟

فرضية الدراسة :

تقوم الدراسة على فرضية أن إمارة الحج منصب اداري وللخليفة وحده صلاحية اختيار من يتولاها، ولابد ان تتوفر فيه شروط معينة حددها الفقهاء لتكون بمستوى يليق بحجم المسؤولية. فأمير إمارة الحج هو نائب عن الخليفة في قيادة المسلمين في موسم الحج.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي :

-التعريف بإمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية .

- بيان اثر مكة المكرمة فضلا عن موسم الحج في اعلان الخلافة العباسية

- بيان حال تلك الإمارة في عهد الخليفة موسى الهادي .

حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في منطقة مكة المكرمة ، اما حدود الدراسة الزمانية فهي عهد الخليفة العباسي الهادي.

الدراسات السابقة :

لعل من ابرز الدراسات السابقة :

- عارف عبد الغني . تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨-٣٤٤ هـ ، دار البشائر، دمشق ، ١٩٩٢ .
- علي عبد الرحمن الباحسين . مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، ١٩٧٧.
- _____،تاريخ مكة المكرمة في العصر العباسي، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٧٥.

منهجية الدراسة :

ستكون الدراسة معتمدة على المنهج الاستقرائي للمادة العلمية في المصادر والمراجع والدراسات السابقة المتعلقة بالبحث، فضلاً عن الاستعانة بالمنهج التحليلي لها للوصول إلى استنتاجات تعطينا صورة قريبة إلى الحقيقة التاريخية .

- **هيكلية البحث**

وستكون مقسمة على المحاور الآتية :

أولاً :- إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية. وهنا ستكون لمحة سريعة عن أهم سماتها في العهود السابقة للخلافة العباسية .

ثانياً:- الخليفة موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٥٨- ٧٨٦م). حيث التعريف بالخليفة وبيعته.

ثالثاً :- **امارة الحج في عام (١٦٩هـ / ٧٥٨م). وستتناول الدراسة الأحداث السياسية التي رافقتها واثرها في تثبيت قوة الخلافة العباسية وسيطرتها على الحرمين .**

اولا - إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية.

نظر الفقهاء إلى إمارة الحج على أنها من اعظم الواجبات الدينية [١].لأن من يتولاها يكون له مكانة عالية فهو نائب عن الحاكم في ادارة مناسك الحج [٢].لذلك اخذت نصيب كبير من عناية الفقهاء ووضعوا عدد من الشروط لمن يتولاها، وجعلوها على نوعين الأولى أمارة على تسيير الحجيج واميرها هو المسؤول عن سلامة قافلة الحج منذ انطلاقها وحتى الوصول إلى الديار المقدسة فضلا عن عودة الاياب حيث تنتهي ولايته بوصول القافلة إلى الديار التي انطلقت منها [٣].والثانية على إقامة الحج والتي تكون من السابع إلى الثالث عشر من شهر ذي الحجة [٤]. وحددوا لكل نوع واجبات ومدة زمنية لانعقادها وانتهائها [٥].وبعد العودة يلتقي امير الحج بمن ولاه لاطلاعه على اخبار الرحلة وما رافقها من احداث فضلا عن اخبار موسم الحج [٦].

وفي عهد الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) كان هو من يعين امير لإقامة الحج وكان عتاب بن أسيد[٧] في سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) وأبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في سنة (٩هـ/ ٦٣٠م)، وفي سنة (١٠هـ/ ٦٣١م) كانت حجة الوداع وكان الرسول (صل الله عليه وآله وسلم)

هو من تولى إمارة الحج في ذلك العام [٨]، وبعد وفاة الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) ظهر منصب الخلافة ومن يتولى هذا المنصب يكون خلف عن النبي(صل الله عليه وآله وسلم) في القيام بمهام الدولة عدا النبوة [٩]، لذلك أصبح أمر تعيين أمير الحج من مسؤوليات الخليفة [١٠].

لذلك يجب ان يكون دقيقاً في اختيار أمير الحج أيا كان نوع ولايته- تسيير الحجيج أو إقامة الحج- لأنه "منصب جليل، ومحل مقداره نبيل، يجتمع فيه العلماء والفقهاء والأولياء، والقوي والضعيف، والعاجز والسخيف، والنساء والصبيان، والأتباع والغلمان، فقد تعيّن على ولي الأمر أن لا يولي على وفد الله تعالى إلا من علم استقامة أحواله، واختبره في دينه وفعاله ومقاله، ولا يقدم الرجل لكونه طلب أو سبق في الطلب" [١١].

وفي العهد الراشدي كان الخليفة هو من يتولى امارة الحج بنفسه إلا في بعض السنوات حين تجبر الظروف العامة الخليفة على البقاء في حاضرة الدولة فيرسل من ينوب عنه في تولى تلك الإمارة [١٢].

وفي عصر الخلافة الأموية (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٤٩م) اخذت إمارة الحج دور في الصراع السياسي فضلا عن ان معظم امراء إمارة الحج من البيت الأموي وممن تولى ولاية الحجاز [١٣].

كان لكتاب تولية أمير إمارة الحج صيغة تنص على:- " فإن أمير المؤمنين قد اختارك من إقامة الحج لوفد الله وزَور بيته، للأمر العظيم قدره، الشريف منزلته، فعليك بتقوى الله وإيثار مراقبته، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلى والسيرة الجميلة التي تشبه حالك" [١٤].

اما في عصر الخلافة العباسية (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٥٠- ١٢٥٨م) فقد كانت لمكة المكرمة اثر في التنظيم السري لدعوة العباسيين قبل اعلان الثورة على الخلافة الأموية فهي احد مراكز الدعوة وكان أداء الحج والعمرة هي افضل وسيلة للتخفي وعقد الاجتماعات في بيوت العباسيين ومن مكة ارسلت الراية المسماة السحاب واللواء المسمى الظل من إلى ابي مسلم الخرساني [١٥] . إذن في مكة كان ظهور الدعوة العباسية وعقد لواءها وشعارها، وموسم الحج كان الوقت ملائماً للاتصال بالإمام في مكة [١٦].

وبعد ان تمكن العباسيون من استلام مقاليد حكم الدولة العربية الإسلامية ، فقد حرص الخلفاء كما هو حال من سبقهم على منح الحجاز والديار المقدسة عنايتهم وذلك لمكانتها الدينية فضلا عن كونها الرمز للسيطرة السياسية. فنجد حرص الخلفاء على توفير الخدمات والحماية لطرق الحج ، فضلا عن عنايتهم بعمارة الحرمين [١٧].

ثانيا :- الخليفة موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٥٨- ٧٨٦م)

هو موسى بن محمد بن عبدالله المهدي بن المنصور الملقب بالهادي والمكنى ابي محمد، بويه بالخلافة بعد وفاة ابيه الخليفة المهدي وكان في مدينة جرجان لمحاربة اهل طبرستان، وكانت بيعته في يوم الخميس لسبع بين من شهر محرم سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) [١٨] . تولى الخلافة لمدة عام واحد وهي مدة زمنية قصيرة ، ومع ذلك يمكن تلمس بعض سمات سياسته العامة حيث الحزم والشدة من اجل تثبيت المركز السياسي للخلافة العباسية [١٩].

ويبدو ذلك واضحا في اسلوب التعامل مع العلويين حيث تزامن توليه الخلافة مع حدث تاريخي وقع في مكة المكرمة في موسم الحج وهي واقعة فخ [٢٠]، التي تركت أثر على الحياة السياسية وعلى خارطة العالم الإسلامي فيما بعد .

ثالثا :- امارة الحج في عام (١٩٦هـ / ٧٨٥م).

حج بالناس في تلك السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور [٢١]، وحج في تلك السنة عدد من العباسيين من اهل بيت الخليفة [٢٢] فضلا عن من حج من الأحداث [٢٣]. وأشارت الرواية الى ان خروجهم من العراق في معه الخيل والسلاح والرجال وكان تعليل ذلك " لأن الطريق كان مخوفا معورا من الاعراب "[٢٤]. كما التحق بركب امير الحج عدد من الشخصيات العباسية عبر طريق الكوفة [٢٥]،وطريق البصرة[٢٦].

- **واقعة فخ**

بعد ان تولى موسى الهادي الخلافة كان على المدينة اسحاق بن عيسى بن على[٢٧]، فطلب الأعفاء وتوجه للعراق للقاء الخليفة واستخلف مكانه عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .وكانت البداية لإعلان الخروج عن سلطة الخليفة الهادي هي المشادة الكلامية بين والي المدينة والحسين بن علي ويحيى بن عبد الله.

ويبدو من رواية الطبري ان هناك اعداد مسبق حيث جاء فيها: " وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو مكة في الموسم ... وقد كان قوم من أهل الكوفة من شيعتهم – وممن كان بايع الحسين – متكمنَين في دار "[٢٨].

ولكن تلك المشادة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير وهي السبب في تغير التوقيت لانطلاق تحركهم . حيث توجهوا إلى المسجد واقتحموه وحين أذنوا بالصبح وجلس الحسين على المنبر وبدا الناس يدخلون المسجد فلما رأوهم رجعوا ولم يصلوا ، ولكن لما كانت صلاة الغدة بدأ الناس يدخلون للمسجد ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه (صل الله عليه وآله وسلم) للمرتضى من آل محمد ، ومن ثم تطورات الأحداث سريعا ونشب القتال الذي استمر احد عشر يوما بين الحسين واصحابه وبين خالد البربري الذي كان يتولى الصوافي في المدينة ومائتين من الجند وانظم اليه العمري ومعه ناس كثر. وكان النصر لجماعة الحسين الذين اخذوا ما في بيت المال من مال ، وامام ما يحدث في المدينة من قتال وفوضى اغلق اهل المدينة عليهم ابوابهم ، بعد ذلك خرج الحسين من المدينة المنورة متوجها إلى مكة وكان ذلك في يوم الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة . ولما بلغها " نادى أصحابه بمكة : أيما عبد أتانا فهو حر " [٢٩].

وخلال تلك المدة وصلت الاخبار الى الخليفة موسى الهادي فأسرع إلى ارسال كتاب بولاية محمد بن سليمان بن علي[٣٠] لقيادة الحرب فوصله الكتاب فخرج بمن معه من السلاح والرجال الذين قدموا من العراق معه وانضم إليه من حضر الحج من العباسيين ومواليهم وقوادهم وعسكر في ذي طوى ، ودارت المعركة في يوم التروية وانتهت بانتصار العباسيين وقتل الحسين بن علي، واختلط المنهزمون مع الحجاج وذهبوا.

ويبدو لنا من استقراء الرواية التاريخية . ان قطع الخليفة الهادي للعطاء والارزاق المقرور لهم من قبل الخليفة المهدي هي السبب في ذلك الخروج . وأن والي المدينة المنورة اسحاق بن عيسى بن على كان على دراية بتحركات العلويين لذلك طلب الإعفاء وتوجه للعراق للقاء الخليفة الهادي واستخلف مكانه عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو الذي نقل اخبار الحسين بن علي إلى الخليفة الهادي ، والذي يؤيد استنتاجنا هذا ان أمير امارة الحج الذي خرج من بغداد ومعه عدد من العباسيين ومعهم السلاح والرجال وكان ذلك تحت غطاء تأمين الطريق من الأعراب وهجماتهم . فضلا عن العباسيين الذين التحقوا بركبه عبر طريق الكوفة وطريق البصرة .

كما ان تلك الحادثة التاريخية بينت تمكن الخليفة الهادي من الادارة فالسرعة في اتخاذ القرار والتدابير اللازمة لمعالجة الظروف الطارئة اثبتت قدرته السياسية في القضاء على معارضيه. فقد تمكن بحزم من الانتصار على الحسين بن علي في واقعة فخ التي كانت مكة المكرمة المسرح السياسي لأحداثها متزامنة مع اهم حدث اسلامي سنوي الا وهو موسم الحج .

كما يبدو لنا إن الخليفة الهادي لم يحج في أول سني خلافته، لأن لديه معلومات عن وجود تحركات سياسية لمعارضيه في مكة المكرمة. فضلا عن الخلافات مع امه الخيزران لذلك تريث في اتخاذ قرار الحج في تلك السنة. ولكنه كان موفقا في اختيار أمير إمارة الحج الذي تمكن من ادارة الصراع مع العلويين ونجح في المحافظة على شعائر ايام موسم الحج فلم يسجل لنا التاريخ ان موسم الحج تأثر بالإحداث السياسية والقتال الذي كان في يوم التروية .

الخاتمة

توصل البحث إلى عدد من النتائج يأتي في مقدمتها:-

ان دراسة امارة الحج يتيح للباحث النظر للأحداث السياسية من زاوية مختلفة، تجعلنا نقترب أكثر من استنتاجات قد تكون هي الأقرب في توضيح مسبباتها ونتائجها. فعلى الرغم من كون الخليفة الهادي لم يشهد عهده غير موسم حج واحد، إلا أنه كان مؤثرا في مجريات الأمور المستقبلية. حيث تزامن مع واقعة فخ التي شكلت تحديا خطيرا لكونها هددت الخلافة العباسية، فضلا عن كون الخليفة الهادي لايزال في بداية استلام مهام ادارة شؤونها فضلا عن مكانها في مكة المكرمة والاخطر زمنها حيث كان حجيج بيت الله يستعدون لإداء مناسك الحج.

- **قائمة المصادر والمراجع**

اولا- المصادر

- البرهان فوري،علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي(ت ٩٧٥هـ). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ، ١٩٧٩.
- الجزيري ،عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري(ت ٩٧٧هـ). درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعة السلفية ،القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- الحازمي، محمد بن موسى (ت ٥٤٨هـ) ، الاماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الامكنة، اعداد حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د.م ، ١٤١٥هـ.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) . تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ ، ج ١٤، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة، د.ت.
- الرويفعي ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن – عساكر، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م,
- الصابي، ابو إسحاق إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤هـ). المختار من رسائل الصابي، نقحه وعلق حواشيه شكيب ارسلان، دار النهضة ، بيروت، د.ت.

- ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ). عيون الأخبار، ج٢، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة، ١٩٢٥.
- ابن كثير ،عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي (٧٧٤ هـ) . البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ، ط ٣ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت٤٥٠هـ). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩ .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج ٤، ط ٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤.
- النووي، ابو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، الإيضاح في مناسك الحج، تحقيق محمد هاشم المجذوب الرفاعي الحسيني، دار ابن خلدون للطباعة والنشر ، دمشق، د.ت.
- ابو يعلى، ابو الحسين محمد بن القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (ت ٥٢٦هـ) . الأحكام السلطانية د.م، د.ت .

ثانيا – المراجع

- دبوس، صلاح الدين الخليفة توليته وعزله إسهام في النظرية الدستورية الإسلامية، دراسة مقارنة بالنظم الدستورية العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية ،الإسكندرية ، د.ت.
- سليمان محمد الطحاوي ، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٦٢.
- عارف عبد الغني. تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨-٣٤٤ هـ ، دار البشائر ، دمشق ، ١٩٩٢ .
- عبد الحسين مهدي الرحيم ، تاريخ الدولة العربية ، طرابلس ، ١٩٩٥.
- فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية٩٨هـ/٧١٦م- ١٣٢هـ/٧٤٩م دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها ، مطبعة الشعب ، بغداد، د.ت .
- عبد المجيد محمد صالح الكبيسي، عصر هشام بن عبد الملك ١٠٥. ١٢٥هـ /٧٢٤. ٧٤٣م، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ١٩٧٥ .

- محمد عمارة. الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٧.
- وجدان فريق عناد العارضي ، إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية ٨ . ١٣٢هـ / ٦٢٩ . ٧٥٠ م ، دار أمجد للنشر والتوزيع ،عمان ، ٢٠١٧ .

ثالثا- الدوريات

- علي عبد الرحمن الباحسين . مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس، ١٩٧٧.
- وجدان فريق عناد ، امارة الحج في عهد الخليفة ابي العباس السفاح ١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م، مجلة التراث العلمي العربي ، مركز احياء التراث ، جامعة بغداد، العدد الاول ، ٢٠١١.
- _____، امارة الحج في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ، ٧٥٤- ٧٧٥م) ، مجلة التراث العلمي العربي ، مركز احياء التراث ، جامعة بغداد، العدد ٤٩، ٢٠٢١.
- _____ ، امارة الحج من تنظيمات الدولة العربية الاسلامية، مجلة المدونة ، مجمع الفق الاسلامي الهند ، مج ٦، بالعدد٢١-٢٢، ٢٠١٩، ص٦١٦- ٦١٩.

الهوامش:

[1] – الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت ٩٧٧هـ). درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعة السلفية ،القاهرة، ١٣٨٤هـ، ص٨٣.

٢ – المصدر نفسه، ص٨٣.

٣– الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) . الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩ ، ص ص١٧٣–١٧٤؛ ابو يعلى، ، ابو الحسين محمد بن القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (ت ٥٢٦هـ) . الأحكام السلطانية د.م، د.ت ، ص٩٥؛ النووي، ابو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، الإيضاح في مناسك الحج، تحقيق محمد هاشم المجذوب الرفاعي الحسيني، دار ابن خلدون للطباعة والنشر ، دمشق، د.ت،، ص١٦٨؛ الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص١٠٩–١١٠.

٤ – الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص١٧١؛ ابو يعلى، الأحكام السلطانية ، ص٩٢.

٥ – الصابي، ابو إسحاق إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤هـ / ٩٤٤ م). المختار من رسائل الصابي، نقحه وعلق حواشيه شكيب ارسلان، دار النهضة ، بيروت، د.ت، ، ص٢٢٦ ؛ الأحكام السلطانية، ص١٧١ ، ١٧٣–١٧٤؛ ينظر: أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٩٢، ٩٥– ٩٦؛ النووي، الايضاح ، ص١٦٦؛ البرهان فوري ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م) . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، (الكويت ، ١٩٧٩) ، ١٣٥/٥ ؛الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص١٠٩–١١٠.

٦– الصابي، المختار من رسائل الصابي، ص٢٢٦.

[7] – عتاب بن أسيد . هو

٨ – للمزيد من التفاصيل ينظر : وجدان فريق عناد العارضي ، إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية ٨ . ١٣٢هـ / ٦٢٩ . ٧٥٠ م ، دار أمجد للنشر والتوزيع ،عمان ، ٢٠١٧ .

٩ – محمد عمارة . الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٧، ص ص٢١–٢٣؛ دبوس، صلاح الدين الخليفة توليته وعزله إسهام في النظرية الدستورية الإسلامية، دراسة مقارنة بالنظم الدستورية العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية ،الإسكندرية ، د.ت ، ص ص٢٥–٣٦.

[10] – ينظر : وجدان فريق عناد ، امارة الحج من تنظيمات الدولة العربية الاسلامية، مجلة المدونة ، مجمع الفق الاسلامي الهند ، مج ٦، بالعدد٢١–٢٢، ٢٠١٩، ص٦١٦– ٦١٩؛ عارف عبد الغني . تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨–٣٤٤ هـ ، دار البشائر ،دمشق ، ١٩٩٢، ص٩٨.

١١ الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص٨٤.

١٢- سليمان محمد الطحاوي ، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٦٢.ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥١؛ ابو يعلى، الأحكام السلطانية، ص٢٠.

[١٣] – وجدان فريق عناد العارضي ، إمارة الحج ، ص ١٥١-١٥٢ . ينظر : الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ص٨٤.

١٤- ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ). عيون الأخبار، ج٢، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة، ١٩٢٥، ص٢٢٧ .

[١٥]- ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) . البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ، ط ٣ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ ،٣٢/١٠؛ عبد المجيد محمد صالح الكبيسي، عصر هشام بن عبد الملك ١٠٥. ١٢٥هـ /٧٢٤. ٧٤٣م، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٨٧ – ٢٨٨ ؛ فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية٩٨هـ/٧١٦م- ١٣٢هـ/٧٤٩م دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها ، مطبعة الشعب ، (بغداد، د.ت) ، ص١٦١ .

[١٦] – علي عبد الرحمن الباحسين . مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس، ١٩٧٧، ص١٩.

[١٧] – ينظر :- وجدان فريق عناد ، امارة الحج في عهد الخليفة ابي العباس السفاح ١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م، مجلة التراث العلمي العربي ، مركز احياء التراث ، جامعة بغداد، العدد الاول ، ٢٠١١، ص٢٨-٣٤؛ وجدان فريق عناد ، امارة الحج في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ، ٧٥٤-٧٧٥م) ، مجلة التراث العلمي العربي ، مركز احياء التراث ، جامعة بغداد،العدد ٤٩، ٢٠٢١، ٧٠-٨٧.

[١٨] – المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج ٤، ط ٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤، ٣٣٤/٣؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) . تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ ، ج ١٤، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة، د.ت، ١٣/ ٢١.

[١٩] – عبد الحسين مهدي الرحيم ، الخلافة العباسية ، طرابلس ، ١٩٩٥ ، ص٣٤٢-٣٤٣.

[٢٠] – فخ : هو اسم المكان الذي حدثت فيه المعركة وتبعد عن مكة ستة اميال وتسمى وادي الشهداء ويقع الوادي بين طريق جدة بين طريق التنعيم ووادي فاطمة ويسمى وادي الزهر ايضا . ينظر:- الحازمي، محمد بن موسى (ت ٥٤٨هـ) ، الاماكن ما اتفق لفظه وافترق مسما من الامكنة ، اعداد حمد الجاسر ، ٢/ ٧٣٤.

[٢١] – الطبري، تاريخ ، ٨/ ٢٠٤.

[٢٢] – ابرزهم محمد بن سليمان بن علي ، والعباس بن محمد، وموسى بن عيسى. ينظر :- الطبري ، تاريخ ، ٢٠٤/٨

[٢٣] – المصدر نفسه ، ٨/ ١٩٦ ،

[٢٤] – المصدر نفسه، ٨/ ١٩٦

[٢٥] – ومن العباسيين الذين التحقوا بموكب امير الحج العباس بن محمد وموسى بن عيسى واسماعيل بن عيسى بن موسى عن طريق الكوفة. ينظر : الطبري ، تاريخ ، ٨/ ٢٠٤.

[٢٦] – ومحمد بن سليمان وعدة من ابناء جعفر بن سليمان عن طريق البصرة ومن الموالي مبارك التركي والمفضل الوصيف وصاعد مولى الهادي . ينظر : الطبري ، تاريخ ، ٨/٢٠٤.

[٢٧] – اسحاق بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم المكنى ابا الحسن الهاشمي ، عمل في خدمة الخليفة المهدي ومن ثم الهادي فضلا عن الرشيد توفي في عام ٢٠٣هـ . عن حياته ينظر : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا ، لطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م,

[٢٨] – الطبري ، تاريخ ، ٨/ ١٩٣

[٢٩] الطبري ، تاريخ ، ٨/ ١٩٥

[٣٠] – محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، من امراء البيت العباسي تولى البصرة في عهد الخليفة المهدي ، توفي سنة ١٧٣هـ. ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ ، .

الأثر السياسي والاجتماعي للوافديه في دولة المماليك عهد السلطان كتبغا ٦٩٤- ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ – ١٢٩٦م

أ.م.د. أنوار جاسم حسن العنبكي
dr.anwar.alanbake@gmail.com
الجامعة المستنصرية
كلية التربية

الأثر السياسي والاجتماعي للوافديه في دولة المماليك عهد السلطان كتبغا ٦٩٤- ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ – ١٢٩٦م

أ.م.د. أنوار جاسم حسن العنبكي

الملخص

تعددت الأسباب التي شجعت الطوائف الوافديه للاستقرار في دولة المماليك , منها أسباب سياسية و اقتصادية فضلاً عن تشجيع مجموعة من سلاطين دولة المماليك البحرية لهذه الطوائف على الاستقرار في مصر وبلاد الشام ولاسيما سلاطين المماليك ذات الأصول المغولية ، غير أن أكبر موجات الوافديه من المغول كانت في عهد السلطان العادل كتبغا والتي عرفت في المصادر المملوكية وأطلق عليها المستأمنه أو المستأمنين وكذلك عرفوا بالجلبان , حيث بلغ عدد هؤلاء الوافدين حوالي عشرة آلاف مغولي وكانوا ينتمون الى طائفة الأويرات وهي نفس القبيلة التي ينتمي إليها السلطان كتبغا الذي كان يشغل منصب نائب السلطان في هذه الفترة , لذلك بالغ في استقبالهم وأسكنهم في مناطق خاصة في القاهرة وبلاد الشام فضلاً عن ذلك منحهم الأقطاعات والرتب العسكرية على حساب العناصر الأخرى في الجيش المملوكي، مما أنعكس بشكل سلبي على مجمل الأحداث السياسية في عهده وادى الى تحالف الأمراء من غير جنس الاويراتيه ضده، حتى تمكنوا في النهايه من خلعه عن السلطة .

فضلاً عن الأثار الاجتماعية السيئة التي ترتبت على وفود هذه الطوائف والتي انعكست في رفض المجتمع المصري لهم، حيث كانوا وثنيين ورفضوا الدخول في الإسلام وترك عاداتهم الوثنية .

الكلمات المفتاحية : الأثر , السياسي , الوافديه , المماليك , كتبغا

The political and social impact of the Wafidiyya in the Mamluk state during the reign of Sultan Katbugha (694 – 696 AH / 1295-1296 AD)

Abstract

There were many reasons that encouraged the Wafidiyya sects to come and settle in the Mamluk state , including political and economic

reasons , as well as a group of sultans of the Bahri Mamluk state encouraging these sects to settle in Egypt and the Levant , especially the Mamluk sultans of Mongolian origins . However , the largest waves of Mongolian arrivals were during the reign of the Mongols . Sultan Katbugha, which was Known in Mamluk sources and was called Al-Mustaminah or Al-Mustaminin , and they were also known as Al-Jalban , as the number of these arrivals reached about ten thousand Mongols and they belonged to the Ubrat sect , which is the same tribe to which Sultan Katbaba belonged , who held the position of the Sultan's deputy in this period , so he welcomed them greatly and placed them in special

areas in Cairo and the Levant as well. This gave them fiefdoms and military ranks at the expense of other elements in the Saluki army ,

which had a negative impact on all the political events during his reign and on the alliance of princes of other non-operan types until they were able to remove him from power. On in addition to the bed social effects that resulted from the arrival of these sects , which were reflected in the Egyptian society's rejection of them, as they were Watanese and refused to convert to Islam and leave their pagan customs .

المقدمة

شهد القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وفود العديد من الطوائف المغولية الى دولة المماليك , وكان لهذا الوفود والاستقرار أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية حيث لعب سلاطين المماليك دوراُ كبيراُ في جذب هذه الطوائف لدولتهم بسبب ما أسبغوه على هؤلاء القادمين من مميزات وترحاب وشجعوا انخراطهم في النظام العسكري المملوكي، فضلاً عن منحهم الامتيازات والاقطاعات ،وكان الأويراتيه واحدة من أهم هذه الطوائف المغولية التي جذبتها دولة المماليك ولاسيما في عهد كتبغا ذات الأصول الأويراتيه , ونظراً للدور المؤثر الذي لعبه هؤلاء الوافديه في مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر وبلاد الشام ، فضلاً عن قلة الدراسات التي اختصت بهذه الطوائف . كانت الحاجة الى أعداد هذا البحث الموسوم " الأثر السياسي والاجتماعي للوافديه في دولة المماليك خلال عهد السلطان كتبغا ٦٩٤ – ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥- ١٢٩٦م لتسليط الضوء على هذه الطائفة التي لعبت دوراً كبيراً ومؤثراً في الأحداث السياسية لدولة المماليك على الرغم من قصر فترة حكم السلطان كتبغا(٦٩٤_٦٩٦هـ) فمن هم

هؤلاء الاويراتيه؟ وماهي اسباب وفودهم الى دولة المماليك ؟ وماهو موقف السلطان كتبغا من هذه الطائفة ؟ وماهو اثرهم السياسي والاجتماعي على مصر وبلاد الشام ؟وسوف نحاول الاجابة على هذه الفرضيات في ثنايا البحث .لذلك تم تقسيم البحث الى الفقرات التالية : –

أولاً : الوافديه في دولة المماليك قبل عهد كتبغا

ثانياً : تولي كتبغا السلطنة المملوكية (٦٩٤- ٦٩٦هـ)

ثالثاً : الأثر السياسي للوافديه الأويراتيه في عهد كتبغا

رابعاً : الأثار الاجتماعية والثقافية للأويراتيه في عهد كتبغا

ثم أنهيت البحث بالإشارة الى أهم النتائج التي توصلت اليها

ومن الله التوفيق والسداد .....

أولاً : الوافديه في دولة المماليك قبل عهد كتبغا

أ – في عهد الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨ – ٦٧٦ هـ)

شجعت العلاقات السياسية الجيدة المتبادلة بين دولة المماليك البحرية ودولة مغول القبجاق[١] الى وفود أعداد كبيرة من هذه الطوائف الى دولة المماليك لاسيما وأن هؤلاء المغول الوافديه كانوا من نفس جنس مجموعة كبيرة من سلاطين دولة المماليك البحرية .[٢] وكان الظاهر بيبرس أحد أولئك السلاطين الذي ينحدر من هذه الطائفة أي مغول القبجاق لذلك حرص على شراء واستقبال هذه الطوائف ونظراً لحسن المعاملة التي تمتعوا بها عند وفودهم الى دولة المماليك، فضلاً عن الحروب الداخلية التي كانت قائمة بين ايلخانات[٣] المغول، فقد وفدت مجموعات كبيرة من هذه الطوائف الى دولة المماليك والتحقوا بالجيش المملوكي .[٤] وكانت أول هذه المجموعات من المغول الوافديه في اوائل عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) وكان عددهم حوالي مائتي فارس بصحبة نساءهم وأطفالهم .[٥] وكان أغلب هؤلاء من مغول القبجاق لذلك أرسل السلطان الظاهر بيبرس نوابه في الشام لاستقبالهم واكرامهم وبعث إليهم الخلع والانعامات وأحسن الى مقدميهم الأربعة .[٦] وعند وصولهم الى مصر خرج السلطان الظاهر بيبرس بنفسه لاستقبالهم وأمر بأنزالهم في الآدر السلطانية.[٧] ومساكن بنيت خصيصاً لهم في منطقة اللوق .[٨] بظاهر القاهرة , وأعطى أكابرهم آمريات (رتبة أمير مائة) في فرقته البحرية وأصبح كل قائد منهم كأمير مستقل له الأجناد والغلمان , ثم أفرد لكل واحد منهم جهة اقطاعية يعيش منها , وهذا الاستقبال

والحفاوة الكبيرة من قبل الظاهر بيبرس شجعت جماعات أخرى سواء من مغول القبجاق أو غيرهم على الوفود الى مصر والدخول في خدمة المماليك.[٩] ففي سنة (٦٦١هـ / ١٢٦١م) وفدت مجموعة أخرى من المغول القبجاق والبهادرية[١٠] وكان عددها حوالي ثلاثمائة فارس.[١١] فكتب السلطان الظاهر بيبرس بالإحسان إليهم , ويبدوا أن كثرة توافد هذه الاعداد الى دولة المماليك قد أثار مخاوف السلطان بيبرس، حيث عبر عن ذلك في اجتماع له بأمرائه، ولم يكتف بذلك بل أمر الجيش المملوكي أن يكون على أهبة الاستعداد تحسباً لأية أعمال قد تبادر بها هذه الجماعات , لذلك أضطر الى إنزال أعداد كبيرة منهم داخل القلعة ليكونوا تحت نظره ولاسيما بعد أن ضاقت بهم حارات ومساكن منطقة اللوق.[١٢]

ب – في عهد المنصور قلاوون وولدهِ الأشرف خليل بن قلاوون

تراجعت أعداد المغول الوافديه أو كما عرفوا بالمستأمنة بشكل كبير بعد وفاة السلطان بيبرس سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) باستثناء بعض الجماعات التي وفدت الى مصر في سنة (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م) في عهد المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨هـ / ٦٨٩م) حيث حضر حوالي تسعة عشر فارساً مع نساءهم وأولادهم .[١٣] أما المجموعات ،الأخرى فكانت في عهد ولده الأشرف خليل بن قلاوون سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) .[١٤] ويبدو أن سبب تراجع وفودهم الى مصر في عصر الأشرف خليل هي كثرة الاضطرابات السياسية التي شهدها عصر الأشرف خليل مما جعل دولة المماليك تمتنع عن استقبالهم تحسباً لأي طارئ .

ثانياً : تولي كتبغا السلطنة المملوكية (٦٩٤ – ٦٩٦ هـ)

أ – أصل كتبغا قبل تولي السلطة

كتبغا هو أحد الأمراء المغول الذين واجهوا المماليك في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٨م) ولكنه أنهزم في هذه المعركة , وذلك في أعقاب انتصار سيف الدين قطز ودحره للمغول , ثم شارك كتبغا مع جيش المغول الذين هاجموا مدينة حمص في سنة (٦٨٠هـ / ١٢٨٠م) وتم أسرهِ في هذه المعركة على يد السلطان سيف الدين قلاوون .[١٥] وبفضل شجاعته أستطاع أن يكسب أعجاب ولطف المنصور قلاوون الذي أدبه ثم أعتقه وجعله من جملة مماليكه، ومنذ ذلك الوقت لقب بالمنصوري نسبة الى أستاذه الذي أشتراه وأدبه المنصور قلاوون .[١٦] وأستمر كتبغا بهذه المنزلة الرفيعة حتى بعد وفاة السلطان سيف الدين قلاوون وتولي الأشرف خليل بن قلاوون للسلطة سنة (٦٩١هـ / ١٢٩١م) , وكان كتبغا قد أشترك مع الأشرف خليل في

حصار عكا وفتحها سنة (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) وتولى حماية الأطفال والنساء من اعتداء الجند المماليك أثناء خروجهم من أبواب عكا وتسليمها للأشرف خليل .[١٧]

وعندما علم كتبغا بالمؤامرة التي دبرها بعض الأمراء مثل بيدرا وحسام الدين لاجين وشمس الدين قراسنقر والتي انتهت بمقتل الأشرف خليل أثناء خروجه للصيد سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) , أسرع للطلب بثأر أستاذه وأبن سيده وتمكن من الانتقام من قائد المؤامرة بيدرا وقتله، أما حسام الدين لاجين وشمس الدين قرا سنقر فقد تمكنا من الهروب , وكان هذا الانتصار بمساعدة مجموعة من مماليك الأشرف الخاصكية .[١٨] وبوفاة الملك الأشرف خليل وتولي ولدهِ الناصر محمد بن قلاوون الذي كان صغير السن حيث يبلغ من العمر ثمان سنوات، لذلك أصبح الأمير زين الدين كتبغا نائباً للسلطنة وعلم الدين سنجر الشجاعي وزيراً ومدبراً للسلطنة .[١٩]

ب – سلطنة العادل كتبغا

بدأت بتولي العادل كتبغا نيابة السلطنة مرحلة جديدة رغم قصرها غير أنها امتازت بتأكيد الطابع المغولي للدولة المملوكية سياسياً وعسكرياً وشيوع ظاهرة الانتصار للعصبية المغولية , وذلك عندما قام الصراع بين كتبغا والأمير علم الدين سنجر الشجاعي وكان وزيراً ومدبراً للسلطنة وأتابك العسكر.[٢٠] وكان الشجاعي يكره جنس المغول ولاسيما من أصل القبجاق وكان يدرك تماماً مدى أطماع كتبغا في عرش السلطنة المملوكية لذلك بدأ يدبر سراً للإطاحة بكتبغا وأنصاره والقضاء على السيطرة المغولية على الحياة السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام .[٢١]ولم تلبث الأمور ان استقرت للأمير كتبغا ولاسيما بعد أن استطاع التخلص من منافسة علم الدين سنجر الشجاعي وقتله بمساعدة بعض الأمراء من أبناء جلدته.[٢٢] فضلاً عن صغر سن السلطان الناصر محمد بن قلاوون وعدم قدرته على كبح جماح الطامعين في السلطنة لذلك نجح العادل كتبغا في خلع السلطان الناصر محمد واعتلاء كرسي السلطة لدولة المماليك , وقد أشار المقريزي الى ذلك بقول ((فلما أنقضت فتنة المماليك المتقدم ذكرهم , جلس الأمير زين الدين كتبغا في اليوم الثاني منها بدار البناية وجمع الأمراء وذكرهم أن ناموس السلطة وحرمة المملكة لا تتم لصغر سن الملك الناصر محمد وإقامة الأمير زين الدين كتبغا مكانه في السيف , فخلعوا الملك الناصر من المُلك واقاموا الأمير زين الدين كتبغا في السلطة وحلفوا له)) .[٢٣]

كما نجح الأمير كتبغا في الحصول على تأييد الخليفة العباسي في القاهرة الحاكم بأمر الله بحكمه .[٢٤] ويبدو أن كتبغا كان يخطط من أجل الاستيلاء على السلطة ولكنه كان ينتظر الوقت

المناسب , ومما يؤكد ذلك هو موقفه من الناصر محمد بن قلاوون بعد توليه السلطة حيث أمر بسجنه في القلعة مع والدتهِ وحرمه من الركوب والظهور .[٢٥]

ثالثاً : الأثر السياسي للأويراتيه في عهد العادل كتبغا

أ – أسباب قدومهم لدولة المماليك

مثل اعتلاء العادل زين الدين كتبغا لسلطة المماليك سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) تأكيداً عملياً للطابع المغولي على البنية السياسية والتكوين السياسي لدولة المماليك , حيث شهد عهدهِ القصير وفود أكبر هجرات المغول الوافديه الى دولة المماليك والذين عرفوا بالمغول الاويراتيه .[٢٦] وكان من الطبيعي أن يتم استقبالهم بحفاوة بالغة من قبل السلطان العادل كتبغا وأن يعمل على إدخالهم الجيش المملوكي لكونهم من بني جنسه أي من قبيلة الأويرات

وكانت الأسباب التي أدت الى وفود هذه الأعداد الكبيرة من المغول الاويراتيه الى مصر وبلاد الشام هي الخلافات السياسية والصراعات الداخلية التي حدثت بين مغول فارس ولاسيما بعد اعتناق محمود غازان للإسلام . [٢٧] والذي أثار حفيظة المغول الاويراتيه لكونهم من اتباع الديانة البوذية لذلك خشوا أن يبطش بهم غازان فهربوا والتجأوا الى دولة المماليك , حيث وصلت مدينة الرحبة في بلاد الشام حوالي عشرة آلاف من الاويراتيه المقيمين في بغداد وديار بكر من عسكر بيدو بن طرغاي بن هولاكو بصبحة نساءهم وأولادهم ومعهم حاشية كثيرة ورخت [٢٨] عظيم تحت قيادة طرغاي زوج أبنة هولاكو.[٢٩] فضلاً عن ذلك كان سبب قدوم هذه الأعداد من المغول الأويراتيه هي رغبة العادل كتبغا في الاستعانة بهم على خصومه وأعداءهِ في داخل مصر وخارجها في بلاد الشام مثل الأمير حسام الدين لاجين وغيرهم من الأمراء لاسيما وأنه كان مغتصبا لعرش السلطنة المملوكية من الناصر محمد بن قلاوون كما سبق الإشارة الى ذلك .[٣٠]

ب – الأثار السياسية للمغول الأويراتيه

كان لدخول هذه الجماعات الكبيرة من المغول الأويراتيه الى دولة المماليك في عهد العادل كتبغا دوراً كبيراً ومؤثراً في مجمل الأحداث السياسية التي شهدتها دولة المماليك في عهد العادل كتبغا رغم قصر هذه الفترة , ويوضح أبو الفداء مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه العادل زين الدين كتبغا لهؤلاء الأويراتيه بقوله ((أرسل الملك العادل كتبغا أميراً للقائهم وأكرمهم وأنزلهم بالساحل قرب قاقون وأدر عليهم الأرزاق , وأحضر كبرائهم عنده الى الديار المصرية واعطائهم الأقطاعات الجليلة وواصلهم بالخلع وقدمهم على غيرهم)).[٣١] كما ذكر المقريزي أنه ((أنعم على طرغاي

مقدمهم بأمرة طبلخانه)).[٣٢] وعلى اللوص بأمرة عشرة وهي مرتبة عسكرية أيضاً وأعطى باقي الأمراء تقادماً .[٣٣] وأجرى عليهم الرواتب .[٣٤] فضلاً عن ذلك أسكن معظم هؤلاء الأويراتيه في أحياء خاصة بهم عرفت بالحسينية .[٣٥]

وبذلك أصبح لهؤلاء الوافديه الأويراتيه مكانه وسلطة داخل دولة المماليك , فبرز أثرهم السياسي بشكل كبير في مجريات الأحداث فيما بعد وارتقوا الوظائف الهامة في الدولة مثل نيابة السلطنة والوزارة وغيرها .[٣٦]

وأثاروا الفتن في داخل دولة المماليك ولاسيما وانهم أصبحوا المتحكمين في السلطة حيث قام العادل كتبغا بمنح السلطة والنفوذ لأميرين من خاصة مماليكه الأويراتيه وهما بتخاص وبكتوت غير أنهما فشلا في أدارة الأمور بشكل جيد وتحكما في أمور الدولة وأفسدا نظام الحكم مما أثار الاضطرابات في عهد كتبغا وذلك لسوء سيرة هذان الأميران وتطاولهما على كبار رجالات الدولة.[٣٧] أما عن سياسة السلطان كتبغا تجاه الأمراء غير الأويراتيه فقد بالغ في العداء لهؤلاء الأمراء وقام بعزل مجموعة من كبار الأمراء من مناصبهم في الدولة والتي كانوا يمارسون فيها صلاحياتهم منذ فترة طويلة دون أن يقدر جهودهم ومساندتهم له ضد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي .[٣٨] رغم أنهم كانوا من المغول لكن من غير الأويراتيه.[٣٩]

وذكر أبن تغري بردي أنه بالغ في محاباة الأويراتيه على حساب الطوائف المغولية الأخرى التي ساندته مسبقاً حيث ذكر ((ولما دخل الملك العادل الى دمشق وأقام بها أياماً عزل عنها الأمير عز الدين أيبك الحموي , وولى عوضه في نيابة دمشق مملوكه الأمير سيف الدين أغزلوا العادلي وعمره نحو أثنين وثلاثين سنة , وأنعم على الأمير عز الدين أيبك الحموي بخبز أغزلوا بمصر)) .[٤٠] ولاشك أن عزل كبار الأمراء السابقين الذكر عن مناصبهم وعن ممارسة مسؤولياتهم في الدولة, بل ومصادرة أملاكهم سيكون له أثر بالغ في تغير ظروف حكم العادل كتبغا، ولاسيما وإذا ما عرفنا مدى اعتماد السلاطين المماليك على وجود عصبة كبيره تدعمهم وتؤيدهم ، ويبدو ان السبب وراء إقدام العادل كتبغا على ذلك العمل , هو الخوف من السلطات الكبيرة التي تمتع بها كبار الأمراء والخشية من أن يكونوا خطراً عليه وعلى مكانته في دولة المماليك , كذلك كان هدفه هي تقوية مكانة مماليكه الذين تسلموا زمام المسؤولية في الكثير من الوظائف الكبيرة في الدولة .[٤١] غير أن تصرفه هذا تجاه الأمراء كانت أثاره السياسية وخيمه جداً لاسيما على سلطة العادل وقد أشار المقريزي الى ذلك بقوله ((وقد توغرت صدور الأمراء

وتواعدوا على الفتك به)) .[٤٢] وكان من نتيجة هذه الفوضى السياسية واستبداد العادل كتبغا بالحكم ومحاباته التي لا حدود لها لبني جنسه الأويراتيه واستعمالهم دون غيرهم كحرس خاص ومستشارين له أن أثار مخاوفه خشداشيته .[٤٣] وكان معظمهم من أصل مغولي قبجاقي , لذلك بدأوا يظهرون قلقهم وشكهم في استطاعة كتبغا التغلب عليهم والتخلص منهم بمساعدة مماليكه المقربين من الأويراتيه لذلك تحالفوا ضده وكان على رأسهم المنصور حسام الدين لاجين , والذي كان أحد المحرضين الرئيسين لكتبغا على أقصاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٣م) وتولية العرش، لذلك حدثت فوضى سياسية كبيرة ونتجت عن ما يمكن تسميته بانقلاب عسكري أو سياسي وكانت نتيجة هذا الانقلاب هي الإطاحة بالسلطان المغولي وخلعه وتولية المنصور لاجين للسلطة سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) .[٤٤] ورغم خلع السلطان العادل كتبغا وحرص السلطان الجديد على تقليص نفوذ المغول الأويراتيه عن طريق القبض على زعمائهم وعلى رأسهم طرغاي وترحيلهم الى الإسكندرية غير أن هذه الطائفة ظلت قوة فعالة في الجيش المملوكي.[٤٥] وحتى بعد أن تمكن الناصر محمد بن قلاوون من استعادة سلطته فيما بعد سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) ومحاولاته للتخلص من المغول الأويراتيه وذلك بطردهم من خدمته ومن مصر وبلاد الشام بشكل نهائي , غير أن ذلك لم يمنع من استمرار نفوذهم وتأثيرهم السياسي والعسكري حتى نهاية دولة المماليك البحرية سنة (٧٨٤هـ / ١٣٨٣م) .[٤٦] فضلا عن ذلك، أدى انشغال السلطان العادل كتبغا بالمشاكل الداخلية الى عدم اهتمامه بإجراء أي تغييرات إدارية في النظام الإداري للدولة المملوكية , فضلاً عن طبيعة الظروف التي حلت بدولة المماليك أثناء فترة سلطنته من مجاعة ووباء وغلاء في الأسعار , فأنشغل السلطان ورجال دولته في معالجة المشاكل السياسية والاقتصادية الى درجة كبيرة ولم يعد لديهم لا الوقت ولا الجهد الذي يمكن أن يستغلوه في تجديد النظام الإداري أو استحداث مناصب إدارية جديدة .[٤٧] لذلك تشاءم المجتمع المصري من وجوده حتى أنهم أطلقوا عليه ولقبوه بالسلطان النحس .[٤٨] ولعل ما يؤيد الرأي السابق ما دونه أحد الأدباء وهو شمس الدين محمد بن دينار , حيث وصف حالة الدولة المملوكية في سلطنة العادل كتبغا حيث قال:

ربنا أكشف عنا العذاب فإنا قد تلفنا في الدولة المغلية
جاءنا المغل والغلا فانسلقنا وانطبخنا في الدولة المغلية .[٤٩]

رابعاً : الآثار الاجتماعية والثقافية للأويراتيه في عهد العادل كتبغا

أ – الأثر الاجتماعي

لم يقتصر تأثير الأويراتيه الذين وفدوا الى دولة المماليك في عهد العادل كتبغا سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٣م) على الجوانب السياسية وما أحدثوه من فوضى سياسية ، بل أمتد هذا التأثير لينعكس كذلك على الجوانب الاجتماعية حيث شمل بعض العادات والتقاليد فضلاً عن بعض الظواهر الاجتماعية التي حملها هؤلاء الأويراتيه الى داخل المجتمع الشامي والمصرين ،وقد أشار المقريزي الى تأثر مصر وبلاد الشام بهذه الاقوام بقوله : ((فغصت أرض مصر وبلاد الشام بطوائف المغل وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم)).[٥٠] ولاسيما وأن العادل كتبغا حرص على أنزال هؤلاء الأويراتيه وسط المجتمع المصري وحرص على اختلاطهم بهم , ويبدو أن السبب في ذلك حتى يفتتن بهم المجتمع المصري والشامي حيث تمتعت نساءهم بجمال البشرة وذلك في محاولة من العادل كتبغا لاندماجهم في المجتمع والذي ينتج عنه تأثرهم بالعادات والتقاليد المغولية ولاسيما الأويراتيه , ولتأكيد الصيغة المغولية للدولة المملوكية من الناحية الاجتماعية أيضاً ومما يؤكد ذلك هو نص أبن الفرات حيث ذكر ((فافتتن بهم الأمراء وتنافسوا في أولادهم الذكور والإناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم لدرجة أنه أرسلوا الى البلاد الشامية واستدعوا طائفة كبيرة منهم فتكاثر نسلهم في القاهرة)) .[٥١]

فضلاً عن ذلك أن العادل كتبغا أعطى هؤلاء الأويراتيه الحرية الكاملة لممارسة شعائرهم وطقوسهم الوثنية ولم يجبرهم على دخول الإسلام , لذلك أستهجن المجتمع المصري أفعالهم حيث أشار المقريزي الى ذلك ((فشق ذلك على الناس وبلوا مع ذلك منهم بأنواع البلاء لسوء اخلاقهم ونفره نفوسهم وشدة جبروتهم)).[٥٢] ومما زاد في نفور الناس من هذه الطائفة أنه صادف وجودهم ولاسيما بعد تولي العادل كتبغا للسلطة انخفاض مياه النيل واشتداد الغلاء وانتشار المجاعات وارتفاع الأسعار وانتشار الوباء في مصر .[٥٣] ورغم هذا التشاؤم من هذه الطائفة فقد تأثر المجتمع المصري والشامي ببعض عاداتهم ولم يكن هذا التأثير مقصوراً على المجتمع فحسب بل شمل بعض سلاطين المماليك أنفسهم، ومن هذه العادات هي أكل لحوم الخيل في الحفلات والمناسبات التي كان يقيمها السلاطين والأمراء .[٥٤] حيث كان أكل لحوم الخيل هو الطعام الرئيسي والمفضل لدى المغول بشكل عام ومن ضمنهم الأويراتيه .[٥٥] فضلاً عن ذلك ،كانت هناك بعض العادات الخاصة بالطعام والتي رفضها المجتمع المصري في عصر العادل كتبغا

والتي حملها معهم هؤلاء الأويراتيه مثل طريقة أكلهم للخيول , حيث كانوا يأكلون الخيول المقتولة بالضرب لا بالذبح , حيث يربطون الفرس ويضربونه على وجهة حتى يموت ثم يأكلونه وذلك حسب ما اعتادوا عليه في بلادهم لذلك أنف الأمراء من الجلوس معهم وعظم على الناس اكرامهم .[٥٦] ورغم رفض المجتمع المملوكي لهذه الطائفة لكن ذلك لا يمنع من تأثر المجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام ببعض هذه التقاليد والعادات , مثل تأثرهم في طريقة ارتداء الملابس ولاسيما في الاحتفالات الدينية والاجتماعية الأخرى .[٥٧] ولعل أكبر وأهم مظاهر التأثير الاجتماعي للمغول الأويراتيه على المجتمع المصري في عهد العادل كتبغا هو انتشار ظاهرة الزواج من مغوليات أويراتيات سواء كانوا أميرات أو جواري بين سلاطين المماليك والأمراء , وحتى من عامة الشعب وذلك لما اشتهرت به نساءهم من جمال باهر , وهذا ما أكدته أغلب المصادر المملوكية.[٥٨] ولاشك أن هذا الزواج المختلط كان له تأثير كبير في انتشار العديد من العادات والتقاليد المغولية ونتج عنه فيما بعد ظهور جيل جديد ممكن تسميته ب(المولدين) وهنالك شواهد كثيرة على عمق هذه الصفة لدى دولة المماليك حتى قبل عهد العادل كتبغا مثل زواج السلطان المنصور قلاوون من مغولية .[٥٩]

وتكررت حالات الزواج المختلط هذه وازدادت عند وفود طائفة المغول الأويراتيه الى مصر في عهد كتبغا , ولاسيما وأنه أنزلهم بقرب المصريين ولم يعزلهم , حيث أنزلهم في الحسينية , فأدى ذلك الى رغبة المصريين من الزواج من الأويراتيه حيث ذكر ابن تغري بردي تنافس الناس عليهن بقوله ((أفتتن الناس بنسائهم وتنافسوا عليهن رغم كونهن على غير الملة أو الدين الإسلامي)).[٦٠] وازدادت هذه الرغبة بالزواج من مغوليات أويراتيات حتى بعد خلع العادل كتبغا سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٥م) عن السلطة وقيام السلطان الجديد حسام الدين لاجين بتهجير العديد من هؤلاء الأويراتيه ونفيهم خارج مصر .[٦١] حيث أستمرت ظاهرة الزواج من أويراتيات ولاسيما وأن الكثير من هذه الأسر ظلت مقيمة بمصر , لذلك تزوج الجند وغيرهم فيما بعد من بناتهم ودخلوا في الإسلام .[٦٢]

ب – الآثار الثقافية للأويراتيه

فضلاً عن الأثر الاجتماعي والذي أنعكس بكثرة الزواج من مغوليات أويراتيات فقد كان لهذه الجماعات تأثير أيضاً في اللغة , حيث أنه من المتعارف عليه عند اختلاط أو تقارب بين شعبين لابد أن ينتج عن هذا الاختلاط تبادل ثقافي ولاسيما بالجانب اللغوي , حيث أثرت هذه الطوائف

الأويراتيه في لغة المجتمع المصري والشامي ونتج عنه ظهور كلمات احتوت على العديد من الألفاظ المغولية واستخدمت في لغة الدولة المملوكية .[٦٣] ومن الجدير بالذكر أن هذا التأثر واستخدام المصطلحات اللغوية للمغول ولاسيما المصطلحات العسكرية لم يكن وليد عهد العادل كتبغا وإنما سابق لذلك , حيث حرص سلاطين الدولة المملوكية الأولى على استخدام واقتباس الكثير من الكلمات المغولية داخل دولة المماليك بحكم أصولهم المغولية كما سبق الإشارة الى ذلك.[٦٤] وانتشرت موجة تعلم اللغة المغولية بشكل كبير بعد وفود أعداد كبيرة من المغول الأويراتيه في عهد السلطان كتبغا ولاسيما بعد اختلاطهم بطبقات المجتمع المملوكي من أمراء وطبقة عامة وبالتالي ظهرت الحاجة الملحة لتعلم هذه اللغة والتي برع فيها العديد من الناس وعلى رأسهم الأمراء .[٦٥]

وعلى سبيل المثال لا الحصر فهناك الكثير من الكلمات والمصطلحات التي كانت تستعمل في النظم العسكرية المملوكية ترجع أصولها الى اللغة المغولية مثل مصطلح ((اميرآخور , والتي تعني الشخص المسؤول عن الإسطبل السلطاني .[٦٦] وكلمة ((اوطاق أو وطاق)) وتعني خيمة أو خيام الجنود , وكلمة ((قشلاق)) وتعني الأماكن التي كان ينزلها ويعسكر بها الجيش في الشتاء .[٦٧] وبرز هذا التأثر الكبير باللغة المغولية في مصر بشكل واضح في الأحاديث التي كانت تدور بين سلاطين المماليك وخشداشيتهم وأمراءهم ، حيث كان يختلط اللسان العربي باللسان المغولي ولاسيما في عهد السلطان العادل كتبغا الذي كان متعصباً بشكل كبير لبني جنسه الأويراتيه .[٦٨] وهناك إشارات بسيطة الى مساهمة بعض أمراء وزوجات السلاطين من المغول في الناحية العمرانية , فمن المعروف والمسلم به أن الطوائف المغولية التي هاجرت الى مصر وبلاد الشام منذ عصر الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ – ٦٧٦هـ) لم يحملوا معهم أي طراز مغولي معماري , إذا ما قورنت بالنهضة المعمارية الضخمة التي شهدتها مصر في عصر المماليك البحرية.[٦٩]

ولكن ذلك لم يمنع من تأثر بعض طوائف المغول الوافديه ولاسيما الأويراتيه بالنهضة العمرانيةفي مصر وبلاد الشام في عصر المماليك وأن يسهموا ولاسيما الأمراء وبعض زوجات السلاطين من أصول مغولية في المساهمة بهذا الجانب , حيث انتشرت عدد من المساجد والخانقاوات وأحياء وقيساريات فضلاً عن بعض الأربطة والحمامات التي ساهموا في بناءها ولاسيما بعد اعتناقهم للإسلام في أعقاب حالات الزواج المختلط . [٧٠] ومن أمثلة ذلك رحبة كتبغا

المنسوبة إليه , وكانت هذه الرحبة من ضمن اصطبل الجميزه وتقع باتجاه داره التي كان يسكنها عندما كان أمير فيل أن يتولى سلطة الدولة وسكنها من بعده أبناءه وعرفت باسمه .[٧١]

نتائج البحث

بعد الانتهاء من أعداد البحث الموسوم ((الأثر السياسي والاجتماعي للوافديه في دولة المماليك في عهد السلطان كتبغا ٦٩٤ – ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ – ١٢٩٦ م)) يمكن الخروج بالنتائج التالية :-

١ – حرص سلاطين المماليك ولاسيما ذات الأصول المغولية على تدعيم وجودهم ودعم مركزهم السياسي والاجتماعي من خلال تشجيع مجموعة من الطوائف المغولية الى الوفود الى مصر وبلاد الشام .

٢ – كانت من أهم الأسباب التي أدت الى كثرة تواجد الطوائف الوافديه هي اضطراب الأوضاع الداخلية والخلافات السياسية داخل المغول , فضلاً عن الحفاوة الكبيرة التي تلقاها هؤلاء الوافديه ولاسيما (الأويراتيه) من قبل السلطان العادل كتبغا .

٣ – كان لوجود هذه الطوائف الأويراتيه، أثاره السياسية السيئة والتي انعكست بشكل سلبي على اضطراب الأوضاع السياسية بشكل عام وعلى الوجود السياسي للعادل كتبغا بشكل خاص وأثمرت في النهاية عن قصر مدة حكمه وخلعه من السلطة .

٤ – لم يقتصر الأثر السيء لهذه الطوائف الأويراتيه على الوضع السياسي المتردي بل شمل النواحي الاجتماعية أيضاً ولاسيما وأن وجودهم أقترن مع تعرض البلاد لموجات من الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية وما صحبه وجودهم من عادات وثنيه بعيدة عن المجتمع الإسلامي في مصر والشام .

٥ – رغم رفض المجتمع لهذه الطوائف لكن ذلك لا يمنع من ظهور حالات من الاندماج الاجتماعي المتمثل بالزواج من أويراتيات بما انعكس أثره على الجانب الثقافي أيضاً .

هوامش البحث

(١) القبجاق أو القفجاق : هي بلاد الدشت وتقع في القسم الغربي من الامبراطورية المغولية التي أسسها جنكيزخان , وكانت هذه البلاد عاصمة القبيلة الذهبية التي تقع في شمال بحر قزوين وتدعى (سراي) وتعني بالفارسية القصر بناها بركةخان حفيد جنكيزخان , وسميت بالقبيلة الذهبية وذلك نسبة الى مخيمات معسكراتها ذات اللون الذهبي , وقد أعتقنت الإسلام للمزيدعن هذه القبائل ينظر : أبن تغري بردي , أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي , (ت ٨٧٤هـ) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تحقيق جمال الدين الشمال , دار الكتب المصرية , القاهرة , ١٩٧٢م , ج١ , ص٣٣٤-٣٣٥ ؛ العريني , السيد الباز , المماليك , دار النهضة العربية , بيروت , د. ت , ص٩٥ .

(٢) من الجدير بالذكر أن الكثير من سلاطين دولة المماليك البحرية كانوا من أصل مغولي قفجاقي مثل المعز آيبك والظاهر بيبرس البندقداري والمنصور سيف الدين قلاوون. ينظر : المقريزي , تقي الدين أبو العباس أحمد , (ت٨٤٥ هـ), السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق محمد مصطفى زيارة , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , القاهرة , ١٩٥٨م , ج١, ص٣٦٨ ؛ البيومي . محمد اسماعيل الشربيني , الوفود السياسي لمصر والشام أبان حكم السلاطين المماليك , مجلة كلية الآداب , جامعة المنصورة , ص١٥٠ .

(٣) ايلخانات , وهو أسم اتخذه سلاطين المغول ،وتعود هذه التسمية الى هولاكوخان الذي لقب ب(ايلخان) وهي كلمة مكونة من مقطعين (ايل) بمعنى تابع أو مطيع و(خان) بمعنى ملك أو حاكم والمقصود بها ايلخان أن حاكم الدولة الايلخانيه تابع للخاقان الأعظم الذي كان يقيم في عاصمة الدولة المغولية قراقوم . للمزيد ينظر : طقوش ,محمد سهيل , تاريخ المغول العظام والايلخانيين , مطبعة دارالنفائس , بيروت , ط١ , ٢٠١٩م , ص٨٥ ؛ عودات , أحمد وأخرون , تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري , دار الكندي , أربد , ١٩٩٠م , ص٢٨ .

(٤) بيبرس الدويدار , ركن الدين بيبرس المنصوري , (ت ٧٢٥هـ) , زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة , تحقيق زبيدة عطا, ب ت , ج٩ , ص٢٨ .

(٥) أبن عبد الظاهر , محي الدين أبو الفضل عبد الله , (ت ٦٩٤هـ) , الروض الزاهر في سيرة الملك الطاهر , تحقيق د. عبد العزيز الخويطر , الرياض , ١٩٧٦م , ص١٣٧ ؛ المقريزي , المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية , مطبعة بولاق , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , ج٢ , ص١٣٧ .

(٦) أبن كثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر , (ت ٧٧٤هـ) , البداية والنهاية , بيروت , ط٦ , ١٩٨٠م , ص١٣٤ ؛ المقريزي , الخطط , ج٢, ص١١٧ .

(٧) الآدر , جمع دار ويقصد بها مقر السلطان ومجلسه . ينظر : دهان محمد أحمد , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , دار الفكر , دمشق , ط١, ١٩٩٠م , ص١٣ .

(٨) اللوق , وهي أحدى ضواحي مدينة القاهرة , أما أصل تسميتها باللوق وهي تسمية للأراضي التيأنحسر عنها نهر النيل وأصبحت أرض لينه لا تحتاج الى الحرث بل تلاق لوقاً , وبعد انحسار المياه عنها عمرت فيها الأبنية وأصبحت مساكن خاصة للمغول الوافديه الى دولة المماليك . ينظر : المقريزي , الخطط , ج٢ , ص١١٧ .

(٩) البيومي , إسماعيل , الوفود السياسي لمصر والشام , ص٥٧ ؛ العريني , المماليك , ص٩٠ .

(١٠) البهادريه , ومفردها (بهادر) وهي كلمة ذات أصول مغولية وتعني (مبارز شجاع) وكانت هذه الفرقة جزءاً من الحرس الخاص لجنكيزخان لشجاعتهم وقوتهم وكانوا يشرفون على خدمة الخان مباشرة , لذلك كانوا من ضمن الطبقة الأرستقراطية والمتحكمة في الامبراطورية المغولية . للمزيد ينظر : الصياد , فؤاد عبد المعطي , المغول في التاريخ , مطبعة القاهرة , ١٩٦٠م , ص٢٥٧ .

(١١) أبن عبد الظاهر , الروض الزاهر , ص١٨ ؛ النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب , (ت٧٣٢ هـ) , نهاية الأرب في فنون الأدب , تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور و الهيئة المصرية للكتاب , ١٩٨٠م , ج٣ , ص٨٩ .

(١٢) أشار المقريزي الى هذه المساكن حيث عرفت باسم ((خرائب التتار أو التتر)) , الخطط , ج٢ , ص٢٠٥-٢٠٦

(١٣) أبن عبد الظاهر , تشريف الأيام والعصور , ص٤٦ ؛ المقريزي , السلوك , ج١ , ص٥١٤ .

(١٤) أبن كثير , البداية والنهاية , ج١٣, ص٣٣٠ ؛ العريني , المماليك , ص٢١٢ .

(١٥) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٢٥ ؛ أبن خلدون , عبد الرحمن بن ينبع , (ت٨٠٨ هـ) , العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر , تحقيق خليل شحاذه , دار الفكر , بيروت , ١٩٨٨م , ج٥ , ص٣٨٠ .

(١٦) أبن عبد الظاهر , تشرف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور , تحقيق مراد كامل , القاهرة , ط١ , ١٩٦١م , ص٨٥ .

(١٧) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص١١٥ ؛ المقريزي , السلوك , ج١, ص١٩٢ .

(١٨) بيبرس الدويدار , زبدة الفكرة , ج٩ , ص١٨٥ .

(١٩) أبن فضل الله , شهاب الدين أحمد بن يحيى , (ت٧٤٩ هـ) , مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, المركز الإسلامي للبحوث , بيروت , ١٩٨٦م , ص٢٠٩ , بيبرس الدويدار , زبدة الفكرة , ج٩ , ص١٨٥ .

(٢٠) أبن حبيب , الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب , (ت ٧٧٩ هـ) , تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه , تحقيق محمد محمد أمين , الهيئة العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٧٦م , ص١٩٠ .

(٢١) للمزيد عن هذه الأوضاع المضطربة وفتنة الأمراء المماليك ومؤامرات سنجر الشجاعي ضدكتبغا وأعوانه , ينظر : أبو الفداء , عماد الدين إسماعيل , (ت ٧٣٢ هـ) ؛ المختصر في أخبار البشر, دار المعرفة , بيروت , ب ت , ج٣ , ص٧٢ ؛ الشجاعي , شمس الدين , (ت ٧٥٦ هـ) , تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده , تحقيق بربارة شيفر , قسم الدراسات الإسلامية , القاهرة , ١٩٧٧م , ص١٨٥ .

(٢٢) أبن فضل الله , مسالك الأبصار , ص٢٠١ ؛ أبو الفداء , المختصر , ج٣ , ص٩٥ .

(٢٣) السلوك , ج١, ص٨٠٦ .

(٢٤) أبن أيبك الدويداري , أبو بكر عبد الله بن أيبك , (ت ٧٣٦ هـ) , كنز الدرر وجامع الغرر المعروف باسم الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية , تحقيق , أولرخ مان , القاهرة , ١٩٧١م , ج٣ , ص٣٤٨ .

(٢٥) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٥٠ ؛ المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٢١٠ .

(٢٦) الأويراتيه ويعرفون كذلك بالعويراتيه نسبة الى أويرات أو عويرات وهو أسم لبعض قبائل المغول التي تسكن في أواسط آسيا وبعد خضوعها لجنكيزخان ساعدته في حروبه , فتزوج جنكيز خان وأحفاده منهم , ثم تفرعوا الى عدة شعوب وكان لكل شعب أسم ولقب معين خاص به , للمزيد ينظر : الهمداني , رشيد الدين , (ت ٧١٨ هـ) , جامع التواريخ , نقله من الفارسية الى العربية فؤاد الصياد , دار احياء الكتب العربية , القاهرة , ١٩٦٠م , ص١٩٢ – ١٩٦ ؛ أبن خلدون , العبر , ج٨ , ص١٨٠

(٢٧) للمزيد عن هذه الاضطرابات وأسباب وفود الأويراتيه الى دولة المماليك . ينظر : النويري , نهاية الأرب في فنون الأدب , ج٢٧, ص٩ ؛ الهمذاني , جامع التواريخ , ص٢٠٠ .

(٢٨) الرخت : هي كلمة فارسية تعني البضائع والماشية والخيل والعدة وكل ماله علاقة بالدواب والماشية , ينظر : أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٦٠ .

(٢٩) من الجدير بالذكر أن هذه الأعداد الكبيرة من الأويراتيه قد سبقتها هجرات فردية قبل عهد العادل كتبغا ولاسيما في عهد المنصور قلاوون سنة (٦٨١ هـ / ٢٨٢ م) , حيث وفد الى مصر الشيخ علي الأويراتي وكان قد أسلم بعد دخوله مصر وتبعه جماعة من المغول تم توجه الى بلاد الشام , ينظر : أبن الفرات , ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم , (ت٨٠٧هـ), تاريخ الدول والملوك والمعروف بتاريخ أبن الفرات , تحقيق قسطنطين زريق وآخرون , بيروت , ١٩٤٢م, ج٢ , ص٢٠٠ .

(٣٠) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٥٠ .

(٣١) المختصر في أخبار البشر , ج٣ , ص٣٣ .

(٣٢) الطبلخانه , هي رتبة عسكرية , وأمير الطبلخانه هو الأمير الذي يرقى الى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى والطبول على بابه , وهو مسؤول عن أمرة أربعين مملوكاً , ينظر : دهمان , محمد أحمد , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , ص١٥٠ .

(٣٣) التقادم , مصطلح أطلق في عصر المماليك على الهدايا والأموال التي يقدمها الأمراء والقادة العسكريين وغيرهم للسلاطين , ينظر : دهمان , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , ص١٨٠ .

(٣٤) الخطط , ج٢ , ص٢٢ .

(٣٥) أبن الفرات ، تاريخ أبن الفرات , ج٨ , ص٢٠٥ ؛ المقريزي , الخطط , ج٢ , ص٤٣ .

(٣٦) ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٨٩ .

(٣٧) بيبرس الدويدار , زبدة الفكر , ج٩ , ص١٩٠ ؛ المقريزي , السلوك و ج٣ , ص١٨٠ .

(٣٨) المقريزي , الخطط , ج٢, ص٣٥ .

(٣٩) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٦٩ ؛ المقريزي , السلوك , ج٢ , ص٢١١ .

(٤٠) النجوم الزاهرة , ج٨ , ص١٠٠ .

(٤١) بيبرس الدويدار , زبدة الفكر , ج٩ , ص٢٠١ .

(٤٢) السلوك , ج٢ , ص٢١٣ .

(٤٣) الخشداش أو الخجداش , هو لفظ معرب للفظ الفارسي (خواجاتاش) وتعني الزميل في الخدمة أو الرق أو العتق , وكانت تعد من أقوى الروابط بين المماليك وتنشأ داخل ثكنات سيدهم (الطباق) , وكلما زادت خشداشية أحد السلاطين زادت قوته , والعكس هو الصحيح , ينظر : العريني , السيد الباز , المماليك , ص٢٥ ؛ عبد الرزاق , أحمد , العلاقات الأسرية في المصطلح المملوكي , الجمعية المصرية للدراسات التاريخية , كلية الآداب , مج ٢٣ , ص٨٠٧ .

(٤٤) بيبرس الدويدار , زبدة الفكرة , ج٩ , ص٢٩٣ ؛ أبن الفرات , تاريخ الدول والملوك , ج٨ , ص٨٥ .

(٤٥) أبن أيبك , الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر , تحقيق هانس روبرت , القاهرة , ١٩٦٠م , ص١٥ .

(٤٦) نوار , صلاح الدين محمد , الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨ – ٧٨٣ هـ) , منشأة المعارف , الإسكندرية , ب ت , ص١١٥ .

(٤٧) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٥٩ ؛ المقريزي , السلوك , ج١ , ص٢٠١ .

(٤٨) المقريزي , السلوك , ج١ , ص١١٥ ؛

David Ayalan ,The Wafidya in the Mamluk Kingdom Islamic Culture

(٤٩)المقريزي ،الخطط،ج٢،ص١٣؛نوار ، صلاح الدين ، الطوائف المغولية ، ص ١١٣ .

(٥٠) المقريزي , الخطط , ج٢ , ص٢٢ ؛ نوار , صلاح الدين , الطوائف المغولية في مصر , ص١١٢ .

(٥١) الخطط , ج٢ , ص٥٨ .

(٥٢) تاريخ أبن الفرات , ج٨ , ص٢٠٨ .

(٥٣) الخطط , ج٢ , ص٦٥ .

(٥٤) بيبرس الدويدار , زبدة الفكرة , ج٩ , ص١٨٦ ؛ أبو الفداء , المختصر في أخبار البشر , ج٣ , ص٥٣ .

(٥٥) الغامدي , سعد , جوانب من حياة المغول المعيشية , مجلة آداب الإسكندرية , مج٣٧ , ١٩٨٩م , ص١٣٥ – ١٣٨.

(٥٦) أبن بطوطة , محمد بن عبد الله اللواتي , (ت٧٧٩ هـ) , رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , شرح هوامشه طلال حرب , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٨٧م , ج٢ , ص١٨٠ .

(٥٧) أبن الفرات , تاريخ أبن الفرات , ج٨ , ص٢٠٤ ؛ الصياد , المغول , ص٢٢٩ ؛ الغامدي , جوانب من حياة المغول المعيشية , ص٣٧ .

(٥٨) الغامدي , جوانب من حياة المغول المعيشية , ص٧٨ .

(٥٩) أبو الفداء , المختصر , ج٣ , ص٩٨ ؛ أبن بطوطة , رحلة أبن بطوطة , ج٢ و ص١٨٠ ؛ أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٧٨ ؛ المقريزي , الخطط ,ج٢, ص١٧٠ .

(٦٠) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٧٨ .
(٦١) أبن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج٨ , ص٩٠ ز
(٦٢) المقريزي , الخطط , ج٢ , ص٢٣ .
(٦٣) أبن الفرات , تاريخ أبن الفرات , ج٨ , ص٢٠٥ ؛ الغامدي , جوانب من حياة المغول , ص٥٠.
(٦٤) نوار , صلاح الدين , الطوائف المغولية في مصر , ص١٣٨ .
(٦٥) نوار , صلاح الدين , الطوائف المغولية في مصر , ص١٣٨ .
(٦٦) المقريزي , الخطط , ج٢ , ص٤٠ .
(٦٧) دهمان , محمد أحمد , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , ص٢١ .
(٦٨) العريني , المماليك , ص٢٩٠ .
(٦٩) سامح , كمال الدين , العمارة الإسلامية في مصر , سلسلة كتابك , دار المعارف بمصر , ١٩٧١م , ص٤٥ .
(٧٠) المقريزي , الخطط , ج٢ , ص٧٦ ؛ نوار , صلاح الدين , الطوائف المغولية , ص١٤٣ .
(٧١) المقريزي , الخطط , ج٢ , ص٧٧ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأولية

– ابن أيبك الداوداري , أبو بكر عبد الله بن أيبك , (ت ٧٣٦ هـ)
١ – كنز الدرر وجامع الغرر المعروف باسم الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية , تحقيق أولرخ مان , القاهرة , ١٩٧١م .
٢ – الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر , تحقيق هانس رويمر , القاهرة , ١٩٦٠م .
– أبن بطوطة , محمد بن عبد الله اللواتي , (ت ٧٧٩ هـ) .
٣ – رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , كتب هوامشه طلال حرب , دار الكتب العلمية , بيروت , ١٩٧٨م .
– بيبرس الدويدار , ركن الدين بيبرس المنصوري , (ت ٧٢٥ هـ) .
٤ – زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة , تحقيق د. زبيدة عطا , ب ت .
–أبن تغري بردي , أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي , (ت ٨٧٤ هـ)
٥ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تحقيق جمال الدين الشيال , دار الكتب المصرية , القاهرة , ١٩٧٢ م .

-أبن حبيب , الحسن بن عمر بن الحسن , (ت ٧٧٩ هـ)
٦ – تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه , تحقيق محمد محمد أمين , الهيئة العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٧٦م .
-أبن خلدون و عبد الرحمن بن ينبع , (ت ٨٠٨ هـ)
٧ – العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبرر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر , تحقيق خليل شحاذه , دار الفكر , بيروت , ١٩٨٨م .
-الشجاعي , شمس الدين , (ت ٧٥٦ هـ)
٨ – تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده , تحقيق برباره شيفر , قسم الدراسات الإسلامية , القاهرة , ١٩٧٧م .
-أبن عبد الظاهر , محي الدين أبو الفضل عبد الله , (ت ٦٩٤ هـ)
٩ – الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر , تحقيق عبد العزيز الخويطر , الرياض , ١٩٧٦م .
١٠ – تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور , تحقيق مراد كامل , القاهرة , ط١ , ١٩٦١م .
-أبو الفداء , عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل , (ت ٧٣٢ هـ)
١١ – المختصر في أخبار البشر , دار المعرفة , بيروت , ب ت .
-أبن الفرات , ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم , (ت ٨٠٧ هـ)
١٢ – تاريخ الدول والملوك والمعروف بتاريخ أبن الفرات , تحقيق قسطنطين زريق وآخرون , وآخرون , بيروت , ١٩٤٢ م .
-أبن فضل الله ، شهاب الدين أحمد بن يحيى , (ت ٧٤٩ هـ)
١٣ – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار , المركز الإسلامي للموت , بيروت , ١٩٨٦م .
-أبن كثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر , (ت ٧٧٤ هـ)
١٤ – البداية والنهاية , بيروت , ط٦ , ١٩٨٥م .
-المقريزي , تقي الدين أبو العباس أحمد , (ت ٨٤٥ هـ)
١٥ – السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور , مطبعة دار الكتب بالقاهرة , ١٩٧١م .
١٦ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية , مطبعة بولاق , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , ب ت .
-النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب , (ت ٧٣٢ هـ)

١٧ – نهاية الأرب في فنون الأدب , تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور , مراجعة محمد مصطفى زيادة وفؤاد الصياد , الهيئة المصرية للكتاب , ١٩٨٥م .

–الهمداني , رشيد الدين فضل الله , (ت٧١٨ هـ)

١٨ – جامع التواريخ , نقله الى العربية د. فؤاد الصياد وتقديم يحيى الخشاب , بيروت , دار إحياء الكتب العربية , ١٩٦٠م .

ثانياً : المراجع الثانوية

١ – البيومي , إسماعيل الشربيني , الوفود السياسي لمصر والشام أبان حكم سلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) , مجلة كلية الآداب , جامعة المنصور , ٢٠٠٢م .

٢– دهمان , محمد أحمد , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , دار الفكر , دمشق , ط١, ١٩٩٠م .

٣– طقوش , محمد سهيل , تاريخ المغول العظام والايلخانيين , مطبعة دار النفائس , بيروت , ط١ , ٢٠١٩م .

٤ – سامح , كمال الدين , العمارة الإسلامية في مصر , دار المعارف , مصر , ١٩٧٧م .

٥ –عورات ، أحمد وآخرون , تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري , دار الكندي , أربد , ١٩٩٠م .

٦ – عبد الرزاق , أحمد , العلاقات الأسرية في المصطلح المملوكي , الجمعية المصرية للدراسات التاريخية , كلية الآداب , ب ت .

٧ – العريني , السيد الباز , المماليك , بيروت , ١٩٧٦م .

٨ – الغامدي , سعد , جوانب من حياة المغول المعيشية , مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية , مج ٣٧ , ١٩٨٩م .

٩ – نوار , صلاح الدين , الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨ – ٧٨٣ هـ / ١٢٦٠ – ١٣٨١م) , منشأة المعارف , الإسكندرية , ب ت .

10.David Agalon , The Wafidya in the Mamluk Kingdom Islamac , Culture , 1957 .

اثر حركة التجارة العربية الإسلامية ودورها في نشر الإسلام ومظاهر حضارته في جنوب شرق أسيا

أ.م.د.ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي

وزارة التربية

اثر حركة التجارة العربية الإسلامية ودورها في نشر الإسلام ومظاهر حضارته في جنوب شرق أسيا

أ.م.د.ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي

The impact of the Arab Islamic trade movement And its role in spreading Islam manifestations of its civilization in Southeast Asia

Assist. Prof. Dr. Nada Abd alrazak M. Aljilawi
Ministry of Education

Abstract:

The trade has played an important role in the region , which included (Thailand , Malaysia , Singapore , Indonesia , India and Sindh) . The impact of trade has been evident in this region . Trade has been one of the most prominent aspects of economic activity in the Indian ocean . Religious , cultural and civilization .

Interest in trade with Southeast Asia since before and after Islam and the commercial relations that linked the Arab countries with the peoples of the region , which grew and developed , especially after the emergence of Islam and Arab domination of the ways of trade made the Muslim world a transit and a basic link between East and West , which the Arabs and Muslims have excelled in a great course of the spread of Islam to the coasts of India and southeast Asia .

المقدمة

تم اختيار موضوع بحثنا الموسوم بـ " اثر حركة التجارة العربية الإسلامية ودورها في نشر الإسلام ومظاهر حضارته في جنوب شرق أسيا " . فقد كانت للتجارة دور مهم ومظهر حضاري في هذه المنطقة التي شملت (تايلاند وماليزيا وسنغافوره واندونيسيا والهند والسند) ، وقد برز اثر وتأثير التجارة بشكل واضح في هذه المنطقة ، وكانت التجارة من ابرز مظاهر النشاط الاقتصادي في المحيط الهندي ، بل هو المظهر الوحيد الذي حمل في أعطافه جميع المظاهر الدينية والثقافية والحضارية .

وتأتي أهمية هذا الموضوع لما له ارتباط مباشر وغير مباشر في نشر الإسلام في شبه جزيرة الملايو وجزر اندونيسيا بطريقة سلمية وطوعية عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة أي بأسلوب الإقناع والحوار ، فكانت التجارة من أهم المسالك في انتشار الإسلام إضافة إلى أهميتها الاقتصادية والتي حملت التجارة في يد وحملت في اليد الأخرى نشر الإسلام ، فالتجارة هي أول وسائل الاتصال بين البشر ، منذ ان بدأ الإنسان يشعر بالحاجة إلى مواد إنتاجية أخرى لم تكن متوفرة لديه ، فكان التنوع الإنتاجي من منطقة إلى أخرى ، ومن مجتمع إلى أخر ، ومن دولة إلى أخرى ، وإضافة إلى رغبة الإنسان بالتغيير والتنويع سبباً في قيام حركة التبادل والعلاقات التجارية بين الأمم والشعوب ، فأذن الحاجة وما موجود في منطقة غير موجود في منطقة أخرى دفع الإنسان للتجارة .

وتعد التجارة من أقدم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها الإنسان منذ وقت مبكر قيل الإسلام وبعد قيام الدولة العربية الإسلامية حيث ارتبطت بلاد العرب بالشرق بعلاقات تجارية متينة ، وكانت سفنهم تجوب البحار الشرقية وكانت لهم في سواحل جنوب شرق أسيا جاليات سماها الهنود بـ (عربتو) ، ويدل على ذلك الأحجار التي عثر عليها في تلك البلاد النائية وهي منقوشة بالخط المسند الحميري ، وتتابعت هجرات العرب وتجاراتهم حتى وصلوا إلى جزائر الهند الشرقية والصين .

وكان لاهتمام الخلافة العربية الإسلامية بالتجارة وبطرقها البحرية والبرية له أثره الواضح في تمهيد الطريق أمام البلدانيين والجغرافيين العرب والمسلمين في الرحلة والتنقل وكشف الأقاليم والمدن وما تتمتع به كل منطقة أو إقليم من التوابل والاطياب والمنسوجات والأحجار الكريمة والمعادن (الذهب والفضة) واليواقيت النادرة والعطور وغير ذلك من المواد والبضائع المتوفرة في منطقة دون الأخرى . وأيضا قدموا لنا وصفا رائعاً ودقيقاً لكل ارض ومنطقة زاروها وحلوا بها ضيوفاً مبنية على المشاهدة والتحري .

وتعتبر رحلة سليمان التاجر السيرافي من بواكير السياحات العربية إلى الصين والتي يرجع زمنها إلى سنة (٢٣٧هـ/٨٥١م) ، وتعد من أقدم الكتب العربية في وصف البلدان وأخبار التجارة البحرية ، فالتاجر العربي المسلم يسعى إلى تحقيق الربح في البيع والشراء فهدفه الأول هو النشاط التجاري الاقتصادي ، اما هدفه الثاني ذات علاقة مباشرة بحمية

المسلمين في نشر دينهم في كل بقعة يستطيع الوصول إليها . والتاريخ العربي الإسلامي يحفل بالعديد من الرحالة والبلدانيون والجغرافيون .

وتمتاز منطقة جنوب شرق أسيا بالموقع الجغرافي المتميز وما تمتعت به من موارد طبيعية متنوعة غاية في النفاسة والندرة ، فكانت محط أنظار ومطلب التجار والرحالة منذ أقدم الأزمنة ، ولهذا أصبحت مرفأ تفيء إليه القوافل التجارية التي تمخر عباب المحيطات ، لكونها تشكل مفترقا للطرق التجارية وملتقى خطوط سير القوافل المختلفة . فكان لها دوراً مهم في الازدهار الحضاري والنشاط التجاري وملاذا للهجرات العربية وغير العربية ، حيث شكلت بفعل موقعها الجغرافي معبراً بين قارتي أسيا واستراليا أي بين محيطين هامين ، المحيط الهادي من ناحية والمحيط الهندي من ناحية أخرى .

ولا يخلو البحث من مصاعب أثناء كتابة البحث ، وكذلك مرحلة الجمع والبحث عن المصادر والمراجع التي تتناول مفردات بحثنا ، ومن هذه الصعوبات هي كثرة المناطق والأقاليم وخاصة في فقرة الطرق التجارية البحرية والبرية وعدم العثور على معلومات لبعض المناطق التي كانت لها تسميات قديمة وحديثة بالرغم من محاولاتي المتكررة للعثور عليها والتعرف عليها ، على الرغم أنني وجدت البعض منها وتم تعريفها في الهوامش وأيضا التعرف على أسماءها الحديثة والموجودة حاليا في منطقة جنوب شرق أسيا .

أولا : جذور العلاقات التجارية مع جنوب شرق أسيا .

تمتعت منطقة جنوب شرق أسيا بموقع جغرافي متميز كان له أثره الفاعل في علاقتها مع المنطقة العربية ، حيث ارتبطت بصلات قديمة وقوية جداً تظهر هذه العلاقة بصورة واضحة من خلال ما قمنا به من تصفح في كتب التاريخ القديمة وخاصة كتب الرحلات والجغرافيين وكلها تشير إلى وصول سفن عربية من بلاد الشام ما يقارب ألف عام قبل الميلاد إلى هذه المنطقة لتحمل الذهب الذي لعب دوراً هاماً في الهجرة ثم الاستيطان في تلك الجزر (جزر الهند الشرقية) ولم يكن الذهب وحده هو الذي جذب الأجناس البشرية إلى تلك المنطقة بل الأرباح الطائلة التي كانت تعود على التجار بل وعلى إدارة الدولة في احتكار تجارة التوابل والافاويه وتصديرها إلى الغرب ولضخامة هذه الأرباح كان السبب وراء انتظام سير طرق الملاحة التجارية بين الشرق والغرب ، وبذلك أنخلق جيل من التجار

المهرة الذين كانت لهم معرفة وعلم في عبور المحيطات وفي تامين وصول الأساطيل التجارية المحملة بالبضائع في سلام إلى مرافئها[١] .

وقد ظهرت العديد من الأدلة الحية التي تشير إلى قيام علاقات موغلة في القدم بين بلاد العرب ومنطقة جنوب شرق أسيا بما فيها جزر الهند الشرقية والفلبين التي اسماها العرب (واق واق)[٢] ، ويبدو ان أهل بلاد العرب الجنوبية القديمة ألفوا التجارة مع تلك المناطق النائية ، والدليل بما عثر عليه الاثاريون من أحجار وجدت عليها نقش بالخط المسند الحميري ، لعلها من بقايا بناء قديم انشيء بمثابة مركز تجاري ، وركبوا أهل حضرموت وعمان وسواحل الخليج العربي ظهر البحر وأوغلوا به إلى ماوراء الهند ، وقد ذكر ان ميناء اكيلا الواقع على مقربة من رأس الخيمة كان مرفأ للسفن العربية ومنه تنطلق إلى الهند . وبهذا فقد أصبحوا الحضارمة القدامى الوكلاء الرئيسيين للتجارة بين مصر والهند وهم أنفسهم الذين جهزوا معابد مصر وقصورها بالأحجار الكريمة والتوابل والبخور الذي يحرق على مذابح الآلهة المصريين القدامى[٣] .

وعلى اثر هذا النشاط الملاحي العربي قامت هجرات عربية استقرت في سواحل سومطرة[٤] الشمالية الغربية ومن ثم تقدموا إلى ثغور جاوه[٥] الشمالية والى بقية الجزر الأخرى وسرعان ما كونوا لهم مركز أو مراكز اقتصادية مرموقة وملكوا زمام التجارة البحرية، وبهذا فقد كانت في حوزتهم أربعين سفينة تجارية تجوب بحار جاوه ومكاسر الصين[٦] . وتعد هجرة الحضارمة في الألف الرابع الميلادي أعظم الهجرات العربية إلى تلك المناطق ، فقد كون العرب المهاجرون في كوجرات والتي يسميها العرب قزرات جالية كبيرة أطلق عليها الهنود اسم عربتو (Arabita) واستمر العرب مواصلتهم في هذه الهجرات حتى وصلوا بها إلى جزائر الهند الشرقية والصين[٧] .

إذن بواسطة التجارة ومنذ زمن بعيد ربطت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربي والبحر المتوسط بمنطقة جنوب شرق أسيا ، وذلك لوفرة المواد الأولية الثمينة والمرغوبة والمطلوبة في نفس الوقت والتي كان ينقلها التجار من أهل جاوه وسرنديب[٨] إلى شبه جزيرة الملايو[٩] عندما كان مضيق ملقا[١٠] محور للتبادل التجاري في المنطقة ثم إلى المنطقة العربية ومن ناحية أخرى فقد وصل تجار هذه المنطقة (جنوب شرق أسيا) وخاصة

الاندونيسيين منذ تلك الفترة السحيقة إلى سواحل حضرموت حتى مآرب ، يلتقون في أسواقها بالمعينيين فيشترون منهم ويغادرون بعدها لبلادهم ، اما التجار المعينيون فوصلت قوافلهم البرية إلى فينيقيا ومنها إلى مصر وبلدان البحر المتوسط وأوربا ناقلة لهم بضائع تلك المنطقة[١١] .

ومنذ نهاية القرن السادس الميلادي احتكرت قريش تجارة الهند والصين وذلك بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف والذي يعتبر انه أول من سنّ رحلتي قريش (رحلة الشتاء والصيف) فرحلة الشتاء وهي الرحلة التي تذهب إلى اليمن والحبشة والعراق ، ورحلة الصيف إلى الشام[١٢] ، وبعد ذلك اخذ الزعيم هاشم وأخوته عبد شمس ، والمطلب ، ونوفل ، الإيلاف (أي العهد) من ملوك الشام والحبشة واليمن والعراق فألفوا التجارة والرحلتين معاً والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى :﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾[١٣] .

وتأتي أهمية مكة ومكانتها في التاريخ العربي والإسلامي حيث ولد فيها الرسول الكريم (ﷺ) وبّلغ رسالته لمدة عشر سنوات ، إضافة إلى إنها كانت من اكبر المراكز الدينية في الجزيرة العربية ، بل من أهم المراكز التجارية النشيطة التي أخذت بالاطلاع والاتصال مع البلدان المجاورة ، والتعرف على أحوالها قادت ودربت الكثير من التجار الذين استطاعوا بعد حركة الفتح الإسلامي ان يديروا الدولة العربية الإسلامية بكل نشاط وحكمة وقد نجحوا بذلك[١٤] .

ولقد كانت جذور العلاقات التجارية من العوامل المهمة في نشر الإسلام والثقافة العربية في جنوب شرق أسيا وذلك لان العرب حلوا محل الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية سياسيا وعسكريا ومن ثم سيطرتهم على مجالات التجارة العالمية في العصور الوسطى ، وقد عاشت التجارة تحت ظل العرب المسلمين متمتعة بالحماية والرعاية والنشاط بحيث أتيح لجميع الأقوام سواء العربية أو غير العربية ان ينعموا بثمراتها ويستفادوا من أرباحها مثل الفرس واليونان والنساطرة واليهود والهنود وغيرهم ، ومما ساعد على رواج التجارة ونجاحها وفي تطور نظام الائتمان والمعاملات التجارية كالصيرفة والحولات (السفاتج) في ظل النظام الاقتصادي للدولة العربية[١٥] .

وليس بالإمكان تحديد تاريخ دقيق لوصول الإسلام إلى منطقة جنوب شرق أسيا ، إلا ان هذا قد حصل على الأرجح منذ وقت مبكر من ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ، وهذا ما تشير إليه مصادرنا العربية الإسلامية ، ولما له من موقف إنساني غاية في الأهمية ، فقد كانت لمبادئ الإسلام القائمة على العدالة والمساواة وتطبيقاته الدينية والسياسية والاجتماعية الأثر الفعال في انتشاره خلال مدة قياسية بين الشعوب والأمم التي وصل إليها ومن وسائل انتشار الإسلام كان عن طريق التجارة أو عن طريق الهجرة العربية الإسلامية إلى مناطق مختلفة ومنها منطقة جنوب شرق أسيا ، إذ تذكر بعض المصادر ان أهل سرنديب عندما بلغهم ظهور النبي الكريم (ﷺ) بعثوا رجلا منهم ليعرف أمر هذا النبي ودينه وما يدعو إليه ، إلا انه توفي وهو في طريق عودته إلى موطنه ، وكان معه غلام هندي هو الذي وصل إلى سرنديب وشرح لهم ما عرفه وشهده عن الرسول الكريم (ﷺ) ومبادئ الإسلام وطبيعته ، لكن هذه الرواية لم تحدد لنا الوقت الذي تم به وصول الإسلام إلى سرنديب[١٦] . وعلى الرغم من ان هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها وذلك لطول المدة الزمنية للرحلة من سرنديب إلى المدينة والتي تجاوزت السنتين والتي ذكرت بعد وفاة الرسول (ﷺ) وخلافة أبي بكر (رض) ، لكن في نفس الوقت فان هذه الرواية تشير إلى انتشار الإسلام أو وصوله إلى منطقة من مناطق جنوب شرق أسيا منذ وقت مبكر والوسيلة كانت عن طريق التجارة والتجار العرب المسلمين[١٧] .

ويذكر المستشرق غوستاف لوبون عن صلات العرب بالهند والصين بان صلات العرب الأولى ببلاد الهند تعود إلى أقدم عصور التاريخ ، وان الهنود لا العرب قد كانوا يأتون بمنتوجاتهم إلى السواحل العربية قبل ظهور الدين الإسلامي ، وكذلك يذكر ان السفن العربية لم تذهب من مرافئ اليمن إلى بلاد الهند إلا قبل ظهور الدين الإسلامي ويستطرد في ذلك إلى ان أفق صلات العرب التجارية اتسع بعد ان ثبت سلطانهم وبعدها وصلوا العرب إلى شواطئ كورموندل[١٨] وملبار وسومطرة وجزائر الأرخبيل الكبرى وقطعوا خليج سيام حتى بلغوا جنوب بلاد الصين . ونحن لا نتفق مع رأي غوستاف لوبون وذلك لما ذكرناه سابقا عن جذور العلاقات التجارية للعرب في منطقة جنوب شرق أسيا ولان ما يقوله غوستاف يتناقض مع ما يذكره مرة أخرى عن علاقة العرب بالصين كانت تتم بواسطة الهنود وأنها

أقدم من بعثة الرسول الكريم (ﷺ) بزمن طويل ، على اعتبار ان هذه الصلات غير مباشرة ولكن صلاتهم المباشرة لم تحدث إلا بعد ان أقاموا دولتهم العربية الإسلامية[١٩] .

أذن ما يذكره غوستاف متأرجح فمرة يقول ان الصلات ترجع إلى عصور قديمة أي من جهة الهنود وليس العرب وان صلات العرب لم تتسع إلا بعد ثبت سلطانهم ورسخت أركان دولتهم العربية الإسلامية . إلا ان العرب كانوا يتصلون بالصين كاتصالهم ببلاد الهند بالطرق البرية والبحرية ، وان العرب كانوا يقومون برحلات متواصلة إلى بلاد الصين ومن أقدم الرحلات هي رحلة التاجر العربي سليمان سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م ، والذي سافر مراراً لغرض المتاجرة إلى الهند والصين[٢٠] ، وبالنسبة لصلات العرب بأهل هذه المناطق كان أمر ثابت ، وبدليل تبادل الوفود بين الخلفاء العرب وملوك الصين مثلا وكما هو مسجل من خلال الوثائق وسجلات السلع والأموال[٢١]

وقد استمرت هذه العلاقات التجارية حيث تشير بعض المصادر العربية إلى ان سفن الهند والصين كانت تأتي إلى العراق منذ وقت مبكر حيث يذكر المسعودي[٢٢] في ان هذه السفن كانت ترد إلى ملوك الحيرة وهي محملة بأصناف البضائع وان خالد بن الوليد حين دخل الحيرة صلحا زمن الخليفة أبي بكر (رض) حيث خاطب عبد المسيح بن عمرو الغساني وقال له : ما تذكر ؟ قال :" اذكر الصين وراء هذه الحصون" وهذا يعني ان بضائع هذه السفن كانت تصل إلى الحيرة أي ان هذه السفن كانت تصل إلى بحر النجف بموضع النجف حالياً .

وفي أيام الخليفة أبي بكر (رض) أيضا حيث كتب إلى خالد بن الوليد بعد ان انتهى من حرب اليمامة سنة ١٢هـ/٦٢٣م :" ان سر إلى العراق حتى تدخلها وابدأ بفوج الهند وهي الابلة "[٢٣] حيث كانت الابلة الميناء الرئيسي في الخليج العربي ونقطة البداية لكل الرحلات البحرية المتجة إلى الشرق ولذلك فقد سميت " بفرج الهند والسند والصين "[٢٤] .

وعندما دخل المسلمون العراق عن طريق البحر وجدوا في سيراف الواقعة على خليج البصرة نقودا صينية وهندية معمولة من النحاس يتداولها التجار في معاملاتهم وان العرب قد عرفوا الهند والصين وذكروها في إسفارهم وفي التسميات الشخصية ، وأيضا في أدبهم ، كما

ان أهل الشرق الأقصى قد عرفوا وخبروا العرب وأطلقوا عليهم اسم تاشي Tazi [٢٥] المحرفة من تاجك البهلوية[٢٦] .

وكثر الوجود العربي في منطقة جنوب شرق أسيا ودليلا على قوة الوجود العربي الإسلامي وانتشار الإسلام في جزيرة جاوه وبورما منذ أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض)[٢٧] .

اما في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) فقد ازدهرت العلاقات التجارية حيث هاجر بعض المسلمين إلى جزائر السيلى[٢٨] ، واستقروا فيها وقد ساعد في نشر مبادئ الإسلام وتشريعاته العادلة من المصدر الأول أي من الغرب أنفسهم وبشكل تدريجي لسكان هذه المنطقة ، وما يؤكد وصول العرب المسلمين إلى جنوب شرق أسيا منذ وقت مبكر ، في ان ملك سرنديب في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي الأموي على العراق (٧٢-٩٢هـ/٦٩٤-٧١٤م) قد أرسل له ملك سرنديب عدد من النساء المسلمات اللواتي ولدن في بلاده ومات أبائهن الذين كانوا تجار مستقرين في تلك المنطقة[٢٩] .

وكذلك وجدناه قوة الإسلام وانتشاره شمل حتى ملوك تلك المنطقة ومنهم سري مهراجا ملك مملكة سري ويجايا في سنة ٩٩هـ/٧١٨م ، وكذلك إسلام الملك جايا سينا ملك مملكة كلانجا – جبارا[٣٠] في سنة ١٠٧هـ/٧٢٦م ، ويعتبر إسلام هذين الملكين نتيجة لمبادئ الإسلام العظيمة وتطبيقاته الحية في حياة أي مجتمع غير مجتمع الإسلام وما بلغه الإسلام في صورة الرائعة والجيدة في نفوس المهاجرين ومنهم التجار العرب والمسلمون أيضا وفي نفوس منطقة جنوب شرق أسيا ، ومن هذا الانتشار الواسع للإسلام تبين في العلاقات والاتصالات الرسمية بين الخلفاء الأمويين وبين ملوك تلك المنطقة ومنها ملوك سومطرة منذ النصف الأول في القرن الأول الهجري[٣١] . ونجاح الإسلام قد برز في شكل مباشر ومؤثر من تكوين وظهور أول مملكة إسلامية في جنوب شرق أسيا إلا وهي مملكة بيرلاك[٣٢] ، وأول من حكمها هو السلطان علاء الدين سيد مولانا عبد العزيز شاه[٣٣] .

وقد بلغ تأثير الإسلام بتجارة ودعاته العرب والمسلمين في الهيكلية الإدارية لمؤسسات هذه الممالك في جنوب شرق أسيا والتشابه فيما بينها وبين المؤسسات العربية ، ومن منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، تأسست مملكة أخرى إسلامية قامت في

شمال سومطره ، ومما يؤكد وجود هذه المملكات من خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في هذه المنطقة والعثور على بعض القبور والشواهد والتي كتب عليها باللغة العربية ومؤرخة بالتاريخ الهجري مثلا في منطقة جاوه الشرقية وغيرها من مناطق في جنوب شرق أسيا[٣٤] .

ومن العوامل المهمة التي مكنت العرب والمسلمين من فرض هيمنتهم على المحيط الهندي وخاصة التجارة ، معرفتهم بأوقات هبوب الرياح الموسمية التي جعلتهم سادة التجارة دون منازع ، وأيضا السيادة الإسلامية على تجارة المحيط الهندي فقد رافق ازدياد حركة النشاط التجاري ظهور الإسلام وانتشاره ، فأصبحت التجارة من ابرز مظاهر النشاط في المحيط الهندي وفي تغلغل نفوذ العرب التجاري وانتشار الإسلام[٣٥] فضلا عن دور التجار الفاعل في مجال الوساطة التجارية لتوزيع البضائع مع البلدان المجاورة لهم ، أو البلاد الواقعة عبر البحار ، كالهند وجزر منطقة جنوب شرق أسيا والصين ، ساعدهم على ذلك قدم علاقاتهم واتصالاتهم الوثيقة مع هذه المنطقة وأهلها ، وأيضا ازدياد حجم التبادل التجاري المتمثل بمركز التجارة المتمثل بالأسواق والمراكز التجارية مثل عدن وسيراف وعمان اكبر مرافئ المملكة الإسلامية ، ويلي ذلك في الأهمية البصرة وديبل على مصب السند وكله[٣٦] وملقا من المراكز التجارية الرئيسية في المحيط الهندي ، حيث تلتقي فيها السفن العربية والهندية والصينية لتبادل البضائع[٣٧] .

وبقيام الخلافة العباسية (١٣٢هـ/٧٥٠م) ، شهدت حركة التجارة العربية الإسلامية نشاطا وازدهارا حقيقيا ، ويأتي بناء بغداد وتحول الخلافة إلى العراق في مقدمة الجهود التي بذلها العباسيون لإنعاش التجارة مع بلاد الشرق ، إضافة إلى اختيار موقعها بين دجلة والفرات تأتيها القوافل التجارية من جميع البلدان ، وكان العامل التجاري من العوامل الأخرى المستهدفة في اختيار وبناء بغداد[٣٨] ، فهي كما يصفها اليعقوبي[٣٩] بأنها " مشرعة للدنيا" ، فجاء تخطيط بغداد ليؤكد هذه الحقيقة فكان نصيب الأسواق وتنظيمها مناسب لها من خلال النشاط والتبادل التجاري الخارجي يشجعهم في ذلك صلاح دجلة والفرات للملاحة ووجود البصرة باب بغداد الكبير إلى العالم ومحطة العراق إلى الشرق الأقصى وهذا ما ركز عليه العباسيون في اهتمامهم للطريق البحري والذي تطلعوا إليه منذ قيام دولتهم .

ثانيا : الطرق التجارية مع جنوب شرق أسيا .

أ – الطريق البحري :

اهتم البلدانييون والجغرافيون العرب اهتماما كبيرا بذكر الطريق البحري وقد قدموا وصفا كاملا لهذا الطريق يفوق وصفهم للطريق البري ، وذلك لأهميته التجارية ولإتصاله بمدن وموانئ الخليج العربي وجنوب شرق أسيا ، وفي مقدمة الجغرافيون هو التاجر سليمان التاجر، والذي وضع أول خريطة ملاحية مبين فيها الموانئ التي كانت تمر بها الملاحة البحرية في العصور الإسلامية وأخبار هذا التاجر ترجع إلى سنة ٢١٧هـ/٨٥١م ، فقد سافر عدة مرات إلى الهند والصين للتجارة ومن خلال التجارة اكتسب خبرة واسعة في هذا المجال. وأيضاً التاجر والرحالة العربي ابن وهب القرشي ، وقد دوّن رحلته أبو زيد الحسن السيرافي في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[٤٠] . ومن جاؤوا من بعده كابن خرداذبة وابن الفقيه والاصطخري وابن حوقل ، والمسعودي ، بمعلومات كثيرة ضمت مؤلفاتهم فما بعد .

ومن اكبر موانئ الدولة العربية الإسلامية على المحيط الهندي عدن وسيراف وعمان وأيضا البصرة وديبل على مصب نهر السند ، وهرمز التي كانت فرض كرمان[٤١] . اما عدن فهي المركز التجاري الكبير بين افريقية وبلاد العرب وبنفس الوقت تمثل نقطة ارتكاز التجارة بين الهند والصين ومصر ، فيسميها المقدسي[٤٢] " بدهليز الصين " . وكذلك سيراف الفرضة التي تمر بها صادرات فارس وارداتها[٤٣] ، وكان الخليج العربي تقصده المراكب من جميع البلدان ، وخاصة بضائع الصين وبضائع اليمن المرسلة إلى الصين تحمل على المراكب لسيراف[٤٤] .

ويعد ابن خرداذبه (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) أحسن من وصف لنا الطريق البحري إلى الهند والصين ، وقدم لنا تقدير للمسافات على طول الطريق بين المراكز التجارية المختلفة منها المرافئ والمدن المهمة ، وأيضا اهتم بوصف هذه المراكز وصفا مسهباً معزز ذلك بمعلومات وافرة عما ينتجه كل مركز من المواد[٤٥] .

والآن نقدم وصفاً للطريق البحري الذي يبدأ من مدينة البصرة وتسير السفن في الخليج العربي متجهة نحو الساحل الغربي للخليج العربي إلى عبادان ١٢ فرسخ[٤٦] إلى

الخشبات[٤٧] ٢ فرسخ ، ومن ثم تعبر البحر فشطه الأيمن للعرب وشطه الأيسر لفارس وعرضه ٧٠ فرسخاً من الخشبات إلى البحرين في شط العرب ٧٠ فرسخ إلى الدردور[٤٨] ١٥٠ فرسخاً تسلكه السفن الصغار ، ولكن يصعب على السفن الصينية الكبيرة اجتيازه كما ان هناك جبلان يقال لهما (سير وعوير) ولا يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير ، فإذا جاوزت السفن الجبال وصلت إلى صحار ومنها إلى مسقط موانئ عمان ٥٠ فرسخ ، وتأتي إلى ميناء سيراف لان السفن الصينية تأتي لشحن البضائع وأيضا تتزود بالماء العذب والمؤن استعداد للرحلة الطويلة إلى الهند ، والى الشحر ٢٠٠ فرسخ والى عدن ١٠٠ فرسخ وهي من المرافئ العظام وبها العنبر والعود والمسك ومتاع الهند والسند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجده والقلزم[٤٩] .

اما الطريق البحري الذي يسير مع الساحل الشرقي لبلاد فارس فانه يبدأ أيضا من البصرة إلى جزيرة خارك ٥٠ فرسخ والى جزيرة لاوان ٨٠ فرسخا والى جزيرة البرون ٧ فراسخ والى جزيرة خين ٧ فراسخ والى جزيرة كيس ٧ فراسخ والى جزيرة ابن كاوان ١٨ فرسخ ثم إلى ارموز ٧ فراسخ ثم إلى ثارا مسيرة ٧ أيام وهي الحد بين فارس والسند ثم إلى الديبل مسيرة ٨ أيام ثم إلى مصب مهران نهر السند في البحر ٢ فرسخ ومن مهران إلى اوتكين أول ارض الهند مسيرة ٤ أيام ومنها إلى أعيد ٢ فرسخ والى كولي فرسخان[٥٠] والى سندان ١٨ فرسخ والى ملي مسيرة ٥ أيام[٥١] والى بلين مسيرة ٢ يوم ومن بلين تتفرع الطرق في البحر ، فمن اخذ مع الساحل من بلين – بابتن مسيرة يومين ومنها إلى السنجلي وكبشكان مسيرة يوم ومنها إلى مصب كودا فريد ٣ فراسخ والى كيلكان واللوا وكنجة مسيرة يومين والى سمندر ١٠ فراسخ والى أونشين ١٢ فرسخ وهي مملكة عظيمة ومنها إلى أبينه ٤ أيام ، ومن يلبن مفرق الطريق إلى سرتنديب (سيلان) مسيرة يوم أو من أراد الصين من بلين جعل سرنديب عن يساره فمن سرنديب إلى جزيرة انكبالوس[٥٢] مسيرة ١٠ أيام إلى ١٥ يوم ثم إلى جزيرة كله مسيرة ٦ أيام وعلى اليسار جزيرة بالوس على مسيرة ٢ يوم ومنها إلى جزيرة جايه[٥٣] وشلاحط[٥٤] وهولج ٢ فراسخ والطريق بين جابه ومايط قريب .

ومن يسار مايط إلى جزيرة نيومه أو تيومه في سومطره ومنها إلى اصما مسيرة ٥ أيام والى الصنف على الساحل مسيرة ٣ أيام ومن الصنف إلى لوقين وهي أول مرافئ الصين

١٠٠ فرسخ ومنها الحجر والحرير والغضار الجيد الصيني وبها أرز ، ومن لوقين إلى خانقوا[٥٥] وكانتون وهو من المرافئ الكبيرة مسيرة ٤ أيام في البحر وفي البر مسيرة ٢٠ يوم ، ومن خانقوا إلى قانطو مسيرة ٨ أيام ومن خانجوا[٥٦] إلى قانطو مسيرة ٢٠ يوم وهذه موانئ الصين المهمة ، ولكل مرفىء من مرافئ الصين نهر عظيم تداخله السفن ويكون فيه المد والجزر[٥٧] . وهذه الظاهرة (المد والجزر كانت السفن تستفيد منها للدخول إلى ميناء الابلة والبصرة ، وقد تحدث عن هذه الظاهرة البلدانييون والجغرافيين ومنهم ابن رسته[٥٨] ، بقوله : " دجلة البصرة واليه ينتهي مد البحر ومنه يجزر إذا رجع الماء إلى البحر " .

ومن خلال وصف هذا الطريق البحري فقد عرفنا ما يحمله التجار الذين يذهبون إلى الصين والهند ، فهم يجلبون الحرير والقرند والمسك والعود والسروج والسمور والغضائر والدارصيني من الصين ، اما من الهند فيجلبون العود والصندل والكافور والقرنفل والتارجيل والثياب القطنية والمحاية ، اما من سرنديب الياقوت والماس والدر ومن ملي وسندان الفلفل ومن كله الرصاص القلعي[٥٩] . ويحمل التجار العرب معهم إلى الصين العاج والعطور والكهرب والياقوت والكافور ، ومن خلال المسافات التي استغرقت بالمسير أيام من البصرة إلى ميناء خانقو بالصين تقريبا ستة أشهر وأكثر. وضمن هذه المدة مدة التوقف والراحة في بعض الموانئ المهمة ، ورحلة العودة تستغرق نفس المدة تقريبا أو أكثر في بعض الأحيان[٦٠] .

ولا يخلو هذا الطريق من المخاطر والعوارض الطبيعية إضافة إلى هجوم اللصوص وقطاع الطرق ، والحالة الزراعية للمدن والجزر التي تمر بها السفن وما تتواجد فيها من حيوانات برية وبحرية ، وكذلك عن وصف المنتوجات الزراعية وأيضا الثروة المعدنية والإنتاج الصناعي المحلي لهذه المنطقة ، إضافة إلى ذلك من خلال وصف للطريق البحري الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة جنوب شرق أسيا وجزرها ودياناتها ومعتقداتها وعاداتها وما تتعرض لها الرحلة من مشاكل ومخاطر السفر وغيرها من الأزمات المختلفة[٦١] .

والطريق البحري يحتاج إلى المعرفة التامة بأوقات هبوب الرياح الموسمية وعلى أصحاب السفن ان يكونوا على دراية بأوقات هبوبها وإلا فأنهم لا يستطيعوا الإبحار إلى الهند

والصين وقد وصف لنا السيرافي[٦٢] ، الظواهر الجغرافية والفلكية التي يتعرض لها طريق الحرير البحري ولاسيما في الخليج العربي وبحر الهند والأوقات التي يحسن فيها الإبحار والخطورة التي قد يتعرض لها أصحاب السفن عند هبوب الرياح[٦٣] .

ب – الطريق البري (طريق الحرير البري) .

الطريق البري أو طريق الحرير العظيم والذي اخذ تسميته من التجارة الرئيسية التي تنقل عبره ، وهي مادة الحرير ، وهو الطريق المباشر الذي يصل الدولة العربية الإسلامية بالصين . وتجمع المصادر التي اطلعنا عليها التي تجعل بداية هذا الطريق من بغداد عاصمة الدولة العربية الإسلامية والذي يأخذ مساراه إلى النهروان ٤ فراسخ ومن ثم إلى الدسكرة[٦٤] ١٢ فرسخ . ثم إلى جلولاء ٧ فراسخ ، ثم إلى خانقين ٧ فراسخ والى قصر شيرين[٦٥] ٦ فراسخ والى حلوان ٥ فراسخ وبعدها إلى عقبة حلوان ، إذ يدخل الطريق في الأراضي الإيرانية ليصل إلى مرج القلعة[٦٦] بعد اجتيازه ١٠ فراسخ ، ثم إلى قصر يزيد[٦٧] وبينهما ٤ فراسخ ، والى الزبيدية ٦ فراسخ ، ثم إلى قصر عمرو ٧ فراسخ ، والى قرميس[٦٨] والى شيراز[٦٩] اقل ٢ فرسخ وهو مفرق طريق خراسان ثم إلى الدكان[٧٠] ٩ فراسخ حتى يصل إلى الري ومن الري يسير الطريق بفرعه الثاني باتجاه الغرب حتى يصل إلى أقاليم ومدن أرمينية وأذربيجان ومن ثم إلى ممالك الدولة البيزنطية ولكن الذي يهمنا من هذا الطريق أي بالتحديد من منطقة الري يتفرع منه فرع أخر لهذا الطريق ليذهب إلى مدن قزوين وابهر وزنجان[٧١] .

ومن مدينة الري يخترق هذا الطريق هضبة يزد الإيرانية ليمر بأقاليم الشرق وخراسان ، إذن الطريق من مدينة الري باتجاه آباد ٤ فراسخ ثم إلى الخوار ٢٠ فرسخا والى قصر الملح ٧ فراسخ ، والى رأس الكلب ٧ فراسخ والى سمنان ٨ فراسخ ، والى اخرون ٩ فراسخ والى قوس ٨ فراسخ[٧٢] .

من خلال هذا الطريق نرى انه يسير باتجاهات متعرجة من قومس إلى الحدادة وبينهما ٧ فراسخ والى ميمد بـ ١٩ فرسخ ومنها إلى اسداياد ١٤ فرسخ ومن ثم إلى بهمن اباد بـ ٦ فراسخ ، والى النوق ٦ فراسخ والى خسروجرد ٦ فراسخ والى حسين اباذ ٦ فراسخ ، والى

نيسابور قصبة ولاية خراسان ١٥ فرسخا[٧٣] . فتكون المسافة من بغداد إلى نيسابور ٣٠٥ فرسخا أي بمعدل ٩١٥ ميل[٧٤] .

ويستمر الطريق في سيره من نيسابور إلى الحراء ١٠ فراسخ والى المثقب من طوس ٥ فراسخ والى النوقان ٥ فراسخ والى سرخس[٧٥] ٢٠ فرسخ ، والى قصر النجار ٣ فراسخ والى الداندانغان ٧ فراسخ والى مرو الشاهجان إحدى مراكز خراسان الشهيرة ١٠ فراسخ فالمسافة أصبحت من بغداد إلى مرو ٣٧٥ فرسخا أي ١١٣٥ ميلا[٧٦] .

ومن مرو يتفرع طريقان احدهما يذهب إلى الشاش وبلاد الترك والثاني يذهب إلى بلخ وطخارستان والاثنان يصلان إلى الصين . ومن مرو إلى كشماهن ٥ فراسخ ثم إلى المنصف ١٢ فرسخ ، والى الإحساء ٨ فراسخ ، والى امل ١١ فرسخ ، ومن امل إلى شط نهر بلخ " جيحون " فرسخ ثم يعبر إلى الضفة الشرقية من النهر حتى يصل الطريق إلى فربر من إقليم ما وراء النهر بفرسخ أيضا . ومنها إلى حصن أم جعفر ٦ فراسخ ، ثم إلى بيكند ٦ فراسخ وبعدها يصل الطريق بخارا بخمسة فراسخ وهي المدينة التي أصبحت ولاية خراسان ابان الإمارة السامانية[٧٧]

وبعد ذلك يتجه هذا الطريق (طريق الحرير) من بخارا إلى الطواويس وبينهما ٧ فراسخ ، ثم إلى كوكشيبغن ٦ فراسخ ومما يلي الجنوب من هذا الموضع تأتي منحدرات من جبال الصين إلى مدينة كرمبنيه بـ ٤ فراسخ ثم إلى الدبوسية ٥ فراسخ والى اربنجن ٥ فراسخ والى زرمان ٥ فراسخ والى قصر علقمة ٥ فراسخ ثم إلى سمرقند ٢ فراسخ[٧٨] فتكون المسافة من بغداد إلى سمرقند ٤٦٩ فرسخ ويقابلها ١٤٠٧ ميلاً .

ويستمر طريق الحرير من سمرقند باتجاه إلى باركت وبينهما ٤ فراسخ ثم إلى خشوفغن ٤ فراسخ والى يورغذ ٥ فراسخ والى زامين[٧٩] ٤ فراسخ ومن زامين يكون مفترق طريقين احدهما يذهب إلى الشاش والترك والآخر يتجه إلى فرغانه[٨٠] .

والطريق الثاني كان التجار المسلمون لا يفضلونه وذلك لعدم توافر الأمن فيه إذا كان يفضل الطريق الأول عبر الشاش في تركستان لتوفر الأمن فيه بشكل اكبر إذ كان الترك يؤمنون فيه الخفارات (أي الحراسات)[٨١] .

وكما يذكر المسعودي[٨٢] ان الطريق تكتنفه صعوبات طبيعية لوجود جبال النوشاذر فيه ولشدة حر النوشاذر فلا يسلك هذا الطريق شيء من البهائم بل انه لا يسلك هذا الطريق داعٍ ولا مجيب في أيام الصيف ، اما في الشتاء مع كثرة الثلوج والانداء فينطفي حر النوشاذر ولهيبه فيسلك الناس هذا الطريق ولكن بدون بهائم لأنها لا تقدر على حره ، وعلى الرغم من قصر طريقه لا يرغب الناس فيه فالمسافة من خراسان إلى الصين عبره تكون ٤٠ يوم ، اما في الطريق الأخر التي تسلكها البهائم فتكون ٤ أشهر .

ونرجع لنتابع الطريق الأعظم من زامين إلى خاوص[٨٣] ٧ فراسخ ومنها إلى شط نهر الشاش ٩ فراسخ وبها جسر يعبر إلى بناكت ٤ فراسخ باتجاه نهر الترك ، ومن ثم عبور هذا النهر إلى شطوركت والى نبونكت ٣ فراسخ وثم إلى الشاش ٢ فرسخ ، ويتجه طريق الحرير باتجاهه إلى معدن الفضة وبينهما ٧ فراسخ وكانت تسمى إيلاف ، ثم إلى باب الحديد ٢ فرسخ والى كبال ٢ فرسخ والى نمركرد ٦ فراسخ ثم بعدها يصل الطريق إلى مدينة اسبيجاب بـ ٤ فراسخ ويذهب الطريق من اسبيجاب إلى شاراب ٤ فراسخ ، ثم إلى بدوخكت ٥ فراسخ ، ثم إلى نمتاح ٤ فراسخ ، ثم إلى ابارجاج ٤ فراسخ ، ثم إلى النهر وعليه منزل ٦ فراسخ ، ثم يعبر إلى حوبكت ٥ فراسخ ، والى طراز[٨٤] إلى نوشجان السفلى ٣ فراسخ حيث يقترب طريق الحرير من حدود الصين ، ثم إلى كول شوب ٦ فراسخ والى كولان ٨ فراسخ والى اسبره ٨ فراسخ والى نوزكت ٨ فراسخ والى كبال ٣ فراسخ ، ثم إلى نوشجان الأعلى وهو حد الصين مسيرة ١٥ يوم للقوافل في المرعى ، فاما لبريد الترك فمسيرة ٣ أيام[٨٥] ، فمجوع المسافة لهذا الطريق من بغداد إلى نوشجان الأعلى ٦١ فرسخا أي بما يعادل ١٨٦٦ ميلا[٨٦] .

اذن من النوشجان يتفرع الطريق إلى داخل إقليم الصين وفي فروع عديدة احدهما يأخذ اتجاه الجنوب ليصل إلى مدينة خانقوا الصينية والتي كانت من أهم الموانئ البحرية في الصين ، ويعد ميناء خانقوا نقطة اتصال بل بداية طريق الحرير الذي يتصل بالخليج العربي ويواصل مسيرته البحرية إلى مدينة البصرة ميناء العراق الكبير[٨٧] .

ومن طريق الحرير البري يأخذ فرع منه إلى بلخ وطخارستان إذ يتصل هذا الطريق بأكتاف الهند والسند في الشرق مارا بالملتان[٨٨] وغزنه[٨٩] .

ولهذا الطريق أهمية كبيرة وذلك لتعدد المواد المستورة والتي أوردها لنا المقدسي[٩٠] ، والتي كانت تجلب من البلغار وكانت هذه التجارة قد جعلت النقود الإسلامية تنتقل عبر الطرقات النهرية الروسية إلى شمال أوربا وكانت تتألف من الدراهم الفضية التي ضربت (٣-٤هـ/٩-١٠م) ووجدت منها في أنحاء روسيا والسواحل الاسكندينافية بالمئات كما وجدت قطعتان منها في أيسلندا[٩١] .

اذن طريق الحرير لم يربط فقط بغداد بالمشرق والصين عبر الأراضي الإيرانية ولكنه ربط أجزاء الدولة العربية الإسلامية في المغرب حيث أقاليم الشام ومصر والمغرب ومن ثم إلى الأندلس[٩٢] . كما كان لهذا الطريق الاتصال بالأمم التركية وبشكل ميسور في ما وراء النهر في الجهات الشرقية والشمالية وبهذا مكّن هذا الطريق العرب والمسلمون الاتصال بالأقوام التركية مثل الخزر والتغزغز الساكنين في السهول المطلة على حدود الصين وهضبة التبت[٩٣] .

واستطاع العرب والمسلمون عن طريق التجارة ومن خلال طريق الحرير في إدخال الأتراك الشرقيين ضمن العقيدة الإسلامية[٩٤] . وقد كانت وسائل النقل في ذلك الطريق الدواب ولاسيما البغال والجمال والتي بواسطتها تنقل بها تجارة العرب والمسلمون إلى أقاليم الصين إضافة إلى الاستخدام القليل للخيل والمعز في بعض المناطق الجبلية الوعرة[٩٥] .

وطريق الحرير المار عبر إيران إلى الصين كانت فيه محطات أو مواضع للاستراحة والتزود بما يحتاج إليه القوافل التجارية من مؤن ومواد غذائية ومياه وقد قسم هذا الطريق إلى مراحل محدودة بمسافة كل سكة فرسخان ويسمى هذا الموضع أو المحطة بـ " السكة "[٩٦] .

ومن ما ذكره ابن خرداذبة[٩٧] عن هذا الطريق ووصفه يتضح ان هذا الطريق كان يمر بأراضي سهلية تكثر على جانبيه المزارع والنخيل وأيضا يجتاز الهضاب والمرتفعات الجبلية ويمر بوديان عميقة الغور ويسير بين شْعب من الجبال مما يعرض القافلة التجارية إلى كثير من الخوف والمخاطر كما يخترق بعض الأراضي الصحراوية التي ليس فيها مدن أو قرى عدا منازل البريد وسككه المبعثرة فيه . وأيضا لا يخلو هذا الطريق من المرتفعات الجبلية التي تغمره الثلوج في فصلي الشتاء والخريف ويجعل عبوره صعب ومتعذر في بعض الأوقات ، وأيضا يمر هذا الطريق في المناطق التي توجد فيها الأنهار والعيون والآبار لسقي

المارة فيه ، كما يجتاز هذا الطريق القناطر والجسور والمعابر التي شيدت عليه الأنهار والوديان ، وكذلك يمر طريق الحرير بالمنازل والسكك والخانات والربط حتى يتمكن التجار والمسافرون من الوصول والنزول فيها للاستراحة بها ، كما يجتاز القرى والمدن على اختلاف المناطق والتي توجد فيها المؤن والمواد الضرورية للسفر الطويل ومن هذه الأماكن أي (أماكن الاستراحة) يجدون بها التجار الأمن والطمأنينة والسلام ، إضافة إلى ما يقومون به من عمليات تجارية مثل البيع والشراء[٩٨] .

ومن خلال التتبع لهذا الطريق الطويل نرى كيف قد نشا وتطورت فيه المدن والمراكز التجارية على طول الطريق والتي أصبحت من المراكز الاقتصادية ، وبغداد آنذاك تمثل قلب هذه المراكز ومحور نشاطها ، وكان طريق الحرير هذا يحوي تجارة الصين ومختلف الصناعات ولاسيما الحرير المادة الأساسية لتجارة العرب والمسلمين فيما بعد في مختلف الأزمات والعصور[٩٩] . والتبادل مع هذه المنطقة من صادرات خراسان وما وراء النهر وكذلك العراق وصادراته وبهذا يظهر لنا العمق والتبادل التجاري وأهميته الاقتصادية في القائمة التي يذكرها بعض البلدانيين والجغرافيين ومنهم اليعقوبي[١٠٠] في هذا المجال .

وبما ان طريق الحرير هو طريق كان يسلكه البريد ، كما ذكرنا سابقا ، وهذا الطريق كان معروف لدى أصحاب البريد والتجارة والرحالة في طريقه ومعرفة مسالكه بصورة جيدة ويبدو وكان الأرض قد أثرت به حتى يصبح طريق للبريد أولا ، وللتجارة ثانيا ، وكانت له علامات بيض وسود وحمر في المناطق الجبلية أو السهلية وحسب العلامات كان السير والخوض في هذا الطريق[١٠١] .

ويذكر البلاذري[١٠٢] ان إدارة الدولة قد اهتمت بهذا الطريق وكان يعتبر من مهامها ومسؤولياتها اتجاه هذا الطريق بشكل يؤدي إلى تأدية مهماته بصورة متميزة ومعروفة .

ثالثا : المظاهر الحضارية التي نشرتها التجارة العربية الإسلامية في جنوب شرق أسيا .

أ – الهجرات العربية الإسلامية .

من خلال الخوض في موضوع جذور العلاقات التجارية مع جنوب شرق أسيا اتضح لنا أمر ثابت في ان العلاقة العربية القديمة مع هذه المنطقة هي علاقة حية ومستمرة ، تعاقبت واستمرت خلال الفترات السابقة[١٠٣] . وهناك بعض الإشارات وعدد كبير من المقابر

دلت شواهدها على تاريخ أقدم بكثير من القرن ١٣م . كما ان الرحالة ماركو بولو[١٠٤] في حديثه عن اتجيه Atjeh في شمال غربي سومطرة والتي زارها في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م قد ذكر :" ان قرلاك ، وبلغة أهل اتجيه فيريلا ، يسكنها المسلمون وقد اعتنقت هذه الأمة الإسلام بتأثير السراسين" ، وقد علمنا ان لفظة Saracen قد أطلقها الرومان على العرب بصورة مطلقة . وهذا دليل على وجود مجتمعات إسلامية مستقرة في هذه المنطقة منذ وقت طويل[١٠٥] . ومرتبطة بعلاقات لا تزال حتى يومنا هذا ، وموضوع الهجرات العربية الإسلامية يشكل إحدى العوامل والمظاهر الحضارية العربية التي ساعدت في نشر الإسلام بالمنطقة والدليل تلك العلاقات ووجود التشابه في عدة مجالات سواء كانت اجتماعية – ثقافية ، وأيضا في مجال الزراعة والعمران وغيرها من المجالات ومن أوجه التشابه بين مصر واندونيسيا في استخدام أساليب ونظم الري والزراعة ونظم الري والزراعة وبناء الأهرامات من الأحجار الصلبة والمقابر الحجرية المنحوتة في الجبال ، وفي تحنيط الموتى وتقديم القرابين البشرية[١٠٦] . وكان للمصريين دور مهم وفعال في تشكيل جنس جديد في المنطقة ، حيث كان تأثيرهم على الخصائص الجنسية لأهل المنطقة الأصليين ، فان شعب الباتاك الاندونيسي الذي يتميز بالأنف المستقيم المدبب والوجه الجميل المقاطع والملامح المتناسقة والبشرة التي تميل إلى السمرة والتي تعود إلى أصول عربية مصرية بالتحديد[١٠٧] .

اما في العلاقات مع اليمن ، فالهجرات العربية اليمنية ولاسيما الحضرمية وصلت إلى جنوب شرق أسيا فكانت هجرات متعددة وكثيرة جداً وقد وصلت هذه الهجرات إلى هذه المنطقة واستقرت بها اما مباشرة أو عن طريق الهند[١٠٨] . وامتاز الحضارمة في علم ومعرفة بأمور البحر فكانت البداية للهجرة الأولى هو العمل بالتجارة التي اتخذت طريقها إلى هذه المنطقة ، فكان أول نزول لهم في جزيرتي سومطرة وجاوه ثم اندفعوا من هناك إلى الجزائر الأخرى وسرعان ما كونوا لهم مركز اقتصادي ذات مكانة مؤثرة وفعالة بالمنطقة وكان لهم زمام التجارة في البر والبحر[١٠٩] .

وعند قيام الدولة العربية الإسلامية ازدادت حركة الهجرة للمنطقة لأسباب متنوعة منها طبيعية مثلا فصل الجفاف في اليمن ، ومنها دينية في رغبة العرب المسلمين في نشر هذا الدين خارج حدود دولته ، ولكن الهدف من كل الهجرات كان الاستقرار هناك ، ولازدياد

هجرة المسلمين زاد معها النشاط التجاري العربي الإسلامي مع مناطق المحيط الهندي كالهند والصين وجنوب شرق أسيا ، ولهذا ازدادت نسبة الاستقرار العربي الإسلامي هناك(١١٠) .

وعندما يكون الهدف الاستقرار فهذا يعني الاختلاط والامتزاج ومن ثم التزاوج بين العرب المسلمين المستقرين في المنطقة وأهل المنطقة الأصليين فتولد نتيجة ذلك جيل جديد من أبناء عرب ونساء من أهل المنطقة وبذلك توطدت صلات القرابة بينهم حيث أثبتت وتميزت الجالية العربية عن الجاليات الأخرى بميزة مهمة وإنها الأقدر على الامتزاج الاتصال بشعوب المنطقة ، فالروابط الإسلامية كانت أقوى الروابط القائمة على روح الإسلام الإنسانية ومبادئه العادلة ، وهذه الروابط أثبتت وجودها في المنطقة وتمازجت الدماء العربية مع دماء أبناء المنطقة نتيجة لهذا الاستقرار العربي الإسلامي(١١١) .

ب – انتشار الدين الإسلامي .

ان الإسلام قد وصل إلى منطقة جنوب شرق أسيا في وقت مبكر ، إلا انه يبدو ان عدد المسلمين لم يكن بالعدد الكبير ، وأيضا نفوذهم لم يتسع بعد ، وانما مجيء العرب المسلمين إلى هذه المنطقة وانتشار الإسلام بطريق سلمي وطوعي عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، يدعون الناس للإسلام بأخلاقهم العالية وإيمانهم الحقيقي بدينهم ومحبة بنيل الأجر والثواب في نشره ، وكان انتشاره عن طريق العرب المسلمين من دعاة وتجار ولاسيما في جزر ماليزيا واندونيسيا والفلبين ، والذين اخذوا على عاتقهم نشر الإسلام بطريقة مباشرة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى(١١٢) .

ونأخذ هنا انتشار الإسلام عن طريق التجارة وهو مرتبط بعنوان بحثنا هذا ، حيث أصبحت التجارة البحرية والبرية وخاصة البحرية التي برع بها العرب والمسلمون من أهم المسالك في انتشار الإسلام فهي كانت عظيمة الجانب إضافة إلى أهميتها الاقتصادية والتي حملت التجارة في يد وحملت نشر الإسلام في يد أخرى ، فكان للتجارة أهداف اقتصادية واجتماعية ودينية ، فعن طريق التجارة كانت الهجرة والاستقرار وعن طريقها كان نشر الدين الإسلامي والاقتصادي بما يحققه من نجاح على المستوى التجاري . وحملت كل هذه الأهداف عن طريق واحد هو التجارة إلى سواحل الهند وجنوب شرق أسيا(١١٣) .

اذن دور العرب المسلمين المباشر كان عن طريق التجارة والتجار وخاصة الحضارمة والعمانيين الذين حملوا الإسلام إلى مختلف المناطق التي صارت عن طريق الدين الإسلامي ضمن العالم الإسلامي ، ولكنها لم تدخل ضمن الحدود السياسية للدولة العربية الإسلامية ، ومنها جنوب شرق أسيا ، فاذن انتشار الإسلام كان في بداية دخول هؤلاء التجار إلى هذه المنطقة ولقوة الصلات التي تكونت بين الطرفين فكان الفضل الأول في نشر الإسلام في تلك الجزر المتعددة في المنطقة وأهمها جزيرتا سومطرة وجاوه يعود إلى الحضارمة[١١٤] .

اذن فالتجارة كان لها دور واثر مهم في نشر الإسلام منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي حيث شهدت حركة التجارة العربية الإسلامية نشاطا وتوسع كبيرين في المحيط الهندي ، وأصبح للتجار العرب أماكن استقرار في شتى سواحل هذه المنطقة كما في الهند وسرنديب وخانقوا في الصين ، ونتيجة لذلك توسعت التجارة يصاحبها نشر الإسلام والاختلاط العرب المسلمين مع السكان المحليين وبناء علاقات متينة وحميمة مع السكان الأصليين وبالتالي تأسيس مراكز استقرار في تلك المناطق ، فالهدف الأول هو متابعة الأعمال التجارية وتطويرها ثم تطورت هذه المراكز مثل المراكز في ساحل الملبار وكاليكون في الهند وملقا وكله من المراكز التجارية الرئيسية في المحيط الهندي ، ولهذه المراكز دور كبير في عملية نشر الإسلام كما في شمال سومطرة وذلك سنة ٥٢هـ/٦٧٢م ، والتي كان لها دور واضح ومهم في نشر الإسلام والذي ساعد على نشر الإسلام هو ما تمتع به المسلمين من الأخلاق العالية والسمعة الجيدة والتي تحلى بها التجار العرب والمسلمون مع الصدق والإخلاص والوفاء في التعامل مع سكان هذه المناطق[١١٥] ، والذين كانوا يعتبرون العرب أناسا أمناء شرفاء ولهذه الصفات قد منحت التجار مكانة مرموقة في مجتمع جنوب شرق أسيا ، وبالتالي أصبح لهم دور مؤثر على الناس وخاصة أفراد الفئات العليا كالحكام وذوي الشأن أولا ، الذين اخذوا التعرف على الدين الإسلامي بشكل تدريجي على مبادئه السامية وتطبيقاته الإنسانية مما حمل بعضهم على تقبل الدين الإسلامي كدين سماوي ، واعتنقوه وبهذا أصبح اعتناق الحكام الدين الإسلامي عامل مساعد في سرعة انتشار الإسلام بين سكان المنطقة ، الدين الذي حررهم من قيود النظام الديني الاجتماعي القديم (نظام الطبقات) النابع عن الديانة الهندوسية والبوذية[١١٦] .

وقد اشتد ساعد الإسلام وعظم أثره واثر الثقافة العربية منذ القرن ٦هـ/١٢م ، وخلال القرون التالية ، بحيث قررت اندونيسيا منذ القرن ٨هـ/١٤م شخصيتها الإسلامية وطابعها الثقافي والحضاري ، وساعد اندونيسيا على الإسلام عاملان مهمان ، الأول الدوافع التجارية الاقتصادية ، والثاني دوافع الأمراء المحليين السياسية ضد مملكة (ماجاباهيت)[١١٧] الهندوكية ، غير ان الدافع الجوهري الذي تلمسناه في الأغراء الكبير الذي وجده سكان المنطقة المحليين في مبادئ الإسلام التي دعت إلى رفع شأن الفرد وتحقيق ذاتيته والقضاء على سلطة الكهنة البراهميين والنظام الطبقي الهندوكي المغلق والصعب ، وكلا الدوافع الاقتصادية والسياسية قد أدت إلى تحول المجتمع الاندونيسي إلى الإسلام[١١٨] .

فالتجار العرب والمسلمون كانوا يستثمرون كل فرصة ومناسبة لنشر الإسلام وتعاليمه في هذه المنطقة ، فهم كانوا الأيدي البيضاء في أنشاء وتطوير المراكز الحضرية والعمرانية مثل إقامة المساجد وسط الأحراش لتكون قريبة من المناطق النائية ليتعلم فيها سكان المنطقة مبادئ الدين الإسلامي وإقامة شعائر وطقوس العبادة[١١٩] .

وبما ان التجار العرب كان لهم دور في نشر الإسلام أيضا وأثراً مؤثرا لأهل المنطقة الأصليين ، فقد عرفوا التجار بكونهم أهل بحر وتجارة ، فكان التجار من أهل المنطقة مثل الجاويون الذين كانوا يصلون إلى مختلف جزر المنطقة محملين بشتى المواد المصدرة نحو ميناء ملقا وكان التقاءهم بالتجار المسلمين القادمين من إنحاء متعددة من العالم الإسلامي آنذاك ، ومن خلال العلاقات التجارية وأيضا الإنسانية أصبح بينهم تأثير وصاروا يتأثرون تدريجيا بالإسلام ومبادئه ويؤمنون به ، ومن ناحية أخرى ان هؤلاء التجار قد وصلوا إلى منطقة الخليج العربي بتجارتهم واختلطوا بالتجار العرب ووصلوا إلى وادي الرافدين وقد اندهشوا وعجبوا بالتقدم الحضاري للدولة العربية الإسلامية وكان اعتناق الإسلام تدريجيا وذلك بالمعرفة والإيمان بالإسلام ومن ثم اتخاذه دينا لهم فكان اغلبهم يرجعون إلى بلادهم وهم مسلمين بعد ان كانوا سواء على الديانة الهندوسية أو الديانة البوذية[١٢٠] .

ج – انتشار اللغة العربية .

ارتبط انتشار الإسلام بانتشار اللغة العربية ، فحلت اللغة العربية في كل بلد نزل بها المسلمون وحكموه ومن كثرة المسلمون ، فأصبحت اللغة العربية لغة علم كما هي لغة دين

وأدب وسياسة ولم يحاربوا العرب لغات البلاد الأصلية على الرغم من رسوخها فيها ، بل انتشرت اللغة العربية بتعقل وتفاهم وحوار وراعى دعاتهم سنن الطبيعة والنشوء وعملت قاعدة الانتخاب والاختيار الطبيعي عملها في اللغة كما عملت في العناصر ، فبقى ما هو مفيد للناس في مصالحهم على اختلاف نحلهم ومللهم(١٢١) .

فاللغة العربية ظهرت كاملة بالقران الكريم ، وكانت سرعة انتشارها في المناطق القاصية والدانية ، يخاف يحترمها عدوها وصديقها واستطاعت اللغة العربية ان تصبح هي اللغة المقروءة والمكتوبة بعدما كانت اللغة السنسكريتية وبعض اللغات المحلية لاسيما الجاوية أو الملاوية وهي اللغة السائدة في المنطقة ، فاللغة العربية لم تتراجع من ارض دخلها لتأثيرها على الناس من كونها لغة دين ولغة مدنية على الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون من من النيل من الإسلام ولغته العربية ومع ذلك لم يخرج احد من الإسلام إلى النصرانية فقد عرفت اللغة العربية وانتشرت من المحيط الهندي وقد تأثرت بها اللغات الأخرى ومع انها لغة حضارات راقية ، فأصبحت اللغة العربية في سيام والفلبين والهند ، ولذلك أصبحت اللغة العربية لغتهم واختفت تدريجيا لغاتهم الأصلية(١٢٢) .

ويعد اثر انتشار اللغة العربية من الآثار اللغوية والأدبية ، فالذي يطلع على اللغة الاندونيسية المكتوبة والمنطوقة ليذهل من سعة وعمق تأثير اللغة العربية فيها ومن المؤكد ان تأثير لغة في لغة ثانية انما يكون دليل علمي واضح على تفوق اللغة الأولى وتحتل مكانة في تركيب اللغة الأخرى وتصبح جزء لا يتجزأ منها وبوجود أثار اللغة العربية في اللغات الأخرى إنما يقوم كدليل على التأثير الثقافي والحضاري ، وقد وجدنا تأثير اللغة العربية في اللغة الاندونيسية في مفرداتها الدينية والفكرية والثقافية والعلمية والفنية وعلى سبيل المثال في المفردات الدينية مثل (ابدي تعني إبليس ، القيامة تعني لعنة)(١٢٣) . ومن المفردات الفكرية والثقافية والعلمية والفنية فمثلا : (حكاية تعني المقصود ، العوام تعني فلك ، حكم تعني نغم)(١٢٤) .

ويستخدم أهل المنطقة المحليين في مخاطباتهم الدينية الألفاظ العربية المحرفة والتي أخذوها عن شيوخهم المحليين ، فمثلا يقولون (مؤلفاتي أي مفتي) و (كتيب تعني خطيب) والطريف عندهم ان اسم أي مؤذن عندهم هو بلال ، وكانوا يسمون أولادهم بأسماء عربية

إلى جانب أسمائهم المحلية ولاسيما أسماء الله الحسنى والرسول الكريم (ﷺ) مثل محمد ، وعبد الله وفاطمة وينطقوها فواطمة وغيرها من الأسماء[١٢٥] .

وفي أحيان أخرى تكون الكلمات الدينية كما هي في الأصل لا يجرون عليها أي تغيير مثل اسم الجلالة والقران الكريم والحديث الشريف والملائكة واسم الرسول الكريم (ﷺ) والأنبياء (عليهم السلام) وغيرها من الكلمات وذلك مما يعكس احترامهم للدين الإسلامي ولغته العربية[١٢٦] .

وقد سلكت اللغة الملاوية المستعملة في منطقة الجزر مسلك اللغة العربية في التمييز بين المذكر والمؤنث في قائمة الكلمات بالفتحة والكسرة مثلا (سودرا – الأخ ، سوداري – الأخت) واستخدمت في اللغة الملاوية أيضا جميع الحروف العربية واستحوذت على جميع أنواع الهجاء ، وقد أدخلت بعض التعديلات المناسبة للدلالة على أصوات لا نظير لها في اللغة العربية[١٢٧] .

وقد أدى الاتصال التجاري البحري والاستيطاني إلى عدة تأثيرات هامة كنقل ونشر اللغة العربية في منطقة جنوب شرق أسيا ، وما تتميز به اللغة العربية من قدرة وجمال فأثرت في لغات الهند ، فالسندية والأردية ، والجوجرانية والتميلية ، مما أدى إلى التأثر بها بسبب تعامل التجار العرب والمسلمين التجاري والإنساني الودي والوثيق مع السكان المحليين ، ومن اجل ذلك اتخذت اللغة السندية الخط العربي رسما لها ، كما أخذت بعض الألفاظ الهندية طريقها إلى اللغة العربية على لسان التجار العرب فيما يتعلق بمهنتهم[١٢٨] .

وقد حاول الاستعمار الأوربي في اضعاف اللغة العربية والقضاء عليها وإيقاف انتشارها ، لكن مخطط المستعمرين لم يوقف انتشار اللغة العربية ، بل زاد رواج اللغة العربية في مختلف العصور ، ودليل ذلك شواهد القبور الكثيرة الموجودة في سومطرة وجاوه تعطينا نموذجاً في ثقافة العرب وأدبياتهم في الشعر والنثر ، وتمتاز شواهد القبور التي صنعت من الرخام أو الحجر بكتابات عربية بالخط الكوفي أو النسجي أو غيرها وبالزخارف والنقوش الإسلامية الجميلة على شكل نباتات وأزهار مكونة من تداخل الكلمات ، وهي صنعة فنية قد برع فيها العرب والمسلمون وتعتبر من ابرز مقومات تراثهم الفني[١٢٩].

والتاريخ الذي كتب على هذه الشواهد بالتاريخ الهجري وعلى بعضها دونت أبيات من الشعر العربي ، وهذا يثبت لنا قوة اللغة العربية وانتشارها في تلك المنطقة[١٣٠] .

ومن ناحية ثانية أكدت الدراسات الحديثة اثر اللغة العربية في لغة المنطقة حيث يوجد حوالي ١٣٥٣ كلمة عربية في لغة الملايو . فالمعجم الديواني الذي يعد أهم معجم ماليزي في الأوساط العلمية والثقافية قد أشار إلى نسبة الكلمات العربية الموجودة في اللغة الملاوية حيث تصل نسبتها إلى ٤٩% وهي تتصل مباشرة بالنواحي الدينية من جميع جهاتها الفقهية والصوفية والكلامية[١٣١] .

والتأثيرات أيضا كانت على الجانب الأدبي والثقافي للمنطقة ويعتبر الأدب المحلي القائم على التأثير الإسلامي الجديد والحكايات الهندوكية القديمة ، فأسلوب ومحتوى الأعمال الأدبية متأثرة بالغة العربية ، فالحكايات تذكرنا بحكايات (الف ليلة وليلة) ، والقصص العربية المأثورة ، وقد اشتهرت قصص (الأمير حمزة) وراجت في جميع الأوساط الشعبية ، وكثيرا من هذه الحكايات ترتبط بالبحر وأهواله ، والتشابه مع التراث الأدبي الشعبي المعروف في اندونيسيا والفلبين والملايو ، وربما يعود هذا الشبه إلى التجار والرحالة الذين قصدوا تلك المنطقة والعلاقات والروابط التجارية والثقافية والاجتماعية والدينية مع سكان منطقة جنوب شرق أسيا[١٣٢] .

د – العادات والتقاليد التجارية .

ان من أقدم وأقوى وسائل الاتصال مع منطقة جنوب شرق أسيا هو التبادل التجاري ، فعن طريق التجارة انتقلت منذ أقدم العصور العناصر الحضارية والثقافية من شعب إلى أخر، وبصورة خاصة العناصر المادية كالأدوات والبضائع والملابس والأطعمة وغير ذلك من أدوات الاتصال والمواصلات[١٣٣] ، والعرب والمسلمين وخاصة التجار قد حملوا الإسلام إلى هذه المنطقة وكانت لهم نفس العادات تقريبا في اللباس والبساطة في الطعام وطريقة تناوله وبهذا فقد اندمج العرب الوافدون مع أهل البلاد الأصلية واستطاعوا بسهولة الاندماج والاختلاط معاً [١٣٤] .

وبما ان منطقة جنوب شرق أسيا هي من المناطق التجارية المهمة منذ القدم لذا فان أهم أعمال سكانها هو الاهتمام بالتجارة والمتاجرة بالبضائع والترحيب بالتجار . فعندما يصل

إلى السواحل مركب تجاري ، فكانت عادة هذا المجتمع ان يخرج أهل المنطقة إليه بقوارب صغيرة ومع كل شص منهم جوز النارجيل الأخضر ليعطيه إلى احد التجار ، وتكون بذلك دعوة له حتى يكون هذا التاجر نزيله (أي ضيفه) فيحمل أمتعته إلى منزله ويرحب به وكأنه واحد من أقاربه ويقدم له الخدمة والضيافة طول فترة بقاءه في المنطقة[١٣٥] .

ومن عادات جزيرة ذيبة المهل[١٣٦] ان مراكب التجار الغرباء لا تستطيع ان ترسوا على الساحل إلا بأذن السلطان ، وإذا أذن لهم بالنزول فرض عليهم الدخول على السلطان وان يرمى ثوبا عند قدميه كمظهر من مظاهر الاحترام والتقدير[١٣٧] .

ومن الأساليب التجارية المتبعة مع الوافدين إلى هذه المنطقة ، عدم التعامل مع التجار الوافدين مباشرة ، بل جرت العادة انه عند وصول مركب تجاري في أي منطقة من مناطق الجزر ان ينزل التجار إلى الساحل مع البضائع ، وتترك هناك حتى يتم التبادل مثلا بالتوابل التي تشتهر به هذه المنطقة منذ القدم ، وقد كان الحصول عليها بأثمان غالية في العصور القديمة والحديثة ، وبالتالي يعودون إلى سفنهم ، ويبتون فيها حتى الصباح فينزلون إلى الساحل مرة أخرى ليجدوا إلى جانب البضائع شيئا من التوابل أو إحدى أنواع التوابل ، فإذا رضي التاجر بتلك الكمية أخذها وترك البضاعة ، اما في حالة الزيادة يترك بضاعته وإحدى أنواع التوابل التي تركت معها مثل القرنفل ويعود إلى مركبه ، وهذا يكون بمثابة عدم الرغبة والرضا في المبادلة لقلة الكمية ، ويبقى في مركبه حتى تتم الزيادة[١٣٨] .

ومن العادات المتبعة في المنطقة عندما يدخل التاجر على ملك أو سلطان فلا يجلس إلا متربعا ولا يجوز له مد رجليه أو ان يجلس غير تلك الجلسة ، فتكون عليه غرامة ثقيلة[١٣٩] . وإذا صادف ان تحطم مركب أو غرق ونجا احد راكبيه مع شيء من أمواله عندها يساعده أهل المنطقة بأخذه إلى منازلهم ويطعمونه مما يأكلون ولا يأكل الرجل الذي يستضيفه في منزله حتى يأكل ضيفه أكراما له ويبقى عنده حتى قدوم سفينة أخرى حيث يسلمونه مقابل ذلك هدية بسيطة[١٤٠] .

وقد نشا من خلال التقدم التجاري وازدهاره بين العرب المسلمين وأهل المنطقة وبعد ان توسعت وانتشرت الجاليات الإسلامية ، فكان يرأسهم مسلم ولا يقبلون حكم غير المسلمين منهم ولا يتولى ولا يقيم عليهم غير شهادة المسلمون وان قل عددهم ، وإذا كان في العيد

صلى بالمسلمين نائب عن الملك ويجب ان يكون مسلما وخطب فيهم وهذا ما قد ذكره سليمان التاجر عندما زار مدينة خانقوا في الصين " والتجار العراقيين لا ينكرون في ولايته شيئا من أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الإسلام "[١٤١] .

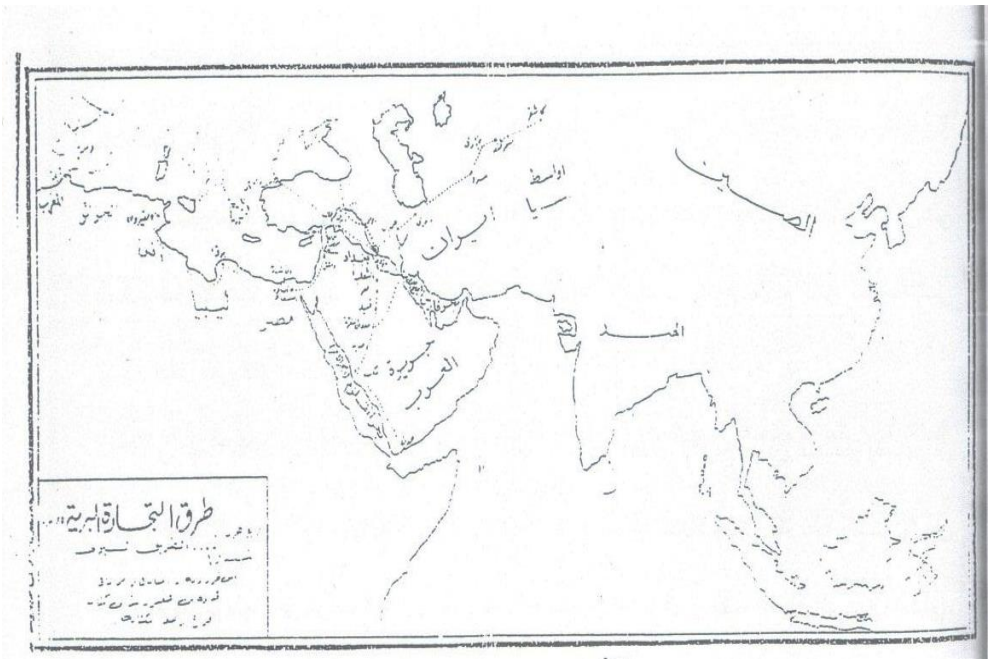

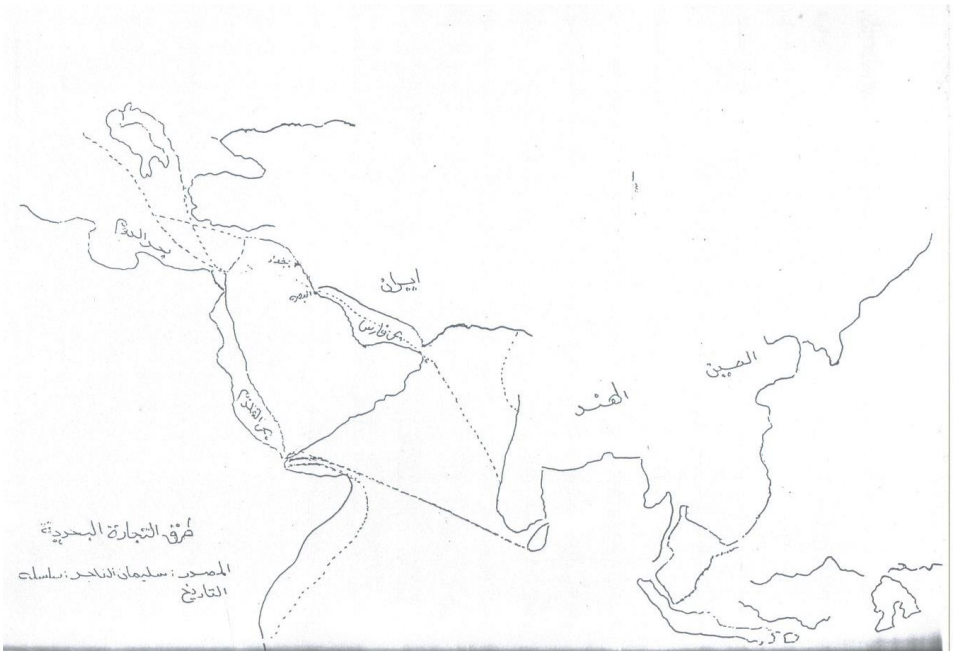

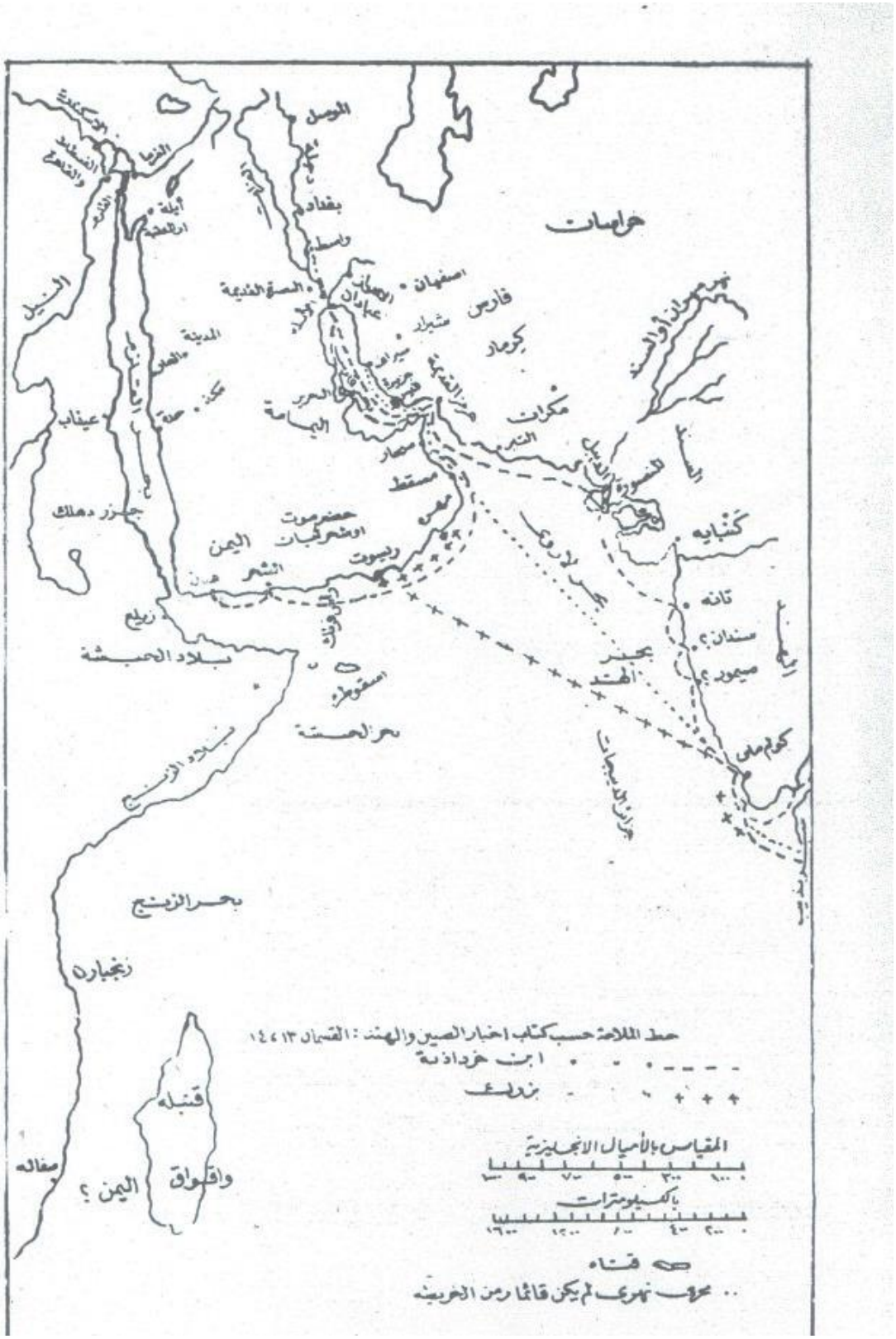
الموصل
بغداد
واسط
حلوان
أصفهان
فارس
كرمان
مكران
السند
كنبايه
تانه
سندان؟
صيمور؟
الهند
بحر الهند
بحر الحبشة
بحر الزنج
زنجبار
قنبله
واقواق
اليمن؟
صفاله
حوامات
خط الملاحة حسب كتاب اخبار الصين والهند: القسم ١٣، ١٤
ابن خرداذبة
بزرك
المقياس بالأميال الانجليزية
بالكيلومترات
قناه

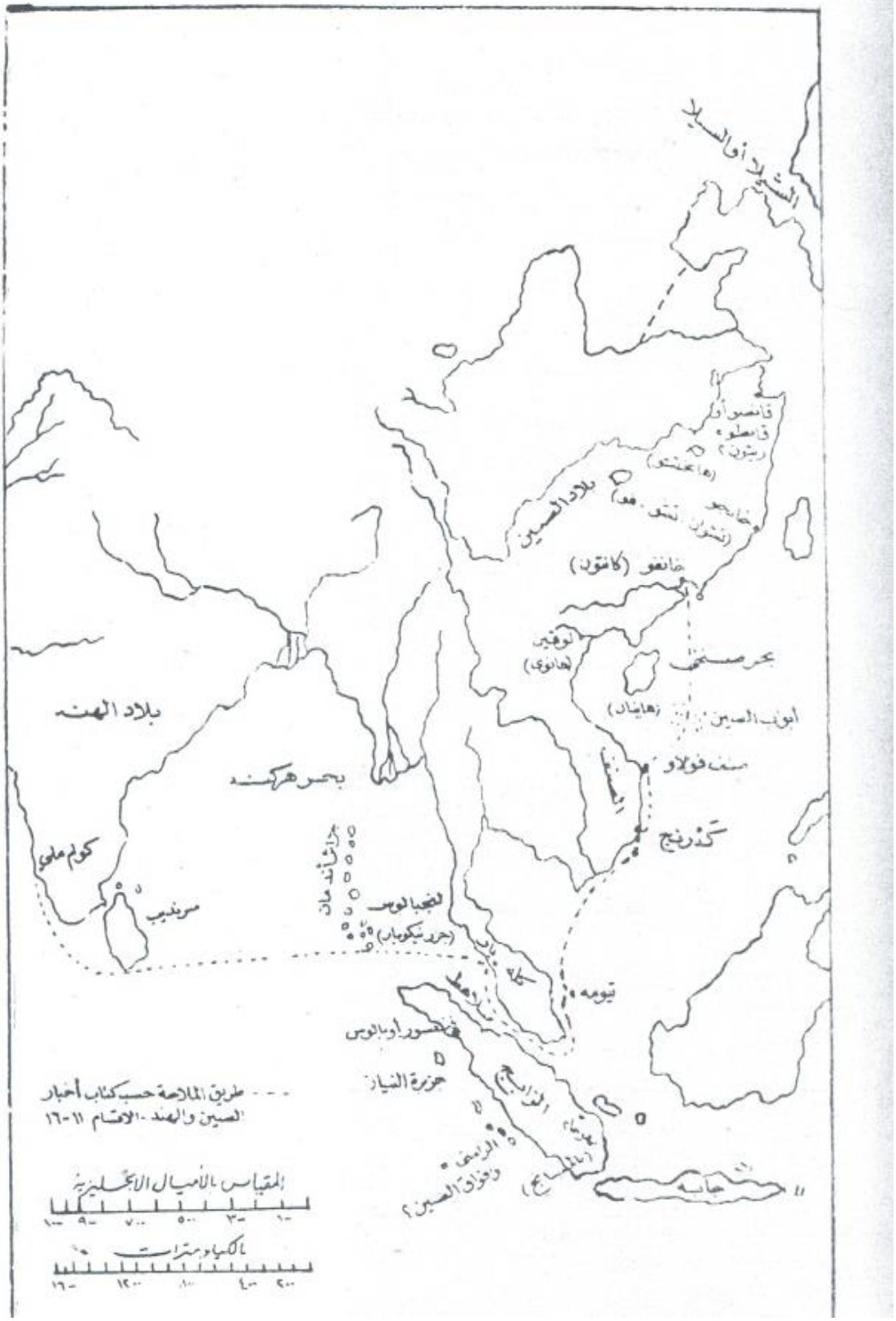
بلاد الصين
خانفو (كانتون)
بلاد الهند
بحر هركند
كولم ملي
سرنديب
جزائر ديبة
(جزر نيكوبار)
تيومه
جزيرة السيار
جاوه
طريق الملاحة حسب كتاب أخبار الصين والهند - الاقسام ١١-١٦
المقياس بالأميال الانجليزية
بالكيلومترات

الخاتمة

من خلال الخوض في تفاصيل ومحتويات بحثنا الموسوم بـ " اثر حركة التجارة العربية الإسلامية ودورها في نشر الإسلام ومظاهر حضارته في جنوب شرق أسيا " رأينا اهتمام الدولة العربية الإسلامية بالتجارة بشكل كبير والعمل على تشجيعها وازدهارها ، وقد جاء التأكيد على أهمية وقيمة التجارة في مواضع عدة في القران الكريم وأيضا تأكيد الرسول الكريم (ﷺ) على مكانة ومنزلة التاجر العالية عند الله سبحانه وتعالى ، وما زاد في أهميتها أنها كانت مهنة الأنبياء ومنهم الرسول الكريم محمد (ﷺ) وقد امتهنها أيضا بعض الصحابة ، وحثوا الناس على العمل بها . وهكذا حظيت التجارة بهذه المكانة والقيمة العالية في الإسلام ، حتى عدت من المهن الشريفة والشرعية .

ومما ساعد على تشجيع التجار العرب وتوطيد العلاقات والروابط التجارية مع مناطق وأقاليم أخرى بعيدة أو قريبة ، هو موقع الدولة العربية في موقع وسط بين الشرق والغرب وتشجيع الدور التجاري بنقل بضائع ومواد الشرق إلى الغرب والغرب إلى الشرق .

والاهتمام بالتجارة مع جنوب شرق أسيا منذ وقت مبكر قبل وبعد الإسلام والعلاقات التجارية التي ربطت بلاد العرب بشعوب المنطقة والتي نمت وتطورت ولاسيما بعد ظهور الإسلام والهيمنة العربية على طرق التجارة جعلت العالم الإسلامي يشكل معبراً وعقدة مواصلات أساسية بين الشرق والغرب ، وبهذا فقد أصبحت التجارة العربية وخاصة البحرية التي برع بها العرب والمسلمون مسلكا من المسالك العظيمة في انتشار الإسلام إلى سواحل الهند وجنوب شرق أسيا .

وقد رأينا دور العرب والمسلمين الذي كان دور مباشر بفضل التجارة والتجار من جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي وخاصة الحضارمة والعمانيين الذين حملوا الإسلام إلى مختلف المناطق والتي أصبحت ضمن العالم الإسلامي آنذاك إلا أنها لم تدخل ضمن الحدود السياسية للدولة العربية الإسلامية . فكان دخول الإسلام في منطقة جنوب شرق أسيا منذ القرن الأول للهجرة وذلك بفضل الصلات القائمة القديمة والقوية بين المنطقتين ، فكان للتجار الحضارمة دوراً مهم في نشر الإسلام في جزر المنطقة وأهمها جزيرتا سومطرة وجاوه .

ومن خلال هذا البحث رأينا ارتباط موضوعين معا ، ويكمل احدهما الأخر ، إلا هو اثر الهجرة والتجارة في نشر الإسلام في جنوب شرق أسيا ، فهما مرتبطان ببعضهما في جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والحضارية .

ولاحظنا توسع حركة التجارة العربية الإسلامية توسعا كبيراً ونشاطا لا نظير له في المحيط الهندي وخاصة مع الصين عن طريق سرنديب ، حتى أصبح لهم أماكن استقرار في شتى سواحله وجزره . ونتيجة للهجرة والاستقرار في هذه المنطقة كان الاختلاط والتزاوج بين العرب المستقرين وأهل المنطقة من السكان المحليين .

وكذلك فقد ارتبط انتشار الإسلام بانتشار اللغة العربية ، فقد حلت هذه اللغة في كل منطقة نزل بها المسلمون ، فأصبحت اللغة العربية لغة علم كما هي لغة دين وأدب وسياسة ، فاستطاعت اللغة العربية في ظل انتشار الإسلام في المنطقة ان تصبح هي اللغة المقروءة والمكتوبة بعد ما كانت اللغة السنسكريتية وبعض اللغات المحلية مثل اللغة الملاوية واللغة الجاوية ، هي السائدة في المنطقة ، ويرجع السبب إلى مرونة اللغة العربية وقدرتها على دمج الحروف وابتكار كلمات ومصطلحات جديدة لتشمل مختلف المجالات الفكرية والدينية والثقافية والفنية .

الهوامش

(١) بولو ، ماركو ، ماركو بولو مغامراته واستكشافاته ، تأليف : رشارد ، جي . ولشن ، ترجمة : حسن حسين الياس ، مراجعة : سمير ، عزام ، تقديم : جعفر خياط ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٥٩م ، ص١١٣-١١٤؛ السنباطي ، د٠ محمد احمد ، حضارتنا في اندونيسيا (دراسة عن الآثار الجنسية والدينية والفكرية ،ط١،دار القلم ، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،ص٥١ .

(٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغزي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : حجر عاصي ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨م،ص ٤٦ ؛ الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت بعد ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، شرحه ووضع هوامشه : د٠مفيد محمد قميحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م ،ج٢،ص٤٠٧ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٤٦؛ الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج٢،ص٤٠٧ ؛ السنباطي ، حضارتنا في اندونيسيا ، ص ٥١ ؛ السامر ، د٠فيصل ، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ،ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م، ص٩-١٠ .

(٤) سومطرة : جزيرة في اندونيسيا ون تسمياتها القديمة الرامني أو الرامي أو لامبري . انظر : الالوسي ، عادل محي الدين ، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٤م، ص٢٥٢ .

(٥) جاوه : جزيرة باندونيسيا جنوب بورينو وجنوب شرق سومطرة . انظر : أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ، تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود ، والبارون ماك كوكين ديسلان ، (طبع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية) ، ١٨٤٠م، ص٣٦٨ .

(٦) البكري ، صلاح ، هجرة العرب إلى اندونيسيا ، مجلة الثقافة المصرية ، عدد ٣٨٩ ، ١٩٤٦م ،ص٢٠ ؛ عبد الصاحب ، شيماء سالم ، التجارة الخارجية في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ،ص٩٩ .

(٧) الالوسي ، تجارة العراق البحرية ،ص١٣٢ .

(٨) سرنديب : هي سيلان قديما وحاليا هي سريلانكا .انظر : الالوسي ، تجارة العراق البحرية ع اندونيسيا،ص٢٥٢ .

(٩) الملايو أو أرخبيل الملايو : مجموعة ضخمة من الجزر جنوب شرق أسيا في المحيطين الهندي والهادي ، تشمل اندونيسيا والفلبين . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ط٢ المحدثة ، دار الجيل ، القاهرة ، ٢٠٠١م ،م١ ، ص١٦١ .

(١٠) ملقا : جزيرة تقع على الساحل الجنوبي الغربي لساحل شبه جزيرة الملايو . انظر : الالوسي ، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا ، ص٢٥٤؛ السامر ، الأصول التاريخية ، ص٢٩ .

(١١) السامر ، م٠ن ،ص٩ ؛ السنباطي ، حضارتنا في اندونيسيا ، ص٥١ .

(١٢) اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، ط٢، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ،ج٢، ص٢٠٧ ؛ ياسين ، نجمان ، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨،ص٥٠-٥١ .

(١٣) القرآن الكريم ، سورة قريش ، آية ١-٤ .

(١٤) العلي ، د٠صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨١م، ج١ ،ص٩٣ .

(١٥) السامر ، الأصول التاريخية ، ص١٣ .

(١٦) الرامهرمزي ، بزرك بن شهريار الناخذاه (ق ٤هـ/١٠م) ،عجائب الهند بره وبحره وجزايره ، ليدن ، ١٨٨٦م ، ص١٥٦ ؛ المقريزي ، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت ، (د٠ت) ،ج١،ص١٦ .

(١٧) الرامهرمزي ، عجائب الهند بره وبحره وجزايره ، ص١٥٦ .

(١٨) كورموندل أو كورمنيدل : منطقة ساحلية في جنوب الهند . انظر : الالوسي ، تجارة العراق ، ص٢٥٣ .

(١٩) لوبون ، د٠غوستاف ، حضارة الهند ، نقله إلى العربية : عادل زعيتر ، دار أحياء الكتب العربية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ص٤١٦-٤١٨ .

(٢٠) كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام بمراجعته : ايغور بليايف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧م ،ق١ ،ص١٤١ .

(٢١) لوبون ، حضارة الهند ، ص ٤٢٠ .

(٢٢) المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٨م) ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، باريس (د٠ت) ، م١ ،ص٢١٦-٢١٧ .

(٢٣) الطبري ، أبو جعفر بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، دي غويه ،بريل ، ليدن ، ١٨٧٩م ، ج٢،ص١٨٣ .

(٢٤) الطبري ، م.ن ، ج٢،ص١٨٤ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،م٢،ص٢٠٧ .

(٢٥) السيرافي ، أبو زيد الحسن بن يزيد (ت٣٠٣هـ/٩١٥م) ، رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندنوسيه سنة ٢٢٧هـ/٨٥١م ، نشر : علي البصري ، طبع دار منشورات البصري ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ،ص١١ ؛ سليمان التاجر ، رحلة إلى الصين والهند ، سلسلة التواريخ ، باريس ، ١٨٨١م ،ص٧١ .

(٢٦) الدجيلي ، د. خولة شاكر ، محاضرات في تاريخ الإسلام في جنوبي شرق أسيا ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، (د٠ت) ، ص ٨٥ .

(٢٧) السامر ، الأصول التاريخية ،ص٤١ .

(٢٨) المقريزي ، الخطط ،ج١ ،ص١٦ ؛ وجزائر السيلي : هي جزائر سولاويس في اندونيسيا . انظر : الالوسي ، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا ، ص ٢٥١ .

(٢٩) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان ، ١٩٨٨م ، ص٤١٩ ؛ البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) ، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، عالم الكتب ، بيروت ، د٠ت ،ص٤٧ ؛ الساداتي ، احمد محمود ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ج١ ،ص٥٧- ٥٨ .

(٣٠) كلانجا – جبارا : مملكة في اندونيسيا . انظر : السنباطي ، حضارتنا في اندونيسيا ، ص ١٨٤ .

(٣١) السنباطي ، حضارتنا في اندونيسيا ، ص ١٨٥ .

(٣٢) مملكة بيرلاك : وهي المملكة التي تقع في شمال غربي سومطرة . انظر : الالوسي ، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا ، ص ٢٥٨ .

(٣٣) الالوسي ، المصدر السابق ، ص٢٥٨ .

(٣٤) م ٠ن ،ص ٢٥٩ .

(٣٥) عثمان ، د٠شوقي عبد القوي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م) ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص٨ ،٤٥ ؛ العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص ٢٦ .

(٣٦) كله : تقع في أرخبيل الملايو في ماليزيا وكانت في الأصل مركزا تجاريا مهما . انظر : السامر ، الأصول التاريخية ، ص ١٤٥ .

(٣٧) متز ، ادم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده ، اعد فهارسه : رفعت البدراوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د٠ت) ، م٢ ،ص٤٣٧-٤٣٨ ؛ العاني ، حقي إسماعيل إبراهيم ، أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل وفي صدر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، ص٣٣ .

(٣٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢،ص٢٦١-٢٦٢ ؛ المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ١٠٦-١٢٣ .

(٣٩) اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه : أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص٢٢ .

(٤٠) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص١٤١-١٤٢ .

(٤١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م ،ص ٦٢ ،٦٥ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، م٢ ، ص ٤٣٧ .

(٤٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٩٢ ،٩٤ .

(٤٣) السيرافي ، رحلة السيرافي ، ص٩-١٠ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٩٢ .

(٤٤) متز ، الحضارة الإسلامية ، م٢ ، ص٤٣٨ ؛ العاني ، أسواق العرب التجارية ، ص٤٠ .

(٤٥) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩م ، ص٦٠ .

(٤٦) الفرسخ : يساوي ٣ أميال ، الذراع ٣ أشبار ، البريد يساوي أربع فراسخ ، المرحلة تساوي ٦ فراسخ وثلث الفرسخ . انظر : ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠هـ/٩٠٢م) ، الاعلاق النفيسة ، طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٨٩١م ، ص٢٢ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ،ص١٥ .

(٤٧) الخشبات : وهي علامات منصوبة من خشب البحر عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل ، خوفا على المراكب من ان تقع خور في فم البحر مما يلي الابلة وعبادان . انظر : المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، م١ ، ص١١٦ .

(٤٨) الدردور : موضع يدور فيه الماء فإذا سقط فيه المركب لم يزل يدور فيه حتى يتلف . انظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٦٠-٦١ .

(٤٩) ابن خرداذبة ، م٠ن ، ص ٦٠-٦١ ؛ سليمان التاجر ، سلسلة التواريخ ، ص ١٥ .

(٥٠) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٦٣-٦٤ ؛ سليمان التاجر ، سلسلة التواريخ ، ص١٥-١٦ .

(٥١) المقصود من كولي وملي هي كولم ملي : وهي ميناء جنوب الملبار وتعرف اليوم باسم كويلون . انظر : عثمان ، تجارة المحيط الهندي ،ص٩١ .

(٥٢) انكبالوس أو لنكبالوس : إحدى جزر النيكوبار . انظر : عبد الصاحب ، التجارة الخارجية في العصر الأموي ،ص١٤٧ .

(٥٣) جايه : إحدى جزر ماليزيا الآن ، وقيل هي إحدى جزر الهند . انظر : م٠ن ، ص١٤٧ .

(٥٤) شلاهط : مضيق ملقا الآن ، ويظن ان شلاهط اسم المضيق في لغة الملايو . انظر: م٠ن ،ص١٤٧ .

(٥٥) خانقو أو كانتون : هي المرفأ الأكبر وهي من أبواب الصين على النهر ، ومدينة وعاصمة مقاطعة كوانجتونج جنوب الصين . انظر : أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٦٥ ؛ والموسوعة العربية ، ص ٣١ ، ١٩٢٥ .

(٥٦) خانجو : وهي من أبواب الصين على النهر . انظر : أبو الفداء ، م٠ن ،ص٣٦٥ .

(٥٧) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،ص٦٢-٦٩ ؛ سليمان التاجر ، رحلة إلى الصين والهند ، ص ١٦- ٢٠ .

(٥٨) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٩٥ .

(٥٩) ابن خرداذبة ، م٠ن ، ص ٧٠- ٧١ ؛ السيرافي ، رحلة السيرافي ،ص٩٠ . ولمعرفة أنواع المواد المصدرة والمستوردة وفوائدها . انظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٠٨-٢١٥ .

(٦٠) السيرافي ، رحلة السيرافي ،ص٩٠ ؛ الصمادي ، رائد احمد سليمان ، طريق الحرير وأهميته الإدارية والاقتصادية في القرنين ٣ ، ٤هـ / ٩ ، ١٠ م في المشرق الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ٣١ .

(٦١) السيرافي ، رحلة السيرافي ، ص٩٠ .

(٦٢) م٠ن ،ص ٩٠ .

(٦٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٦٠ ؛ عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص٤٥ .

(٦٤) الدسكره : وهي مدينة واقعة في طريق خراسان قريبة من شهربان . انظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ،ط١ ، دار صادر ، بيروت ،١٩٩٥م ، م٢ ،ص٤٥٥ .

(٦٥) قصر شيرين ، موضع قريب من قرمسين بين همذان وحلوان . انظر : ياقوت الحموي ، م٠ن ،م٤ ،ص٣٥٨ .

(٦٦) مرج القلعة : موضع على طريق بغداد – خراسان . انظر : م٠ن ،م٥ ،ص١٠١ .

(٦٧) قصر يزيد : موضع في طريق بغداد – المشرق الإسلامي يمر بعد مرج القلعة باتجاه الزبيدية . ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٦٥ .

(٦٨) قرميس : موضع بين همذان وحلوان على جادة الحاج . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٦٩) شيراز : هو منزل بين حلوان وقرمسين . انظر : م٠ن ،م٣ ،ص٣١٨-٣٢١ .

(٧٠) الدكان : قرية كبيرة بين قرمسين وهمذان . انظر : م٠ن ،م١ ،ص٣٠٢ .

(٧١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٨-٢٢ ؛ قدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق : د٠محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١م ،ص١٢٥ .

(٧٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٢-٢٤ .

(٧٣) م٠ن ،ص٢٤ .

(٧٤) الصمادي ، طريق الحرير ،ص٢١ .

(٧٥) سرخس : مدينة كبيرة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،م٣ ،ص٢٠٨ .

(٧٦) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٤ .

(٧٧) م٠ن ،ص٢٥ ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ،ص١٠٠-١٠١ .

(٧٨) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٦ ؛ الصمادي ، طريق الحرير ، ص٢١ .

(٧٩) زامين : بليدة من نواحي سمرقند ومن أعمال اشروسنة . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،م٣ ،ص١٢٨ .

(٨٠) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٧ .

(٨١) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م١ ،ص ١٢٢ .

(٨٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، م١،ص ١٢٢ .

(٨٣) خاوص : بلدة من وراء النهر من اشروسنة . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،م٣،ص ٣٤٢ .

(٨٤) طراز : بلدة قريبة من اسبيجان وهي من ثغور الترك . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ،ص٢٢٧ .

(٨٥) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢٨-٢٩ .

(٨٦) الصمادي ، طريق الحرير ،ص٢٢ .

(٨٧) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م١ ،ص ١٠٦-١٠٧ ؛ السامر ، الأصول التاريخية ، ص٣ .

(٨٨) الملتان : مدينة نحو المنصورة في الكبر وتسمى بيت الذهب وبها الصنم الأعظم للهند . انظر : ابن حوقل ، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م ،ص٢٧٧-٢٧٨ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٣٥؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، م١، ص١٣٣ ؛ ويصفها بـ " فرج الذهب" .

(٨٩) المسعودي ، م٠ن،م١ ،ص١٢٢-١٢٣ .

(٩٠) أحسن التقاسيم ،ص٣٢٤-٣٢٥ .

(٩١) متز ، الحضارة الإسلامية ،م٢،ص٣٧٢ .

(٩٢) اليعقوبي ، البلدان ،ص١٢-١٣ ؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٨ .

(٩٣) ابن خرداذبة ، م٠ن ، ص٢٧-٢٩ ،٣٠-٣١ ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٢٠٦-٢٠٨ .

(٩٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤١٨-٤١٩ .

(٩٥) م٠ن ،ص٤ .

(٩٦) الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ/٩٩٩م) ، مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ،١٩٤٢م ،ص٤٢ .

(٩٧) المسالك والممالك ،ص١٨-١٩ .

(٩٨) م٠ن ،ص١٨ ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ١٩٧ .

(٩٩) م٠ن ،ص ٢٦٤ .

(١٠٠) البلدان ، ص٢٠٨-٢١٥ .

(١٠١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٤٢ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٦٢-٣٦٣ .

(١٠٢) فتوح البلدان ، ص٤٠٩ .

(١٠٣) السامر ، الأصول التاريخية ، ص ٩ .

(١٠٤) ماركو بولو مغامراته واستكشافاته ، ص ١٠٧ .

(١٠٥) السامر ، الأصول التاريخية ، ص ٤٦-٤٧ .

(١٠٦) السنباطي ، حضارتنا في اندونيسيا ، ص٦٨ .

(١٠٧) م٠ن ،ص ٧٨ .

(١٠٨) م٠ن ، ص ٧١ .

(١٠٩) البكري ، هجرة العرب إلى اندونيسيا ، ص ٥٨٠ .

(١١٠) المقريزي ، الخطط ،ج١ ،ص٢٥ ؛ القيسي ، غنية ياسر كباشي عبد الله ، اثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق أسيا في العصور الإسلامية المتأخرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ،ص٦٠-٦١ .

(١١١) القيسي ، م٠ن ، ص ٤٤ .

(١١٢) الظالمي ، وجدان محمد حسن جواد ، الحياة الاجتماعية في مجتمعات جنوب شرق أسيا الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ،ص٩٨ .

(١١٣) مؤنس ، د. حسين ، الإسلام الفاتح ، مطبعة الزهراء ، ١٩٨٧م ،ص٢٧ .

(١١٤) البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ١٤٧ ؛ الالوسي ، تجارة العراق البحرية ،ص١٥٨ (ومن هذه الدول الإسلامية التي قامت وكان لها دور مهم في نشر الإسلام هما ديماك واتارام) .

(١١٥) شلبي ، د٠احمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،ط٣،ج٨،ص٤٤٨ ؛ الالوسي ، تجارة العراق البحرية ،ص١٤٤ ؛ الدجيلي ، تاريخ الإسلام في جنوبي شرق أسيا ، ص١١٤ .

(١١٦) السامر ، الأصول التاريخية ، ص٤٨ .

(١١٧) مملكة ماجاباهيت : تعتبر اكبر مملكة نشأت في منطقة جنوب شرق أسيا قبل الإسلام وقد فرضت سيطرتها حتى جزيرة سرنديب ، سواء الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية ثم ضعفت وانتهت تدريجيا بانتشار الإسلام في المنطقة . انظر : الندوي ، عبد الرزاق بن وان ، اللغة العربية في ماليزيا بعد الاستقلال ١٩٥٧-١٩٨٧م ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص٢٦-٢٧ .

(١١٨) السامر ، الأصول التاريخية ، ص٤٧ .

(١١٩) شلبي ، موسوعة التاريخ ، ج٨،ص٤٤٨ .

(١٢٠) الاندونيسي ، عبد الخالق ماسيدين ، انتشار اللغة العربية في اندونيسيا ، بغداد ، ١٩٦٩م ، ص ٦٧-٦٨ .

(١٢١) علي ، محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٣، ١٩٦٨م ،ج١،ص١٧٨ ، ١٨٠ .

(١٢٢) علي ، م٠ن ، ج١،ص١٨٨-١٨٩ ؛ الساداتي ، تاريخ المسلمين ، ج١، ص٧٧ ، ٧٨ .

(١٢٣) السامر ، الأصول التاريخية ، ص ٦٢ .

(١٢٤) م٠ن ،ص ٦٣ .

(١٢٥) مؤنس ، الإسلام الفاتح ،ص٣٨ .

(١٢٦) الاندونيسي ، انتشار اللغة العربية ،ص١٣٥ .

(١٢٧) الندوي ، اللغة العربية في ماليزيا ،ص٢٥٨-٢٥٩ .

(١٢٨) عثمان ، تجارة المحيط الهندي ، ص٤٦-٤٧ .

(١٢٩) السامر ، الأصول التاريخية ، ص ٦٦ .

(١٣٠) م٠ن ،ص٦٦ .

(١٣١) الندوي ، اللغة العربية في ماليزيا ،ص٢٧٠-٢٧١ .

(١٣٢) السامر ، الأصول التاريخية ، ص ٧٢ .

(١٣٣) م٠ن ،ص٦١ .

(١٣٤) شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ،ج٨ ،ص٤٤٨ .

(١٣٥) ابن بطوطة ، شمس الدين أبي عبد الله محمد اللواتي الطنجي (ت٧٠٧هـ/١٣٧٧م) ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه : عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ،م٤ ، ص٥٩ .

(١٣٦) ذيبة المهل : هي جزائر المالديف جنوب الهند .انظر: ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ،م٤، ص٥٣ .

(١٣٧) م٠ن ،م٤ ،ص٥٣ .

(١٣٨) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،م١ ،ص ١٢٠.

(١٣٩) الرامهرمزي ، عجائب الهند بره وبحره ، ص ١٥٤ .

(١٤٠) م٠ن ،ص ١٢٧ .

(١٤١) السيرافي ، رحلة السيرافي ، ص ٣٤ ؛ الالوسي ، تجارة العراق البحرية ، ص ١٥٩ .

قائمة المصادر

(١) ابن بطوطة ، شمس الدين أبي عبد الله محمد اللواتي الطنجي (ت٧٠٧هـ/١٣٧٧م) ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه : عبد الهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ،م٤.

(٢) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩م .

(٣) ابن حوقل ، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .

(٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغزي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : حجر عاصي ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨م.

(٥) ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠هـ/٩٠٢م) ، الاعلاق النفيسة، طبعة دي غويه، ليدن ،١٩٨١م .

(٦) أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود ، والبارون ماك كوكين ديسلان ، (طبع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية) ، ١٨٤٠م .

(٧) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت بعد ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)
المستطرف في كل فن مستظرف ، شرحه ووضع هوامشه : د٠مفيد محمد قميحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م ،ج٢ .

(٨) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)
فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان ، ١٩٨٨م .

(٩) البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، عالم الكتب ، بيروت ، د٠ت .

(١٠) الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ/٩٩٩م) ، مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ،١٩٤٢م .

(١١) السيرافي ، أبو زيد الحسن بن يزيد (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)
رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندنوسيه سنة ٢٢٧هـ/٨٥١م ، نشر : علي البصري ،
طبع دار منشورات البصري ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .
(١٢) الطبري ، أبو جعفر بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)
تاريخ الرسل والملوك ، دي غويه ،بريل ، ليدن ، ١٨٧٩م ، ج٢ .
(١٣) المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٨م)
مروج الذهب ومعادن الجواهر ، باريس (د٠ت) ، م١ ، م٢ .
(١٤) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م .
(١٥) المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
(١٦) المقريزي ، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت ، (د٠ت) ،ج١ .
(١٧) قدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق : د٠محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١م .
(١٨) ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ،ط١ ، دار صادر ، بيروت ،١٩٩٥م ، م١،م٢،م٣،م٤ .
(١٩) اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، ط٢، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ،ج٢ .
(٢٠) اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه :أمين ضناوي، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

قائمة المراجع

(٢١) البكري ، صلاح ، هجرة العرب إلى اندونيسيا ، مجلة الثقافة المصرية ، عدد ٣٨٩ ، ١٩٤٦م .

(٢٢) بولو ، ماركو ، ماركو بولو مغامراته واستكشافاته ، تأليف : رشارد ، جي . ولشن ، ترجمة : حسن حسين الياس ، مراجعة : سمير ، عزام ، تقديم : جعفر خياط ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٥٩م .

(٢٣) الدجيلي ، د٠ خولة شاكر ، محاضرات في تاريخ الإسلام في جنوبي شرق أسيا ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، (د٠ت) .

(٢٤) الالوسي ، عادل محي الدين ، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٤م .

(٢٥) السامر ، د٠فيصل ، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ،ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

(٢٦) السنباطي ، د٠ محمد احمد ، حضارتنا في اندونيسيا (دراسة عن الآثار الجنسية والدينية والفكرية ،ط١،دار القلم ، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢٧) سليمان التاجر ، رحلة إلى الصين والهند ، سلسلة التواريخ ، باريس ، ١٨٨١م .

(٢٨) شلبي ، د٠احمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،ط٣،ج٨ .

(٢٩) الصمادي ، رائد احمد سليمان ، طريق الحرير وأهميته الإدارية والاقتصادية في القرنين ٣ ، ٤هـ / ٩ ، ١٠ م في المشرق الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

(٣٠) الظالمي ، وجدان محمد حسن جواد ، الحياة الاجتماعية في مجتمعات جنوب شرق أسيا الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

(٣١) عبد الصاحب ، شيماء سالم ، التجارة الخارجية في العصر الأموي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

(٣٢) العاني ، حقي إسماعيل إبراهيم ، أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل وفي صدر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، ص٣٣ .

(٣٣) الموسوعة العربية الميسرة ، ط٢ المحدثة ، دار الجيل ، القاهرة ، ٢٠٠١م ،م١ .

(٣٤) العلي ، د٠صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨١م، ج١ .

(٣٥) الرامهرمزي ، بزرك بن شهريار الناخذاه (ق ٤هـ/١٠م) ،عجائب الهند بره وبحره وجزايره ، ليدن ، ١٨٨٦م .

(٣٦) لوبون ، د٠غوستاف ، حضارة الهند ، نقله إلى العربية : عادل زعيتر ، دار أحياء الكتب العربية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

(٣٧) كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام بمراجعته : ايغور بليايف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧م ،ق١ .

(٣٨) الساداتي ، احمد محمود ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ج١ .

(٣٩) عثمان ، د٠شوقي عبد القوي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م) ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٤٠) علي ، محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٣، ١٩٦٨م ،ج١.

(٤١) القيسي ، غنية ياسر كباشي عبد الله ، اثر الإسلام على النهضة الفكرية في جنوب شرق أسيا في العصور الإسلامية المتأخرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

(٤٢) متز ، ادم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده ، اعد فهارسه : رفعت البدراوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د٠ت) ، م٢ .

(٤٣) مؤنس ، د. حسين ، الإسلام الفاتح ، مطبعة الزهراء ، ١٩٨٧م .

(٤٤) ياسين ، نجمان ، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨ .

اثر حربي يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ على الفنون والادب في مصر

م.د. عمر عناد حمود مطلك

المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار / وزارة التربية

اثر حربي يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ على الفنون والادب في مصر

م.د. عمر عناد حمود مطلك

The impact of the wars of June 1967 and October 1973 on the arts and literature in Egypt

M.D. Omar Anad Hamoud Mutlak
General Directorate of Education in Anbar Governorate / Ministry of Education
fhufyffxu@gmail.com

Keywords: war, Egypt, novel, theater, poetry

Abstract

The research dealt with the impact of the October 1973 war on the arts and literature. The research discussed some of the cultural assumptions that prevailed in the Egyptian street before the 1967 war, which was complete disdain for the enemy. The Egyptian media played a role in portraying the "Israelis" as cowardly people who care only about acquiring coins and who suffer from suffocation. In their voices, the matter escalated until it reached the scientific corridors, where it was not acceptable to present any serious study on the true conditions of the enemy, and the only acceptable thing was to present studies and analyzes that confirmed the collapse of the enemy from within and that its fate was to disappear, whether by self-decomposition or by throwing it into the sea when it was ready. The 1967 war produced a new product from songs, films, and plays that embody the reality of defeat and its pain, which was evident in a group of artistic works that expressed reality, pain, and hope. Many songs were also produced that express the reality of setback, rejection of defeat, and hope for victory, and are filled with the nature of sadness filled with pity that is protected by pride from indulging in ruminations on defeat. Then came the war of attrition, in which the national song played a wonderful role in inciting enthusiasm and focusing on the tomorrow that would bring victory.

The research dealt with the various arts dealing with these events. At the level of the novel, the research discussed the novels of Youssef Al-Qaid as an embodiment of the state of society's thought at that time, especially since those novels reflected his personal experience during the period of his recruitment and his departure from the village of Al-Dhahriya, the center of Itay Al-Baroud, and to face the world of the city as a conscript in the ranks of the armed forces, and the formation of his awareness International and local narratives, and on the

cinematic level, egyptian cinema was filled with several films after 1967, none of which dealt with the reality of the setback at all, and under the leadership of Abdel Nasser, the strength of the nationalist spirit, and the historical ability of egyptians to comprehend and absorb defeat. perhaps this was part of the call launched by the New cinema group, which sought to trace the state of egyptian society. As for poetry, the shock of the setback was painful on the poets who represented the conscience of the nation, but they hoped for their positions in their poetry that would inflame the enthusiasm of the masses, and thus the rest of the arts dealt with these events.

المستخلص

تناول البحث اثر حرب اكتوبر ١٩٧٣ على الفنون والادب ، إذ ناقش البحث بعض المسلمات الثقافية التي سادت لدى الشارع المصري قبل حرب ١٩٦٧ وهي الاستخفاف بالعدو استخفافاً كاملاً، وادى الإعلام المصري دوراً في تصوير (الاسرائيليين) كأشخاص جبناء لا يحفلون إلا باقتناء القطع النقدية ويعانون من الخنق في أصواتهم وتصاعد الأمر حتى وصل إلى الأروقة العلمية حيث لم يكن من المقبول تقديم أية دراسة جادة عن الأوضاع الحقيقة للعدو وكان المقبول الوحيد هو تقديم الدراسات والتحليلات التي تؤكد انهيار العدو من الداخل وأن مصيره إلى زوال سواء بتحلله ذاتياً أو بإلقائه في البحر حين تتهيأ ، وبعد حرب ١٩٦٧ افرز إنتاجا جديداً من الاغاني والأفلام والمسرحيات التي تجسد واقع الهزيمة وآلامها الذي تجلى في مجموعة من الاعمال الفنية التي عبرت عن الواقع والألم والأمل ، كذلك أنتجت العديد من الأغنيات التي تعبر عن واقع النكسة ورفض الهزيمة والأمل في النصر وتمتلئ بطابع الحزن المفعم بالشجن الذي يصونه الكبرياء من الانغماس في اجترار الهزيمة، ثم جاءت حرب الاستنزاف التي ادت الاغنية الوطنية دوراً رائعاً في إلهاب الحماس والتركيز على أن الغد الذي سيأتي بالنصر .

عالج البحث تناول مختلف الفنون لتلك الاحداث فعلى مستوى الرواية ناقش البحث روايات يوسف القعيد تجسيداً لحالة فكر المجتمع في ذلك الوقت لاسيما أن تلك الروايات عكست تجربته الشخصية في فترة تجنيده وخروجه من قرية الظهرية مركز ايتاى البارود ولوجه عالم المدينة مجنداً في صفوف القوات المسلحة ، وتشكل وعيه القصصي العالمي والمحلى وعلى صعيد السينمائي ، فقد حفلت السينما المصرية بعدة افلام بعد ١٩٦٧ لم يتناول أيا منها واقع النكسة نهائيا ،وتحت زعامة عبد الناصر وقوة الروح القومية ، وقدرة المصريين التاريخية على استيعاب الهزيمة وامتصاصها ولعل هذا كان وارد الدعوة التي أطلقتها جماعة السينما الجديدة والتي سعت الى تتبع حالة المجتمع المصري ، أما جانب الشعر فقد كانت صدمة النكسة أليمة على الشعراء الذين كانوا يمثلون وجدان الامة الا انهم ترجوا مواقفهم في اشعارهم التي كانت تلهب حماس الجماهير ، وهكذا تناولت بقية الفنون هذه الاحداث .

الكلمات المفتاحية: حرب ، مصر ، رواية ، مسرح ، شعر

المقدمة

تعد حرب عام ١٩٦٧ وحرب عام ١٩٧٣ مع (اسرائيل) نقطتا تحول في مسار الصراع العربي الإسرائيلي ولا سيما على المستوى الثقافي والفكري ، وتعد الاثار على الفنون والاداب التي خلفتها حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ من المواضيع المهمة ذلك انها تعبر عن واقع وثقافة وتفكير الشعب ، وإدراكاً لأهمية الفنون والاداب ودورها في رسم وعي وتفكير الشعوب والامم في المنازلات الكبرى او عندما تكون على المحك وقع اختيار الباحث على موضوع البحث .

حرب أكتوبر رابع مواجهة عسكرية بين الدول العربية وإسرائيل، وجاءت بعد مدة طويلة من التخطيط بين البلاد العربية ، وبتنسيق بين مصر وسوريا ، وضغط مصري على الاتحاد السوفيتي لتعويض الأسلحة والمعدات التي فقدت في حرب ١٩٦٧، كانت حرب أكتوبر حدثا فريدا بلا شك ، بل نقطة تحول في مسار الصراع العربي الإسرائيلي.

انقسم البحث على مقدمة وعدة محاور وخاتمة ، فجاء المحور الاول آثار حرب يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ ، والمحور الثاني تناول اثرهما في الفنون والادب والمحور الثالث تناول اثرهما في السينما والمحور الرابع كرس للمسرح والمحور الخامس تضمن اثرهما في الشعر والمحور السادس اثرهما على مستوى الرواية والقصة وتوصل الباحث الى حقائق مهمة تم عرضها في الخاتمة ، وثبت بالمصادر التي اعتمدت في انشائه .

آثار حرب يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣

كانت المؤسسة العسكرية المصرية ليست جيشاً أو قواتا مسلحة فقط، ولكنها قوة وطنية دافعة لتطوير المجتمع المصري فكريا وسياسياً واجتماعيا واقتصادياً وتنموياً والشاهد على ذلك هو: صفحات التاريخ القريب منذ معارك ابراهيم باشا في شمال الوطن العربي وبلاد الشام حيث نقل العروبة مع الجنود المصريين لتلك المناطق في مواجهة الصبغة التركية والطورانية التي أظلمت تلك المناطق من الوطن العربي ويعتبر هذا أول عمل سياسي تقوم به المؤسسة العسكرية المصرية في بداية إعادة نشأتها الحديثة ثم كان دور المؤسسة العسكرية المصرية أيام الثورة الأعرابية، ثم عقب معاهدة عام ١٩٣٦ عندما بدأت كل طبقات المجتمع في الانخراط في سلك الجندية، إن المؤسسة العسكرية المصرية ليست هي

العصا الغليظة للحاكم على رأس المحكومين كما في العديد من البلدان وإنما هي قوة دافعة نحو النهوض السياسي والتطور المجتمعي داخل مصر إنها القوة الوطنية السياسية والاجتماعية التي تحظى بحب معظم الوطنيين في مصر وأما القاعدة الشعبية العريضة في مصر فيربطها بالمؤسسة العسكرية عُرى وثيقة لا تنفصم [١].

إن المجتمع المصري شأنه شأن سائر المجتمعات في العالم واجه على مدار تاريخه الطويل الممتد والضارب في أعماق التاريخ العديد من المواقف البعض منها انتصارات والبعض الآخر ليس كذلك ولسنا نعلم أبداً شعباً أو مجتمعاً حقق على مدار تاريخه انتصارات فقط ولم يتعرض لهزائم أو انتكاسات ومصر شأنها شأن الجميع إلا أنها كانت دائماً ما تخرج من كبواتها، والحرب عموما هي اقصى ما يهدد وجود الشعوب وأشد ما يواجه المجتمعات[٢].

مثلت حرب يونيو ١٩٦٧ نقطة فاصلة في تاريخ التحولات التي شهدها المجتمع المصري في تاريخه وذلك لأن الصراع العربي الإسرائيلي ليبس مجرد صراع عسكري فقط ، ولكنه صراع حضاري بالغ الضراوة ألقى هذا الصراع الضوء على السمات العامة المميزة للشخصية المصرية ونوعية البناء[٣]، لدى كل طرف من أطراف الصراع، وإذا كانت نكسة يونيو عام ١٩٦٧ قد أتاحت الفرصة للذات الاسرائيلية أن تتضخم ، فقد اعادتها حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ إلى حجمها الطبيعي وصححت الموازين وفرضت على اسرائيل أن ترتد إلى حجمها الطبيعي بلا تهوين أو تهويل[٤]، وقد برز على الساحة السلوك القومي[٥]، للشخصية المصرية والذي يمكن القول إنه خليط من ردود الفعل السلبية والإيجابية معا فقد كانت هناك مبالغة في نقد الذات القومية وظهرت نظريات عديدة تتحدث عن الفجوة الهائلة بيننا وبين العدو والاندفاع في تيار واضح الى التدين الظاهري في محاولة للتكفير عن جرم ٦٧ اما على جانب ردود الفعل الإيجابية ، فكان أهمها على الاطلاق حدثين مهمين : أحدهما : هو هبت الشعب المصري في ٩ و١٠ يونيو ٦٧ معلنا رفض الهزيمة والاستسلام والوقوف إلى جانب القيادة السياسية والجيش المصري بغض النظر عما حدث [٦]، وثانيهما : هو انعكاس نتائج معركة رأش العش على المجتمع المصري بما يوحي بعدم تقبل الهزيمة وعدم اليأس والإصرار على الأخذ بالثأر[٧]، ثم جاءت معارك الطيران والمدفعية يومي ١٤و١٥ يوليو

١٩٦٧ لتثبت نتائجها بأن الادارة المصرية لم تنكسر وأعقبها إغراق المدمرة الاسرائيلية إيلات في ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ لتؤكد ذلك [٨] وكانت مصر على خلاف ما توقعت لها اسرائيل والغرب من أنها سوف تستسلم لليأس ، فلم يكن هناك مصري واحد يقبل أن يبقي جزء من تراب وطنه تحت الاحتلال الاسرائيلي حيث شرعت مصر على الفور بعد نهاية يونيو ٧٦ في إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بمعاونة الاصدقاء وخاض الشعب المصري وجيشه معارك الاستنزاف والاشتباكات المتفرقة حتى قيام حرب أكتوبر وسقوط نظرية الأمن الاسرائيلي[٩]، فعلى الرغم من عدم وضوح الرؤية العامة للقادة العسكريين والضباط والجنود في يونيو ١٩٦٧ إلا أن الساحة لم تخلو من بطولات خارقة من بعض الأفراد والوحدات إلا أن هذه البطولات فقدت روعتها في خضم الهزيمة التي أسدلت ستائرها على أية صورة مشرقة من البطولة ، فكانت القوات المسلحة المصرية في موقف لا تحسد عليه بعد أن فقدت ٨٠% من معداتها وأسلحتها وحيدت قواتها الجوية وأخرجت من المعركة بعد ساعة ونصف من بدايتها وتبعثرت القوات المصرية المنسحبة في معسكرات غرب القناة دونما مهام أو أوامر واضحة لها ، وراهنت اسرائيل خطأ إن تلك القوات العائدة سوف تطيح بنظام عبد الناصر، ولم تكن تتصور إن أولئك الضباط والجنود هم من سوف يذيقون اسرائيل مرارة الهزيمة في اكتوبر ٧٣ بعد ست سنوات [١٠]، كانت أحداث يونيو ١٩٦٧ وما بعدها تهدف في الاساس إلى الاغتيال المعنوي لعبد الناصر[١١]، بعد أن فشلت عدة محاولات في اغتياله مادياً [١٢]، لذت كان لزاما على القيادة السياسية في مصر أعادة التأهيل النفسي للمجتمع المصري وللمقاتل الذي سوف يخوض الحرب القادمة مع العدو، فبعد يونيو ٦٧ كانت أشق المهام هي رفع الروح المعنوية للمقاتل أولاً وللمجتمع ثانياً لأنه ظهير المقاتل اثناء المعركة، وكانت رأس العش[١٣]، ومعارك حرب الاستنزاف والاشتباكات المتقطعة قبيل ١٩٧٣، هي تطعيم المعركة والنقطة التي أعادت للمقاتل المصري الثقة في نفسه وأعادت ثقة المجتمع المصري في جيشه، يقول المشير أحمد إسماعيل : كنت أتحدث إلى الجنود والضباط والقادة وبإصرار إن القضة لن تحل إلا بالحرب، لكن البعض كان يبتسم كأنني أتحدث عن خيال ربما تسلل بعض اليأس إلى نفوسهم، وعندما كان يقال بأن مصر وسوريا سوف تتحدان في عمل عسكري مشترك اعتبر البعض هذا تحليق في متاهات غير واقعية وأن تنفيذه دربا من

دروب الخيال، ولكنني وإيماناً بالله وبقيادة القوات المسلحة وإيماناً برجالها كنت على يقين واقتناع بأن تلك الظروف عارضة وأنها لن تفت في عضد الرجال ولن تؤثر في معدن الانسان المصري المقاتل الذي حارب وانتصر عبر العصور، وأبادر هنا مركزاً على أنني لم أغير من هؤلاء الرجال أو ابدلهم تبديلاً وكل ما فعلته هو أننى هيأت لهم المناخ المناسب والظروف الملائمة لتتأجج نفوسهم وتتوهج تحت وهج جوهرهم الأصيل كانت مهمتى في سبيل ذلك أن أوكد على إعادة الثقة للرجال برفع روحهم المعنوية، كنت قتنع طوال مدة خدمتي بالقوات المسلحة أن الرجل – لا السلاح – هو الذي ينتصر فالنصر يتكون أولا في قلوب الرجال، ثم يكتسبه الرجال في ساحات المعارك [١٤].

زادت الثقة في نفوس المقاتلين، فقد كان جميع المقاتلين يتسابقون تطوعا للعبور والاشتراك في عمليات الاستنزاف وعمليات خلف الخطوط وعمليات القوات الخاصة وعمليات الإغارة والكمين شرق القناة وأصبح الجميع بلا استثناء يتوق شوقاً للعبور وتنفيذ أعمال تعرضية [١٥]، ضد العدو وكنتيجة مباشرة لحرب الاستنزاف زالت عن أذهان المقاتلين صورة الجندي الاسرائيلي الذي لا يقهر[١٦]، وترسخت قناعة لدى المقاتلين بأن هزيمة اسرائيل شيء ممكن وليس مستحيلاً ولعل التناغم بين الجنود والضباط من جهة ، وبين جنود المؤهلات العليا والمتوسطة والجنود العادة من جهة أخرى قد شكل سيمفونية رائعة أثناء عمليات أكتوبر وقد صورت السينما المصرية – مرآة المجتمع – ذلك في أفلام اكتوبر، فالجندي الذي حمل على ظهرت عشرات الكيلو جرامات من الأسلحة والذخائر وعبر بها قناة السويس متسلقا سلالم الحبال واندفع لعمق سيناء مدمراً أحدث ما وصلته إليه الترسانة الامريكية من دبابات ومدرعات بأسلحته الصغيرة وصواريخه المحمولة هو نفسه الجندي الذي نفذ أوامر الانسحاب من سيناء في يونيو ٦٧ [١٧].

كانت أهم نتائج انتصار اكتوبر ١٩٧٣ على الأطلاق تصحيح مسار الشخصية الفكرية المصرية وما لحقها من خلل، فقد أطلق انتصار اكتوبر جيلا مدركا للأوضاع الجديدة في ظل متغيرات دولية سريعة ومتمسكا بطابعه القومي وأهدافه القومية في إطار توازن دقيق بين تقاليد الأمه ومصالحها ومشاكلها ومتمسكا أيضاً بالقيم الدينية والروحية المميزة لطابع الشخصية الفكرية المصرية [١٨].

وخلاصة ما سبق يلخصها الرئيس السادات في حديثه مع مجلة التايمز حيث يقول : إن المؤرخين سوف يتجادلون طويلا حول ما إذا كان الجيش المصري قد احرز بالفعل انتصارا عسكريا في حرب اكتوبر قد اعادت للعالم العربي قدراً كبيراً من الثقة بالنفس كانوا في أشد الحاجة إليها وكانت غائبة عنهم منذ النكسة [١٩].

اثر الحربين في الفنون والآداب

سادت مسلمات ثقافية لدى الشارع المصري منذ حرب ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٦٧ قوامها الاستخفاف بالعدو استخفافاً كاملاً، ولعب الإعلام المصري دوراً كاملاً في تصوير افراد العدو كأشخاص جبناء لا يحفلون إلا باقتناء القطع النقدية ويعانون من الخنق في أصواتهم وتصاعد الأمر حتى وصل إلى الأورقة العلمية حيث لم يكن من المقبول تقديم أية دراسة جادة عن الأوضاع الحقيقة للعدو وكان لمقبول الوحيد هو تقديم الدراسات والتحليلات التي تؤكد انهيار العدو من الداخل وأن مصيره إلى زوال سواء بتحلله ذاتياً أو بإلقائه في البحر حين تتهيأ الظروف[٢٠]، كما حفلت الساحة المصرية قبيل عام ١٩٦٧ بالعديد من الأغاني والروايات والأفلام التي تلهب الحماس عند جموع الشعب المصري وتصور الحرب مع العدو الاسرائيلي على أنها نزهة ما تلبث أن تنتهي في ساعات قليلة ويكون نهايتها إلقاء اسرائيل في البحر وإقامة اقواس النصر في القاهرة [٢١]، وعلى قدر الشحن العاطفي والانفعالي الذي سبق معركة عام ١٩٦٧، كان الإحساس بالإحباط وخيبة الأمل الذي اكتنف الجماهير التي كانت تتخيل الحرب مع إسرائيل مجرد نزهة والمشكلة الفلسطينية ستحل في ساعات فإذا بمشكلة مصر تنشأ في أيام [٢٢]، لذا أفرز واقع عام ١٩٦٧ إنتاجا جديداً من الاغاني والأفلام التي تجسد واقع الهزيمة وآلامها الذي تجلى على سبيل المثال في أغنية المسيح التي غناها عبد الحليم حافظ في قاعة ألبرت هول في لندن أمام أكثر من ٨ ألاف مستمع بعد حرب عام ١٩٦٧ وتبرع بكامل أجره فيها لصالح المجهود الحربي[٢٣]، كما غنى موال النهار تعبراً عن الواقع والألم والأمل، كذلك أنتجت العديد من الأغنيات التي تعبر عن واقع النكسة ورفض الهزيمة والأمل في النصر وتمتلئ بطابع الحزن المفعم بالشجن الذي يصونه الكبرياء من الانغماس في اجترار الهزيمة، ثم جاءت حرب الاستنزاف حيث لعبت الاغنية الوطنية دوراً رائعاً في إلهاب الحماس والتركيز على أن الغد سيأتي بالنصر[٢٤].

– اثرهما في السينما:

أما على الجانب السينمائي ، فقد حفلت السينما المصرية بعدة افلام بعد الهزيمة بلغ إجمالي عددها في العام ١٩٦٧ عدد ثلاثة وثلاثين فيلما لم يتناول أيا منها واقع النكسة نهائياً [٢٥] ربما رغبة من المصريين بعدم ذكر كبوتهم في ٦٧ أو ربما تحت ضغط سحر زعامة عبد الناصر وقوة الروح القومية ، وقدرة المصريين التاريخية على استيعاب الهزيمة وامتصاصها [٢٦] . ولعل هذا كان وارد الدعوة التي أطلقتها (جماعة السينما الجديدة) والتي أسست عام ٦٨ والتي سعت الى تتبع حالة المجتمع المصري وضمت تلك الجماعة مجموعة من شباب السينمائيين المتحمسين، والذين جمع بينهم إحساس الهزيمة المر واستطاعت انتاج فيلمين فقط بالمشاركة مع القطاع العام السينمائي عام ١٩٧١ هما : فيلم اغنية على الممر للمخرج علي عبد الخالق ، وفيلم ظلال على الجانب الأخر للمخرج غالب شعث وقد تأخر الثاني عن العرض لمدة ثلاث سنوات كاملة [٢٧].

وبأستعراض فيلم اغنية على الممر وهو من إنتاج عام ١٩٧١ سيناريو وحوار مصطفى محرم وإخراج علي عبد الخالق وقصة الفيلم مستوحاة من مسرحية اغنية على الممر للكاتب علي سالم وأغاني الفيلم للشاعر عبد الرحمن الأبنودي[٢٨]، حيث تدور أحداث الفيلم حول فصيلة مشاة مصرية يتم حصارها أثناء حرب عام ١٩٦٧ وهم يدافعون عن إحدى الممرات الاستراتيجية في سيناء ويرفضون الاستسلام ويتناول الفيلم مشاعر الجنود أثناء الحصار وهي مزيج من الإحباط والذكريات وطموحات ما قبل الحرب والهزيمة والأماني إذا ما عادوا بعد الحصار لأهاليهم وأثناء وقت الحصار الطويل يحكي كل مجند عن حياته ومعاناته الإتسانية وعثراته وفشله ونجاحه [٢٩]. والفيلم يجسد واقع ومرارة الهزيمة وشجاعة الجندي المصري رغم الهزيمة وقلة الامكانات ويغوص في أعماق المجتمع المصري من خلال عناصره وهي أفراد الموقع المحاصر وقصص وحكايات كل منهم[٣٠]، وقدم الفيلم بذلك لغة جديدة للسينما لم تعهدها مصر وهي : إلقاء الضوء على الهزيمة مع الأمل في النصر، هذا الممر الذي صمد عنده جنود الموقع ليس مجرد ممر في سيناء – لكنه الممر الموصل للحياة الجديدة التي تنتظر مصر بعد النصر[٣١]، أيضا أنتج في تلك الفترة ١٩٧١/١٩٧٢ فيلم العصفور[٣٢]، من تأليف وإنتاج وإخراج يوسف شاهين ويصور الفيلم مرحلة الهزيمة ،

وبذلك بقيت الهزيمة العسكرية التي منيت بها مصر في منأى عن تناول سينما الستينيات لها ، فلم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب من عمق الجرح القومي النازف[٣٣]، ويبدو أن الشعارات التي رفعتها الدولة عن ضرورة الصمود والتصدى وإزالة آثار العدوان، ومصر أولا وقبل كل شيء قد جعلت الدولة تلتف إلى حل مشاكل إعداد الدولة للحرب عسكريا واقتصاديا التي اعتبرت في منزلة الأولويات وتنصرف عن النشاطات الفكرية والثقافية نوعا ما [٣٤].

- اثرهما في المسرح

أما على مستوى المسرح فقد كان لانصراف الدولة ، كشريك أساسي في العملية المسرحية ، وتخليها عن رعاية المسرح دور في عودة المسرح التجاري إلى الظهور مرة أخرى ليضطلع بالمسؤولية كاملة، واعتمد في ذلك على فناني ومخرجي المسرح الكوميدي التابع للدولة في الستينات، إلا أنهم توجهوا بمضامين مسرحياتهم وجهة جديدة تختلف كلية عن وجهته في الستينيات، إذ اتجهت وبشكل سريع متلاحق الخطى إلى تقديم مضامين بعيدة كل البعد عن النواحي الفكرية والثقافية، واعتمدت بشكل واضح على التسلية والترفيه[٣٥]، أما فعليا فلم تظهر سوى مسرحية واحدة تمثل واقع الهزيمة تحولت لفيلم فيما بعد وهي اغنية على الممر بالإضافة إلى بعض الأعمال الهزيلة والتي تعتمد على رمزية حرب الاستنزاف وكأن للمسرح دور مهم إذ بث روح التحدي في النفوس وكانت هناك الكثير من العروض التي عبرت عن رفضها للاستكانة والاستسلام والانكسار وضرورة الثأر واستعادة الثقة ومن تلك المسرحيات ((كوابيس في الكوابيس)) تأليف سعد الدين وهبة ، وإخراج كرم مطاوع عام ، ١٩٦٧ و ((وطني عكا)) تأليف عبد الرحمن الشرقاوي ، وإخراج كرم مطاوع عام، ١٩٦٩ وليلة مصرع جيفارا تأليف ميخائيل رومان والنار والزيتون تأليف الفريد فرج ، وإخراج سعد أدرش كما شاركت الفرق المسرحية الأخرى بتقديم عروضها ، فقدمت فرقة المسرح الحديث عام ١٩٦٨ أغنية على الممر إخراج أنور رستم ، وقدم مسرح الجيب عرض رسالة الى جونسون عام ١٩٦٧ تأليف عبد الرحمن الشرقاوي ، إخراج كرم مطاوع ، كما قدمت فرقة ((مسرح الحكيم))عام ١٩٦٧ مسرحيتين من تأليف محمد العفيفي وإخراج جلال الشرقاوي وهما : ((أرض كنعان أو فلسطين ٤٨)) و ((الصليب)) كما قدمت عام ١٩٦٩ مسرحية ((زهرة من دم)) تأليف سهيل إدريس ، وإخراج كمال ياسين ، و ((جان دارك))

تـأليف جـان أنـوى ، وإخـراج أحمـد زكـي عـام ، ١٩٧٠ و (شمشـنون ودليلـة) تـأليف معـين بسيسو ، وإخراج نبيل الألفى عام ، ١٩٧١ وقدمت فرقة مسرح الجيب ((ثورة الزنج)) تأليف معين بسيو وإخراج نبيل الألفى ، و ((الغول)) تأليف بيتر فايس ، وإخراج أحمد زكي عام ١٩٧١ فضلا عن مسرحيات ((السلطان الحائر))) لتوفيق الحكيم ، ((الدخان)) لميخائيل رومان ، و ((يا سلام سلم الحيطة بتتكلم)) و (سكة السلامة) و ((الاستاذ)) لسعد الدين وهبة ، و ((حلاق بغداد)) و((عسكر حرامية)) لألفريد فرج ، ((الفرافير)) ليوسف إدريس ، ((انت الى قتلت الوحش)) و ((عفاريت مصر الجديدة)) لعلى سالم .

-اثرهما في الشعر:

أمـا الـى جانـب الشـعر فقد كانـت صـدمة النكسـة أليمـة علـى الشـعراء جيـل الستينيات الذين كـانوا يمثلون الموجـة التاليـة فـي لا شـعر العربـي لجيل الـرواد وكـانوا مـا زالوا يحـاولون وضـع أقدامهم فـي ساحة الشعر وقد لمـع من هذا الجيل العديد مثل : فاروق شوشه، وبدر توفيق ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وأمل دنقل ، ومحمود درويش وغيرهم الذين شكلت النكسة نقطة تحول فـي الرؤيـة الشعرية لهذا الجبل فقد حاول الانطـلاق إلـى استلهام التراث القومي لإبـراز المفارقـات الكامنـة بـين الماضـي المجيـد والحاضـر الأليم وتجسـيد المعانـاة فرديـة وجماعية وتطورت المفاهيم الشعرية وانفتحت على الآداب والثقافات الآخرى، واهتم بالتكثيف والتركيب والرمز واستدعاء تقنيات المسرح والسينما والموسيقى والفنون وهكذا صارت القصيدة العربية في زي عصري لائق وأخذت بمعطيات العصر وتقنياته [٣٦].

وقد كانت النكسة في عام ١٩٦٧ مبعثاً على تحولات جديدة في الشعر العربي ولعل أبرز تلك التحولات ما طرأ على شعر نزار قباني من تحولات متمثلة في قصيدته الأشهر " هوامش على دفتر النكسة " والتي مثلت بداية التاريخ للقصيدة السياسية في شعر نزار قباني ولعل قوله في نفس القصيدة :

يا وطني الحزين
حولتني بلحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
الى شاعر يكتب بالسكين

هو أبرز دلالة على ذلك التحول حيث أصبح غالب شعره مغموساً بالسية ومتضمناً احتجاجه ومعارضته وغضبه حزناً على وطنه [٣٧] وكانت هوامش على دفتر النكسة دافعا لتكوين رأى عام في مصر ضد أشعار نزار قباني وتزعم كل من صالح جودت وأنيس منصور ذلك الاتجاه فأصدرت وزارة الاعلام المصرية قرارها بمنع قصائده من الإذاعة ومصادرة دواوينه وعدم السماح له بدخول مصر وذلك بالرغم من أن نزار قباني كان يعتبر جمال عبد الناصر بطلا اسطورياً وليس شخصا عاديا ، وكان استناد المثقفين في هذه الحملة على أن اعماله تسعى إلى اشاعة القتامة والعدمية القومية والدمار النفسي [٣٨] إلا أن جمال عبد الناصر قد ألغى كل تلك التدابير التي أتخذت بحق نزار قباني وسمح بتداول قصيدته هوامش على دفتر النكسة وطلب إلى وزارة الاعلام إلفغاء كل تلك الاجراءات وأن يدخل الشاعر نزار قباني إلى مصر متى أراد وأن يكرم فيها كما كان في السابق [٣٩]، ومن الشعراء الذين تأثروا كثيراً بواقع النكسة أيضاً أمل دنقل في قصيدته البكاء بين يدي زرقاء اليمامة والتي يفرد فيها الشاعر لدراما الموت في ١٩٦٧ باع طويل لا حدود له فالموت ماثل في كل شيء وشاخص في الجدران حيث يوظف أمل دنقل كل مفردات البناء الفني لقصيدته ليقدم صورة نابضة لدراما الموت [٤٠].

وشهدت السينما في فترة ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة صناعة كم من الافلام ربما لا يليق بعظمة وجلال الحدث فبالرغم من أن تفاصيل تلك الحرب ملحمة كبرى لو امتلكها شعب من شعوب العالم لصنع من بعض تفاصيلها ملاحم سينمائية تعيش على مر الأجيال ، ولكن للأسف مرت السينما المصرية على الحدث مرور الكرام وتجاهلت السينما الرحب بعد بضع سنوات في السبعينيات في الوقت الذي ما زالت فيه السينما العالمية تعاود اجترار اصغر تفاصيل أحداث الحروب الكبرى والصغرى حتى وإن كانت هي الطرف المنهزم ، ولكن مع مرور الوقت على حرب أكتوبر فقدت السينما المصرية اهتمامها بالحدث من حيث وقع اللحضة وصدق تدفق المشاعر وعمق الأحساس اللصيق [٤١].

وعادة ما يفسر بعض النقاد والسينمائيون فشل السينما الروائية التي صنعت حول أكتوبر نتيجة للنزعة التجارية والميل إلى استغلال الحدث وربما أيضاً نتيجة لنقص

الامكانيات المادية المتاحة ولكن عموماً فأن ذلك لا يفسر مستوى المتواضع لمعظم أفلام حرب اكتوبر اللهم إلا واحداً أو اثنين فقط منهما [٤٢].

تعاملت السينما مع حرب اكتوبر من خلال مشاركة هزيلة بعدد ستة أفلام فقط هي : الرصاصة لا تزال في جيبي، وبدور، والوفاء العظيم، وأبناء الصمت، وحتى أخر العمر، والعمر لحظة، وهي لا تخرج عن كونها أفلا للمناسبات تخاطب تشوق المتفرجين لرؤية صور نصر عظيم لم يشاهدوه [٤٣].

وهذه الافلام انتجت بعيد حرب ١٩٧٣ في أعوام ١٩٧٤، ١٩٧٥ وحتى ١٩٧٨ وجميع خذخ الأفلام ألقت الضوء على أحول الشارع المصري والمجتمع المصري في فترة ما قبل الحرب وأثنائها وأحياناً بعدها .

ويعد فيلم الرصاصة لا تزال في جيبي (وبالرغم من ضعف مستواه) من أهم الأفلام [٤٤]، التي أنتجت عن حرب أكتوبر في فترة ما بعد الحرب مباشرة لأنه يجسد واقع المجتمع المصري في الفترة الممتدة من ١٩٦٧ وحتى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ [٤٥]، وقد عرض الفيلم في ٦ اكتوبر ١٩٧٤ وهو قصة لإحسان عبد القدوس[٤٦]، وإنتاج محسن علم الدين وإخرج حسام الدين مصطفى والسيناريو والحوار رأفت الميهي ورمسيس نجيب [٤٧]، الفيلم وروايته يمثل الرمزية في كل صورة وأحداثه حيث كانت الرمزية هي لغة معظم الأعمال في تلك الفترة [٤٨] .

وتبدأ أحداث الفيلم في سيناء عام ١٩٦٧ عقب النكسة مباشرة ، وفي هذا الجزء بصورة معاناة أفراد الجيش عقب صدور الأوامر لهم بالانسحاب وفرار المجند المصري –محمد – إلى غرة بعد النكسة وهو يجسد هنا رمزيا الجيش المصري بعد النكسة واستمرار احتفاظه برصاصة في جيبه يمثل اصرار الجيش المصري على الثأر ، ويمثل مشهد سخرية ركاب القطار من المجند محمد انسحابه من مواجتهتهم لأنه تمرن على الانسحاب مسبقاً [٤٩] .

ليجسد هذا المشهد حالة الكآبة والسخرية من الواقع الذي عاشها الشعب المصري بعد النكسة وبالرغم من أن ذلك يؤكد على إن الشعب لا يزال يثق في جيشه بالرغم من النكسة ، أما مجتمع قرية الكوم الأخضر (قرية المجند محمد) فتمثل المجتمع بما فيه من سلبيات والتي يمثلها رمزيا رئيس الجمعية التعاونية والتي عكس الفيلم فسادها والذي ينخر في المجتمع

كالسوس الذي ينخر في الخشب من الداخل وأنه أحد اسباب النكسة ويمثل عبدالله والد فاطمة وعم محمد أفراد الشعب المصري المنتفعين من النكسة والمتريحين منها وهم فئة قليلة .

وتقوم بدور فاطمة نجوى ابراهيم والتي تعتبر محمد (الجيش المصري) الأب والأخ والحبيب والصديق والحضن الذي تلجأ إليه دائماً وتصطدم فاطمة بعباس والذي يستغل والدها الذي يسعى إلى الربح دائماً ويفقد عباس فاطمة شرفها ثم يخفي ولا يعلم أحد أين ذهب (وذلك بعد ١٥ مايو عام ١٩٧١) ثورة التصحيح ، ويصور الفيلم في كل لقاء وفي كل مشهد تجسيد المؤلف لأحوال المجتمع المصري ويمثل أيضاً سيطرة ما عرف ب مراكز القوى (عباس) على جميع مفاصل الدولة بعد ٦٧ وحتى ثورة التصحيح [٥٠] ، ولعل (إحسان عبد القدوس) قد استلهم قصة الفيلم من كلمات الرئيس السادات حين قال في خطاب النصر أكتوبر ٧٣ استعادت الأمة الجريحة شرفها [٥١]، وهذا يعكس كم كانت مراكز القوى تهدد المجتمع المصري بشكل خاص ربما مثل تهديد العدو الاسرائيلي نفسه.

كما يمثل مشهد المعسكر والممثل لنسيج الجيش المصري وأنه جزء لا يتجزأ من المجتمع المصري من حيث ضمه لجنود يحملون شهادات وثقافات مختلفة وينتمون لجهات مختلفة والذين منهم – المدرس والطبيب والمهندس وخريج معهد الفنون المسرحية ودبلوم الصنايع والفرد الأمي – الجميع نسيج واحد متناغم مسلم مسيحي المهندس والعامل والجميع مقاتلون في تلك المؤسسة[٥٢].

ويجسد مشهد صدور الأوامر بحرب الاستنزاف ومدى رغبة الجيش المصري في الثأر وعدم تقبل الهزيمة، موقف المجتمع المصري والذي لا يقبل الهزيمة أو النكسة أبداً [٥٣] .

كما يمثل مشهد عودة المجند محمد الى قريته بعد عمليات الإغارة خلف خطوط العدو أثناء حرب الاستنزاف، وحسن استقبال أهل قريته له بعكس ما حدث بعد ١٩٦٧، من عدم الرضا بالإنكسار والتطلع إلى الانتصار، وخروج عباس (مراكز القوى) من القرية وتولى عبد الحميد شؤون الجمعية التعاونية مكان عباس (والذي يملثه الرئيس السادات) بعد قيامه بتطهير مصر من الفساد ومراكز القوى تمثل جميع مشاهد الفيلم إسقاطاً رائعاً على واقع المجتمع المصري بعد ١٩٦٧ وحتى نشوب حرب التحرير في أكتوبر ١٩٧٣، ويجسد حسين

فهمي في الفيلم دور النقيب قائد سرية المشاة المقاتلة والذي يعد إسقاطاً لدور المشير أحمد إسماعيل في الحرب حيث جاء من صفوف القوات التي انسحبت في ١٩٦٧[٥٤].

أما مشهد سقوط قائد المدرعات الاسرائيلي (والذي قام بدوره محي اسماعيل) فيمثل سقوط الجيش الاسرائيلي وهزيمته وهو نفس القائد الذي قتل الاسرى المصريين في غزة بعد ٦٧ وشاهده المجند محمد بنفسه ، ويمثل مشهد الانتصار وكتابة كلمة الله اكبر على علم مصر قمة الاسقاط الواقعي لأن الجيش كتب بدمائه النصر ليرتفع علم مصر ، أما مشهد النهاية واستقبال أهل القرية (شعب مصر) للمجند محمد (الجيش المصري) بعد ٧٣ يمثل فرحة الشعب بجيشه ، وأما استقبال فاطمة (مصر) ل محمد(الجيش المصري) فقد جاء مختلفاً أعادت البسمة مرة أخرى لمصر ، تسأل اطمة محمد هل لا تزال الرصاصة في جيبك فيرد محمد نعم لا تزال لأني خايف عليكي وطول ما أنا جنبك اطمئني، هذا المشهد يمثل وحدة الشعب وجيشه ويستدعي من ذاكرتنا كلمات الرئيس السادات في خطاب النصر : غن هذا الوطن يستطيع ان يطمئن ويأمن بعد خوف بأنه قد أصبح له درع وسيف [٥٥]

- **اثرهما على مستوى الرواية والقصة:**

فقد صدرت في أعقاب الحرب مباشرة في رواية (أيام من أكتوبر) لإسماعيل ولي الدين التي جسدت واقع الحرب وفرحة وحلاوة النصر والمجتمع المصري[٥٦]، كما إن هناك العديد من الكتابات الأدبية التي تناولت هذه الأحداث العظيمة وما قبلها وما بعدها، فهناك العديد من الكتابات الأدبية التي تناولت هذه الأحداث العظيمة وما قبلها وما بعدها، فهناك (شجر الصبار) لمعصوم مرزوق، و(رجال وشظايا) لسمير الفيل، و(الخريف الدامي) لمحمد النحاس، و(سبع حبات من الرمال) للسيد الجندي ، و (يوميات مقاتل قديم) للسيد نجم الدين ، و (سنوات الحب والموت) لبهى الدين عوض ، و (يوميات على جدار الصمت) لمحمد السيد سالم ، و(عندما تشعل النجوم) لفوزي البارودي و(حدود الاستطاعه) لقاسم مسعد عليوه، و (المرصد) لحنا مينا و (أنشودة الأيام الآتية) لمحمد عبدالله الهادي [٥٧]، ورغم هذا لم تكن الرواية والقصة القصيرة على مستوى الحدث الكبير – حرب أكتوبر – وإن ما أنتج من أعمال لا يرقى إلى مستوى المطلوب –وعندئذ تقام مقارنة ظالمة بين هذه الأعمال والأعمال الكبرى في الآداب الأجنبية : (الحرب والسلام) لتولوستوى ، ووداعاً

للسلاح لهمنجوى ، والدون الهادئ لشوخوف ، والأمل لمارلو وافول القمر لشتاينبيك وغيرها[٥٨]، غير أن ثمة ملابسات وأسباب كانت وراء عدم استغلال الحرب الاستغلال الذي تستحقه في الأعمال الروائية منها :

أولاً : إن كبار كتابنا كنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس لم يكتبوا عن هذه الحرب سوى ردود أفعال وقتية ظهرت في صورة مقالات قصيرة ، وبهذه المناسبة كان توفيق الحكيم صاحب مصطلح عبرنا الهزيمة والذي استغله الفنانون والمطربون استغلالاً جيداً .

ثانياً : معظم من كتبوا عن الحرب كانوا من الجيل الجديد في الكتابة لأن الكتاب المتخصصين في الكتابة في الساحة الأدبية كجمال الغيطاني والقعيد كتبوا ولكن لم يعطهم النقاد حقهم الكافى في الاهتمام ولم يوجهوهم التوجيه الصحيح .

ثالثاً : النقد الموجه لهذه الكتابات كان نقداً تشجيعياً في الغالب لم يستفد منه الكاتب .

- اثرهما في الرواية:

الرواية هي أكثر الفنون الأدبية عمقاً واتساعاً لأن بنائها ومعمارها الفني يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية ويتعداها لتصوير المجتمعات والجموع واستيعاب الأزمنة باتجاهات المستقبل والتعجيل بها، ومع ذلك فإن هناك ثمة أعمالاً جيدة ومعبرة مثل : رواية الرفاعي لجمال الغيطاني[٥٩]، وهي تتناول بطولات العميد أركان حرب ابراهيم الرفاعي، مؤسس وقائد المجموعة ٣٩ قتال، هذه المجموعة الاستئنائية في تاريخ العسكرية المصرية، والتي قدر المؤلف جمال الغيطاني ، أن يقترب منها ويعايش أفرادها وأعمالهم القتالية عن قرب في فترة صعبة واستثنائية ، والرواية تحكى عن الرفاعي ورفاقه ، التي تشبه حكاية الابطال الذين قاموا بهذه الملحمة الكبرى التي غيرت تاريخ المنطقة [٦٠].

كذلك نجد رواية الحرب في بر مصر ليوسف القعيد، من الروايات المهمة حيث تجسد تضحية جيل بأكمله في حرب السادس من أكتوبر، ولأن تأثير الحرب يتجاوز الجانب العسكري في ميدان المعركة بل يمتد إلى اثار انسانية شديدة العمق لأن الثمن الذي يبذل فيها أرواح من لحم ودم، لم يكتب القعيد في تلك الرواية عن المعركة ذاتها، لكن عما حدث من تداعيات في نفوس الجنود ، والناس عامة ، فكتب عن الجنود باعتبارهم بشراً عاديين ، في وقت كان الاعلام المصري يتعامل معهم على إنهم ابطال، مشيراً إلى أن أكتوبر حوله

النقاد إلى شهر السؤال وليس شهر الحرب، تذهب روايته " الحرب في بر مصر " التي جازت على المرتبة الرابعة ضمن أفضل مائة رواية عربية إلى أن هناك مصريين ضحوا بأرواحهم في الحرب، في حين ذهبت العائدات المترتبة على النصر الى طبقة الاثرياء التي لم تشارك في الحرب، بل تهرب أبناؤها من التجنيد، وربما كان هذا وراء منع طبع الرواية في مصر من عام ٧٧ إلى عام ٨٥ وذلك بسبب محتواها السياسي لأنها تقول أن الحرب قام بها الفقراء وحولها الاغنياء إلى مشروع استثماري ولهذا طبعت الرواية في بيروت وفلسطين وبغداد والسودان والجزائر ولم تطبع في مصر إلا بعد ثمان [٦١].

الخاتمـــــة

من خلال دراسة هذا الموضوع توصلنا الى جملة من الاستنتاجات المهمة ابرزها :

١-ان الفنون والادب في مصر لها اهمية كبيرة في توجيه الوعي والوطني والقومي .

٢- ان الفنون المصرية بشكل عام والسينما بشكل خاص تناولت بعض احداث حرب ١٩٦٧ دون التطرق الى الهزيمة ، بينما نجدها تناولت حرب ١٩٧٣ بشكل كبير جدا وبرزت حالة الانتصار .

٣- ظهور جيل جديد من الفنانين الشباب ادوا دورا في صنع افلام تناولت الحدثين من خلال محتوى هادف وتوجيهي لخلق حالة من الوعي والتفكير الايجابي .

٤- كانت النكسة ذات وقع اليم على الشعراء وهذا ما ظهر من خلال اعمالهم التي عالجوا فيها تلك الحادثة ورغم ذلك اظهروا شجاعة فائقة في التصدي لتلك الحرب وحاولوا صناعة وعي وتفكير جديد ادى الى حالة من التفائل بما هو ات وبالتالي تمهيد الوعي والفكر الى انتصارات اكتوبر ١٩٧٣ .

٥- وعلى مستوى الرواية والقصة فقد ترجمت العديد من تفاصيل الحربين وشخصياتها واركانها التي نجح القائمون عليها في خلق حالة جديدة في الادب العربي في كيفية تناول وسرد الحوادث الكبيرة في حياة الامة .

المصـــــادر

١- إبريس نظمى، مقال دائرة الضوء (أغنية الشباب على الممر) جريدة الأخبار اليومية المصرية ، عدد ١٠ مارس ١٩٧٢ ، الملحق الأدبي والفني رقم ١٤٠ .

٢- إحسان عبد القدوس، الرصاصة لا تزال في جيبي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤ .

٣- أحمد المتولى محمد، مجموعة محاضرات ألقيت بمدرسة الشئون المعنوية للقوات المسلحة، بعنوان سينما حرب أكتوبر، بتاريخ اكتوبر ٢٠١٦ .

٤- احمد حمروش، خريف عبد الناصر قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مكتبة مدبولي ، الجزء الرابع، الطبعة الثانية ، القاهرة، ١٩٨٤ .

٥- أحمد محمود محمد عبد الرحمن، صورة الوطن في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، فرع بني سويف، كلية الأداب، قسم اللغة العربية وادابها، القاهرة، ٢٠٠٤

٦- أمينة حسن، التعبير عن النجاح الاجتماعي في السينما المصرية في سنوات السبعينيات، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد ١٠٧٦، ترجمة سعد الطويل، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦.

٧- صحيفة الاهرام المصرية ، العدد ٤٧٨٦٧ السنة ١٤٢ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ٢٠١٧.

٨- جمال الغيطاني، رواية الرفاعي، طبعة دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥ .

٩- جمال حماد، المعارك الحربية على الجبهة المصرية ، حرب اكتوبر، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، ١٩٨٩.

١٠- جمال حمدان، ٦ اكتوبر في الاستراتيجية العالمية، عالم الكتب ، القاهرة .

١١- جمال سلامة علي، النظام السياسي والبناء الاجتماعي، النموذج الواقعي لتحليل النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، ٢٠٠٦ .

١٢- جهاد فاضل، فتافيت شاعر، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٩ .

١٣- حبيبة محمد، القصيدة السياسية في شعر نزار قباني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩.

١٤- درية شرف الدين، السياسة والسينما في مصر ١٩٨١/١٩٦١ ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة

١٥- سنوات السينما، أغنية على الممر ١٩٧٢، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، العدد ١٤١٤٣، بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٧ ، ملحق السينما https://aawsat.com/home/article/1001406

١٦- سيد ياسين، من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر بروز الجوانب الإيجابية للشخصية المصرية ، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣،٥ أكتوبر ١٩٩٨ ، المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ٢٠١٥ .

١٧- شوقي بدر يوسف، الرواية والروائيون دراسات في الرواية المصرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر وللتوزيع، ٢٠٠٦، القسم الخامس .

١٨- صالح جودت، وماذا بعد حرب اكتوبر ، ورقة عمل للأدب والفن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤.

١٩- صوفي أبو طالب، أثر حرب أكتوبر على الشخصية المصرية، الندوة الستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما، والتي عقدت ٥،٣ أكتوبر ١٩٩٨، المحور الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥

٢٠- عبد السلام عبد الغفار، الأثرا النفسية لحرب اكتوبر، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣، ٥ أكتوبر ١٩٩٨ ، المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٥ .

٢١- عبد الغفار حجازي، الجندية المصرية قبل وبعد حرب أكتوبر، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٥،٣ اكتوبر ١٩٩٨ ، المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الاولى ٢٠١٥

٢٢- عبد الفتاح أبو الفضل، كنت نائباً لرئيس المخابرات، دار الشروق، القاهرة ، ٢٠٠١ .

٢٣- عبد المنعم خليل واصل، حروب مصر المعاصر في اوراق قائد ميداني، دار المستقبل العربي، ١٩٩٠

٢٤- عبدالله سرور عبد الله، أثر النكسة في الشعر العربي ١٩٥٦-١٩٧٣، مكتبة الاسرة ، القاهرة ١٩٩١ .

٢٥- عصام زكريا، سينما أكتوبر وذاكرة الوطن، ضمن أعمال الندوة التي عقدت بكلية الإعلام جامعة القاهرة يوم ١٣ أكتوبر ٢٠٠٣، ثلاثون عاما على حرب أكتوبر نظرة للأمام، مركز البحوث والدراسات السياسية جامعة القاهرة ، تحرير نادية مصطفى وباكينام الشرقاوي ، القاهرة ٢٠٠٤ .

٢٦- علي أبو شادي، مقال السينما والأحداث الكبرى في مصر ١٩٦٧- ١٩٨٤، مجلة الهلال، مؤسسة دار الهلال، ١٩٨٤ .

٢٧- عمر شاهين، بعض مؤشرات للتغيرات النفسية والاجتماعية في المجتمع المصري ، الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التي عقدت بجامعة القاهرة من ٢٧ ، ٣١ اكتوبر ١٩٧٥ ، القطاع الحضاري ، المجلد الرابع ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، القاهرة ١٩٧٦.

٢٨- فاروق أبو زيد، دور الإعلام في حرب أكتوبر ٧٣، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عام – المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ٢٠١٥ .

٢٩- فتحي نجيب، المتغيرات الثقافية المهيئة لحرب أكتوبر، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عام ، المحور الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة، ٢٠١٥ .

٣٠- كتب كلماتها الشاعر الكبير عبد الرحمن الابنودي ولحنها بليغ حمدي ووزع موسيقاها على اسماعيل ، نيفين جاد الله ، اغنية المسيح للعندليب الأسمر في ذكرى رحيله ، جريدة وطني (المصرية) النسخة العربية الالكترونية ، عدد ٣٠ مارس ٢٠١٧ .

٣١- محمد جبر ، الملف السري لحرب أكتوبر ، سلسلة كتاب الحرية ، مؤسسة الاهرام للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٧ .

٣٢- محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، مركز الاهرام للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧ .

٣٣- محمد عبد الحليم غنيم، في عرض وتقديم كتاب انشودة الايام الاتية للطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، الطبعة الثانية ، سلسلة كتابات شابه ١٩٩٦ .

٣٤- محمد مصطفى زيدان، الطفل والمراهق، دار الشباب للطباعة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة، ١٩٨٢ .

٣٥- محمود الورواي، مصر بين فيلمين " العصفور و " هي فوضى " ، بوابة قناة العربية (السعودية) ٤ مارس ٢٠٠٨ http://www.alarabiya.net 20008/03/04/46470

٣٦- مسعود فايز مشرف عبد الهادي، الصورة الشعرية عند نزار قباني دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية العلوم، قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، اشراف محمد شفع الدين السيد، القاهرة، ٢٠٠٤ .

٣٧- مشهور عبدالله الأتور فواز، الشعر السياسي في مصر من ١٩٦٧-١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم، قسم الدراسات الادبية، القاهرة، ١٩٩٣.

٣٨- من خطاب الرئيس السادات في افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٦ http://sadat.bibalex.org/Historic-Documents/Historic_Docs_All.aspx?TabName=Speech&page=87#Gallery

٣٩- نازلى معوض أحمد، الأثار الإجتماعية والنفسية لحرب أكتوبر ضمن بحوث ودراسات الندوة الاستراتيجية لحرب اكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣ ، ٥ أكتوبر ١٩٩٨ ، المحور السياسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ٢٠١٥ .

٤٠- ناهد عبد الحميد : الأغنية الوطنية ، البدايات والتحولات ، اصدارات المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٦ .
٤١- نبيل خالد أبو علي : نزار قباني شاعر المرآة والسياسة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٩،
٤٢- هاني مصطفى محمد عبد الرحمن، البناء الفني لرواية الحرب من ١٩٦٧ حتى ١٩٩٥، رسالة دكتوراه، كلية الاداب – جامعة القاهرة، ٢٠١٢ .
٤٣- يوسف القعيد، أخبار عزبة المنيسي، طبعة سلسلة روايات الهلال، العدد ٤٣٣، ١٩٨٥.
٤٤- يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، طبعة مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٥، ١٩٩١
٤٥- يوسف القعيد، شكاوي مصر الفصيح ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩ .

الهوامـــــش

(١) نازلى معوض أحمد، الأثار الإجتماعية والنفسية لحرب أكتوبر ضمن بحوث ودراسات الندوة الاستراتيجية لحرب اكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣ ، ٥ أكتوبر ١٩٩٨ ، المحور السياسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ٢٠١٥ ، ص٣٣٣.

(٢) عبد السلام عبد الغفار، الأثرا النفسية لحرب اكتوبر، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣، ٥ أكتوبر ١٩٩٨ ، المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٥ ، ص٤٥٤ .

(٣) جمال سلامة علي، النظام السياسي والبناء الاجتماعي، النموذج الواقعي لتحليل النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، ٢٠٠٦، ص ٦٦ .

(٤) سيد ياسين، من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر بروز الجوانب الإيجابية للشخصية المصرية ، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣،٥ أكتوبر ١٩٩٨ ، المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ٢٠١٥، ص٦١٢.

(٥) محمد مصطفى زيدان، الطفل والمراهق، دار الشباب للطباعة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة، ١٩٨٢، ص٤٣، ٤٤.

(٦) أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو خريف عبد الناصر ، ج٥، مكتبة مدبولي ، ط٢، القاهرة ١٩٨٤، ص١٧٣.

(٧) سيد ياسين، مصدر سابق ، ص ص٦١٣،٦١٢.

(٨) محمد جبر ، الملف السري لحرب أكتوبر ، سلسلة كتاب الحرية ، مؤسسة الاهرام للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٧، ص٢٧.

(٩) جمال حماد، المعارك الحربية على الجبهة المصرية ، حرب اكتوبر، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، ط١، ١٩٨٩ ، ص ٩، ١٠.

(١٠) عبد المنعم خليل واصل، حروب مصر المعاصر في اوراق قائد ميداني، ط١، دار الميمن المستقبل العربي، ١٩٩٠ ، ص١٤١.

(١١) نازلى معوض أحمد، مصدر سابق، ص٣٩٩.

(١٢) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، مركز الاهرام للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٠.

(١٣) عبد الفتاح أبو الفضل، كنت نائباً لرئيس المخابرات، دار الشروق، القاهرة ، ٢٠٠١، ص ٩- ١٠.

(١٤) محمد جبر، المصدر السابق، ص٣٩.

(١٥) جمال سلامة علي، المصدر السابق ، ص٩٨.

(١٦) عبد الغفار حجازي، الجندية المصرية قبل وبعد حرب أكتوبر، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، والتي عقدت من ٣،٥ اكتوبر ١٩٩٨ ، المحور الاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الاولى ٢٠١٥، ص ص٤٧٤، ٤٧٥

(١٧) عبد الغفار حجازي، المصدر السابق ، ص٤٧٦.

(١٨) صوفي أبو طالب، أثر حرب أكتوبر على الشخصية المصرية، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما، والتي عقدت من ٣،٥ أكتوبر ١٩٩٨، المحور الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥، ص٥٨٢.

(١٩) جمال حمدان، ٦ اكتوبر في الاستراتيجية العالمية، عالم الكتب ، القاهرة، ص١٩٤.

(٢٠) فتحي نجيب، المتغيرات الثقافية المهيئة لحرب أكتوبر، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عام ، المحور الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة، ٢٠١٥، ص٥٠٥.

(٢١) فاروق أبو زيد، دور الإعلام في حرب أكتوبر ٧٣، الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد ٢٥ عام – المحور الإجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ٢٠١٥، ص٤٥٤.

(٢٢) عمر شاهين، بعض مؤشرات للتغيرات النفسية والاجتماعية في المجتمع المصري ، الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التي عقدت بجامعة القاهرة من ٢٧ ، ٣١ اكتوبر ١٩٧٥ ، القطاع الحضاري ، المجلد الرابع ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، القاهرة ١٩٧٦، ص٣٣.

(٢٣) كتب كلماتها الشاعر الكبير عبد الرحمن الابنودي ولحنها بليغ حمدي ووزع موسيقاها على اسماعيل ، نيفين جاد الله ، اغنية المسيح للعندليب الأسمر في ذكرى رحيله ، جريدة وطني (المصرية) النسخة العربية الالكترونية ، عدد ٣٠ مارس ٢٠١٧ .

(٢٤) ناهد عبد الحميد : الأغنية الوطنية ، البدايات والتحولات ، اصدارات المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠١٦ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦١ .

(٢٥) درية شرف الدين، السياسة والسينما في مصر ١٩٦١/١٩٨١ ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ص١١٨

(٢٦) احمد حمروش، خريف عبد الناصر قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مكتبة مدبولي ، الجزء الرابع، الطبعة الثانية ، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٨٣.

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦.

(٢٨) سنوات السينما، أغنية على الممر ١٩٧٢، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، العدد ١٤١٤٣، بتاريخ ١٨ أغسطس ٢٠١٧ ، ملحق السينما https://aawsat.com/home/article/1001406

(٢٩) هاني مصطفى محمد عبد الرحمن، البناء الفني لرواية الحرب من ١٩٦٧ حتى ١٩٩٥، رسالة دكتوراه، كلية الاداب – جامعة القاهرة، ٢٠١٢ ، ص ١١١ ، ١١٥ .

(٣٠) أحمد حمروش، المصدر السابق، ص٢١٠.

(٣١) إبريس نظمى، مقال دائرة الضوء (أغنية الشباب على الممر) جريدة الأخبار اليومية المصرية ، عدد ١٠ مارس ١٩٧٢ ، الملحق الأدبي والفني رقم ١٤٠، ص٦

(٣٢) محمود الورواي، مصر بين فيلمين " العصفور و " هي فوضى " ، بوابة قناة العربية (السعودية) ٤ مارس ٢٠٠٨ http://www.alarabiya.net 20008/03/04/46470

(٣٣) درية شرف الدين، مصدر سابق ، ص١٢٢.

(٣٤) إبريس نظمى، المصدر السابق، ص١٥.

(٣٥) هاني مصطفى محمد عبد الرحمن، المصدر السابق ، ص٣٢.

(٣٦) عبدالله سرور عبد الله، أثر النكسة في الشعر العربي ١٩٥٦-١٩٧٣، مكتبة الاسرة ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٢٠١/٢٠٢.

(٣٧) أحمد محمود محمد عبد الرحمن، صورة الوطن في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، فرع بني سويف، كلية الأداب، قسم اللغة العربية وادابها، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٣ ، ٣٤ وللمزيد عن ذلك راجع : حبيبة محمد : القصيدة السياسية في شعر نزار قباني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص٧٢، وأيضا راجع : نبيل خالد أبو علي : نزار قباني شاعر المرآة والسياسة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٩، ص٩٩.

(٣٨) جهاد فاضل، فتافيت شاعر، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٩، ص١٣.

(٣٩) مسعود فايز مشرف عبد الهادي، الصورة الشعرية عند نزار قباني دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية العلوم، قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، اشراف محمد شفع الدين السيد، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٠٠، ١٠١.

(٤٠) مشهور عبدالله الأتور فواز، الشعر السياسي في مصر من ١٩٦٧-١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم، قسم الدراسات الادبية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٧ ، ١٠٨.

(٤١) درية شرف الدين، مصدر سابق، ص١٤٩

(٤٢) عصام زكريا، سينما أكتوبر وذاكرة الوطن، ضمن أعمال الندوة التي عقدت بكلية الإعلام جامعة القاهرة يوم ١٣ أكتوبر ٢٠٠٣، ثلاثون عاما على حرب أكتوبر نظرة للأمام، مركز البحوث والدراسات السياسية جامعة القاهرة ، تحرير نادية مصطفى وباكينام الشرقاوي ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص١٦٣.

(٤٣) درية شرف الدين ، مصدر سابق ، ص١٥١.

(٤٤) هاني مصطفى محمد عبد الرحمن، مصدر سابق ، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤٥) علي أبو شادي، مقال السينما والأحداث الكبرى في مصر ١٩٦٧- ١٩٨٤، مجلة الهلال، مؤسسة دار الهلال، ١٩٨٤، ص١٢٧.

(٤٦) إحسان عبد القدوس، الرصاصة لا تزال في جيبي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢٧.

(٤٧) أمينة حسن، التعبير عن النجاح الاجتماعي في السينما المصرية في سنوات السبعينيات، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد ١٠٧٦، ترجمة سعد الطويل، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦ ، ص ١٥٧ ، ١٥٩.

(٤٨) صالح جودت، وماذا بعد حرب اكتوبر ، ورقة عمل للأدب والفن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤، ص٩٨.

(٤٩) أحمد المتولى محمد، مجموعة محاضرات ألقيت بمدرسة الشئون المعنوية للقوات المسلحة، بعنوان سينما حرب أكتوبر، بتاريخ اكتوبر ٢٠١٦، ص ٨٥.

(٥٠) درية شرف الدين : المصدر السابق ، ص١٧٩.

(٥١) من خطاب الرئيس السادات في افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٦ http://sadat.bibalex.org/Historic-Documents/Historic_Docs_All.aspx?TabName=Speech&page=87#Gallery

(٥٢) أمينة حسن، المصدر السابق ، ص١٥٨.

(٥٣) أحمد المتولى محمد، المصدر السابق، ص٨٧.

(٥٤) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥٥) من خطاب الرئيس السادات في افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب بتاريخ ١٩٧٣/١٠/١٦ http://sadat.bibalex.org/Historic_Documents/Historic_Docs)All.aspxTabName=Speech&page=87Gallery

(٥٦) أحمد المتولى محمد، المصدر السابق، ص٩٧.

(٥٧) درية شرف الدين : المصدر السابق ، ص١٣٣.

(٥٨) محمد عبد الحليم غنيم، في عرض وتقديم كتاب انشودة الايام الاتية للطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ، الطبعة الثانية ، سلسلة كتابات شابه ١٩٩٦، ص٩٠.

(٥٩) جمال الغيطاني، رواية الرفاعي، طبعة دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٥ ، ص .

(٦٠) الاهرام اليومية المصرية ، العدد ٤٧٨٦٧ السنة ١٤٢ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ٢٠١٧.

(٦١) يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، مكتبة مدبولي، ط٥، القاهرة، ١٩٩١ ، ص ٧٨.

الأعراف والتقاليد والحفاوة بالطفل في بلاد الأندلس

م.م علاء شاكر هادي

جامعة البصرة – كلية التربية للبنات

Mob: 07811200972

الأعراف والتقاليد والحفاوة بالطفل في بلاد الأندلس

م.م علاء شاكر هادي

الملخص :

تشكل المجتمع الاندلسي بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الأندلس وتوافُد المسلمين إليها، من السكان الأصليين الذين يدينون باليهودية والمسيحية، ومن المسلمين الفاتحين للبلاد من العرب والبربر ، فاختلط المجتمع وطبقاته في مجالات الحياة كافة العلمية منها والعملية وتعايشوا فيما بينهم ٠

فكلُّ نوع من أطياف المجتمع الأندلسي الجديد له عاداته وتقاليده التي يمتاز بها عن الأطياف الاخرى في المجتمع ، فضلاً عن مساعي الدولة الإسلامية في الحفاظ على هذه العادات والتقاليد ، من خلال اتاحة ممارسة افرادها لحياتهم اليومية بحريةٍ طالما أنها لا تخالف الشريعة الاسلامية ٠

فكان للأمهات والاباء نصيبٌ من هذه الحرية في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم للحفاوة بالمولود الجديد وسنوات نموّهُ وترعرعه في نفسهم والتعبير عن فرحهم وسرورهم به بممارسات ورثوها من بيئتهم الاجتماعية ٠

Customs, traditions, and hospitality towards children in Andalusia

Summary:

Andalusian society was formed after the Islamic conquests of Andalusia and the influx of Muslims to it, from the indigenous people who professed Judaism and Christianity, and from the Arabs and Berbers who conquered the country. The society and its classes mixed in all areas of life, both scientific and practical, and coexisted among themselves.

Each type of spectrum of the new Andalusian society has its own customs and traditions that distinguish it from other segments of society, in addition to the efforts of the Islamic State to preserve these customs and traditions, by allowing its members to practice their daily lives freely as long as they do not violate Islamic law.

Mothers and fathers had a share of this freedom in practicing their customs and traditions to welcome the new baby and his years of growth and nurturing in themselves, and to express their joy and pleasure in him through practices they inherited from their social environment.

المقدمة :

أن التركيز على الأعراف والعادات والحفاوة بالطفل الاندلسي ،يأتي ضمن النظرة الى أن الطفل هو النواةٌ في نقل مفردات الحياة من الموروث الشعبي و الحضاري و الثقافي ، ونقطة التحولٍ والتطور في المجالات الأجتماعية الروحية والمادية كافة ٠

الهدف من الدراسة هو التعرف على مكونات المجتمع الأندلسي و طبقاته الأجتماعية والتطرق

إلى بيان الأعراف والعادات في الحفاوة بالطفل قبل ولادته ، وبعدها ، وكيفية الاعتناء به والمحافظة عليه ، ونشر الفرح على والديه ، يدور البحث على محورين ،الأول: هو التعُّرف على التركيب العرقي والسكاني للمجتمع الأندلسي ؛ اذ إن المجتمع يتكون من طبقتين رئيستين الأُولى هي المسلمون الفاتحون، والثانية هي السكان الأصليون ، أما المحور الثاني : فهو محاولة استعراض أعراف وعادات الأندلسيين في الحفاوة بالطفل قبل ولادته ، وبعدها واجراءاتهم في العناية به والمحافظة عليه ، ومراسيم احتفالهم بختانه، وذبح العقيقة له ، فضَلا عن المشاركة بأعياد المسلمين وعند أهل الذمة .

❖ التركيب العرقي والسكاني للمجتمع الاندلسي

امتزج التركيب السكاني لبلاد الاندلس بمكونات عرقيةٍ عدّة ، وهذا الامتزاج جاء نتيجة الفتوحات الاسلامية لهذه الرقعة الجغرافية ، اذ اختلط السكان الاصليون بالمسلمين، فتركب المجتمع الأندلسي مما يأتي:

أولاً :- العرب

وُجِد العنصر العربي في بلاد الأندلس بحملة الفتوحات العربية الإسلامية التي قام بها القائدان الفاتحان (موسى بن نصير و طارق بن زياد) إذ وفد العرب بتيارٍ متصلً على صور جنودٍ فاتحين [١] ، وهم على قسمين عرب المضرية وعرب اليمنية [٢] ، ولكل منهما

عرفها الاجتماعي الخاص وتقاليدهما التي أثّرت وتأثرت بالأعراف والتقاليد للسكان الأندلسيين الاصليين للبلاد ٠

ثانياً :- البربر

رافقوا العرب الفاتحين لبلاد الاندلس ، أشارت الروايات التاريخية إلى أن عدد البربر كان يفوق عدد العرب في حملة طارق بن زياد ، إذ بلغ عددهم (اثنا عشر ألفًا من البربر)[٣]،و لم ينحصر تواجدهم في مكان واحد ، بل اخذ ينتشرون في المدن والقرى من بلاد الأندلس ٠

ثالثاً :-المسيحيون (النصارى)

يُطلق عليهم أيضاً المستعربون (Los Mozarabos) وهم المسيحيون من السكان الأصليين ، بدأت اللغة العربية على ألسنتهم يتحدثون بها بعد امتزاج العرب الفاتحين بهم و(كان أهلها المسيحيون قد هجروا اللغة اللاتينية في طقوسهم الدينية واتخذوا اللغة العربية مكانها)[٤] ، وكان العرب يسمونهم بعجم الذمة أو عجمية الأندلس[٥] ٠

رابعاً :- اليهود :

شكّلوا قسمًا مهمًا من سكان مجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي ، وتمتعوا بالتسامح الديني المطلق في ممارسة شعائرهم [٦] ، حتى اخذت بعض المدن تحمل اسمهم[٧] ٠

ولم تقتصر مُكَّونات المجتمع على هذه الطبقات فقط ، ولكن هناك إشاراتٍ إلى فئات أخرى هي الصقالبة (Eaclave) [٨] و المُولَّدون [9] ((Muldieas) وكل طبقةٍ من هذه الطبقات العرقية لها عرفها في حياتها العامة ، اذ كان للسكان الاصليين عاداتهم الاجتماعية الخاصة بهم ٠

ومن جانبٍ كان للعرب و البربر ايضاً عاداتهم في بلاد الأندلس وتقاليدهم العرقية والاجتماعية ، فضلاً عن اختلاف الدين والعقيدة بينهم ، نتيجة التعايش السلمي والمعاملة الإنسانية التي أبداها الفاتحون المسلمون تجاه السكان الأصليين ، وأثرها الواضح ليس على الجانب الديني حسب ، بل نجده على الحياة الاجتماعية للأسرة في المجتمع الأندلسي فتمازجت العادات والتقاليد بينهم ، من جانب التكوين الأسري ، و الزواج من النساء الإسبانيات، مبدأ تعدد الزوجات فـ (على الرجل الذي يتزوج بأكثر من واحدة أن يعدل بينهن في الملبس والطعام والمبيت ، ولا يفضل واحدة منهن على حاجته) (١٠) ٠

وخَلْق جيلٍ جديد في المجتمع يُطلق عليه المُولَّدون، ومن جانبٍ اخر اعطاء الحقوق لأفراد المجتمع لا يفرق بين مسلم او غير مسلم ، ويذكر ابن حزم في ابياته قائلا:

أتيتني وهـــلالُ الجو مطلع قُبيل قرع النصارى للنواقيس

ولاح في الافق قوسُ الله مكتسياً من كل لون كأدناب الطواويس(١١)

يبّين لنا ابن حزم اسمى الصور للتعايش السامي التي شهدتها بلاد الاندلس الأعراف الخاصة بهم والتقاليد ، وانعكس هذا التعايش على حياة الطفل الذي يعد احد ركائز المجتمع بصورةٍ عامة ٠

فـالطفل هـو جزءٌ من الحياة الاجتماعية اذ عبر عـــن القران الكريم ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))(١٢)، ومن جانب اخر هو أمنية كل زوجينِ ، كما هو سائدٌ عند الأسرة ان الطفل يُعد رمز التخليد لذكر الوالدينِ بعد وفاتهم، ولهذا سنت له كثيرٌ من الأعراف والعادات الخاصة ابتداءً كونه جنيناً في رحم أمه ، حتى ولادته و نشأته وبلوغه الحلم ٠

❖ **الاعراف والتقاليد للطفل الاندلسي**

١-الأعراف والعادات عند نشأة الطفل ٠

قيد العرف الشعبي إيضاح معرفة حال المراءة في بداية حملها ووضعها انها تحمل في احشائها جنين، كثيرٍ من حياتها اليومية من الحركة او تناول بعض الاعشاب وغيرها ، للبساطة التي كان يعيشها المجتمع بصورةٍ عامة والمجتمع الأندلسي بصورةٍ خاصة ٠

فالأعراف الاجتماعية للكشف عن حمل ما بها المرأة بين احشائها ، إذ يأخذ بالبخور أو العنبر و يوضع تحت المرأة ويمنع أن يخرج من ثيابها فأن ظهرت الرائحة فيها فهي حامل ، وخلاف هذا معناه انه لم يحدث الحمل (١٣) ٠

وبعد معرفة أن في أحشائها جنين ، تقوم بعض من النساء الاندلسيات بأخذ العسل مع الماء اثناء حملهن ، وعدم قيامهن بالنطَّ ف (الحُبلى ما تلعبَ الرَّكلَ)(١٤) ، إلى أن تضع حملها وتحافظ على الطفل بالعناية في أثناء تكوينه داخل رحمها، بالغذاء ومراقبته عند تكوينه بين أحشائها ، ولاسيما في الأشهر الاولى(١٥) ٠

وقد سار عرفٌ بين النساء الأندلسيات لمعرفة جنس الجنين ،بـ(أن يقدَّر بخيط من وسط سرة المرأة إلى وسط الفقارة المحاذي لها من ظهرها ويعلم المكان بمدار ويُدار القياس الجانب

الثاني من الموضع إلى الموضع ، فإن نقض الخيط الأيمن عن العلامة فهي حامل بذكر وإن طال فهي حامل بأنثى)(١٦) ٠

في العرف الاجتماعي إن والد الأسرة كان يستبشر عندما يكون طفله ذكراً ، ليكون له سندٌ في المعيشة والمكسب ، ويؤمَّن حياته ، ويعينه على مواجهة أعبائها (١٧) ويذكر المقرئ تهنئة عندما يرزق بمولد ذكر قائلا:

يلوح في المهد على وجهة تجهم البأس وبشرى النّدى

والشمس والبدرُ اذا استجمعا لـــم يلبثاَ ان يلد فـــأرْقدا(١٨)

، تذكر الروايات التاريخية استبشار أحد سلاطين ملوك الطوائف بمولود ذكر ،

نجمٌ تراءَى في سماءِ الحُسَب للشُّهب في إبّانه مُنتُسب

وأعـــرَبت ليلةُ ميـــلاده بلَيلةِ القَدر أتت في رَجَبْ(١٩)

فوصُفت فرحته بالمولود الذكر إنها كبشرى الصائم بليلة القدر ، وللأسر الثريّة عرفٌ خاص بهذا الشأن اذ يعم الفرح وينثر البديع تظهر عليهم المسرة(٢٠) ، ولا تقف العادة الفرحة بالمولود الجديد والاستبشار بقدومه ما بين افراد العائلة ، بل تأخذ التهنئة والفرح من قبل عامة الناس لأفراد العائلة ٠

٢-العادات والأعراف بعد ولادة الطفل ٠

ومن الأعراف والتقاليد الشعبية يستقبل المولود بالفرحة والمسرة ، وتوصف بالفارس المولود، والنجم السعيد، الـــذي تطلع فـــي أفق السماء، وتلفع بلفاع الضياء، فضلا عن الهدايا العينية، وبعضهم يُعبَّر عن فرحِهِ بمقطوعةٍ شعرية :

اطلع البدرُ من حجابه وأطردَ السيف من قرابه

وجاءنا وارث المعالي ليُثبت المُلك في نصابهُ(٢١)

أما بخصوص أسمه ، كما هو سائد في العُرف الأندلسي ان الأب هو من يُطلق الاسم على مولوده ، وفي الغالب يطلق اسم الرسول محمد (صلى الله عليه واله) تبركا باسم النبي (فما كان بيتٌ فيه اسم محمد (صلى الله عليه واله) إلاّ كثر خيره وبركته) (٢٢) ، وتُسمى البنات غالباً باسم فاطمة تيمناً باسم بنت النبي محمد(صلى الله عليه واله) ، وكان للعرب اسماء بحسب أعرافهم

وعاداتهم الخاصة و للبربر والموالي والسكان الاصليين ايضاً فكل عرف اجتماعي خاصة بهم تميزه عن الاخرو لكل طبقة من طبقات المجتمع اسماء خاصة تسمى به اطفالها ٠

وتبدأ العناية بالطفل عند ولادته ، أذ يغسلون جسم الطفل بمزيجٍ من الحناء ، والريحان، والملح مع تشطيفه بالماء الفاتر ، أو غسله بدهن حب البلوط عوضاً عن الملح (٢٣) ، ثم يغسلونه بماءٍ فاتر ، ويُنشَّف جسمه بقطعة قماشٍ نظيفةٍ يُمسح بها جسمه وأذنيه وما بين فخذيه(٢٤) ٠

وقبل هذا كله يضرب الطفل على مقعديه فإذا صرخ ، فإن هذا دليلٌ على سلامته وصحته . وهذه عادة العرب في كل عهد(٢٥) . و تقوم النسوة بتدليك جسم الطفل بالدهن ويُوضع مسحوقٌ يُذرُّ به على أطراف العين ، أو ما يُسمَّى (الذروات) القابضة لتشده ، و تحنكه رفع لهاته وتسعطه(٢٦) ٠

وبعد تنظيف الطفل ، يُوضع الطفل على قطعة من القماش ، ويتم تقميطه ، و يساوى رأسه ، وأنفه، وجبهته ، و يؤخذ بلصق ذراعيه بركبته بعد أن يتم الضم ما بين ركبته والركبة ، والكعب بالكعب ، ويدام على هذا الأمر إلى ان يشتد عوده ويقوى على الجلوس(٢٧) ٠

وأول ما يُغذَّى عسلاً منزوع الرغوة ويلعق منه بالأصبع ، أو يُمزج له ويُسقى منه ٠ ويُؤخذ لمكانٍ معتدل الضوء لئلّا يضر الضوء نظره، وتُوضع في الأيام الأولى على عينيه خرقةٌ غالبًا ما تكون بيضاء اللون ، وإن يوضع الطفل مستويًا في مهده ، و أن يكون رأسه عند نومه أعلى من جسمه (٢٨) ٠

انتشرت في المجتمع الأندلسي عادةٌ ما تعرف بالمُرضعات ، اذ يُؤخذ الطفل إلى مرضعةٍ أو مربيات الأطفال (احسن الربّايات الأطفال النوبة ؛ لأن عندهن رحمة وحنين للأطفال ، تكون صحيحه الجسم حديثة السنّ معتدلة المزاج ، يقطر لبنها على الظفر لا ان صار كالعدسة لا غليظًا متيًا ، ولا سائراً مائعاً) (٢٩) ، يتضح من الرواية انتشار عادة المُرضِعات في المجتمع الاندلسي و لاسيما أنهم فضّلوا بعضهن على بعض بما يمتلكن من العطف والحنان على الأطفال ووفرة الحليب في صدورهن ٠

بالرغم من انتشار أمر المُرضِعات في بلاد الأندلس إلا أن هذا لا يعني أن كل الأسر تضع مرضعاتٍ لأولادهن ، ويعود هذا إلى التفاوت الطبقي بين فئات المجتمع الأندلسي ، وأخذت العوائل ذات الدخل المتوسط الاعتماد على أنفسهم ، لعدم تحملهم أعباءً ماديةً إضافيةً بسبب المُرضِعات و المربيات(٣٠) ٠

٣-الأعراف للطفل عند نشأته ٠

من العادات والأعراف السائدة لدى الأُسر العربية بصورةٍ عامة إنها كانت تُعنى بتهيئة و تنشأت أولادهم منذ الطفولة على العادات العربية الأصيلة بصورة عامة ، وفي وسط المجتمع الأندلسي على الخصوص ، إذ يعد الطفل نقطة انطلاقٍ للمورث الحضاري، والثقافي للمجتمع من منطلق (التعلم في الصغر اشد رسوخاً)(٣١)٠وورد في الموروث :

نـــــبه وليدك مذ صباه بزجره فلربما اغفى هناك ذكاؤه

وانهرهُ حتى تستهل دمُوعُه في وجَنتيَه ، وتلتظي أحشاؤه(٣٣) ٠

اذ يحمل الاطفال على التحلي بالأخلاق الحميدة ؛ وتعوديهم على نفائس الاطعمة، وطريقة القعود الصحيحة أمام الكبار، وأن لا يرتفع كلامهم فوق كلام الكبار ، وأن يستعمل الالفـــاظ المناسبة ، وأن (يجمع بينه وبين مـــن نشأ معه من الصبيان ، ويحـــذر سماع كل شيء)(٣٤) ٠

عن العرب على وجه الخصوص والمجتمع الأندلسي أن يُوجّه أطفالُهم ويهيئون بتوجيه وتهيأت ابائهم ، إذ إشارات الروايات التاريخية إلى والد الطبيب الاشبيلي أبو العلا بن زهر الذي اخذ مهنة الطب عن والده ، فصاحبه منذ صباه ، وتتلمذ عليه ، وهناك بعض الأسر اليهودية توجَّه أبنائها نحو دراسة العلوم منذ حداثتهم ولاسيما العلوم البرهانية (٣٥) ؛ واشارات الروايات عن اقبال الفقهاء للأجر بالنسبة للتعليم فضلاً عـــن شيوع ما يسمى استئجار المعلم لغرض تعلم الاطفال الخط والهجاء وحفظ القران – ظاهراً ونظراً (٣٦) ٠

وجرت العادة و العرف على تعليم وتدريب الأطفال على فنون القتال وخطط الحروب منذ الصغر وأشارت الروايات التاريخية إلى أن الخليفة عبد المؤمن بن علي ، استقطب كثيرًا من الأطفال من أنحاء الأندلس ، وأختار منهم النجباء لغرض تدريبهم وتعليمهم فنون القتال(٣٧)٠

وتجدر الإشارة هنا الى أن هذه العادات والأعراف لم تقتصر على حياة الطفل المسلم ، بل كانت لأطياف المتجمع الأندلسي وطبقاته الأخرى كالنصارى واليهود ، فيجري الفرح والسرور على وجه أبويه، واقِامة المناسبات الخاصة بهم و تقديم الهدايا ، فضَلا عن ذلك فقد جرت العادة في حماية الطفل من التأثيرات الضارة التي تصيبه ، واعتقد الأندلسيون بالحسد ، فوضعوا التمائم لحماية اطفالهم من العين والضرر(٣٨) ٠

❖ الحفاوة بالطفل الاندلسي

١- الحفاوة بالطفل عند المسلمين ٠

شهدت الحياة الاجتماعية كثيراً من المناسبات التي استلزمت الاهتمام بمرافق حياتهم اليومية ، وكان للطفل ميزةٌ خاصةٌ بهذه المناسبات عند المسلمين ،:

- **الإختتان (إعذار)**

يعد الإختتان أول حدث حقيقيً في حياة الطفل المسلم ، وهو من الواجبات الشرعية ، فقد حرص المسلمون على الالتزام به ، وعند تنفيذه تتم الحفاوة بالطفل أُسريًا ويدعون لهذه المناسبة – في بعض الاحيان – بعض الأصدقاء والأحباب ، وتُقام مأدبة طعامٍ لهم ، ويُوزع بعضٌ منها على الفقراء والمعوزين(٣٩) ، وما ان شاعت واتسعت الحفاوة بالختان بين الطبقات العامة عند الأمراء ، أخذت المشاركة فيه كثيرٌ من الطبقات الاجتماعية الأندلسية ، ويُنفَق لها الأموال ، و كان بعضهم يدعوا لها قومًا من الخارج (٤٠) .

يختن الطفل لغرض الحماية والحفاظ عليه ، وفي هذا اليوم كانت النسوة الأندلسية يجهزنه بمراسيم خاصة بالختانه، إذ يقمن بتحضير قطعةٍ من القماش ، غالبًا ما تكون بيضاء اللون ، فضَلا عن ذلك يحضرنْ الحناء التي يضعنها على قدميه وكفيه(٤١) ، ونلحظ هنا اختلاف في موعد ختان الطفل ، البعض ذهب الى ان الطفل يختن في السنة السابعة (٤٢) ، أو العاشرة من عمره(٤٣) ، بينما للونشريسي رأيٌ اخر يذكر: أن الطفل يختن في الأيام الاولى من عمره ، عند وصوله الى اليوم السابع ، والسبب من ذلك لغرض الشفاء بسرعه ، ولتخفيف الأعباء المستقبلية (٤٤) ٠ وبعد الختان ، ينثر عليه بعض الدنانير ، والزهور ، واللوز ، والجوز(٤٥) ٠

شهدت قصور الأمراء كثيرًا من الحفلات بهذه المناسبة ، فإشارات الروايات التاريخية لهذه المظاهر ، إذ كان ختان احدى أولاد ((ملوك الطوائف بنو ذي النون(٤٦) ملوك طليطلة من الثغر الجوفي ، وبلغوا في البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذي يقال له ((الإعذار الذنوني)) (٤٧) ،و يتضح من الرواية الاهتمام بهذا الشأن ، والتباهي فيه بين العامة والخاصة ، وهذا الاهتمام بالطفل بصوره عامة ، ونشر روح الفرح والسرور بين طبقات المجتمع٠

ويذكر ابن عذاري في عام (٣٢٠هـ/٩٣٢ م) صنع حاكم مدينة طليطلة والملقب بـ الناصر لرجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشمه ممن شهد فتح طليطلة معه ، وافق ذلك على تطهيره لبعض الأصاغر) (٤٨) ، جعل من فتوحاته وتطهيره المدن الاسلامية ، مناسبة واستكمالاً لفرحتهم في ختان الأطفال ، ونشر الفرحة بين افراد الرعية ؛ إذ اقام الخليفة المستنصر بالله وتبعه الحاجب، بالحفاوة بختان ابنه ، ودعا أبناء عامة الناس ، في ما وصل عدد الاطفال ما يقارب ٥٠٠ طفل ، أي ما يطلق عليه بالختان الجماعي ، إذ كانت قرطبه تشهد بوقتها نوعاً من الغلاء والقحط (٤٩) ، وكان للحضور عاداتٌ خاصةٌ في هذه الاحتفالات كانوا يلبسون أنواع الثياب الفاخرة، وتتزين النساء بالحُلي والمجوهرات(٥٠) ٠

الى جانب هذا نظم شعراء الأندلس كثيرًا من القصائد لهذه المناسبة، حيث نظم شاعر سلاطين بني الأحمر قصائد خاصة بذكر الحفاوة بأعذار السلطان يوسف الثالث وأخوته قائلاً :

وفي الشهب من بدر السماء مَشابهٌ ... وفي البدر من شمس النهار مخايلُ
وتُعرف فيها من أبيها شمائل ... كما في أبيها من أبيه شمائلُ
مرتبُ في عد الحساب ثلاثة ... وهنَّ لأقمار العلاء منازلُ
طلعن على حكم السعود أهلّةً ... وسَترعان ما تبدو وهنَّ كواملُ
تَجلَّت إلى الأبصار من أفق الهدى ... وَبُثَّت إلى الأنصار منها وسائلُ(٥١) ٠

٢- ذبح العقيقة(٥٢)

وهي من مراسيم الفرح تقام للمولود ، بعد مرور سبعة أيام من عمره ، وتعد لحظاتٌ تجمع الاهل والاصدقاء ، ويُذكر أن (أوسع الانفاق على عقيقة واقترب الناس بالتهنئة به)(٥٣)

٣-الحفاوة بالطفل عند ظهور أسنانه ٠

وهي مرحلةٌ يمُّر بها الطفل بعد أشهر من ولادته ، إذ تخرج الأسنان التي يطلق عليها الأسنان اللبنية ، فيُذكر أن أحد أمراء الدولة الاموية ، وهو عبد الرحمن الأوسط ، أول ما نبتَ سنٌ لأحد أولاده عمل حفلًا خاصًا بهذه المناسبة ، وأقام مأدبةً من الطعام (سئل الامير عنها قيل حدث فيها ما يحدث عند نبات أسنان الصبيان) (٥٤) ٠

٤-الحفاوة الطفل بعيد الفطر وعيد الأضحى)

يعد عيد الفطر وعيد الأضحى اعظم المناسبات الدينية لدى المسلمين ، لهن أجواءٌ وطقوسٌ خاصة بهما في المجتمعات الإسلامية ولا سيما المجتمع الأندلسي ، اذ كان الفرح والمسرة يعم على الجميع ، إذ ينزل الجميع إلى تأدية صلاة العيد في المساجد ، فكانت ألاُ تتزاور بينهم ، ويتبادل الحديث الطيب ،وتتراضى بها النفوس المتخاصمة ، وللطفل فرحةٌ كبيرةٌ بهذه الايام ، اذ تقوم الاسرة بتجهيز الأطفال بشراء ثيابٍ خاصةٍ لهم بهذه المناسبة (٥٥)، اذ تتجه الاسرة بالأطفال إلى المتنزهات والحدائق ، لغرض تسليه الطفل وترفيهه ، وشهدت الأندلس كثيرًا من وسائل اللعب والترفيه الخاصة بالطفل(٥٦) ٠

٥-الحفاوة باستقبال السفراء

انتجت الفتوحات الإسلامية واتساع رقعتها الجغرافية في بلاد الأندلس، الى استقطاب سفراء الدول المجاورة لها ، وحظي الطفل بالحضور والمشاركة بهذا الاحتفال ، اذ كان الاستقبال للسفراء طقوس خاصةٌ تقام لهم ، و هذه الاسباب إظهار العظمة والفخامة للدولة أمام السفراء ، ويذكر لنا المقري حين استقبل الخليفة المستنصر بقصر الزهراء في قرطبة لسفير الامبراطور البيزنطي ، مقعد أطفال الخليفة على يمينه ولي العهد وثلاثة من أبنائه ، وعلى يساره بقية أبنائه (٥٧)٠

ثانياً- الحفاوة بالطفل عند اهل الذمة :

كما ذكرنا سابقًا إن المجتمع الأندلسي ، متكونٌ من طبقةٍ مسلمةٍ ، والطبقات الاخرى وهم أهل الديانات الأخرى المسيحية واليهود ، ونتيجة التعايش السلمي بينهم كانت الحياة جميلة مزدهرة حتى في أيام الفرح والمناسبات الخاصة بهم ٠

في كثيرٍ من المناسبات منها : عيد النيروز(٥٨) وعيد المهرجان(٥٩) ، وعيد الفصيح(٦٠) وغيرها من المناسبات والأعياد كانت تقام مراسيمٌ الخاصةٌ بهم بمشاركة المسلمين ، إذ تغمرهم الفرحة والزينة يذهبون إلى معابدهم الخاصة بهم ، وتُوزَّع بها الحلوى ، ومن الطبيعي كانوا يصطحبون معهم الأطفال لغرض الاطلاع على طقوسهم الخاصة، لا حيائها في المستقبل ٠

وكان المجتمع الأندلسي يقيم بعض المناسبات الخاصة ، كيوم العصير، وهو يوم أو أيام فرحٍ ومسرةً ، اذ ينضح به محصول العنب فيتوجه القرويون للأراضي ، وكذلك أهل المدينة مصطحبين معهم الأود إذ ينشر الفرحة والحفاوة بهذه الأيام(٦١) ٠

الخاتمة

يمكن للباحث بكل تواضع أن يسجل بعض النقاط المهمة التي تلقي الضوء على أهم ما ورد في البحث :

١-أوجد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس مجتمعاً جديداً متعايشاً تشكل من قوميات وأديان متنوعة .

٢-نشر الإسلام قيم المحبة والتعايش بين طبقات المجتمع الأندلسي من خلال اشاعة مفاهيم الأخوة ومحبة الآخرين .

٣-نشر الإسلام الكثير من العادات والتقاليد في بلاد الأندلس ومنها الحفاوة بالطفل والمراسيم الخاصة به كالولادة والختان والاعياد .

٤-شملت مراسيم الحفاوة بالمولود الجديد تحضير القماش الأبيض للف المولود به وتعصيب رأسه وتقميطه فضلا عن تغسيله وتنظيفه .

٥-شملت الحفاوة بالأطفال ايام الأعياد وبخاصة عيد الفطر إذ كان المسلمين في الأندلس يصطحبون معهم الأطفال الى المساجد لتأدية صلاة العيد ويأخذونهم الى أماكن الترفيه واللعب للترويح عنهم وتسليتهم .

٦-شهدت الأندلس كثيرًا من وسائل اللعب والترفيه الخاصة بالطفل .

٧- من المراسيم المرافقة للطفل المولود حديثاً تذبح له العقيقة وتوزع الخيرات استقبالاً له ومن أجل حفظه .

٨-الختان من الواجبات الشرعية التي كان يحتفل بها المسلمين في الأندلس إذ تقام الولائم وتوزع الخيرات والهدايا لسلامة الطفل .

٩-لم تقتصر الحفاوة بالطفل عند عامة الناس بل كانت الحفاوة تشمل كل طبقات المجتمع وأفراده كالأمراء .

١٠- كان للطفل الاندلسي حضوراً في مراسيم استقبال السفراء و الوفود .

١١- تتشارك أطياف المجتمع الأندلسي بالاحتفال مع أهل الذمة في أيام الفرح والمناسبات الخاصة بهم مثل ٠ عيد النيروز وعيد المهرجان، وعيد الفصيح.

١٢- كان الاندلسيون يصطحبون الأولاد في بعض المناسبات الخاصة ، كيوم العصير، وهو يوم فرحٍ ومسرةً .

الهوامش

(1) – للمزيد ينظر الى : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح بلاد الأندلس وذكر أمرائها–رحهم الله – والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق : إبراهيم الإبياري مطبعة القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ ، ص٢٤ ٠

(٢) – المقّرى ، نفح الطيب من غصب الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، مطبعة دار الصادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، مج١ ، ص٢٩١–٢٩٨ ٠

(3) – ابن عذاري ، ابو عبد الله المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : إحسان عباس ، مطبعة : دار الثقافة ، بيروت ،ط٣ ،١٩٨٣ ، ج٢ ، ص٦ ٠

(4)–الاندلسي ،لابن سعيد ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، تح : النعمان عبد المتعال القاضي ، مطبعة القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٨ ٠

(5) – مؤنس ، حسين ، فجر الإسلام دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الأموية، مطبعة دار الرشاد ، ط٤ ، ٢٠٠٨، ص٣٣٥ ٠

(6)– للمزيد ينظر إلى : مؤنس ، فجر الإسلام ، ص٤١٢

(٧) – سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة لقرطبة ، مطبعة ، دار المعارف ، القاهرة ،ص١٣٣ ٠

(8) الصقالبة : هم الاسرى من الاجناس من النصارى الاسبان، اذ اخذ وجودهم في البطانة والقصور ، للمزيد ينظر الى ، عنان ، محمد عبد الله ، تراجم الشرقية واندلسية ، مكتبة الخانجي ، د ط ، ص١٩٢ ٠

(9) – المولدون : الجيل الذي نتج من اختلاط المسلمين سواءً كانوا من العرب او البربر من الامهات الاسبانيات ، واخذ هذا الجيل نشأته عربيةً إسلامية للمزيد ينظر الى : سالم ، تاريخ المسلمين ، ص١٣٥ ؛ مسعد ، سامية مصطفى ، صور من المجتمع الاندلسي ، الناشر : عين الدراسات الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٣ ٠

(10)– القرطبي ، ابن عبد الرؤوف ، أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : فاطمة الادريسي ، مطبعة :دار ابن حزم ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص٥٢

(11) – ابن حزم الاندلسي ، طوق الحمامة في الألفة والالاف ، شّكله وعلق عليه ، نزار وجيه الأيوبي ، راجعه ، ياسين الأيوبي مطبعة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢٠ ٠

(12) – سورة الكهف / الاية٤٦ ٠

(13) – السقطي ، محمد بن أبي محمد المالقي ، أدب الحسبة ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، الناشر ، مطبعة ارنست ، باريس ، ١٩٣١م ، ص٥٢ ٠

(14) – لأبي يحيى عبد الله بن احمد الزجالي ،امثال العوام غي الاندلس ، تحقيق : محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ، د٠ط ، ص ٨٥ ٠

(15) زاهية ، خلافي ، الطفولة في المجتمع الاندلسي ما بين قرنين الرابع والسادس الهجريين (ق١٠ – ١٢م) أطروحة دكتوراه ، غير منشوره ، جامعة المصطفى ، ص١٤٥ ٠

(16) – السقطي ، أدب الحسبة ، ص٥٢ –٥٣ ٠

(17) – بوتيتش، ابراهيم القادري ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع – الذهنيات – الاولياء) مطبعة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٣٣ ٠

(١٨) –نفح الطيب ، ج٢ ، ص١٠٩ ٠

(19) – هنّى الشاعر ابن اللبانة السلطان المعتمد بالله بمولِد بشهر رجب ، للمزيد انظر : لابن دحية ، عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ، إبراهيم الإيبارى و حامد عبد الحميد ، مطبعة ، دار العلم للجميع ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ص١٧٩ ٠

(20) – بوتيشيش ، المغرب والأندلس ، ص٣٤ ٠

(21) – للمزيد ينظر الى ابن الأبار ، لابي عبد الله محمد بن عبد الله ، حلة السيراء : تحقيق : حسين مؤنس ، مطبعة : دار المعارف ، القاهرة ، طبعة ٢ ، ١٩٨٥ ، ج١ ، ص١٦٤ ٠

(22) الونشريسي ، احمد بن يحيى بن محمد ، المعيار المعرب والجامع عن فتوى إفريقية والاندلس والمغرب ، خرجه مجموعة من الفقهاء ، اشراف : محمد الحجي ، نشر : وزارة الاوقاف للشؤون الدينية ، المغرب ، ١٩٨١ ، ج١١ ، ص١٣٩ ٠

(23) – ابن زهر ، أبو مروان عبد الملك ، كتاب الأغذية ، تحقيق : إكسبير غارشيا ، سلسلة مصادر الأندلسية ٠ الأبحاث التعاون العام العربي ، مدريد ، ١٩٩٢ ص١٢٩ ؛ النبلاوي ، نجلاء سامي ، القابلة في المغرب والأندلس، مطبعة : الألولة ، ص١٠ ٠

(24) – القرطبي ، خلق الجنين ، ص٥٢ ٠

(٢٥)– القرطبي ، خلق الجنين ، ص ٥١ ؛ مجيد ، نهاد نعمة ، تاريخ الطب في قرطبة الإسلامية من (٩٢– ٦٣٣ هـ / ٧١١–١٢٣٦م) ، رسالة ماجستير غير منشور ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤ ، ص١٣٥ ٠

(٢٦) ٠ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد درويش ، مطبعة : دار بلخي ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ ، ج٢ ، ص ١١٢ ٠

(27) – عريب بن سعيد ، خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ، تصحيح وترجمة : نور الدين عبد القادر ، مطبعة : مكتبة غراريس ، الجزائر ، ١٩٥٦ ، ص٥٠ ؛ ابن الجزار ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ، سياسة الصبيان وتدربيرهم ، تحقيق: محمد الحبيب ، مجمع التونسي للعلوم الأدب والفنون ، مطبعة : دار الحكمة ، تونس ، ط٣ ، ٢٠٠٩ ، ص٦٠ ؛ ابن قيم الجوزي ، تحفة المورود بأحكام المولود ، تحقيق : عثمان بن جمعة ، مطبعة : دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ٢٠٢١ ، ص٤٣١ ٠

(28)–البلدي ، أحمد بن محمد ، تدبير الحبالى والأطفال الصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم ،تحقيق : محمود الحاج قاسم ، مطبعة : دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠٣ ٠

(29) – للمزيد ينظر الى : السقطي ، ادب الحسبة ، ص٥٣ ٠

(30) – الزاهية ، الطفولة في المجتمع الأندلسي ، ص١٦١ ٠

(31) –ابن خلدون ، المقدمة ، ج٢ ص ٣٥٣ ٠ ٠

(33) ابن خفاجة ، ابراهيم بن ابى الفتح بن عبد الله ، ديوان ابن خفاجة ، تج : عمر فارق الطباع ، مطبعة : دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص١٦ ٠

(34) ابن الجزار، سياسة الصبيان ، ص٥٤ ٠

(35) – بوتشيش ، المغرب والأندلس ، ص٥٧ ٠

(36) – للمزيد من المعلومان عن اليه طريقة استئجار انظر: ذنون ، عبد الواحد ، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، مطبعة دار المدار الإسلامية ، ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤ ، ص٧٣ ٠

(37) – البيذقي ، أبو بكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي تومرت وبداية الموحدين ، مطبعة : دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٩ ، ص١٤

(40) – مسعد ، صور من المجتمع الاندلسي ، ص ٨٨

(38) – وقد اجيزت في أقامه المأدبة بهذه المناسبة ' للمزيد أنظر: ابن جزي الغرناطي ، ابو قاسم محمد بن احمد ، القوانين الفقهية ، ضبطه ، محمد أمين ، مطبعة : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨ ، ص١٤٣ ٠

(39) – للمزيد حول معرفة الختان للطفل انظر الى : الزهراوي ، ابو القاسم خلف بن عباس ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، مطبعة : لكنو ، ١٩٠٨ ،ص ٩٦ –٩٧ ٠

(٤٠)- الوصفي ، محمد زين العابدين ، الروضة الغناء في منافع الحناء ، تحقيق : حسن حافظي ، مطبعة دار البيضاء ، المغرب ،٢٠١١ ،ص ١٥ ٠

(41) – مسعد ، صورة من المجتمع الأندلسي ، ص ٨٨

(42) – ابن الجزي ، سياسية الصبيان ، ص٨١ ٠

(43) – المعيار ، ج٨ ، ص ٣٤٤ ٠ يقصد بالتخفيف للأعباء المستقبلية عندما يكبر الطفل ويصل عمره الى سبع سنين أو اكثر نسبة الشفاء من عملية الختان تأخذ وقت طويله يتعرض الطفل للإلام في اثناء الختان ، بينما هو في ايامه الاولى مرحلة الشفاء إلا إيامًا قليلة ٠

(44) – زاهية ، الطفولة في المجتمع الاندلسي ، ص١٧٨ ٠

(45) – ذي النون : يحيى بن اسماعيل بن ذي النون ، يلقب بالمأمون وهو ثاني حكام طليطله في عصر ملوك الطوائف ، شهد عصره كثير من الخصومات والحروب الداخلية ، توفى سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م ، عنان ، دولة الاسلام ، ٩٧-٩٩

(46) – المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ، ص٤٤٠ ؛ دويدار ، حسين يوسف ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، مطبعة : الحسين الاسلامية ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٥ ، ص 3110ِ

(47) – البيان ، ج٢ ، ص٢٠٨

(48) – ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ، ص ٤٩٢ ٠

(٤٩)- زاهية ، الطفولة في المجتمع الاندلسي ، ص ١٧٥ ٠

(٥٠) – ابن زمرك : حمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، أبو عبد الله ، ديوان ابن زمرك ، تح : محمد توفيق ، مطبعة دار الغرب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١٤٥ ٠

(51) – العقيقة : وهي الذبيحة التي تذبح للمولد بعد بلوغ السابعة من عمره واقرها الرسول (صلى الله عليه واله) بعد ما كان يعمل فيها للطفل ايام الجاهلية ، للمزيد ينظر الى ، البخاري ، الصحاح ، ضبطه وشرحه : مصطفى الديب ، مطبعة دار ابن كثير ، بيروت ، د٠ت ، ج٥ ،ص ٢٠٨ ٠

(52) – اذ انفق الخليفة عبد الرحمن الناصر للحكم المستنصر بلله ، للمزيد ينظر الى : ابن حيان ،ابو مروان حيان بن خلف ، المقتبس ،تحقيق ، محمود علي مكي ، الناشر ، مركز الفيصل للبحوث والدراسات ،د٠ط ، ج٥ ،ص ١٠٢ ٠

(53) – الزبيدي، محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ناشر: دار المعارف الطبعة٢ ، ١٩٨٩، ص٢٦٥ ؛ الاهواني، عبد العزيز ، الفاظ معربيه من كتاب ابن هشام اللخمي ، مجلة العهد للمخطوطات العربية ، عدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٢٨٦

(54) – بوتشيش ، المغرب والاندلس ، ص٦٧

(55) – الونشريسي ، المعيار ج٦ ، ص٧٠ ٠

(56) نفح الطيب ، ج١، ص٣٣٦٦ – ٣٦٧ ٠

(٥٧)- نيروز ، أحد أعياد النصارى وهو من المناسبات الكبرى كان يحتفل بها النصارى في الأندلس اذ يمَّثل مكانةً رفيعةً عندهم ، تقع هذه المناسبة في بداية السنة للمزيد ينظر ، نافع ، عبد الله ، الاعياد والمناسبات في شعر الاندلس ، مطبعة دار الرسالة ، ط١ ، ١٩٦٢، ص٢٠

(58) – عيد المهرجان ، او ما يسمى سان خان للمزيد ينظر : نافع ، الاعياد والمناسبات ، ص٢٠ ٠

59) – عيد الفصيح ، ويُطلق عليه أيضًا يوم الفطير ، يكون في الخامس عشر من شهر إبريل ، للمزيد ينظر، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب و مطبعة : مؤسسة المصرية للتأليف ، القاهرة ، السفر الاول ، ص ١٩٦٠

(60) – ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص١٣٨ ٠

قائمة المصادر والمراجع

❖ القران الكريم

١- **ابن الأبار ، لابي عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)**

- حلة السيراء : تحقيق : حسين مؤنس ، مطبعة : دار المعارف ، القاهرة ، طبعة ٢ ، ١٩٨٥ ٠

٢- **البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ٠ ٢٥٦هـ / ٨٧٠ م)**

- الصحيح ، ضبطه وشرحه : مصطفى الديب ، مطبعة دار ابن كثير ، بيروت ، د٠ت ٠

٣- **البلدي ، احمد بن محمد ، كان حياُ سنة (٣٦٨هـ / ٩٧٨م)**

- تدبير الحبالى والاطفال الصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم ،تحقيق : محمود الحاج قاسم ، مطبعة : دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ ٠

٤- **البيذقي ، اب بكر علي الصنهاجي (ق٦هـ / ١٢م)**

– اخبار المهدي تومرت وبداية الموحدين ، مطبعة : دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٩

٥- **ابن الجزار ، ابو جعفر احمد بن ابراهيم ، (٤٤٠هـ/ ١٥١٠ م)**

- سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق: محمد الحبيب ، مجمع التونسي للعلوم الادب والفنون ، مطبعة : دار الحكمة ، تونس ، ط٣ ، ٢٠٠٩ ٠

٦- **ابن جزي الغرناطي ، ابو قاسم محمد بن احمد ،(٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)**

- القوانين الفقهية ، ضبطه وصححه ، محمد أمين ، مطبعة : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨ ٠

٧- **ابن حزم الاندلسي ،ابو محمد علي بن احمد سعيد (٣٨٤هـ / ٩٤٤م)**

- طوق الحمامة في الالفة والالاف ، شكله وعلق عليه ، نزار وجيه الأيوبي ، راجعه ، ياسين الايوبي مطبعة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ٠

٨- **: ابن حيان ،ابو مروان حيان بن خلف ، المقتبس ،(٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)**

- تحقيق ، محمود علي مكي ، الناشر ، مركز الفيصل للبحوث والدراسات ،د٠ط

٩- **ابن الخطيب ، ابو عبد الله لسان الدين محمد (٧٧٦هـ / ١٤٧٤)**

- الاحاطة في اخبار غرناطة و تحقيق : محمد عبدالله عنان ، مطبعة الخانجي، القاهرة

١٠- **ابن خفاجة ، ابراهيم بن ابى الفتح بن عبد الله (٥٣٣هـ / ١١٣٨)**

- ديوان ابن خفاجة ، ترجمة : عمر فارق الطباع ، مطبعة : دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٤ ٠

١١- ***بن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ،(٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)***

- مقدمة ابن خلدون ، حققه نصوصه : عبد الله محمد درويش ، مطبعة : دار بلخي ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ ٠

١٢- **لابن دحية ، عمر بن حسن،(٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)**

- المطر من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ، ابراهيم الايبارى و حامد عبد الحميد ، مطبعة ، دار العلم للجميع ، بيروت ، ١٩٥٥ ،

١٣- **الزبيدي، محمد بن الحسن ،(٣٧٩هـ / ٩٨٩م)**

- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ناشر: دار المعارف الطبعة٢ ، ١٩٨٩

١٤- **ابن زهر ، أبو مروان عبد الملك (٥٥٧هـ/ ١١٦٢)**

- كتاب الاغذية ، تحقيق : اكسبير غارشيا ، سلسلة مصادر الأندلسية ٠ الابحاث التعاون العام العربي ، مدريد ١٩٩١ ٠

١٥- **الزهراوي ، ابو القاسم خلف بن عباس (٤٠٤هـ / ١٠١٤م)**

- التصريف لمن عجز عن التأليف ، مطبعة : لكنو ، ١٩٠٨

١٦- **ابن زمرك : حمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، أبو عبد الله (٦٩٦ هـ / ١٣٩٣م)**

- ديوان ابن زمرك ، تح : محمد توفيق ، مطبعة دار الغرب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ،

١٧- **السقطي ، محمد بن أي محمد المالقي**

- أدب الحسبة ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، الناشر ، مطبعة ارنست ، باريس ، ١٩٣١ ٠

١٨- **ابن عذاري ، ابو عبد الله المراكشي(٧١٢هـ / ١٣١٢م)**

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : احسان عباس ، مطبعة : دار الثقافة ، بيروت ،ط٣ ،١٩٨٣ ،

١٩- **عريب بن سعيد ، القرطبي (٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)**

- خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ، تصحيح وترجمة : نور الدين عبد القادر ، مطبعة : مكتبة غراريس ، الجزائر ، ١٩٥٦ ٠

٢٠- **القرطبي ، ابن عبد الرؤوف ، (٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م)**

- **أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق** : فاطمة الادريسي ، مطبعة :دار ابن حزم ، ط ١ ، بيروت ٠

٢١- **بن قيم الجوزي ، (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)**

- **تحفة المودود بأحكام المولود** ، تحقيق : عثمان بن جمعة ، مطبعة : دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ٢٠٢١ ٠

٢٢- **المقرى ، احمد بن محمد التلماسي (١٠٤١ / ١٦٣١)**

- نفح الطيب من غصب الأندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس ، مطبعة دار الصادر ، بيروت ، مطبعة الاولى ، ١٩٩٧ ٠

٢٣- **مؤلف مجهول ،**

- خبار مجموعة في فتح بلاد الاندلس وذكر أمرائها-رحهم الله – والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق : ابراهيم الابياري مطبعة القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩

٢٤- **الاندلسي ، علي بن موسي بن سعيد (٣٤١هـ/١٢٤٣م) ٠**

- رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق : النعمان عبد المتعال القاضي ، مطبعة القاهرة ، ١٩٧٣ ٠

٢٥- **النويري ،شهاب الدين احمد (٧٣٣هـ / ١١٤٢م**

- نهاية الارب في فنون الأدب و مطبعة : مؤسسة المصرية للتأليف ، القاهرة ، سفر الاول ،

٢٦- **الوصفي ، محمد زين العابدين ، ٩٢٢هـ.-١٥٥٩م.**

- **الروضة الغناء في منافع الحناء** ، تحقيق : حسن حافظ- لابي يحيى عبد الله بن احمد الزجالي ،امثال العوام غي الاندلس ، تحقيق : محمد بن شريفة ، منشوراه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ، د٠ط ، ي ، مطبعة دار البيضاء ، المغرب ،٢٠١١

٢٧- **الونشرينسي ، احمد بن يحيى بن محمد ،(٩١٤هـ / ١٥٠٨م)**

– المعيار المعرب والجامع عن فتوى إفريقية والاندلس والمغرب ، خرجه مجموعة من الفقهاء ، اشراف : محمد الحجي ، الناشر : وزارة الاوقاف للشؤون الدينية ، المغرب ، ١٩٨١

❖ **قائمة المراجع :**

١-بوتيتش، ابراهيم القادري ،

- المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع – الذهنيات – الاولياء) مطبعة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ ٠

٢-ذنون ، عبد الواحد ، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها،
- مطبعة دار المدار الإسلامية ، ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤.
٣-سالم ، السيد عبد العزيز ،
- تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة لقرطبة ، مطبعة ، دار المعارف ، القاهرة .
٤-عنان ، محمد عبد الله ،
تراجم الشرقية واندلسية ، مكتبة الخانجي ، د ط ،
٥-ابو مصطفى ، كمال السيد ،
- مالقة الاسلامية في عصر الطوائف(القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) دراسة في المظاهر العمرانية و الحياة الاجتماعية ، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية . د.ط ، ١٩٩٣
٦-مسعد ، سامية مصطفى ،
- صور من المجتمع الاندلسي ، الناشر : عين الدراسات الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .
٧- مؤنس ، حسين ،
- فجر الاسلام دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية، مطبعة دار الرشاد ،ط٤، ٢٠٠٨ .
٨-نافع ، عبد الله ،
- الاعياد والمناسبات في شعر الاندلس ، مطبعة دار الرسالة ، ط١ ، ١٩٦٢،
٩-النبلاوي ، نجلاء سامي ،
-القابلة في المغرب والأندلس، مطبعة : الألولة (د.ت) .
١١- الاهواني، عبد العزيز ،
-الفاظ معربيه من كتاب ابن هشام اللخمي ، مجلة العهد للمخطوطات العربية ، عدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

❖ **قائمة الرسائل ٠**

١- زاهية ، خلافي ،
- الطفولة في المجتمع الاندلسي ما بين قرنين الرابع والسادس الهجريين (ق١٠ – ١٢م) اطروحة دكتوراه ، غير منشوره ، جامعة المصطفى ، الجزائر ، ٢٠١٩ ٠
٢-مجيد ، نهاد نعمة ،
- تاريخ الطب في قرطبة الإسلامية من (٩٢- ٦٣٣ هـ / ٧١١-١٢٣٦م) ، رسالة ماجستير غير منشور ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤ ٠

المظاهر الحضارية في اليمن القديم

ماجد احمد علي
أ.د.عادل شابث جابر
جامعة بغداد / كلية الاداب

المظاهر الحضارية في اليمن القديم

ماجد احمد علي

أ.د.عادل شابث جابر

الملخص:

اللغة هي السبيل الأول لنقل الفكرة والتجربة عند الإنسان ، قبل التعامل مع المعطى الخارجي ، سواء بأخذ صورة عنه وفهمه ، أم بأعطائه تنظيماً ومعقولية، فلا مكان للفكر بدون لغة، وليست هذه الأخيرة لباساً للفكر، وإنما هي الجسد نفسه، لأن وجود الفكرة المجردة مرهون بتسميتها، وهكذا يمكن القول بأن اللغة بديل مقنن للتجربة ذاتها، لذلك عُدت اللغة ليست مجرد شكل، بل هي مضمون لفظ ومعنى.

وفقاً لذلك فاللغة هي أساس كل نشاط ثقافي ، وفكري ، ووظيفتها الدلالة والإيحاء، فالدلالة اللغوية هي دلالة معرفية وفكرية، أو خيالية إبداعية ،أو إشارية موضوعية، أو خلاصة تعبيرية للمعاناة ، تكشف عن الإبداع لخبرة حية باطنية وخارجية، طبيعية ، وتأريخية ، ونفسية، واجتماعية ، وإنسانية ، واللغة بهذا هي الرباط الذي يتحقق به الوعي الذاتي بالخبرات العامة ، ويتوافر به التواصل، والتناسخ، والتواجد المجتمعي والأنساني.

Summary:

Language is the first way to transfer the idea and experience to the human being, before dealing with the external given, whether by taking a picture of it and understanding it, or by giving it an organization and reasonableness. Thus, it can be said that language is a codified alternative to the experience itself, so language is considered not just a form, but rather a content of pronunciation and meaning.

Accordingly, language is the basis of every cultural and intellectual activity, and its function is to signify and suggest. The linguistic sign is a cognitive and intellectual sign, creative imaginary, objective indicative, or expressive summary of suffering, which reveals creativity for a living experience, internal and external, natural, historical, psychological, and social.

In this way, language is the link by which self-awareness of public experiences is achieved, and communication, reincarnation, and community and human existence are available.

اولاً : اللغة اليمنية القديمة وخصائصها الفكرية:

اللغة هي السبيل لنقل الفكرة والتجربة عند الانسان ، سواء يأخذ صورة عنها وفهمها أو بأعطائها تنظيماً ومعقولية ، فلا مكان للفكر بدون لغة، وإنما هي الجسد نفسه، لأن وجود الفكرة المجردة مرهون بتسميتها، وهكذا يمكن القول بأن اللغة بديل مقنن للتجربة ذاتها، لذلك عدُت اللغة مضمون لفظ ومعنى [١].

واللغة هي أساس كل نشاط ثقافي، وفكري، ووظيفتها الدلالة والايحاء، فالدلالة اللغوية هي دلالة معرفية وفكرية ، خلاصة تعبيرية للمعاناة ، تكشف الابداع لخبرة حية طبيعية، وتأريخية ونفسية واجتماعية وانسانية، فاللغة هي الرباط الذي يتحقق به الوعي الذاتي بالخبرات العامة [٢].

نشأت اللغة بالتلازم مع النطق والتفكير ووظيفة الابلاغ، منذ بداية نشأة الإنساني، يمثل البداية الأولى في تكوين التفكير الإنساني، فقد نطق الإنسان الأصوات بشكل واع، ليستفيد منها بوصفها وسيلة لنقل مشاعره وأحاسيسه وأفكاره[٣].

فاللغة اليمنية القديمة تنتمي إلى أسرة اللغات السامية، أي انها واحدة من اللغات التي تحدث بها ابناء سام بن نوح (عليهم السلام) وأطلق عليها اللغة اليمنية الجنوبية[٤].

واللغة اليمنية القديمة هي لغة النقوش المكتشفة في مناطق الممالك اليمنية القديمة اذ بلغ عدد هذه النقوش حوالي (١٠) آلاف يعود تاريخها إلى المدة الواقعة بين القرن الثامن ق.م وعهد أبرهة الحبشي (٥٣٥-٥٧١م) ووفقاً للمعطيات اللغوية والجغرافية، توجد لهجات رئيسة هي السبئية والحضرمية والمعينية ، أما مملكة اوسان فلم يعثر على نقوش خاصة بها[٥].

وسوف نأخذ هذه اللهجات بأيجاز:-

١- **السبئية:** وهي لهجمة مملكة سبأ وحمْير، وكانت أكثر انتشاراً وأطول زمن من حيث استخدامها وتفوقها، لاسيما من عدد نقوشها المعروفة التي عثر عليها في مأرب، وهي تغطي معظم الفترة التاريخية(٦).

شهدت اللهجة السبئية تطورات لغوية عدة نظراً لطول مدة استخدامها، لذلك قسمت إلى ثلاث مراحل هي:-

أ-المرحلة القديمة (المبكرة): تمتد من البدايات إلى حوالي بداية التاريخ الميلادي.

ب-المرحلة الوسطى: تمتد من بداية التاريخ الميلادي حتى أوائل القرن (٤م) وإليها تعود اكثر النقوش.

ج-المرحلة الحديثة (المتأخرة): تمتد من أوائل القرن الرابع حتى النصف الثاني من القرن (٦م) (٧).

٢-**القتيانية:** هي لهجة مملكة قتيان تعود نقوشها للفترة بين القرن (٥ق.م) والثاني الميلادي، وعثر عليها في تمنع المملكة وفي مواقع وادي بيحان شرق مدينة صلالة العُمانية الحالية، المدة بين القرن (٤ق.م) ونهاية التاريخ الميلادي(٨).

٣-**الحضرمية:** لهجة مملكة حضرموت ونقوشها قليلة وجدت في العاصمة شبوة ومناطقها وتعود للمدة بين القرن (٤ق.م) ونهاية القرن (٣) الميلادي(٩).

٤-**المعينية:** وهي لهجة مملكة معين ووجدت نقوشها في العاصمة (قرناو) وبعض مناطقها، كما وجدت نقوشها خارج اليمن في (منطقة الفلا) شمال يثرب وجزيرة ، وتعود نقوشها للمدة ما بين القرن (٤ق.م) والأول الميلادي.

وهناك لهجات أخرى في مختلف مناطق اليمن يتكلم بها بعض سكان اليمن القديم.

لذلك عرف اليمنيون القدماء بأنهم جماعة لغوية واحدة، متعددة اللهجات، ربما يعود هذا الأختلاف في اللهجات إلى أزمنة تاريخية سابقة للاندماجات السكانية والاجتماعية التي تحققت فيما بعد(١٠).

تمتاز اللغة اليمنية القديمة بأسلوب تعبيري متكرر، ولاسيما التي تتفق في غرضها وموضوعاتها، ويلاحظ فيها غلبة الاسلوب الاخباري والايجاز والدقة في التعبير، وقد صيغ منضمها بصيغة الغائب حتى لو كان الكلام متعلقاً بصاحب النقش نفسه(١١).

ثانياً : الكتابة اليمنية القديمة:

تعد الكتابة من أهم الانجازات الحضارية التي توصل إليها الإنسان عبر تاريخه الطويل، وتعد أهم وسيلة لتسجيل الأفكار ونقل المعلومات والمعارف بين الناس(١٢).

والكتابة اليمنية التي كتبت بها نقوش الممالك القديمة (سبأ، معين، قتبان، حضرموت) استعملت خط المسند، أو الخط العربي الجنوبي، وهو خط اشتق من الأصل اللغوي (س ن د) في اللغة العربية الجنوبية إذ جاء في معاجم هذه اللغة (س ن د) يعني أقام، نصب ، والاسم (م س ف د) يعني نقش ، لوح فدر عليه(١٣).

وقد جاءت كلمة (م س ن د) في اللغة العربية الجنوبية بالسين النافية (السامخ) التي لا تعرف كيف تنطق غير أن من المؤكد في هذا الصدد أن حرف السين الثانية (السامخ) هي سين في العربية ذلك ان هذا الحرف يقابله حرف السامح في العبودية وحرف السين في اللغات السامية الأخرى(١٤).

والمسند نظام كتابة قديم قبل الخط العربي الحالي، فقد تبين من خلال دراسة أكثر من (١٠) آلاف نقش، تبين أن أقدمها يعود إلى القرن (٨) ق.م وقد بلغ خطها درجة من الاتقان على أيدي كتاب مهرة، مما يوحي أن هناك مرحلة سابقة مرت بها الكتابة قبل القرن (٨ق.م)(١٥).

أختلف الباحثون في تحديد أصول خط المسند فمنهم من ارجعه إلى الابجدية السينائية الأولية، والثاني ارجعه إلى أن رجل من قبيلة كندة أخذ الخط من كاتب الوحي للنبي هود (عليه السلام)، وكلا الرأيين يتفقان بأن خط المسند يستخدم في كتابة لغة عرب الجنوب المستدمة من اللغات السامية(١٦).

بلغ عدد حروف المسند (٢٩) حرفاً لايعرف ترتيبها القديم، وهي من ابتكار "اليمنيين" تكتب منفصلة، تبدأ الكتابة من اليمين إلى اليسار وأحياناً من اليسار إلى اليمين[١٧].

ولايوجد فيها علاقة للفتحة الطويلة التي يسميها الباحثون الألف، وكانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الكلمة مثل الف (همدان) وألف (رئام)، فيكتبون همدن، وئم، وكذلك في كتب المصاحف في رسم الحروف في مثل الرحمن، ويشيع ادغام النون في الحرف الصامت الذي يليه فنتج عنه تصنيف في النطق نحو kdt أي kiddt عن كندة[١٨].

ولم يكن استعمال الخط المسند مقتصراً على اليمن فقط، بل استعمل في كل انحاء بلاد العرب، وقد استعمله العرب خارج بلادهم أيضاً، فقد وجدت آثار كتابات هذا الخط في مصر في زمن حكم بطليموس، وعثر على آثاره في مدينة الوركاء في بلاد الرافدين، في قبر وجد في داخله حجر مكتوب بالمسند[١٩].

ولهذه الكتابة المدونة بالمسند، أهمية كبيرة جداً، اذ انها أول كتابة وجدت بهذا الخط في العراق، وهي تشير إلى الروابط الثقافية بين البلدين، وعثر أيضاً على آثار كتابات هذا القلم في الحجاز وكذلك في بلاد الشام وغيرها من المناطق الأخرى[٢٠].

ثم يفسر علماء العربية سبب تسمية (المسند) مسنداً، إلا أن إسرائيل ولفستون[٢١] أوجد تعليلاً لهذه التسمية، فقال: ((والخط مسند يميل إلى رسم الحرف وسما دقيقاً مستقيماً على هيئة الاعمدة، فالحروف عندهم على شكل العمارة، التي تستند على أعمدة)).

واعتقد أن تفسير (ولفستون) جاء بناءاً على ما وجد عندهم من ميل شديد لإيجاد حروف على هيئة الأعمدة ، أي ان الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند إلى أعمدة، وقد تنبه الباحثين العرب على شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظة المسند لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة.

وهنا تطابق رأي ولفستون مع اليدزبارنسكي (Lidabarski) في سبب تسمية خط المسند في أثر العمارة والأعمدة في شكل هندسة حروف المسند والذي قوى خيالهم هو وجود

مباني وتصور اليمن فهي تشبه أستناد خطوط الحروف وقيامها بعضها إلى بعض استناد المباني والقصور[٢٢].

وقد خالف العلامة جواد علي[٢٣] رأي الباحثين اذ ذكر ان تسمية خط المسند لا علاقة له بهندسة القصور والمباني، فاستناد أجزاء الحرف الواحد بعضها إلى بعض إنما تعني شيئا آخر، تعني خط أهل اليمن القديم فقط، وبرر ذلك بأن كلمة (مسند) (مزند) في العربية الجنوبية تعني (الكتابة) مطلقاً.

وقد وردت في مواضع متعددة من الكتابات والنقوش، فورد في نص أبرهة مثلاً (سطرو) المعنى نفسه الذي يرد في لغتنا العربية وهو (سطرو) أي اكتبوا ودونوا فكلمة (مزندن) التي صارت (المسند) في عربيتنا تعني في العربية الجنوبية ما تعنيه كلمة الخط أو الكتابة في لغة القرآن[٢٤].

مرت الكتابة اليمنية القديمة بمراحل تطورية توازي مراحل تطورها اللغوي، فاتصفت خلال المرحلة القديمة بالطابع الهندسي والأشكال المستطيلة والزوايا القائمة والتنانسق بين أحجام الحروف، واستخدم طريقة كتابة المحراث من اليمن إلى اليسار ثم العودة من التيار إلى اليمين حتى نهاية النقش[٢٥].

ثم ظهر في المرحلة المتوسطة ميل إلى الزخرفة، وحلت الزوايا الحادة محل القائمة، وصارت الخطوط المستقيمة تميل إلى الانحناء ، وفي المرحلة الحديثة اتسع نطاق الزخرفة إلى حد كبير[٢٦].

كان خط المسند هو نظام الكتابة الغالب لشبه الجزيرة العربية، لكن تراجعت اهميته بعد اعتناق الحميريين للمسيحية وهيمنة الأبجدية السريانية على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية أواسط القرن الرابع الميلادي.

عرف اليمنيون القدماء نوعين من خط الكتابة الاول (المسند) وهو خط تذكاري يكتب على الاحجار مثل ما يقدمه كنذور المعابد والآخر (الزبور)، وهو خط سريع تحريره فيه خفة

وتكتب به المراسلات والمعاملات على عيدان الخشب وما شابه ذلك ولاشك ان قول امرئ القيس:

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط الزبور في العيسب اليماني(٢٧).

لذلك تعد مستندات شرعية يقوم بها من عمر الأرض فهي تعطي الحجة على حق فيها، ومن أغراض الكتابة الأخرى تسجيل اعترافاتهم على أنفسهم بذنوب اقترفوها يستغفرون بها آلهتهم مما فعلوا ويسجلون قرابينهم ونذورهم المقدمة للآلهة(٢٨).

وسجلوا من خلال الكتابة أعمالهم التجارية مالهم، وما عليهم ، وما دفعوا لأولى الأمر أو الدولة، أو الآلهة من ضرائب مستحقة عليهم، وكذلك سجلوا من خلالها مراسلاتهم الشخصية وأسماء موتاهم على النصب التذكارية(٢٩).

وكانت الكتابة مهنة قائمة بذاتها، والأدلة عليها كثيرة في المدونات النقشية اليمنية، فقد كان الكاتب يحرص على تسجيل اسمه في زاوية أسفل المدونة، وقد شهدت الممالك اليمنية القديمة ورشاً متخصصة لاعداد صفائح الحجر والبرونز التي يتم حفر الحروف عليها، وكان قدماء اليمنيون يضفون على الكتابة شيئا من القداسة(٣٠).

ثالثاً: الآثار المادية:

كانت الأساطير والقصص الشعبية والاخبار التي أخذت من أهل الكتاب ولاسيما اليهود خضعت لعواطفهم لمؤثرات خاصة، وقد تراوحت هذه العناصر على أنها تاريخ العرب قبل الإسلام حتى القرن التاسع عشر الميلادي إلا أن المستشرقون شكوا في أكثرها، فتناولوها بالبحث والتدقيق، وكان أهم علم قام به المستشرقون هو البحث عن الكتابات العربية التي دونها العرب قبل الإسلام ، وتعليم الناس قراءتها بعد أن جهلوها مدة ألف عام(٣١).

لم يقتنع المستشرقون إلى هذا المروي في الكتب العربية، بل رجعوا إلى مصادر وموارد ساعدتهم في تدوين تاريخ العرب قبل الإسلام، ورغم قلتها إلا أنها غير من هذا القديم ال متعارف وأقرب منه إلى التاريخ وقد تجمعت مادته من هذه الموارد الآتية:-

(١) الآثار والنقوش.
(٢) التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى.
(٣) الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية ونحوها.
(٤) المصادر العربية الإسلامية[٣٢].

وسنأخذ أولاً:

(١) النقوش والكتابات:

تعد التعبير المادي الملموس الذي خلقه الإنسان، لذلك أصبحت الدراسات الآثارية، في مقدمة المصادر التي يمكن لأهميتها ان تكشف لنا طبيعة المعيشة وأنماطها والعلاقات الاجتماعية وطبيعة الزراعة والري واحتياجات المجتمع من الملابس والحلى وأدوات الزينة، والحيوانات وغيرها من النحت والرسم الفني والمخربشات[٣٣].

وقد خلف لنا اليمنيون القدماء الكثير من النقوش الكتابية على الصخور والاحجار وجذوع الأشجار، مما يدل على تطور المعرفة ورقي الحضارة العربية الجنوبية، وعلى الرغم من تعرض بعضها إلى التشويه، فضلاً عن قلة المعلومات فيها بسبب طبيعة الكتابة قياساً إلى الكتابات العراقية والمصرية القديمة، إلا أنها تعطي صورة عن الوضع كما يراه صاحب النقش ولم تتعرض لتصحيف النساخ، لذلك ارتكزت معلوماتنا عن بلاد اليمن على النقوش اليمنية الجنوبية[٣٤].

وقد حاول الباحثون تكملتها ومقارنتها بالنقوش والكتابات الأخرى المعاصرة لها والقريبة منها جغرافيا ومنها النقوش الصفائية واللحياتية والثمودية والكتابات المسمارية في العراق القديم، وكذلك النقوش الاكسومية التي اكتشفت في الحبشة[٣٥].

وقد دونت النقوش اليمنية بالخط المسند وقد تناول علماء اللغة والآثار والتاريخ دراسة هذه النقوش وتحليل محتوياتها، وتمكنوا من الحصول على معلومات غنية منها، وأهم هذه الدراسات التي اهتمت بدراسة النقوش هي الكوريوس (CiH) والربتوار (RES) وهناك مجاميع بأسماء مكتشفيها مثل مجموعة خلبي (HI) وريكمانز (Ry) وجام (Ja) واحمد

فخري (FA) والارياني (E) وخليل يحيى نامي (M) وزيد بن عنان (AN) وآخر هذه المجموعات التي نشرت هي مجموعة النقوش الخشبية[٣٦].

٢- التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى:-

جاء ذكر العرب في أسفار التوراة يبين علاقتهم بالعبرانيين، والتوراة مجموعة اسفار كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة، والتوراة تضم عقائد اليهود والاحداث المرتبطة بهم، وتمتاز معلوماته بالاقتضاب والشك، لتعرضه للتحريف لأنها تخدم مصالح اليهود، وان ما ذكر من العرب في التوراة يرجع تاريخه إلى ما بين سنة ٧٥٠ق.م والقرن الثاني ق.م[٣٧].

أما المصادر النصرانية فلها أهمية كبيرة في تدوين تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وتاريخ القبائل العربية، وعلاقات العرب باليونان والفرس، ولها قيمة تاريخية مهمة لأنها عند عرضها للحوادث تربطها بتاريخ ثابت معين، مثل المجاميع المسيحية، أو تواريخ القديسين والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة[٣٨].

ولعل أشهر هذه الكتابات مؤلفات بوسيوس (٢٦٤-٣٤٩م) والذي كان واحداً من اباء الكنيسة البارزين في عصره، وأول مؤرخ كنسي بعتد به، حتى لقب (بابي التاريخ الكنسي) (هيرودت النصارى)، وهناك كذلك بردكبيوس المتوفي عام ٥٦٣م) والذي يعد المؤرخ الكنسي لعصر جستينان (٥٢٧-٥٦٥م) الملئ بالأحداث وبما يجعل مادته التاريخية موضع ثقة أن بعضها مقتبس من الروايات الشفهية[٣٩].

وقد تحدث في كتابه (تاريخ الحروب) عن المعارك التي دارت بين الغساسنة واللخمينين ، فضلا عن غزو الاحباش لليمن في الجاهلية[٤٠] وهناك كتاب نشره المستشرق (كارل موللر) واسمه (Colaucus) ويبحث في آثار بلاد العرب، فضلا عن كتابا المؤرخين النصارى من سريان[٤١].

٣-المصادر الكلاسيكية (القديمة):

وتطلق على الكتب التي ألفها الكتاب اليونان والرومان، تمتاز بأنها مفصلة، وتضمنت إشارات كثيرة ومهمة عن الأحوال الاجتماعية في اليمن، فجاء ذكر لمنتوجات اليمن عند شيخ المؤرخين اليونان هيردوت (عاش في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد)، وكما نقل سترابو (٦٤ق.م- ٥١م) روايات كثيرة عن اليمن بعضها رواها عن ثيوفراتوس (Theophrastos) عاش في القرن الرابع ق.م) [٤٢] واجاثارخيدس يرجع انه كان موجوداً نح سنة (١١٦ق.م) وكما أشار يليني (٢٣-٧٩م) وبطليموس (النصف الأول من القرن الثاني الميلادي) إلى شؤون شبه الجزيرة العربية وأهل اليمن وكذلك كتاب الطواف حو البحر الارتيري[٤٣].

٤-المصادر العربية والإسلامية:

هذه المصادر دونت في الإسلام، وقد جمعت مادتها منذ الجاهلية ما عدا ما يتعلق باخبار صلات الفرس بالعرب، وهذه المصادر متنوعة منها مصنفات التاريخ، ومنها مصنفات الأدب بنوعية من نثر ونظم، ومنها كتب البلدان والرحلات والجغرافية وفي موضوعات أخرى عديدة[٤٤].

ومن المصادر العربية المهمة هو القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد[٤٥]، نزل على رسوله الكريم (محمد) (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وكانت الآيات تدون ساعة نزولها، إذ كان الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إذ ما نزلت عليه اية أو آيات قال ((صفوها في مكان كذا)) من سورة كذا لذلك اتفق العلماء على أن جمع القرآن توفيقي بمعنى ترتيبي بهذه الطريقة التي نراها اليوم في المصاحف ، أنما بأمر روحي من الله[٤٦].

وليس هناك من شك في أن القرآن الكريم ، كمصدر تاريخي أصدق المصادر وأصحها على الأطلاق، فهو موثوق السند، ثم هو بعد ذلك كتاب الله الذي ل ايأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، ومن ثم فلا سبيل إلى الشك في صحة نصه[٤٧].

والقرآن الكريم يقدم لنا معلومات مهمة عن عصور ما قبل الإسلام وأخبار دولها أبدتها الكشوف الأثرية الحديثة، كما نجد في القرآن سورة كاملة تحمل اسم مملكة في جنوب شبه الجزيرة العربية، واعني بها سورة سبأ)، والقرآن الكريم أنفرد دون غيره من الكتب السماية بذكر أقوام عربية بادت ، كقوم عاد[٤٨] وثمود[٤٩] فضلاً عن قصة أصحاب الكهف[٥٠]، وسيل العزم[٥١] والكثير من سور القرآن الكريم ذكرت قصص وأحداث تاريخية حقيقية.

ويمكن ملاحظة أن هدف القرآن من قصصه، ليس التاريخ لهذه القصص، وإنما عبراً لغرض الاستفادة مما حل بالسابقين، ومع ذلك فأن هذه القصص إنما هو الا الحق وصدق الله العظيم حين قال {ان هذا لهو القصص الحق}[٥٢].

والمصدر الثاني من المصادر العربية هي كتب الحديث وشروحها رغم أنها مصدر فقهي أكثر منه تاريخي، فهو مورد غني من الموارد الأساسية كتدوين أخبار العرب قبل الإسلام، ولا غريب بالأمر ان مؤرخي تلك الفترة تجاهلوا هذا المنهل الغزير، لذلك فقد خسروا واحداً من أهم وأصدق مصادر التاريخ القديم[٥٣].

وأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليب العرب وكلامهم يقول تعالى في كتابه العزيز {انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون}[٥٤]، ورغم أن القرآن نزل بلسان عربي وفي بيئة عربية فأنه لم يكن كله في متناول الصحابة جميعاً، يستطيعون ان يفهموه إجمالاً وتفصيلاً بمجرد أن يسمعوه، لذلك نشا علم التفسير وتدبره وتبيان ما وجز فيه أو ما أشير اليه إشارات غامضة ، فكان أول المفسرين الرسول الكريم (محمد) (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) [٥٥].

والمصدر الثالث من المصادر العربية هي كتب السير والمغازي فهي من المصادر المساعدة في التاريخ العربي القديم، ذلك لأن كتاب السير والمغازي يعرض ذكر العرب في الجاهلية والأنبياء السابقين ويفصلون القول في نسب الرسول الكريم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفي أخبار مكة وقريش وما يتصل بها من أفراد وقبائل، وتشمل كتب السير والمغازي على الكثير من الشعر الجاهلي منها كتاب السير لابن هشام[٥٦].

أما المصدر الرابع هو الأدب الجاهلي فهو يعتبر مصدراً خصباً من مصادر التاريخ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص، بما اشتملت عليه من

وقائع وأحداث، فالأدب أن كان شعراً أو نثراً أو مأثور حكم فهو مرآة صادقة لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب حياتهم، وشؤونهم أوقات الحرب والسلم وكافة مناحي حياتهم فهو من المصادر المهمة في التاريخ القديم(٥٧).

ولابد من ذكر كتب اللغة وأهميتها في تفسير بعض الألفاظ المسندية، وكذلك كتب المؤرخين واللبدانيين العرب، فقد سلطت الضوء على كثير من جوانب الحياة في بلاد اليمن، مثال ذلك كتب الهمداني (ت٣٥٠-٣٦٠هـ)، اذ كان له معرفة بقراءة خط المسند، وألف كتاباً في جغرافية شبه جزيرة العرب واليمن (٥٨).

الهوامش:

(١) نقلاً عن السقاف، عبدالرحمن عمر عبدالرحمن، تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء، اطروحة دكتوراه، ٢٠٠٧م، ص٩٠.

(٢) السقاف، المصدر نفسه، ص٩٠.

(٣) ابو زيد ، احمد ، الفكر واللغة، سلسلة عالم الفكر، الكويت ، مجلد (٢) ، عدد(١)، ١٩٧١م، ص١٧.

(٤) الضالعي، محمد عباس ناجي، التاريخ القديم للعربية الجنوبية، ط٢، (عدن: مركز عدن للبحوث والدراسات الإستراتجيية، ٢٠١٩م)، ج١، ص٣١؛ قائد ، صادق عبده علي، الهوية السياسية والحضارية لليمن في التاريخ القديم وعصر الإسلام، (صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٠٠.

(٥) اسماعيل ، فاروق، اللغة اليمنية القديمة، (تعز: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ص٤٦.

(٦) محمد، هيفين عبدالحنان، اللغة اليمنية القديمة دراسة دلالية تأصيلية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب – جامعة حلب قسم اللغات السامية، ٢٠١٧م، ص٨-٩.

(٧) رفعت، هريم ، اضواء على دراسة اللغة العربية في جنوب الجزيرة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠١٢م، ج٢، م٨٨، ص٣٣١-٣٣٢.

(٨) إسماعيل، اللغة اليمنية القديمة، ص٤٧.

(٩) إسماعيل، المصدر نفسه، ص٤٧.

(١٠) إسماعيل، قواعد اللغة اليمنية القديمة، ص٥٠.

(١١) ينظر: اسماعيل، المصدر نفسه، ص١٥٣.

(١٢) مكياش، عبدالله احمد، الكتابة العربية الجنوبية (كتابات السند) أصلها وانتشارها وعلاقتها بالكتابة الشمالية الغربية، مجلة دراسات وآثار الوطن العربي، ص٣٣٨.

(١٣) مكياش، المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(١٤) مكياش، الكتابة العربية الجنوبية ، ص٣٣٨.

(١٥) اليعربي، صلاح بن سيف ، خط المسند ، بحث في كلية الشرق أوسطي، ٢٠١٣، ص٥-٦.

(١٦) اليعربي، خط المسند ، ص٦.

(١٧) هيفين، اللغة اليمنية القديمة، دراسة دلالية تأصيلية ، ص٩؛ بسيتون ، قواعد العربية الجنوبية، ص١٠.

(١٨) بيستون، قواعد النقوش العربية الجنوبية، ص١٢.

(١٩) ينظر: علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢٠) ينظر: علي، المفصل ...، ص٢٠٣.

(٢١) نقلاً عن ولفنسون، اسرائيل ، تاريخ اللغات السامية، ط١، (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٩م)، ص٢٤٣-٢٤٤.

(22) Lidzbarski, Ephemerise, S.lly, Hammel, grundriss, Erste Halfte, S.146.

(٢٣) ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٢٠٩.

(٢٤) ينظر: علي، المصدر نفسه، ج٨، ص٢٠٩.

(٢٥) اسماعيل، اللغة اليمنية القديمة، ص٥٧-٥٨.

(٢٦) الضالعي، التاريخ القديم للعربية الجنوبية، ج١، ص٣٢.

(٢٧) ينظر: مريم، رفعت ، العربية في جنوب الجزيرة العربية، "كتابت الزبور" . مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٨٨، ج٣، ص٦٤٤.

(٢٨) السقاف، تطور الحياة الفكرية لليمنين القدماء ، ص١١٥.

(٢٩) الغول ، محمود، مكانة النقوش، مجلة الحكمة، السنة الرابعة، العدد (٤)، ١٩٧٥م، ص٣٤-٣٥.

(٣٠) نقلاً عن السقاف، تطور الحياة الفكرية لليمنين القدماء، ص١١٥.

(٣١) علي، المفصل....، ج١، ص٤١-٤٢.

(٣٢) علي، المفصل....، ج١، ص٤٣.

(٣٣) بيرين ، جاكلين ، الفن في منطقة الجزيرة العربية، فترة ما قبل الإسلام، مجلة دراسات يمنية، ع٢٣-٢٤، ص١٦-٤٢.

(٣٤) الموسوي، الأحوال الاجتماعية...، ص١٥.

(٣٥) ديسو، رينية ، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبدالحميد الدواخالين (دمشق: الدار القومية للطباعة والنشر، (لات) ، ص٦٠.

(٣٦) الموسوي، الأحوال الاجتماعية... ص١٦.

(٣٧) ينظر: علي: علي ، المفصل...، ج١، ص٥٣-٥٤.

(٣٨) مهران، محمد بيومين تاريخ العرب القديم، ط٢، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ب.ت)، ص٣٢.

(٣٩) ينظر: علي، المفصل...، ج١، ص٦٠.

(٤٠) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورد حداد وعبدالكريم رافق، (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٥٨م)، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٤١) مهران، تاريخ العرب القديم، ص٣٣.

(٤٢) الموسوين الأحوال الاجتماعية...، ص١٨-١٩.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٩.

(٤٤) علي، المفصل....، ج١، ص٦٥-٦٦.

(٤٥) سورة فصلت، آية (٤٢).

(٤٦) السيوطي، أبو الفضل، عبدالرحمن بن أبي بكر الخضيري، الاتقان في علوم القرآن، ت٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم (الرياض: إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والارشاد، ب.ت)، ج١، ص٤٨-٦٣.

(٤٧) مهران، تاريخ العرب القديم، ص٣٥.

(٤٨) سورة الاعراف: آية ٦٥؛ هود: آية ٥-٦؛ الشعراء: آية ١٢٣-١٤٠.

(٤٩) سورة الأعراف: آية ٧٣-٧٩؛ هود: آية ٦١-٦٨؛ الشعراء : اية ١٤١-١٥٩.

(٥٠) سورة الكهف، آية ٩-٢٦.

(٥١) سورة سبأ، آية: ١٥-١٩.

(٥٢) سورة آل عمران: آية ٦٢.

(٥٣) مهران، تاريخ العرب القديم، ص٣٧.

(٥٤) سورة يوسف: آية (٢) ؛ الزبر: آية ٢٨.

(٥٥) مهران، تاريخ العرب القديم، ص٣٨-٣٩.

(٥٦) عبدالحميد ، سعد زغلول، في تاريخ قبل الإسلام، (بيروت: دار المنهج الحديث، ١٩٧٠م)، ص٢٨-٢٩.

(٥٧) الحوقي، احمد محمد، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ط٢، (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٤٩م)، ص٤.

(٥٨) نقلاً عن كتاب الاكليل ؛ الموسوي، الأحوال الاجتماعية....، ص٢١-٢٢.

التجارة الداخلية والأسواق التجارية في إقليم خوارزم بعد الفتح الإسلامي (٩٣هـ/٧١١م)

أ. د. وفاء عدنان حميد
جامعة بغداد/ كلية الآداب
Wafaaadnnan@yahoo.com

م. م. حليم نعمه أحمد
وزارة التربية / الكرخ الثالثة
halimnimma@gmail.com

التجارة الداخلية والأسواق التجارية في إقليم خوارزم بعد الفتح الإسلامي (٩٣هـ/٧١١م)

أ. د. وفاء عدنان حميد

م. م. حليم نعمه أحمد

الملخص:

اختص البحث بجانب حيوي ومهم من الجوانب الاقتصادية في إقليم خوارزم، إذ أن التجارة الداخلية مرتبطة بحياة الانسان بشكل يومي، وهي حركة السلع التجارية بين مدن الاقليم، واشتهرت التجارة الداخلية في اقليم خوارزم ومدنه، وأغلب المدن الرئيسية في خوارزم مراكز تجارية، وقد عمل العديد من أهل خوارزم بالتجارة، وامتاز الاقليم بالخيرات الوفيرة والمنتجات الكبيرة التي تدخل الى الأسواق التي كان لها أهمية كبيرة في عمليتي البيع والشراء كونها تتم من خلال الأسواق، وتمارس التجارة الداخلية في أسواق خوارزم المنتشرة في مدن وقرى الاقليم، التي تعرض فيها مختلف السلع التجارية المختلفة من المنتجات الزراعية والحيوانية ومنتجات الصناعات المرتبطة بحياة المجتمع اليومية.

الكلمات المفتاحية: التجارة الداخلية، السلع التجارية، الأسواق، خوارزم.

Internal trade and commercial markets in the Khorezm region After the Islamic conquest (93 AH/711 AD)

Research extracted from a doctoral thesis

Professor Dr. Wafa Adnan Hamid Mudarres. Haleem Nima Ahmed

University of Baghdad / College of Arts Ministry of Education / Al-Karkh III

Abstract

The research focused on a vital and important aspect of the economic aspects in the Khiva region, as internal trade is linked to human life on a daily basis, which is the movement of commercial goods between the cities of the region. Internal trade was famous in the Khiva region and its cities, and most of the main cities in Khiva were commercial centers. Many The people of Khwarazm trade, and the region is distinguished by the abundant goods and large products that enter the markets, which were of great importance in the buying and selling process as they are carried out through the markets. Internal trade is practiced in the Khwarazm markets spread throughout the cities and villages of the region, in which various commercial goods and products are

displayed. Agricultural, animal, and industrial products related to the daily life of society.

Keywords: internal trade, commercial goods, markets, algorithm.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين.

تعد دراسة الجوانب الاقتصادية في اقليم خوارزم من أهم الجوانب لارتباطها المباشر بحياة الانسان وارتباطها بجوانب الحياة الأخرى.

ومن تلك الجوانب هي التجارة الداخلية التي تمثل المحور الأساسي لتوفير السلع الأساسية للانسان وبشكل يومي.

فالتجارة الداخلية هي الممارسات اليومية التي يقوم بها التجار داخل مدن الاقليم وفيما بينها، وان مدن اقليم خوارزم عدت مراكز تجارية مثل مدينة الجرجانية فهي من أهم المراكز التجارية في الاقليم، ومدينة كاث مركز لتجمع التجار والبضائع التجارية، فضلاً عن مدينة ارثخشميثن التي تضم أكبر مركز تجاري ينزله التجار.

والتجارة الداخلية تمارس من خلال الأسواق التجارة المنتشرة في اقليم خوارزم، إذ لا توجد مدينة ولا قرية الا وفيها سوق عامرة.

وان الأسواق هي عنوان للنشاط التجاري والاقتصادي لكل مدينة وسميت الأسواق تبعاً لاسم المدينة، وبعضها سمي تبعاً للبضاعة التي تُباع وتشترى فيه، وكانت الأسواق تقع في وسط المدن وتنوعت فمنها دائم ومنها موسمي، واحتوت على أنواع المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية، التي يحتاجها الانسان بشكلٍ يومي، وتم الاهتمام بأبنية السوق وعمارتها، والاشراف عليها من قبل الحكومات لمنع الغش وذلك من خلال تعيين المحتسب الذي يراقب الأسواق.

- **التجارة الداخلية في خوارزم**

التجارة الداخلية هي التجارة التي كانت داخل مدن إقليم خوارزم وفيما بينها، وقد عدت الجرجانية عاصمة خوارزم من أهم المراكز التجارية في الاقليم[١]، فضلاً عن مدينة كاث العاصمة الثانية لخوارزم، إذ كانت مكاناً ومركزاً للتجار والبضائع التجارية[٢].

أما مدينة ارثخشميثن فهي مركز تجاري آخر في خوارزم، وكانت مركزاً ينزله التجار، وهي تضم خانات وأسواق عامرة[٣].

ان النشاط التجاري في خوارزم كان متميزاً، وساهم أهل خوارزم بهذا النشاط وازدهاره من خلال امتهان عدد غير قليل منهم العمل في التجارة، فضلاً عن إن أكثر قرى ومدن خوارزم أسواق وخيرات، ومن النادر أن يكون فيها قرية لا يوجد فيها سوق[٤] ، إذ اشتهر إقليم خوارزم بتجارته منذ القِدم، وأهلها يعيشون في نعمةٍ كبيرة، وقد امتازوا بالغنى واليسار وهم أهل مروءة[٥].

وهم ذو ثروة طائلة[٦]، وامتاز الإقليم بالخيرات الكثيرة، والأسواق العامرة، وهذا مع وجود أمن وطمأنينة[٧]. فضلاً عن ان معظم الأسر والبيوت امتهنوا التجارة وتوارثوها عن أجدادهم، وبعض البيوت والأسر لقبوا تبعاً لمهنتهم بالتجارة أو نسبةً الى البضاعة التي يتجارون فيها، إذ ذكر السمعاني ان بيت البَرَقي من أهل خوارزم وهو من البيوت الكبيرة، قد اشتغلوا في بيع الحملان (جمع حَمْل وهو ابن الشاة)، وكانوا يتاجرون بها منذ القِدم، وتخرَّج من هذا البيت العلماء الكثيرين والملقين بـ(البَرَقي) ومنهم من سكن مدينة بخارى، ومنهم من رحل الى بغداد واستقر بها[٨].

- **الأسواق التجارية في خوارزم**

إن لفظة السوق وردت في القرآن الكريم كثيراً، إذ قال الله سبحانه وتعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا }[٩].

إن هذه الآية أشارت الى أن الرسول (صلَّ الله عليه وآله وسلم) كان يمشي في الأسواق للبيع والشراء، فضلاً عن أن الرسول محمد (صلَّ الله عليه وآله) كان يقصد الأسواق في بداية الدعوة الاسلامية لتبليغ دعوته في السوق لكثرة تواجد الناس فيه[١٠].

ونظراً لأهمية الأسواق كونها مقراً للتجارة والبيع والشراء فقد ورد في أحاديث الرسول محمد (صلَّ الله عليه وآله وسلم) ذكرٌ لها، وذُكِر التاجر الأمين في السنة النبوية المشرقة فضلاً عن عمل الرسول الكريم (صلَّ الله عليه وآله وسلم) وصحابته في التجارة وفي الأسواق، مما رفع شأن التجارة في نظر المسلمين كافة[١١]، ورد حديث للرسول (صلَّ الله عليه وآله وسلم) مخاطباً أحد الرجال: "عليك بلزوم السوق والصنعة، فقال ولا تزال كريماً على اخوانك ما لم تجنح إليهم"[١٢].

ومعنى السوق في اللغة، هي من المصدر ساقهُ، والسيقة، ما استيق من الأشياء، وان سبب تسمية السوق مرجعهُ الى سَوق الأرجل إليها[١٣].

أما في الاصطلاح فهي لفظة تطلق على كل مكان يجتمع فيه الناس للبيع والشراء[١٤].

وللسوق أهمية كبيرة في التجارة والبيع والشراء، وعلى هذا الأساس لابد أن تكون له مقومات ومن أهمها مكان إقامة السوق وزمان إقامته ، أي الوقت الذي تمارس فيه الأعمال[١٥]، فضلاً عن السلع التي تباع في السوق ونوعها وتأمين وصولها اليه، والخدمات المقدمة داخل السوق، ومن مقومات السوق التعاملات المالية عند البيع والشراء، فضلاً عن توفر المكاييل والاوزان[١٦].

وبعد هذا العرض الموجز عن السوق لابد هنا أن نشير الى المسميات التي سميت بها الأسواق ومواقعها وأنواعها وعمارتها فضلاً عن السلع التي تباع في أسواق خوارزم وكيفية مراقبة الأسواق فيها:-

١- تسميتها:

إن السوق عنوان النشاط التجاري والاقتصادي لكل مدينة، وان تسمية السوق تعطي دلالة على أهميته ومكانته الاقتصادية وقد سميت الأسواق باسم المدينة التي يقام فيها السوق، ففي خوارزم أكثر مدنها ذات أسواق وخيرات ودكاكين[١٧]، وهذه الأسواق سميت بأسماء المدن منها، سوق مدينة كاث وسوق فرانكين وسوق نوزوار وسوق زمخشر وسوق جكربند وسوق ساوكان وسوق هزاراسب، فضلاً عن بقية مدن اقليم خوارزم كلها فيها أسواق تحمل اسم المدينة[١٨].

أما بعض تسميات السوق تبعاً للبضاعة التي تشتهر ببيعها أو صناعتها داخل ذلك السوق، فكان لأهل الحِرف والصنائع أسواق خاصة بهم[١٩]، ومن تلك الأسواق سوق الصيارفة وسوق البزازين في خوارزم[٢٠]، وهناك أسواق سميت بأسماء الحيوانات المباعة فيها، إذ كانت مدينة الجرجانية مشهورة باقتناء أهلها للمواشي فقد وجدت فيها سهلة لبيع الأغنام[٢١].

وذكر ابن بطوطة خوارزم وأسواقها، إذ قال: "وصلنا الى خوارزم، وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها، لها أسواق مليحة، والشوارع الفسيحة، والعمارة الكثيرة، والمحاسن الأثيرة، وهي ترتج بسكانها لكثرتهم، وتموج بهم موج البحر"[٢٢].

فضلاً عن ذكره الأسواق تحدث عن زحام السوق وكثرة الناس فيها، وانه لما دخل السوق ضاع في الزحام ولم يستطع العودة الى البيت إلا بعد مشقة وعناء[٢٣]، وقد سُمي هذا السوق باسم (الشوَّر) ومعناه سوق الحركة والضجيج[٢٤].

وهذا دليل على أن خوارزم عامرة بأسواقها الكثيرة ومزدحمة بالتجار إذ كانت رحلة ابن بطوطة الى خوارزم بعد الغزو المغولي بكثير.

٢- موقعها:

إن موقع السوق في المدن الاسلامية لهُ ارتباط وثيق بموقع بالمسجد، إذ يعد المسجد المركز الديني والثقافي والاجتماعي لسكان المدينة ويقصد سكان كل مدينة مسجدها للصلاة، فغالباً ما كان السوق والمسجد متقاربان في الموقع، فضلاً عن التقارب الروحي، فالمسجد يسد حاجة الناس الدينية والروحية، والسوق يسد حاجاتهم المعايشة[٢٥].

وبعد اتساع المدن تحول السوق الى الربض. ولما أصبح الربض مكاناً لنشاط السكان وتجمعهم، انتقلت الأسواق والتجارات في الربض، باستثناء بعضها بقي داخل المدن[٢٦]، أما اسواق المدن الخوارزمية التي يقع سوقها قرب المسجد هي: سوق مدينة كاث قصبة خوارزم فسوقها يحتضن المسجد الجامع[٢٧]، ومنها من يكون الجامع في الطريق الى السوق ومنها أسواق زمخشر وروزوند وجنوة وجكربند وكلها مدن خوارزمية[٢٨]، ولكثرة الأنهار في إقليم خوارزم فإن أكثر الأسواق تقع على ضفافها، إذ أن سوق مدينة كاث يقع على ضفتي نهر جردور الذي يشق وسطها وطوله ميل تقريباً[٢٩].

وان مواقع أسواق مدن خوارزم الأخرى كما ذكر المقدسي، ان سوق مدينة فرانتكين يقع وسط المدينة وهو عامر بالبضائع، وكان سوق مدينة نوزوار متوسط المساحة ويقع الجامع على طرف السوق وسط المدينة وهو مغطى كله تقريباً، ويقع سوق مدينة زمخشر في وسطها والجامع بطرفهِ[٣٠] ومدينة هزاراسب كانت جليلة وفيها أسواق كثيرة تقع في وسطها[٣١].

٣- أنواعها:

تنوعت الأسواق فمنها الدائم ومنها الموسمي، وتركزت التجارة الداخلية في الأسواق، وان جميع المدن الخوارزمية فيها أسواق لها، ولما يحيط بها من قرى، فضلاً عن أنها مخازن لإنتاجها، وجميع هذه الأسواق دائمية تفتح أبوابها صباحاً كل يوم ويؤمها الناس من كل مكان لشراء المعروضات فيها، وتغلق ليلاً، ولها حراس لحمايتها[٣٢]، وان ياقوت الحموي ذكر اسواق خوارزم قائلاً: "فكانت مدن وقرى إقليم خوارزم بالعموم تكاد لا تخلو من الأسواق"[٣٣]الأسواق الموسمية فهي التي تنعقد لمدة من الزمن، سواء كانت سنوية مثل سوق بيع الأصواف في مدينة الجرجانية فهذا ينعقد سنوياً[٣٤]، أو اسبوعية أو شهرية وحسب البضائع والسلع المباعة في هذه الأسواق التي لا تحتاج الى مقر دائم ولا لدكاكين، بل ان الباعة يعرضون بضاعتهم في الساحات المقررة مفترشين الأرض[٣٥]، كسوق منتجات الماشية كالجبن واللبن في الجرجانية[٣٦].

٤- عمارتها:

ان السوق مركزاً لاستقطاب التجار والناس عامةً فهو يعد واجهة كل مدينة، فضلاً عن نشاطها الاقتصادي والمالي، لذلك كان الاهتمام بالسوق من الضروريات، وبرزت جوانب عمارة الأسواق بشكل واضح عندما وصفت أسواق خوارزم بالسعة والنفاسة وانها أسواق عامرة ومليحة وحسنة[٣٧]، وفرشت أرضية الأسواق وطرقها بالحجارة التي تنقل من مقالع الحجر في أنحاء خوارزم، فضلاً عن الاهتمام بسقوف الأسواق، إذ أن اسواق مدن نوزوار وزمخشر كانت أسواق داخلية تسمى قياصر[٣٨] وهي مغطاة بالكامل[٣٩].

وان معظم أسواق مدن اقليم خوارزم بنيت بالخشب[٤٠]، لكثرة الأشجار في الاقليم مثل أشجار التوت والصفصاف وشجر الغلاف[٤١]، وأن سوق براتكين بني بالطين واللبن[٤٢].

أما عن أشكال الأسواق فقد كان شكل سوق الجرجانية قصبة خوارزم مستطيلة الشكل[٤٣]، و سوق مدينة كاث كان شكله طولياً على ضفتي نهر جردور، وحدد طوله بثلث الفرسخ[٤٤].

٥- السلع التجارية في أسواق خوارزم:

اشتهرت أسواق خوارزم بكثرة المحاصيل الزراعية المحلية التي تنتجها أراضي الإقليم ومنها الأرز الذي كان يزرع بكثرة في خوارزم، والسمسم والحنطة والحمص[٤٥]، فضلاً عن البندق واللوز والجوز الذي كان وفيراً في أسواق خوارزم إذا اشتهرت مدينة شكث ببيع الجوز الكثير في أسواقها[٤٦]، وهذا الجوز يأتي الى أسواق خوارزم عن طريق التجارة لأنه لا يزرع في أراضي الاقليم، إذ ذكر الاصطخري ان خوارزم بلاد خصبة كثيرة الطعام والزراعة والفواكه، لك لا وجود لأشجار الجوز فيها[٤٧].

واشتهرت أسواق خوارزم ببيع القطن، إذ كان يزرع في الاقليم بشكلٍ واسعٍ، وهو المصدر الأول لصناعة الملابس فيه[٤٨]، وراجت في أسواق خوارزم أنواع كثيرة ومختلفة من الفواكه، ومن أهمها الكروم بأنواعها[٤٩]، إذ أكد المقدسي على كثرة الكروم والزبيب في أسواق مدينة درغان[٥٠]، ومن ثمار الفاكهة الأخرى في أسواق خوارزم الرمان، والكمثرى، والتين ، والتوت وغيرها[٥١].

وان بطيخ خوارزم من أهم سلعها التجارية الزراعية[٥٢]، إذ أن سوق الجرجانية من أعظم الأسواق التي تعج بالبطيخ الخوارزمي المجفف الذي يحمل الى الآفاق[٥٣].

وانتشرت في أسواق خوارزم تجارة الأخشاب التي كانت تستخدم في بناء المنازل والمحال والأثاث المنزلي، وصنع القسي وغيرها، فضلاً عن بيع وشراء الخشب في أسواق خوارزم لاستخدامه كحطب في التدفئة لشدة برد الاقليم في الشتاء، إذ تميز الحطب بوفرته ورخص أسعاره في خوارزم[٥٤].

أما السلع التجارية المصنوعة في إقليم خوارزم، فقد كانت منتشرة في أسواق المدن والقرى الخوارزمية، ومنها المنسوجات والملابس، فقد اشتهرت الأسواق بوفرة المنسوجات والثياب المصنوعة من القطن والصوف والحرير[٥٥].

وانتشرت أنواع اللحف والديباج، والملابس الصوفية الثقيلة بسبب برد الشتاء في خوارزم، إذ كان البدو الرحل من أهل خوارزم يفضلون الملابس الصوفية[٥٦]، كما وجدت في أسواق خوارزم السراويل المبطنة، والقلانس، والبرانس والقراطق، وهي ملابس خاصة بأهل خوارزم[٥٧]، فضلاً عن المنسوجات الحريرية المنتشرة في أسواق خوارزم، ذلك لاهتمام سكان خوارزم بتربية دود القز وانتاج الحرير[٥٨].

وراجت في أسواق خوارزم المنتوجات الجلدية كالعباءات والمعاطف المصنوعة من جلود الحيوانات التي يرتدونها أهل الاقليم لاتقاء الصقيع[٥٩]، وذكر ابن فضلان ان المصنوعات الجلدية متوفرة بأسواق خوارزم بكثرة، فضلاً عن بيع جلود الأغنام والجمال[٦٠].

وانتشرت في الأسواق بعض الصناعات الخشبية، كالقسي الخوارزمية[٦١]، وأغلفة الدروع الخشبية[٦٢]، والقوارب الصغيرة المصنوعة من جذوع الأشجار، والتي كانت تستخدم للملاحة في الأنهار الصغيرة داخل اقليم خوارزم[٦٣]، فضلاً عن المصنوعات المعدنية المصنعة في خوارزم، ومنها السيوف والخناجر، والسكاكين، والاقفال الحديدية، والدروع والسِهام والحِراب[٦٤]، والسيوف المستوردة التي انتشرت في أسواق مدينة الجرجانية[٦٥].

أما المنتجات المعدّة للاستهلاك اليومي، فقد اشتهرت بها أسواق المدن والقرى الخوارزمية، كالألبان والأجبان وهي من المواد الغذائية المهمة في خوارزم[٦٦]، والعسل، وأنواع المربيات، والحلوى، والكعك ، والزبيب، واشتهرت الأسواق بكثرة الزيوت ومشتقاتها، مثل الشمع، والسمن وغيرها[٦٧].

ومن السلع التي عرضت في أسواق خوارزم أنواع كثيرة من الفراء، ولحاء الشجر[٦٨].

إن تجارة الحيوان كانت من السلع الأساسية التي تعرض في الأسواق الخوارزمية، إذ اختصت بعض أسواق خوارزم ببيع وشراء الحيوانات، فبعض أسواق الاقليم تضم الجمال التركية[٦٩]، أما الأغنام فقد كانت تُباع في أسواق الجرجانية[٧٠]، واشتهرت بعض الأسواق بالخيل الهماليج[٧١]، فضلاً عن الخيول المستوردة من بلاد البلغار[٧٢].

وكانت تُباع في أسواق خوارزم مختلف أنواع الطيور خاصة الدجاج والحمام والكراكي، فضلاً عن وجود حيوانات أخرى في الأسواق مثل السمور، والفنك، والفاقم والثعالب السود والحمر[٧٣].

وتاجر أهل خوارزم بالأسماك، إذ أن معظم أسواق المدن الخوارزمية تشتهر بوفرة الثروة السمكية وأنواعها مثل سمك السلمون الأرقط[٧٤]، ووجدت في الأسواق الأسماك المملحة[٧٥]، وهذا أمر طبيعي، إذ أن بعض أهالي خوارزم يمتهنون صيد السمك من بحيرة خوارزم والأنهار المنتشرة في الإقليم[٧٦].

٦- تجارة الرقيق في خوارزم:

تجارة الرقيق من مميزات الحياة العامة في العصور الوسطى، إذ عرفت أسواق المدن الاسلامية الكثير من أنواع الرقيق والعبيد وكان هؤلاء يُباعون في الأسواق للعمل في البيوت أو في أعمال الزراعة أو يزجهم بعض الأمراء والحكام في الجيوش بعد تدريبهم[٧٧].

وكان الرقيق يجلب من ثلاثة مناطق رئيسية أولها بلاد الصقالبة والثاني بلاد الترك، فضلاً عن بعض مناطق في افريقية[٧٨]. وان تجار خوارزم كبقية التاجر، وجدوا إن التجارة بالرقيق تدر عليهم أرباحاً كثيرة، فأصبحت الأسواق الخوارزمية ممتلئة بالرقيق الأبيض المجلوب من بلاد الصقالبة والخزر وما حولها، إذ كانت هذه البلاد هي من المناطق التي ذكرناها التي تمد أسواق خوارزم بالرقيق لارتباط التجار الخوارزميين بعلاقات تجارية مع تلك البلاد[٧٩]، فضلاً عن ان الرقيق الذي يجلب من الصقالبة والترك والخزر، من أفضل الرقيق، إذ لا يوجد أحسن ألواناً، ولا أجمل، ولا أرق بشرةً، ولا أنعم أجساداً من رقيق الترك والصقالبة[٨٠]، وسماهم القزويني بـ (الرقيق الروقة)[٨١].

إن تجار خوارزم ينقلون الرقيق الصقالبة من البلغار الى أسواق مدينة الجرجانية، فيجتمع عدد كبير منهم، ثم ينقلون الى بلاد ما بين النهرين وبلدان اسلامية أخرى[٨٢].

إن الطرق التي يتبعها تجار خوارزم في الحصول على الرقيق كثيرة ومنها: عن طريق الشراء وهي الوسيلة الرئيسية للحصول على الرقيق، إذ وجدت أسواق خاصة في مختلف البلدان لبيع الرقيق، واعتاد التجار على تنظيم حملات تجارية للحصول عليهم بالشراء[٨٣]، فضلاً عن أن أهل خوارزم كانوا يشترون بعض أولاد وبنات البدو الرحل في المفاوز والسهوب، ويقومون على تربيتهم وتأديبهم وبيعهم في الأسواق[٨٤].

أما الطريقة الأخرى فإن أهل خوارزم يأسرون الأتراك بأعداد كبيرة ويقومون ببيعهم في أسواق خوارزم، إذ ذكر المقدسي: "... كانوا يغزون الترك ويأسرونهم"[٨٥].

إن الكثير من أهل خوارزم اشتغل بتجارة الرقيق لما تدر عليهم من أرباح كثيرة، وكما أشرنا الى ذلك، وقد اشتهر العديد من بيوتات خوارزم وأهلها بهذه التجارة، ومن أشهر من اشتغل بتجارة الرقيق في خوارزم هو ابو سعيد أحمد بن علي بن أحمد الجَلابي[٨٦]، إذ كانت علاقته مع قبائل الترك وبلاد البلغار حسنة من أجل جلب الرقيق[٨٧].

٧- الحسبة في أسواق خوارزم:

الحسبة في الإسلام مبنية على أصل من أصول الاسلام، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٨٨]، وهذا جسدهُ القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٨٩].

والحِسبة بكسر الحاء وسكون السين وفتح الباء، وهي مصدر احتسابك الأَجر على الله سبحانه، ومشتقةٌ من لفظة (حَسبك الله) أي يكفيك، وهذا المعنى مثل حسبك دراهم أي كفاك[٩٠]، وأما المعنى الذي تدور حوله مفردة الحسبة في الأسواق فهي تعني الإنكار، أي إنكار القبيح من العمل[٩١].

وتعددت تعاريف الحِسبة فقد ذكر بأنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركهُ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[٩٢]، وعرفها ابن خلدون قائلاً: "أما الحِسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين من يراهُ أهلاً له"[٩٣].

إن الأسواق بحاجة إلى الاهتمام بالجانب التنظيمي، وهذا يحتاج الى جهة مركزية للسيطرة على الأسواق وتنظيمها، وترتيب المحلات داخل الأسواق على شكل صفوف، فضلاً عن فصل أصحاب كل تجارة، والاهتمام بالطرقات المؤدية الى الأسواق والشوارع الداخلية فيها، والإشراف والسيطرة على المعاملات المالية، وهذا يحتاج الى سلطة قوية لها القدرة على فرض الهيمنة على الأسواق والسلطة هذه هي المحتسب.

والمحتسب موظف يتم تعيينه من قِبل الحاكم سواء كان الخليفة أو الوزير أو الأمير أو القاضي ليقوم بالنظر في شؤون الحسبة في البلاد الاسلامية المعين فيها[٩٤].

وكان نظام الحسبة عند الخوارزميين من المسائل المرتبطة ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بنظمهم القضائية[٩٥].

وإن وظيفة المحتسب ذات شأن كبير عند المسلمين، وكان للمحتسب نواب وأعوان يطوفون الأسواق ويفتشون القدور واللحوم، وأعمال الطهاة، ويشرفون على السقايين، لضمان نظافة قرب الماء وكيفية تغطيتها، فضلاً عن مراقبة لباسهم بما لا ينافي الآداب العامة، كما يقومون بمراقبة الكتاتيب (المعلمين)، كي لا يقوموا بضرب الصغار ضرباً مبرحاً، وكان للمحتسب سلطة تصل الى قيامه بإلزام الشرطة بتنفيذ ما أصدر من أحكام[٩٦].

وكان المحتسب يراقب الأسواق، وحركة البيع والشراء، ويراقب الأوزان والمكاييل المستخدمة في البيع لمنع الغش، فضلاً عن مراقبة المأكولات ومنع بيع الفاسد منها، وكان المحتسب يتجول في الطرقات والأسواق بصحبة رجال من الشرطة لتنفيذ ما يقررهُ، فضلاً عن قيامه بالنظر في قضايا المنازعات التي يتطلب السرعة في معالجتها[٩٧].

ومهمة المحتسب تركزت في حفظ النظام في الطرقات العامة والأسواق ومعاقبة من ينتهك حرمة الدين[٩٨].

وكان للمحتسب ديواناً خاصاً يسمى (ديوان المحتسب) وقد انشئ هذا الديوان في إقليم خوارزم في عهد السامانيين بأمر من المير نصر بن أحمد بن اسماعيل (٣٠١- ٣٣١هـ/ ٩١٣- ٩٤٣م)[٩٩]، وقد عمل الكثير في خوارزم بوظيفة المحتسب الذين توفرت فيهم شروط اختيار المحتسب، إذ أن الشروط كثيرة منها: العدالة، وحصوله على الإذن من ولي الأمر لممارسته الوظيفة[١٠٠]، وأن يكون عالماً بحدود عمل الحسبة وفق الشريعة الاسلامية، ويتمتع بالصدق في قوله وفعله، فضلاً عن حسن الخلق والصبر وغيرها[١٠١]، وان الفقيه عالي الدين الخيَّاطي[١٠٢] من أهم الشخصيات الذين تولوا الحسبة في إقليم خوارزم[١٠٣].

وكان المحتسب في خوارزم وأعوانه يقومون بالإشراف على البقالين والسماكين، والصيارفة، والخياطين، والبزازين، ومختلف التجارات والمهن في الأسواق فضلاً عن الأمور الأخرى التي تدخل ضمن واجب المحتسب[١٠٤].

الخاتمة

جاء في هذا البحث التجارة الداخلية والأسواق التجارية في إقليم خوارزم بعد الفتح الاسلامي، وان أهم ما تم استنتاجه ما يأتي:

١) ان الانتاج الزراعي والحيواني والصناعي وفير في اقليم خوارزم.

٢) ازدهار التجارة الداخلية بين مدن وقرى الإقليم، لوفرة المنتوجات.
٣) أقيمت الأسواق التجارية في كل مدن وقرى خوارزم.
٤) احتوت أسواق خوارزم على مختلف البضائع التجارية المرتبطة بحياة الانسان اليومية.
٥) ان الحكام في الاقليم اهتموا بالأسواق وعمارتها، فضلاً عن مراقبتها.
٦) أقيمت في مدن خوارزم مراكز تجارية كبيرة تضم التجار وسلعهم التجارية.

هوامش البحث

(١) ابن حوقل، ابي القاسم محمد بن علي النصيبي (ت :٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة (بيروت/١٩٩٢م – ١٤١٣هـ)، ص٣٩٥؛ المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد البشاري (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بريل (ليدن / ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ)، ص٢٨٦.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٧؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية (القاهرة/ ١٩٩٩م- ١٤١٩هـ)، ص١٠١.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط٢، دار صادر (بيروت/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١، ص١٩١.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٧-٣٩٨؛ الإدريسي، محمد بن عبد الله بن محمد بن ادريس (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قدم له: طلال سالم الحديثي، دار العرب (دمشق/ ٢٠١٦م- ١٤٣٨هـ)، ص٤٢٣.

(٥)الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والارشاد القومي (القاهرة/ ١٣٨١هـ- ١٩٦١م)، ص١٥٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٧-٢٨٩.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٧.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٣.

(٨)السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون، مجلس دار المعارف العثمانية (حيدر آباد/ ١٩٦٢- ١٣٨٢هـ)، ج١، ص٣٢٥- ٣٢٦؛ ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م)، ، اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص١٤١.

(٩) سورة الفرقان، الآية ٧.

(١٠)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز ومحمد الصالح، تح: عبد الرحمن بن قعلا، مؤسسة الرسالة (بيروت/ ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ)، ص٣٥٩.

(١١) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، سنن النسائي، تح: مكتب تحقيق التراث، ط٥، دار المعرفة (بيروت/ ١٩٩٠م/ ١٤١١هـ)، ص١٠٣.

(١٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، المطبعة البهية المصرية (القاهرة/ ١٩٢٣م-١٣٤٢م) ، ص١٤٠.

(١٣) الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)، أساس البلاغة، دار الشعب (القاهرة/ ١٩٦٠م- ١٣٨٠هـ) ، ص٢٢٥.

(١٤) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخبرية (بيروت/ ١٨٨٨م – ١٣٠٦هـ) ، ص٤٨٢.

(١٥) ابن حزم، المحلى، تح: أحمد محمد شاكر، دار الفكر (بيروت/ د.ت)، ج٣، ص٢٩٠.

(١٦) ابن حزم، المحلى، ج٣، ص٢٩٠.

(١٧) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٤٢٢.

(١٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٧-٢٩٠؛ السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٢٠٦؛ ياقوت الحموي، ج٣، ص١٤، ج٤، ص٤٧٧؛ مجهول، حدود العالم، ص٩٤.

(١٩) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٢م)، البلدان، المطبعة الحيدرية (النجف الأشرف/ ١٩١٨م- ١٣٢٧هـ)، ص١٤.

(٢٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧.

(٢١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٨؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة (بغداد/ ١٩٥٤م/ ١٣٧٣هـ)، ص٤٩١.

(٢٢) ابن بطوطة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب عجائب الأسفار، دار صادر (بيروت/ ١٩٩٢م- ١٤١٢هـ)، ص٣٥٩.

(٢٣) مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف (القاهرة/ د.ت)، ص١٤٩.

(٢٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٩.

(٢٥) الثامري، احسان ذنون، الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى في القرن الهجري الأول، مطبعة مركز ناصر (عمان/ ١٩٩٩م- ١٤٢٠هـ)، ص١٤٠.

(٢٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٦٢.

(٢٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٧؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٠.

(٢٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٩؛ بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش ، تركستان في فترة الغزو المغولي، ترجمة : صلاح الدين عثمان ، شركة كاظمة للنشر (الكويت / ١٩٨١م- ١٣٩٤هـ)، ص٢٥٦.

(٢٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٩.

(٣٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٧-٢٩٠؛ بارتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٢٥١-٢٥٦.

(٣١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٧.

(٣٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٢٨٩.

(٣٣) معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٢.

(٣٤) تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٢٥٣.

(٣٥) الثامري، الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى، ص١٤٩.

(٣٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٧١.

(٣٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٢٨٨-٢٨٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦.

(٣٨) وهي السوق الكبيرة المسقفة والتي تحتوي على العديد من المحال التجارية ولها باب يغلق ليلاً. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن مماتي، شرف الدين أسعد بن سعيد (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي (القاهرة/ ٢٠٠٠م- ١٤٢١هـ)، ص٢٥٧.

(٣٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٩؛ بارتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٢٥٦.

(٤٠) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٧؛ القزويني، ابو عبد الله زكريا بن محمد (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت/ ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م)، ص٥٢٠.

(٤١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٣.

(٤٢) الخالدي، رغيد كمر مجيد، النشاط الاقتصادي في اقليم خوارزم خلال القرن السادس الهجري، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد الثاني، سنة ٢٠٢٢م - ١٤٤٤هـ ، ص٣٨٢.

(٤٣) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، تقويم البلدان، د. مطبعة (باريس/ ١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م)، ص٤٧٩.

(٤٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٩٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٩.

(٤٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٤-٣٢٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٤٦)خلف، محمود محمد، بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة/ ٢٠٤م-١٤٣٥هـ)، ص٢٦٥.

(٤٧) المسالك والممالك، ص١٥٧.

(٤٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٧؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ اللبودي، حنان مبروك، قيام دولة شاهات خوارزم (٤٧٠-٦١٧هـ/١٠٧٧-١٢١٩م)، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية) (١٠١٣م- ١٤٣٥هـ)، ص١٨٩.

(٤٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٩؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٥٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٩.

(٥١)الغرناطي، ابو عبد الله محمد بن مالك (ت: القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، زهرة البستان ونزهة الأذهان، تح: محمد مولد خلف، ط٢، د. دار نشر (بغداد/ ٢٠٠١م- ١٤٢٢هـ)، ص٢٢٨؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص١٩٤-١٩٥.

(٥٢) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، لطائف المعارف، تح: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه (القاهرة/ ١٩٦٠م- ١٣٨٠هـ)، ص٢٢٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢١.

(٥٣)الميموني، فوزي عباس، دولة المأمونيين في خوارزم (دراسة سياسية وحضارية ٣٨٥- ٤٠٨هـ/ ٩٩٥- ١٠١٧م)، مكتبة الآداب (القاهرة/ ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ)، ص٢٦٨.

(٥٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦؛ ج٣، ص٢٥٤؛ الميموني، دولة المأمونيين في خوارزم، ص٢٧٠-٢٧١.

(٥٥) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٧؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٠؛ خلف، بلاد ما وراء النهر، ص٢٦٦؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٧.

(٥٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ بارتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٣٦٧.

(٥٧)الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان (بيروت/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) ، ص٢٢٤؛

حمودة، عبد الحميد حسين، تاريخ المشرق الاسلامي، دار الثقافة للنشر (القاهرة/ ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ)، ص٢٩٨-٣٠٢؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٥.

(٥٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦؛ لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ط٢، تعريب: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر (دمشق/ ١٩٩٨م – ١٤١٩هـ)، ص٢٤٠؛ الميموني، دولة المأموني في خوارزم، ص٢٦٩.

(٥٩) الميموني، دولة المأموني في خوارزم، ص٢٦٩؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٩.

(٦٠) ابن فضلان، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد (ت: ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) ، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، تح : سامي الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، المطبعة الهاشمية (دمشق /١٩٦٠م -١٣٨٠هـ)، ص٨٦-٨٧.

(٦١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٦٢) الميموني، دولة المأموني في خوارزم، ص٢٦٩.

(٦٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ عواد، سماح محمد، دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق (د. ت)، ص٣٦٤.

(٦٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ حمودة، تاريخ المشرق الاسلامي، ص٣٠٠.

(٦٥) لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ص٣٠٣.

(٦٦) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ص٣٠٣؛ حمودة، تاريخ المشرق الاسلامي، ص٣٠٠.

(٦٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢١٢.

(٦٨) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ الميموني، دولة المأمونيين في خوارزم، ص٢٦٩.

(٦٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٧.

(٧٠) بارتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٢٥٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩١.

(٧١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٠.

(٧٢) لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ص٣٠٣.

(٧٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٧؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٤-٣٢٥؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص١٩٩-٢٠٠.

(٧٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٢٦.

(٧٥) الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ خلف، بلاد ما وراء النهر، ص٢٦٦.

(٧٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٨؛ برتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٢٦١؛ لسترنج، بلدان الخلافة الرقية، ص٤٨٧.

(٧٧) الامشاطي، محمود بن أحمد (ت: ٩٠٣هـ/ ١٤٩٢م)، القول السديد في اختيار الإماء والعبيد، تح: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، (بيروت/ ١٩٩٦م – ١٤١٧هـ)، ص١٠-١١.

(٧٨) لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ص٢٦٠؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢١٨-٢١٩.

(٧٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٤؛ الخالدي، النشاط الاقتصادي في إقليم خوارزم، ص٣٨٣؛ خلف، بلاد ما وراء النهر، ص٢٨٩.

(٨٠) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٤٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٤؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢١٩.

(٨١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٥.

(٨٢) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص١٦؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ اللبودي،، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٢٠؛ لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ص٢٦١؛ الميموني، دولة المأمونيين في خوارزم، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٨٣) اليعقوبي، البلدان، ص٢٦٠؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦٣-٦٤.

(٨٤) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ حمودة، تاريخ المشرق الاسلامي، ص٣٠٦.

(٨٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٨٥.

(٨٦) هو من أهل خوارزم وتحديداً من مدينة هزاراسب، كان شيخاً فاضلاً صالحاً، سكن بلدة خبوة في خوارزم، ولد ابو سعيد الجَلابي سنة (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، والجلابي: بفتح الجيم وتشديد اللام ألف، هذه نسبة الى الجُلاّب، وهو اسم لمن يجلب الرقيق من بلد الى بلد وبيعه. لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٢، ص١٣٧.

(٨٧) خلف، بلاد ما وراء النهر، ص٢٩٣.

(٨٨) حميد، النشاط الاقتصادي والمالي للممالك الاسلامية، ص١٠٧.

(٨٩) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٩٠)ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب، مطابع كوستا توماس (القاهرة / د . ت) ، مادة (حسب).

([٩١]) حميد، النشاط الاقتصادي والمالي للممالك الاسلامية، ص١٠٧.

([٩٢])الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د. مطبعة (بغداد/ ١٩٨٩م – ١٤١٠هـ)، ص٢١٤.

([٩٣])ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت/ ٢٠٠١م- ٤٢٢هـ) ، ص٢٥٧.

([٩٤]) اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٤٣٣.

([٩٥])النسوي، محمد بن أحمد (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي (القاهرة/ ١٩٥٣م- ١٣٧٣هـ)، ص٩٤؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٠١؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٤٣٣.

([٩٦]) حسن، وعلي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة/ ١٩٣٩م- ١٣٥٨هـ)، ص٣٥٤-٣٥٥.

([٩٧]) حسن، تاريخ الاسلام، ص٣٦٦؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٠١؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٤٣٤.

([٩٨]) بارتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٣٦٠.

([٩٩]) النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، (ت: ٣٤٨هـ / ٩٥٩م، تاريخ بخارى ، تح: امين عبد الحي بدوب و نصر الله بشر الطرازي ، دار المعارف(القاهرة / ١٩٦٥م – ١٣٨٥هـ) ، ص٤٤؛ بارتولد، تركستان في فترة الغزو المغولي، ص٣٦٠.

([١٠٠]) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣١٥.

([١٠١]) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت: ٥٩٠هـ/ ١٠٩٤م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر: السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة/ ١٩٤٦م- ١٣٦٥هـ)، ص٦٦ وما بعدها.

([١٠٢]) هو علاء الدين سريد بن محمد الخيّاطي المحتسب. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد بن أحمد (ت: ٨٤٢هـ/ م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم والقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت/ ١٩٩٣م- ١٤١٤هـ)، ج٣، ص٣٥٠.

([١٠٣]) النسوي، سيرة جلال الدين منكبرى، ص١٧٤؛ اللبودي، قيام دولة شاهات خوارزم، ص٤٣٥.

([١٠٤]) خلف، بلاد ما وراء النهر، ص٢٧٠؛ الميموني، دولة المأمونيين في خوارزم، ص٢٧١.

المصادر والمراجع

- القران الكريم

اولاً: المصادر

١- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م)، ، اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص١٤١.

٢- ابن بطوطة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب عجائب الأسفار، دار صادر (بيروت/ ١٩٩٢م- ١٤١٢هـ)

٣- ابن حزم، ابي محمد علي بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، المحلى، تح: أحمد محمد شاكر، دار الفكر (بيروت/ د.ت)

٤- ابن حوقل، ابي القاسم محمد بن علي النصيبي (ت :٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة (بيروت/١٩٩٢م – ١٤١٣هـ).

٥- ابن مماتي، شرف الدين أسعد بن سعيد (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي (القاهرة/ ٢٠٠٠م- ١٤٢١هـ)

٦- ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب، مطابع كوستا توماس (القاهرة / د . ت)

٧- ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد بن أحمد (ت: ٨٤٢هـ/ م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم والقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت/ ١٩٩٣م- ١٤١٤هـ)

٨- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، تقويم البلدان، د. مطبعة (باريس/ ١٢٥٦هـ – ١٨٤٠م)

٩- الإدريسي، محمد بن عبد الله بن محمد بن ادريس (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قدم له: طلال سالم الحديثي، دار العرب (دمشق/ ٢٠١٦م- ١٤٣٨هـ)،

١٠- الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مسالك الممالك، تح: محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والارشاد القومي (القاهرة/ ١٣٨١هـ- ١٩٦١م)،

١١- الامشاطي، محمود بن أحمد (ت: ٩٠٣هـ/ ١٤٩٢م)، القول السديد في اختيار الإماء والعبيد، تح: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، (بيروت/ ١٩٩٦م – ١٤١٧هـ)

١٢- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، المطبعة البهية المصرية (القاهرة/ ١٩٢٣م-١٣٤٢م)

١٣- الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، لطائف المعارف، تح: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه (القاهرة/ ١٩٦٠م- ١٣٨٠هـ)

١٤- الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان (بيروت/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)

١٥- ابن فضلان، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد (ت: ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) ، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م ، تح : سامي الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، المطبعة الهاشمية (دمشق /١٩٦٠م -١٣٨٠هـ).

١٦- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخبرية (بيروت/ ١٨٨٨م – ١٣٠٦هـ) .

١٧- الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود (ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)، أساس البلاغة، دار الشعب (القاهرة/ ١٩٦٠م- ١٣٨٠هـ)

١٨- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز ومحمد الصالح، تح: عبد الرحمن بن قعلا، مؤسسة الرسالة (بيروت/ ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ)

١٩- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون، مجلس دار المعارف العثمانية (حيدر آباد/ ١٩٦٢- ١٣٨٢هـ)

٢٠- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت: ٥٩٠هـ/ ١٠٩٤م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر: السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة/ ١٩٤٦م- ١٣٦٥هـ)

٢١- الغرناطي، ابو عبد الله محمد بن مالك (ت: القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، زهرة البستان ونزهة الأذهان، تح: محمد مولد خلف، ط٢، د. دار نشر (بغداد/ ٢٠٠١م- ١٤٢٢هـ)

٢٢- القزويني، ابو عبد الله زكريا بن محمد (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت/ ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م)

٢٣- القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية (القاهرة/ ١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ)

٢٤- الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د. مطبعة (بغداد/ ١٩٨٩م – ١٤١٠هـ).

٢٥- مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية (القاهرة/ ١٩٩٩م- ١٤١٩هـ)، ص١٠١.

٢٦- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد البشاري (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بريل(ليدن / ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ).
٢٧- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت/ ٢٠٠١م- ٤٢٢هـ) .
٢٨- الميموني، فوزي عباس، دولة المأمونيين في خوارزم (دراسة سياسية وحضارية ٣٨٥- ٤٠٨هـ/ ٩٩٥- ١٠١٧م)، مكتبة الآداب (القاهرة/ ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ)
٢٩- النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، (ت: ٣٤٨هـ / ٩٥٩م، تاريخ بخارى ، تح: امين عبد الحي بدوب و نصر الله بشر الطرازي ، دار المعارف(القاهرة / ١٩٦٥م – ١٣٨٥هـ) .
٣٠- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، سنن النسائي، تح: مكتب تحقيق التراث، ط٥، دار المعرفة (بيروت/ ١٩٩٠م/ ١٤١١هـ)
٣١- النسوي، محمد بن أحمد (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي (القاهرة/ ١٩٥٣م- ١٣٧٣هـ)،
٣٢- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط٢، دار صادر (بيروت/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) .
٣٣- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٢م)، البلدان، المطبعة الحيدرية (النجف الأشرف/ ١٩١٨م- ١٣٢٧هـ)

ثانياً : المراجع

٣٤- بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش ، تركستان في فترة الغزو المغولي، ترجمة : صلاح الدين عثمان ، شركة كاظمة للنشر(الكويت / ١٩٨١م- ١٣٩٤هـ).
٣٥- الشامري، احسان ذنون، الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى في القرن الهجري الأول، مطبعة مركز ناصر (عمان/ ١٩٩٩م- ١٤٢٠هـ)
٣٦- حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، دار النهضة (القاهرة/ ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ)
٣٧- حسن، وعلي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة/ ١٩٣٩م- ١٣٥٨هـ)
٣٨- حمودة، عبد الحميد حسين، تاريخ المشرق الاسلامي، دار الثقافة للنشر (القاهرة/ ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ)
٣٩- الخالدي، رغيد كَمر مجيد، النشاط الاقتصادي في اقليم خوارزم خلال القرن السادس الهجري، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد الثاني، سنة ٢٠٢٢م – ١٤٤٤هـ

٤٠- خلف، محمود محمد، بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة/ ٢٠٤م-١٤٣٥هـ)

٤١- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، المطبعة الكاثوليكية (بيروت/ ١٩٧٤م – ١٣٩٤هـ)

٤٢- عواد، سماح محمد، دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق (د. ت)

٤٣- اللبودي، حنان مبروك، قيام دولة شاهات خوارزم (٤٧٠-٦١٧هـ/١٠٧٧-١٢١٩م)، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية) (١٠١٣م- ١٤٣٥هـ).

٤٤- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة (بغداد/ ١٩٥٤م/ ١٣٧٣هـ)

٤٥- لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ط٢، تعريب: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر (دمشق/ ١٩٩٨م – ١٤١٩هـ)

٤٦- مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف (القاهرة/ د.ت).

الفتائل ووقود المسارج

شيماء صلاح احمد الجنابي
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم الاثار

أ. د. ماجدة حسو منصور عيسو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
قسم التاريخ

الفتائل ووقود المسارج

شيماء صلاح احمد الجنابي
أ. د. ماجدة حسو منصور عيسو

المقدمة

ازدهرت الصناعات المتنوعة في بلاد الرافدين على أيدي أبنائه المبدعين والمنتجين ومما ساعد على قيام تلك الصناعات وديمومتها كان بلا شك توفر المواد الأولية الزراعية والحيوانية المتواجدة في البلاد والمتمثلة بالموارد المائية والتربة الخصبة التي بلا شك ساعدت على وفرة المنتجات الزراعية والحيوانية والتي كانت مصدراً مهماً لرفد الكثير من الصناعات الرافدينية ومنها صناعة فتائل المسارج التي تتطلب توفر المواد الأوليّة لهذه الصناعة وهي: (القصب، الصوف، الكتان، القطن)؛ إذْ كانت الفتائل تصنع من مواد ليفية تمتاز بالقدرة على امتصاص الوقود(الزيوت النباتية والحيوانية، الشمع ، زيت الحجر– النفط ، القار) من الوعاء وتوصيله إلى فوهة الفتيلة عن طريق الخاصية الشعرية[١]. والجدير بالذكر أنه ما زالت بعض هذه المواد مستعملة في صناعة الفتائل إلى وقتنا الحاضر.

Wicks and the fuel of lamps

Shaimaa Salah Ahmed Al.Janabi
Dr.Prof . Majida Hassou Mansour

Abstract

Different industries flourished in the ancient Mesopotamia by the hands of its creative and productive people. The availability of the raw agricultural and animal materials contributed in the establishment and success of such industries .

They were a vital source to provide the Mesopotamian industries, such as the industry of wicks that requires the supplies of the raw materials for such industry , these may be (reed ,wool, linen , and cotton) wicks used to be made of fibbers that has the capability to absorb the fuel from the pot to reach to the opening of the wick through the capillary property .

أوّلاً : الفتائل Wicks

الفتيلة جمع فتائل وفتيلات وهي: خرقة المصباح (المسرجة) التي توقد كالذبالة[٢] فالفتيلة هي الذبالة والجمع ذبل وذبال[٣] وذبالة الفتيل هي الجزء العلوي من الفتيل، تعد الفتائل أحد الأجزاء المكّملة للمسرجة التي لا تقل أهمية عن الأجزاء الرئيسة الأُخرى والتي يتم عن طريقها إشعال المسرجة، وشعلة المسرجة تسمى (القيراط) وهي ما احترق من طرف الفتيل[٤].

وردت كلمة فتيلة سومريا بالمصطلح (GIŠ.GI.ZÚ.LUM.MA) التي يقابلها باللغة الأكدية كلمة (*gišlammu*) أو(*gilammu*) والتي تعني قصب التمر، كذلك فإنَّ الأسم الأكدي الآخر المرادف لها هو (*būṣinum*)، أي أن هذا الفتيل المصنوع من القصب كان يستعمل في المسارج الزيتية لإنارة المكان، كذلك فإنَّ المصطلح (GIŠ.BU.ZÚ.LUM.MA) والذي يرادفه باللغة الأكدية (*buṣinum*) ايضاً يعطي معنى(فتيل بدن المسرجة) أو (الفتيل اللين)[٥]، فضلاً عن ذلك فمن المحتمل أن كلمة (*buṣinum*) الأكدية تم اطلاقها على نبات؛ آذان الدب المعروف باللغة الإنكليزية بـ (mullein) والذي استعملت اليافه لعمل شمعة أو فتائل المسرجة[٦]؛ إذْ يردنا المصطلح السومري الذي ليس له مرادف باللغة الأكدية (GI-ZUZ-LUM-MA $^{geš/u2}$) بمعنى فتيلة مشعل معمولة من ألياف نبات آذان الدب[٧]، كذلك وردت كلمة فتيلة في اللغة الأكدية بصيغة (*qiriru*)[٨].

تعد الفتيلة القطعة التي تؤمن الإنارة للمسرجة عند غمسها بالوقود وبدونها لا يمكن الحصول على الضوء وعادة تحاك الفتيلة من مواد ليفية لها القابلية على امتصاص المواد الزيتية التي تستعمل كوقود لها[٩]، ولما كان الفتيل ليناً ورخواً؛ لأنه مصنوع من مواد ليفية مرنة كان من المحتمل أن يدعم بدعامة تجعله قائماً ويتخذ وضعية ثابتة كي لا يسقط في داخل بدن المسرجة وحتى يحافظ عليه من سرعة الاحتراق؛ إذْ تصنع هذه الدعامة عادة من مادة صلبة فقد تكون من المعدن أو الخشب أو العظم في بعض الأحيان، ولربما كان المعدن هو المادة الأكثر شيوعا فضرورة وجود هذا الجزء المعدني وسط الفتيل يدعمه ويثبته في مكانه؛ كونه مغمورا في الزيت مما يجعله ليّنا وغير قادر على الثبات[١٠] ومن الممكن استعمال شوكة نخيل التمر في تقوية الفتيل أستناداً إلى النص الأتي: **((لف بصوف شوكة من شجرة نخيل التمر(لاستعمالها كفتيلة) وانقعها بالزيت وأشعل المسرجة))**[١١] .

وفيما يلي إستعراضاً لهذه المواد بحسب أقدميتها من الناحية المنطقية من ناحية توفرها في بيئة بلاد الرافدين أو من ناحية دخولها المتأخر واستعمالها من قبل أبنائه لعمل الفتائل:

١- القصب Reed

عرف القصب باللغة السومرية بالمصطلح(GI) يقابله باللغة الأكدية (*qanû*)[١٢]، ومن المعروف أن هذا المصطلح السومري(GI) يدخل في تركيب اسم بلاد سومر (GI.EN.KI) بمعنى (أرض سيد القصب)[١٣]، دلالة على ازدهار ارض بلاد سومر بهذا النبات الطبيعي الذي استفاد منه سكان بلاد الرافدين في مجالات متعددة من حياتهم، ومنها استعماله كقود لوسائل الإنارة القديمة في بلاد الرافدين[١٤]؛ إذْ يعتقد انه من أقدم المواد المستعملة في صناعة فتائل المسارج، أذ ورد المصطلح السومري (GI-ZÚ-LUM-MA) أو ($GI.KUR_4$) والذي يقابله باللغة الأكدية كلمة (*ku.ú.ri*) بمعنى (قصب التمر) أو (قصب سميك) [١٥] الذي لربما استعمل كفتيلة للمسارج.

كانت المشاعل البدائية الأولى عبارة عن حزمة من القصب مغطسة بالقير أو الزيت بعدها تطورت هذه المشاعل وأصبحت عبارة عن إناء صغير مملوء بالزيت مع فتيلة تبرز من خلال ثقب في الأعلى يطلق عليه اسم (المسارج)[١٦]، بل وبالتأكيد أنَّ حزم القصب المذكورة بقيت بالاستعمال حتى بعد الاهتداء لصناعة المسارج.

٢- الصوف Wool

تشير الكلمة السومرية ($SÍG,SIK_2$) إلى الصوف يقابلها باللغة الأكدية الكلمة *(šipātu)* كما واستعملت كلمة (SÍG) ايضاً كعلامة دالة تسبق أسماء المواد المصنوعة من الصوف[١٧].

يعد الصوف كذلك من المواد الأوليّة الرئيسة لصناعة فتائل المسارج؛ إذْ كان متوفراً بكثرة في بلاد الرافدين منذ عصور قبل التاريخ حين ساعدت البيئة الطبيعية للمنطقة على تربية أنواع من الأغنام للحصول على الصوف المستعمل في كثير من الصناعات النسيجية[١٨].

نعتقد أن عملية تهيئة خيوط الصوف كفتائل كانت تمر بذات المراحل التي يمر بها إعداد مادة الصوف لصنعها كنسيج، وهي التنظيف والتمشيط ثم الغزل؛ إذْ كانوا يستعملون المغزل في غزل الصوف والنول في نسيج الخيوط الصوفية التي تعمل على شكل كرات أو لفائف تستعمل كفتائل للمسارج[١٩]، كما يرد في أحد النصوص ذكر لاستعمال الصوف بعد لفه على شوكة من شجرة نخيل التمر جاء فيه: **((لف بصوف شوكة من شجرة نخيل التمر(لاستعمالها كفتيلة)**

وانقعها بالزيت وأشعل المسرجة))[٢٠] فهذه وردت إشارة عن استعمال الصوف كفتيل بعد نقعه بالزيت لإضاءة المسارج.

٣- الكتان Linen

وردت كلمة كتان في اللغة السومرية بالمصطلح (^{giš}GADA) يقابلها باللغة الأكدية اسم (*kitû* أو *kutāmum*) كما واستعملت كعلامة دالة تسبق أسماء الثياب المصنوعة من الكتان[٢١].

يعد نبات الكتان من مجموعة النباتات الزيتية التي تستعمل في علاج الكثير من الأمراض بعد خلطه مع مواد أُخرى ومن ثم استعماله[٢٢]. فقد وصف بأنَّه نبات حولي من المحاصيل الزيتية يستعمل في صناعة الزيوت والملابس كما ودخل في مجال الطب كأحد أنواع العلاج[٢٣]، فضلاً عن استعمال أليافه وخيوطه لعمل فتائل المسارج[٢٤].

وقد أُستدل على وجود نبات الكتان في بلاد الرافدين عن طريق ما كشفته التنقيبات الأثارية من بذور الكتان ومن مواقع تعود بعضها إلى عصور قبل التاريخ ومنها تل الصوان وجوخه مامي والاربجية وأور ومواقع خفاجي التي تعود إلى العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م)، وفي مدينة النمرود التي تعود إلى العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)[٢٥].

٤- القطن Cotton

كانت صناعة منسوجات القطن معروفة عند المجتمعات في العالم القديم ومنها الهند ومصر، أمّا في بلاد الرافدين وردت إشارة في نص مسماري منذ الالف الثاني ق.م أنَّ قطعة من نسيج القطن استعملت للمقايضة، وأنها تحمل علامة مستعملة في الهند[٢٦]، أمّا في بلاد الرافدين فقد جاء استعمال القطن لعمل المنسوجات متأخراً عن استعمال الصوف والكتان، وقد أشير إلى القطن بالأشجار التي تحمل الصوف بالمصطلح الأكدي (*išenaš šupāte*)[٢٧]، أذ ذكر سنحاريب في أحد حولياته : **((في الحدائق الكبيرة التي تقع على ضفتي نهر دجلة تنمو أشجار تحمل الصوف المعد لعمل الملابس))**[٢٨]، ويذكر أيضاً في حولية آخرى (سنة ٦٩٤ ق.م) إلى عملية حصاد القطن؛ إذْ يذكر: **((وجززت الشجرات الصغيرة التي تحمل الصوف ونسج نتاجها من أجل عمل الملابس))**[٢٩].

يعد القطن من المواد التي كانت تستعمل لعمل فتائل المسارج؛ إذْ كانت تؤخذ منه خيوط وأنسجة تستعمل في عمل هذه الفتائل[٣٠]، وما زالت هذه المادة مستعملة إلى اليوم لعمل فتائل وسائل الإنارة المختلفة وكذلك المواقد.

٥- **مواد أُخرى**

فضلاً عن الانواع السابقة المستعملة في عمل فتائل المسارج فقد عرفت أنواع من الفتائل لربما كانت تصنع من فتل بعض الألياف الرقيقة المنفصلة التي توجد في سيقان بعض النباتات مثل نبات الحلفا[٣١] وليف النخيل والألياف التي تجمع من لب نبات الخروع[٣٢] ونبات الجوت[٣٣] والحشائش بحيث يتكون منها حبال رقيقة مثل فكرة الغزل ثم تبرم هذه الخيوط الرفيعة وتلف وتضغط جيدا مع بعضها ربما لتستعمل كفتيل للمسرجة[٣٤].

ثانياً : وقود المسارج

يعد وقود المسارج المادة الخام التي تعتمد عليها المسارج في تحقيق خاصية الاشتعال لذا يطلق عليها اسم (زيت الاشتغال) ومواد الوقود المستعملة في المسارج كانت كثيرة ومتنوعة تبعاً لاختلاف المكان وما يتوفر فيه من تلك المواد الحارقة[٣٥]، وأيضاً تبعا لمكانة ومنزلة صاحب المسرجة، فمسارج الطبقات الحاكمة تختلف بطبيعة الحال عن مسارج أبناء العامة من الشعب إذْ تستعمل فيها أطيب وأزكى أنواع الزيوت ومن اجود الأنواع وذلك لإعطاء المكان رائحة زكية، وتخصص مبالغ لغرض شراء أجود أنواع الزيوت لها لكي تعطي ضياء اكثر ودخان اقل وتستمر مدة أطول ويعتقد أنه كان هناك اشخاصاً متخصصين لإنارة المسارج في القصور والمعابد، لاسيما الكبيرة منها[٣٦].

وقد رجّح بعض الباحثين فيما يخص وقود المسارج انه كان يتم إضافة بعض الملح للزيت للحصول على أطول مدة من الإضاءة، في حين يرى آخرون سبب ذلك إلى كونه يمنع سخونة الزيت ويجعل لون اللهب يميل إلى الاصفرار[٣٧].

وتنوعت وقود المسارج قديماً ما بين الزيوت الحيوانية، مثل (الشحم الحيواني) والزيوت النباتية مثل (زيت السمسم وزيت الزيتون) أو زيوت مستخرجة من مواد موجودة في الطبيعة مثل (زيت الحجر أو النفط) فضلاً عن استعمال مواد أُخرى كوقود للإضاءة مثل الشمع والقار.

وفيما يأتي استعراضاً لمثل هذه الأنواع من الوقود بحسب اعتقادنا بأقدميتها.

١- الزيوت النباتية والحيوانية Oil of plants and Animals

احتلت الزيوت مكانة بارزة في المجتمع الرافديني القديم بسبب كثرة استعمالها وتنوعها والطلب المتزايد عليها، فهي من المواد الغذائية الضرورية إلى جانب؛ كونها أحد المواد الرئيسة في التجارة فضلاً عن الاستعمالات الأُخرى لها كمادة تدخل في الكثير من الصناعات[٣٨] وأيضاً استعملت كجرايات تدفع للعمال ؛ إذْ كان يتم دفع أجور العمال بها أحيانا [٣٩]. وقد حددت القوانين العراقية القديمة ضوابط لبيعها وشرائها منها قانون أشنونا إذْ حدد سعرها مقابل الفضة أو الشعير[٤٠].

قد أشارت النصوص المسمارية إلى ذكر استعمال الزيوت وعلى نطاق واسع في كثير من مجالات الحياة اليومية ومنها (الإنارة)[٤١]، وأولى أبناء بلاد الرافدين القدماء اهتماماً كبيراً بنوعية هذه الزيوت المستعملة في ايقاد المسارج؛ إذْ كانت ذات عطر جيد ونوعية جيدة لإكساب أجواء المكان الذي توضع فيه رائحة زكية طيبة[٤٢]، فقد عرفوا الزيوت العطرية مثل زيت نبتة الآس وزيت خشب الصندل وخشب السرو وغيرها من النباتات العطرية[٤٣] التي غالباً ما ذكر استخدامها في المعابد من قبل الكهنة[٤٤].

عرف أبناء بلاد الرافدين القدماء أنواعاً متعددة من الزيوت والدهون الحيوانية (الشحم واللية) وطرائق الحصول عليها وأساليب استخلاصها وطرائق تصنيعها[٤٥].

ورد مصطلح الزيت النباتي في القواميس السومرية والأكدية؛ إذْ جاء باللغة السومرية بالمصطلح (Ì.GIŠ)[٤٦]، يقابله باللغة الأكدية كلمة (*šamnu*)[٤٧] أو (*ellu*) ويعني حرفيا الزيت النباتي بشكل عام المستخرج من الأشجار والنباتات[٤٨]، وتشمل الزيوت النباتية أنواع عديدة ما يهمنا منها هو زيت الزيتون و زيت السمسم اللذان استعملا في إنارة المسارج بوصفها من أرخص الزيوت المستعملة والمتوفرة للإنارة، فضلاً عن الزيوت الحيوانية مثل الشحم أو السمن الحيواني.

وفيما يأتي تفصيل لكل نوع من هذه الشحوم والزيوت :

أ- الشحم الحيواني Animal Tallow

أحد أقدم أنواع الوقود التي كانت تستعمل في المسارج؛ إِذْ تُغَّمس الفتائل فيها للاشتعال وكانت أقل استعمالاً من الزيوت النباتية بسبب؛ كونها باهظة الأثمان؛ إِذْ كانت تستعمل من قبل الأغنياء فقط[٤٩]، وكان مصدر الحصول عليه من الحيوانات مثل الخراف والابقار والافاعي والغزلان والأسود والاسماك ... الخ[٥٠]، وكان يطلق عليها تسمية السمن أو الدهن الحيواني[٥١].

يطلق عليها باللغة السومرية(Ì,IÀ) يقابلها باللغة الأكدية كلمة (*šamnu*) التي تعطي معنى شحم أو مادة دهنية[٥٢]، وأحياناً يطلق عليها كلمة *(lipû,lipium)*[٥٣] باللغة الأكدية يقابله باللغة السومرية المصطلح (UDU- Ì)[٥٤] بمعنى السمن الحيواني ومصدره من الأبقار والأغنام والذي يتميز بكونه باهض الثمن[٥٥].

ب- زيت السمسم Sesame Oil

ورد زيت السمسم باللغة السومرية بالمصطلح (IÀ/Ì.GIŠ) [٥٦]، يرادفه باللغة الأكدية كلمة (*ellu*)[٥٧] وأحياناً يرد بصيغة أُخرى باللغة الأكدية بكلمة *(šamnu)*[٥٨] بمعنى زيت السمسم أو (*šamaššmmi*) التي يقابلها باللغة السومرية المصطلح(ŠE. GIŠ. Ì) ويعني حرفيا حب شجرة الزيت[٥٩].

ويعد زيت السمسم من المواد الغذائية المهمة والمرغوبة لدى سكان بلاد الرافدين وإلى وقتنا الحاضر، لاسيما في الاستعمالات الغذائية، وهو من المحاصيل الزيتية المهمة وتأتي أهميته لاحتواء بذوره على أكثر من ٥٠% من الزيت، كما أنه يحتوي على نسبة عالية من البروتينات والكربوهيدرات والأحماض المضادة للأكسدة[٦٠] وأيضا استعمل كوقود لإنارة المسارج[٦١].

إنّ أقدم إشارة عن ذكر اسم السمسم جاءتنا من النصوص المسمارية من حكم العصر الأكدي (٢٣٧١- ٢٢٣٠ق.م)[٦٢]، واستمر ذكره حتى في نصوص العصر البابلي الحديث (٦٢٤-٥٣٩ق.م)[٦٣].

ج- زيت الزيتون Olive Oil

تعد شجرة الزيتون من النباتات الزيتية التي تحتوي على كمية من الزيوت في ثمارها تستعمل في مجالات عدة منها إضافة للطعام ومكون أساسي من الأصباغ والملمعات ومزيت وأحد مكونات العطور والصابون ومادة يمكن حرقها لإعطاء الضوء والإنارة لذا يستعمل وقوداً في إنارة المسارج(٦٤).

إنّ شجرة الزيتون لم تذكر في نصوص بلاد الرافدين إلا بعد نحو (٤٠٠ عام) بعد ظهورها في نصوص مدينة ايبلا (تل ماردیخ٢٥٠٠ق.م)(٦٥). إذْ وردت إشارة في أحد النصوص إلى استعمال خشب شجرة الزيتون في صناعة أرجل سرير(٦٦)، إن الندرة في الإشارة إلى هذا النبات يؤكد أنه كان من بين المواد المستوردة لكن الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) يذكر أنَّه جلب شجرة الزيتون لزراعتها في حدائق نينوى لكن محاولته لم تكلل بالنجاح إذْ يذكر في نص له **((زيت شجرة الزيتون ومنتجات البساتين جلبتها بوفرة))**؛ إذْ إنَّ (*šaman û serdu*) تعني زيت شجرة الزيتون(٦٧) فكلمة (*serdu*) تعني شجرة الزيتون على وفق ما ورد في قواميس اللغة الأكدية(٦٨).

٢- الشمع Wax

أحد أنواع الوقود التي كانت تستعمل للإضاءة في المسارج، يطلق عليه باللغة السومرية المصطلح (DUḪ.LÀL) (٦٩) يقابله باللغة الأكدية الكلمة *(iškūru)*(٧٠).

وتعد أوراق الأشجار مصدر مهم له؛ إذْ تؤخذ عدد من فروع الأشجار المجففة ويتم خلطها أو غمسها في شحوم الحيوان ومن ثمَّ ينتج عنها مادة قابلة للأشتعال ببطيء(٧١)، كما وعرف الرافدينيون شمع العسل(٧٢).

توضّح لنا مضامين النصوص المسمارية قدم معرفة العراقيين القدماء بالشمع؛ أذ استعمل في عمليات السباكة بالشمع المذاب(٧٣) وأيضاً إستعمل لتغليف المعادن لغرض حفظها من الصدأ(٧٤).

٣- زيت الحجر (النفط) Stone Oil

ورد النفط بمصطلحات عدة في قواميس اللغتين السومرية والأكدية، فقد ورد باللغة السومرية بالمصطلح (Ì.KUR.RA)[٧٥]، أو (Ì.ḪUL)[٧٦]، يقابله باللغة الأكدية الكلمة *(napṭu)* أو (naphtha) بمعنى زيت الحجر (النفط)[٧٧].

وأحياناً يرد بمصطلح آخر باللغة السومرية (Ì.GIŠ-ESIR) يقابله باللغة الأكدية الكلمة (*šaman ittî*) بمعنى النفط[٧٨].

وقد اعتاد أبناء بلاد الرافدين القدماء على استعمال النفط الخام الذي كان يسمونه زيت الحجر كمادة للوقود ومع انهم لم يعرفوا على وجه التأكيد كيفية تصفيته وتصنيعه إلاَّ أنَّ مع ذلك كان يوفر لهم ضياء ونور أفضل من الزيوت الأُخرى[٧٩].

٤- القار Pitch

عرف القار باللغة السومرية بالمصطلح ($ESIR_2$-RA) يقابله باللغة الأكدية الكلمة *(iṭṭû)* [٨٠]، والقار الذي استعمل كوقود يرد باللغة السومرية بالمصطلح (ESIR.TUM) يقابله باللغة الأكدية المصطلح *(sig_4-gur_{11}-še)* [٨١]، وفي هذه الحالة عند استعمال القار أو الزفت كوقود كان يجعل تحت المسرجة نار فحم في إناء أو غيره وهذا يجعل السطح الخارجي لقاعدة المسرجة به اثار تسخين إذْ ان هذه المواد تحتاج إلى التسخين المستمر حتى يصل القار والزفت إلى حالة السيولة التي تساعد على عملية الاشتعال[٨٢].

خلاصة هذا البحث أن المسرجة لا يمكن أن تؤدي عملها وهو إعطاء الضوء اللازم لإنارة المكان المظلم إلا بوجود مادتين مهمتين توضعان فيها فتؤدي إلى اشعال النار هما(الفتيلة والوقود)، ومما لا شك فيه أن استعمال كلا المادتين في بلاد الرافدين القديمة متأت من تواجدهما في بيئتها لذلك فإنَّ الإنسان آنذاك، ووفقاً للمسميات المسمارية، قد استعمل في صنع الفتائل القصب الموجود في الأهوار والصوف المأخوذ من الحيوانات، ونبات الكتان الذي كان معروفاً قديماً، وكذلك القطن الذي عُرفت زراعته في فترة متأخرة في بلاد آشور، فضلاً عن مواد أُخرى مستخلصة من نباتات معينة موجودة في بيئة بلاد الرافدين أو تم استحصالها من حضارات أُخرى.

كذلك الأمر بالنسبة لوقود المسارج التي حصل عليها أبناء بلاد الرافدين القدماء من مصدرين رئيسين أحدهما حيواني إلا وهو الشحم، والآخر نباتي متمثل بزيت السمسم وزيت الزيتون فضلاً عن مصادر أُخرى مثل الشمع والنفط والقار.

الهوامش :

(١) العمري، آمال وآخرون، " أدوات الإضاءة في القرن التاسع عشر دراسة آثارية فنية في ضوء نماذج مختارة محفوظة بمتحف قصر عابدين بالقاهرة"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج٦، عد: ٢٥، القاهرة، ٢٠٢١، ص٦٠٢.

(٢) المنجد في اللغة والاعلام، ص ٥٦٨ .

(٣) ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الازدي البصري، جمهرة اللغة، ج١، تركيا، ١٣٤٥هـ، ص٢٥٢.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج٢، مصر، ١٢٧٧هـ، ص٢٩.

(5) CAD, G, P. 104:a ; CAD, B, P.348:a .

(6) CAD, B, P.348:b.

(٧) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة السومرية – الأكدية – العربية ، أبو ظبي ، ٢٠١٦، ص ٣٠٢.

(8) CDA, P.289.

(٩) أشقر، ديما محمد سعيد، السرج في سوريا خلال العصر الروماني (٦٤ ق.م – ٣٢٤ م) ، ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الاثار، ٢٠١٨، ص٤٧.

(١٠) خليل، بسمة، " المسارج المجّسمة من مصر في العصر الروماني "، مجلة كلية الآداب، عد: ٨٦، جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٦، ص١٠.

(11) CAD, Š.1.P.324:b.

(12) ABZ, P.81 ; AHw, P.898 ; GAAL.4, P.58.

(١٣) صاحب، زهير، أغنية القصب، بغداد، ٢٠١١، ص٩٩.

(١٤) بوتس، دانيال تي، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، تر: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٧٨.

(15) CAD, G, P. 104:a ; CAD, B, P.348:a .

(١٦) ساكز، هاري، عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، تر: عامر سليمان، الموصل،١٩٧٩، ص٢٠٤.

(١٧) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، تر: البير ابونا ، وليد الجادروخالد سالم إسماعيل ، بغداد، ٢٠٠٤ ، ص٢٢٥، علامة ٥٣٩ ؛

CDA, P.375 ; GAAL. 4, P.137 ; SL, P.232.

(١٨) الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر ، بغداد، ١٩٧٢ ، ص١٣٠.

(١٩) محمود، رشا عبد الوهاب، الصوف في العراق القديم ، مجلة سر من رآى ، مج ١١، عد: ٤٣، ٢٠١٥، ص ٢٦٨.

(20) CAD, Š.1.P.324:b.

(21) GAAL– 4, P.52 ; SL, P.72 ; CDA, P.162 ; CAD, K, P.473 : a;

لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص٨١، علامة٩١.

(٢٢) الدليمي، مؤيد محمد سلمان، دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآثار، قسم الآثار القديمة، الموصل، ٢٠٠٦، ص١٣٩–١٤١. وللمزيد حول استعمالات نبات الكتان يُنظر :

Hompson. R. G., Assyrian Medical Texts From the British Museum, Oxford, 1923, P.240ff.

(٢٣) الجبوري، عباس زويد موان، وسلمان، احمد عزيز، " النسيج في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية المنشورة والمشاهد الفنية" ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج٢٦، عد: ٧، ٢٠١٨، ص٥.

(٢٤) للمزيد من المعلومات حول طريقة نسج خيوط الكتان يُنظر : الجبوري، عباس زويد موان وسلمان، احمد عزيز، النسيج في بلاد الرافدين ...، ص ٥.

(25) Renfrow, J.M.," Finds of Sesame and Linseed in Ancient Iraq", BSA, Part. 2, Cambridge, 1985, P.63.

(٢٦) عبد الله، زينب، "صناعة النسيج في العهد السومري الحديث"، مجلة سومر، عد: ٥٥، ٢٠١٠، ص٢٢٨.

(٢٧) باقر، طه، "دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية "، مجلة سومر، مج٩، ١٩٥٣، ص٢٢٧.

(٢٨) هاشم، رشاد مهدي، "الأصول التاريخية للصناعات النسيجية في العراق"، مجلة آفاق عربية، عد: ١٠، ١٩٧٦م، ص٦٣.

(٢٩) الجادر، وليد، " الصناعة"، موسوعة مدينة الموصل، مج١، الموصل، ١٩٩١م، ص٢١١.

(٣٠) مصطفى، اسراء عبد السلام، " المسارج في بلاد آشور"، مجلة التربية والعلم ، مج ٢٠، عد: ١، ٢٠١٣، ص٩٧.

(٣١) نبات الحلفا : عشب من فصيلة النجليات، يصنعون من ورقه حُصُراً وقفِفاً وحبالاً، ورد باللغة السومرية بالمصطلح AM.TR.TR Š يقابله باللغة الأكدية أسم *alafu* أو *elafu* وباللغة الآشورية بالمصطلح *alfito* يُنظر: بيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية والبابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، لبنان، ٢٠١١، ص ١٠٢ .

(٣٢) نبات الخروع : نبات شجري حولي ينتمي إلى فصيلة العائلة السوسبية، جذره وتدي الشكل وساقه مجوفه تشبه القصب واوراقه مفصصة كبيرة، وثماره مغطاة بأشواك وبذوره بيضوية الشكل بنهايات مستديرة ذات ملمس ناعم وعليها نقاط ومنها يعتصر الزيت، ورد باللغة الأكدية بالكلمة agabigalzuš، يُنظر: الدليمي، مؤيد محمد سلمان، دراسة لأهم النباتات والاعشاب ...، س١٣٢-١٣٣؛ CAD, Š.I, P.61:B .

(٣٣) نبات الجوت : عرف هذا النبات منذ قديم الزمان إذْ استعملت أوراقه كغذاء للإنسان واليافه نسجت في صناعات منزلية عديدة منها صناعة الغزل والنسيج وصناعة الحبال إذْ تمتاز اليافه بالمتانة واللمعان، يُنظر: عبد الفتاح، اشرف، "صناعة الجوت بين الاستعمال التقليدي والمستقبلي في مصر "، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٦، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٣٤) خليل، بسمة، المسارج المجسمة من مصر في العصر الروماني " مجلة كلية الاداب، جامعة الإسكندرية، مصر، عد:٨٦، ٢٠١٦، ص٩.

(٣٥) هادي، حفيظة، المسارج الفخارية والخزفية في المغرب الاوسط خلال العصر العثماني دراسة تاريخية واثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، معهد الاثار، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص ٨٢.

(٣٦) نجيب، محمد مصطفى، " دراسة لخزانات الزيت ببعض المنشأت الدينية بالقاهرة في العصرين المملوكي والعثماني دراسة تأريخية وآثرية " مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادي ، مج ٤، عد: ٤، ١٩٩٥، ص٤٥٤- ٤٥٥.

(٣٧) عبدالكريم، محمد فتاح فيصل والهبودي، حنان فرج عبد الرزاق، " المسارج الاغريقية والرومانية نظرة عامة"، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، جامعة عمر المختار، مج ٣٩، ليبيا، ٢٠٢١، ص ١٦١.

(٣٨) ليفي، مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، تر: محمود فياض وآخرون، بغداد، ١٩٨٠، ص١٢٩.

(٣٩) الطائي، منذر علي قاسم محمد، الأسعار والأجور في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآثار، قسم الآثار القديمة، ٢٠٠٤، ص٦٢.

(٤٠) سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧، ص٢١٠.

(٤١) المتولي، نوالة احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، بغداد، ٢٠٠٧ ، ص٢٥٩.

(٤٢) احمد، سهيلة مجيد، "صناعة مواد الزينة في العراق القديم"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج١٦، عد: ٣، ٢٠٢٠، ص٦٣٢.

(٤٣) المتولي، نوالة احمد محمود،"نبات الآس في المصادر المسمارية،اسمه واستعمالاته"، مجلة آثار الرافدين، مج٢، كلية الآثار، جامعة الموصل، ٢٠١٣، ص٦٥.

(٤٤) المتولي، نوالة احمد محمود، مدخل في دراسة...، ص٢٦٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ص٢٥٧.

(٤٦) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص١٢٧، علامة ٢٣١.

(47) CAD, Š.1, P.321, 330.

(48) GAAL-4, P.75 ; ABZ, P.115 ; CDA, P.70.

(٤٩) احمد، بسمة محمد، وأحمد، زينب عزيز، "تكنولوجيا الكيمياء في بلاد ما بين النهرين"، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، عد: ١٨، مج١٨، القاهرة، ٢٠١٩، ص١٥٩١.

(٥٠) الراوي، فاروق ناصر، "العلوم والمعارف"، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٥٢.

(٥١) كجه جي، صباح أسطيفان، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد ، ٢٠٠٢، ص٧٤.

(٥٢) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص١٢٧، العلامة ٢٣١ ؛

GAAL-4, P.75 ; CDA, P.354 ; SL, P.118.

(53) CAD, L, P.202 :b ; CDA., P.183.

(54) GAAL-4, P.83 ; SL, P.119.

(٥٥) المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة...، ص ٢٥٧.

(٥٦) Ì.GIŠ : تسمية أطلقت على السمن أو الزيت المستخرج من الأشجار أو النباتات، أمّا (Ì) فقد اطلقت على الزيت أو السمن بشكل عام يُنظر :

Thompson, R. C., A Dictionary of Assyrian Botany, London, 1949, P.375.

(57) CAD. E., P.330 ; CDA, P.70 ; GAAL-4, P.78.

(٥٨) باقر، طه، من تراثنا اللغوي ما يسمى بالدخيل، بغداد، ١٩٨٠، ص١٠٣؛

CAD, Š, P.301: a ; CDA, P. 353 a ; AHw, P.1155.

(59) المتولي، نوالة احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة ...، ص ٢٥٧

(60) Renfrew J. M., Finds of Sesame and ..., P.63.

(٦١) المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة ...، ص ٢٥٧.

(62) Postgate, N., "The Oil-Plant in Assyria", BSA,Vol. 2, Cambridge 1985, P.171.

(63) Ibid , P.145.

(٦٤) ساكز، هاري، الحياة اليومية في العراق القديم، تر: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٠٢؛ بوتس، دانيال تي، حضارة وادي الرافدين...، ص١١٢.

وللمزيد حول استعمالات الزيوت النباتية يُنظر :

Charles, M. P., "An Introduction To The legumes And Oil Plants of Mesopotamia", BSA Vol.2, Cambridge, 1985, P.45ff.

(٦٥) المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة...، ص٢٥٧ ،٢٩٥.

(66) Hackman, G. G., "Sumerian and Akkadian Administrative Texts From the Presargonic and the end of the Akkadian Time", BIN,Vol.8, USA, 1958, P.260 : 4.

(٦٧) الأسود، حكمت بشير، والأسود، ماجد بشير، الغذاء في حضارة بلاد الرافدين، أربيل، ٢٠١٣، ص٩٢.

(68) AHw, S., P.1037 ; MSL, 5, P. 112,235ff ; CAD, P.321.

(٦٩) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص ١٠٧ رقم العلامة ١٦٧ ؛

ABZ, P. 103 ; CDA, P.134 ; GAAL.4, P.42.

(70) CDA, I/J, P.251 : b ; AHw. I, P.396.

(٧١) كونستايل، ديفيد، وشوارتز، آثر، صناعة الشموع، (ب.م)،١٩٩٣، ص٣٥٠.

(٧٢) الراوي، فاروق ناصر، " العلوم والمعارف" حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٥٢.

(٧٣) الجادر، وليد، "صناعة التعدين"، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٤١.

(٧٤) بصمه جي، فرج، "الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم "، مجلة سومر، مج ٢٥، ١٩٦٩، ص١٠١.

(٧٥) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص ١٢٧، علامة ٢٣١؛

ABZ, P. 115 ; GAAL-4, P. 79.

(76) GAAL-4, P.78.

(77) CAD, N., P.326 : b ; CDA, P.240.

(٧٨) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص١٢٧، علامة ٢٣١;

GAAL-4, P.78.

(٧٩) كونتيو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، تر: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ١٩٨٦، ص٦٣.

(٨٠) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ص٢١٥، علامة ٤٨٧.

CDA, P.137 ; GAAL-4, P.50.

(٨١) المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة...، ص٣٩٨.

(٨٢) عثمان، محمد عبد الستار، " البعد الوظيفي في دراسة الفنون التطبيقية الإسلامية دراسة حالة لمسرجة متعددة الأغراض والقناديل الزجاجية المملوكة " مجلة شدت ، كلية الآثار ، جامعة الفيوم ، مصر، عد: ٢ ، ٢٠١٨، ص ٩٦.

المصادر والمراجع

١. ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الازدي البصري، جمهرة اللغة، ج١، تركيا، ١٣٤٥هـ.
٢. احمد، بسمة محمد، وأحمد، زينب عزيز، "تكنولوجيا الكيمياء في بلاد ما بين النهرين"، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، عد: ١٨، مج١٨، القاهرة، ٢٠١٩.
٣. احمد، سهيلة مجيد، "صناعة مواد الزينة في العراق القديم"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج١٦، عد: ٣، ٢٠٢٠،
٤. الأسود، حكمت بشير، والأسود، ماجد بشير، الغذاء في حضارة بلاد الرافدين، أربيل، ٢٠١٣.
٥. أشقر، ديما محمد سعيد، السرج في سوريا خلال العصر الروماني (٦٤ ق.م – ٣٢٤ ق.م) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الاثار ، ٢٠١٨.
٦. باقر، طه، "دراسة في النباتات المذكورة في المصادر المسمارية "، مجلة سومر، ج٩، ١٩٥٣.
٧. باقر، طه، من تراثنا اللغوي ما يسمى بالدخيل، بغداد، ١٩٨٠.
٨. بصمه جي، فرج، "الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم في العراق القديم"، مجلة سومر، مج ٢٥، ١٩٦٩.
٩. بوتس، دانيال تي، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، تر: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦.
١٠. بيطار، الياس، النباتات السومرية والآشورية والبابلية معجم ودراسة مقارنة في ضوء العربية، لبنان، ٢٠١١.
١١. الجادر، وليد، " الصناعة"، موسوعة مدينة الموصل، مج١، الموصل، ١٩٩١م،
١٢. الجادر، وليد، "صناعة التعدين"، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥.

١٣. الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر ، بغداد ، ١٩٧٢.
١٤. الجبوري، عباس زويد موان، وسلمان، احمد عزيز، " النسيج في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية المنشورة والمشاهد الفنية" ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج٢٦، عد: ٧، ٢٠١٨،
١٥. الجبوري، قاموس اللغة السومرية – الأكدية – العربية ، أبو ظبي ، ٢٠١٦.
١٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج٢، مصر، ١٢٧٧هـ.
١٧. خليل، بسمة، " المسارج المجسمة من مصر في العصر الروماني " مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية مصر ، عد: ٨٦، ٢٠١٦.
١٨. خليل، بسمة، " المسارج المجّسمة من مصر في العصر الروماني "، مجلة كلية الآداب، عد: ٨٦، جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٦.
١٩. الدليمي، مؤيد محمد سلمان، دراسة لأهم النباتات والأعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآثار، قسم الآثار القديمة، الموصل، ٢٠٠٦
٢٠. الراوي، فاروق ناصر، "العلوم والمعارف"، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥.
٢١. ساكز، هاري، الحياة اليومية في العراق القديم، تر: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٠ .
٢٢. ساكز، هاري، عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، تر: عامر سليمان، الموصل،١٩٧٩.
٢٣. سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧.
٢٤. صاحب، زهير، أغنية القصب، بغداد، ٢٠١١.
٢٥. الطائي، منذر علي قاسم محمد، الأسعار والأجور في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآثار، قسم الآثار القديمة، ٢٠٠٤.
٢٦. عبد الفتاح، اشرف، "صناعة الجوت بين الاستعمال التقليدي والمستقبلي في مصر "، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٦.
٢٧. عبد الله، زينب، "صناعة النسيج في العهد السومري الحديث"، مجلة سومر، عد: ٥٥، ٢٠١٠.
٢٨. عبدالكريم، محمد فتاح فيصل والهبودي، حنان فرج عبد الرزاق، " المسارج الاغريقية والرومانية نظرة عامة"، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، جامعة عمر المختار، مج ٣٩، ليبيا، ٢٠٢١.

٢٩. عثمان، محمد عبد الستار،" البعد الوظيفي في دراسة الفنون التطبيقية الإسلامية دراسة حالة لمسرجة متعددة الأغراض والقناديل الزجاجية المملوكة " ، مجلة شدت ، كلية الآثار ، جامعة الفيوم ، مصر، عد: ٢ ، ٢٠١٨.

٣٠. العمري، آمال وآخرون، " أدوات الإضاءة في القرن التاسع عشر دراسة آثارية فنية في ضوء نماذج مختارة محفوظة بمتحف قصر عابدين بالقاهرة"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج٦، عد: ٢٥، القاهرة، ٢٠٢١.

٣١. كجه جي، صباح أسطيفان، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد ، ٢٠٠٢ .

٣٢. كونتيو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، تر: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ١٩٨٦.

٣٣. كونستايل، ديفيد، وشوارتز، آثر، صناعة الشموع، (ب.م)،١٩٩٣.

٣٤. لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية ، تر: البير ابونا ، وليد الجادروخالد سالم إسماعيل ، بغداد، ٢٠٠٤

٣٥. ليفي، مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، تر: محمود فياض وآخرون، بغداد، ١٩٨٠،

٣٦. المتولي، نوالة احمد محمود، مدخل في دراسة الحياةالاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٣٧. المتولي، نوالة احمد محمود،"نبات الآس في المصادر المسمارية،اسمه واستعمالاته"، مجلة آثار الرافدين، مج٢، كلية الآثار، جامعة الموصل، ٢٠١٣.

٣٨. محمود، رشا عبد الوهاب، " الصوف في العراق القديم " ، مجلة سر من رآى ، مج ١١، عد: ٤٣، ٢٠١٥.

٣٩. مصطفى، اسراء عبد السلام، " المسارج في بلاد آشور" ، مجلة التربية والعلم ، مح ٢٠، عد: ١: ٢٠١٣.

٤٠. المنجد في اللغة والاعلام، ط٤٣، بيروت ، ٢٠٠٨.

٤١. نجيب، محمد مصطفى، " دراسة لخزانات الزيت ببعض المنشأت الدينية بالقاهرة في العصرين المملوكي والعثماني دراسة تاريخية وآثرية" مجلة كلية الاداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، مج ٤، عد: ٤، ١٩٩٥.

٤٢. هادي، حفيظة، المسارج الفخارية والخزفية في المغرب الاوسط خلال العصر العثماني دراسة تاريخية واثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، معهد الاثار، ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

٤٣. هاشم، رشاد مهدي، "الأصول التاريخية للصناعات النسيجية في العراق"، مجلة آفاق عربية، عد: ١٠، ١٩٧٦م،

44. Black, J, George, A, Postgate,N., A Concise Dictionary of Akkadian , CDA, Wiesbaden, 2000.
45. Borger , R., Assyrisch- Babylonische Zeichenliste, ABZ, Auflage, 1981.
46. Charles, M. P., "An Introduction To The legumes And Oil Plants of Mesopotamia", BSA ,Vol.2, Cambridge, 1985.
47. Hackman, G. G., "Sumerian and Akkadian Administrative Texts From the Presargonic and the end of the Akkadian Time", BIN,Vol.8, USA, 1958
48. Halloran , J,A., Sumerian Lexicon , SL, Los Angeles, 2006.
49. Hompson. R. G., Assyrian Medical Texts From the British Museum, Oxford, 1923,
50. Landsberger, B., "The Series ḪAR- ra ḫubllu", MSL, Vol.V, Roma, 1957.
51. Oppenheim , L. & Others, The Assyrian Dictionary of University of Chicago, CAD, Chicago, 1956 ff.
52. Postgate, N., "The Oil-Plant in Assyria", BSA,Vol. 2, Cambridge 1985
53. Renfrow, J.M.," Finds of Sesame and Linseed in Ancient Iraq", BSA, Part. 2, Cambridge, 1985
54. Schramm , W., Akkadische Logogramme, GAAL- 4, Gottingen ,2003.
55. Thompson, R. C., A Dictionary of Assyrian Botany, London, 1949, P.375.
56. Von ,S., Akkadische Handwörterbuch, AHw, Wiesbaden , 1959-1981.

علماء الجزيرة الفراتية من خلال كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م)(دراسة كمية)

أ.م.د. سفانة جاسم محمد

الجامعة العراقية / كلية الآداب /قسم التاريخ

علماء الجزيرة الفراتية من خلال كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م) (دراسة كمية)

أ.م.د. سفانة جاسم محمد

Scholars of Euphrates Island through a book. "Al-Wafi al-Wafiyat" by Al-Safadi (d. 764 A.H./ 1362 A.D.) a Quantitative Study

Prof. Safana Jassim Muhammad Al-Jubouri (Ph. D.)
Al-Iraqia University / College of Arts / Department of History

Abstract

This research dealt with a study of the scholars of Euphrates Island through a book. "Al-Wafi al-Wafiyat"

By Al-Safadi (d. 764 AH or 1362 AD), following the quantitative approach, which included two parts: The first one dealt with a brief presentation of Al-Safadi's personal and scientific biography, as well as the introduction to his book, the subject of the study, Al-Wafi' al-Wafiyat. However, the most important aspect is the second part, which dealt with the analysis of the components of the biographies of the Jazari scholars, of which Al-Safadi was the only one to translate. He begins with the title of scholar of all kinds, whether in terms of a spatial, professional, tribal, or sectarian title. Then he mentions the scientific specializations of each scholar, the century in which the scholar lived, the places of study, the sheikhs and students of the scholars of the Euphrates Island, and the scientific, legal, and administrative positions of each scholar of the Euphrates Island. Then the research concludes with the most important results, which It was found by the researcher.

Keywords: Al-Safadi, Al-Jazeera Al-Furatiya, Al-Harrani, Al-Fariqi and Al-Asaradi.

الملخص :

تناول هذا البحث دراسة عن علماء الجزيرة الفراتية من خلال كتاب "الوافي بالوفيات" للصفدي ، (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) متبعتاً المنهج الكمي والذي تضمن محورين: المحور الأول تناول عرض موجز لسيرة الصفدي الشخصية والعلمية وكذلك التعريف بكتابه –موضوع الدراسة– الوافي بالوفيات، إلأ ان الجانب الأهم هو المحور الثاني الذي تناول تحليل مكونات تراجم العلماء الجزريون التي افرد الصفدي بترجمتها مبتدأ بلقب العالم بأنواعه سواءً من حيث اللقب المكاني ، أم المهني أم القبلي والمذهبي ثم ذكر التخصصات العلمية لكل عالم والقرن الذي عاش فيه العالم وأماكن الدراسة وشيوخ وتلاميذ علماء الجزيرة

الفراتية والمناصب العلمية والشرعية والإدارية لكل عالم من علماء الجزيرة الفراتية ثم يختتم البحث بأهم النتائج التي تم التوصل إليها من قبل الباحثة .

الكلمات المفتاحية : الصفدي ، الجزيرة الفراتية ، الحراني ، الفارقي ، الأسعردي .

المقدمة :

تعد دراسة علماء الجزيرة الفراتية وإنجازاتهم العلمية من المواضيع المهمة ؛ لما لهم دور في شتى الميادين العلمية والإدارية، حيث ظهرت منها نخب مهمة من العلماء وخاصة في العصرين الأيوبي والمملوكي ومن هنا ارتأت الباحثة تسليط الضوء على دور علماء الجزيرة الفراتية في الثقافة العربية الإسلامية وخاصة في المرحلة التي بلغت نضوجها العلمي في القرون (السادس، والسابع ،والثامن للهجرة / الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر للميلاد) وكيف كان دورهم العلمي سواءً في الجزيرة الفراتية أم في المدن العربية الإسلامية ومعرفة مهنهم وأصولهم القبلية ؟ ومذاهبهم وغيرها من التساؤلات والتي نجد أغلبها كانت من أسر علمية معروفة وصارت لها مدارس فكرية في الحواضر العربية الكبرى وتعريف عالم الجزيرة الفراتية وهو كل من ولد في الجزيرة الفراتية فقط .

ومن هذا المنطلق تم استخدام برنامج (Microsoft Access 2007) لغرض تحليل مكونات الترجمة الى جداول ومعرفة العلاقة ما بين المكونات وللإجابة عن التساؤلات السابقة.

وتأتي أهمية الكتاب الذي يقع في (٢٩) مجلداً بأنه قد زودنا فيه الصفدي بالعديد من التراجم التي لم تقتصر على قرن معين أو رقعة جغرافية معينة ، كما تكمن أهمية الكتاب بأنه يتضمن معلومات قيمة أوردها بحكم المناصب التي كان يتولاها ومن خلالها كان على علاقة مع بعض العلماء الذين أورد ترجمتهم وهذه مما تعطي للقارئ مدى صدق ودقة المعلومات التي أوردها في مؤلفه.

المحور الاول : خليل بن ايبك الصفدي وكتابه الوافي بالوفيات

لقد اسهبت الدراسات في الحديث عن الصفدي وكتابه بما لا يقدم مبررا للعودة والكتابة عنه ، لكن نقول إنه صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ولد بصفد في سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) وإليها نسب [١]

وقد تلقى العلم على شيوخ عصره سواءً في صفد أم دمشق وحلب ومصر ، فمن الشيوخ الذين أخذ عنهم والبعض منهم كان يأخذ الإجازة عنهم ومنهم أبن سيد الناس ،وأبن نباته كما أخذ النحو عن الشيخ أبي حيان والأدب عن الشهاب محمود وغيرهم[٢] .

وبالمقابل نرى أن الصفدي لديه العديد من طلاب العلم ممن التقوا به ودرسوا على يديه في أماكن عدة حيث إنه كان محدثاً بدمشق وحلب وغيرها[٣]، فمن تلاميذه الذين سمعوا عنه ومنهم الذهبي، وأبن كثير، والحسني، وأبن رجب ، وخلق كثير[٤] .

أما بالنسبة لمناصبه فقد شغل الصفدي العديد من الوظائف الإدارية بين كاتب سر وكاتب درج وغيرها [٥] . وقد حاز الصفدي مكانة كبيرة فوصف بأنه الإمام الأوحد الأديب البارع المؤرخ المتقن[٦]

وقد خلف الصفدي بحكم مؤهلاته العلمية في التاريخ والأدب والحديث وغيرها تراثاً علمياً كبيراً وقد أصبحت هذه مصنفاته من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها من قبل مؤرخي عصره أو ممن جاءوا من بعده وكانت " كتباً كثيرة في عدة فنون"[٧] واشهرها كتابه" الوافي بالوفيات ، اعوان العصر في أعيان العصر " وغيرها من المصنفات[٨].

ويعد كتاب "الوافي بالوفيات "من كتب التاريخ الكبيرة وهو " في غاية الحسن"[٩] ، وهو مختص في التراجم حيث يعتمد على الترتيب الأبجدي في ذكره للأعلام[١٠] .

أما بالنسبة لمصادره فكانت متنوعة ما بين المكتوبة والمساءلات ، وذلك مستغلاً الوظائف الإدارية ما بين مصر وبلاد الشام ، وهنا تكمن قيمة معلوماته بأنه كان على اتصال مع أكثر الشخصيات التي عاصرها ، وبالأخص ممن كانوا يتسنمون مناصب لدى الدولة المملوكية ، وقد ذكر أحد المستشرقين بأن نشر كتابه الجبار الوافي بالوفيات جاء بمبادرة من هلموت ريتر نشر المجلد الأول سنة ١٩٣١م واستؤنف نشر المجلدات في سنة ١٩٤٩م فهو عمل سيري أتخذ طابع الفبائي رتب وفق أسماء المترجم لهم[١١] .

المحور الثاني : العلماء الجزريون في كتاب الصفدي الوافي بالوفيات :-

ترجم الصفدي لـ(١٨٨) عالما جزريا، وقد تناولنا تراجمه هذه وفقا للآتي:

١-اللقب المكاني :

للقب المكاني أهمية كبيرة ؛لأنه يحدد التوزيع الجغرافي للعلماء ويعرفني بمدى ثقل المدن الجزرية من الناحية العلمية، فتلك التي تعود أما إلى مكان ولادتهم أو استقرارهم أو تنقلهم أما النمط الأخر يخص مهنهم أو قبائلهم أو مذهبهم .

حيث نجد بأن الصفدي ذكر لنا لقبا مكانيا لـ (١٨٣) عالم[١٢] ولم يغفل سوى عن ذكر لقب(خمسة) علماء[١٣] لم يذكر مكانتهم الأولى أو أصولهم.

كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

المدن	العلماء	المدن	العلماء	المدن	العلماء
حران	٤٦	اسعرد	٧	الرها	٢
الموصل	٤٠	سنجار	٤	حديثة	٢
الجزيرة العمرية	١٤	نصيبين	٤	سروج	٢
ميافارقين	١٠	شهرزور	٤	عانه	١
آمد	١٠	منبج	٤	كواشة	١
تكريت	٨	ماردين	٣	ديار بكري	٢
الرقة	٧	بلدي	٣	توران	١
اربل	٦	البزوري	١	الحاني او النوي	١
العوينه	١				

اي يتبين من خلال الجدول اعلاه بأن أكثر العلماء هم من حران التي تأتي بالمرتبة الأولى ثم الموصل بالمرتبة الثانية ثم الجزيرة العمرية وغيرها من مناطق الجزيرة الفراتية .

أما الألقاب الخاصة بالمهن أو الوظائف فهم (١٤٦) [١٤] عالما وأغفل ذكر أي لقب وظيفي لـ(٤٢) عالم[١٥]

ومن خلال توزيع الألقاب الوظيفية أو المهنية على أماكن الجزيرة الفراتية فقد أتضح بأن الصفدي لم يقتصر على ذكره للألقاب العلمية التي تدل على المناصب العلمية وإنما ذكر الفاظ تدل على المناصب الشرعية والإدارية فمن الألفاظ العلمية كالشيخ[١٦] والعلامة[١٧]

والمسند [١٨] والمعيد[١٩] . . . الخ وأن أكثر الكلمات أو الألفاظ العلمية المستخدمة والتي نجد بأن لفظة (الشيخ) الأكثر تكرراً أذ ذكرت (٢٨) مرة وكذلك لفظة (الأمام)[٢٠] أذ تكررت (١٦) مرة ،أما لفظة (المحدث)[٢١] فقد تكررت (١٤) مرة ، و (الأديب)[٢٢] تكررت (١٢) مرة وغيرها .

أما الألفاظ الدالة على المناصب الشرعية هي لفظة (القاضي)[٢٣] التي تكررت (١٧) مرة ، و (الأمام) تكررت (١٦) مرة وغيرها، أما الألفاظ الإدارية فهي (ناظر الأيتام)[٢٤] التي تكررت (مرة واحدة)، و (وكيل بيت المال)[٢٥] تكررت (مرة واحدة) وغيرها فضلاً عن لفظة (الطبيب) التي تكررت (أربع مرات)، وهي مما تدل على الإنسانية كما زودنا الصفدي بكلمات أو الفاظ تدل على المهن الحرة مثل النقاش[٢٦] ، البزاز[٢٧] ، الخباز[٢٨] . . . الخ ، ولكن مما سوف نلحظهُ نجد الصفدي كثيراً ما يجمع بين اكثر من لقب مهني أو وظيفي لعالم واحد فمثلاً احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام حيث ذكر الصفدي لقبه قائلاً: " الشيخُ الإمامُ العالم... "[٢٩] وكذلك أحمد بن حمدان بن شبيب وهو " العلامة البارع بقية المشايخ مسند الوقت"[٣٠] واسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن اسماعيل " العدل الرئيس المحدث ناظر الايتام "[٣١]

كما نجد بأن الصفدي أحياناً يستخدم كلمات أو الفاظ تدل على مدى أهمية منصب هذا العالم فمثلاً الأديب الكامل ، القاضي العدل الكبير ، العدل الرئيس . . . الخ .

٢-اللقب القبلي :

لقد زودنا الصفدي من خلال تراجمه للعديد من علماء الجزيرة الفراتية بذكره لأسماء القبائل التي ينتمي إليها هؤلاء العلماء والتي من خلالها نتعرف على أصلهم القبلي وقد بلغ عدد العلماء الذين ذكرت أصولهم القبلية هم (٤٥) عالم[٣٢] في حين أغفل الصفدي عن ذكر اللقب القبلي لـــ(١٤٣) عالم[٣٣] فمن القبائل التي ينتمي إليها العلماء مثلاً الانصاري[٣٤] ، الاسدي ، الشيباني[٣٥] وغيرها من الألقاب

القبلية لكن مما نلحظه بأن أكثر الألقاب القبلية تكراراً هي قبيلة بني شيبان حيث أوردها (ثمان) مرات والانصاري (خمس) مرات وهنالك شخصية واحدة ذكرها الصفدي بأنها كردية[٣٦] وبذلك سنذكر الجدول الذي يبين أصول العلماء واعداد ممن ذكرت القابهم القبلية .

أصل العلماء	أعدادهم	أصل العلماء	أعدادهم	أصل العلماء	أعدادهم	أصل العلماء	أعدادهم
الموصلي	١٥	النصيبي	٢	الجزيرة العمرية	١١	العاني	١
الحراني	٥	البلدي	٢	الشهرزوري	١	التكريتي	١
الامدي	٤	المارديني	٢	الاسعردي	١	الديار بكري	١
سنجار	٢	الفارقي	٢	الرقي	١		

والذي نجد من خلال الجدول أعلاه بأن الموصليون هم أكثر ايراداً بذكر القابهم القبلية .

٣-اللقب المذهبي :

لقد أولى الصفدي اهتماماً بمذاهب علماء الجزيرة الفراتية والتي من خلالها يتم التعرف على أي مذهب يعتنقه العالم آنذاك فقد كان اعداد العلماء الذين أورد الصفدي مذاهبهم هم (٧٣) عالماً[٣٧] في حين لم يذكر مذهب لـ(١١٥) عالماً[٣٨] ،والملاحظ أن (٤٠) عالماً كانوا على المذهب الشافعي و (واحد) منهم انتقل من مذهب احمد الى الشافعي وهو اسعد بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن نصر الله بن محمد بن همام البلدي[٣٩]، و (٢٥) عالم على المذهب الحنبلي و (خمسة) على المذهب الحنفي و (واحد) على المذهب الظاهري، وقد أعطى الصفدي اهتماماً يبين مكان العالم من المذهب عن ذكر لفظة " شيخ الحنابلة"[٤٠] لعالم من حران وهو اسماعيل بن محمد بن اسماعيل .

٤-التخصصات العلمية :

بعد اجراء الاحصائية على تراجم علماء الجزيرة الفراتية في الحقل الخاص بهذه التخصصات وجدنا بأن الصفدي قد ذكر من خلال تراجمهم تخصصات لـ(١٢٠) عالماً[٤١] وقد أغفل عن ذكر تخصص لـ(٦٨) عالماً[٤٢]، والذي نجد بأن هؤلاء العلماء قد تعدد لديهم كلمات ، أو الفاظ تدل على نوع التخصص، فقد تكررت

لفظة الفقه (٣٦) مرة والحديث (٣٤) مرة والشعر (٢٧) مرة والأدب (٢٣) مرة والخطابة (ستة) مرات واللغة (أربع) مرات والتاريخ (اثنان) والخلاف (اثنان) والأصول (خمسة) والفرائض مرة (واحدة)والحساب مرة (واحدة) والهندسة (اثنان) والتفسير (ثلاث) مرات والقراءات مرة (واحدة)، والحاسبة والارصاد مرة(واحدة) ، ومما نريد ذكره بأن معظم هؤلاء العلماء لم يتخصصوا أحياناً بعلم واحد وإنما معروفين بتنوع العلوم .

٥-سنوات ولادة علماء الجزيرة الفراتية وأماكنها :

زودنا الصفدي من خلال تراجم علماء الجزيرة بذكره لسنوات ولادة (٨٩) عالماً[٤٣] وغفل عن ذكر ولادة (٩٩) عالماً[٤٤] ، هذا فضلاً عن ذكره لمكان ولادة هؤلاء العلماء اذ بلغ أعداد ما ذكر مكان ولادتهم هم (٤١) عالماً[٤٥] ،وغفل عن ذكر مكان ولادة (١٤٧) عالم[٤٦] ، ومما نلحظه بأن أماكن ولادتهم موزعة ما بين مدن الجزيرة الفراتية.

وتأتي حران في مقدمة المدن التي ولد فيها العلماء فهناك (١٢) عالماً ولد في حران و (ثمانية) من علماء ولدوا في الموصل ، وعالم(واحد) ولد في الكواشي ، و(ثلاثة) علماء في ميافارقين، و(اثنان) ولدوا في آمد ، و (ثلاثة) في الجزيرة العمرية و (اثنان) في اربل ، و (اثنان) ولدا في منبج ، و (اثنان) ولدا في اسعرد وفي سنجار وعالم (واحد) ولد في كل من ماردين وسروج والرها و (واحد) ولد في العمرية من قرى نصيبين، ومما نلحظه بأن الصفدي قد اغفل عن ذكر سني وأماكن ولادة (٩٥) عالماً حيث تأتي الموصل بالمرتبة الأولى اذ كان عدد ممن لم يذكر أماكن وسني ولادة علمائها هم (٢٢) عالماً ثم حران عددهم (٢١) عالماً والجزيرة العمرية (عشرة) علماء وآمد (سبعة) علماء وتكريت (خمسة) علماء والرقة (أربعة) علماء وميافارقين (أربعة) ونصيبين (ثلاثة) علماء و (أثنين) من علماء كل من ماردين واربل وحديثة والبلدي ومنبج و (واحد) من علماء كل من الرها ،واسعرد ،وسنجار، وعانة، والتوراني بحران ، والشهرزوري ،والحاني أو التوني بديار بكر وسروج والبزوري بحديثة .

٦-سنوات وفاة علماء الجزيرة الفراتية واماكنها:

تكمن أهمية معلومات الصفدي في هذين الحقلين إذ نجده كان حريصاً في إعطاء معلومات عن هذين الحقلين من حيث تزودنا بسني وفاة الكثير منهم فقد بلغ اعداد ممن ذكر سنوات وفاتهم (١٧٢) عالماً[٤٧] وغفل عن ذكر سنوات وفاة (١٦) عالماً[٤٨] .

وهذا الجدول يوضح أصولهم واعداد العلماء ممن ذكر سني وفاتهم

أصول العلماء	اعدادهم	اصول العلماء	اعدادهم	اصول العلماء	اعدادهم	اصول العلماء	اعدادهم	اصول العلماء	اعدادهم
الحراني	٤٨	الرقي	٨	الفارقي	٩	المنبجي	٤	الماردیني	٢
الموصلي	٣٤	التكريتي	٧	العاني	١	الحديثي	٣	الرهاوي	٢
الجزيرة العمرية	١٢	الاسعردي	٧	النصيبي	٥	الشهرزوري	٣	الديار بكري	٢
الآمدي	١٠	الاربلي	٦	السنجاري	٤	البلدي	٣	السروجي	٢

أي مما نلحظه بأن مدينة حران تأتي بالمرتبة الأولى لذكر سني وفاة علمائها ثم الموصل والجزيرة العمرية وآمد وميافارقين ثم المناطق التي ذكرت في الجدول

أما بالنسبة لذكر أماكن وفاة هؤلاء العلماء فنجد الصفدي أيضاً زودنا بأماكن معظم علماء الجزيرة والبالغ عدد ممن ذكر اماكن وفاتهم هم (٦٢) عالماً[٤٩] في حين غفل عن ذكر أماكن وفاة (١٢٦) عالماً[٥٠].

اماكن الوفاة	اعداداهم	مكان الوفاة	اعدادهم	اماكن الوفاة	اعدادهم
مصر	٨	حماة	٢	الجزيرة العمرية	١
القاهرة	٢	ماردين	٢	منبج	١
بغداد	٨	القدس	١	واسط	١
دمشق	٨	قبل سلماس	١	اصبهان	١
النجيبية جوار النوريةبدمشق	١	ميافارقين	٢	دمياط	١
		حران	١	الاسكندرية	١
البيمارستان النوري بدمشق	١	قصر الحضر	١	صيدا	١
بمنزله تحت المأذنة	١	قوص	١	حمص	١

الشرقية بدمشق					
		سنجار	١	اربل	١
حلب	٥	تبوك	١	تكريت	١
الموصل	٤			بين قارا والتبك	١

فمن خلال الجدول أعلاه يتبين بأن دمشق من أكثر الأماكن الذي توفي فيها العلماء والذي نجد الصفدي ثلاثة منهم قد حدد أماكن وفاتهم بالضبط وهم كل من ابراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي الرقي الذي توفي "بمنزله المصنوع له تحت المأذنة الشرقية"[٥١]، والثاني هو احمد بن محمد بن أبراهيم الأربلي الذي توفي" بالنجيبية [أي المدرسة النجيبية] جوار النورية"[٥٢] ،والثالث فهو عمر بن بدر بن سعيد الذي توفي في "دمشق في البيمارستان النوري"[٥٣]، وهناك علماء نجد الصفدي لم يذكر لهم سني الوفاة وأماكن وفاتهم وعددهم (١٥) عالم[٥٤]والتي كانت أصولهم من الموصل تأتي بالمرتبة الأولى وعددهم (سبعة) علماء ثم الجزيرة العمرية وعددهم (ثلاث) علماء و (واحد) في كل من مناطق شهرزور وميافارقين وماردين وتكريت والعوينة بالموصل ، أما بالنسبة لسبب الوفاة فنجد الصفدي قد أشار لعدد قليل جداً لسبب الوفاة وعددهم (تسعة) علماء[٥٥] فقد كان عدد ممن توفي بسبب مرض الطاعون هم (أثنين) فقط ، و (واحد) عالم بسبب الفالج و (واحد) عالم تمرض أياماً، و (واحد) عالم قتل و (واحد) عالم "القى نفسه على الطريق فمات "و (وأثنين) من علماء قتلهم التتار و (واحد) خنق في بيته كما أورد لنا الصفدي اماكن دفن علماء الجزيرة فنجده لم يلق اهتماماً بهذا الحقل حيث أورد الصفدي أماكن عدد قليل من علماء الجزيرة والبالغ عددهم (٢٠) عالماً[٥٦] في حين أغفل عن ذكر أماكن دفن لـــ(١٦٨) عالماً[٥٧] وقد ذكر أكثر ممن دفن من هؤلاء العلماء هم في قاسيون والبالغ عددهم (سبعة) علماء ممن دفنوا في قاسيون ، و (ثلاثة) ممن دفن في مقبرة باب الصغير ، و (أثنان) من العلماء دفنوا في مقابر الصوفية اما البقية فهناك من دفن بقرافة سارية او تربة الشيخ اي اسحاق الشيرازي او بجوار مسجد بتبوك او باب ابرز او دفن في التربة التي عمرها بحلب أو تربة الجبل او مقبرة الفخري ظاهر الحسينية أو دفن في قبة المدرسة بظاهر حلب .

٧-اماكن الدراسة :

لقد زودنا الصفدي من خلال ذكره لتراجم علماء الجزيرة بالعديد من اماكن دراسة هؤلاء العلماء والتي نجدها واضحة من خلال تتبعه للمسيرة العلمية لهم اذ بلغ عدد ممن ذكر الصفدي مسيرتهم هم (٧٨) عالماً[٥٨] ،وأغفل عن ذكر (١١٠) عالم[٥٩]، فكانت بغداد تأتي بالمقام الأول ممن درسوا فيها من العلماء حيث بلغ اعداد من درسوا فيها (٣٥) عالماً وتأتي الموصل بالمقام الثاني حيث بلغ من درسوا فيها (٢٤) عالم ثم تأتي دمشق بالمقام الثالث وبلغ أعداد من درسوا فيها (٢٠) عالماً في حين مصر تأتي بالمقام الرابع فكان أعداد من درسوا فيها هم (١٧) عالم أما حلب فتأتي بالمقام الخامس اذ بلغ أعداد ممن درسوا فيها هم (تسع) علماء في حين الشام كانت اعداد ممن درسوا فيها هم (سبع) علماء، أما حران فكان عدد ممن درس فيها هم (خمس) علماء ، أما خراسان فكان عدد ممن درس فيها هم (أربع) علماء، أما الباقي فكانت دراستهم موزعة بأعداد قليلة جداً في مناطق عديدة من مصر، والشام ،والعراق ، والجزيرة الفراتية ،وبلاد ما وراء النهر وغيرها ، ومما نلحظه بأن الصفدي أحياناً يذكر اسماء المدارس التي درس فيها العلماء ، وهذا مما يدل على مدى توثيق الصفدي لمعلوماته .

٨-شيوخ وتلاميذ علماء الجزيرة الفراتية :

لقد وثق الصفدي في هاذين الحقلين التي أورد فيها تراجم علماء الجزيرة بذكره لأعداد شيوخ وتلاميذ علماء الجزيرة فنجده قد ذكر اعداد ممن ذكرت شيوخهم وهم من تخصصات متنوعة والبالغ اعداداهم (١٢٨) عالماً[٦٠] من أصل (١٨٨) عالماً في حين أغفل عن ذكر شيخ (٦٠) عالماً[٦١] والذي نجده أحياناً بأن الصفدي يذكر أحياناً مكان تلقي عالم الجزيرة بالمكان الذي تلقى فيه شيخه فمنهم إبراهيم بن سعيد بن محمد الفارقي الذي سمع ببغداد " وتفقه بالنظامية "[٦٢] كما نجده يحدد السنة التي سمع بها من شيوخه ومنهم أحمد بن عثمان بن قايماز الفارقي " سمع صحيح البخاري سنة ست وستين على المقداد القيسي"[٦٣] .

أما بالنسبة لتلاميذ علماء الجزيرة الفراتية فنجد بأن الصفدي وثق من خلال إيراده لترجمة العالم بذكره لتلاميذه والبالغ عدد هؤلاء العلماء الذين ذكرت تلاميذهم (

٧٤) عالماً[٦٤] وأغفل عن ذكر تلاميذ (١١٤) عالماً[٦٥] ،ولم يكتفِ الصفدي بذلك وإنما نجده من خلال تراجم العلماء بعدم تزويدنا بذكر شيوخ تلاميذ معظم علماء الجزيرة الفراتية والبالغ عددهم (٥٠) عالماً[٦٦].

وهذا الجدول سيوضح ذلك

اصل العلماء	اعداد ممن ذكرت شيوخهم	اعداد ممن ذكرت تلاميذهم	عدم ذكر شيوخهم وتلاميذهم	اصل العلماء	اعداد ممن ذكرت شيوخهم	اعداد ممن ذكرت تلاميذهم	عدم ذكر شيوخهم وتلاميذهم
الحراني	٣٧	٢٦	٨	المنبجي	٤	٣	
الموصلي	٢٢	١٤	١٧	الاربلي	٤	٣	٢
الآمدي	٩	٣	١	البلدي	٣	١	
الفارقي	٨	٦	١	الرهاوي	٢	١	
الجزيرة العمرية	٨	١	٧	الديار بكري	٣	١	
النصيبي	٤	٢	١	الماردِيني	١	١	٢
الاسعردي	٤	٣	٣	العاني	١		
الشهرزوري	٤			الحديثي	٢	٢	
التكريتي	٦	٢	٢	السروجي		١	١
الرقي	٦	٤	١	السنجاري			٤

أي مما نلحظه من الجدول بأن علماء حران يأتون بالمرتبة الأولى في ذكر شيوخهم ثم الموصل وبعدها ميافارقين والجزيرة العمرية أما باقي علماء المدن الأخرى فنجدها أقل عدد في ذكر شيوخهم أما بالنسبة لتلاميذ علماء الجزيرة فنجد أيضاً علماء حران يأتون بالمرتبة الاولى في ذكر تلاميذهم ومن ثم علماء الموصل ،أما باقي علماء المناطق الأخرى فتكون أقل عدداً في ذكر تلاميذ العلماء ، أما ممن لم يوثق الصفدي في ذكر شيوخهم أو تلاميذهم فنجده لدى علماء الموصل التي تأتي بالمرتبة الأولى وبعدها علماء حران ثم الجزيرة العمرية وباقي علماء المدن الأخرى فأقل عدداً ،أي : مما نريد قوله بأن الصفدي قد أعطى اهتمامًا لهذين الحقلين وأنه كان حريصاً على ذكر شيوخهم أكثر من ذكر تلاميذهم .

٩-المناصب العلمية :

كان من المناصب التي مارسها هذا العالم بالدرجة الأولى هو التدريس حيث نجد الصفدي قد حدد من خلال تراجم علمائه نصاً لعدد العلماء الذين مارسوا هذه المهنةِ (كتدريسي)وهم (٢٧) عالماً[٦٧] من أصل (١٨٨) عالماً وفيما يخص المدارس التي درسوا فيها فقد حدد مكان التدريس لـ(١٤) عالماً[٦٨] موزعين ما بين مدارس مناطق مصر، والشام ،والعراق فقد ورد ذكر التدريس في مصر (ثلاث) مرات والتدريس بدمشق مرة (واحدة) و (أربعة) مرات بحلب .

بينما حدد من تراجم التدريس (لواحد) من العلماء في كل من مناطق بغداد، والعراق ،وحماة ،وحمص، وبعلبك، أي: كان التدريس في مصر هو الأكبر ولكن مما نلحظه بأن الصفدي يذكر لنا اسماء معظم المدارس والبالغ عددهم (٢٥) مدرسة[٦٩] في حين أغفل عن ذكر اسماء (خمس) مدارس لخمسة علماء[٧٠] لم يحددها ،وفضلاً عن ذلك نجد الصفدي أحياناً يذكر بتدريس العالم بأكثر من مدرسة فمثلاً عمر بن اسماعيل بن مسعود بن سعد بن سعيد بن أبي الكتائب الفارقي[٧١] الذي درس بالناصرية[٧٢] مدة قبل الظاهرية[٧٣] ،وكذلك عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن نصير الموصلي[٧٤] الذي درس بالجاروخية[٧٥] والظاهرية البرانية ، وإلى جانب التدريس فقد ذكر الصفدي المعيدون والمدارس التي أعادوا فيها فقد حدد لنا الصفدي (ثمانية) معيدون يمارسون الاعادة في المدارس وقد حدد الصفدي اسم المدرسة لـ(ستة) علماء (أثنان) أحدهما من ميافارقين والآخر من حران لم يتم ذكر المدارس التي أعادوا فيها في حين نجد ممن أصولهم من الموصل وهم (ثلاث) علماء فقد أعادوا في المدرسة النظامية و (واحد) من تكريت أعاد أيضاً بنفس المدرسة أما ممن أصولهم من حران فعددهم (أثنان) أحدهما اعاد في مدرسة حران والآخر في مدرسة الشافعي أي : أنه كانت الإعادة مركزة في منطقة بغداد .

ومما نلحظه بأن الصفدي لم يكتفِ بذكر التدريس في المدارس وإنما ذكر دور ومشيخات وزوايا تم التدريس فيها .

حيث حدد الصفدي (١١) عالماً موزعاً ما بين مشيخة ودور وزوايا وهذا جدول يوضح ذلك .

اصل العلماء	دور الحديث والمشيخات والزوايا	المكان	عدد الشيوخ	اصل العلماء	دور الحديث والمشيخات والزوايا	المكان	عدد الشيوخ
الحراني	شيخ الحديث العالمية		١	الفارقي	دار الحديث الاشرفية	دمشق	١
الحراني	دار مليحة برصيف	دمشق	١	الموصلي	مشيخة القصر	دمشق	١
الحراني	مشيخة دار الحديث الكاملية	القاهرة	١	المنبجي	زاويته		١
الحراني	مشيخة الصبابية	دمشق	١	الاسعردي	زاوية في جامع عمرو	القاهرة	١
الحراني	شيخ حران		١		بن العاص		
الجزري	الزاوية المعروفة بالشافعي		١				
الآمدي	دار الحديث الظاهرية	دمشق	١				

أي: مما نلحظه بأن أكثر الشيوخ كانوا متواجدين في دمشق .

١٠- المناصب العلمية والشرعية والإدارية :

قد نشأت إلى جانب المناصب العلمية هناك المناصب الشرعية فقد سجل لنا الصفدي من خلال تراجمه أعداد من علماء الجزيرة الفراتية ممن مارسوا هذه المناصب ذات الطابع الشرعي إلى جانب المنصب العلمي والذي يأتي في المقدمة هو منصب القضاء فقد أورد الصفدي (١٩) عالماً[٧٦] ممن مارس القضاء الى جانب التدريس وكان (ستُ) علماء من أصل موصلي و (ثلاثٌ) من أصل حراني و (أثنان) من أصل شهرزوري ومن أصل أربلي والباقي عددهم واحد من اصل ميافارقين ومنبج وسنجار وتكريت وآمد والجزيرة وهؤلاء العلماء موزعين ما بين أماكن الشام ومصر والعراق ولكن تأتي دمشق بالمرتبة الأولى ممن مارس التدريس فيها ، ومما نلحظه بأن الصفدي أحياناً يذكر بأن للعالم له منصب القضاء في أكثر من مكان ، ومثال ذلك عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر الموصلي ولي قضاء سنجار ، وحران ، وديار ربيعة ثم عاد إلى دمشق فولي بها القضاء[٧٧] ، فضلاً عن ذلك فقد ذكر الصفدي عدد ممن تولى منصب قاضي القضاة[٧٨] وعددهم (أثنين) أحدهما من أصل تكريتي والآخر أصله من الرقة والذي ذكر مكان توليه المنصب وهو حلب ، كما ذكر الصفدي لعدد قليل ممن تولى (النيابة بالقضاء) وعددهم (أربع) علماء من أصل تكريتي وحراني وأربلي وفارقي ، كما أشار إلى منصب الإمامة والبالغ

عددهم (أثنان) من الأئمة أحدهما من أصل حراني والآخر من أصل موصلي وكان الأول في حران والثاني في منطقة الموصل .

كما نجد بأن الصفدي ركز على منصب المحدث وبلغ أعدادهم (١٩) محدثاً وهم من أصل حراني وعددهم (سبع) علماء و (أثنان) من أصل شهرزوري و (أثنان) من أصل الجزيرة العمرية و (واحد) من أصل كل من نصيبين، وأسعرد، والرقة ،وتكريت، وعانة، وحديثة، وميافارقين ،والموصل موزعين ما بين مناطق بغداد ومصر وحران ودمشق وحلب وفضلاً عن ذلك يوجد منصب (الإمامة) أو (الأقراء)[٧٩] في الجامع أو المسجد ،وقد ذكر لنا (ست) علماء ممن مارسوا هذا المنصب و(ثلاث) من أصل موصلي و (واحد) من أصل فارقي وحراني وآمدي وموزعين أيضاً ما بين جوامع مصر، ودمشق ،وبغداد ،والموصل ،كما ركز الصفدي على منصب (الخطابة)[٨٠] فذكر عدد من مارسها هم (عشرة) علماء[٨١]، و (ثلاث) علماء من أصل فارقي و (أثنان) من أصل موصلي ،و (واحد) من علماء الجزيرة العمرية وشهرزور وآمد وأسعرد وحران موزعين ما بين دمشق، والموصل، وحلب ،وحران، كما نجد بأن الصفدي ذكر إلى جانب الخطابة منصب الإفتاء[٨٢] ، وعددهم (أثنان) وكلاهما من أصل فارقي أحدهما ذكر تولية الافتاء في دمشق ، والآخر لم يعلن عن منطقة توليه الافتاء ،أما القُراء فكان عددهم (ثلاث) أثنان من أصل موصلي و (واحد) من أسعرد .

كما شغل علماء الجزيرة الفراتية إلى جانب المناصب العلمية والشرعية مناصب إدارية أخرى نجدها واضحة من خلال ذكره لهذه المناصب الادارية التي تولاها هؤلاء العلماء فمثلاً كاتب الإنشاء ،أو نظر الاوقاف ،أو ناظر الأيتام، أو وكيل بيت المال، أو نظر الجيش، أو كاتب الدرج[٨٣] وغيرها من المناصب التي تولاها هؤلاء العلماء فضلاً عن مناصب عديدة داخل البلاط السلطاني والذي بلغ تعدادهم من قبل الصفدي هم (٢٦) عالماً[٨٤] وهم من أصول مختلفة من الجزيرة الفراتية فعدد العلماء من أصل موصلي هم (أربع) و (وثلاث)علماء من أسعرد و(ثلاث) من حران و(ثلاث) من الجزيرة العمرية و (أثنان) من آمد والرقة وميافارقين و (واحد) من علماء تكريت ،وبلدة، وسنجار، واربل ،وشهرزور، وماردين ،وديار بكر وهؤلاء العلماء موزعين ما بين دمشق وحلب ومصر وبغداد .

١١-توزيع العلماء حسب القرون :

لو تتبعنا لتراجم العلماء التي ذكرها الصفدي لنجد بأنهم تم توزيعهم في قرون مختلفة سنوضحها من خلال جدول يوضح في أي قرن عاشوا هؤلاء العلماء أكثر .

القرن	عدد العلماء
الاول	
الثاني	
الثالث	١
الرابع	٨
الخامس	٨
السادس	٣٦
السابع	٨٨
الثامن	٣١

أي أن هذا الجدول يوضح بأن الصفدي لم يذكر ترجمة لعلماء في القرن الأول والثاني بينما أكتفى بترجمة لعالم واحد عاش في القرن الثالث وهو ثابت بن قرة الحراني[٨٥] ،أما القرن الرابع فلم يبرز به سوى (ثمانِ) علماء[٨٦] ،أما القرن الخامس أيضاً برز فيه (ثمان) علماء[٨٧] في حين كان عدد علماء الجيل السادس كانوا (٣٦) عالماً[٨٨] ،والسابع (٨٨) عالماً[٨٩] ،أما القرن الثامن فكان عدد العلماء هم (٣١) عالماً[٩٠] أي يتضح لنا بأن اكثر العلماء ايراداً لدى الصفدي هم علماء القرن السابع ، والذي يبدو بأن أكثرهم كانوا ممن التقي بهم واخذ المعلومات عنهم بحكم وظيفته .

الخلاصة

ولعل من أهم النتائج التي نستهلها من هذه الدراسة :

١-يعد الصفدي من الشخصيات العلمية والأدبية التي اشتهرت في القرن (السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد) وبحكم مؤهلاته العلمية تم توليه مناصب ادارية عديدة في معظم حواضر المدن العربية الاسلامية .

٢-لم يقتصر الصفدي على دراسة علماء الجزيرة الفراتية على فترة زمنية معينة وأنما في كل الفترات التي تناولها الصفدي في مجلداته .

٣-بالنسبة للقب المكاني الذي لاقى اهتماماً كبيراً من قبل الصفدي وقد كان اعداد العلماء ممن نسب الى المكان هم من حران ثم من الموصل أما بالنسبة للقب المهني أو الوظيفي والذي كان يدل على الوظيفة العلمية أو الادارية أو الشرعية ومما نلحظه بأن الوظيفة أحياناً نجدها متوارثة عند معظم العلماء وكانت لفظة (الشيخ) هي الأكثر تكراراً وتواتراً من لفظة (الفقيه) .

٤-بالنسبة للقب القبلي فلم يلق اهتماماً من قبل الصفدي ولكن اللافت للانتباه بأن أكثر القبائل تم تكراراها في تراجم العلماء هم من بني شيبان .

٥-بالنسبة للقب المذهبي نجد الصفدي قد ألقى اهتماماً بالنسبة لمذهب العالم والذي نجده من خلال الجدول الخاص بالمذاهب بأن العلماء لم يكونوا على مذهب واحد، وأن أكثر علماء الجزيرة الفراتية هم على مذهب الشافعي وأكثر مواصلة .

٦-بالنسبة لتخصصات العلماء نجد الصفدي يذكر الفاظ تدل على نوع تخصص العالم والذي وجدنا بأن كلمة الفقيه هي الأكثر ايراداً واحياناً يورد في الترجمة أكثر من لفظة تدل على تنوع تخصصه .

٧-سنوات ولادة العلماء وأماكنها نجد بأن الصفدي قد أولى اهتماماً بسني ولادة العلماء وأماكنها لكن الملفت للنظر أحياناً لم يذكر لنا أماكن ولادتهم ولكن من خلال اطلاعنا

على كتب التراجم تمت معرفتنا بأماكن ولادتهم ولكن ذكر الصفدي لإمكان الولادة أقل من ذكره لسنوات الولادة .

٨-سنوات وفاة العلماء وأماكنها فنجد الصفدي قد أولى اهتماماً كبيراً جداً لسني وفاة علماء الجزيرة الفراتية ومقارنة مع سني ولادة العلماء نجد بأن جدول سني الوفاة كان أكثر اهتماماً فضلاً عن ذكر أماكن الوفاة كما أن اللافت للانتباه بان الصفدي احيانا كان يذكر سبب الوفاة وهو ما بين المرض أو القتل وغيرها كما نجده احياناً اخرى يذكر مكان دفن العالم والذي وجدناه بأن الدفن كان بدمشق أكثر من أي مكان آخر وأن اماكن الوفاة موزعة ما بين مصر والعراق وبلاد الشام .

٩-شيوخ وتلاميذ علماء الجزيرة الفراتية قدم لنا الصفدي اسماء للعديد من الشيوخ الذين تلقى علماء الجزيرة الفراتية العلم على ايديهم ولكن مما نلحظه بأن الصفدي قد أعطى اهتماماً بذكر الشيوخ أكثر من اهتمامه بذكر تلاميذ علماء الجزيرة الفراتية وقلة مما نجده يذكر المكان الذي تلقى العالم علمه من شيخه والتي كانت موزعة ببغداد ودمشق من أكثر المناطق ايراداً عند تراجم الصفدي .

١٠- المناصب العلمية والشرعية والإدارية فقد أولت هذه المناصب اهتماماً كبيراً من قبل الصفدي الموزعة ما بين العلمية والشرعية والإدارية وتعد العلمية هي الوسط ما بين الشرعية والإدارية وكانت العلمية تأتي بالمرتبة الأولى ثم الشرعية ثم الإدارية واللافت للنظر أيضاً بأن المناصب العلمية كانت موزعة ما بين المدارس والمشيخة ودور الحديث والزوايا .

١١- توزيع علماء الجزيرة حسب القرون فنجد بأن غالبية العلماء الذين أورد ترجمتهم هم من القرنين (السابع والثامن للهجرة / الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) .

١- نقلاً عن الموقع الالكتروني : الجزيرة الفراتية Ar.m.wikipedia.org

الهوامش

(١) تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، معجم الشيوخ ، تحقيق : بشار عواد ، رائد يوسف العنبكي وآخرون ، تخريج : شمس الدين ابي عبد الله ابن سعد الصالحي (ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٤م) ،ج١ ، ص١٧٨ ؛ تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي ، الوفيات ، تحقيق : صالح مهدي عباس ، بشار عواد معروف (ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م) ،ج٢ ، ص٢٦٩ ؛ تقي الدين ابو بكر بن احمد بن قاضي شهبة ، تأريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق : عدنان درويش (دمشق ، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٩٤م) ،مج٣ ، ص٢٢٧ .

(٢) للمزيد من الاطلاع على شيوخه. ينظر في جميع أجزائه : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : ابو عبد الله جلال الاسيوطي (ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م) ؛السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمود محمد الطناحى، عبدالفتاح محمد الحلو(ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م) ، ج١٠ ، ص٥ ؛ أبن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ،تحقيق : الحافظ عبد العليم خان (ط١، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٦م) ، ج٣ ، ص٨٩ ؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت ، دار المعرفة ، د . ت) ،ج١ ، ص٢٤٣.

(٣) شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الذهبي ، العبرفي خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) ، ج٤ ، ص٢٠٣ .

(٤) للمزيد من الاطلاع على تلاميذ الصفدي .ينظر في جميع اجزائه ؛ شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ،(بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٣م)، ج٢ ، ص٨٧ .

(٥)للاطلاع ينظر : ناصر عبدالرزاق الملا جاسم وسفانة جاسم الجبوري ، "علماء بيت المقدس من خلال كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (دراسة كمية) "، مجلة مداد ،(ع١٥، ٢٠١٧م) ، ص٢٧١.

(٦) السبكي ، معجم الشيوخ ، ج١ ، ص١٧٨ .

(٧) الذهبي ، العبر ، ج٤ ، ص٢٠٣ .

(٨) سبق وتم الحديث عن مصنفاته في بحثنا المنشور ينظر : الملا جاسم و الجبوري ، "علماء بيت المقدس ..."، ص٢٧٢ .

(٩) جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين (ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) ، ج١١ ، ص١٦ .

(١٠) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر أبن دقماق ، نزهة الانام في تاريخ الاسلام ، دراسة وتحقيق : سمير طيارة (بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م) ، ج١ ، ص٣٤ .

(11) (Rosenthol ," AL-Safadi" , (El2, 1995), Vol.9, P.760 Franz

(١٢) كأمثلة : احمد بن محمد بن ابراهيم الاربلي . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٦ ، ص١٠٦ .

(١٣) كأمثلة : محمد بن محمد بن عبد الكريم . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٩ ، ص١٠٩ .

(١٤) كأمثلة : محمد بن طلحة بن محمد الحسن . ينظر :- الصفدي ، الوافي ، ج٢ ، ص٣٥١ .

(١٥) كأمثلة : الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر .ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١١ ، ص٨٤ .

(١٦) كأمثلة : محمد بن طلحة بن محمد الحسن الشيخ .ينظر :- الصفدي ، الوافي ، ج٢ ، ص٣٥١ . والشيخ :هو لقب يطلق على كبار السن وبعض كبار العلماء وربما قصد به من يجب توقيره كما يوقر الشيخ . ينظر : مها سعيد الخفاف ، الحياة العلمية في الموصل منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، تقديم : هاشم الملاح (ط١ ، عمان ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ٢٠٢١م)، ص٣٠٢.

(١٧) كأمثلة : محمد بن عبد الوهاب بن منصور العلامة . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٣ ، ص١٨٠ . والعلامة :وهو من القاب أكابر العلماء وهو العالم للغاية . ينظر : احمد بن علي بن احمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت)، ج٦ ، ص٢١ .

(١٨) كأمثلة : عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر اذ وصفه الصفدي قائلاً :-:" مسند الديار المصرية ". ينظر : الوافي ، ج١٥ ، ص٢٤٦ . والمسند: من يروي الحديث بأسناده سواء كان عنده علم به او ليس له إلا مجرد رواية .ينظر : نقلاً عن الموقع الالكتروني اطلاق كلمة " المسند" في مصطلح الحديث . WWW.alukah. net

(١٩) كأمثلة : محمد بن احمد بن الحسين بن عمر اذ ذكر نسبه وظيفته معيداً .ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١ ، ص٢٦٨ . والمعيد: وهو رتبة المدرس فيما تقدم وأصل موضوعه أنه أذا القى المدرس الدرس وأنصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس اليهم ليفهموه ويحسنوه . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٤٣٦ .

(٢٠) كأمثلة : علي بن عدلان بن حماد بن علي الإمام . ينظر: الصفدي ، الوافي ، ج١٧ ، ص٢١٩ . والإمام من يأتم به الناس من رئيس أو غيره ومنه إمام الصلاة والخليفة وقائد الجند . ينظر :ابراهيم مصطفى واحمد زيات وآخرون ، المعجم الوسيط، (دار الدعوة ، د . ت) ، ج١ ، ص٢٧ .

(٢١) كأمثلة : عمر بن بدر بن سعيد المحدث . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٨ ، ص٥٧ . والمحدث :هو المراد به من يتعاطى علم حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) بطريق الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالإسانيد ونحو ذلك . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٤٣٦ .

(٢٢) كأمثلة : عمر بن اسماعيل بن مسعود بن سعد بن سعيد الأديب . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٨ ، ص٥١ . والأديب : وصف من أدب والأخذ بمحاسن الأخلاق والحاذق بالأدب وفنونه . ينظر : مصطفى و زيات وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج١ ، ص١٠ .

(٢٣) كأمثلة : علي بن عبد العزيز بن أحمد القاضي . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٧ ، ص١٦٥ . والقاضي :وهو عبارة عمن يتولى فصل الأمور بين المتداعيين في الأحكام الشرعية . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٢٣ .

(٢٤) كأمثلة : اسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن اسماعيل بن علي" ناظر الأيتام "، ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص٢٤٤ .

(٢٥) كأمثلة : رشيد بن كامل "وكيل بيت المال" . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١١ ، ص٢٨٩ . ووكيل بيت المال : وهي لا تسند إلا لذوي الهيبة من شيوخ العدول ويفوض اليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من كل صنف يملك ويجوز التصرف فيه شرعاً وعتق المماليك وتزويج الإماء وتضمين ما يقتضي الضمان وابتياع ما يرى ابتياعه وانشاء ما يرى انشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج اليه في التصرف عن الخليفة . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٥٥٩ .

(٢٦) كأمثلة : مسعود بن الحسين بن أبي بكر زيد النقاش . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٩ ، ص٣١٦ . والنقاش :هو من أمتهن النقاشة فهو الشخص الذي يعمل في مجال النجارة والدهانات والزخرفة وتعتبر أصعب المهن لما تحتاجه من تركيز شديد ومجهود بدني كبير . ينظر : نقلاً عن الموقع الإلكتروني . نقاش (مهنة) ar.m.wikipedia.org

(٢٧) كأمثلة : الحسين بن علي بن سعيد بن حامد بن عثمان البزاز . ينظر: الصفدي ، الوافي ، ج١٠ ، ص٢٣٠ . والبزاز في اللغة العربية هو بائع البز أي الثياب فالبزاز هو الشخص الذي يتاجر في الثياب . ينظر : نقلاً عن الموقع الإلكتروني . ما هو البزاز – موسوعة www.mosoah.com

(٢٨) كأمثلة : احمد بن مسرور بن عبد الوهاب بن مسرور الخباز . ينظر : الصفدي ، الوافي، ج٦ ، ص٣٠٢ . والخباز هو صانع الخبز الشخص الذي يخبز المخبوزات والمعجنات من خبز وكعك . . . الخ يسمى المكان الذي يعمل فيه الخباز بالمخبز . ينظر : نقلاً عن الموقع الإلكتروني . خباز .ar.m.wikipedia.org

([٢٩]) الوافي ، ج٥ ، ص٢٥٧ .

([٣٠]) الصفدي ، الوافي ، ج٥ ، ص٢٠٠ .

([٣١]) الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص٢٤٤ .

([٣٢]) كأمثلة : حمزة بن غاضرة بن محمد أذ ذكر لقبه القبلي " الأسدي " . ينظر : الصفدي ، الوافي ،ج١٠ ، ص٣٥١ ، وبنو أسد : وهي قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب الى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . ينظر : نقلاً عن الموقع الإلكتروني بنو أسد ar.m.wikipedia.org .

([٣٣]) كأمثلة : عبد الباقي بن أبي يعلى محمد بن علي . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٤ ، ص٣١٧ .

([٣٤]) كأمثلة : محمد بن ابراهيم بن مساعد "الأنصاري" . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١ ، ص٣٢٥ . والأنصار هو لقب يطلق على قبيلتي الأوس والخزرج لقبهم به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما هاجر اليهم من مكة الى المدينة .ينظر: نقلاً عن الموقع الإلكتروني . الأنصار ar.wikishia.net

([٣٥]) كأمثلة : محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن" الشيباني" . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٣ ، ص٤٤ . وبنو شيبان :هي قبيلة عربية تنتمي الى قبائل بكر بن وائل تعيش في مناطق الجزيرة الفراتية في المشرق العربي . ينظر : نقلاً عن الموقع الإلكتروني . بنو شيبان ar.m.wikipedia.org .

([٣٦]) وهو عمر بن بدر بن سعيد "الكردي" . ينظر : الوافي ، ج١٨ ، ص٥٧ .

([٣٧]) كأمثلة : جعفر بن محمد بن حمدان الشافعي . ينظر : الوافي ، ج٩ ، ص ٨٣ .

([٣٨]) كأمثلة : عبد العزيز بن محمد بن الحسين . ينظر: الصفدي ، الوافي ، ج١٥ ، ص٢٥٨ .

([٣٩]) الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص١١٨ .

([٤٠]) الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص٢٤٤ .

([٤١]) كأمثلة : محمد بن ابراهيم بن ساعد الذي كان مختصاً في الهيئة والهندسة والحساب . ينظر : الوافي ، ج١ ، ص٣٢٥.

([٤٢]) كأمثلة : اسماعيل بن محمد بن اسماعيل . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص٢٤٤ .

([٤٣]) كأمثلة : اسحاق بن يحيى بن اسحاق الذي ولد سنة(٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص١١٠.

([٤٤]) كأمثلة : علي بن احمد بن يوسف بن الخضر . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٦ ، ص٣٨٤.

([٤٥]) كأمثلة : الحسن بن ابراهيم بن برهون ولد في ميافارقين . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٩ ، ٢٦٥ .

([٤٦]) كأمثلة : علي بن عدلان بن حماد بن علي . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٧ ، ص٢١٩ .

([٤٧]) كأمثلة : مسعود بن الحسين بن أبي بكر الذي توفي سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٩ ، ص٣١٦ .

([٤٨]) كأمثلة : عبد السلام بن يحيى بن القاسم . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٥ ، ص١٨٦ .

([٤٩]) كأمثلة : محمد بن يعقوب بن علي الذي توفي بحماة . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٤ ، ص٢٣٣ .

([٥٠]) كأمثلة : عائشة بنت محمد بن المسلم . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٣ ، ص٣٠٢ .

([٥١]) الصفدي ، الوافي ، ج٤ ، ص٢٩٩ .

([٥٢]) الصفدي ، الوافي ، ج٦ ، ص١٠٨ . والنجيبية وهي المدرسة لصيق المدرسة النورية وضريح نور الدين الشهيد من جهة الشمال والتي أنشأها النجيبي جمال الدين اقوش الصالحي النجمي مملوك الملك الصالح ايوب وفتحت سنة (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) . ينظر : عبد القادر بن محمد النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين (ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م)، ج١ ، ص٣٥٨ .

([٥٣]) الصفدي ، الوافي ، ج١٨ ، ص٥٧ .و البيمارستان النوري : وهو لصيق البهراميه من جنوبيها الشرقية بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي . ينظر : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الغزى ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، (ط٢ ، حلب ، دار القلم ، ١٩٩٨م) ، ج٢ ، ص٥٣ .

([٥٤]) كأمثلة : عبد السلام بن يحيى بن القاسم . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ، ج١٥ ، ص١٨٦ .

([٥٥]) كأمثلة : محمد بن عبد الوهاب بن منصور الذي توفي بسبب الفالج . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٣ ، ص١٨١ . والفالج : وهو استرخاء احد الجانبين من الانسان وقد فلج فلان اذا ذهب الحس والحركة . ينظر : محمد بن احمد الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : ابراهيم الأبياري (ط٢ ، د . ت) ، ج١ ، ص١٨٦ .

([٥٦]) كأمثلة : علي بن احمد بن بدر الذي دفن بسفح قاسيون . ينظر : الصفدي ، ج١٦ ، ص٣٧٩ .

([٥٧]) كأمثلة : النفيس بن هبة الله بن وهبان . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٢١ ، ص١١٠.

([٥٨]) كأمثلة : عبد الله بن علي بن عبد الله بن عمر الذي درس في تكريت والموصل وبغداد . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٤، ١١١.

([٥٩]) كأمثلة : زينب بنت مكي بن علي . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٢ ، ص٣١ .

([٦٠]) كأمثلة : احمد بن يوسف بن حسن بن رافع الذي قرأ القرآن على والده وسمع من ابي الحسن بن روزبة وغيرهم ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٧ ، ص١٥ .

([٦١]) كأمثلة : يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٢٢ ، ص٥٢٤ .

(٦٢) الصفدي ، الوافي ، ج٤ ، ص٣٢٨ .والنظامية : وهي المدرسة التي تنسب الى الوزير نظام الملك قوام الدين ابي علي الحسن بن علي الطوسي الشافعي (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) حيث شرع ببنائها في بغداد سنة (٤٥٧هـ / ١٠٦٥م) في الجانب الغربي من المدينة وبعدما يقرب من سنتين تم افتتاح المدرسة سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٧م) . ينظر : ميسون ذنون العبايجي ، "أثر المدرسة النظامية ببغداد على بعض علماء الموصل في عهد الدولة الاتابكية (٥٢١ – ٦٦٠هـ / ١١٢٧ – ١٢٦٢م) "، دراسات موصلية ، (ع ٤٩ ، ٢٠١٨م) ،ص٦٧ .

(٦٣) الصفدي ، الوافي ، ج٦ ، ص١٣ .

(٦٤) كأمثلة : الحسن بن ابراهيم بن برهون الذي كان من تلاميذه ابو سعد عبد الله بن ابي عصرون . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٩ ، ص٢٦٥ .

(٦٥) كأمثلة : محمد بن احمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٢ ، ص٢٦ .

(٦٦) كأمثلة : محمد بن أبي بكر بن سيف . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٢ ، ص١١٧ .

(٦٧) كأمثلة : عبد الرحمن بن احمد بن المفرج بن درع الذي "ندب للتدريس في ماردين ". ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٤ ، ص٣٧٨ . والمدرس : هو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقة ونحو ذلك وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة اذا كررته للحفظ .ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ٤٣٦ .

(٦٨) كأمثلة : علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد الذي تولى التدريس في "المدرسة العزيزية المجاورة لتربة الملك الناصر صلاح الدين ". ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٧ ، ص٢٤١ .

(٦٩) كأمثلة : المدرسة العصرونية بحلب التي درس فيها رشيد بن كامل . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١١ ، ص٢٩٠ والمدرسة العصرونية : وهي المدرسة التي انشأها نور الدين محمود بن زنكي سنة(٥٤٥هـ / ١١٥٠م) وقيل في سنة(٥٥٠هـ / ١١٥٥م) وتقع داخل بأبي الفرج والنصر شرقي القلعة وغربي الجامع بمحلة حجر الذهب . ينظر : النعيمي ، الدارس ، ج١ ، ص٣٠٢ .

(٧٠) كأمثلة : محمد بن يونس بن محمد بن منعة الذي "درس في عدة مدارس" . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٤ ، ص٢٨٣ .

(٧١) الصفدي ، الوافي ، ج١٨ ، ص٥١ .

(٧٢) الناصرية : وهي المدرسة التي تقع داخل باب الفراديس شمالي الجامع الاموي والرواحية بشرق وغربي شمال وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية انشاء الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وكانت تعرف هذه المدرسة بدار الزكي المعظم وفرغ من عمارتها أواخر سنة(٦٥٣هـ / ١٢٥٥م). ينظر : النعيمي ، الدارس ، ج١ ، ص٣٥٠.

(٧٣) الظاهرية : وهي المدرسة التي بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة(٦١٠هـ / ١٢١٣م) وتقع خارج باب النصر بمحلة المنيبع شرقي الخاتونية الحنفية وغربي الخانقاه الحسامية بين نهري القنوات وبانياس على الميدان بالشرف القبلي . ينظر : النعيمي ، الدارس ، ج١ ، ص٢٥٧ .

(٧٤) الصفدي ، الوافي ، ج١٥ ، ص١١٢ .

(٧٥) الجاروخية : وهي المدرسة التي بناها جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين وتقع داخل بابي الفرج والفراديس لصيقة الإقبالية الحنفية شمالي الجامع الاموي والظاهرية البرانية . ينظر : النعيمي ، الدارس ، ج١ ، ص١٦٩ .

(٧٦) كأمثلة : محمد بن علي بن محمد الذي" ولي القضاء بأسيوط ". ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٣ ، ص٢٥٥ .

(٧٧) الصفدي ، الوافي ، ج١٤ ، ص٢٤٢ .

(٧٨) كأمثلة : احمد بن محمد بن ابراهيم الاربلي الذي كان منصبه" قاضي القضاة" .ينظر: الصفدي ، الوافي ، ج٦ ، ص١٠٦ . وقاضي القضاة : وهو من اجل ارباب الوظائف وأعلاهم شأناً وأرفعهم قدراً ولا يتقدم عليه أحدا ويحتمي عليه وله النظر في الاحكام الشرعية ودور الضرب وضبط عيارها . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، ص٥٥٧ .

(٧٩) الإقراء : وهو المقرئ الذي يتولى قراءة القرآن الكريم ويعلمه وهذا الاختصاص غالب على مشايخ القراءة من القراء السبعة المجيدين المنصوبين لتعليم علم القراءات . ينظر : القلقشندي ، ضوء الصبح المسفروجني الدوح المثمر ، عني بطبعه : محمود سلامة (القاهرة ، مطبعة الواعظ ، ١٩٠٦م) ، ص٣٤٦ وممن تولى الاقراء هو جعفر بن القاسم بن جعفر بن علي الذي انقطع " الى الاقراء " لمسجد راس الخواصين . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٩ ، ص٧٢-٧٣ .

(٨٠) الخطابة : وهي من أجل الوظائف وأعلاها رتبة في نفس الامر وموضوعها معروف وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١١ ، ص٢١٩ .

(٨١) كأمثلة : عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل الذي" ولي خطابة حلب". ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٥ ، ص١٥٢ .

(٨٢) كأمثلة : عبد الله بن مروان بن عبد الله الذي كان "المفتي" بدمشق . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٤ ، ص٢٥٨ .والمفتي : هو لقب للعالم المسلم المصرح له بإصدار فتوى في امور الدين . ينظر : نقلاً عن الموقع الالكتروني . مفتي ar.m.wikipedia.org

([٨٣]) كأمثلة : سعد الله بن مروان بن عبد الله بن خير الذي "كتب الدرج ". ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٢ ، ص١١٩ .

([٨٤]) كأمثلة : عمر بن اسماعيل بن مسعود الذي وزر وأفتى وناظر . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٨ ، ص٥١ – ٥٢ .

([٨٥]) الوافي ، ج٨ ، ص٣٦٤ .

([٨٦]) كأمثلة : محمد بن جابر بن سنان الحراني . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٢ ، ص١٣٢ .

([٨٧]) كأمثلة : محمد بن احمد بن عبد الباقي . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١ ، ص٣٩٧ .

([٨٨]) كأمثلة : الحسن بن سعيد بن عبد الله الديار بكري . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج٩ ، ص٣٢٦ .

([٨٩]) كأمثلة : زينب بنت مكي بن علي الحراني . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٢ ، ص٣١ .

([٩٠]) كأمثلة : عمر بن سعد الله بن بخيخ . ينظر : الصفدي ، الوافي ، ج١٨ ، ص٨٢ .

ثبت المصادر والمراجع

أ- المصادر الأولية :-

أبن تغري بردي ، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :

١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :

٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٣م .

الخوارزمي ، محمد بن احمد (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) :

٣- مفاتيح العلوم ، تحقيق : ابراهيم البياري ، ط٢ ، (د . ت) .

ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) :

٤- نزهة الانام في تاريخ الاسلام ، دراسة وتحقيق : سمير طيارة ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٩٩م.

الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):

٥- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م .

ابن رافع السلامي ، تقي الدين محمد بن هجرس (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :

٦- الوفيات ، تحقيق : صالح مهدي عباس ، بشار عواد معروف ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م .

السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) :

٧- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحى ، عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م .

٨- معجم الشيوخ ، تحقيق : بشار عواد ، رائد يوسف العنبكي وآخرون ، تخريج : شمس الدين ابي عبد الله ابن سعد الصالحي ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، ٢٠٠٤م.

الشوكانى ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :

٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت ، دار المعرفة ، (د . ت) .

الصفدي ، خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

١٠- الوافي بالوفيات ، تحقيق : ابو عبد الله جلال الاسيوطي ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م .

الغزى ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) :

١١- نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط٢ ، حلب ، دار القلم ، ١٩٩٨م .

ابن قاضي شهبة ، تقي الدين ابو بكر بن احمد (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م) :

١٢- تأريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق :عدنان درويش ، دمشق ، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٩٤م .

١٣- طبقات الشافعية ، تحقيق : الحافظ عبد العليم خان ، ط١، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٦م .

القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

١٤- صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د . ت) .

١٥- ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر ، عني بطبعه : محمود سلامة ، القاهرة ، مطبعة الواعظ ، ١٩٠٦م .

النعيمي ، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) :

١٦- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م.

ب- المراجع الثانوية :-

الخفاف ، مها سعيد

١- الحياة العلمية في الموصل منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، تقديم : هاشم الملاح ، ط١ ، عمان ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ٢٠٢١م .

الزركلي ، خير الدين
٢- الاعلام ، ط١٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٨م .
مصطفى وزيات وآخرون ، ابراهيم واحمد
3 –المعجم الوسيط ، دار الدعوة ،(د.ت).
ج- الدوريات والبحوث :-
العبايجي ، ميسون ذنون
١- "اثر المدرسة النظامية ببغداد على بعض علماء الموصل في عهد الدولة الاتابكية (٥٢١ – ٦٦٠هـ / ١١٢٧ – ١٢٦٢م)" ، دراسات موصلية ، ع٤٩ ، ٢٠١٨م .
الملا جاسم والجبوري ، ناصر عبد الرزاق وسفانة جاسم
٢-" علماء بيت المقدس من خلال كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (دراسة كمية) "، مجلة مداد الاداب ، ع١٥ ، ٢٠١٧م .
ج- الدراسات الاجنبية :-

RosenthoL, Franz

1-" AL-Safadi" , El2 , Vol.9 , 1995 .

ح- المواقع الالكترونية :-

1- Ar.m.wikipedia.org نقاش (مهنة)
2- Ar.m.wikipedia.org خباز
3- Ar.m.wikipedia.org بنو أسد
4- Ar.m.wikipedia.org بنو شيبان
5- Ar.m.wikipedia.org مفتي
6- Ar.wikishia.ned الانصار
7- www.alukah.net أطلاق كلمة " المسند " في مصطلح الحديث
8- www.mosoah.com ما هو البزاز – موسوعة
9- Ar.m.wikipedia.org الجزيرة الفراتية

موقف الدول الأوروبية الكبرى من الحرب اليونانية – العثمانية (١٧ نيسان – ١٨ أيار ١٨٩٧)

أ.د. حمزة ملغوث البديري

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية

الجامعة – أقسام الديوانية

البريد الالكتروني: Dr. hamza 222@gmail.com

رقم الهاتف: ٠٧٨٠٤٢٦٥٢٤٥

موقف الدول الأوروبية الكبرى من الحرب اليونانية – العثمانية(١٧ نيسان – ١٨ أيار ١٨٩٧)

أ.د. حمزة ملغوث البديري

الملخص باللغة العربية:

يتطرق هذا البحث إلى موقف الدول الأوروبية الكبرى من الحرب اليونانية – العثمانية (١٧ نيسان – ١٨ أيار ١٨٩٧)، والى الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك الحرب، المتمثلة بالمشاكل الحدودية بين البلدين ورغبة اليونان في توسعة أراضيها على حساب الدولة العثمانية، من خلال ضم الأقاليم التي يسكنها اليونانيين، والى موقف الدول الأوروبية الكبرى، التي كانت تعمل على المحافظة على السلام والأستقرار في البلقان، لاسيما في جزيرة كريت. كما يتطرق البحث إلى الوساطة الأوروبية لدى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لأجل إنهاء الحرب والى معاهدة إستانبول لترسيم الحدود وأبرام الصلح في الرابع من كانون الأول عام ١٨٩٧.

الكلمات المفتاحية:

المشاكل الحدودية – جزيرة كريت – الملك قسطنطين الأول – فكرة ميغالي – الدول الكبرى.

Abstract

The Position of the Great European powers of The Greco – ottoman war (17 April- 18 May 1897).

This Research deals with the war that took place in 1897 between Greece and the Ottoman Empire, because of the border problems between them. Especially aronnd the Region of Thessaly and the Cret Island, it also addresses the Position of the Great Enropean powers on that war and the Resulty that Rosulted fromit, and the Diplomatie efforts made by those Great powers to Resolve border Disputes and Problems. Between Greece and the Ottoman Empire through, the formation of International Committes of Ambassadors and Consuls Repyes enting the Great Curopean Powers in the ottoman capitol Istanbul, Until the Signing of the Peace Treaty between the tow parties on 4, December 1897.

Key words. Border Problems- Cret Island – King Constantine I- Megali's Idea – The Great Powers.

المقدمة:

خضعت اليونان للسيطرة العثمانية في عام ١٤٥٨ وإستمرت تلك السيطرة حتى قيام اليونان بثورة تحررية في عام ١٨٢١، بعد تأثرها بالثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩، إذ تمكنت وبمساعدة الدول

الكبرى من نيل إستقلالها عام ١٨٣١. إلا أن بعض إجزاءها بقيت خاضعة للسيطرة العثمانية، مما ولد لديها فكرة إعادة ضم وتوحيد تلك الأجزاء في دولة واحدة، لتعمل على إعادة أمجاد الإمبراطورية الاغريقية القديمة، وأستمر ذلك الحلم يراود الساسة اليونانيين لمدة طويلة، حتى تلاشى بصورة نهائية بعد هزيمتها في الحرب مع الأتراك عام ١٩٢٢.

حاولت اليونان لأجل تحقيق أهدافها الوحدوية إستغلال الظروف والأزمات العصيبة التي مرت بها الدولة العثمانية، كحرب القرم (١٨٥٣–١٨٥٦)، والأزمة البلقانية الكبرى (١٨٧٥–١٨٧٨) ومؤتمر برلين لعام ١٨٧٨، معتمدةً في ذلك على تعاطف الدول الأوروبية الكبرى معها. لذا عملت على إثارة مسألة إعادة ترسيم الحدود بينها وبين الدولة العثمانية، طوال المدة (١٨٧٩–١٨٨١)، وهنا تدخلت الدول الأوروبية الكبرى وعملت على تشكيل لجان مختصة، لأجل بحث تلك المشكلة، وتم التوصل لحل لها بموجب إتفاقية أستانبول لعام ١٨٨١. إلا أن اليونان لم تكتف بذلك وحاولت إستغلال الإضطرابات التي حدثت في جزيرة كريت، والتي تعدّ من أبرز وأهم أسباب الخلافات بينها وبين الدولة العثمانية. لذا أخذت تثير وتهدد الأستقرار في تلك الجزيرة، لصالح رعاياها المقيمين فيها. إلا أن الدول الأوروبية الكبرى لمْ توافق على تدخل اليونان في الشؤون الداخلية للجزيرة. وبالتالي أصبحت اليونان أمام خيار واحد فقط هو ضم الجزيرة إليها وإعلانها الحرب على الدولة العثمانية في السابع عشر من نيسان عام ١٨٩٧.

أعلنت الدولة العثمانية بالمقابل الحرب على اليونان في اليوم التالي مباشرةً. أما الدول الأوروبية الكبرى فقد إتخذت موقفاً حيادياً من طرفي النزاع. ولعل السبب وراء ذلك الموقف يعود إلى رغبة الدول الكبرى بالمحافظة على السلام والإستقرار في البلقان الذي إتفقت عليه تلك الدول في مؤتمر برلين.

تمكن الجيش العثماني، الذي تم إعادة تدريبهُ وتجهيزهُ من قبل المانيا من هزيمة جيش اليونان في العديد من المعارك التي دارت بينهما خلال تلك الحرب، التي إستمرت شهراً كاملاً. وهنا أدركت اليونان عدم قدرتها على مواصلة الحرب وطلبت من الدول الأوروبية الكبرى التدخل ومنع الجيوش العثمانية من دخول العاصمة أثينا. وبالفعل طلبت الدول الكبرى من القيصر الروسي التوسط لدى السلطان العثماني لأجل إيقاف تقدم الجيش العثماني. وبالفعل قبل السلطان تلك الوساطة ووافق على إبرام هدنة بين الطرفين. وهنا تدخلت الدول الكبرى مجتمعةً وبصورة مباشرة لأجل أرغام الطرفين على عقد معاهدة جديدة لترسيم الحدود بينهما من جديد، من خلال سفراء وقناصل تلك الدول العاملين في أستانبول. وتم عقد إتفاقية بين الطرفين، بعد مفاوضات طويلة عرفت بـ(إتفاقية أسطبول) للسلام، في الرابع من كانون الأول من العام نفسه. والتي أكدت على وجوب إنهاء الخلافات الحدودية بينها – ولو إلى حين –.

سنحاول من خلال هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية: لماذا حاولت اليونان التوسع على حساب الدولة العثمانية؟ ما هي فكرة أو مشروع ميغالي؟ لماذا عملت الدول الأوروبية على تشكيل لجان

دولية لترسيم الحدود بين الطرفين ولمْ تلجئ لأستخدام القوة؟ لماذا لمْ تلتزم اليونان بأتفاقية عام ١٨٨١؟ لماذا تدخلت اليونان في جزيرة كريت؟ لماذا لمْ تتدخل الدول الأوروبية الكبرى كالمعتاد إلى جانب اليونان المسيحية ضد الدولة العثمانية المسلمة؟ لماذا عملت الدول الأوروبية على عدم إنصاف الطرف المنتصر في الحرب (الدولة العثمانية) في معاهدة الصلح النهائية؟ ماهو مصير جزيرة كريت بعد تلك الحرب؟ جميع هذه التساؤلات سوف يجاب عليها في سياق هذا البحث.

المبحث الأول

العلاقات العثمانية – اليونانية وموقف الدول الأوروبية الكبرى منها حتى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨

تمتعت اليونان(١) في ظل الحكم العثماني (١٤٥٨–١٨٢٧) (٢)، بنوع من الإستقلالية في إدارة شؤونها الداخلية، إذ كان اليونانيون من أفضل رعايا الدولة العثمانية منذ أيام السلطان محمد الفاتح (١٤٥١–١٤٨١)، الذي عمل بعد تمكنه من فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣، على تنظيم شؤون الكنسية الأرثذوكسية اليونانية، من خلال جعل البطريرك اليوناني مسؤولاً مباشراً عنها ومنحهُ رتبة الباشوية(٣). فضلاً عن تخصيص مكاناً مناسباً لإقامته في حي الفنار في أستنبول(٤).

شهدت اليونان في مطلع القرن التاسع عشر ظهور حركة قومية تحررية، بفعل أحداث الثورة الفرنسية والحروب النابليونية (١٧٨٩–١٨١٥) (٥). إذ دعت تلك الحركة إلى وجوب التحرر من السيطرة العثمانية. وبالفعل إندلعت الثورة اليونانية وحرب الإستقلال في السادس من أذار عام ١٨٢١، وإستمرت حتى نالت اليونان إستقلالها في (٢٤ نيسان ١٨٣٠) (٦)، بصورة رسمية في مؤتمر لندن (٣ شباط ١٨٣٠) (٧) وتم إختيار الأمير البافاري (الأمير آوتو Preins otto ١٨١٥–١٨٦٧/ ١٨٣٣–١٨٦٢) (٨) الذي نصب ملكاً على اليونان حتى عام ١٨٦٢(٩).

على الرغم من تأثر اليونانيين بالأفكار التحررية التي جاءت بها الثورة الفرنسية ،وبالرغم من نيلهم الإستقلال عن الدولة العثمانية، إلا أن الوطنيين لمْ يحققوا ما كانوا يصبوا اليه في تكوين جمهورية حديثة، بعد تدخل الدول الأوروبية الكبرى في فرض النظام الملكي السائد في أوروبا عليهم.

إتسمت العلاقات اليونانية – العثمانية خلال عهد الملك أوتو بنوع من الإنفراج السياسي، إذ تم تشكيل لجان لترسيم الحدود بين البلدين، بمساعدة ممثلين عن الدول الأوروبية الكبرى(١٠). وفي بداية عام ١٨٤٤ صدر الدستور اليوناني، الذي أكد على أن اليونان ملكية دستورية وتم تكليف (جون كوليتس Johaun Kalettes ١٨٤٤-١٨٤٧)، بتشكيل الحكومة في مطلع عام ١٨٤٥، وقد أعلن كولتيس عن مايعرف بـ(فكرة ميغالي Megali's Idea – أو الحلم الكبير The Great Idea) (١١)، الداعية لضم جميع اليونانيين القاطنين في أجزاء الدولة العثمانية إلى اليونان. إذ أن المملكة التي إستقلت عن الدولة العثمانية في عام ١٨٣٢ لمْ تكن إلا مملكة صغيرة، تقع على جزء صغير من الأراضي اليونانية التي ضمت ما يقارب (٨٠٠ ألف يوناني فقط)، في حين بقي أكثر من مليون يوناني يعيشون تحت حكم الدولة العثمانية(١٢). مما جعل الساسة اليونانيون يستمرون بالمطالبة بضم بقية اليونانيين إلى مملكتهم، لاسيما آولئك الذين يقطنون جزيرة (ساموس Samos) وجزيرة كريت Cret Island) (١٣)، وغيرهما من الجزر الأخرى(١٤).

حاولت الدول الأوروبية الكبرى التدخل بالطرق الدبلوماسية لأجل ثني اليونان عن تلك المطالب وحل الخلافات على بعض المناطق بينها وبين الدولة العثمانية خلال تلك المدة بصورة ودية. إذ حاولت فرنسا في أيلول عام ١٨٤١ التوسط لأجل إبرام صلح بين الطرفين من خلال توضيح الأمور للباب العالي بأن الجمعيات الثورية اليونانية المطالبة بضم بعض الأراضي إلى مملكة اليونان ليست مدعومة من قبل الحكومة اليونانية. وإستمرت المساعي الفرنسية لأجل ذلك حتى عام ١٨٤٥(١٥). أما بريطانيا فكانت دائماً تسعى للمحافظة على مبدأ توازن القوى في أوروبا، إذ حاولت حث اليونان على عدم دعم الثوار في جزيرة كريت الذين قاموا بثورة ضد السيطرة العثمانية عام ١٨٤١ والثورة التي حدثت أيضاً في الجزر الايونية(١٦) خلال المدة (١٨٤٨-١٨٤٩) (١٧).

ومن الأمور الأخرى التي أدت لتدهور في العلاقات بين اليونان والدولة العثمانية هي مشكلة الأوقاف والعقارات العثمانية، الموجودة على أراضي المملكة اليونانية، لكنها تعود إلى ملاك عثمانيين، إنتقلوا بعد الثورة اليونانية إلى السكن في مناطق أخرى من الدولة العثمانية. فضلاً عن ذلك فقد طالبت اليونان أن يتمتع رعاياها بنفس نظام (الأمتيازات الأجنبية

Capitulations) (١٨)، الذي كانت تتبعهُ الدولة العثمانية مع رعايا الدول الأوروبية الأخرى(١٩).

حاول السفير اليوناني في أستانبول (الكسندر مافروكرداتو Alexander Mafrokrdato ١٧٩١–١٨٦٥/ ١٨٥٣–١٨٥٨) (٢٠) التوصل مع الباب العالي لأجل عقد إتفاقية لتنظيم التجارة بين الطرفين وحل مشكلة الرعايا اليونانيين، ووعدت الدولة العثمانية أن اليونانيين الذين يقيمون على أراضيها هم من رعايا السلطان العثماني، ولايحق لليونان التدخل في شؤونهم(٢١).

دخلت الدولة العثمانية في أواخر عام ١٨٥٣ في حرب مع روسيا القيصرية (حرب القرم ١٨٥٣–١٨٥٦) (٢٢) وقد حاولت اليونان إستغلال إنشغال الدولة العثمانية بتلك الحرب للقيام بمحاولات للسيطرة على بعض الجزر والمناطق في البلقان وضمها إلى اليونان مثل (تساليا Thassalia وإبيروس Epeiros) (٢٣)، إلا أن الدول الأوروبية الكبرى، لاسيما بريطانيا وفرنسا رفضت ذلك وحذرت اليونان من الدخول في حرب مع الدولة العثمانية(٢٤). لذا عمل الملك آوتو على إبقاء بلادهُ على الحياد من حرب القرم، مفضلاً عدم التدخل في الصراع بين روسيا وبين الدول الأوروبية في ذلك الوقت(٢٥).

ظهر في اليونان في أعقاب حرب القرم مجموعة جديدة من الشخصيات الوطنية التي عملت على تغيير واقع اليونان السياسي، دون الحاجة إلى مساعدة الدول الأوروبية. وكان أول عمل سياسي قامت به تلك المجموعات هو عزل الملك أوتو في تشرين الأول عام١٨٦٢، وتنصيب الملك(جورج الأول I George ١٨٤٥–١٩١٣/ ١٨٦٣–١٩١٣) (٢٦) ملكاً على البلاد. وقد أمتازت سياسة جورج الأول تجاه الدولة العثمانية بكثرة التدخلات، إذ حاول التوسع على حساب الأخيرة(٢٧). وحاول تحريض سكان جزيرة كريت لأعلان الثورة ضد السيطرة العثمانية خلال المدة (١٨٦٦–١٨٦٩) وبتحريض من بعض الجمعيات الثورية اليونانية، التي أبدت رغبتها بضم الجزيرة إلى اليونان. وعلى أثر ذلك أعلن بعض اليونانيين المقيمين في جزيرة كريت التمرد على الإدارة العثمانية في الثاني من أيلول عام ١٨٦٦(٢٨)، وطالبوا بالأنضمام إلى اليونان، بعد أن عملت الأخيرة على تزويدهم بالأسلحة والذخيرة اللازمة للتمرد(٢٩). إلا أن الدول الأوروبية الكبرى أعترضت على ذلك،

لان إنضمام جزيرة كريت إلى اليونان يتعارض مع مصالح تلك الدول التجارية في البحر المتوسط، لذا طلبت من اليونان عدم مساندة ودعم المتمردين(٣٠).

قامت الدولة العثمانية على أثر ذلك بأرسال قوات عسكرية إلى جزيرة كريت بقيادة (مصطفى غائلي كريتلي ١٧٩٨-١٨٧١) (٣١) لأجل القضاء على التمرد، فضلاً عن ذلك فقد إستعانت الدولة العثمانية بوالي مصر (الخديوي إسماعيل ١٨٣٠-١٨٩٥/ ١٨٦٣-١٨٧٩)، الذي قام بأرسال قوات عسكرية مصرية للمشاركة مع القوات العثمانية بالقضاء على التمرد(٣٢).

قامت الدولة العثمانية خلال سنوات تلك الإنتفاضة بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اليونان، بسبب دعم الأخيرة للمتمردين، وقامت حكومة الباب العالي بطرد كافة الدبلوماسيين اليونانيين كافة من الأراضي العثمانية(٣٣). وتمكن قائد القوات العثمانية من القضاء على المتمردين وإنهاء تمردهم، إلا أن فرنسا تدخلت في الأمر وارادت حث بقية الدول الأوروبية الكبرى على القيام بأرسال لجنة دولية إلى جزيرة كريت، لأجل حل الخلافات وإنهاء التمرد. إلا أن الدولة العثمانية رفضت ذلك الأمر(٣٤). وقام السلطان (عبد العزيز ١٨٣٠-١٨٧٦/ ١٨٦١-١٨٧٦) (٣٥)، بأرسال الصدر الأعظم (عالي باشا محمد أمين ١٨١٥-١٨٧١/ ١٨٦٧-١٨٧١) (٣٦) إلى الجزيرة، لأجل تهدئة الأوضاع فيها، لاسيما بعد أن جددت اليونان مطالبها بضم الجزيرة ووضع حد لتمادي القوات العثمانية، التي قامت بأبادة السكان الابرياء – حسب إدعاءها – الأمر الذي أدى إلى تدهور العلاقات اليونانية – العثمانية(٣٧).

حاولت الدول الأوروبية الكبرى على أثر ذلك تدارك الأمور وتجنب وقوع الطرفين في مشاكل قد تؤدي لحدوث تصادم بينهما بسبب جزيرة كريت . لذا دعى الإمبراطور الفرنسي (نابليون الثالث Napoleon III ١٨٠٨-١٨٧٣/ ١٨٥٢-١٨٧٠) (٣٨)، الدول الموقعة على (معاهدة باريس ٣٠ أذار ١٨٥٦) (٣٩)، إلى عقد مؤتمر في باريس لأجل حل تلك الأزمة(٤٠). وعمل السلطان عبد العزيز على أثر الضغوط الأوروبية على منح جزيرة كريت إدارة سلطانية (فرمان) في التاسع عشر من أيلول عام ١٨٦٩، اكد من خلالها على إعطاء سكان الجزيرة بعض الأمتيازات وإعفائهم من دفع الضرائب المتأخرة لمدة سنتين، فضلاً عن

إعفاءهم من أداء مهام الخدمة العسكرية(٤١). وبذلك تكون الازمة في جزيرة كريت قد إنتهت، إلا أن ذلك لمْ يمنع اليونان من تحين الفرص لأجل ضمها اليها(٤٢).

تعرضت الدولة العثمانية في عام ١٨٧٥ إلى أزمة كبيرة، على أثر أندلاع الثورة في بعض الأقاليم البلقانية، لاسيما في البوسنة والهرسك(٤٣)، أستمتر طوال المدة (١٨٧٥–١٨٧٨)، عرفت بالأزمة البلقانية الكبرى(٤٤). وإتخذت اليونان خلالها جانب الحياد، كما خلد يونانيو الدولة العثمانية إلى الهدوء والسكينة وعدم إثارة الإضطرابات. ولكن بعد إندلاع الحرب الروسية – العثمانية (٢٤ نيسان ١٨٧٧– ٣ كانون الثاني ١٨٧٨) (٤٥)، حاول رئيس الوزراء اليوناني (جاريلاوس تريكوبس G.Trikoupes ١٨٣٢–١٨٩٦/ ١٨٧٥–١٨٨٢) (٤٦)، الاعلان بـ(أن بلادهُ سوف تعمل على منع حدوث أية إضطرابات قد يقوم بها اليونانيين، الذين لايزالون يقطنون الأراضي العثمانية)(٤٧). وأبلغ وزير الخارجية البريطاني (اللورد روبرت أرثر تالبوت غاسكوين سالزبيري Rohert Arther Talbot Gascoyne Salisbury ١٨٣٠–١٩٠٣/١٨٧٨–١٨٨٠) (٤٨)، بأن هنالك رغبة لدى بعض اليونانيين في أثارة (المسألة الهيلينية Hellenism Question) (٤٩)، خلال أحداث الازمة البلقانية، إلا أن بريطانيا رفضت أن تقوم اليونان باية محاولة توسعية على حساب الدولة العثمانية، لاسيما في إبيروس ويتساليا(٥٠). وأبدت اليونان رغبتها بعد ذلك بدخول الحرب ضد الدولة العثمانية، بعد الإنتصارات التي حققتها روسيا في الحرب وسقوط بلفنا في العاشر من كانون الأول عام ١٨٧٧(٥١).

أبدت اليونان بعد ذلك إحتجاجها على معاهدة (سان ستيفانو San–Stefaon ٣، أذار ١٨٧٨) (٥٢)، لانها منحت بلغاريا أراضي يسكنها بعض اليونانيين، لاسيما في المناطق الساحلية للبحر الأسود وتراقيا ومقدونيا(٥٣). إلا أن بريطانيا طلبت من اليونان عدم أثارة المشاكل مع الدولة العثمانية، مقابل دعوتها لحضور المحفل الأوروبي الذي سوف يعقد في برلين لحل الأزمة البلقانية(٥٤). إذ أبدت اليونان رغبتها في المشاركة في ذلك المؤتمر، لأجل تعديل معاهدة سان ستيفانو وعقد معاهدة جديدة، تضمن مصالحها في البلقان(٥٥).

عقد مؤتمر برلين في العاصمة الألمانية في الثالث عشر من حزيران عام ١٨٧٨. وأفهم رئيس المؤتمر (آتو فون بسمارك Ott Von. Bismarck ١٨١٥–١٨٩٨/١٨٧١–١٨٩٠) (٥٦)، مندوب اليونان (دليانيس Dlianis)، خلال الجلسة السابعة من جلسات المؤتمر، المعقودة في السادس والعشرين من شهر حزيران من العام نفسه، أن مطالب اليونان تَعّد من القضايا الثانوية بالنسبة لمندوبي الدول الأوروبية الكبرى، لأن اليونان مملكة مستقلة. إلا أن دليانيس أبدى رغبة بلادهُ بضم جزيرة كريت وتيساليا وإبيروس إلى بلادهُ(٥٧). وهنا رفض ممثلو الدول الكبرى تلك المطالب، بإستثناء ممثل فرنسا (وليم هنري ودنغتون William Henry Waddington ١٨٢٦–١٨٩٤) (٥٨) الذي أبدى تعاطف بلادهُ مع مطالب دليانيس(٥٩). في حين رفض مندوب الدولة العثمانية في المؤتمر (الكسندر كاراتيودوري باشا Alexander Karatheodori Pasha ١٨٣٣–١٩٠٦) (٦٠) جميع المطالب اليونانية، بعد ان إتهم اليونان بانها تقف وراء الاضطرابات التي حصلت في جزيرة كريت، إذ صرح في احدى جلسات المؤتمر قائلاً: " **أن الاضطرابات التي حدثت في جزيرة كريت خلال مدة الحرب الروسية – العثمانية كانت بدفع وتحريض من الخارج**"، وكان ذلك خلال الجلسة الثالثة عشر من جلسات مؤتمر برلين والمعقودة في الخامس من تموز من عام ١٨٧٨(٦١).

قررت الدول الأوروبية الكبرى في أعقاب مؤتمر برلين دعوة الدولة العثمانية واليونان للأتفاق فيما بينهما لأجل إعادة ترسيم الحدود، لاسيما في تلك المناطق مثار الخلاف بينهما (تيساليا وإبيروس). وحسم رئيس الوفد البريطاني في مؤتمر برلين (بنيامين دزرائيلي Benjamin Disraeli ١٨٠٤–١٨٨١) (٦٢)، ذلك من خلال حثهُ للطرفين للتوصل إلى تسوية للخلاف القائم بينهما حول المناطق الحدودية، مؤكداً " **أن غاية الدول الأوروبية من عقد مؤتمر برلين ليس لتجزئة الدولة العثمانية، وإنما لأجل إعادة تقويمها والمحافظة على ممتلكاتها. وإذا كانت اليونان تعتقد بغير ذلك فانها على الخطأ، وعليها عدم اللجوء لاي نزاع مسلح أو إستخدام للقوة تجاه الدولة العثمانية**"(٦٣).

حاولت اليونان بعد مؤتمر برلين دعوة الدولة العثمانية لتطبيق قرارات المؤتمر، إذ طالب السفير اليوناني في أستانبول في العشرين من شهر أب من عام ١٨٧٨، من الباب

العالي التعاون مع بلادهُ لحل الخلافات الحدودية، خلال مدة أقصاها السادس عشر من أيلول من العام نفسه، إلا أن الباب العالي رد على السفير بأنهُ لايمكنهُ القيام بذلك دون الرجوع إلى الدول الأوروبية الكبرى المعنية بذلك الامر(٦٤). وعلى أثر ذلك طلبت الحكومة اليونانية من الدول الأوروبية الكبرى التوسط بين الطرفين، وحث السلطان (عبد الحميد الثاني ١٨٤٢–١٩١٨/ ١٨٧٦–١٩٠٩) (٦٥) على وجوب تطبيق المادة رقم (٢٤) من مواد معاهدة برلين، الخاصة بمسألة الحدود اليونانية – العثمانية(٦٦).

إقترح وزير الخارجية الفرنسي ولنغتون (١٨٧٧–١٨٧٩)، أن تعمل اليونان والدولة العثمانية على التباحث في المسألة في أستانبول، وبأشراف سفراء الدول الأوروبية الكبرى. وإستجاب الطرفان للمقترح الفرنسي وبدأت المفاوضات بينهما في مطلع شهر آب عام ١٨٧٩، إلا أنهما لمْ يتمكنا من التوصل لحل مرضي لتلك المشكلة(٦٧). لذا عملت الدول الأوروبية الكبرى بعد تعثر المفاوضات بين الطرفين على عقد مؤتمر للسفراء في برلين في السادس عشر من شهر أيار عام ١٨٨٠، لأجل إعادة ترسيم الحدود بين الطرفين اليوناني والعثماني(٦٨). وهنا حاول زعيم المعارضة النيابية في بريطانيا (وليم أيوارت غلادستون William Ewart Gladstone ١٨٠٩–١٨٩٨) (٦٩)، التلويح بإستخدام القوة ضد الدولة العثمانية، أو القيام بمظاهرة مسلحة مشتركة للدول الأوروبية الكبرى، لأجل أرغام السلطان العثماني على تطبيق بنود معاهدة برلين. إلا أن الدول الأوروبية الكبرى رفضت القيام بذلك الأمر، ما أدى في نهاية المطاف إلى تراجع غلادستون عن فكرته(٧٠).

قام السفير البريطاني في أستانبول (وليم أدورد جوشن William Edward Goschen ١٨٤٧–١٩٢٤/ ١٨٨٠–١٨٨٩) (٧١)، بمقابلة السلطان عبدالحميد الثاني وحثهُ على وجوب حل الخلافات الحدودية مع اليونان(٧٢). وبالفعل توصل الطرفان إلى عقد إتفاقية (الاتفاقية العثمانية – اليونانية في ٢٤ أيار ١٨٨١)، تمكنت اليونان بموجبها من الحصول على مقاطعة تيسالي Thessaly وعلى جزء من مقاطعة إيبروس – باستثناء منطقة (يانيا Janina) التابعة لولاية البانيا العثمانية، ذات الأغلبية المسلمة من السكان(٧٣).

أما بشأن جزيرة كريت فقد أكدت المادة رقم (٢٣) (٧٤) من مواد معاهدة برلين لعام ١٨٧٨، على وجوب قيام السلطان العثماني بتطبيق الإصلاحات التي أقر بتطبيقها في الجزيرة السلطان السابق (عبد العزيز) عام ١٨٦٨(٧٥). إلا أن الدولة العثمانية تباطأت في تنفيذ ذلك، مما دفع بعض سكان جزيرة كريت لتقديم مذكرة إلى الباب العالي في الأول من تشرين الأول عام ١٨٧٨، طالبوا من خلالها بتعيين والٍ مسيحي يوناني على الجزيرة ولمدة خمس سنوات وأن ينتخب مجلس (برلمان) من سكان الجزيرة، يضم كافة الأطياف من سكانها (مسلمين ومسيحيين)، وأن يجتمع ذلك المجلس مرتين خلال السنة. وأن يتمتع بحق إصدار الأنظمة والقوانين الخاصة بالجزيرة. وتوافق عليها الدولة العثمانية. كما طالبوا بوجوب تقسيم الجزيرة إلى مناطق إدارية. وأن تكون السلطات القضائية مستقلة عن السلطات المحلية في الجزيرة. وأن يتم إعتماد اللغتين (العثمانية واليونانية) كلغتين رسميتين في الجزيرة، على أن تكون اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في المحاكم والمجالس المحلية والإدارية. فضلاً عن وجوب قيام الحكومة العثمانية بإعفاء الأهالي في جزيرة كريت من أداء الخدمة العسكرية في القوات العثمانية. وأن يعدل نظام جباية الضرائب والرسوم بالأضافة إلى وجوب قيام السلطان العثماني بإصدار عفواً عاماً عن الذين شاركوا في التمردات السابقة (عام ١٨٦٦)، وأن تعيد السلطات العثمانية ماصادرتهُ من ممتلكات الأهالي، خلال تلك الأحداث(٧٦).

رفضت الدولة العثمانية تلك المطالب في بداية الأمر، مما دفع الدول الأوروبية بالايعاز إلى قناصلها في (كنديا Candia – عاصمة جزيرة كريت) لوجوب التدخل وتسوية الأمور بين الطرفين. وتم التوصل إلى الاتفاق بين اليونان والدولة العثمانية في الثالث والعشرون من تشرين الأول من العام نفسه، تضمن موافقة الباب العالي على تعيين والٍ على الجزيرة ولمدة خمسة سنوات، وتشكيل مجلس محلي في الجزيرة يتكون من (٧٠ عضواً ٣٠ من المسلمين و ٤٠ من المسيحيين)، وان يجتمع ذلك المجلس لمدة (٤٠–٦٠ يوماً) خلال العام، ويعمل على تشريع القوانين الخاصة بالجزيرة، على أن لاتتعارض تلك القوانين مع القوانين العثمانية(٧٧).

وافق السلطان عبد الحميد الثاني على تلك البنود، وأرسل أثنين من مستشاريه (أحمد مختار باشا وسالم أفندي)، إلى جزيرة كريت، لأجل اللقاء مع الأهالي. ومن ثم أصدر السلطان في السابع والعشرين من الشهر نفسه قانوناً جديداً للجزيرة، أكد من خلالهُ على تحقيق مطالب الأهالي السابقة(٧٨). وبذلك تمكن الطرفان من التوصل لحل لمشاكل جزيرة كريت، والتي كانت أحدى أهم الأسباب التي ادت فيما بعد لاندلاع الحرب بينهما في عام ١٨٩٧.

المبحث الثاني

موقف الدول الأوروبية الكبرى من المشاكل الحدودية بين الطرفين ١٨٨١-١٨٩٧

على الرغم من محاولات الدول الأوروبية الكبرى ثني اليونان عن محاولات التوسع على حساب الدولة العثمانية، إلا انها إستمرت في أثارت المشاكل الحدودية، لاسيما في جزيرة كريت والمناطق الحدودية التي يقطنها أغلبية يونانية وتحديداً في منطقة يانيا الألبانية(٧٩). وعلى الرغم من أن الطرفين كانا توصلا إلى حل المشاكل في جزيرة كريت بموجب الاتفاقية اليونانية – العثمانية عام ١٨٧٨، إلا أن ذلك لمْ يضع حداً لتطلعات اليونان للأستحواذ على بقية الجزر والمناطق ذات الاغلبية اليونانية الواقعة في البحر المتوسط وبحر مرمرة. وعلى أثر ذلك إجتمع ممثلين عن الطرفين في منطقة (بريفيزا Preveza – أحدى ضواحي ولاية البانيا العثمانية) (٨٠) في مطلع شباط عام ١٨٧٩، لأجل حل الخلافات، الا إنهما لمْ يتوصلا لحل مرضي، بسبب تشدد الجانب اليوناني ومطالبه المتكررة في الحصول على بعض المناطق ذات الأغلبية المسلمة. وحاول المفاوضون العثمانيون تقديم مقترحات جديدة لتسوية الخلاف، إلا أن اليونانيين رفضوا ذلك، بحجة إنها تتعارض مع بعض قرارات مؤتمر برلين، إذ أبقت جزءاً كبيراً من خليج (فولوVolo) بحوزة الدولة العثمانية، لذا توقفت المفاوضات بينهما بصورة نهائية في الخامس عشر من أذار من العام نفسه(٨١).

حاولت الدول الأوروبية الكبرى التدخل من جديد لحسم مشكلة الخلافات الحدودية العثمانية – اليونانية، من خلال تشكيل لجنة مختصة بذلك الشأن. وحاولت تلك اللجان العمل بصورة حيادية لحل الخلافات، إلا إنها إصطدمت ببعض العراقيل التي وضعتها الدولة

العثمانية، ومنها أن تكون إجتماعات تلك اللجان في العاصمة أستانبول وأن يشارك ممثل من الدولة العثمانية فيها(٨٢).

تباينت مواقف الدول الأوروبية الكبرى من المشاكل الحدودية العثمانية – اليونانية، إذ أرادت كل دولة ان تميل إلى الطرف الذي يخدم أهدافها وتطلعاتها التوسعية. وكانت بريطانيا أكثر الدول أهتماماً بالموضوع، بحكم علاقاتها مع الدولة العثمانية وتدخلاتها المستمرة في الشأن الداخلي العثماني(٨٣). لذا طالبت من سفيرها في أستانبول العمل مع سفراء بقية الدول الأوروبية الكبرى وحث الباب العالي على تطبيق مقررات مؤتمر برلين. وأقترح السفير البريطاني جوشون أن تزور اللجنة الدولية المناطق المتنازع عليها من قبل الطرفين(٨٤). إلا أن بريطانيا رفضت طلب الباب العالي الخاص بعقد إجتماعات اللجنة الدولية في أستانبول، إذ أكدت على وجوب عقدها في برلين أو في باريس، على أن يتم ذلك الأمر قبل إنتهاء شهر حزيران عام ١٨٨٠. وفي حال تطلب الأمر يحق للجنة إستدعاء ممثلين من الجانبين اليوناني والعثماني، لأجل الإستماع لمقترحاتهما(٨٥). إذ كانت بريطانيا تحبذ نقل إجتماعات تلك اللجنة خارج العاصمة العثمانية، من أجل أن لاتقع تحت تأثير السلطان العثماني ورجال حكومته(٨٦).

حاولت بريطانيا بعد ذلك التدخل في عمل اللجنة من خلال حث ممثليها وأعضاءها على وجوب عقد الإجتماعات بأسرع وقت ممكن، دون إنتضار رد الدولة العثمانية. فضلاً عن ذلك فقد أبدت بريطانيا عن رغبتها في عدم السماح لممثل الدولة العثمانية في التصويت على قرارات اللجنة الدولية، التي يتم التوصل إليها، إذ أن على الدولة العثمانية تنفيذ بنود معاهدة برلين، دون تعديلها أو الخوض في تفاصيلها(٨٧).

لقد كانت بريطانيا عازمةً على منح اليونان بعض المناطق والأراضي العثمانية مثل (جانينا Janina وميترفو Metyovo) ، وبعض الأقاليم الأخرى في المناطق الشمالية. كما حاولت بريطانيا مساعدة اليونان في الحصول على بعض المناطق المتنازع عليها ذات الأغلبية المسلمة(٨٨). وبالمقابل حاولت اليونان إستغلال تعاطف الدول الأوروبية الكبرى معها في موضع الخلافات الحدودية، وقامت ببعض الأعمال العسكرية التي أرادت من خلالها أبلاغ الجانب العثماني بأنها مستعدة للحرب في حال أقتضت الضرورة، مستغلةً

تدهور القوات العسكرية العثمانية بعد الهزائم التي لحقت بها في حربها مع روسيا (١٨٧٧-١٨٧٨) (٨٩). وهنا حاولتا كل من بريطانيا وفرنسا التدخل ومنع اليونان من القيام بأي تهديد عسكري تجاه الدولة العثمانية، إلا أن الحكومة اليونانية حاولت تبرير قيامها بتلك الإستعدادات لأجل إبقاء جنودها القدامى في الخدمة العسكرية لاغير(٩٠). فضلاً عن ذلك فان بريطانيا لمْ تكن تضن أن تقوم اليونان بأية تحركات عسكرية ضد الدولة العثمانية، قد تعمل على عرقلة عمل اللجنة الدولية المكلفة بمشكلة الحدود بين الطرفين. إذ أن بريطانيا أرادت حلها بالطرق السلمية، من أجل المحافظة على مقررات مؤتمر برلين وعدم إشعال حرب جديدة في البلقان قد يصل لهيبها إلى الأراضي المقدونية(٩١)، الأمر الذي قد يهدد السلام في البلقان، مما يعرض مصالح الدول الأوروبية الكبرى للخطر، ويهدد ما يعرف بـ(سياسة المحافظة على الوضع الراهن في المنطقة The Policy of Maintaining the Status Quo in the Region) (٩٢).

اما عن موقف فرنسا من مسألة الخلافات الحدودية العثمانية – اليونانية، فقد جاء متعاطفاً ومتماسياً مع الرؤى البريطانية، على الرغم من أن وزير خارجية فرنسا ولنغتون كان من أشد المتعاطفين مع اليونان في مؤتمر برلين. وكان متحمساً لعقد مؤتمر دولي لحل تلك الخلافات وبأسرع وقت ممكن، دون إنتظار رد الدولة العثمانية على ذلك(٩٣). كما إقترح ولنغتون أن تجتمع الدول الأوروبية الكبرى في برلين أو في باريس، لأجل التباحث في ذلك الشأن والتوصل لحل الخلافات الحدودية بين اليونان والدولة العثمانية قبل نهاية عام ١٨٨٠(٩٤).

حاولت بريطانيا التعاون مع فرنسا لأجل وضع مسودة للرد على الدولة العثمانية، بالتعاون مع بقية الدول الأوروبية الكبرى بذلك الخصوص، لاسيما وأن بريطانيا لمْ تكن ترغب بالتدخل المباشر فيها، خوفاً على مصالحها في الدولة العثمانية، إذ كانت تدرك أن السلطان العثماني يرد على مطالب الدول الكبرى رداً سلبياً وسوف يصر على موقفه الرافض للمطالب اليونانية، مما قد يدفع الدول الأوروبية لأتخاذ موقف موحد أو التدخل المشترك ضد الدولة العثمانية، الأمر الذي يتعارض مع مصالح بريطانيا في الدولة العثمانية. لذا رغبت بريطانيا أن تقوم فرنسا بالرد على الدولة العثمانية، بشأن مشكلة الحدود، على أن يكون

الموقف والرد الفرنسي متطابق مع مواقف بقية الدول الأوروبية الأخرى، لاسيما مع مواقف المانيا وإمبراطورية النمسا – المجر(٩٥).

وعلى أثر ذلك طالبت فرنسا من اليونان عدم تعبئة جيوشها وعدم تهديد الدولة العثمانية، مما يعمل على تعقيد الأمور في عموم البلقان. وأن على حكومة أثينا التريث وأنتظار ما تتوصل اليه اللجنة الدولية المكلفة بترسيم الحدود بينها وبين الدولة العثمانية(٩٦).

كما رفضت فرنسا الأشتراك مع بريطانيا وروسيا في التظاهرة البحرية التي قررتا القيام بها، لأجل الضغط على الدولة العثمانية، لإرغامها على الرضوخ لمطالب الدول الكبرى، بشأن مشكلة الحدود. لذا إبلغت الحكومة الفرنسية قادة الأسطول البحري الفرنسي المتواجد في المياه العثمانية عدم القيام بأي عمل يخل بالمصالح الفرنسية في الدولة العثمانية(٩٧).

أما عن موقف المانيا، فقد أبدى بسمارك رغبة بلادهُ في عقد مؤتمر دولي لحل مشكلة الحدود العثمانية – اليونانية في برلين. كما رفض فرض أوامر الدول الكبرى على الدولة العثمانية، لانها قد ترفض ذلك وتحاول إتباع أسلوب التسويف والمماطلة. وكان بسمارك حريصاً على وجوب عقد مؤتمر في برلين لحل تلك المشكلة، لأن ذلك يعزز مكانة المانيا الدبلوماسية في أوروبا. كما أكد بسمارك على ضرورة مشاركة بلادهُ مع بقية الدول الأوروبية الأخرى في إيجاد حلول مرضية للطرفين، من خلال تعاون المانيا مع بريطانيا وفرنسا والأشتراك معهما في عضوية اللجنة الدولية المخصصة لذلك الأمر(٩٨).

فضلاً عن ذلك فقد أكد بسمارك على عدم وجوب دعوة طرفي النزاع للحضور والأشتراك في عمل تلك اللجنة وعدم حضور المؤتمر المزمع عقدهُ في برلين، لكي لايؤثر حضورهما على قرارات الدول الأوروبية، إذ ان بسمارك حاول دائماً أتباع سياسة معلنة تعمل على تحقيق توازن في المصالح الدولية في المسألة الشرقية، حتى لاتحدث خلافات بين الدول الأوروبية الكبرى من جديد بسببها(٩٩).

أما بشأن موقف روسيا من تلك الأزمة فقد حاولت قدر المستطاع عدم التدخل المباشر فيها، على الرغم من تخوفها من مزاحمة بريطانيا لها على مناطق النفوذ في الدولة

العثمانيـة، لاسـيما بعـد مـؤتمر بـرلين، وتحديـداً فـي بلغاريـا، التـي أرادت حكومـة سـانت بطرسبورغ أن تكون منفذاً برياً لها للوصول إلى البحر المتوسط(١٠٠). لذا حددت روسيا موقفها من أزمة الحدود العثمانية – اليونانية، من خلال أرسالها مذكرة إلى الحكومة البريطانية في الخامس عشر من أيار عام ١٨٨٠، أكدت من خلالها رغبتها في العمل مع بريطانيا والإتفاق مع بقية الدول الأوروبية الكبرى حول المسألة الشرقية. وإنها على إستعداد للمشاركة بتقديم مذكرة إلى الباب العالي، عن طريق سفيرها في أستانبول، لأجل التوصل لتسوية مرضية لمشكلة الحدود العثمانية – اليونانية(١٠١). كما أبدت روسيا موافقتها على عقد مؤتمر في برلين، على أن يأخذ المؤتمرين فيه بعين الاعتبار تطبيق مقررات معاهدة برلين لعام ١٨٧٨، التي تلكأت الدولة العثمانية في تطبيقها، خلافاً لرغبات الدول الأوروبية الكبرى، فضلاً عن ذلك أكدت روسيا أن لايقتصر ذلك المؤتمر على مشكلة الحدود العثمانية– اليونانية، وإنما يجب أن يناقش مواد معاهدة برلين كافة (١٠٢).

لقد جاءت رغبة روسيا في حل تلك المشكلة متطابقة مع رغبات وأرادة الدول الأوروبية الكبرى، لاسيما في مسألة وجوب عدم إشتراك الطرفين في المؤتمر المقرر عقدهُ بذلك الشأن. فضلاً عن ذلك أبدت روسيا رغبتها في أن تقوم فرنسا بتقديم مسودة الرد على المطالب اليونانية ومشكلة الحدود مع الدولة العثمانية. وأبدت في الوقت نفسه إستعدادها للمشاركة مع بريطانيا في المظاهرة البحرية، لأجل أرغام الدولة العثمانية على قبول قرارات الدول الكبرى، لحل مشاكلها الحدودية مع اليونان(١٠٣).

أما موقف إمبراطورية النمسا – المجر فقد جاء متوافقاً مع وجهة النظر البريطانية، الداعية لضرورة ممارسة الضغوط على الدولة العثمانية لأجل التوصل لحل المشكلة(١٠٤). إذ أن حكومة فيينا كانت تحبذ أن تنهي الدول الكبرى تلك المشكلة بأسرع وقت ممكن، من أجل التفرغ لمعالجة مشكلة بلغاريا، إذ أخذت الأخيرة تحصل على مكاسب على حساب الدولة العثمانية في مناطق غربي البلقان(١٠٥). وعلى أثر ذلك وافقت إمبراطورية النمسا – المجر في الخامس عشر من أيار عام ١٨٨٠ على مقترح بريطانيا بأرسال مذكرة إحتجاج إلى الباب العالي، طالبت من خلالها الدولتان بأن ينفذ السلطان العثماني إلتزامات بلادهُ تجاه اليونان في مسألة الحدود وفقاً للمادة رقم (٢٤) من بنود معاهدة برلين(١٠٦). كما طلبت

النمسا – المجر من بريطانيا أن تضم اللجنة الدولية المكلفة بحل مشكلة الحدود اليونانية – العثمانية عدداً من الضباط والفنيين النمساويين – المجريين، وأن يتم عقد مؤتمر دولي لحل الأزمة في برلين أو في باريس قبل نهاية شهر حزيران من العام نفسه. وفي حال عدم قيام السلطان العثماني بالرد على المذكرة المرسلة من قبلها ومن قبل بريطانيا فيجب عليها أتخاذ موقف حاسم تجاهه(١٠٧). فضلاً عن ذلك فقد طلبت النمسا – المجر من الحكومة الفرنسية العمل على صياغة مذكرة وأرسالها إلى الباب العالي، لأجل تسوية مشكلة الحدود مثار الخلاف وبأسرع وقت ممكن(١٠٨).

لمْ يكن موقف إيطاليا من تلك المشكلة بمعزل عن مواقف بقية الدول الأوروبية الأخرى. إذ طلبت الحكومة الإيطالية من سفيرها في لندن إعلام حكومة صاحبة الجلالة بقبولها لجميع المقترحات البريطانية المقدمة لحل الأزمة، لاسيما مسألة توجيه مذكرة أوروبية مشتركة إلى الباب العالي. فضلاً عن موافقة إيطاليا على فكرة عقد مؤتمر دولي لتسوية المشكلة في أحدى عواصم الدول الأوروبية، شريطة عدم دعوة طرفي النزاع لحضورهُ والمشاركة فيه(١٠٩). إلا أن إيطاليا لمْ تبد إعتراضها على الاجراءات العسكرية التي كانت تقوم بها اليونان في جزيرة كريت، وجاء موقفها في ذلك الشأن على العكس تماماً من مواقف الدول الأوروبية الأخرى، ولعل السبب في ذلك يعود لوجود أطماع إيطالية في بعض الأقاليم العثمانية في البلقان وأفريقيا(١١٠).

لقد جاءت مواقف الدول الأوروبية الكبرى موحدة تجاه مشكلة الحدود العثمانية – اليونانية، متمثلة بضرورة إيجاد الحلول المناسبة لها، بصورة سلمية وتجنب إشعال فتيل الحرب مرة أخرى في البلقان مما يعمل على إعادة فتح ملف المسألة الشرقية من جديد، مما قد يؤدي لحدوث مشاكل وخلافات من جديد بين الدول الكبرى، ذات المصالح والأطماع القديمة في البلقان. لذا حاولت تلك الدول حث الدولة العثمانية على تطبيق الإصلاحات التي توعدت بتنفيذها في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨.

أما عن موقف الدولة العثمانية من تلك الضغوط الأوروبية فقد حاول السلطان عبد الحميد الثاني المناورة على حساب تلك الدول، إذ أكد في الرابع عشر من آذار عام ١٨٨٠ أنهُ على إستعداد لمنح اليونان بضعة جزر صغيرة مع شريط ساحلي ضيق يمتد على طول

الحدود بين البلدين، إلا أن اليونان طالبت بمساحات أوسع في الأقاليم وليس في الجزر الساحلية. وحصلت اليونان في مطالبها تلك بتأييد السفير البريطاني في أستانبول جوشون(١١١).

عقد على أثر ذلك مؤتمر للسفراء في برلين في حزيران عام ١٨٨٠، إلا أن أغلب قراراتهُ جاءت بصالح اليونان على حساب الدولة العثمانية، لاسيما بعد تعاطف كلاً من بريطانيا وفرنسا مع المطالب اليونانية(١١٢). إذ أكد أعضاء المؤتمر على ضرورة منح اليونان منطقة يانيا الألبانية والتي يعِدها الألبان العاصمة الجنوبية لبلادهم(١١٣). وفي الخامس عشر من تموز من العام نفسه قام أعضاء اللجنة الدولية بتقديم مذكرة إلى اليونان والى الدولة العثمانية، تضمنت أبرز قراراتها، إلا أن الدولة العثمانية أعلنت رفضها التنازل عن بعض الأراضي الألبانية لصالح اليونان(١١٤).

قرر أعضاء اللجنة الدولية بعد عدم توصلهم لحلول مرضية للطرفين نقل مقر إجتماعاتهم إلى العاصمة العثمانية أستانبول. وتم عقد مؤتمر للسفراء فيها في الحادي والعشرين من شباط عام ١٨٨١. وهناك أكدت الحكومة العثمانية عن عدم نيتها التنازل عن إبيروس ويانيا الألبانية وبريفيرا و(ميتزوفو Metsovo) (١١٥). وإقترحت الدولة العثمانية أن تتنازل لليونان عن إبيروس مقابل تخلي اليونان عن مطالبها بضم جزيرة كريت. وقد وافقت المانيا وروسيا على ذلك. إذ أن روسيا أرادت إبعاد اليونان قدر المستطاع عن البلقان، حتى لاتعرقل تطلعات روسيا فيه، لاسيما تلك المتمثلة بـ(الجامعة السلافية The Pan Slavia) (١١٦)، إلا أن سفراء بقية الدول الأوروبية رفضوا ذلك. وعلى أثر ذلك عقدت الدولة العثمانية مع اليونان (إتفاقية القسطنطينية في أذار ١٨٨١) وافقت بموجبها على التنازل عن تيساليا لصالح اليونان(١١٧). وعمل سفراء الدول الكبرى على أرغام الدولة العثمانية في الرابع والعشرين من شهر أيار من العام نفسه على نقل كامل أراضي تيساليا وجزء من إيبيروس (منطقة أرتا Arta الألبانية)، إلى صالح اليونان. وقامت الأخيرة بضمها بصورة رسمية إلى ممتلكاتها في السادس من تموز من العام نفسه(١١٨).

قامت اليونان بعد ذلك بضم قلعة (Punta Castle بونتا) التي تقع على مقربة من خليج (آمبراكان Ambrakian). اما الدولة العثمانية فحصلت على شريط من الأراضي

الواقعة خلف ذلك الخليج. ليكون قسم منه من ضمن ممتلكاتها والقسم الأخر بحوزة اليونان(١١٩). كما أكدت إتفاقية القسطنطينة على وجوب نزع السلاح من جميع القلاع والحصون المقامة في بونتا وبريفيرا وشريط الأراضي العثمانية. كما أكدت على حرية الملاحة في خليج امبراكان لجميع الدول الأوروبية(١٢٠).

أدت الضغوط الدول الأوروبية الكبرى على الدولة العثمانية لقبولها بالتحكيم، لأجل إنهاء مشكلة الحدود مع اليونان. ولعل موافقة السلطان العثماني على التنازل لليونان عن بعض المناطق بموجب إتفاقية القسطنطينية السابقة الذكر، إنما جاءت بفعل ما وصلت الية الدولة العثمانية من مراحل متقدمة من التداعي والأنهيار نتيجةً لزدياد التدخل الأوروبي المستمر في شؤونها الداخلية، إلا أن تلك الإتفاقية لم تمنع اليونان وبعد مدة قصيرة من المطالبة مرة أخرى بضم جزيرة كريت، مما يؤدي لأندلاع الحرب بين الطرفين في نيسان عام ١٨٩٧.

المبحث الثالث

الحرب اليونانية – العثمانية وموقف الدول الأوروبية الكبرى منها (١٧ نيسان – ١٨ أيار ١٨٩٧)

إعتبرت الدول الأوروبية الكبرى أن توصل الدولة العثمانية واليونان لحل مشاكلهما الحدودية بموجب إتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨١ إنجازاً كبيراً للدبلوماسية الأوروبية، وأنعكس بصورة إيجابية على أوروبا بوجه العموم وعلى البلقان بوجه الخصوص. إذ ساعدت تلك الإتفاقية على تهدئة الأوضاع في البلقان – ولو لوقت محدود(١٢١). إلا أن ذلك الهدوء لمْ يدم لمدةً طويلة، إذ سرعان ماعادت اليونان لممارسة سياستها التوسعية على حساب ممتلكات السلطان العثماني، مستغلةً الأحداث والظروف التي شهدتها الدولة العثمانية خلال العقد الثامن من القرن التاسع عشر، لاسيما أحداث الأزمة البلغارية عام ١٨٨٥(١٢٢). التي حدثت على أثر قيام الأخيرة بضم ولاية الروميللي الشرقية لها، وتدخل الدول الأوروبية الكبرى مرة أخرى وعقد مؤتمر في العاصمة العثمانية أستانبول في نيسان عام ١٨٨٦، تم بموجبه موافقة الدول الأوروبية على ضم بلغاريا لولاية الروميللي الشرقية وتوسيع مساحتها على حساب الدولة العثمانية(١٢٣). وقد حاولت اليونان إستغلال تلك الاحداث، لأجل

التوسع على حساب الدولة العثمانية، إذ أعتقد الساسة اليونانيين أن الأزمة البلغارية لاتتناسب مع مبدأ التوازن الدولي الذي أقرتهُ الدول الأوروبية الكبرى في مؤتمر برلين(١٢٤). لذا أعتقد اليونانيين أن أفضل وسيلة لتحقيق أهدافهم وغاياتهم التوسعية في البلقان هي جر الدولة العثمانية للدخول في حرب تخوضها مع اليونان وأن تقوم الأخيرة بأثارة الحركات الأنفصالية في جزيرة كريت والمناطق الأخرى، ذات الاغلبية اليونانية، حتى ترغم الدولة العثمانية لقبول مطالب اليونان للتوسع في أراضيها، لاسيما في جزيرة كريت التي أخذ أهلها المطالبة بالإنضمام إلى الوطن الأم (اليونان) ومطالبة اليونان بذلك الضم باسرع وقت ممكن(١٢٥).

حاول رئيس وزراء اليونان (ثيودور ديليانيس Theodor Delyaunis ١٨٣٥–١٨٩٥/١٩٠٣) (١٢٦)، القيام ببعض الإستعدادات العسكرية مثل إستدعاء بعض الجنود والضباط الأحتياطيين ودعوتهم للعودة إلى الخدمة العسكرية في الجيش اليوناني، تأهباً لأحتمالية إندلاع حرب مع الدولة العثمانية في المدى القريب(١٢٧). لأجل تحقيق الحكم اليوناني في إقامة إمبراطورية يونانية بيزنطينية في البلقان والأناضول والسيطرة على المضائق العثمانية وضم مدينة أستانبول إلى المملكة الجديدة المزمع تكوينها(١٢٨).

أبدت الدول الأوروبية الكبرى تخوفهما من تلك الإجراءات العسكرية التي قامت بها اليونان. وأكدت تلك الدول أن حدوث أي صدام بين الطرفين سيعمل على خلق أزمات جديدة في البلقان، مما يؤثر على التوازن الدولي هناك(١٢٩). وهنا حاولت بريطانيا التدخل وحث الطرفين على تسوية الأزمة بصيغة مرضية لهما ولسكان جزيرة كريت. إذ حاول رئيس الوزراء البريطاني سالزبيري الإتفاق مع بقية الدول الأوروبية لأجل أرسال سفن حربية إلى جزيرة كريت. كما حاولت الدول الأوروبية التدخل مرة أخرى لأجل الضغط على السلطان العثماني، لأجل أن يقوم بمنح الجزيرة الحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية، على أن تقوم اليونان بإنهاء إستعداداتها العسكرية. وكانت الدولة العثمانية مستعدة للعمل بمشورة الدول الكبرى، إلا أن اليونان لمْ تكن كذلك(١٣٠).

أعرب وزير الخارجية الفرنسي (ثيوفيل ديلكاسيه Theophile Delcasse ١٨٥٢–١٨٩٨/١٩٢٣–١٩٠٥) (١٣١) عن قلق بلادهُ من الإستعدادات العسكرية اليونانية

ومحاولات الأخيرة إحتلال جزيرة كريت، مما يتعارض مع بنود إتفاقية القسطنطينة التي عقدت بين اليونان والدولة العثمانية لأجل إعادة ترسيم الحدود عام ١٨٨١(١٣٢).

حاولت الدول الأوروبية الكبرى ولأكثر من مرة إنهاء العصيان الحاصل في جزيرة كريت ومنع اليونان من التدخل فيه، لمنع تدهور الأوضاع في البلقان من جديد. ورأت بريطانيا وجوب تقييد اليونان ومنعها من التدخل. وإعتقد رئيس الوزراء البريطاني سالزبيري أن بأمكان إمبراطورية النمسا – المجر وروسيا التدخل لمنع إندلاع الحرب بين اليونان والدولة العثمانية، لما يمتلكانهِ من قدرات عسكرة ولقربها من طرفي النزاع(١٣٣). كما أكد سالزبيري على ان بريطانيا على أتم الإستعداد للعمل مع روسيا والنمسا – المجر للوقوف بوجه الأطماع اليونانية والعمل سويةً للتوصل إلى تسوية للأزمة تكون مرضية للدولة العثمانية ولليونان ولسكان جزيرة كريت أيضاً(١٣٤). فضلاً عن ذلك فقد أكدت الدول الأوروبية عزمها لأرسال سفن حربية إلى جزيرة كريت، وذلك في الخامس والعشرين من شباط عام ١٨٩٧ . وأن تعمل الدول الكبرى على أرغام الدولة العثمانية على منح جزيرة كريت الإستقلال الذاتي تحت السيادة العثمانية(١٣٥).

لمْ تستجب اليونان لمطالب الدول الأوروبية الكبرى، إذ أصدرت أوامر لبعض قطعاتها العسكرية بالتحرك تجاه الحدود مع الدولة العثمانية وذلك في الخامس عشر من أذار عام ١٨٩٧. وقامت في اليوم التالي بإحتلال جزيرة كريت بالكامل. ومن ثم قامت القوات اليونانية بتجاوز حدود الدولة العثمانية من منطقة (التيسالين Thessalin) وذلك في السابع عشر من نيسان من العام نفسه، مما دفع السلطان عبد الحميد الثاني لأعلان الحرب عليها في اليوم التالي مباشرةً (١٨ نيسان) من العام نفسه(١٣٦). وأعلم الباب العالي سفراء الدول الكبرى في أستانبول بذلك. إذ تم إعداد نص البلاغ بشكل فيه نوع من الحدية والبراعة، لأجل عدم ترك إنطباع لدى الدول الكبرى بأن الدولة العثمانية هي من سعت لأفتعال الحرب(١٣٧).

كانت الدول الأوروبية الكبرى على قناعة تامة بان اليونان لمْ تتمكن من الإنتصار على الجيش العثماني بمفردها، لاسيما بعد قيام الدولة العثمانية بالعديد من الإصلاحات على مؤسستها العسكرية، بفضل المساعدات الألمانية التي حصلت عليها لأجل إعداد وترتيب وتسليح الجيش العثماني من قبل العديد من الضباط الألمان(١٣٨). وتمكن القائد

العثماني (أدهم باشا) خلال الأيام الأولى للحرب من السيطرة على ممر (مليونة Meluna) من جهة تيسالي، ما أرغم الجيش اليوناني على الإنسحاب من تلك المناطق في أواخر شهر نيسان، بعد أن تكبدت العديد من الخسائر في الأرواح والمعدات(١٣٩).

إستطاع الجيش العثماني بعد ذلك من أحراز العديد من الإنتصارات على اليونان، بفضل عدم حصول الأخيرة على دعم من الدول الأوروبية الكبرى، إذ تمكن أدهم باشا من إستعادة المناطق الحدودية التي سيطر عليها الجيش اليوناني في بداية الحرب، فضلاً عن إكتساحه لجميع المواقع الدفاعية التي أقامتها القوات اليونانية في المناطق الجبلية، لأجل التحصن بها، مما جعل الطريق مفتوحاً أمام الجيش العثماني لأجل إحتلال العاصمة اليونانية أثينا. الأمر الذي دفع اليونان للأسراع في طلب تدخل الدول الأوروبية الكبرى، من أجل الضغط على السلطان العثماني والطلب منهُ إيقاف تقدم الجيش العثماني داخل الأراضي اليونانية(١٤٠).

أثارت الحرب اليونانية – العثمانية في أيامها الأولى مخاوف الدول الأوروبية الكبرى من إحتمالية إنهيار الدولة العثمانية. وكان من أكثر تلك الدول قلقاً من الحرب هي روسيا وإمبراطورية النمسا – المجر وذلك لإهتمام الأخيرة بمناطق شمالي ولاية البانيا. إذ صرح وزير خارجية إمبراطورية النمسا – المجر (إجينوركولو تشوفسكي Agenor Goluchowski ١٨٤٩–١٩٢١/١٨٩٥–١٩٠٦) (١٤١) بأمكانية إقامة دولة البانية موحدة تحت حماية إمبراطورية النمسا – المجر، في حال تعرضت الدولة العثمانية للإنهيار في حربها تلك مع اليونان(١٤٢). كما زادت الحرب من مخاوف روسيا من إحتمالية إمتدادها إلى بقية إجزاء البلقان الأخرى. وزادت تلك المخاوف الروسية بعد قيام غولوتشوفسكي بزيارة سانت بطرسبورغ واللقاء مع نضيرهُ الروسي (ميخائيل نيكولايفيتش مورافيف Mikhail Nikolayevich Muravyov) (١٤٣)، خلال المدة (٢٧–٢٩ نيسان) من العام نفسه، لأجل التباحث في قضية الحرب العثمانية – اليونانية وأثارها على مصالحهما في البلقان. وفي الثاني من أيار من العام نفسه أقترح كولوتشوفسكي على موراييف أن تقوم النمسا – المجر بضم البوسنة والهرسك وسنجق نوفي بازارلها، مع إقامة دولة البانية موحدة خارج سيطرة الدولة العثمانية(١٤٤). وعلى أثر ذلك توصل الطرفان (روسيا والإمبراطورية الثنائية)

في الثامن من أيار لعقد إتفاقية بينهما، وافقت روسيا من خلالها على الأهداف والتطلعات النمساوية – المجرية في البلقان، مقابل منع الأخيرة صربيا وبلغاريا من إثارة الإضطرابات في مقدونيا(١٤٥). وبذلك تكون الدولتان (روسيا والنمسا – المجر) قد إتخذتا موقف الحياد من الحرب اليونانية – العثمانية(١٤٦).

أما عن موقف المانيا من أحداث الحرب، فقد عمل وزير الخارجية الالماني (آدلوف مارشال فون بيبرشتاين Ndulf Marchal Von Bibarshtayn ١٨٤٢-١٩١٢/ ٣١ أذار ١٨٩٠- ١٩ تشرين الأول ١٨٩٨) (١٤٧) على إبلاغ السفير العثماني في برلبين (علي غالب بيك) عن رغبة الامبراطور (وليم الثاني William II ١٨٥٩-١٩٤١/ ١٨٨٨-١٩١٨) (١٤٨) في إنهاء الحرب، خوفاً من إحتمالية تدخل الدول الكبرى إلى جانب اليونان. ولأجل أن يظهر السلطان العثماني أمام أنضار الدول الأوروبية بمظهر غير المعتدي على اليونان والراغب بالسلام، من أجل خلق إنطباع إيجابي لدى الدول الأوروبية عن الدولة العثمانية(١٤٩).

وعمل مارشال على أثر ذلك على إعداد مسودة للصلح بين الطرفين ، تضمنت الأمور الأتية(١٥٠):

١- على الحكومة اليونانية سحب جميع قواتها من جزيرة كريت.
٢- تتعهد الدولة العثمانية لليونان بأنها سوف تضع جزيرة كريت تحت الادارة الذاتية، بعد أن تتشاور مع الدول الأوروبية الكبرى في ذلك الشأن.
٣- على الدولة العثمانية عدم مطالبة اليونان بأية تعويضات مالية لخسائرها في الحرب.

حاول القيصر الالماني وليم الثاني بحكم علاقتهُ الجيدة مع السلطان عبدالحميد الثاني التأثير على الاخير، لأجل إنها الحرب وقطع الطريق أمام الدول الأوروبية الأخرى من التدخل إلى جانب اليونان، وبالتالي تذهب إنتصارات الجيش العثماني على اليونان في تلك الحرب أدراج الرياح(١٥١).

زار الامبراطور النمساوي – المجري (فرانسو جوزيف Franz Joseph ١٨٣٠-١٩١٦/ ١٨٤٨-١٩١٦) (١٥٢)، مع وزير خارجية بلاده كولوتشوفسكي العاصمة الروسية سانت بطرسبورغ في أواخر شهر نيسان والتقى مع نضيره (نيقولا الثاني Nicholas II

١٨٦٨–١٩١٨/ ١٨٩٤–١٩١٧) (١٥٣)، وأكد العاهلان على ضرورة المحافظة على التوازنات في البلقان وإنهاء الحرب اليونانية – العثمانية بأسرع وقت(١٥٤).

كانت مواقف كلاً من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من الحرب متفقة في عدم السماح لأحد الطرفين بالتوسع على حساب الطرف الاخر، لاسيما توسع الدولة العثمانية على حساب اليونان، بعد الإنتصارات الكبيرة التي حققها الجيش العثماني، الأمر الذي جعل اليونان تضطر لسحب قواتها بصورة تدريجية من جزيرة كريت(١٥٥).

وفي تلك الاثناء ونتيجةً لعدم تمكن اليونان من الحصول على الدعم من الدول الأوروبية الكبرى ونتيجة للهزائم العسكرية المتوالية التي لحقت بجيشها من قبل الجيش العثماني. طلبت تدخل الدول الأوروبية الكبرى لنجدتها والضغط على السلطان العثماني لأجل إيقاف الحرب، لاسيما بعد سقوط وزارة تريكوس وتشكيل وزارة جديدة من المعارضة بزعامة (راليس Rallis). وهنا طلب الملك اليوناني جورج الأول من القيصر الروسي نيقولا الثاني التوسط لدى السلطان العثماني، لأجل إنهاء الحرب، لأن اليونان لمْ تعّد قادرةً على مواصلتها(١٥٦).

قام القيصر الروسي على أثر ذلك بأرسال برقية إلى السلطان عبد الحميد الثاني في ليلة الثامن عشر من أيار من العام نفسه، لأجل التوسط بين الطرفين لأحلال السلام وإنهاء الحرب، مستغلاً العلاقات الودية بين بلادهُ وبين الدولة العثمانية خلال تلك المدة. كما هنئ القيصر نيقولا الثاني السلطان العثماني بالإنتصارات الكبيرة التي حققها الجيش العثماني في تلك الحرب قائلاً: " **أطلب من السلطان وقف الأعمال العسكرية فوراً وقبول وساطة الدول الكبرى نيابةً عن اليونان** ..." (١٥٧).

أرسل السلطان عبد الحميد الثاني على أثر وساطة القيصر أوامرهُ إلى القادة العسكريين في جزيرة إبيروس وتيساليا للتوصل مع نضرائهم اليونانيين لأجل إيقاف القتال. وتم ذلك الأمر في الثامن عشر من أيار من العام نفسه. وتم وقف إطلاق النار بين الطرفين في اليوم التالي مباشرةً(١٥٨). ووضع الباب العالي شروطاً للصلح كان من أبرزها إعادة تيساليا إلى حضيرة الدولة العثمانية وقيام اليونان بدفع غرامة مالية قدرت بـ(١٠,٠٠٠,٠٠٠ عشرة آلاف ليرة عثمانية)، وإعادة العمل بالمعاهدات السابقة بين الدولتين والغاء الإمتيازات

الخاصة بالمواطنين اليونانيين المقيمين على أراضي الدولة العثمانية، إلا أن الدول الأوروبية الكبرى رفضت تلك المطالب، وطالبت بعقد مؤتمر للسفراء في إستانبول، لأجل إعادة النظر بشروط الصلح التي إقترحتها الدولة العثمانية(١٥٩).

قام على أثر ذلك سفراء الدول الأوروبية الكبرى لدى الدولة العثمانية بعقد مؤتمر برئاسة وزير الخارجية العثماني (أحمد توفيق باشا ١٨٤٥-١٩٣٦/١٨٩٥-١٩٠٨) (١٦٠)، لأجل وضع بنود الصلح النهائية بين الطرفين، وذلك في الرابع من حزيران من العام نفسه، وإستمر ذلك المؤتمر حتى الرابع من كانون الأول من العام نفسهُ أيضاً، إذ تم التوصل لعقد معاهدة بين الطرفين (معاهدة أستانبول Istnmbul Treaty ٤ كانون الأول ١٨٩٧)، تكونت من ستة عشر مادة وقعها عن الجانب العثماني وزير الخارجية أحمد توفيق باشا وممثل ديوان المحاسبة المالية حسن فهمي باشا، ووقعها عن الجانب اليوناني (ماوروكورداتو إستيغانوس Maurcorndato Stephanos) وزير الخارجية. وتضمنت البنود الآتية(١٦١):

١- تسلم الدولة العثمانية تيساليا إلى اليونان.
٢- تسلم اليونان أجزاء من جزيرة إيبيروس التي ضمتها عام ١٨٨١ إلى الدولة العثمانية.
٣- تقوم اليونان بدفع غرامة حربية للدولة العثمانية قدرها (اربعة ملايين ليرة تركية)، كتعويضات للحرب، فضلاً عن دفعها (١٠٠,٠٠٠ مائة الف ليرة تركية) إلى رعايا الدولة العثمانية، الذين تضرروا من الحرب في جزيرة كريت.
٤- إجلاء القوات العثمانية من جزيرة كريت ومنحها حكماً ذاتياً، على أن تعمل الدول الأوروبية الكبرى فيما بعد على جعلها تحت حكم الأمير اليوناني (جورج الثاني Prince George II ١٨٩٠-١٩٤٧) (١٦٢).
٥- تتعهد الدول الأوروبية بإعادة النظر في تسهيل أصدار القرض اللازم والأيرادات لأجل المحافظة على حقوق الدائنين القدماء من كلا الطرفين وأن تشكل لجنة لذلك الأمر، تقوم بمراقبة المالية اليونانية.
٦- تتخلى الدولة العثمانية عن الأراضي التي إحتلتها خلال الحرب وأن يتم تسليمها إلى ممثلين عن الدول الأوروبية الكبرى وبمساعدة ممثلين عن طرفي الحرب.

٧- إعادة الأسرى من كلا الطرفين.

٨- رعايا الدولتين لهم الحق في الحرية بالتنقل في اراضي الدولة العثمانية واليونان، باستثناء الأشخاص المطلوبين للقانون.

٩- إدارة العقارات العثمانية الموجودة في اليونان كما كانت من قبل دون أي عوائق تحول دون ذلك، لاسيما في منطقة تيساليا.

١٠- تدفع اليونان تعويضاً مالياً للأفراد الذين تضرروا من الحرب، قدر بـ(١٠٠ ألف ليرة عثمانية). كما هو موضح في المادة رقم (٣).

١١- يتفق الطرفان خلال ثلاثة أشهر على وضع هذه المعاهدة في حيز التنفيذ.

١٢- إعادة تسليم المجرمين بين كلا الطرفين وإبرام إتفاقيات لحرية التجارة.

١٣- إعادة التواصل البريدي بين البلدين وإعادة خطوط التلغراف للعمل من جديد.

١٤- تتعهد الدولتان بعدم التسامح مع الأعمال التي تهدد أمن الطرف الأخر على أراضيها.

١٥- في حال وجدت تناقضات في بنود المعاهدة بين الطرفين تعرض تلك الخلافات على ممثلي الدول الأوروبية الكبرى، لأجل إعادة النظر فيها.

١٦- يتم التصديق على المعاهدة بين جلالة السلطان العثماني وملك اليونان في أستانبول خلال خمسة عشر يوماً (٢٠ تشرين الثاني – ٤ كانون الأول ١٨٩٧). وتم توقيع المعاهدة بصوراً نهائية في منطقة سان ستيفانو في الرابع من كانون الأول من العام نفسه من قبل حسن باشا من الدولة العثمانية ومن مودوكرداتو عن الجانب اليوناني(١٦٣).

يتضح من بنود المعاهدة أن ممثلي الدول الأوروبية الكبرى قد تعاملوا مع الدولة العثمانية وكأنها هي الخاسرة في الحرب، إذ انهُ وبالرجوع لبعض بنودها نجد أن الدولة العثمانية تنازلت لليونان عن مساحات واسعة من أراضيها، لاسيما منطقة تيساليا، فضلاً عن إشتراط ممثلي الدول الكبرى على الدولة العثمانية منح جزيرة كريت حكماً ذاتياً، تمهيداً لإستقلالها تحت حكم الأمير جورج اليوناني عام ١٨٩٨(١٦٤).

أن من نتائج الحرب اليونانية – العثمانية هي عودة الدول الأوروبية الكبرى لممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية لأجل إجراء الإصلاحات التي تعهدت القيام بها في المؤتمرات الدولية السابقة وفي كافة أراضيها، فضلاً عن أزدياد تدخل اليونان في شؤون الولايات العثمانية في البلقان، بحجة تخليصها من السيطرة العثمانية، لاسيما في مقدونيا التي أدى التدخل اليوناني فيها والضغوط الأوروبية إلى قيام الدولة العثمانية بإجراء بعض الإصلاحات فيها، خلال المدة (١٩٠٢-١٩٠٣) (١٦٥).

الخاتمة والإستنتاجات:

١- خضعت اليونان للسيطرة العثمانية، كما خضت بقية أجزاء البلقان الأخرى في بداية ظهور وتوسع تلك الدولة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، إلا أنها تأثرت بالحركات الثورية والتحررية الأوروبية، لاسيما في الثورة الفرنسية الكبرى لعام ١٧٨٩ وأعلنت الثورة على الحكم العثماني ونالت إستقلالها بمساعدة الدول الأوروبية الكبرى عام ١٨٣١، إلا أن العديد من إجزاءها بقيت تحت السيطرة العثمانية لذا كانت دائماً تتطلع للسيطرة على تلك الأجزاء وضمها اليها.

٢- راودت اليونان بعد الإستقلال فكرة وحلم اليونان الموحدة أو ما يعرف بـ(فكرة ميغالي)، لذا سعت لأستغلال المشاكل والحروب التي مرت بها الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لأجل تحقيق ذلك الحلم.

٣- على الرغم من وقوف اليونان على الحياد من الأزمة البلقانية عام ١٨٧٥، إلا أنها دعيت للمشاركة في مؤتمر برلين. وهناك أخذت تطالب بمنحها بعض الأراضي العثمانية التي يسكنها بعض أبناء جلدتها، لاسيما في تيساليا وجزيرة كريت، مما أدى لحدوث مشاكل حدودية بينها وبين الدولة العثمانية، تطلبت تدخل الدول الكبرى لأجل تسويتها.

٤- أزدادت المشاكل الحدودية بين اليونان والدولة العثمانية خلال المدة التي أعقبت مؤتمر برلين، لان اليونان لمْ تحصل على مكاسب مرضية في ذلك المحفل الأوروبي. لذا حاولت الدول الكبرى حل تلك الخلافات عن طريق تشكيل لجنة دولية لإعادة ترسيم الحدود بين الطرفين.

٥- أزدادت تدخلات اليونان في الشؤون الداخلية لبعض الأقاليم العثمانية التي يسكنها يونانيين، وتحديداً جزيرة كريت، لذا أخذت الحكومات اليونانية تحرض سكان تلك الجزيرة على الثورة والتمرد على الحكم العثماني، من خلال إثارة المشاكل والأضطرابات بين أطياف السكان (المسلمين والمسيحيين)، من أجل التدخل في شؤون الجزيرة بحجة حماية المسيحيين اليونانيين، لذا أعلنت الحرب على الدولة العثمانية في السابع عشر من نيسان عام ١٨٩٧.

٦- لمْ تكن الدولة العثمانية تحبذ الدخول في حروب وصراعات مع اليونان، لخشيتها من تدخل الدول الأوروبية الكبرى إلى جانب الأخيرة، كما كان يحصل في الحروب السابقة مع الولايات البلقانية، إلا أن الدول الأوروبية كانت هذه المرة ضد اليونان، إذ عَدّت أعلان الأخيرة للحرب على الدولة العثمانية تهديداً للسلام في البلقان وخرقاً لمقررات مؤتمر برلين.

٧- تمكنت الدولة العثمانية من إستغلال عدم رضا الدول الكبرى على اليونان وعدم تأييدها لإعلانها الحرب على الدولة العثمانية وقام الجيش العثماني بأنزال الهزائم العسكرية بالقوات اليونانية، حتى أرغم الحكومة اليونانية على طلب وساطة الدول الكبرى لأجل إنهاء الحرب. وبذلك تكون الحرب اليونانية – العثمانية من أهم الحروب التي تمكنت فيها الأخيرة من تحقيق الانتصارات، لان الدول الأوروبية لمْ تقف هذه المرة مع اعداء الباب العالي.

٨- عمل السلطان عبد الحميد الثاني على تلبية طلب القيصر الروسي لأجل إيقاف الحرب مع اليونان، لكي يظهر أمام الدول الكبرى بمظهر السلطان المتسامح مع رعاياه والراعي لديمومة السلام والأستقرار الذي أقرته الاتفاقيات والمعاهدات الدولية السابقة.

٩- تدخلت الدبلوماسية الأوروبية بين الطرفين وأرغمتهما على أبرام معاهدة صلح في الرابع من كانون الأول من العام نفسه، تكونت من ستة عشر مادة، جاءت اغلب تلك المواد بالضد من تطلعات الطرف المنتصر (الدولة العثمانية).

١٠- لقد عاملت الدول الكبرى الدولة العثمانية معاملة الطرف الخاسر في تلك الحرب، وإتضح ذلك الأمر جلياً من خلال بعض بنود معاهدة أستانبول، إذ أرغمت الدولة العثمانية عن التنازل عن العديد من ممتلكاتها وأراضيها لصالح اليونان. كما سلبت الدول الكبرى جزيرة كريت من الدولة العثمانية، تمهيداً لمنحها الحكم الذاتي بعد عام واحد من الحرب.

١١- لقد فشلت اليونان في تلك الحرب في تحقيق حلمها في أنشاء دولة اليونان الكبير (فكرة ميغالي)، ولعل السبب في ذلك هو لعدم حصولها على الدعم من الدول الكبرى، إلا أنها إستمرت بأثارة المتاعب للدولة العثمانية من خلال تدخلاتها الدائمة في مشاكل الأقاليم العثمانية في البلقان، وتحديداً في مقدونيا. وإستمرت بسياستها العدائية حتى أندلاع الحروب البلقانية عام ١٩١٢، إلا أن فكرة وحلم ميغالي تلاشا وبصورة نهائية بعد هزيمتها أمام الدولة العثمانية عام ١٩٢٢.

الهوامش والإحالات

(١) اليونان: تقع اليونان في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان الواقعة في جنوب شرقي أوروبا، ويحدها بحر إيجه الذي يفصلها من جهة الشرق عن آسيا الصغرى وبحر الأرديانيك وبحر الأيون اللذان يفصلانها من جهة الغرب عن إيطاليا وصقلية والبحر المتوسط. وتحدها من الشمال مقدونيا وبلغاريا ومن الشمال الغربي البانيا ومن الشمال الشرقي تركيا ومن الشرق بحر إيجه ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الغرب بحر الأيون (ايونيا). لذا فهي عبارة عن شبه جزيرة صغيرة تتفرع عن شبه جزيرة البلقان وتتصل بأوروبا بسلسلة من الجبال التي هي إمتداد لجبال الألب. وتقدر مساحتها الكلية بحوالي (١٣١,٠٠٠ كم٢) . للتفاصيل أنظر:

A.Yarde, The Formation of the Creek People, (New York, 1977), PP.70-73;

محمد كامل عياد، اليونان، ج١، ط٣، دار الفكر، (الإسكندرية، ١٩٨٠)، ص ٢٠-٢٢.

(٢) حصلت اليونان على إستقلالها عن الدولة العثمانية بعد الأحداث الثورية التي شهدتها طوال المدة (١٨٢٣-١٨٣٠)، ونالت الإستقلال التام بمساعدة الدول الأوروبية الكبرى في (٢٤ نيسان ١٨٣٠). للتفاصيل أنظر: حسين عبد الواحد بدر، المسألة اليونانية (١٨٢١-١٨٣٢) دراسة تاريخية في ثورة اليونان وإستقلالها عن الدولة العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ٢١١.

(3) W.A, Heutly and others, Ashort History of Greece from early time to 1964, (Cambridge University Press, 1965), PP.79-81.

(4) Yale william, The Near East, Amodern History, (Michigan, 1968), P.65.

(٥) للتفاصيل عن أحداث الثورة الفرنسية والحروب النابليونية أنظر:

R.W.Postgate (ed.), Rervolution from 1789- to 1906, Documents Selected, (New York, 1962), PP.1-6.

(6) M.S. Anderson, The Eastern Question (1774-1923), Astudy in International Relation, (London, 1965), P.72.

(٧) للتفاصيل عن مؤتمر لندن وإستقلال اليونان، أنظر: حمزة ملغوث البديري، موقف مترنيخ من أحداث المسألة الشرقية (١٨٢٣-١٨٤٠)، مجلة أبحاث ميسان، العدد (٣٤)، المجلد (١٤)، كانون الأول ٢٠٢١، ص ٢٣٤.

(٨) **الأمير آوتو:** ولد في حزيران عام ١٨١٥ في بافاريا (المانيا) وهو أول ملك أعتلى عرش اليونان بعد إستقلالها عن الدولة العثمانية (١٨٣٣-١٨٦٢) لمْ يكون مرغوباً به من الشعب اليوناني لأنه كان كاثوليكياً. إمتاز عهدهُ بمحاولات التوسع على حساب الدولة العثمانية، لاسيما في أقاليمها المجاورة

لليونان. إعتمد طوال سنوات حكمهُ على مجموعة من المستشارين البافاريين تمت تنحيته عن العرش في (٢٣ تشرين الأول عام ١٨٦٢) وتنازل لمجلس الوصاية على العرش الذي أختار أحد الأمراء الدنماركيين (كريستيان وليم أدلفوس جورج) ليصبح ملكاً على اليونان باسم (جورج الأول ١٨٦٣–١٩١٣) وتوفي الملك أوتو في (٢٦ تموز ١٨٦٧) في بافاريا . للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, 15th.ed., (Chicago, Encyclopedia Britannica. Inc., 1988), Vol. 6, P.3.

(٩) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى (١٧٧٤–١٨٥٦)، ط١، دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ١١٩–١٢٣.

(١٠) أكرم جمعة صالح الجبوري، العلاقات العثمانية – اليونانية (١٩٠٨–١٩٢٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠١٥، ص ١٨.

(١١) **فكرة ميغالي:** وهي فكرة ورغبة راودت اليونان منذ إستقلالها وتتمثل برغبتها بتوحيد كافة اليونانيين في دولة واحدة ذات قومية يونانية وكنيسة يونانية أرثذوكسية موحدة، لأجل إعادة أمجاد الحضارة الأغريقية والامبراطورية البيزنطينية . وأستمرت تلك الفكرة ذلك الحُلم طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى هزيمة اليونان أمام الأتراك في حرب الاستقلال التركية عام ١٩٢٢. للتفاصيل أنظر:

Christopher Kinley, Reclaiming the Vnredeemed: Irredenstism and the National Schism in Greece's First world war, Athesis Submitted to the faculty of the University of North Carolina at Charlotte in Partial fulfillment of the Requiremenst for the Degree of master of Arts in History. (Charlotte, 2016), P.iii.

(12) Heurty omd others, Op. Cit., PP.81-98.

(١٣) **جزيرة كريت:** وهي أكبر جزر أرخبيل اليونان وتقع في البحر المتوسط خضعت للسيطرة العثمانية عام ١٦٤٥، ثم أصبحت ولاية عثمانية عام ١٦٦٩ . شهدت حدوث العديد من الانتفاضات على السيطرة العثمانية (١٨٢١–١٨٢٣)، ثم خضعت لسيطرة والي مصر محمد علي باشا عام ١٨٣٠ حتى عام ١٨٤٠، ثم شهدت عام ١٨٥٨ حدوث إنتفاضة ضد السيطرة العثمانية وعام ١٨٦٦ أيضاً. وفي ٢٠ تشرين الأول ١٨٧٨ حصلت الجزيرة على بعض الامتيازات من الدولة العثمانية منها إنشاء مجلس عمومي لها، إلا أن أهالي جزيرة كريت عادوا للثورة والتمرد على الباب العالي مرات عِّدة، منحت الحكم الذاتي عام ١٨٩٨، ثم إنضمت إلى اليونان عام ١٩١٣ بعد الحروب البلقانية (١٩١٢–١٩١٣). للتفاصيل أنظر: عبد الغافر محمد، الدولة العلية واليونان وولايات البلقان، ط١، المطبعة الهندية، (القاهرة، د.ت)، ص ٢٤–٢٦.

(١٤) محسن حمزة حسن العبيدي، الأزمة البلقانية (١٨٧٥–١٨٧٨) دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص ٤٧–٤٨.

(١٥) الجبوري، المصدر السابق، ص ١٩.

(١٦) **الجزر الأيونية:** مصطلح جغرافي يطلق على مجموعة الجزر الواقعة غربي بحر الأيون وهي سبعة جزر (كورفو Corfu وباكوس Paxos ولوكاس Lencas وإيثاكا Ithaca وسيفالونيا Cephalonia وسيشيرا Cythera وزانتي Zonte) وتقدر مساحة هذه الجزر الكلية بـ(٢,٣٠٧ كم٢). للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britauuiea, Vol., 6, PP. 367-368.

(١٧) تشالزبيلا فيتش وبربارا ييلافيتش، تفكيك أوروبا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) ١٨٠٤–١٩٢٠، ترجمة: عاصم الدسوقي، ط١، دار العالم الثالث ، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ص٩٢.

(١٨) **نظام الإمتيازات الأجنبية:** وهي مجموعة من التسهيلات والحقوق التي قامت الدولة العثمانية بمنحها لبعض الدول الأوروبية في المجالات التجارية والدينية والقضائية. وكانت جنوى الايطالية أول من حصل عليها من الدولة العثمانية عام ١٣٨٧، ثم فرنسا عام ١٥٣٤. تحولت تلك الامتيازات خلال القرن التاسع عشر لأداة للتدخل الأوروبي المستمر في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، لاسيما من قبل روسيا القيصرية. وأستمرت تلك الامتيازات الى أن ألغيت بموجب مقررات مؤتمر لوزان لعام ١٩٢٣. للتفاصيل أنظر: حمزة ملغوث فعل البديري، الدبلوماسية الأوروبية خلال حرب القرم (١٨٥٣–١٨٥٦) دراسة تأريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية إبن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ٣٥.

(١٩) الجبوري، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٢٠) **مافروكرداتو:** سياسي يوناني ولد في أثينا عام ١٧٩١، وشارك في حرب الإستقلال اليونانية، شغل في عام ١٨٣٢ نائب رئيس المجلس الوطني اليوناني، مثل بلادهُ في ميونخ وبرلين ولندن وأستانبول، ثم تولى منصب رئيس الوزراء عام ١٨٥٤، توفي في أيلول ١٨٦٠. للتفاصيل أنظر:

The New Universal Eneyclopedia, (London, 1977), Vol.15, P.8660.

(٢١) أنينل الكسندروفنا دولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، ترجمة أنور محمد إبراهيم، ط١، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ١٣٠–١٣١.

(٢٢) للتفاصيل عن حرب القرم أنظر:

Candan Badem , the Ottoman Crimean war (1853-1856), (Boston, 2012), PP. 110-177; Harold Temperley, England and the Near East (The Crimea), (London, 1964), PP. 365-374.

(٢٣) تقع تيساليا شمالي اليونان وهي عبارة عن منطقة سهلية تحيط بها الجبال وتفصلها عن مقدونيا جبال الأولمب ومن الغرب جمبل البندس Pinde ومن الجنوب جبال أثريس. خضعت للسيطرة العثمانية عام ١٣٩٣. اما ابيروس Ipiros فهي منطقة جبلية في شبه جزيرة البلقان وتمثل حالياً القسم الشمالي الغربي من اليونان إلى الجنوب من البانيا. سيطرت عليها الدولة العثمانية عام ١٤٣٠. ومثلت المنطقتان مكاناً للتنافس بين اليونان والدولة العثمانية طوال المدة (١٨٧٩–١٨٩٧). للتفاصيل عنهما أنظر:

Philip Sherrard, Ernestbenn, Modern Greece History, (London, 1968), PP. 25-33; س. موستراس، المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية، رتجمة: عصام محمد الشحادات، ط١، دار إبن حزم، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١٥–١٦.

(24) Stanley Lane Poole, History of Turkey, (Beirnt, 1966), P.340.

(25) C.H., Eliot, Turkey in Europe, (Paris, 1882), P.280.

(٢٦) **الملك جورج الأول:** أحد الأمراء الدنماركيين، أسمهُ الحقيقي كريستيان وليم أدلوفس جورج Christion William Adelofs George، ولد في ٢٤ كانون الأول ١٨٤٥ في كوبنهاغن، تولى عرش اليونان في ٣٠ أذار ١٨٦٣، تزوج من أحدى الأميرات الروسيات من عائلة الرومانوف. عرف بملك الهيلين وتميز عهدهُ بكثرة محاولات التوسع على حساب الدولة العثمانية. تم اغتيالهُ في ١٨ أذار ١٩١٣. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 8,P; Smith whitney, Flags Arms Across the world, (London, 1980), P.99.

(27) C.M.Woodnouse, The story of Modern History of Greece, (London, 1968), PP. 52-54.

(28) Edward. S. Creasy, The ottoman Turks from the Beginnig of their Empire to the presnt Time, (London, 1878), PP. 544-545.

(29) William Miller, The ottoman Empire 1801-1913, (Cambridge University Press, 1913), P.306.

(30) Creasy, Op. Cit., P.546.

(٣١) **مصطفى غائلي كريتلي:** سياسي عثماني ولد في عام ١٧٩٨ في البانيا تولى العديد من المناصب في الدولة العثمانية، منها منصب الصدر الأعظم مرتين الأولى (١٤ أيار ١٨٥٣– ٣٠ أيار ١٨٥٤) والثانية (٢ آب ١٨٥٧– ٢٣ تشرين الأول ١٨٥٧) كما عمل في مصر وشارك في

الحرب مع اليونان عام ١٨٢٨ وأرسلهُ محمد علي باشا والي مصر لأجل القضاء على تمرد كريت عام ١٨٣٢، ثم نصب والياً عليها بعد تمكنهُ من تهدئة الأوضاع الداخلية، لذا لقب بـ (كريتلي) عام ١٨٣٤، الا انهُ حاول الاستقلال عن الدولة العثمانية كما فعل محمد علي باشا في مصر، إلا أن سكان الجزيرة اليونانيين ثاروا ضده، بقي في كريت حتى عام ١٨٥١، حين تم إستدعائهُ إلى أستانبول من أجل تولي منصب الصدر الأعظم. توفي في حزيران ١٨٧١. للتفاصيل أنظر:

Ismail Hami Danismend, Osmanli Devlet Erkani, Türkiye rayinevi, (Istanbul, 1971), S.81.

(٣٢) ساهرة حسين محمود الصامري، أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز (١٨٦١–١٨٧٦) إصلاحاته والتطورات في البلقان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠، ص ٧٩.

(٣٣) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ط١، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، (بيروت، ١٩٨٩)، ص ٣٠٩.

(٣٤) الصامري، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٣٥) **السلطان عبد العزيز:** ولد في (٩ شباط ١٨٣٠) وهو ابن السلطان محمود الثاني، تولى العرش في (٢٥ حزيران ١٨٦١) بعد وفاة أخيه السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩–١٨٦١) وكان عمره ٣١ عاماً. عزل عن الحكم في (٣٠ أيار ١٨٧٦) وتوفي في (٤ حزيران ١٨٧٦). للتفاصيل أنظر: الصامري، المصدر السابق، ص ٥٤، ١٨٧، ١٩٥.

(٣٦) **عالي باشا محمد أمين:** دبلوماسي عثماني ولد في (٥ أذار ١٨١٥) في أستانبول. إتقن اللغتين الفرنسية والأنكليزية، تولى العديد من المناصب السياسية منها الصدر الأعظم (٧ آب ١٨٥٢– ٤ تشرين الأول ١٨٥٢) و(٤ أيار ١٨٥٥– ١ كانون الأول ١٨٥٦) و(١١ كانون الثاني ١٨٥٨ – ٨ تشرين الأول ١٨٥٩) و(٦ أب ١٨٦١ – ٢٢ تشرين الثاني ١٨٦١) و(١١ شباط ١٨٦٧ – ٧ أيلول ١٨٧١)، كما تولى وزارة الخارجية وعمل سفيراً في لندن وهو من أبرز اعضاء مجلس التنظيمات. توفي في ٧ أيلول ١٨٧١. للتفاصيل أنظر:

H.Roderic Davison, Refrom in the Ottoman Empire 1856-1876, (New Jersey, 1963), PP. 87-91.

(٣٧) محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١، دار الجيل، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ٥٨٣.

(٣٨) **نابليون الثالث:** وهو شارل لويس نابليون، امبراطور فرنسا وهو أبن لويس بونابرت شقيق نابليون بونابرت. ولد في ٢٠ نيسان ١٨٠٨ في باريس، قام بالعديد من المحاولات لأجل الإستيلاء على

السلطة. أصبح رئيساً للجمهورية الفرنسية الثانية (١٨٤٨–١٨٥١)، ثم توج امبراطوراً على فرنسا (١٨٥٢–١٨٧٠)، كان له دوراً كبيراً في الاحداث السياسية في أوروبا. تنازل عن العرش بعد هزيمة بلاده أمام بروسيا في حرب السبعين عام ١٨٧٠، توفي في ٩ كانون الثاني ١٨٧٣. للتفاصيل انظر:
The New Encyclopedia Britannica, Vol.8, P.509.

(٣٩) للتفاصيل عن معاهدة باريس (٣٠ أذار ١٨٥٦) أنظر:

Treaty between Great Britain, Austria, france, Prussia, Russia, Sardinia and Turkey Signed at Paris and Ending the Crimean war, 30 March 1856, in: - Joel. H. wiener (ed.), Great Britain: Foreign Policy and The Span of Empire (1689-1971). A Documentary History, Vol. III, (New York, 1972), PP. 2431-2436.

(٤٠) للتفاصيل عن ذلك المؤتمر أنظر:

Declaration of Paris, Declaration of the Allied Powers (Great Britain, Austria, France, Italy, Prussia, Russia and Turkey), Relative to the Obligation of Greece to wards Turkey, and the Restoration of Friendly Relations between those states, Paris 20th January 1869, in: Michael Hurst (ed.), key Treaties for the Great powers, Vol. I 1814-1870, (Oxford , 1972), PP. 451-454.

(٤١) الصامري، المصدر السابق، ص ٨١.

(٤٢) علي حسون، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط١، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ١٩٩.

(٤٣) للتفاصيل عن أسباب أندلاع الأزمة البلقانية الكبرى عام ١٨٧٥، أنظر:

Mihallo. D. Stojanovi'c , The Great Powers and the Balkans 1875-1878, (Cambridge University Press, 1968), PP. 12-28.

(٤٤) العبيدي، المصدر السابق، ص ٦٧–٧٠؛ حمزة ملغوث البديري، تغلغل نفوذ امبراطورية النمسا – المجر في البلقان (١٨٦٧–١٨٧٩)، مجلة دراسات في التاريخ والأثار، العدد (٨٢)، جامعة بغداد، كلية الأداب، (شهر آب ٢٠٢٢)، ص ٥٢.

(٤٥) للتفاصيل عن الحرب الروسية – العثمانية، أنظر:

Tsonto Genor, The Russo – Turkish war (1877-1878), and the Liberation of Bolgaria, (sofia, N.D.), PP. 23-86.

(٤٦) **تريكوبس:** سياسي يوناني، ولد في ١١ حزيران ١٨٣٢ ، تولى العديد من المناصب السياسية أبرزها رئاسة الحكومة لسبعة مرات خلال فترات متعاقبة منذ ١٨٧٥، وحتى وزارة الأخيرة والسابعة (٣٠ تشرين الأول ١٨٩٣ – ١٢ كانون الأول ١٨٩٥)، عمل خلالها على تحسين الأوضاع الداخلية وعمل على إصدار العديد من التشريعات لأجل إصلاح اقتصاد البلاد. توفي في ١١ نيسان ١٨٩٦. للتفاصيل أنظر:

Auna Frang oudaki and caglar Keyder, ways to Modernity in Greece and Turkey, Encounters with Europe 1850-1950, (N.D., 2007), PP. 256-258.

(47) Miller, Op. Cit., P.381.

(٤٨) **سالزبيري:** سياسي ورجل دولة بريطاني، ولد في ٣ شباط ١٨٣٠ في لندن. أصبح في عام ١٨٥٤ عضواً في مجلس العموم البريطاني عن حزب المحافظين، ثم أصبح وزيراً للهند (تموز ١٨٦٦– أذار ١٨٦٧)، ثم تولى منصب وزير الخارجية (١٨٧٨–١٨٨٠)، ثم أصبح زعيماً لحزب المحافظين بعد وفاة دزرائيلي في نيسان ١٨٨١. ثم تولى منصب رئيس الوزراء ثلاث مرات الأولى (حزيران ١٨٨٥ – شباط ١٨٨٦) والثانية (تموز ١٨٦٦– آب ١٨٩٢) والثالثة والأخيرة (حزيران ١٨٩٥ – تموز ١٩٠٣). توفي في ٢٢ آب ١٩٠٣. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 3, P.812.

(٤٩) **المشكلة الهيلينية:** وهي عبارة عن محاولات اليونان إعادة أمجاد الحضارة الهيلينية (الأغريقية)، من خلال توحيد جميع اليونانيين الذين يقطنون الأراضي العثمانية وضمهم إلى مملكة اليونان الموحدة، بعد إستعادت جميع الأراضي الواقعة تحت السيطرة العثمانية. للتفاصيل أنظر:

Arnold Toynbee, The Eastern Question in Turkey, (Corenell University Press, 1924).

(٥٠) العبيدي، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(51) Richand clogg, Op. Cit., P.130.

(٥٢) للتفاصيل عن معاهدة سان ستيفانو (٣ أذار ١٨٧٨) أنظر:

The Treaty of San-Stefano, 3 March 1878, in : M.S. Anderson (ed.), The Great Powers and the Near East (1774-1923), Document of Modern History, (London, 1970), PP. 98-101; Rene Albreecht Carrie, A Diplomatic History of Europe Since the Congress of Vienna, (New York, 1969), PP. 167-168.

(53) Frank. M. Anderson and Amos shartle Hershey, Handbook for the Diplomatic History of Enrope Asia, and Africa 1870-1914), (New York, 1969), P.14.

(54) Ronald Van Daridson, British Attitude Toward the Balkan Muddle 1900-1912, Unpublished Thesis Master of Arts, Texas Technolgical College, U.S.A, June 1967, P.10.

(55) Charles Swallow, The Sick Man of Europe, Ottoman Empire to Turkish Re public 1789-1923, (London, 1973), P. 78.

(٥٦) **بسمارك:** سياسي الماني، ولد في ١٨ نيسان ١٨١٥ في مقاطعة براند بنبرغ في بروسيا. شغل العديد من المناصب السياسية من أبرزها ممثلاً عن بروسيا في الدايت الألماني (١٨٥١–١٨٥٩)، ثم سفيراً لبروسيا في سان بطرسبورغ (١٨٥٩–١٨٦٢) ، ثم في باريس (١٨٦٢–١٨٦٣)، ثم تولى وزارة الخارجية (١٨٦٢–١٨٧٠) فضلاً عن كونه مستشاراً. ثم أصبح أول مستشار للإمبراطورية الألمانية بعد توحيدها (١٨٧١–١٨٩٠) . تميزت سياسته الخارجية بكثرة تشكيل التحالفات الأوروبية لأجل، تطويق فرنسا، عزل عن منصبه عام ١٨٩٠، توفي في ٣٠ تموز ١٨٩٨ في برلين. للتفاصيل أنظر:
The New Encyclopedia Britannica, Vol. 3, PP. 714-722.

(٥٧) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٥٩.

(٥٨) **ودنغتون:** سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في عام ١٨٢٦، سافر إلى بريطانيا لغرض الدراسة في جامعة كامبردج، تولى منصب وزير الخارجية للمدة (١٨٧٧–١٨٧٩)، ثم تولى رئاسة الوزراء (٤ شباط – ٢٨ كانون الأول ١٨٧٩)، ثم أصبح سفيراً في لندن (١٨٨٣–١٨٩٣)، توفي في حزيران عام ١٨٩٤. للتفاصيل أنظر:
The New Encyclopedia Britannica, Vol. 10, P.507.

(٥٩) الجبوري، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٦٠) **كاراتيودوري باشا:** دبلوماسي عثماني من أصول يونانية، ولد في أستانبول عام ١٨٣٣، وكان والده الطبيب الخاص للسلطان محمود الثاني (١٨٠٨–١٨٣٩)، درس القانون في باريس، تولى العديد من المناصب السياسية من أبرزها سفيراً في روما (١٨٧٤–١٨٧٨)، ثم أصبح حاكماً على جزيرة كريت عام ١٨٧٨، ثم تولى منصب وزير الخارجية (كانون الأول ١٨٧٨– أيلول ١٨٧٩)، ثم أعيد لمنصب حاكم كريت (١٨٩٥–١٨٩٧)، توفي في حزيران عام ١٩٠٦ في أستانبول. للتفاصيل أنظر:
Http//:Wikipedia.Alexander karatheodori pasha.

(61) Affairs Etragers Documents Diplomatiques Affair Dorinent Gongers De Berlin 1878, Paris Im Perimere Nationat MD. Vol. CCC LXX Vll, in : France Ministere des Affaires Documents Diplomatiques, (Paris, 1931), P.18.
وسوف يرمز لها لاحقاً بـ (A.E.C.B).

(٦٢) **دزرائيلي:** سياسي بريطاني ولد في ١٢ كانون الأول ١٨٠٤ من عائلة يهودية ذات أصول إيطالية. دخل المجال السياسي منذ عام ١٨٣١، ثم إنتمى لحزب المحافظين عام ١٨٣٧. دخل بعد ذلك مجلس العموم، واصبح وزيراً للخزانة (شباط – كانون الأول ١٨٥٢)، تولى رئاسة الوزراء مرتين

بعد أن أصبح زعيماً لحزب المحافظين الأولى (شباط ١٨٦٨ – كانون الأول ١٨٦٨)، والثانية (شباط ١٨٧٤–نيسان ١٨٨٠)، توفي في ١٩ نيسان عام ١٨٨١ في لندن. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 4, PP. 898-901.

(63) A.E.C.B., Protocal N.13 5 Juille 1878, P.199.

(64) Ferdinand Schevill, A History of Enrope from the Reformation to the Presnt day, (London, 1946), PP. 690-698.

(٦٥) **السلطان عبد الحميد الثاني:** ولد في ٢١ ايلول ١٨٤٢ في أستانبول، تولى الحكم في ٣١ آب ١٨٧٦، شهد عهده العديد من الاحداث السياسية أبرزها أصدار الدستور العثماني الأول وكذلك حدوث الأزمتين البلقانية والأرمنية، خلع عن العرش بعد إنقلاب الاتحاديين في ٢٧ نيسان ١٩٠٩ ووضع تحت الاقامة الجبرية حتى وفاته في ١٠ شباط ١٩١٨. للتفاصيل أنظر:

Süleyman Kocabos, Sultan II Abdülhamid, Sahsiyetive Politikasi, (Istanbul, 1995), SS.12-19.

(66) Stojanovic, Op. Cit., P.82.

نصت المادة رقم (٢٤) من مواد معاهدة برلين على :

" **في حال حدوث إتفاق وتفاهم بين الدولة العثمانية واليونان، بخصوص مسألة ترسيم الحدود بينهما فيجب على الدول الموقعة على المعاهدة التدخل لأجل التوسط بين الطرفين من خلال تبادل المذكرات بين جميع الأطراف، لأجل التوصل لحل مرضي للطرفين** ...". أنظر: نص المادة (٢٤) في:

The Treaty of Berlin, 13 July 1818, in: J. C., Hurewitz (ed), The Middle East and North Africa in world Politics, A Documantary Record. Vol, I, European Expansion (1535-1914), 2nd.ed., (London, 1975), PP. 413-414; Treaty of Berlin 13 July 1878, in: Anderson, The Great Powers …. P.111.

(67) Lord Ererley, The Turkish Empier from 1288 to 1914, (New York, 1969), PP. 335-336.

(68) Ibid., P.336.

(٦٩) **غلادستون:** سياسي بريطاني من مواليد مدينة ليفربول في ٢٩ كانون الأول ١٨٠٩، تولى العديد من المناصب منها وزيراً للحرب والمستعمرات (١٨٤١–١٨٤٦)، ثم وزيراً للخزانة (١٨٥٢–١٨٥٨)، ثم أصبح رئيساً للوزراء لأربعة مرات بعد ان اصبح زعيماً لحزب الأحرار الحكومة الأولى (٩ كانون الأول ١٨٦٨– ١٦ شباط ١٨٧٤)، والوزارة الثانية (٢٨ نيسان ١٨٨٠– ٩ حزيران ١٨٨٥) والوزارة الثالثة (٣ شباط – ٣٠ تموز ١٨٨٦) والوزارة الرابعة والاخيرة (١٦ آب ١٨٩٢–٣ أذار ١٨٩٤)،

ويعد ابرز زعماء حزب الاحرار البريطاني في العهد الفكتوري، توفي في ١٩ ايار ١٨٩٨. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 5, PP. 292-294.

(70) AL. Amir, Yakthan Sadonn, British Recation to Germany's Ottoman Policy, (1870-1885), Astudy of Ottoman Policies Pursued by British and German Government and their Political and Commerical Conseqnences During the Period 1870-1885, Thesis of Doctor School of Social Sciences University of Brad forad, England, 1978, Vol. 11, P.348.

(٧١) **جوشون:** سياسي ودبلوماسي بريطاني، ولد في حزيران ١٨٤٧ في لندن وتلقى تعليمه في أكسفورد، دخل الخدمة الدبلوماسية عام ١٨٦٩، إذ عينه ملحقاً في السفارة البريطانية في مدريد، ثم عمل في العديد من السفارات، ثم عين سفيراً لبلاده في أستانبول (١٨٨٠–١٨٨٩)، ثم أصبح السكرتير الثاني في المفوضية البريطانية في بكين عام ١٨٩٠، ثم في واشنطن، ثم سفيراً لبلاده في برلين (١٩٠٨–١٩١٤)، توفي في آب ١٩٢٤. للتفاصيل أنظر:

Encyclopedia Americana, (New York, 1962), vol. 13, P.68.

(٧٢) عماد حمد صالح عبد الحليم الجبوري، موقف بريطانيا من إنقلات الأتحاديين في الدولة العثمانية (١٩٠٨–١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص ١٦.

(73) Eversley, Op. Cit., P.381.

(٧٤) نصت المادة رقم (٢٣) من معاهدة برلين على وجوب قيام الدولة العثمانية بتطبيق الدستور، الذي منحه السلطان عبد العزيز لأهالي جزيرة كريت، مع وجوب إدخال التعديلات الضرورية عليه. وأن تعمل الحكومة العثمانية على تشكيل لجان مختصة يكون أغلب أعضاءها من أهالي جزيرة كريت، لأجل النظر في الأنظمة والقوانين التي يجب تطبيقها في الجزيرة. وأن تعرض تلك القوانين على الحكومة العثمانية، لأجل النظر فيها والموافقة على تطبيقها. للتفاصيل أنظر:

Treaty between Great Britain, Austria-Hungary, France, Germany, Italy, Russia and Turkey Siugned al Berlin 13 July 1878, in: winer, Op. Cit., Vol.III, P. 2455.

(٧٥) العبيدي، المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٧٦) كنز الرغائب في منتخبات الجوانب، جمع وتعليق سليم فارس الشرياق، ج٧، ط١، (أستانبول ١٢٩٨ هـ)، إقتراحات جزيرة كريت في (١٩ تشرين الأول ١٨٧٨)، ص ١٢–١٥.

(77) Richard Clogg, Op. Cit., P.141.

عرفت تلك الأتفاقية بـ(إتفاقية هاليبا Halepa Convtion). للتفاصيل عن ابرز بنودها أنظر:

Selim Sun, 1897 Osmanli-Yunan Harbi, (Ankara, 1965), S.17.

(٧٨) كنز الرغائب ، المصدر السابق، ص ٢٨–٣٠.

(79) Mehmet Ugurf Einci, The Origins of the 1897 Ottoman- Greek war, A Diplomatic History, Amaster's thesis, the Deprtment of History Bilkent University Ankara, July 2006, P.6.

(٨٠) حسين عبد السادة عبد الزهرة الدغلاوي، الإدارة العثمانية في البانيا (١٨٧٦–١٩١٢)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٢٣، ص ١٧٦؛ المحامي، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٨١) عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط١، ج١، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص ١٢٤.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ١٢٤–١٢٦.

(83) Foreign office: from Lord Lyons to Earli Granville, Paris, 28, April 1881, in : Acconnt and apers, Vol. 98, N.I, P.1.

سوف يرمز لها لاحقاً بـ(F.o.).

(٨٤) الجبوري، موقف بريطانيا من إنقلاب الأتحاديين ... ، ص ١٧.

(85) F.o. From Earl Granville to Hermajesty's, Represen to tiesatst parise Berlin, vieena, Roma and Sant petresburg, 7 May 1880, P.2.

(86) Ibid., From Earl Granville to Lord Lyons, 11 May 1880, P.2.

(87) Ibid., From Earl Granville to Her Majesty's. Embassies of Berlin, Roma, and santpetersburg, 7 May 1880, P.2.

(88) Ibid., From: M. De. Griers to Erl of Defferin, Sant Peters burg, 7 May, 1880, P.12.

(89) Ibid., Memorandom Communicated to Earl Granville by. M. Leonsay, 31 May 1880, P.15.

(90) Ekinci, Op. Cit., P.75.

(91) F.o. From Macorber to Earl Granville, 31 July 1880, P.57.

(٩٢) أنس إبراهيم خلف العبيدي، المشكلة المقدونية (١٨٧٨–١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص ٨٧.

(93) Hugh Poulton, who are the Maced onians, (London, 1995), P.59.

(94) F.o. from Earl Granville to Lord Lyons, 10 May 1880, P.6.

(95) Ibid., from Earl Granville to her Majesty's Embassies of Berlin, Roma, Vieena. And Sant Pters burg, 22 May 1880, P.8.

(96) J.A.S, Greaville (ed.), Lord Salisbury and Foreign Policy, (London, 1969), P.89.

(97) Divdson, Op. Cit., P.9.

(98) F.o., 781, 3094, article in Turjnman Hakikat, (Newsaper), No. 353, of 10 Sptember, 1880, P.6.

(99) F.o., Accont and Papers, Vol. 98, No.1. From Lord Lyons to Earl Granville, Paris, 14 May 1880, P.3.

(100) Ibid., From Loydod Russet to Granville, Berlin, 14 May 1880, P.3.

(101) F.R., Bridge (ed.), Foreign Policies of the Great Powers, Vol. VI from Sadowa to Sarajevo, The Foreign Policy of Austria- Hangary 1866-1914, (New York, 1972), P.143.

(102) F.o., From Earlor Duifferin to Granville, Sant-Petersburg, 15 May 1880, Vol. 48, No.1, P.4.

(103) Ibid., From the Earl or Dufferin to Earl Granville, Sant – Peters burg, 19 May 1880, P.7.

(104) George verandsky, Political and Diplomatic History of Russia, (Boston, 1936), PP. 355-371.

(105) C.A., Macartney, the Habsburg Empire 1790-1918, (London, 1968), P. 597.

(106) Arthur. J. May, the Habsburg Monarchy 1867-1914, (Harvard University Press, 1960), PP. 299-300.

(107) F.o. From Earl Granville to Sir Elliot, Vol. 98, N.2, 15 May 1880, P.4.

(108) R.B., Mowat, M.A., A History of Enropean Diplomacy 1815-1914, (London, 1927), P.274.

(109) F.o. From sir A paget to Earl Granville, Roma, 20 May 1880., P.8.

(110) Ibid, from Sir Apget to Earl Granville, Roma, I June 1880, P.16.

(111) Starro Skendi, Albania and south Slavie Oralepis Policy (Philadel Phia, 1954), PP. 77-78.

(١١٢) ميسون ناصح جواد محمد ، القضية الألبانية دراسة في جانبيها السياسي والثقافي (١٨٧٨–١٩٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢١، ص ١٠٠.

(١١٣) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، ط١، مطبعة الأرشاد، (القاهرة، ١٨٩٨)، ص١٩٨.

(١١٤) الشناوي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٤.

(١١٥) محمد، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(١١٦) **الجامعة السلافية:** حركة فكرية وقومية يرجع أصلها إلى الحركة الثقافية ذات الأهواء السلافية slavophil، أكدت على القيم الجوهرية للثقافة الروسية مقابل نظيرتها الأوروبية الغربية، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى قضية سياسية وجامعة سلافية من خلال التأكيد على وحدة جميع السلاف في ظل الوصاية الروسية. أسست في عام ١٨٥٨ جمعية الرفاه السلافية Slavic Welfare Society لذلك الشأن في موسكو. وتم عقد المؤتمر الأثني السلافي الأول عام ١٨٦٧. كان من أبرز دعاتها الكاتبين الروسيين الجنرال روتسلاف فادييف صاحب كتاب (رأي في المسألة الشرقية Opinion on the Eastern Cauestion)، الذي نشر في عام ١٨٧٠. والكاتب الأخر نيكولاس دانيليفسكي مؤلف كتاب (روسيا وأوروبا Russia and Europe) الذي صدر عام ١٨٧١، اللذان طرحا فكرة عامة عن القومية السلافية وكيفية توحيد السلاف في دولة واحدة تحت الإدارة الروسية، بعد تحرير سلاف البلقان من الهيمنة العثمانية. وأستمرت تلك الفكرة حتى أندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤. للتفاصيل أنظر:

Jane Burbank and Others (eds.), Russia Empire 1700-1930, Space, People, Power, (Indian University Press, 2007), PP. 494-500.

(117) leften starros Stavrianos, The Balkan Since 1453, (New York, 1958), PP. 468-469.

(118) Ibid., P.469.

(119) Wesley. M. Gewehr, The Ris of A Nationalism in the Balkans 1800-1913, (New York, N.D.), P.58.

(١٢٠) للتفاصيل عن اتفاقية القسطنطينة (٢٤ أيار ١٨٨١)، أنظر:

Convention Between Her Majesty the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, The German Emperor, the Emperor of Austria-Hungary, the President of the French Republic, the King of Italy, the Emperor of Russia, and the Sultan for the settlement of the frontier, between Greece and Turkey. Signed at Constantinople, 24th May 1881. In: Hurst, Op. Cit., vol.2, PP.592-601.

(121) C.R., Turner, Europe Since 1870, (New York, 1927), P.20.

(١٢٢) للتفاصيل عن الأزمة البلغارية لعام ١٨٨٥ أنظر: ساهرة حسين محمود، الحرب الصربية – البلغارية وضم الروميللي الشرقية إلى بلغاريا (١٨٨٥–١٨٨٨)، مجلة اداب، البصرة، العدد (٧٩)، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٧، ص ٢٢٣–٢٢٦.

(123) J.A.R., Marriott, The Eastern Question A Historical Study in European Diplomacy, (Oxford University Press, 1969), P.313.

(124) Ibid., P.343.

(١٢٥) هشام صبحي إبراهيم المهداوي، المصالح الروسية والنمساوية – المجرية في البلقان (١٨٧٨–١٩١٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات للعلوم والأداب والتربية، جامعة عين شمس، ٢٠٢٠، ص٨٤.

(١٢٦) **ديليانيس:** سياسي يوناني تزعم حركة الاصلاح الخارجي لمملكة اليونان وكان من دعاة التوسع الخارجي على حساب الدولة العثمانية. تولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات ١٨٨٥، ١٨٩٠، ١٨٩٥. توفي في حزيران ١٨٩٩. للتفاصيل أنظر: تشارلز وبربارا فييلافيتش، المصدر السابق، ص ١٩٦.

(127) M.W., Miller, A History of Greece People 1821-1921, (New York, 1922), P.66;

الدسوقي، المصدر السابق، ص ٣١١.

(128) Walter Hall and Phlips and Davis, The course of Enrope Since waterloo, (New York, 1957), PP. 412-416.

(129) Anderson, The Eastern Question …, P.263;

منير عبود جديع، روبرت سالزبيري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٩٥–١٩٠٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية إبن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ١٠١–١٠٢.

(١٣٠) يسري خميس حسن علي ابو غالي، السياسة البريطانية والفرنسية في البلقان (١٨٧٨–١٩١٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠١٨، ص ٧٥.

(١٣١) **ديلكاسيه:** سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في عام ١٨٥٢، عمل في الصحافة، تولى منصب وكيل وزير التجارة عام ١٨٩٣، ثم تولى منصب وزير الخارجية (١٨٩٨–١٩٠٥) في ست حكومات متعاقبة خلال سبع سنوات. كما عمل على تحسين علاقات بلاده مع بريطانيا ومهد لعقد الوفاق الودي في (٨ نيسان ١٩٠٤)، ثم تولى منصب وزير الخارجية مرة أخرى خلال المدة (١٩١٤–١٩١٥)، توفي في ايلول عام ١٩٢٣. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, vol. 7, P.196.

(132) H. Whates, The Third, Salisbury A Dminstration 1895-1900, (New York, 1967), P.51.

(١٣٣) جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ط١، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، ١٩٨٣)، ص ٤٧٧–٤٤٩.

(134) Grenville, Op. Cit., P.41; Starrianos, Op. Cit., P.470.

(135) Whates, Op. Cit., PP.57-58;

تخطأ الباحثة ميسون ناصح محمد، إذ تذكر ان اليونان إحتلت الجزيرة في ١٦ شباط . في حين تذكر المصادر الأخرى ان الأحتلال اليوناني لجزيرة كريت حدثت في اذار وليس في شباط وأعلنت اليونان بعد شهر (في ١٧ نيسان) الحرب على الدولة العثمانية. أنظر للمقارنة: محمد، المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢؛

Ekinci, Op. Cit., P.73.

(136) Ekinci, Op. Cit., P.73.

(137) Ibid.

جاءت صياغة البلاغ العثماني على النحو الآتي: " **أن الحكومة العثمانية صرحت مراراً وتكراراً بأنها ليست لديها أية فكرة لغزو اليونان، وإنها إضطرت الان إلى قبول الحرب لأجل الدفاع عن أراضيها، نتيجة للأعمال العدائية المقترفه من قبل اليونان وان ذلك ببساطة للحماية اليونان وضمان حقوقهم وسلامتهم وإذ لمْ تقوم الحكومة اليونانية خلال فترة قصيرة بسحب قواتها من جزيرة كريت وحدود الدولة العلية، فان حكومة الإمبراطورية ومن أجل تقديم دليل على نواياها السلمية، لن تمانع من سحب قواتها من الحدود. من أجل تقديم دليل جديد على حسن نواياها تجاه اليونان. وهذه هي النية الصادقة للحكومة العثمانية التي تعتمد على مشاعر الأنصاف والعدالة لدى الدول الأوروبية الكبرى** ..". نقلاً عن:

T.C. Basbakanhk Osmanh Arsive, (Republic of Turkey Prime Ministry ottoman Archives), Istambul, BOA.Y.A.R.E.S, 86;32.

وسوف يرمز لها لاحقاً بـ(BOA).

(١٣٨) بان غانم احمد حياوي، العلاقات العثمانية – الألمانية (١٨٨٢-١٩١٨) – دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، دامعة الموصل، ٢٠٠١، ص ٢١٨-٢١٩.

(١٣٩) جديع، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٤٠) أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني ، حياته وأحداث عهده، ط١،(الأنبار،١٩٨٧)، ص٢٢٢.

(١٤١) **كولوتشوفيسكي:** سياسي ودبلوماسي نمساوي – مجري، ولد في ٢٥ أذار ١٨٤٩، وهو من أصول بولندية شغل منصب وزير خارجة الامبراطورية الثنائية طوال المدة (١٨٩٥-١٩٠٦)، حاول تعزيز علاقات بلاده مع روسيا القيصرية وتمكن من عقد إتفاقية بين البلدين عام ١٨٩٧، كما عمل على المحافظة على صداقة بلاده مع المانيا مما جعله يحظى بتقدير الامبراطور وليم الثاني، أبعد عن

منصبه من قبل ولي العهد الأرشيدوق فرانسو فردناند عام ١٩٠٦، توفي في ٢٨ أذار ١٩٢١. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 6, P.234.

(142) Arben Puto, A Diplomatic History of the Albanian Question, (Tirana, 2003), P.47.

مما ينبغي الأشارة اليه هو مشاركة العديد من الألبانيين في تلك الحرب إلى جانب الدولة العثمانية بمجموع (١١٠٠٠ الف مقاتل)، وذلك بسبب المصالح المشتركة بينهم وبين الدولة العثمانية، لانه في حال هزيمة الأخيرة في تلك الحرب قد يؤدي إلى تجزئة بلادهم، إذ إعتبروا بقاءهم تحت الإدارة العثمانية أكثر أمناً لهم من إحتمالية وقوعهم تحت السيطرة اليونانية أو سيطرة إمبراطورية النمسا – المجر. للتفاصيل عن مشاركة الالبانيين في الحرب اليونانية – العثمانية أنظر: محمد، المصدر السابق، ص ١٣٣؛ حقي العظم، تاريخ الحروب العثمانية – اليونانية، ط١، مطبعة الشرقي، (القاهرة، ١٩٠٤)، ص ١١١.

(١٤٣) **موراييف:** سياسي ودبلوماسي روسي ولد في موسكو في ١٩ نيسان ١٨٤٥، كانت له أدوار كبيره في توجيه السياسة الروسية تجاه أوروبا والبلقان والشرق الاقصى. ومنها دوره في مؤتمر لاهاي للسلام عام ١٨٩٩، أصبح مستشاراً في وزارة الخارجية منذ عام ١٨٦٤ وعمل في شتوتغارت وفي برلين وفي ستوكهولم، ثم أصبح السكرتير الثاني في لاهاي عام ١٨٧٧، ثم عمل سكرتيراً لبلاده في باريس، ثم تولى منصب وزارة الخارجية في مطلع عام ١٨٩٧، عاصر القضية اليونانية والأزمة الصينية، ساءت العلاقة بنيه وبين القيصر نيقولا الثاني على أثر الأزمة في منشوريا بعد أحداث إنتفاضة البوكسر عام ١٩٠٠، توفي في ٢١ حزيران عام ١٩٠٠ على أثر إصابته بسكتة دماغية. للتفاصيل أنظر:

Wikipedia the Free Encyclopedia.

(١٤٤) أنس إبراهيم خلف العبيدي، أزمة البوسنة (١٩٠٨–١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ٨٣–٨٤.

(١٤٥) للتفاصيل عن بنود الأتفاقية الروسية – النمساوية – المجرية لعام ١٨٩٧ حول البلقان، أنظر:

The Austro- Russian Agreement on the Balkans, 8 May 1897, in: Anderson, the Great Powers …, PP.130-132.

تذكر الباحثة ميسون ناصح محمد خطأً ان تلك الأتفاقية بين روسيا والنمسا – المجر قد وقعت في (١٧ آيار) ، في حين أن تاريخ توقيعها الصحيح كان في الثامن من الشهر نفسه. ولعلهُ خطأً مطبعياً. أنظر: محمد ، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(146) Richord. F. Hamitto, The Origins of world war I, (Cambridge University Press, 1964), P. 18.

(١٤٧) **بيبرشتاين:** سياسي الماني ولد في برلين عام ١٨٤٢ أصبح مدعياً عاماً في مدينة مانهيم Mannheim طوال المدة (١٨٦٥–١٨٧٥)، ثم أنتخب عضواً في الرايخشتاغ عام ١٨٧٨، ثم تولى منصب وزير الخارجية طوال المدة (١٨٩٠–١٨٩٧)، حاول التحجيم من تدخلات القيصر وليم الثاني في الشؤون الخارجية. عين في تموز ١٨٩٧ سفيراً في أسنبول وأمتاز بعلاقاته الطيبة مع السلطان عبد الحميد الثاني ويعود له الفضل في حصول المانيا على أمتياز سكة حديد بغداد – برلين. توفي في ٢٤ أيلول ١٩١٢. للتفاصيل أنظر:

The New Universal Encyclopedia., Vol.X, (London, N.D.), P. 5540.

(١٤٨) **وليم الثاني:** إمبراطور المانيا وملك بروسيا، ولد في ٢٧ كانون الثاني ١٨٥٩ أمهُ إبنة الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا، سعى لتبني سياسة النهج الجديد حالما توج قيصراً على المانيا عام ١٨٨٨، ابعد بسمارك عن منصبه عام ١٨٩٠، دخل على أثر ذلك في صراع وتنافس إستعماري مع روسيا وبريطانيا، أدخل بلاده في الحرب العالمية الأولى ونفي بعد هزيمة المانيا فيها إلى هولندا عام ١٩١٨، التي بقي فيها حتى وفاته في ٤ حزيران ١٩٤١ عن عمر ناهز ٨٢ عاماً. للتفاصيل أنظر:

Encyclopedia Americana, Vol. 28, (New York, 12959), P.774.

(149) Ekinci, Op. Cit., P.84.

(150) Ibid.

(151) BOA. Y. PRK.Es,.A., 26/128. Tese Sughgestion were also, Presented to Terfik pasa by the German ambassador on the Same day. BoA., 145/19.

(١٥٢) **فرانسو جوزيف:** إمبراطور النمسا (١٨٤٨–١٨٦٧) وملك النمسا – المجر (١٨٦٧–١٩١٤)، ولد في ١٨ تموز عام ١٨٣٠ ، تولى العرش بعد ثورة عام ١٨٤٨، توج ملكاً على المجر بعد توحيد المملكة الثنائية عام ١٨٦٧، حكم بلادهُ وفقاً للمبادئ الأوتوقراطية وتعّد فترة حكمه من أطول فترات حكم اباطرة وملوك أوروبا. أدخل بلاده في الحرب العالمية الأولى بعد أغتيال ولي عهده في صربيا. توفي في ٢١ تشرين الثاني عام ١٩١٦. للتفاصيل أنظر:

Encyclopedia Americana, Vol.2, (New York, 1975), PP. 756-757.

(١٥٣) **القيصر نيقولا الثاني:** وهو الأبن الأكبر للقيصر الكسندر الثالث، ولد في ١٨ أيار عام ١٨٦٨ في سانت بطرسبورغ، تولى العرش خلفاً لوالدهُ في عام ١٨٩٤. إجبر على التنازل عن العرش في ١٥ أذار عام ١٩١٧ ثم حكم عليه بالعدام في ١٦ تموز عام١٩١٨ وهو أخر القياصرة الروس في اسرة رومانوف (١٦١٣–١٩١٧). للتفاصيل أنظر:

Basil Dmytrshyn, AHistory of Russia, (New York, N.D.), PP. 420-425.

(154) William Langer, the Diplomacy of Imperalism 1890-1902, (New York, 1968), P. 374; Barbara Jelavich, Russian's Balkan Enlagements 1806-1914, (Cambridge University Press, 1991), P.212.

(155) Sir Ellis Ashmead, Bartlett, The Battleefields of Thessaly, (London, 1897), P.230.

(١٥٦) علي، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(157) Quotedin: Ekinci, Op. Cit., P.86.

(158) BOA.Y.A.R E.S., 86/83., See Appendix F.for the full teyt of this Telegram, in: Ekince, Op. Cit., P.86.

(159) Ibid., P.87.

(١٦٠) **أحمد توفيق باشا:** سياسي ودبلوماسي عثماني، ولد في أستانبول في ١١ شباط ١٨٤٥، تولى العديد من المناصب السياسية، إذ تولى منصب الصدر الأعظم عَدّة مرات، كما تولى منصب وزير الخارجية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لمدة ١٤ عاماً، وبدأ العمل في وزارة الخارجية منذ عام ١٨٧٢، كما عمل سفيراً لبلاده روما وبرلين وسانت بطرسبورغ، ومن ثم سفيراً في لندن (١٩١١–١٩١٤)، ثم تولى منصب الصدر الأعظم عام ١٩٢٢ وهو أخر من تولى هذا المنصب قبل زوال الدولة العثمانية ، توفي في ٨ تشرين الأول عام ١٩٣٦. للتفاصيل أنظر:

Ar.M.wikipedia.org.

(١٦١) للتفاصيل عن البنود الكاملة لمعاهدة أستانبول أنظر:

Traite De paly Definitif, in: Ekinci, Op. Cit., PP.111-122.

(١٦٢) **جورج الثاني:** ولد في أثينا في ١٩ حزيران ١٨٩٠ وهو الأبن الأكبر للملك اليوناني قسطنطين الأول وشقيق الكسندر الأول، أرسله والده إلى المانيا ليتعلم في المدارس الحربية الالمانية أصبح والياً للعهد عام ١٩١٣ وشارك في الحروب البلقانية، أصبح ملكاً على اليونان مرتين الأولى (٢٧ أيلول ١٩٢٢–٢٥ أذار ١٩٢٤)، ثم (٣ تشرين الأول ١٩٣٥ – ١ نيسان ١٩٤٧)، توفي في الأول من نيسان عام ١٩٤٧ عن عمر ٥٦ عاماً. للتفاصيل أنظر:

Wiki.https://ar.m.wikipedia.org.

(١٦٣) كامل صدقي وعبد الواحد حمدي، تاريخ حرب الدولة العلية ودولة اليونان سنة ١٨٩٧، ط١، المطبعة الاميرية الكبرى، (القاهرة، ١٣١٥ هـ)، ص ٩٣–٩٦.

(164) Anderson, the Eastern Question …, P.263; Kinley, Op. Cit., P.3.

(165) L.Eversley, the Turkish Empire Birth and Decay, (London, 1975), P. 365.

للتفاصيل عن الإصلاحات العثمانية في مقدونيا بعد الحرب العثمانية – اليونانية، أنظر: العبيدي، أنس إبراهيم خلف، المشكلة المقدونية، ص ١٥٣-١٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

أ – العثمانية:

1- T.C. Basbakanhk Osmanh Arsive, (Republic of Turkey Prime Ministry ottoman Archives), Istambul, BOA.Y.A.R.E.S, 86/32.

2- ـ , BoA.Y. PRK.Es,.A., 26/128. Tese Sughgestion were also, Presented to Terfik pasa by the German ambassador on the Same day. BoA., 145/19.

3- ـ , BOA.Y.A.R E.S., 86/83., See Appendix F.for the full teyt of this Telegram.

ب – البريطانية:

1- Foreign office (F.o.), Acconnt and apers, Vol. 98, N.I.

2- ـ , Accont and Papers, Vol. 98., From Lord Lyons to Earl Granville, Paris, 14 May 1880

3- ـ , F.o. From Earl Granville to Her majesty's, Represen to tiesatst parise Berlin, vieena, Roma, and Sant petresburg, 7 May 1880

4- ـ , F.o., From Lord Lyons to Earl Granville, 26 April, 1881.

5- ـ , From Earl Granville to Her Majesty's Embassies of Berlin, Roma, vieena, and sant Petersbarg, 22 May 1880.

6- ـ , From Earl Granville to Lord Lyons, 11 May, 1880.

7- ـ , From Earl Granville to Lord Lyons, 10 May 1880.

8- ـ , From Earl Granville to Sir Elliot, 15 May 1880.

9- ـ , From M.De. Griers to Earl of Defferin, Santpetesburg 7 May , 1880.

10- ـ , From Macorber to Eorl Granville, 31 July, 1880.

11- ـ , From Sir Apget to Earl Granville, Roma, 1 June 1880.

12- ـ , Memorarandom Communicated to Earl Granville by. M. Leonsay, 31 May 1880.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

أ – الفرنسية:

1- France Ministere des Affaires Documents Diplomatiques, (Paris, 1931), vol. LXXV11.

ب – البريطانية:

1- Anderson, M.S, The Great Powers and the Near East (1774-1923), Document of Modern History, (London, 1970).
2- Bridge, F.R. (ed.), Foreign Policies of the Great Powers, Vol.VI, from Sadowa to Sarajevo, The Foreign Policy of Austria- Hangary 1866-1914, (New York, 1972).
3- Hurewitz., J. C. (ed.), The Middle East and North Africa in world Politics, A Documentery Record, Vol. I Enropean Expansion 1535-1914, 2nd. ed., (London, 1975).
4- Hurst, Michael (ed.), key Treaties for the Great Powers 1815-1914, vol.11, (London, 1971).
5- Wiener, Joel: H. (ed.), Great Britain: foregin Policy and the Span of Empire (1689-1971), A Documentary History, Vol. 111, (New York, 1972).

ج – العربية:

١- كنز الرغائب في منتخبات الجوانب، جمع وتعليق سليم فارس الشرياق، ج٧، ط١، (أستانبول ١٢٩٨ هـ).

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة:

أ – العربية:

١- ابو غالي، يسري خميس حسن علي، السياسة البريطانية والفرنسية في البلقان (١٨٧٨-١٩١٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠١٨.
٢- بدر، حسين عبد الواحد ، المسألة اليونانية (١٨٢١-١٨٣٢) دراسة تاريخية في ثورة اليونان وإستقلالها عن الدولة العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
٣- البديري، حمزة ملغوث فعل، الدبلوماسية الأوروبية خلال حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) دراسة تأريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية إبن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٤.

٤- الجبوري،أكرم جمعة صالح ، العلاقات العثمانية – اليونانية (١٩٠٨-١٩٢٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٥.

٥- الجبوري،عماد حمد صالح عبد الحليم ، موقف بريطانيا من إنقلاب الأتحاديين في الدولة العثمانية (١٩٠٨-١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

٦- جديع، منير عبود ، روبرت سالزبيري ودوره في سياسة بريطانيا الخارجية (١٨٩٥-١٩٠٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (إبن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠١٢.

٧- حياوي، بان غانم احمد ، العلاقات العثمانية – الألمانية (١٨٨٢-١٩١٨) – دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١.

٨- الدغلاوي، حسين عبد السادة عبد الزهرة، الإدارة العثمانية في البانيا (١٨٧٦-١٩١٢)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٢٣.

٩- الصامري، ساهرة حسين محمود، أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) إصلاحاته والتطورات في البلقان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠.

١٠- العبيدي، أنس إبراهيم خلف، أزمة البوسنة (١٩٠٨-١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨.

١١- ــ ، المشكلة المقدونية (١٨٧٨-١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

١٢- العبيدي، محسن حمزة حسن، الأزمة البلقانية (١٨٧٥-١٨٧٨) دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.

١٣- محمد، ميسون ناصح جواد، القضية الألبانية دراسة في جانبيها السياسي والثقافي (١٨٧٨-١٩٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢١.

١٤- المهداوي، هشام صبحي إبراهيم ، المصالح الروسية والنمساوية – المجرية في البلقان (١٨٧٨-١٩١٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات للعلوم والأداب والتربية، جامعة عين شمس، ٢٠٢٠.

ب – الأجنبية:

1- AL. Amir, Yakthan Sadonn, British Recation to Germany's Ottoman Policy, (1870-1885), Astudy of Ottoman Policies Pursued by British and German Government and their Political and Commerical Conseqnences During the Period 1870-1885, Thesis of Doctor School of Social Sciences University of Brad forad, England, 1978, Vol. 11.

2- Davidson, Ronald VAN., French Diplomacy and the Balkans (1900-1914) A thesis in History, Submitted to the Graduate Faculty of Texas Technologi in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts, June 1968.
3- Ekinci, Mehmet ugur, The Origins the 1897, Ottoman-Greek war, A Diplomatic History, Amaster's Thesis, the Department of History, Blkent University, Ankara, July, 2006.
4- Kinley, Christopher, Reclaiming the Vnredeemed: Irredenstism and the National Schism in Greece's First world war, Athesis Submitted to the faculty of the University of North Carolina at Charlotte in Partial fulfillment of the Requiremenst for the Degree of master of Arts in History. (Charlotte, 2016).

رابعاً: المصادر العربية والمعربة:

١- بيلافيتش، تشالز وبربارا ، تفكيك أوروبا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) ١٨٠٤-١٩٢٠، ترجمة: عاصم الدسوقي، ط١، دار العالم الثالث ، (القاهرة، ٢٠٠٧).
٢- التكريتي، هاشم صالح ، المسألة الشرقية المرحلة الأولى (١٧٧٤-١٨٥٦)، ط١، دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩٠).
٣- حمدي، كامل صدقي وعبد الواحد، تاريخ حرب الدولة العلية ودولة اليونان سنة ١٨٩٧، ط١، المطبعة الاميرية الكبرى، (القاهرة، ١٣١٥هـ).
٤- الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٦).
٥- دولينا، أنينل الكسندروفنا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، ترجمة أنور محمد إبراهيم، ط١، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ١٩٩٩).
٦- سلطان، علي ، تاريخ الدولة العثمانية، ط١، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، (بيروت، ١٩٨٩).
٧- الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط١، ج١، (القاهرة، ١٩٨٠).
٨- علي، أورخان محمد، السلطان عبد الحميد الثاني ، حياته وأحداث عهده، ط١، (الأنبار، ١٩٨٧).
٩- عياد، محمد كامل، اليونان، ج١، ط٣، دار الفكر، (الإسكندرية، ١٩٨٠).
١٠- كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، ط١، مطبعة الأرشاد، (القاهرة، ١٨٩٨).
١١- المحامي، محمد فريد بيك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١، دار الجيل، (بيروت، ١٩٧٧).

١٢- محمد، عبد الغفار ، الدولة العلية واليونان وولايات البلقان، ط١، المطبعة الهندية، (القاهرة، د.ت).
١٣- موستراس، س.، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، ط١، دار إبن حزم، (بيروت، ٢٠٠٢).
١٤- يحيى، جلال ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ط١، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، ١٩٨٣).

خامساً: المصادر الأجنبية:

أ – باللغة الأنكليزية:

1- Anderson, Frank. M, and Amos shartle Hershey, Handbook for the Diplomatie History of Enrope Asia, and Africa 1870-1914), (New York, 1969).
2- Anderson, M.S., The Eastern Question (1774-1923), Astudy in International Relation, (London, 1965).
3- Ashmead, Sir Ellis, Bartlett, The Battleefields of Thessaly, (London, 1897).
4- Badem, Candan, the Ottoman Crimean war (1853-1856), (Boston, 2012).
5- Burbank, Jane and Others (eds.), Russia Empire 1700-1930, Space, People, Power, (Indian University Press, 2007).
6- Carrie, Rene Albreecht, A Diplomatic History of Europe Since the Congress of Vieena, (New York, 1969),
7- Creasy, Edward. S., The ottoman Turks from the Beginnig of their Empire to the presnt Time, (London, 1878).
8- Davison, Roderic, Refrom in the Ottoman Empire 1856-1876, (New Jersey, 1963).
9- Dmytrshyn, Basil, AHistory of Russia, (New York, N.D.).
10- Eliot, C.H., Turkey in Europe, (Paris, 1882).
11- Ererley, Lord, The Turkish Empier from 1288 to 1914, (New York, 1969).
12- Eversley, L., the Turkish Empire Birth and Decay, (London, 1975).
13- Genov, Tsont, The Russo – Turkish war (1877-1878), and the Liberation of Bolgaria, (sofia, N.D.).
14- Gewehr, Wesley. The Ris of A Nationalism in the Balkans 1800-1913, (New York, N.D.).
15- Greaville, J.A.S. (ed.), Lord Salisbury and Foreign Policy, (London, 1969).

16- Hall, Walter and Phlips and Davis, The course of Enrope Since waterloo, (New York, 1957).
17- Hamitto, Richord. F., The Origins of world war I, (Cambridge University Press, 1964).
18- Heutly, W.A, and others, Ashort tlistory of Greece from early time to 1964, (Cambridge University Press, 1965),
19- Jelavich, Barbara, Russian's Balkan Enlagements 1806-1914, (Cambridge University Press, 1991).
20- Langer, William, the Diplomacy of Imperalism 1890-1902, (New York, 1968).
21- Macartney, C.A., the Habsburg Empire 1790-1918, (London, 1968).
22- Marriott, J.A.R., The Eastern Question A Historical Study in European Diplomacy, (Oxford University Press, 1969).
23- May, Arthur. J., the Habsburg Monarchy 1867-1914, (Harvard University Press, 1960).
24- Miller, M.W., A History of Greece People 1821-1921, (New York, 1922).
25- Miller, William, The Ottoman Empire 1801-1913, (Cambridge University Press, 1913).
26- Mowat, R.B., M.A., A History of Enropean Diplomacy 1815-1914, (London, 1927).
27- Oudaki, Auna Frang and Keyder Coglar, ways to Modernity in Greece and Turkey, Encounters with Europe 1850-1950, (N.D., 1977).
28- Poole, Stanley Lane, History of Turkey, (Beirnt, 1966).
29- Postgate, R.W (ed.), Revolution from 1789- to 1906, Documents Selected, (New York, 1962).
30- Poulton, Hugh, who are the Maced onians, (London, 1995).
31- Putoo, Arben, A Diplomatic History of the Albanian Question, (Tirana, 2003).
32- Schevill, Ferdinand, A History of Enrope from the Reformation to the Presnt day, (London, 1964).
33- Sherrard, Philip, Ernestbenn, Modern Greece History, (London, 1968).
34- Skendi, Starro, Albania and south Slavie Oralepis Policy (Philadel Phia, 1954).

35- Stavrianos, Leften Starros, The Balkan Since 1453, (New York, 1958).
36- Swallow, Charles, The Sick Man of Europe, Ottoman Empire to Turkish Re public 1789-1923, (London, 1973),
37- Temperley, Harold, England and the Near East (The Crimea), (London, 1964).
38- Toynbee, Arnold, The Eastern Question in Turkey, (Corenell University Press, 1924).
39- Turner, C.R., Europe Since 1870, (New York, 1927).
40- Verandsky, George, Political and Diplomatic History of Russia, (Boston, 1936).
41- Whates, H., The Third, Salisbury A Dminstration 1895-1900, (New York, 1967).
42- Whitney, Smith, Flags Arms Across the world, (London, 1980).
43- William, Yale, The Near East, Amodern History, (Michigan, 1968).
44- Woodhouse, C.M., The story of Modern History of Greece, (London, 1968).
45- Yarde, A. The Formation of the Creek People, (New York, 1977).

ب – باللغة التركية:

1- Danis, Ismail Hami, mend, Osmanli Devlet Erkani, Türkiye rayinevi, (Istanbul, 1971).
2- Kocabos, Süleyman, Sultan II Abdülhamid, Sahsiyetive Politikasi, (Istanbul, 1995).
3- Sun, Selim, 1897 Osmanli-Yunan Harbi, (Ankara, 1965).

سادساً: الأبحاث والمجلات:

١- البديري، حمزة ملغوث، موقف مترنيخ من أحداث المسألة الشرقية (١٨٢٣-١٨٤٠)، مجلة أبحاث ميسان، العدد (٣٤)، المجلد (١٤)، كانون الأول ٢٠٢١.
٢- ـ ، تغلغل نفوذ إمبراطورية النمسا – المجر في البلقان ١٨٦٧-١٨٧٩، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٨٢)، كلية الآداب، جامعة بغداد، (آب، ٢٠٢٢).
٣- محمود، ساهرة حسين، الحرب الصربية – البغارية وضم الروميللي الشرقية إلى بلغاريا (١٨٨٥-١٨٨٨)، مجلة آداب البصرة، العدد (٧٩)، جامعة البصرة، ٢٠١٧.

سابعاً: الموسوعات:

1- Encyclopedia American, (New York, 1959), Vol.28.
2- Encyclopedia Americana, (New York, 1962), Vol. 13.
3- Encyclopedia Americana, (New York, 1975), Vol.2.
4- Encyclopedia Britannica, Inc., 1988), Vol5 3, 4, 5, 6, 7, 8, 10.
5- The New Univirsal Encyclopedia, (London, 1977), Vol.15.

ثامناً: المواقع الإلكترونية:

1- Ar.m.wikipedia.org.
2- Httip//Wikipedia. Alexander Karatheod pasa. Ori.
3- Wiki,https://ar.m.wikipedia.org.
4- Wikipedia the free Encyclopedia.

ابن جبير
الرحالة والشاعر العربي الأندلسي

د. ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي
وزارة التربية

ابن جبير الرحالة والشاعر العربي الأندلسي

د. ندى عبد الرزاق محمود الجيلاوي

الملخص :

بحثنا حول ابن جبير الرحالة والشاعر العربي الأندلسي في سيرته الشخصية والعلمية، وأيضا أسس البحث التاريخي عند ابن جبير من حيث منهجه وأسلوبه ، ومنها رحلاته الثلاث التي قام بها فكانت الأولى والثالثة بدافع ديني وهو الحج إلى بيت الله الحرام ، اما الرحلة الثانية فكانت لدافع سياسي ، ومن بين رحلاته الأولى والمدوّنة وأهمية وشهرة هذه الرحلة وما لها من مكانة في الأدب الجغرافي والأكثر في قيمتها التاريخية التي جذبت اهتمام وعناية الجغرافيون والمؤرخون من العرب والمستشرقين برحلة ابن جبير والأخذ عنه بما تغني وتفيد مادتهم سواء التاريخية منها أو الجغرافية ، والمعلومات المهمة عن الحقبة التاريخية التي أمضاها ابن جبير متجولا بين بلدان المشرق خلال حكم الدولة الأيوبية والغزو الصليبي لمصر وبلاد الشام ، وعن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين وعن أحوال المسلمين في العهد النورماندي في جزيرة صقلية .

Ibn- Jubayr
The traveler and poet of the Arab Andusian

Dr. Nada Abd alrazak M. Aljilawi
Ministry of Education

Abstract:

Our search about Ibn- Jubayr the traveler and poet of the Arab Andalusian in the personal and scientific biography and also the foundations of historical research at the Ibn- Jubayr in terms of his approach and his style , including three trips carried out were first and third motivated by religion , a pilgrimage to the House of God , while the second trip was a political motive , and between the first and written his trips and the importance and popularity of the trip and its position in the geographical literature , the most in the historical value that attracted the care and the attention of geographers and historians of the Arabs and orientalists trip Ibn- Jubayr and taking with him , including enrich , according to their material , whether historical ones or geographical , and

important information about the historical era in which he spent Ibn- Jubayr itinerant between the orient countries during the rule of the state Ayyubid and Crusader invasion of Egypt and the Levant(bilad alsham) , and the relations between Muslims and Christians and Muslims in the conditions of the Covenant Normandy in Sicily .

المقدمة :

ابن جبير الكاتب والرحالة والشاعر والمحدث العربي ، وهو رحالة عربي أندلسي ، وعلما من أعلام الرحلة في الأدب الجغرافي العربي ، واختيارنا لابن جبير جاء من أهمية وشهرة رحلته الأولى والمدوّنة ، وما لها من مكانة مرموقة في الأدب الجغرافي ، ولكن قيمتها التاريخية أكثر من قيمتها الجغرافية ، فقد قدم لنا ابن جبير من خلال رحلته المدوّنة وهي الرحلة الأولى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٥م ، معلومات مهمة عن الحقبة التاريخية خلال المدة التي أمضاها ابن جبير متجولا بين بلدان المشرق خلال حكم الدولة الأيوبية والغزو الصليبي ، ورسم لنا صورة واضحة عن السلطان صلاح الدين الأيوبي وانجازاته في مصر والشام والحجاز وإصلاحاته الدينية والعمرانية وتوطيد دائم العدل والاستقرار ، كما أشار إلى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الشام والتسامح الديني بينهم ، ووضع المسلمين في جزيرة صقلية إثناء حكم النورمان .

اما قيمتها الجغرافية فهي اقل أهمية ، لان ابن جبير لم يهتم بالجانب الطبيعي كالسطح والمناخ والموارد المائية ، إلا أشارات محدودة عن الجبال والصحارى والأنهار ، كما أهمل المظاهر الاقتصادية كالصناعة والزراعة واكتفى بوصف عام ، وقد ركز على الجوانب الثقافية والدينية ، وقد ترك لنا ابن جبير رحلته المدوّنة والمشهورة وديوان شعر ورسائل نثرية كسبت بعض الشهرة ، لكن رحلته التي ضمنت له مكانة عظيمة في الأدب الجغرافي .

وتكمن أهمية ابن جبير ورحلته وما احتوت من مواضيع متنوعة ، وتكمن أهميتها في تصوير حياة ذلك العصر ، فقدمت لنا وصفا حيا لمصر والشام عندما بدأت فيها حركة التحرير والجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وقد سجل ابن جبير أثناء رحلته هذه يوما بيوم مشاهداته وانطباعاته التي كانت من أهم مصادر كتابة الرحلة عن المدن والبلدان والشعوب التي تعرّف عليها مما جعل رحلته سجلا أمينا للأوضاع

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأقطار البحر المتوسط الإسلامية ، فضلا عما تميزت به من وصف حي للمدن والأقاليم ، وعن أشارات تاريخية وطبوغرافية ومناخية ، وذاعت شهرة هذه الرحلة بين الجغرافيون والمؤرخون ، واقتبس منها العديد من الرحالة والمؤرخين ، وكذلك اعتبرت رحلة ابن جبير من قبل المستشرقيين ذات قيمة نفيسة ، فترجموا أول شيء القسم الخاص بصقيلة إلى اللغة الفرنسية ، ثم طبعت الرحلة كلها لأول مرة سنة ١٨٥٢م ، وتلتها تحقيقات وطبعات أخرى للرحلة .

ولأهمية رحلة ابن جبير اعتبره المستشرقيين الأب الشرعي لهذا النمط من الكتابة الأدبية الجغرافية العربية ، وبالرغم ما حملته الرحلة من عناوين إلا ان عنوان الرحلة الأصل هو " تذكرة الأخبار عن اتفاقيات الأسفار" لكن هذه الرحلة لم تشتهر إلا بـ " رحلة ابن جبير".

أولا : سيرة ابن جبير الشخصية والعلمية :

أ- سيرته الشخصية :

١- اسمه وكنيته ونسبه .

هو محمد بن احمد بن جبير بن سعد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكناني البلنسي ، الشاطبي ، الأندلسي ، المالكي ، يكنى بـ (أبو الحسن) ، والمعروف بابن جبير الكناني[١] ، وكان من الأسماء المحببة إلى أسرته ، فقد حمله الكثيرون من قبله[٢] .

اما نسبه : فيرجع إلى إحدى الأسر العربية العريقة التي قدمت من المشرق مع القائد العربي المشهور بلج بن بشر بن عياض القشيري ، وسكنت الأندلس في سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م ، وابن جبير من ولد ضمرة ابن كنانة بن بكر بن عبد مناة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣].

٢- مولده ونشأته .

اختلف المؤرخون في مولد ابن جبير ، فقد ذكره لسان الدين ابن الخطيب[٤] ، في سنة ٥٣٩هـ /١١٤٤م ، في حين جعله المقري[٥] ، ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[٦] ، في بلنسية[٧] .

اما نشأته : فقد أوردت بعض المصادر عن نشأة ابن جبير تحت رعاية واهتمام والده احمد الذي كان من كتّاب شاطبة[٨] ، ورؤسائها وله منزلة اجتماعية مرموقة ، حيث أتم ابن جبير دراسته في شاطبة ، وأراد والده ان يكون ابنه (ابن جبير) مثله ، فرعاه رعاية تامة ، وعني بتربيته ، فكان له الأب والمعلم ، ووالده هو أول أستاذ اخذ منه العلم ثم درس العلوم الدينية واللغوية على أيدي معلمين محترفين ، فشغف ابن جبير منذ صباه بالعلم شغفا ملك كل حواسه ، ولم يفارقه طوال حياته[٩] .

٣- وفاته .

توفي ابن جبير في الإسكندرية بمصر ، أثناء رحلته الثالثة إلى المشرق في شهر شعبان **سنة** ٦١٤هـ/١٢١٧م ، وقبره بالإسكندرية[١٠] ، ويبدو ان ابن جبير لم يرجع إلى مسقط رأسه مرة أخرى بعد هذه الرحلة الثالثة التي أمضى أكثر من عشرة سنوات متنقلا بين مكة وبيت المقدس والقاهرة والإسكندرية مشتغلا بالتدريس والأدب إلى ان انتقل إلى جوار ربه الكريم في هذه المدينة الأخيرة[١١] .

ب - سيرته العلمية :

١- تحصيله العلمي .

سبق وان ذكرنا في نشأة ابن جبير ، انه حظي باهتمام وتشجيع من قبل والده على الدراسة منذ طفولته واستمر معه شغف العلم حتى وفاته ، فدرس ابن جبير العلوم الدينية واللغوية من فقه وحديث وقراءات ، وما اتصل بها من علوم اللغة العربية والنحو والأدب ، فرغبته في العلوم الدينية واللغوية يسّرت له من ناحية أخرى مواهبه الشعرية والأدبية من نثر وشعر وهذه المواهب نراها من خلال رحلته المدوّنة وهي تضمنت الفن القصصي ، وهو من أنواع أو فن من فنون الأدب العربي[١٢] ، فولعه وتمكنه بالأدب والشعر أعانته كثيرا على تدوين رحلته التي قام بها احتسابا لوجه الله تعالى ، بأسلوب أدبي رفيع وعلمي دقيق جعلته في مصاف الخالدين والمشهورين ، وعلما من أعلام الرحلة في الأدب الجغرافي العربي[١٣] .

٢- ابن جبير الشاعر .

على الرغم من تفوق ابن جبير في العلوم الدينية واللغوية ، تفوق أيضا وبرع في الجانب الأدبي ، فابن جبير شاعر غزير الإنتاج . وقد ذكر المؤرخون انه مدح من اتصل بهم من الموحدين ، لكن هذا في بداية نظمه للشعر ، وبالرغم من ذلك لم يصل الينا شيء من ذلك المديح[١٤] ، ولشدة إعجابه بصلاح الدين الأيوبي[١٥] ، وعدله وحبه للمسلمين عامة وتيسيره قوافل الحجاج فنظم فيه مدائح وصل الينا بعضها ، ومن شعره :

وإذا أحب الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناسِ [١٦]

ومن خلال الاستدلال بالرحلة على تاريخ ما اتصل بأحداثها من شعر ، واغلبه ديني يصور الحج وزيارة قبر الرسول محمد (ﷺ) ومشاهدة الآثار الدينية ، وبقية شعره يودع فيه ابن جبير أهله ووطنه ، ويتشوق إليهم في المواطن والمواسم الدينية ، والشعر الديني أكثر ما بقي من شعر ابن جبير لما كان عليه من تديّن وتصّوف[١٧] .

ومن شعره :

طول اغتراب وبَرْح شوقٍ لا صبر والله لي عَليْهِ

إليك أشكو الذي ألاقي يا خير من يشتكى إليه

ولي بغرناطةٍ حبيب قد علق الرَّهن في يديه

ودعته وهو بار تماضٍ يظهر لي بعض ما لديه [١٨]

والموضع الثاني الذي أكثر فيه النظم في الجانب الأدبي هو الرثاء ، ويبدو انه لم يرثِ غير زوجته أم المجد عاتكة بنت الوزير أبي جعفر الوقشي ، التي كان يحمل لها أعظم الحب . فماتت بسبته[١٩] ، ولم يستطع البقاء بها ، وقام برحلته الثالثة والأخيرة إلى المشرق ليخفف من أعباء حزنه ، وفي تلك الأثناء اخذ يعبر عن حزنه وفقدانه لزوجته شعرا ملأ به ديوانا خاصا سماه " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " فكان أول ديوان عربي ، افرده شاعر عربي لرثاء ولبكاء زوجته الراحلة[٢٠] .

٣- شيوخه ومعاصروه وتلاميذه .

ذكرنا في موضوع نشأة ابن جبير ان أول أستاذ كان له هو والده الذي سمع منه ، واخذ منه العلم ، ثم تتلمذ على أيدي علماء محترفين سمع منهم ، واخذ عنهم ، وأجازوا

له ، وفي أماكن متعددة ، ففي مدينة شاطبة فكان أقامته الأولى ، نذكر منهم على سبيل المثال ، أبا الحسن بن محمد بن أبي العيش الذي اخذ عنه علم القراءات ، وعن أبي الحجاج بن يبقا بن يسعون اخذ اللغة العربية ، فكان ابن جبير يسعى إلى علمائه في كل مكان حط به ، ولم يقتصر على علماء الأندلس ، بل كان له أساتذة ممن لقيه في مدينة سبتة ومكة وبغداد وحران ودمشق وغيرها . ففي مدينة سبتة اخذ العلم عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي . وأجاز له العالم أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ[٢١] . وفي دمشق سمع من أبي الطاهر الخشوعي ، وأجاز له أبو محمد بن أبي عصرون ، وأبو محمد القاسم ابن ، وغيرهما ، ممن شهدوا له جميعا بالفضيلة والعلم[٢٢] .

اما معاصروه ، ففي رحلاته التقى ابن جبير بأكابر العلماء كابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، صاحب كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ، والمشهور في بغداد ، وأيضا التقى بصدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية باصبهان[٢٣] ، وكانت بينهما بعض المخاطبات الشعرية ، وقد أعجب ابن جبير بخلقه وبعلمه حتى خاطبه قائلا :

يا من حواه الدين في عصره صدرا بحل العلم منه الفؤاد

ماذا يرى سيدنا المرتضى في زائرٍ يخطب منه الوداد [٢٤]

اما عن أشهر تلاميذه على سبيل المثال لا الحصر هو احمد بن عبد المؤمن الشريشي ، شارح مقامات الحريري في المغرب العربي ، وكثيرون الذين تأثروا به ، ومنهم الحافظان أبو محمد المنذري ، وأبو الحسين يحيى، وعلي القرشي بالقاهرة ، وفخر القضاة بن الجياب ، وابنه جمال القضاة في الإسكندرية[٢٥] .

٤- وظائفه .

عندما بلغ ابن جبير السّن الذي يستطيع فيه ان ينفرد بحياته العملية ، ويضطلع بأعبائها ، احترف الكتابة ، وبما ان أبيه كان من أشهر كتّاب مدينة شاطبة ، ورغبة أبيه بان يكون ابنه مثله ، فعمل ابن جبير ككاتب لبعض الأمراء من الموحدين الذين كانوا يسيطرون على الأندلس والمغرب في ذلك الوقت ، ومن أشهر من اتصل به أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، الذي عقد له أبوه على ولاية سبتة وطنجة[٢٦] في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م ،

ولما خضعت غرناطة في جنوب اسبانيا لسلطان الموحدين سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ، أضافها عبد المؤمن إلى ولاية ابنه أبي سعيد . ويبدو ان ابن جبير بدا حياته العملية بالاتصال ببعض أقارب الأمير أبي سعيد بغرناطة ، ثم ما لبث ان التفتت إليه أنظار الأمير ، وتقرب إليه فضمه إلى كتّابه ، وتنقل معه بين غرناطة وسبته[٢٧] .

ولم يقتصر عمل ابن جبير على عمل الكتابة وحدها ، بل أيضا عمل بالتدريس وخاصة بعد رحلته الثانية ٥٨٥هـ/١١٨٩م إلى الشرق ، فانقطع مدة في مدينة فاس للتحديث ورواية ما عنده وممارسة التصوف ، وكذلك فعل ذلك عندما كان في المشرق[٢٨] .

٥- رحلاته :

- الرحلة الأولى في سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م

يذكر المؤرخ المقري[٢٩] عن سبب رحلة ابن جبير الأولى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م ، في ان أمير غرناطة أبا سعيد استدعاه يوما ليؤلف فيه كتابا وهو في مجلس شرابه ، وحدث ان دفع إليه كأسا فاظهر ابن جبير الانقباض وقال :" يا سيدي ما شربتها قط " غير ان الأمير غضب وقال :" والله لتشربن منها سبعا " فلما

رأى ابن جبير منه الإصرار لم يستطيع إلا الإذعان وشرب ، وأحس الأمير بشيء من الندم ، أو لعله أراد ان يكافئ ضيفه على مجاملته له ، فقدم له سبعة أقداح مملؤة بالدنانير الذهبية وصبها في حجره فحملها ابن جبير إلى بيته وعزم ان يكفرّ عن شربه الخمر بأداء فريضة الحج ، وباع ملكا له ليتزود به ، وانفق تلك الدنانير الذهبية في سبيل البر ، واستأذن الأمير أبا سعيد في الحج لكيلا يمنعه ، وابلغه انه اقسم قسما لا رجعة فيه ان يحج في تلك السنة فأذن له [٣٠] .

فبدأ ابن جبير رحلته إلى الأراضي الحجازية في شوال سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م برفقة صديقه أبو جعفر احمد بن الحسن بن احمد بن الحسن القضاعي ، وكان من مدينة بلنسية ، وكان من رجال الطب والعلم والأدب ، فرحلا معا[٣١] ، فابن جبير في سن مبكرة رحل حيث كان عمره وقتذاك ٣٨ سنة متوجها للحج فغادر غرناطة ، وخط سير رحلته معروف لنا جيدا بفضل الإشارات الدقيقة والتواريخ المحددة للرحلة ، فقد مر بسبته وسار بمحاذاة سواحل سردينيا وصقلية حتى دخل ميناء الإسكندرية ، ومنها ركب النيل

إلى القاهرة ، ثم غادرها إلى صعيد مصر فوصل بلدة قوص التي قطع منها الصحراء الشرقية إلى البحر الأحمر ليستقل من ميناء عبذاب ، وهو المرفأ المعهود للحجاج على البحر الأحمر ، ونزل بجده ، واخذ قافلة إلى مكة حيث أقام هناك حوالي نصف عام ، ثم زار المدينة في طريقه إلى الكوفة ، وتوقف في بغداد وسامراء فالموصل فحلب ومنها إلى دمشق التي أمضها بها بضعة أشهر قبل ان يغادر الأراضي الإسلامية ، لان السواحل الشامية كانت آنذاك في قبضة الصليبيين ، وكان من حسن طالعه ان تعرف إلى المشرق وهو لا يزال ينعم بالازدهار والأمن في ظل السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فدّون مشاهداته فيه بأسلوب بارع ، ولكنه خالٍ على كل حال من تصنع المحترفين ، دون ان يتنكر يوما لثقافته الفقهية ، ومن ميناء عكا ركب ابن جبير سفينة مسيحية فنزل بصقلية وذلك بعد رحلة طويلة حافلة بالمشاق لم تخل من كوارث هددت السفينة أكثر من مرة بالغرق ، وفي هذه المرة استطاع ان يتعرف على جزيرة صقلية عن كثب وانها لا تزال إسلامية في المحل الأول ، وفي نيسان من سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وصل غرناطة بعد غيبة دامت أكثر من عامين(٣٢) .

- الرحلة الثانية في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م .

قام ابن جبير برحلته الثانية في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م عندما بلغه نبأ فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، الذي تعلقت به آنذاك أنظار المسلمين كبطل يعرف كيف يحقق الانتصارات ، وأراد ان يزور هذه الأماكن وعَلمُ الإسلام والعرب يرفرف عليها ، واستمرت هذه الرحلة سنتين ، وعاد إلى بلاده في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ، ولكننا لم نجد أية تفاصيل عن هذه الرحلة ، والتي نستخلص من السنوات ان عمره آنذاك كان ٤٥ سنة في رحلته الثانية(٣٣) .

- الرحلة الثالثة في سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م .

عندما عاد ابن جبير إلى بلاده في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م من رحلته الثانية ، ماتت زوجته فحزن عليها حزنا شديدا ، وقد خصها بديوان من شعره ، ولم يجد عزاء عنها إلا ان يحج إلى بيت الله الحرام وكانت رحلته الثالثة والأخيرة ، فقد بدأها من سبتة سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م ، وكان قد بلغ الثالثة والسبعين من عمره ، ويبدو ان ابن جبير لم يرجع

إلى مسقط رأسه مرة أخرى بعد رحلته الثالثة التي أمضى فيها أكثر من عشرة أعوام متنقلا بين مكة وبيت المقدس والقاهرة والإسكندرية مشتغلا بالتدريس والأدب حتى وفاته[٣٤] .

٦- مكانته العلمية .

كان ابن جبير على جانب عظيم من المزايا العالية ،والخلق الرفيع ، فوصفه احدهم ، فذكر بأنه " كان أديبا " بارعا ، وكاتبا بليغا ، وشاعرا مجيدا ، فاضلا نزيه الهمة سري النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة في الخط[٣٥] .ويصفه ابن الخطيب[٣٦] فيذكر بأنه :" كان كريم الأخلاق ذا نظم فائق ، ونثر بديع ، كلامه مرسل سهل ، وتغراضه جليلة ، ومحاسنه ضخمة ، وذكره شهير وله حكم مستجادة " ، نستشف من هذا الوصف مكانة ومنزلة ابن جبير العلمية منها والأدبية ، وما تمتع به ابن جبير من أسلوب في الكتابة والخط ، وتناوله للمواضيع وكيفية طرحها ونقدها سواء بالكتابة شعرا أم نثرا ، ويذكر أيضا:" هو من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب ....." .

اما المقري[٣٧] فيذكر :" كان ابن جبير من أهل المرؤات ، عاشقا في قضاء الحوائج ، والسعي في حقوق الأخوان ، والمبادرة لإيناس الغرباء " . وفي ذلك يقول ابن جبير عن نفسه ، عندما قطع احد الأغصان الصغيرة

من شجرة كبيرة ، عندما كان في دمشق ، فانشد قائلا :

لا تغتربْ عن وَطنٍ واذكر تصاريف النوَّى

اما ترى الغضن إذا ما فارق الأصل ذوَى[٣٨]

لقد تمتع ابن جبير بمكانة مرموقة بين الناس من خلال خدمة الناس وقضاء حوائجهم حتى كان بوده ان يخدم الناس عن إسداء المعروف والعمل الصالح ، وهذه النفحة الإنسانية الخالصة لوجه الله تعالى التي جاءت من تأدبه بآداب الإسلام ، وتشعبه بحب الرسول (ﷺ) وآل بيته الأطهار ، نعم لقد كان ابن جبير مؤمنا ناسكا ، متمسكا بدينه ، وعقيدته حتى قيل عنه ان الدعاء " عند قبره مستجاب " وقد " عني بالآداب فبلغ فيها الغاية ، وتقدم في صناعة القريص وصناعة الكتابة ، ونال بها دنيا عريضة ، ثم رفضها وزهد فيها "[٣٩] .

٧- مؤلفاته .

ذكر لنا حاجي خليفة[٤٠] عن مؤلفات ابن جبير وهي :-

- " رحلة ابن جبير الكناني " وهي رحلته الأولى المشهورة والمطبوعة .
- " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " ، وهو ديوان شعر ألفه عن زوجته .
- " نظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان " ، وهو ديوان شعر عن سخط وأخوان الزمان .

ثانيا :- أسس البحث التاريخي عند ابن جبير :

أ- منهج ابن جبير وأسلوبه .

مر ابن جبير في رحلته بمصر ، وشبه الجزيرة العربية ، والعراق ، والشام ، وصقلية ، وشاهد مدنها الكبيرة ، فصورها ووصفها في كتابه تصويرا ووصفا يتفاوت طولا وقصرا وفقا للمدة الزمنية التي أقامها بها ، والانطباعات التي خلفها في نفسه ، وأهمية ما رأى أنها تستحق لكي يدونها ، نستشف ونستخلص من خلال طريقة ابن جبير أي منهجه في وصف المدن في ثلاث نواح : المرافق ، والمشاهد ، والارباض . وتضم المرافق في رأيه : الأسوار ، والحصون ، والمساجد ، والمدارس ، والحمامات ، والمياه ، والأسواق ، والمارستانات ، والمنازل ، والشوارع ، والأبواب ، بينما تضم المشاهد في رأيه ، المقابر ، والموالد ، وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء والمواقع والآثار الإسلامية ، والمعابد والكنائس ، ومواقع وآثار غير إسلامية ، في حين تضم الارباض الأحياء والضواحي السكنية ، وفي هذا الجانب لا يصف كل ذلك في كل مدينة ، بل التي يتعرض لها ويصفها ، فنجد انه يأتي على ذكرها أحيانا ويهمل الأخرى[٤١] .

ومن خلال كتابه نجد اهتمامه وعنايته بالغرباء ، ومواطنيه المغاربة خاصة : في كيفية معاملتهم من قبل الحكام وشعوبها ضمن الأقطار التي مر بها ، فيشيد بفضلهم وينبذ من يجفوهم[٤٢] .

ينفرد ابن جبير في كتابه أيضا في مدح السلطان صلاح الدين الأيوبي والتغني بأفضاله وجهوده الحربية والسلمية ، سواء شعرا أو نثرا ، وينتهز كل فرصة للثناء عليه[٤٣] .

ويذكر ابن جبير لكل إقليم نواح خاصة تغلبت عليه ، من طبيعة ولون الحياة فيه ، فأكثر ما تحدث عنه في مصر المشاهد والآثار ، وفي الحجاز الشعائر والمواسم والاحتفالات الدينية ، وفي العراق الوعظ والوعاظ ، وفي الشام المسجد الأموي والجوانب السياسية والاقتصادية من الحياة بين المسلمين والصليبيين وحياة الدماشقة الاجتماعية ، وفي صقلية أحوال المسلمين ومشاعرهم تحت حكم الملك غليوم ، وسياسته نحوهم(٤٤) .

فابن جبير يدوّن مشاهداته على صورة مذكرات يومية وليس كتاب متصل مطرد ، فنسق هذه المذكرات وفقا لمراحل الرحلة هو أو بعض تلاميذه . فاثر ذلك في عبارته تأثيرا كبيرا . فهي قريبة من اللغة العامية ، تتضمن بعض الألفاظ العامية والضمائر فيها مختلة لا تسير وفقا للقواعد العربية ، بل على القواعد العامية ، وخاصة في المثنى الذي يعامل كالمؤنث في اغلب المواضع ، وبعض الجمل تكون منفصلة لا يوجد ترابط بينها في كثير من الأحيان ، وبالرغم من ذلك ، فانه يفتتح الكلام عن المدن الهامة بفقرة تتزين بالسجع والجناس . وقد أعجب القدماء والمؤلفين المحدثين بفقراته المجودة وبعباراته المرسلة لسهولتها وطبيعتها وجمالها غير المتكلف ولا المصنوع(٤٥) .

وبما ان هدف ابن جبير هو الحج ، فقد ألزم ابن جبير ان يسلك طريق واضح هو طريق الحجاج من الأندلس حيث البحر المتوسط إلى الإسكندرية ثم نهر النيل ثم البحر الأحمر ثم البادية باتجاه العراق والشام والبحر المتوسط مرة أخرى . حيث الرجوع إلى مقر سكناه في الأندلس ، وان هذه الرحلات كانت تسير بشكل قوافل مما لا يتيح لابن جبير ان يبتعد كثيرا عن هذا الطريق ، لذا فانه اقتصر على تدوين ما شاهده خلال هذاالطريق أو قريبا منه(٤٦) .

ورغم ذلك فان ما ورد في رحلة ابن جبير من معلومات جغرافية ذات قيمة كبيرة باعتبار ان ما ورد عن طريق جانب من جوانب الدراسة الميدانية وهي المشاهدة الشخصية والتدوين اليومي لهذه المشاهدة ، وخصوصا ان ابن جبير كان متمكنا من حيث الثقافة والقدرة الفائقة في التدوين والكتابة والتعبير دون ان يطيل أو يسهب في العرض ، كذلك ان هذه الرحلة لدقتها خلت تماما من الأساطير والخرافات ، ولا يوجد بها أي تحيز لأي جانب من الجوانب(٤٧) .

ب – أهمية رحلة ابن جبير :

قامت شهرة ابن جبير على كتابه الذي دوّن فيه أخبار رحلته الأولى والتي وصفها على شكل يوميات أو مذكرات وقد كتبها بعد رجوعه سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وعنوانه غير معروف لنا بالتحديد ، ويوجد له عنوانان ، هما :" اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك " وهي الرسالة المعروفة تحت هذا الاسم ، والاسم الأخر " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " . ويمكن القول ببساطة ان العنوان ربما كان " رحلة الكناني " نسبة إلى القبيلة التي ينتمي إليها ، ولكن كتاب ابن جبير اشتهر فيما بعد تحت اسم " الرحلة " والتي يروي فيها حجته الأولى إلى مكة ، والذي لا يعتبر أول كتاب من هذا النمط بل أيضا كنموذج يحتذى به بالنسبة للآخرين ، فيسرد لنا ابن جبير فيها يوما فيوما ، والمصاعب والمخاطر التي تعرض لها . وقد وصف بإسهاب واسع المدن والأقطار التي مر بها ، من وادي النيل ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبغداد ، والموصل ، وحلب ودمشق وصقلية ، كما يقدم لنا معلومات مهمة عن حياة السكان وتقاليدهم وعاداتهم ، بأسلوب أدبي قصصي ، فهو يوجز عن وصف المدن والأقاليم ويجيد في اللمحات العامة عن الأقاليم ، ويكثر في وصف الناس وصفا متحركا ويظهر الرحلة ويقدمها تقديما بارعا ومميزا[٤٨] .

وكان ابن جبير دقيق الملاحظة ، صادق التعبير ، متنوع الالتفاف ، والموضاعات التي طرحها ، وكان العصر الذي قام فيه برحلته ، عصر الحروب الصليبية ، الذي كان مهم للمسلمين والمسحيين والغربيين والشرقيين ، فقد لفتت رحلته رحلته الأنظار منذ صدورها، وجذبت الكثير من القراء والدارسين في النواحي المختلفة ، فكثر الحديث عنها ، وكثر الأخذ منها والاهتمام بها[٤٩] .

فيذكر المقري[٥٠] ، بقوله في انتشار الرحلة في عصره :" له رحلة مشهورة بأيدي الناس " ، اما لسان الدين بن الخطيب[٥١]، فيذكر :" رحلته نسيجة وحدها طارت كل مطار "، وقال أيضا :" صنف الرحلة المشهورة ... وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن الأنفس إلى تلك المعالم " .

اما حاجي خليفة[٥٢] ، فيذكر :" له رحلة ابن جبير الكناني مشهور ومطبوع " .

وقد استرعى كتاب ابن جبير اهتمام المؤلفين المحدثين والمستشرقين لما له من قيمة كبيرة ، ومنها ما قاله الدكتور نقولا زيادة اللبناني :" عني كاتبها بالرسوم الدينية والنواحي الاجتماعية عناية فائقة ..... وهو في كل هذا دقيق الملاحظة ، سوي العبارة ، واضح الأسلوب . وقد اثر ابن جبير في كثير من الكتّاب الذين جاؤوا بعده"(٥٣)

وقال الدكتور محمد زغلول سلام المصري :" تُعد درّة من دُرَر أدب الأسفار والرحلات ..... بل يمتاز فيها بَملكَة لا قطة مصوَّرة "(٥٤) .

واما المستشرقين ومنهم بونس بويجس (Pons Boigues) فقد أشاد بالرحلة وكاتبها، وعدّ حديث ابن جبير عن الآثار ، وصقلية ، عظيم الأثر ، وخاصة لإهمال المؤرخين معالجة أحوال المسلمين في العهد النورمندي بالجزيرة وتفاهه ما كتبوه عنهم ونوه بأسلوب الرحالة ، وأعجب بوصفه العواصف ورأى ما رسمه لها من صور جدير بالنقل والترجمة لصدقه وحيويته وجماله(٥٥) .

واهتم المستشرقين ومنهم الايطاليين الذين وجهوا عنايتهم إلى نص الرحلة ذاته ، فتناول وليم رايت (William Right) ، النسخة الوحيدة الموجودة منها ، وحققها ونشرها في ليدن (Leiden) سنة ١٨٥٢م ، ثم راجع المحقق ما طبعه واشترك في تصحيحه من كبار المستشرقين وهم : دوزي (Dozy) ، وروبرتسون سميث (Robertson Smith) ، ودي غويه (De Goeje) ، وأعادوا نشر الكتاب في ليدن (Leiden) سنة ١٩٠٧م في مجموعة تحمل اسم جب (Gibb). وحقق المستشرق الايطالي أماري (Amari) القسم الخاص بصقلية من رحلة ابن جبير ونشره مع ترجمة فرنسية . واعتمد على الرحلة المستشرق كرولا (Crolla) في بحثه عن صقلية في العهد النورمندي ، وغير ذلك ما قام به المستشرقين من عناية وتحقيق ونشر رحلة ابن جبير(٥٦) .

واقتبس من رحلة ابن جبير العديد من المؤرخين والجغرافيين مشيرين إلى اسمه تارة واخذ قطعا كبيرة منه في مصنفاتهم تارة أخرى ، فمن بين الرحالة اخذ عنه العبدري في رحلته منها في وصف مكة المكرمة والمدينة

المنورة ، وخالد بن عيسى البلوي في رحلته " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " في وصف الإسكندرية والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة ، وابن بطوطة في رحلته

في وصف حلب ودمشق خاصة ، ومن بين المؤرخين ، اخذ عنه لسان الدين بن الخطيب ، والمقريزي ، والمقري الذي حفظ لنا روايات عديدة هامة منه ، وتلميذه احمد بن عبد المؤمن الشريشي (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م)[٥٧] .

الخاتمة :

لاحظنا من خلال بحثنا هذا ان ابن جبير الذي لم يقم برحلة واحدة ، بل قام بثلاث رحلات ، قصد فيها جميعا الحج ، الذي كان مقصد كل الراحلين من المغرب إلى المشرق ان لم يكن كلهم ، والذي وهب الأدب العربي مجموعة من أجمل ما عرف من رحلات وخاصة إذا أضفنا إليه طلب العلم ، وابن جبير لم يدوّن أخبار هذه الرحلات الثلاث كلها في كتابه ، بل اقتصر على رحلته الأولى وحدها ، وكل رحلة من هذه الرحلات كانت لها دوافعها الأولى ، كان الدافع هو الحج ، والثانية كانت عندما سمع بفتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس واستيلائه عليه من أيدي الصليبيين ، وما يكنه من حب وإعجاب بشخصية صلاح الدين الأيوبي وبعدله وإصلاحاته العمرانية والدينية كان قد امتدحه كثيرا في أبيات شعر . اما رحلته الثالثة والأخيرة فكانت بعد وفاة زوجته والتي حزن عليها حزنا شديدا ، وقد خصها بديوان من شعره ، ولم يجد عزاء عنها إلا ان يحج إلى بيت الله الحرام. نستطيع ان نستخلص من رحلاته ان رحلته الأولى والثالثة كانت لدافع ديني ، اما رحلته الثانية فكانت لدافع سياسي حماسي .

عني ابن جبير عناية فائقة في وصف وتقسيم المدن بثلاث أنواع : المرافق ، المشاهد، الارباض . وتضم المرافق الأسوار والحصون والمساجد والحمامات والمياه والأسواق والمارستانات والمنازل والشوارع والأبواب ، وتضم المشاهد المقابر والموالد وآثار الأنبياء والعلماء والأولياء والمواقع الإسلامية والمعابد والكنائس والآثار غير الإسلامية ، وأيضا يقدم لنا ابن جبير إحصائية لكل نوع من هذه المرافق ، مثلا عدد الحمامات في بغداد وعددها في دمشق ، اما بشكل مضبوط أو تقريبي .

وأهمية ما قدمه ابن جبير من معلومات وأخبار ذات قيمة تاريخية وهي التي امتازت به رحلته أكثر من قيمتها الجغرافية عن عصر الحروب الصليبية وحكم الدولة الأيوبية في

مصر وبلاد الشام ، وعن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، وعن أحوال المسلمين في العهد النورماندي في جزيرة صقلية ، وهذا ما جذب اهتمام الجغرافيون والمؤرخون من العرب والمستشرقين في الاهتمام والعناية برحلة ابن جبير ، في الأخذ عن ابن جبير والنقل عن رحلته في بعض الجوانب وبعض المدن التي تفيد وتغني مادتهم سواء التاريخية منها أو الجغرافية .

قائمة المصادر :

ابن الآبار ، محمد بن عبد الله (ت١١٩٩هـ/١٢٦٠م)

١- التكملة لكتاب الصلة ، صححه :عزت العطار الحسني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ،القاهرة ، ١٩٥٦م .

ابن جبير ، أبي الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)

٢- رحلة ابن جبير (وهي الرسالة المعروفة تحت اسم " اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك "

، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)

٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إعادة طبعه بالاوفست ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د٠ت) ،ج٦ .

ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٤- المغَرب في حلي أهل المغرب ، حققه وعلق عليه : د٠شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ،(د٠ت) .

ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)

٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د٠ت) ،ج٥ .

لسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

٦- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت) ، ذخائر العرب ١٧ ، ج٢ .

المراكشي ، محمد بن محمد الأنصاري الأوسي .

٧- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م،ج٥ .

المقري ، احمد بن المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٨٣م)

٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه وضبط غرائبه

وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١،مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، ج٣ .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٩- معجم البلدان ،ط٢ ،دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ،م١،م٣،م٤ .

قائمة المراجع :

اسود ، د٠فلاح شاكر .

١٠- ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية للرحلة ،مجلة المورد،١٤١٠هـ/١٩٨٩م،م١٨،ع٤ .

حميدة ، د٠عبد الرحمن .

١١- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر ، دمشق ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

خصباك ، د٠شاكر .

١٢- كتابات مضيئة في التراث الجغرافي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٩م .

الزركلي ، خير الدين .

١٣- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين) ، ط٣، بيروت ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،ج٦ ،ج٨ .

شمس الدين ، إبراهيم .

١٤- رحلة ابن جبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

ضيف ،د٠شوقي .

١٥- الرحلات ،ط٤،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٢٦م .

كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتش .

١٦- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام بمراجعته : ايغور بليايف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ،١٩٥٧م، ق١ .

مال الله ، د٠علي محسن عيسى .

١٧-" العراق في رحلة ابن جبير خاصة" ورحلات العرب الأخرى ، مجلة المورد ،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ،م١٨ ،ع٤ .

١٨- الموسوعة العربية الميسرة ،ط٢ المحدثة ، دار الجيل ، الجمعية المصرية ،(د٠ت)،م١.

الهوامش:

(١) انظر ترجمته في : المراكشي ، محمد بن محمد الأنصاري الأوسي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م،ج٥،ص٥٩٥ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إعادة طبعه بالاوفست ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د٠ت) ،ج٦،ص١٠٩ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت) ، ذخائر العرب ١٧ ، ج٢،ص٢٣٠ ؛ المقري ، احمد بن المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٨٣م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١،مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، ج٣،ص١٤٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) ، شذرات

الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،(د٠ت) ،ج٥،ص٦٠ ؛ ابن الآبار ، محمد بن عبد الله (ت١١٩٩هـ/١٢٦٠م) ، التكملة لكتاب الصلة ، صححه : عزت العطار الحسني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٦م،ص٥٩٨ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، ط٣،بيروت ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،ج٦،ص٢١٤ ؛ الموسوعة العربية الميسرة ،ط٢المحدثة ، دار الجيل ، الجمعية المصرية ،(د٠ت)،م١،ص١٧ .

(٢) كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام بمراجعته : ايغور بليايف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ،١٩٥٧م،ق١،ص٢٩٩؛ حميدة ،د٠عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر ، دمشق ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ،ص٣٢٢ .

(٣) لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج٢،ص٢٣٠ ؛ مال الله ، د٠علي محسن عيسى ، " العراق في رحلة ابن جبير خاصة" ورحلات العرب الأخرى ، مجلة المورد ،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ،م١٨ ،ع٤،ص٥٩ ؛ اسود ، د٠فلاح شاكر ، ابن جبير في رحلته قراءة في الجوانب الجغرافية للرحلة ،مجلة المورد ،١٤١٠هـ/١٩٨٩م ،م١٨ ،ع٤ ،ص٧٢ ؛حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ،ص٣٢٢ .

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج٢،ص٢٣٠ .

(٥) نفح الطيب ،ج٣،ص١٤٢ .

(٦) ابن العماد ، شذرات الذهب ،ج٥،ص٦٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ،ج٦،ص٢١٤ ؛ اسود ، العراق في رحلة ابن جبير خاصة ،ص٧٢ ؛ خصباك ، د٠شاكر ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص١٦٦ ؛ ضيف ،د٠شوقي ، الرحلات ،ط٤،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٢٦م ،ص٧٠ .

(٧) بَلَنْسِية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ، وتعرف بمدينة التراب . انظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ،معجم البلدان ،ط٢ ،دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ،م١،ص٤٩٠ .

(٨) شاطبة : مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة قديمة ، ويجوز ان يقال ان اشتقاقها من الشَّطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،م٣ ،ص٥٩ .

(٩) ضيف ، الرحلات ،ص٧٠ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ،ص ٥٩ .

(١٠) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥،ص ٦١ ؛ ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، المغْرب في حلي أهل المغرب ، حققه وعلق عليه : د٠شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ،(د٠ت) ، ص٣٨٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ،ج٦،ص٢١٤ ؛ خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ،ص١٦٧ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير خاصة ،ص٦٠ ؛ الموسوعة العربية الميسرة ،م١،ص١٧ .

(١١) اسود ، ابن جبير في رحلته ،ص٧٢ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١ ،ص٢٩٩ ؛ ضيف ، الرحلات ،ص ٧١ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٤ ؛ شمس الدين ، إبراهيم ، مقدمة تقديم وتعليق : رحلة ابن جبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ،ص٧ .

(١٢) ضيف ، الرحلات ،ص٧٠ ؛ خصباك ، كتابات مضيئة ، ص١٦٦ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص٥٩ .

(١٣) اسود ، ابن جبير في رحلته ، ص٧٢ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٢ .

(١٤) لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج١،ص٢٣١ .

(١٥) هو السلطان صلاح الدين ، أبو المظفر ، يوسف بن أيوب بن شاذي ، صاحب الديار المصرية والشامية والفراتية واليمنية ، استوزره العاضد الفاطمي ، وبعد مرض العاضد ووفاته ، قطع صلاح الدين خطبته وخطب للعباسيين ، وقام السلطان صلاح الدين في الفترة ما بين سنة ٥٨٣هـ و٥٨٩هـ/١١٨٧ و١١٩٣م بحملة الجهاد الكبرى في فلسطين وبلاد الشام عامة من الاحتلال الصليبي . توفي السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م . انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٨ ،ص٢٢٠ .

(١٦) ابن جبير، أبي الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ، وهي الرسالة المعروفة تحت اسم " اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك "، قدم

لـه ووضـع حواشيه وعلـق عليـه : إبـراهيم شـمس الـدين ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، لبنـان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ،ص٧٧ .

(١٧) ابن جبير ، م٠ن ،ص ٦٩-٩٩ ،١٢٥-١٣٦ ،١٤٣-١٥٣ .

(١٨) ابن سعيد المغربي ، المغُرب في حلي المغرب ،ج٢ ،ص٣٨٤ .

(١٩) سـبتة : بلـدة مشـهورة مـن قواعـد بـلاد المغـرب العربـي . انظـر: يـاقوت الحمـوي ، معجـم البلدان،م٣،ص٣٠٠ .

(٢٠) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص٩ .

(٢١) المراكشـي ، الـذيل والتكملـة ،ج٥،ص٥٩٥ ؛ ابـن الآبـار ، التكملـة لكتـاب الصـلة ، ص٥٩٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ،ج٣،ص١٤٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،ج٥ ،ص٦٠-٦١ .

(٢٢) المقري ، نفح الطيب ، ج٣،ص١٤٣ .

(٢٣) مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير خاصة ، ص٥٩ .

(٢٤) المراكشـي،الذيل والتكملـة ،ج٥،ص٥٩٦؛ لسـان الـدين ابـن الخطيـب، الإحاطـة فـي أخبـار غرناطـة،ج٢،ص ٢٣١؛ المقـري، نفـح الطيـب،ج٣،ص١٤٤؛مـال الله، العـراق فـي رحلـة ابـن جبير،ص٦٠ .

(٢٥) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج٥،ص٥٩٦ ؛ مال الله ، م٠ن ،ص٥٩ .

(٢٦) طنجة : مدينة في الإقليم الرابع ، بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، وهو في البر الأعظم وبلاد البربر . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،م٤،ص٤٣ .

(٢٧) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ،ص٧ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ، ص٥٩ .

(٢٨) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص٧ .

(٢٩) نفح الطيب ،ج٣ ،ص ١٤٥ .

(٣٠) المقري ، نفح الطيب ،ج٣ ،ص١٤٥-١٤٦ .

(٣١) م٠ن ،ج٣،ص ١٤٣ ،١٤٥ ؛ اسود ، ابن جبير في رحلته ،ص ٧٢ .

(٣٢) المقري ، نفح الطيب ،ج٣ ، ص ١٤٥-١٤٦ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص ٣٢٣-٣٢٤ ؛ كراتشكوفسـكي، تـاريخ الأدب الجغرافـي العربـي ،ق١ ،ص٢٩٩ ؛ خصـباك ، كتابـات

مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، ص١٦٦ ؛ ضيف ، الرحلات ، ص ٧٠-٧١ . ولمعرفة تفاصيل هذه الرحلة . انظر : ابن جبير ، رحلة ابن جبير .

(٣٣) حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ،ص٣٢٤ ؛ ضيف ، الرحلات ،ص٧١ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ،ق١،ص٢٩٩ .

(٣٤) حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ،ص٣٢٤ ؛ ضيف ، الرحلات ،٧١ ؛ كراتشكوفسكي ،تاريخ الأدب الجغرافي العربي ،ق١،ص٢٩٩ .

(٣٥) لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج٢،ص٢٣١ .

(٣٦) م٠ن ،ج٢،ص٢٣١ .

(٣٧) نفح الطيب ، ج٣ ،ص ١٤٢ ، ١٤٤ .

(٣٨) المقري ، نفح الطيب ،ج٣ ، ص ١٤٢ .

(٣٩) م٠ن ،ج٣،ص ١٤٤ ؛ مال الله ، العراق في رحلة ابن جبير ،ص ٦٠ .

(٤٠) كشف الظنون ،ج٦ ، ص ١٠٩ .

(٤١) انظر : ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٥، ٣٢-٣٣ ،٣٨، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣-٤٤ ،٦٦، ٨٤ ،٨٨، ٩١، ١٢٩، ١٤٣ ،١٥٠ ،١٧٨-١٧٩، ١٨٥، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،٢١٢، ٢٢٤، ٢٥٧ .

(٤٢) م٠ن ، ص٦٤ ،٢٢٢-٢٢٣ .

(٤٣) م٠ن ،ص ٣٤ ، ٤٦ ، ٢٣١ .

(٤٤) م٠ن ،ص ٢٢، ٢٤، ٣٣، ١٠٢، ١١٩، ١٢٥، ١٣٥، ١٤١، ١٥٧، ١٧١، ٢٣٦، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٥١- ٢٥٢ .

(٤٥) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ١٩ .

(٤٦) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ١٩ .

(٤٧) اسود ، ابن جبير في رحلته ،ص ٧٣ .

(٤٨) حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٣٢٤-٣٢٥ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ق١، ص ٢٩٩- ٣٠٠ .

(٤٩) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٠ .

(٥٠) نفح الطيب ، ج٣،ص ١٤٤ .

(٥١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢،ص٢٣١ .

(٥٢) كشف الظنون ،ج٦ ،ص ١٠٩ .

(٥٣) شمس الدين ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٠ .

(٥٤) م٠ن ،ص ٢٠ .

(٥٥) م٠ن ،ص ٢٠ .

(٥٦) م٠ن ،ص ٢١ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص ٣٢٥ .

(٥٧) شمس الدين، رحلة ابن جبير ،ص٢١؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٣٠٠.

البعد الحركي ومدلولاته في الخطاب القرآني

The kinetic dimension and its implications in the Qur'anic discourse

بحث مقدم الى دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية/ قسم البحوث

م.د .بشرى هادي علوش

Research submitted to the Department of Religious Education and Islamic Studies/Research Department
By the researcher
M.D. Bushra Hadi Alosh
bushra.alndawe@gmail.com
٠٧٧١٣٧٦٥٧٨١

ديوان الوقف السني

دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

البعد الحركي ومدلولاته في الخطاب القرآني

م.د .بشرى هادي علوش

المقدمة .

الحمد لله الذي خلق فابدع وصور فأحسن الصور والحمد لله على ما أنعم من بركات النعم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأمم سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم أما بعد...

فإنّ التعبير القرآني يتضافر على جماليات بعيدة الأثر قوية الايحاء في الاستخدام اللغوي والتشكيل الفني، فأن لقارئ القرآن يجد نفسه أمام الكثير من الحركات التي تغذي العقل وتشحنه بقوة الخيال وسعة الافاق، فإن لهذه الحركات مدلولات نفسية تعبر عن معاني هادفة لذلك وقع اخياري على عنوان البحث الموسوم (البعد الحركي ومدلولاته في الخطاب القرآني)،قمت ببيان مفردات البحث ومن ثم بينتُ أشكال الحركات الجسدية التي ذكرت في القرآن الكريم المتمثلة بالحركات الارادية والحركات اللاإرادية وبيان دلالتها النفسية ،ومن ثم بينت أنواع الحركات المتمثلة بالحركات السريعة والبطيئة وذكرت أمثلة وافية لها، ومن ثم بيان النتائج النهائية للبحث ،اتبعت الدراسة الوصفية في منهج البحث ويتكون البحث من ثلاث مباحث ولكل مبحث مطلبين ومن ثم خاتمة .

the introduction.

Praise be to God who created, created, and created the best images, and praise be to God for the blessings He bestowed, and prayers and peace be upon the Messenger, as a mercy to the nations, our Master Muhammad, and upon his family and companions, and peace be upon him. As for what follows...

The Qur'anic expression is combined with far-reaching aesthetics that are strongly suggestive in linguistic use and artistic formation. The reader of the Qur'an finds himself faced with many movements that nourish the mind and charge it with the power of imagination and breadth of horizons. These movements have psychological connotations that express purposeful meanings. Therefore, I chose the title of the tagged research. (The motor dimension and its implications in the Qur'anic discourse), I explained the research vocabulary and then explained the forms of physical movements mentioned in the Holy Qur'an, represented by voluntary movements and involuntary movements, and explained their psychological significance. Then I explained the types of movements represented by fast and slow movements and provided ample examples of them.

المبحث الاول :التعريف بمفردات البحث .

المطلب الاول : الحركة لغة واصطلاحا .

اولاً :الحركة لغة : (ح رك: الحركة ضد السكون و حركه فتحرك وما به "حراك" أي حركة، وغلام "حرك" أي خفيف ذكي، و "الحارك" من الفرس فروع الكتفين وهو الكاهل)[١].

قال صاحب لسان العرب: (من حرك: الحركة: ضد السكون، حرك يحرك حركة وحركا وحركه فتحرك، قال الأزهري: وكذلك يتحرك، وتقول: قد أعيا فما به حراك، قال ابن سيده: وما به حراك أي حركة)[٢] .

ثانيا: الحركي اصطلاحا: من الحركة وتعني: الحركة في الكم: هي انتقال الجسم من كمية إلى أخرى، كالنمو والذبول.

الحركة في الكيف: هي انتقال الجسم من كيفية إلى أخرى، كتسخن الماء وتبرده، وتسمى هذه الحركة: استحالة.

الحركة في الكيف: هي الكيفية الحاصلة للمتحرك، ما دام متوسطًا بين المبدأ والمنتهى، وهو أمر موجود في الخارج.

الحركة في الأين: هي حركة الجسم من مكان إلى مكان آخر، وتسمى نقلة.

الحركة في الوضع: هي الحركة المستديرة المنتقل بها الجسم من وضع إلى آخر، فإن المتحرك على الاستدارة إنما تتبدل نسبة أجزائه إلى أجزاء مكانه ملازمًا لمكانه غير خارج عنه قطعًا، كما في حجر الرحا[٣].

(الحركة مظهر من مظاهر الوجود الحي، فبدءا من الذّرّة حتى المجرات نجد أن الحركة سمة المخلوقات، وكذلك هي سمة الكائنات الحية، فالحركة حياة والسكون موت، كما تؤكد حركة الوجود بثّ الروح فيه وطواعيته للخالق عزّ وجلّ، وهي ليست حركة عمياء، بل قدّر لها كلّ شيء)[٤].

المطلب الثاني : تصوير الحركة بالصوت .

من المحدثين من تلمّس جمالية البطء في التشكيلة الصوتية للمفردة نفسها، أي توالي الفتحات والضمات ومواقع الشّدّات، وطبيعة الأصوات، وهذا المنهج يميّز تفسير السيد قطب، وقد تأكد سابقا في كتابه «التصوير الفني» كما نجده على قلّة من الشواهد في كتاب

بـدوي، ثـم راح الآخـرون يؤكّـدون هـذه يـرى قطـب أن الصـورة الصـوتية رسـمت الحركـة المعنية،:(وإنك لمدرك أنّ صورة التبطئة أدّتها الكلمة «ليبطّئنّ» بجرسها إضافة إلى ما أدّته النونات في الكلمتين السابقتين من تأكيد لهذا الجرس الخاص)[٥].

ولم تربط هذه الظاهرة الفنية بمعطيات علم اللغة، فبقيت غالبا في مظانّ الوهم، ويبدو هنا أن حركة الفتح تقابل السير الطبيعيّ المعتاد، ثم يمثّل الخمول والتراجع بالوقوف على الشّدّة، وما يتبعها من كسر الطّاء، من هذا القبيل كلمة «يترقّب» من قوله تعالى:﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾ [٦] ، فإذا قرأنا تعليقهم لمسنا فيه شطحة خيال، وشيئا من التعتيم، لأن هذه النظرة لا تقوم على منهج علمي، إنما تظل غامضة وعالقة بذوق مبهم، أو انبهار كبير، يقول سيّد قطب: «هناك مفردات قرآنية من نوع آخر، يرسم صورة الموضوع لا بجرس الموسيقى، بلّ بظلّه الذي يلقيه في الخيال، فمفردة «يترقّب» ترسم هيئة الحذر المتلفّت في المدينة التي يشيع فيها الأمن والاطمئنان في العادة» ،لم تخل نظرات السيد قطب أحيانا من جنوح إلى التوهّم، وتحميل المفردة طاقة من ذاته، فهو يعدّ مفردة ما مجسمة للحركة بجرسها، والقارئ لا يرى لحركة إلا في مضمون المفردة التوصيلي إذ يقول جلّ وعلا عن آدم وحواء:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ [٧]، فهو يرى أن لفظة «أزلهما» تصور الحركة على أنها تعني الحركة فقط، ولا حاجة لاستنباط ما لا يوجد فقد جاء في تفسيره: «إنه لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبّر عنها، وإنك لتكاد تلمح الشيطان، وهو يزحزحهما عن الجنة، ويدفع بأقدامهما فتزلّ وتهوي»[٨].

ويصور لنا السيد قطب جمالية أخرى في التعبير القرآني للحركة ،من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [٩] والتعبير القرآني الفريد يرسم هنا صورة حافلة بالحركة ، تنبئ عن مصير كل مسجد ضرار يقام إلى جوار مسجد التقوى ، ويراد به ما أريد بمسجد الضرار وتكشف عن نهاية كل محاولة خادعة تخفي وراءها نية خبيثة وتطمئن العاملين المتطهرين من كل كيد يراد بهم ،

مهما لبس أصحابه مسوح المصلحين :﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١٠] ..

فلنقف نتطلع لحظة إلى بناء التقوى الراسي الراسخ المطمئن .. ثم لنتطلع بعد إلى الجانب الآخر! لنشهد الحركة السريعة العنيفة في بناء الضرار .. إنه قائم على شفا جرف هار .. قائم على حافة جرف منهار .. قائم على تربة مخلخلة مستعدة للانهيار .. إننا نبصره اللحظة يتأرجح ويتزحلق وينزلق [١١].﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [١٢] .. الذين بنوا هذه البنية ليكيدوا بها هذا الدين! إنه مشهد عجيب ، حافل بالحركة المثيرة ترسمه وتحركه بضع كلمات! .. ذلك ليطمئن دعاة الحق على مصير دعوتهم ، في مواجهة دعوات الكيد والكفر والنفاق! وليطمئن البناة على أساس من التقوى كلما واجهوا البناة على الكيد والضرار! ومشهد آخر يرسمه التعبير القرآني الفريد لآثار مسجد الضرار في نفوس بناته الأشرار وبناة كل مساجد الضرار :﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [١٣] .

المبحث الثاني : أشكال الحركات وتعبيرها في الخطاب القرآني .

الحركة جزء حيّ من الحياة، فهي سمة الكائنات الحية، فالحركة حياة والسكون موت، وكثيراً ما تنم لدى الإنسان عن حالات شعورية ترتبط بها في علاقة تفاعلية سببية، وهذا ما تنبّه عليه (جويو) عندما تطرق لجمالية الحركة في الحياة والفن فقال: "فالجمال الأسمى في الحركات إذن من غير الحركات، إنه يأتي من فوق، ويأتي من أفق الإرادة والعواطف، ولكي نجد تعليله الصحيح، فلا بُدَّ من الصعود إلى هذا الأفق أفق الإرادة والعواطف" [١٤]، (وتتأتّى جمالية الحركة في الفن من قدرتها على تلوين النص بالحيوية والسياق بالديناميكية والمواقف بالفاعلية، وهذا ما يجعل القارئ أكثر تجاوباً وأشدّ تجاذباً مع النص) [١٥].

(نظرا للدور الذي تؤديه الحركات وملامح الوجه في التعبير عما في النفوس ،فإننا نجد هذا النوع حضورا كبيرا في آيات الله تعالى ،فقد نقلت لنا الآيات تعبيرا ت كثيرة من خلال هذه الحركات ،كل حركة تؤدي دورها في التعبير، ولها مدلول نفسي يختلف عن

سابقتها ،ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان اغلب الحركات كانت متمركزة في منطقة الراس وهي فيما يتعلق بحركة العين وما يحيط بها اكثر، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على دوره في التعبير عما في النفوس) [١٦].

المطلب الاول : الحركات الارادية .

(أثبت علماء النفس من خلال تجارب عملية أجروها على الإنسان في حالات متباينة أن الانفعالات النفسية على اختلاف ألوانها تصاحبها مظاهر جسمية خارجية تبدو على قسمات الوجه وملامح العين ونبرات الصوت وهيئة البدن وحركات الجسم) [١٧]،وقد استوفى القرآن الكريم بعضاً من هذه المظاهر بوصف دقيق لِما لها من تأثيرات وجدانية تجعل الصور أقدر على تقريب المعاني إلى الأذهان وأدعى لإثارة الخيال على التمثيل.

ويعد تغيير ملامح الوجه، سواء بالحسن أم بالقبح، من أبرز المظاهر الخارجية التي شخّصها التصوير القرآني للدلالة على الانفعالات النفسية [١٨].

١-تعبيرات العين : مرة يحدثنا عن استراق النظر مثل مفردة (طرف خفي) ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [١٩] ، وتارة مد العين كناية عن الطمع فيما عند الغير مثل مفردة (تَمُدَّنَّ) كما في قوله تعالى :﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٠] ، وتوصف العين بالخيانة بمفردة (خائنة) كقوله تعالى :﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [٢١] .

ومرة تصف الآيات نظرات الانسان : تارة من طرف خفي المرسل في قوله (تدور أعينهم)، فمفردة (تدور) توحي بدلالتها النفسية على إن نظراتهم شاردةً تائهةً تتحرّك يميناً وشمالاً وترى أبصارهم تحدق إلى الرسول ، وكأنّهم يستغيثون به خوفاً، ومثلهم في ذلك كمن يكون في حال الاحتضار، فيعاني من آلام النزع أشدّها، ومن سكرات الموت أمرّها، وتسكن جوارحه كلُّها إلاّ عينيه تضطربان اضطراباً شديداً، وتتحرّكان في كلّ الجهات، وكأنّه يحذر أن تنزل به الشدائد من تلك الجهات، وقد اجتمع في هذه الصورة الصدق الفني والصدق الواقعي؛ لأنّ (أدق ما يميز الخائف حركات عينيه، فقد يستطيع الخائف أن يتحكم

في كل عضوٍ من أعضائه، وكل حركة من حركات جسمه، بحيث لا يظهر على خوفه أحدٌ، لكن شيئاً معيناً لا يستطيع . مهما تبلغ به قوة الأعصاب أن يتحكم فيه، هو حركة عينيه، فلا بدّ أن تظهر فيهما انفعالات خوفه ورعبه)[٢٢]،

وتارة تصف زوغان البصر، مثل مفردة (زاغت) كقوله تعالى :﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [٢٣] واخرى شخوص البصر ،وتارة تقلب البصر، مثل مفردة (شاخصة) كقوله تعالى : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [٢٤] .وللعين حركات لاإرادية مثل وصف المنافقين كقوله تعالى :﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [٢٥] وفيض الدمع مثل مفردة (تفيض) كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [٢٦]،وتعبيرات الوجه لوحظ أن الآيات التي تنقل لنا تعبيرات الوجه كانت تتركز في منطقة العين وما يجاورها مثل اللمزمثل مفردة (يلمزك) من قوله تعالى :﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[٢٧].

صفة العبوس اكثر مايرسمها على الوجه تقطيب الحاجبين، مثل مفردة (عبس) من قوله تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [٢٨] ، وقوله تعالى :﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ [٢٩] .ومن الالفاظ التي تأتي تعبر عن حركة العين لفظة (ليزلقونك) ففي قوله تعالى ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٣٠] ، فإنّ لفظة " ليزلقونك" تحاكي بثقلها حركات عيون المشركين تجاه النبي عندما يسمعون تلاوة القرآن، فحدّة النظر وشذرات العيون ما هي إلاّ تعبيرٌ عما تكنّه نفوس الكافرين من العداوة والبغضاء والكراهية والضغن والنقمة والحسد إزاء الرسول الأكرم ، ففي اللفظة المعّبرة إشارة صوتية تمثّل "كفار قريش ومواقفهم ونظراتهم الحادة المليئة بالحقد، وتشخص أبصارهم، وكأنّها تودّ أنْ تبطش وتنتقم من الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم ... ويؤكّد شدة معنى (ليزلقونك) جرسُها وإيقاعُها وتأكيدُها باللام، ونطقُ حروفها التي تُحدِث حركةً غير منتظمة في اللسان، تبتدئ بانزلاق اللسان، وتنتهي بتعلقها بوسط الفم من العلو، كما أنّها تنطق عن نفسية كفار مكة . وهم في أشدّ تحرشهم وهيجانهم على الرسول صلى الله عليه وسلم . وتبدو معالم هذه النفسية وهي تموج حقداً وبغضاً وغِلاً"(٣١).

٢-حركات الجسم :اما حركات بقية أعضاء الجسم فبعضها من قبل الاستعانة به كالأيدي حيث اغلبها كان الاشتراك فيما بينها و بين الوجه ،وتارة تشترك اليد مع الفم في التعبير ومنه عض الاصابع كمفردة (عضّوا) ثم يتبعها بمفردة (الانامل) من قوله تعالى ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣٢) ، في قوله تعالى:﴿ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ ﴾ (تنبئ عن الحقد الدفين الذي يخفيه أهل الكتاب تجاه المسلمين، وذلك شأن المصاب بالعُصاب النفسي أو المغتاظ حين لا يجد لغضبه العارم وحقده الشديد منفذاً للتفريغ، فيدور على نفسه، يصبّ عليها جام غضبه، ويوجّه العدوان إليها في حركات هستيرية تؤذي نفسه قبل الآخرين) (٣٣).

٣-حركات الرأس : وقد تكرّرت حركة الرأس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾(٣٤)،إن التقاط هذه الحركة لرؤوس المنافقين وهي تميل وتنعطف يشير إلى ما تحمله نفوسهم من الاستهزاء والترفع تجاه هذا العرض، وهنا يمكن الاستئناس في الكلمة (لَوَّوْا) بالتشديد على الواو مع تكرارها للإيحاء بهذا الموقف الشعوري (٣٥).

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (٣٦).

(إن هذه الحركة المكنونة في لفظ (فَسَيُنْغِضُونَ) والتي تعني "تحريك الرأس نحو الغير"، تصوّر بدقة ما يداخل نفوس المنافقين من سُخرية وكبر واستنكار حين يأتيهم الجواب

بأن الله الذي أنشأهم ،أول مرة قادرٌ على أن يردهم إلى الحياة، وكأنّهم بحركتهم تلك يكشفون النقاب عن نفوسهم الساخرة غير آبهين بما يقوله الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن البعث بعد الموت، لأنه في زعمهم أمراً لا يصح ولا يعقل، فيكون هذا الإحساس الخاطئ أدعى لإثارة السخرية في نفوسهم، وفي الجار والمجرور (إليك) تمثيل لهذه الحركة في وجه الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم –، وبذا تغدو الصورة المتحركة ماثلة للعيون بكل أبعادها وحاضرة في الذهن بكل خطوطها، كما أن ملامح الصورة اكتملت بفضل الحوار الذي يعبر أيضاً عن استهزاء المنافقين واستبعادهم لمجيء هذا اليوم العظيم) [٣٧].

وبعض الآيات تنفرد فيها الايدي تعبيرا عن الخسارة والندامة (يقلّب كفّيه) من قوله تعالى :﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [٣٨] ، تشكل هذه المفردات صورة كنائية حركية تتكفل بنقل مشاعر الندم التي عاشها الرجل الكافر وهو يرى مزرعته مدمرة، ويشاهد مناظرها البهيجة مهشمة محطمة، والتعبير بحركات الجسد حالةٌ معروفةٌ لدى الإنسان على إثر الصدمات النفسية الحادّة، إذ إنّ راحة اليد البشرية تقدّم أقوى الإشارات الصامتة للاطلاع على نفسية مستعمليها [٣٩]، وهناك تعبير لليد بالإشارة، فاستعمل مفردة (فأشارت) مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [٤٠].

واحيانا تنفرد الارجل بالتعبير عن الحالة النفسية ،لكنها لا تستغني عن تعبيرات الوجه.

وقد وصف المشي في حالات فهي اما : مشية تكبر فأستعمل مفردة (مرحا) مثل قوله تعالى :﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [٤١] وواضح دور الراس في التعبير عن التكبر فهو يرتفع للأعلى ، مشية التواضع فاستعمل مفردة (هونا) مثل قوله تعالى :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [٤٢] ،الاستحياء كقوله تعالى :﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٤٣] .

المطلب الثاني : الحركات اللاإرادية .

كما نجد حضورا لتلك التعبيرات من الحركات اللاإرادية التي تصدر عن الانسان كالصراخ والبكاء والضحك مثل اسوداد الوجه في حالة الهلع والفزع كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [٤٤]،والهلع اكثر ما يصيب القلوب ، لذلك استعمل لفظة (زاغ) ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[٤٥] .

نظرة الوجه واستبشاره مثل قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [٤٦]

و﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[٤٧] فحركات الوجه علامات على الحالة النفسية وفي القرآن

مواضع عديدة من هذا الباب[٤٨] ، وعلى إثر الجرجاني جاء الخطيب القزويني[٤٩]، فأثنى على الصور الحركية لما فيها من طرافةٍ ومتعةٍ وتنشيط للخيال ، فقال: "ومن بديع المركب الحسي ما يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة" [٥٠].

إنّ الجرجاني يرى أنّ الجمال الأسمى يكمن في الحركات ذوات الاتجاهات المتضادة أو المختلفة؛ لأن ذلك أشدّ إظهاراً للحركة، وأبعد عن الثبات، وأقدر على جلب الانتباه، غيرَ أنّ ذلك لا يعني أنّه ينفي الجمال في الحركات ذوات الاتجاه الواحد[٥١].

ولم تكن معالجة جمالية الحركة بمنأى عن الدرس البلاغي القديم، إذ درسها البلاغيون في مباحث التشبيه، فحين اكتفى بعضهم بذكر الشواهد الشعرية مجرداً من التعليق[٥٢]. وتتأتى جمالية الحركة في التصوير من أنّها تعمل على تلوين النص بالحيوية، وشحذ الخيال، وتوسيع دائرة الجمال في الرؤية، و"تقوم الحركة في اللغة بتوظيف المشاعر والتأثير فيها؛ لأنّ اللغة في حركتها إنّما تثير الحسّ الجمالي لدى الإنسان، ويزداد الحس إثارةً كلما تواصلت حركة اللغة التي تولد بدورها الانفعال والمتعة في آن واحد، الانفعال بدلالة الكلمة، والمتعة بجمال

دلالاتها التي تضفي على النفس هالةً من الأطياف والانبعاث والنشاط، وبما تُلقي فيها من إيحاءات وتخيلات ذهنية وفكرية ونفسية، تتحرك معها عواطف الإنسان"[٥٣]، وهذا يعني أنّ الحركة التي تمثلها القيم التعبيرية في اللغة "تدلّ على حركة النفس كما تعكس حركة الإحساس فتمنح الوجدان باقاتٍ من الجمال.

المبحث الثالث : أنواع الحركات وتعبيرها في الخطاب القرآني .

وغايتنا التحدّث عن الحركة التي تنقلها بعض مفردات القرآن، ومن ثمّ البحث في أنواع هذه الحركة، وبسط علاقتها الوشيجة بالحالة الشعورية، واستحقاق مطابقتها لحكم المنطق[٥٤] .

ما دامت التصرفات ترجمة لما يرسله الدّماغ المتأثر بالمشاعر من أوامر عن طريق الأعصاب، فتتحرّك العضلة المطلوبة، لذلك تنحصر غايتنا في الدافع النفسي للحركة، وحجم تصويرها للمواقف، وكشفها بدقّة عن المشاعر الدفينة، مما يثير مشاعر القارئ بالصورة [٥٥].

المطلب الاول:- الحركة السريعة في الخطاب القرآني ودلالتها.

وظّف الخطاب القرآني الحركةَ السريعة في مقامٍ يتطلب السرعة ويستدعيها، ويكثر ذلك في مشاهد القيامة ومناظرها المرسومة، إذ لم تعد تلك المشاهد موصوفة فحسب، بل عادت حية متحركة تخفق معها قلوب المؤمنين تارةً لما يرون من آياتِ العذاب، ويعاودهم الاطمئنان تارةً أخرى لما يرون من نعيم الله وجزيل ثوابه، من ذلك هذا المشهد الذي يعتمد في تصويره على الحركة السريعة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾[٥٦].(يسعى : أي يسرع [٥٧]، يرِد السعي في مدلوله اللغوي بمعنى المشي السريع، وهو دون العَدْو) [٥٨]، وهذه السرعة الملحوظة في حركة السعي تناسب الإسراع بالمؤمنين إلى دخول الجنة أكثر من الحركة التي تتضمنها لفظتا (السير) أو (المشي)، لما في دلالاتهما من التباطؤ الذي لا ينسجم مع موقف التكريم والترحيب)[٥٩].

(ولا يخفى ما تؤديه صيغة المضارع (يسعى) من دلالة نفسية من استحضار الصورة، وكأنها ماثلة أمام الأعين مع أنها موغلة في عمق الغيب، وإنّ

الخيال ليرتادُ آفاق الصورة ليتتبَّع حركتها، ثم يرتدّ إلى النفس، فيغمرها بالجلال ويملأها بالاشتياق العارم إلى الجنة) [٦٠].

قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم – عليه السلام –: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[٦١]. ويقال: (هوى يهوي هويانا، ورأيتهم يتهاوون في المهواة إذا سقط بعضهم في إثر بعض)[٦٢]، (إنّ شعور النبي إبراهيم – عليه السلام – بحاجته الماسّة إلى معونة الله دعاه أن يتوجّه إليه بالدعاء، وهو دأب الأنبياء والصالحين، فلقد أسكنَ إبراهيم – عليه السلام – أهله في وادٍ مجدبٍ مقفر مجاور للبيت الحرام، وما دعاؤه إلاّ طلب لتأنيس مكانهم بكثرة تردّد الزائرين عليهم، واللافت في النص هو ما تشير إليه لفظة (تهوي) من حركة سريعةٍ مكتظّة بحرارة القلوب التي تكادُ تطير نحو هذا

المكان شوقاً ومحبةً) [٦٣]، يقول البقاعي[٦٤] : (تُسرِع نحوهم برغبة وشوق إسراعَ مَنْ ينزل من حالقٍ، وزاد المعنى وضوحاً وأكّده بحرف الغاية الدالّ على بُعدٍ، لأنّ الشئ كلّما بعُدَ مدى مرماه اشتدَّ وقعُه)[٦٥].ومن المفردات الاخرى التي تدل دلالة نفسية على سرعة السقوط، مفردة (خرّ) المذكورة في قوله تعالى:﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [٦٦]، (حيث يضع النص القرآني حقيقةَ الشرك والانحراف من أفق التوحيد وسمو الفطرة في اطار صورة حركية وبصرية يتملاّها الخيال، وهي صورة من يهوي من علوّ السماء في حركاتٍ سريعة متتابعة، لكنّه لا يقع على الأرض، بل تمزّقه أنياب الطيور الجارحة في لمحة خاطفة، وإذا أخطأته الجوارح فإنّ الريح الشديد تقذف به في عمق الوديان والجبال بعيداً عن الأنظار ليختفي إلى الأبد) [٦٧].

والذي يُلحظ في الصورة (هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ بالفاء، وفي المنظر بسرعة الاختفاء)[٦٨] ، (والمشهد يبدأ بحركة عنيفة يرافقها صوتٌ يملأ الآذان رُعباً، لأنّ "خرّ" يعني السقوط مع حصول الصوت منه [٦٩]،

فضلاً عن أنّ جرس الفعل يصوّر المعنى ويلقي ظلّ الشدة والعنف والقضاء الحاسم، وتتبع حركةَ السقوط حركتا (الخطف والهوي) إبرازاً لحقيقة الضياع والتلاشي في صورة محسوسة، فالأفعال الثلاثة "خرّ، تخطفه، تهوي" بدلالاتها وتعاقبها تقوم بتصوير الحركات المتلاحقة مسرعة من نقطة الانطلاق إلى حيث الانتهاء)[٧٠].

مفردة "انجينا" في قوله تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[٧١] نجد هذه الكلمة في المعاجم اللغوية انها تدل على السرعة والخلاص من الشيء ، يقال :ناقة ناجية ونجاة سريعة (والنجاء: السرعة في السير، وقد نجا نجاء، ممدود، وهو ينجو في السرعة نجاء، وهو ناج: سريع. ونجوت نجاء أي أسرعت وسبقت)[٧٢]، والنجاة والنجوة من الارض وهي التي لا يعلوها سيل ،وقولهم بيني وبينهم نجاة من الارض اي سعة من الباب لأنه مكان يسرع فيه وينجى، ومن هنا يلحظ ان (أنجينا) في السور التي تتحدث عن نجاة نوح ومن معه من المؤمنين ،تدل على معنى السرعة ، وفيها تصوير لسرعة الحركة في تخليص الله تعالى لنبيه واستجابة دعائه .

ففي قوله تعالى: ﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧٣] ، فتبين في سياق هذه الآية طول المحاجة الاسراع في النجاة له ولمن معه فقد بلغ الامر غايته ،فالفعل (انجينا) يصور لنا سرعة إجابة الله تعالى لنبيه ، وسرعة إنجاءه ومن معه من القوم الظالمين .

مفردة "الإتيان "،المجيء" في قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ [٧٤]،اصطفى كلمة (الإتيان)دون المجيء، لان الاتيان كما يقول الراغب :(لإتيان: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أَتِيّ وأَتَاوِيّ ، وبه شبّه الغريب فقيل: أتاويّ ، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض)[٧٥]. (فكلمة الاتيان فيها تصوير لحركة السرعة في مجيء العذاب بسهولة حتى انه يسعى نحوهم باختياره وإرادته

،فاقتضت هذه الكلمة بهذا المعنى لان القوم ينكرونه ويستبعدون حدوثه ،فكلمة الاتيان أدق هنا لأنها تعني مجيء العذاب من مكان قريب فقد خرج من الارض وتفجرت به عيونا ، وهذا يصور طغيان الماء وحركته السريعة في الانتشار والاختلاط بماء السماء النازل)[٧٦].

ومن المفردات التي تدل على الحركة مفردة "تجري ،وتسير" في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾[٧٧]،والجري: هو المر السريع وقد استعمل القرآن كلمة (تجري)ومشتقاتها مع السفينة إحدى عشر مرة ،واستعمل كلمة (تجري) للأنهار كقوله تعالى: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ﴾[٧٨]، (ولهذا كانت مادة (جرى) ومشتقاتها أنسب الصيغ الممكنة للتعبير عن حركة السفينة في البحر لا نها تلاءمت مع استخدام هذه المادة مع الانهار فناسبت الكلمة التي استخدمت مع حركة الماء مع الالة التي تتحرك في الماء فهي اكثر التصاقا بمجالها من :تتحرك أو تمشي أو تسير .و الفعل المضارع فيه تصوير للحركة والجري السريع المستمر الذي هو بحفظ الله ورعايته)[٧٩] .

في قوله تعالى ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ [٨٠]، (جاء بلفظة "موج" ولم يقل "أمواج " لان الموج اضخم جرسا من كلمة أمواج وان هذا الموقف الرهيب يناسبه ضخامة الجرس المضغوط ولم يقل موجات لان جمع المؤنث السالم يعني القلة غالبا ، والذي أستظهره هنا ان اتحاد ماء السماء بماء الارض والتحامه به كون موجا واحدا مندفعا في عتو شديد في طريق واحد ليهلك قوم نوح علت منه الامواج وهذا ادعى للقوة وأعظم في الاندفاع ، فالأمواج مندفعة في اتجاه واحد ، ولعل هذا هو السر في إفراد الموج هنا فكان بعكس تلك الامواج التي تتفرع يمينا وشمالاً فمنها القوي ومنها الضعيف قد انبثت في اتجاهات مختلفة)[٨١].

في قوله تعالى:﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾[٨٢] فكلمة "غيض " (غيض: غاض الماء يغيض غيضا ومغيضا ومغاضا وانغاض: نقص أو غار فذهب، وفي الصحاح:

قل فنضب. وفي حديث سطيح: وغاضت بحيرة ساوة أي غار ماؤها وذهب)[٨٣] ، (فهنا جاءت هذه المفردة لتعبر عن إن الماء لولا إن غاض وغار في باطن الارض البعيد لما استوعبت الارض ذلك الماء كله والذي جاء عن طريق البلع ،فبلع وغاض تدلان على إن الارض متسعة لهذا الماء اتساعا يستوعب كل المياه التي نزلت من السماء وفار الارض، نجد في تفسير كلمة "غيض" بمعنى نقص عند أهل التفسير وأهل اللغة)[٨٤]،(ما لا يتناسب مع معاني العظمة والاقتدار في إذهاب الماء بسرعة عاجلة الى باطن الارض لان كلمة النقص تدل على معنى البطء فالماء ينقص شيئا فشيئا ،فسياق الآيات الكريمة يصور عظمة الاقتدار وسرعة الاستجابة فكان ما يناسب هنا أن غيض تدل على سرعة غيوض الماء وذهابه إلى باطن الارض والله اعلم) [٨٥].

المطلب الثاني:- الحركة البطيئة للمفردة القرآنية ودلالتها النفسية .

حركة الظلّ بطيئة لطيفة في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [٨٦]، يعرض النص القرآني منظر تبسط الظلّ في حركة تكاد من لطفها أن لا تتحرّك، ويزيد من شدة بطئها مجيء لفظة (ساكناً) بعدها، مع أنها لا تتمّ في واقع الأمر، لأن الله سبحانه لم يشأ أن يجعله ساكناً، إلاّ أن وجود اللفظة يلقي ظلّها في النفس، وهذا بعض المقصود من إيرادها، وظلّها هو تبطئة حركة الظلّ حتى تقترب من السكون، وتلك حقيقة طبيعية، فحركة الظل وئيدة جداً لا تكاد تظهر، ولكن التعبير القرآني الفريد يجسّم هذا البطء ويعطيه مساحة من الخيال[٨٧]، ومع أن التعبير بـ (ألم ترَ) يشي بأن تلك الحركة مألوفة للحسّ الإنساني، إلاّ أنها من شدة لطفها وسكونها لا يكاد الحسّ أن يرصدها، ولذلك جاء توظيف فعل الرؤية المسبوقة بأداة الاستفهام لإيقاظ الحسّ من إلفه[٨٨]

الخاتمة :

١- إن لجمالية الحركة القدرة على تلوين النص بالحيوية ،فهي تمنحه القدرة على التفاعل والتجاوب وتجعل القارئ أشد تجاذبا مع النص .

٢-إن للحركات في النص القرآني تلعب دورا مهما وحضوراً قوياً فاعلاً في الآيات القرآنية ،ولها مدلول نفسي يقع في نفس القارئ ولاسيما ملامح الوجه والرأس فلكل منها تعبير نفسي يختلف عن الاخر.

٣- تؤدي الحركات اللاإرادية والارادية للجسم دوراً مهما في إيصال الصورة فهي تجعلها أقدر على التقريب للمعاني وأقرب للأذهان وأدعى لإشارة الخيال على التمثيل .

٤- من العلماء الاوائل الذين نبهوا على جمالية الحركة الجرجاني ، ثم اقتفى أثره الخطيب القزويني ،فكان لهم الدور البارز في إظهار الجمالية الحركية في الخطاب القرآني.

٥- إن للحركة وتعبيرها في الخطاب القرآني أنواع، منها الحركة السريعة والبطيئة ، فالحركة السريعة لها مقام يتطلب السرعة ويستدعيها ويكثر ذلك في مشاهد يوم القيامة ،وإنزال الغضب بالقوام السابقة ،أما الحركة البطيئة فأغلب ظهورها في التفكر بخلق الله والمظاهر الكونية وغيرها من الآيات ، فكل منها لها الاثر النفسي في تعبير النص القرآني .

الهوامش

[١]مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،الطبعة الخامسة،(١٤٢٠هـ -١٩٩٩م) ،ص٧١.

[٢] لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) : دار صادر – بيروت ،الطبعة الثالثة (١٤١٤ هـ)،١٠/٤١٠.

[٣]التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة الأولى(١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ،ص ٨٤.

[٤]جماليات المفردة القرآنية : احمد ياسوف ، دار المكتبي – دمشق ،الطبعة الثانية،(١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م)، ص١٤٩.

[٥]التصور الفني في القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥ هـ): دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة(د، ت)،ص ٩٢.

[٦]سورة القصص : من الآية (١٨).

[٧]سورة البقرة : من الآية (٣٦).

[٨] في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥ هـ): دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة السابعة عشر (١٤١٢ هـ)،١/٥٨.

[٩]سورة التوبة : الآيات (١٠٧-١٠٨).

[١٠] سورة التوبة : الآية (١٠٩).

[١١]المنهج الحركي في ظلال القرآن: علي بن نايف الشحود، بهانج– دار المعمور، الطبعة الأولى ،(٢٠٠٩ م-١٤٣٠هـ)،ص ٢٣٠.

[١٢]سورة ال عمران :من الآية (٨٦).

[١٣] سورة التوبة :الآية (١١٠).

[١٤] مسائل فلسفة الفن المعاصر : ج.م. جويو : ترجمة سامي الدروبي ، مطبعة دار الفكر العربي – مطبعة الاعتماد بمصر ،(د، ط، ت) ص ٤٨.

[١٥] تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم .... دراسة فنية: صلاح ملا عزيز، *مدرس مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة صلاح الدين* ،١/١٨.

[١٦]التعبير القرآني والدلالة النفسية : دكتور عبدالله محمد الجيوسي : دار البشائر الاسلامية لبنان –بيروت ،الطبعة الاولى (١٤٢٦ هـ-٢٠٠٦م) ،ص ٧٠.

[١٧]اسس علم النفس العام : د. طلعت منصور وانور الشرقاوي وعادل عز الدين وفاروق ابو عوف ،مكتبة انجلو المصرية – القاهرة (٢٠٠٣م) ص ١٥٠.

[١٨] تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم .. دراسة فنية : صالح ملا عزيز،٢٣/١.

[١٩] سورة الشورى : الآية (٤٥).

[٢٠] سورة الحجر : الآية (٨٨).

[٢١] سورة غافر : الآية (١٩) .

[٢٢] لغة المنافقين في القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: ٨٥/٢.

[٢٣]سورة الاحزاب : الآية (١٠) .

[٢٤]سورة الانبياء : الآية (٩٧).

[٢٥]سورة الاحزاب : الآية (١٩) .

[٢٦] سورة المائدة : الآية (٨٣).

[٢٧]سورة التوبة : الآية (٥٨).

[٢٨]سورة عبس : الآية (١).

[٢٩]سورة المدثر: الآية (٢٢).

[٣٠]سورة القلم : الآية (٥١).

[٣١]جماليات الاشارة النفسية : صالح ملا عزيز ، ص ٢٤٣.

[٣٢] سورة ال عمران : الآية (١١٩).

[٣٣] جماليات الاشارة النفسية في الخطاب القرآني : صالح ملا عزيز :ص ١١٥.

[٣٤] سورة المنافقون : الآية (٥).

[٣٥]تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم .. دراسة فنية ، صالح ملا عزيز ،١٩/١.

[٣٦] سورة الاسراء من الآية (٤٩ الى ٥١) .

[٣٧] تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم .. دراسة فنية : صالح ملا عزيز،١٨/١، ١٩.

[٣٨] سورة الكهف: الآية (٤٢).

[٣٩]جمالية الاشارة النفسية : صالح ملا عزيز ، ص٢٨.

[٤٠] سورة مريم : الآية (٢٩).

[٤١] سورة الاسراء : الآية (٣٧).

(٤٢) سورة الفرقان: الآية (٦٣).

(٤٣) سورة القصص: الآية (٢٥).

(٤٤) سورة ال عمران : الآية (١٠٦).

(٤٥) سورة الاحزاب : الآية (١٠).

(٤٦) سورة عبس : الآيات (٣٨- ٣٩) .

(٤٧) سورة القيامة : الآية (٢٢).

(٤٨) التعبير القرآني والدلالة النفسية : للجيوسي ، ص ٧٥.

(٤٩) هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعيّ، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجليّ: قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ فقضاء القضاة بمصر (سنة ٧٢٧) ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر الى أن توفي(٧٣٩هـ)،ينظر : الاعلام :للزركلي ،١٩٢/٦. ينظر : الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى : دار إحياء التراث – بيروت ،(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)،٢٤٠/١٨. ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان : أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت: ٧٦٨ هـ) : دار الكتاب الإسلامي – القاهرة (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م)،٣٠١/٤.

ينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر ،(د، ط)، ٣١٨/٩.

(٥٠) الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩ هـ) : دار الكتب العلميّة الطبعة الاولى (١٤٢٤ هـ.) ص٣٤٦.

(٥١)جماليات الاشارة النفسية في الخطاب القرآني : صالح ملا عزيز: اشراف د. بشرى حمدي البستاني (رسالة دكتوراه) في الادب العربي – جامعة الموصل / العراق (٢٠٠٧م) ،ص ٥٩.

(٥٢) ينظر: الصناعتين :أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العنصرية – بيروت (١٤١٩ هـ) ، ٢٧٠ـ ٢٧١. مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي

الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) ٥٦٣ .٥٦٤.

(٥٣) جماليات اللغة وغنى دلالاتها، د. محمد صادق حسن عبد الله : ٢٨٧.٢٨٨.

(٥٤) جماليات الاشارة في الخطاب القرآني : صالح ملا عزيز، ص ١٤٩.

(٥٥) المصدر نفسه : ص ١٤٩.

(٥٦) سورة الحديد : الآية (١٢).

(٥٧) مفردات القرآن للشيخ المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١ هـ)جمع وترتيب / عبد الرحمن القماش (من علماء الأزهر الشريف) ، ص٦٥٨و ٧٧٣.

(٥٨) المفردات في غريب القرآن : المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي : دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ،الطبعة الأولى (١٤١٢هـ) ، مادة (سعى) ص ٤١١.

(٥٩) جماليات الحركة في التعبير القرآني : د. صالح ملا عزيز م. باحثة: فضيلة أحمد سعيد ،ص١٣

(٦٠) المصدر نفسه ،١٣/١.

(٦١) سورة ابراهيم : الآية (٣٧).

(٦٢) لسان العرب : ابن منظور، فصل الهاء (هوى)،٣٧٠/١٥.

(٦٣) جماليات الحركة في التعبير القرآني : د.صالح ملا عزيز ،١٣/١.

(٦٤) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط – بضم الراء وتخفيف الباء – بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي سنة (٨٨٥هـ) بدمشق . ينظر: الاعلام : للزركلي ،٥٦/١. ينظر: *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ): مكتبة المثنى – بغداد: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية :(١٩٤١م)،١ /٨١.*

(٦٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (: ٨٨٥ هـ) : دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) ،١٩١/٤.

(٦٦) سورة الحج : من الآية (٣١).

(٦٧) جماليات الحركة في التعبير القرآني :د. صالح ملا عزيز ،ص ٥ .

[٦٨] في ظلال القرآن : سيد قطب ،٢٤٢١/٤.

[٦٩] مفردات ألفاظ القرآن :للراغب الاصفهاني ، ص ٢٧٧.

[٧٠] جماليات الحركة في التعبير القرآني :د.صالح ملا عزيز ،ص ٥ .

[٧١] سورة الشعراء :الآية (١١٩).

[٧٢] لسان العرب : لابن منظور ، مادة (نجى) ،١٥ / ٣٠٥.

[٧٣] سورة الشعراء :الآية (١١٩)

[٧٤] سورة هود :من الآية (٣٩).

[٧٥] المفردات في غريب القرآن :للراغب الاصفهاني ، مادة (أتى) ص ٦٠.

[٧٦] تصوير هلاك المكذبين في القرآن الكريم : محمد بن صالح العليان ، رسالة ماجستير ،ص٣٥ .

[٧٧] سورة هود :من الآية (٤٢)

[٧٨]سورة الاعراف :من الآية (٤٣).

[٧٩] تصوير هلاك المكذبين في القرآن الكريم : محمد بن صالح العليان ، ص ٤٧.

[٨٠] سورة هود :الآية (٤٢)

[٨١] تصوير هلاك المكذبين في القرآن الكريم :محمد صالح بن محمد العليان ،ص٤٨.

[٨٢] سورة هود :الآية (٤٤)

[٨٣] لسان العرب :لابن منظور ،مادة (غيض) ،٢٠١/٧.

[٨٤]صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة الأولى،(١٤١٧ هـ – ١٩٩٧) م،١٠/٢.

[٨٥] تصوير هلاك المكذبين : محمد صالح بن محمد العليان ص ٥٩.

[٨٦] سورة الفرقان : الآية (٤٥).

[٨٧] ينظر: منهج الفن الاسلامي : محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ، ص ٩١.

[٨٨] جماليات الحركة في التعبير القرآني :د. صالح ملا عزيز ،١٦/١.

المصادر والمراجع .

ت	المصادر والمراجع
١.	اسس علم النفس العام : د. طلعت منصور وانور الشرقاوي وعادل عز الدين وفاروق ابو عوف ،مكتبة انجلو المصرية – القاهرة (٢٠٠٣م)
٢.	الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩ هـ) : دار الكتب العلميّة الطبعة الاولى (١٤٢٤ هـ.)
٣.	التصور الفني في القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥ هـ): دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة(د، ت)
٤.	تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم .. دراسة فنية: صلاح ملا عزيز، مدرس مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة صلاح الدين
٥.	تصوير هلاك المكذبين في القرآن الكريم :محمد صالح بن محمد العليان ، اشراف د. محمود بن توفيق بن محمد سعد (رسالة دكتوراه) جامعة أم القرى / المملكة السعودية (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)
٦.	التعبير القرآني والدلالة النفسية : دكتور عبدالله محمد الجيوسي : دار البشائر الاسلامية لبنان –بيروت ،الطبعة الاولى (١٤٢٦ هـ-٢٠٠٦م)
٧.	التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة الأولى(١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)
٨.	جماليات الاشارة النفسية في الخطاب القرآني : صالح ملا عزيز: اشراف د. بشرى حمدي البستاني (رسالة دكتوراه) في الادب العربي – جامعة الموصل / العراق (٢٠٠٧)
٩.	جماليات اللغة وغنى دلالاتها، د. محمد صادق حسن عبد الله

١٠. جماليات المفردة القرآنية : احمد ياسوف ، دار المكتبي – دمشق ،الطبعة الثانية،(١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م)
١١. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة الأولى،(١٤١٧ هـ – ١٩٩٧)
١٢. الصناعتين :أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ)المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العنصرية – بيروت (١٤١٩ هـ)
١٣. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥ هـ): دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة السابعة عشر (١٤١٢ هـ).
١٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ): مكتبة المثنى – بغداد: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية :(١٩٤١م).
١٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ،الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
١٦. لغة المنافقين
١٧. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
١٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان : أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت: ٧٦٨ هـ) : دار الكتاب الإسلامي – القاهرة (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م).

١٩. مسائل فلسفة الفن المعاصر : ج.م. جويو : ترجمة سامي الدروبي ، مطبعة دار الفكر العربي – مطبعة الاعتماد بمصر ،(د، ط، ت).
٢٠. مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م).
٢١. مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).
٢٢. مفردات القرآن للشيخ المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١ هـ)جمع وترتيب / عبد الرحمن القماش (من علماء الأزهر الشريف).
٢٣. المفردات في غريب القرآن : المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي : دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ،الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
٢٤. المنهج الحركي في ظلال القرآن: علي بن نايف الشحود، بهانج– دار المعمور، الطبعة الأولى ،(٢٠٠٩ م–١٤٣٠هـ).
٢٥. منهج الفن الاسلامي : محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة (١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م).
٢٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر،(د، ط).
٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) : دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م).

٢٨. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى : دار إحياء التراث – بيروت ،(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

Sources and references

.١-Foundations of general psychology: Dr. Talaat Mansour, Anwar Al-Sharqawi, Adel Ezz El-Din, and Farouk Abu Auf, Anglo Egyptian Bookstore - Cairo (٢٠٠٣AD(

.٢-Clarification in the sciences of rhetoric: Muhammad bin Abdul Rahman bin Omar, Abu Al-Ma'ali, Jalal al-Din al-Qazwini al-Shafi'i, known as the preacher of Damascus (d. ٧٣٩AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya, first edition (١٤٢٤AH.(

.٣-Artistic perception in the Qur'an: Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharibi (d. ١٣٨٥AH): Dar Al-Shorouk, seventeenth edition (d, d(

.٤-Depicting psychological emotions in the Holy Qur'an...an artistic study: Salah Mulla Aziz, Assistant Lecturer/Arabic Language Department/College of Education/Salah al-Din University

.٥Depicting the destruction of the deniers in the Holy Qur'an: Muhammad Saleh bin Muhammad Al-Olayan, supervised by Dr. Mahmoud bin Tawfiq bin Muhammad Saad (PhD thesis), Umm Al-Qura University / Kingdom of Saudi Arabia (١٤٣٠AH - ٢٠٠٩AD(

.٦Qur'anic expression and psychological significance: Dr. Abdullah Muhammad Al-Jayousi: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Lebanon - Beirut, first edition (١٤٢٦AH - ٢٠٠٦AD(

.٧Definitions: Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jurjani (d. ٨١٦ AH). Verifier: compiled and authenticated by a group of scholars under supervision. Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition (١٤٠٣AH - ١٩٨٣AD(

.٨Aesthetics of psychological reference in Quranic discourse: Saleh Mulla Aziz: Supervised by Dr. Bushra Hamdi Al-Bustani (PhD dissertation) in Arabic Literature - University of Mosul / Iraq ((٢٠٠٧

.٩The aesthetics of language and the richness of its connotations, Dr. Muhammad Sadiq Hassan Abdullah

.١٠Aesthetics of the Qur'anic Word: Ahmed Yasuf, Dar Al-Maktabi - Damascus, second edition, (١٤١٩AH - ١٩٩٩AD(

.١١The Elite of Interpretations: Muhammad Ali Al-Sabouni: Dar Al-Sabouni for Printing, Publishing and Distribution - Cairo, first edition, (١٤١٧AH - (١٩٩٧

.١٢The two industries: Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl bin Saeed bin Yahya bin Mahran Al-Askari (d. ٣٩٥AH) Investigator: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim: The Racist Library - Beirut (١٤١٩AH(

.١٣In the Shadows of the Qur'an: Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharibi (d. ١٣٨٥AH): Dar Al-Shorouk - Beirut - Cairo, seventeenth edition (١٤١٢AH.(

.١٤Revealing suspicions about the names of books and arts: Mustafa bin Abdullah, the writer of Chalabi of Constantinople, known as Haji Khalifa or Hajj Khalifa (d. ١٠٦٧AH): Al-Muthanna Library - Baghdad: House of Revival of Arab Heritage, House of Modern Sciences, and House of Scientific Books: (١٩٤١AD. (

.١٥Lisan Al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifa'i Al-Ifriqi (d. ٧١١AH): Dar Sader - Beirut, third edition (١٤١٤AH.(

.١٦The language of hypocrites

.١٧Mukhtar Al-Sahhah: Zain Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir Al-Hanafi Al-Razi (d. ٦٦٦AH) Editor: Youssef Al-Sheikh Muhammad: Al-Maktabah Al-Asriya - Dar Al-Tawdhimiya, Beirut - Sidon, fifth edition, (١٤٢٠AH / ١٩٩٩AD.(

.١٨The Mirror of Heaven and the Lesson of Al-Yaqzan in Knowing the Events of Time: Abu Muhammad Afif Al-Din Abdullah bin Asad bin Ali bin Suleiman Al-Yafi'i (d. ٧٦٨AH): Dar Al-Kitab Al-Islami - Cairo (١٤١٣AH - ١٩٩٣AD.(

.١٩Issues in the philosophy of contemporary art: J.M. Joyo: Translated by Sami Al-Droubi, Dar Al-Fikr Al-Arabi Press - Al-Etimad Press in Egypt, (d, i, t.(

.٢٠Miftah al-Ulum: Yusuf bin Abi Bakr bin Muhammad bin Ali al-Sakaki al-Khwarizmi al-Hanafi Abu Ya'qub (d. ٦٢٦AH). It was edited and its

footnotes were written and commented on by: Naim Zarzour. Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, second edition, (١٤٠٧AH - ١٩٨٧ AD.(

.٢١Miftah al-Ulum: Yusuf bin Abi Bakr bin Muhammad bin Ali al-Sakaki al-Khwarizmi al-Hanafi Abu Ya'qub (d. ٦٢٦AH), compiled it, wrote its footnotes, and commented on it: Naim Zarzour: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, second edition, (١٤٠٧AH - ١٩٨٧AD.(

.٢٢Mufradat Al-Qur'an by Sheikh Al-Maraghi: Ahmed bin Mustafa Al-Maraghi (d. ١٣٧١AH), compiled and arranged by Abdul Rahman Al-Qamsha (one of the scholars of Al-Azhar Al-Sharif.(

.٢٣Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an: Al-Mufradat fi Al-Gharib Al-Qur'an: Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (d. ٥٠٢AH). Editor: Safwan Adnan Al-Daoudi: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, first edition (١٤١٢AH.(

.٢٤The Kinetic Approach in the Shadows of the Qur'an: Ali bin Nayef Al-Shahoud, Bhang - Dar Al-Maamour, first edition, (٢٠٠٩AD - ١٤٣٠AH.(

.٢٥The Islamic Art Approach: Muhammad Qutb, Dar Al-Shorouk, sixth edition (١٤٠٣AH - ١٩٨٣AD.(

.٢٦The shining stars in the kings of Egypt and Cairo: Yusuf bin Taghri Bardi bin Abdullah Al-Zahiri Al-Hanafi, Abu Al-Mahasin, Jamal Al-Din (d. ٨٧٤ AH), Ministry of Culture and National Guidance, Dar Al-Kutub, Egypt, (d, ed.(.

.٢٧Al-Durar's systems in the proportionality of verses and surahs: Abu Al-Hasan, Burhan Al-Din Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Rabbat bin Ali bin Abi Bakr Al-Baqa'i (d. ٨٨٥AH): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut (١٤١٥ AH - ١٩٩٥AD.(

.٢٨Al-Wafi bi al-Wafiyat: Salah al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah al-Safadi (d. ٧٦٤AH), editor: Ahmed al-Arnaout and Turki Mustafa: Dar Ihya al-Turath - Beirut, (١٤٢٠AH - ٢٠٠٠AD.(

خلاصة التقارير في تحرير الدراهم والدنانير

لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)

abstract of reports in the release of dirhams and dinars

By Abu Al-Adl Qasim bin Qutlubugha, who died in the year (٨٧٩AH / ١٤٧٤AD)

دراسة وتحقيق

Study and investigation

م. م. صهيب محمود محل الجميلي

M. M. Suhaib Mahmoud replaced Al-Jumaili

مديرية تربية الانبار/ قسم تربية الفلوجة

Anbar Education Directorate/ Fallujah Education Department

الموبايل/ ٧٥١٣٩٦٧٧٩٠

الايميل: suhaeb1000@yahoo.com

خلاصة التقارير في تحرير الدراهم والدنانير لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) دراسة وتحقيق

م. م. صهيب محمود محل الجميلي

ملخص

رسالة يتضمن محتواها في ضبط أوزان الدراهم والدنانير بالمقدار الشرعي للإمام ابن قطلوبغا أحد علماء القرن التاسع الهجري الموافق الخامس عشر الميلادي، إذ يعالج ابن قطلوبغا مقدار النقود المتداولة في عصره، وضبط أوزانها الشرعية؛ وذلك بسبب تزييف النقود وانتشار الغش والخداع، وانهيار الأسواق التجارية في عصر دولة المماليك البرجية (الجركسية)، وقد قسمت البحث إلى قسمين: القسم الأول: الدراسي، والقسم الثاني: تحقيق النص.

Abstract

A message whose content includes setting the weights of dirhams and dinars according to the legal amount by Imam Ibn Qutlubugha, one of the scholars of the ninth century AH, corresponding to the fifteenth century AD. Ibn Qutlubugha addresses the amount of money in circulation in his time. And controlling their legal weights. This is due to counterfeiting of money and the spread of fraud and deception. The collapse of commercial markets in the era of the Burj Mamluk state (Circassian). The research was divided into two parts: the first part: academic, and the second part: text investigation.

البرجية، الدراهم والدنانير، ابن قطلوبغا.

Alburjia، Dirhams and dinars، Ibn Qutlubugha.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

إن اختلال النظام النقدي وكساد الاقتصادي لكل بلد تتوقف على عدة عوامل مهمة جداً، ومن هذه العوامل هو الفساد وتزييف النقود، إذ إن النقود هي صمام نفقات الدولة والعمليات التجارية معاً، ويعد تزييف النقود في البلدان عامة ودولة مماليك البرجية (الجركسية) في مصر والشام خاصة هو سبب من أسباب نهايتها والقضاء عليها، إذ إن النقود ترتبط ارتباطاً مباشراً بالدولة ونفقاتها من خلال اعطاء مرتبات موظفي الدولة العسكريين والمدنيين، واختلال النظام النقدي والمتمثل في التلاعب بأوزان العملة وخلل في عيارها من قص وزغل

في أحجامها وأشكالها، إضافة الى تذبذب أسعار صرفها، مما يؤدي إلى خلل وانهيار اقتصادي واجتماعي والسياسي للبلد، وفقدان الثقة في المجتمع، والبحث عن عملات أخرى تحوز الثقة، وكان العلماء والفقهاء ليس بمعزلاً عن سياسية الأوضاع الاقتصادية، بل تصدوا لجميع محاولات زعزت الاستقرار الاقتصادي من خلال ضبط أوزان النقود بالمقدار الشرعي في جميع العملات، وخاصة عملة الذهب والفضة، ومن العلماء الذين انبروا لهذه المهمة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي هو الفقيه الإمام مفتي الحنفية قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، في رسالته الموسومة (خلاصة التقارير في تحرير الدراهم والدنانير)، ولأهمية الرسالة وموضعها انتدبت لتحقيقها والعمل على اخراجها بالمستوى العلمي المطلوب.

وقد قسمت البحث إلى قسمين: القسم الأول: الدراسي، والقسم الثاني: النص المحقق، وتضمن القسم الأول الدراسي ثلاثة مطالب: تكلمت في المطلب الأول: التعريف بالمؤلف، وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام: أولاً تضمن اسمه، وكنيته، ونسبته، ولقبه، وثانياً تضمن ولادته ونشأته، وثالثاً تضمن وظائفه ووفاته، وأما في المطلب الثاني تكلمت عن مكانته العلمية، وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام: أولاً تضمن شيوخه، وثانياً تضمن تلامذته، وثالثاً تضمن مؤلفاته، وأما في المطلب الثالث فقد قسمته أربعة أقسام: أولاً تضمن وصف نُسخ المخطوطة، وثانياً تضمن نسبة الرسالة لمؤلفها وعنوانها، وثالثاً تضمن أهمية الرسالة وموضوعاتها، وتاريخ تأليفها، ورابعاً تضمن منهج ابن قطلوبغا، ومنهجنا في التحقيق، وصور من نُسخ المخطوطة، وفي القسم الثاني: النص المحقق، وأخيراً ثبت المصادر والمراجع.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القسم الأول: الدراسي: التعريف بالمؤلف، ومكانته العلمية، والتعريف برسالته:

ظهرت الكثير من الدراسات حول حياة ابن قطلوبغا، فكانت شخصيته ومؤلفاته محل عناية واهتمام للدراسين والباحثين، فبرزت دراسات أكاديمية تنوعت في موضوعاتها لسعة العلوم التي حواها الحافظ ابن قطلوبغا، وكُتب ولا سيما عن حياته[١]، وفي هذا المبحث سأتناول حياته بشي من الإيجاز من دون الإخلال بالمطلوب.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف:

أولاً: اسمه، وكنيته، ونسبته، ولقبه:

اسمه: هو الإمام الحافظ قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله المصري الحنفي[٢]، وقطلوبغا اسم مركب من كلمتين قطلو: ومعناه بالتركي: المبارك[٣]، وبغا: لم أجد فيما بين يدي من المصادر معناه، غير ما ذكر الكوثري في مقدمة تحقيق كتاب مُنية الألمعي معناها: الفحل[٤]، ويجتمع معناها: الفحل المبارك.

كنيته: يُكنى بأبي العدل[٥].

نسبته: ذُكر نسبته إلى السودوني نسبة لمعتق أبيه سودون الشيخوني[٦] نائب السلطنة الجمالي[٧].

لقبه: لقب بالزين الدين[٨]، وذكر السخاوي[٩] قائلاً: "وربما لقب شرف الدين.

ثانياً: ولادته ونشأته:

ولادته: ولد الإمام ابن قطلوبغا في محرم سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) بالقاهرة[١٠].

نشأته: ذكر السخاوي[١١] قائلاً: "مات أبوه وهو صغير فنشأ يتيماً وحفظ القرآن وكتباً، .... وتكسب بالخياطة وقتاً، وبرع فيها بحيث كان فيما بلغني يخيط بالأسود في البغدادي فلا يظهر".

ثالثاً: وظائفه ووفاته:

وظائفه: (درس الحديث بقبة البيبرسية[١٢]، وعين لمشيخة الشيخونية[١٣])[١٤].

وفاته: اتفقت كُتب التراجم على وفاته في ليلة الخميس رابع ربيع الآخر سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)[١٥] في حارة الديلم في القاهرة، وصلى عليه من الغد تجاه جامع المارداني في مشهد حافل ودفن على باب المشهد المنسوب لعقبة عند أبويه وأولاده[١٦].

المطلب الثاني: مكانته العلمية:

أولاً: شيوخه: لا شكَّ أنه كان لابن قطلوبغا شيوخ كُثر أخذ منهم هذا العلم الوفير الذي تركه لمن جاء بعده، سنقتصر على ذكر أشهر شيوخه، وهم:

١- القاضي تاج الدين أحمد بن محمد بن أحمد الفرغاني البغدادي الحنفي يرجع نسبه إلى الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ولد سنة (٧٥١هـ/١٣٥٠م) بالكوفة، وسمع الحديث، ودرس وأفتى، وأخذ عنه الأعيان، وكتب رسالة تشتمل على أربعة عشر علماً، ونظم أرجوزة في علوم الحديث وشرحها، واختصر شرح البخاري للكرماني، وولي قضاء بغداد، وقدم القاهرة بعد سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م) فأكرمه المؤيد وأجرى عليه راتباً يكفيه ثم رسم له بالتوجه إلى دمشق فما تيسر له إلا بعد استقرار الظاهر ططر فأقام بها حتى توفي سنة (٨٣٤هـ/١٤٣١م)، وممن أخذ عنه الزين قاسم الحنفي(١٧).

٢- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، اشتغل كثيراً وطاف على الشيوخ، ولقي الكبار، وجالس الأئمة فأخذ عنهم وتفقه حنفياً، وتحول بعدها شافعياً، ولي الحسبة والخطابة والإمامة مرات، من تأليفه: (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، و(السلوك في معرفة دول الملوك)، و(البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب)، و(إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع)، و(اتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين والخلفاء)، و(درر العقود الفريدة)، وغيرها، توفي سنة (٨٤٥هـ/١٤٤١م)(١٨)، فسمع ابن قطلوبغا الحديث منه(١٩).

٣- شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أصله من عسقلان (بفلسطين) ولد في القاهرة سنة (٧٧٣هـ/١٣٧٢م)، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وأما تصانيفه فكثيرة جليلة منها: (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)، و(الإصابة في تمييز أسماء الصحابة)، و(رفع الإصر عن قضاة مصر)، و(إنباء الغمر بأنباء العمر)، و(الإعلام في من ولي مصر في الإسلام)، و(نزهة الألباب في الألقاب)، وغيرها، توفي في القاهرة سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)(٢٠)، وأخذ ابن قطلوبغا علوم الحديث عنه(٢١).

- العز عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد الحسيني القيلوي الحنفي، بحث في غالب العلوم على مشايخ بغداد والعجم والروم، حتى أنه بحث في مذهبي الشافعي وأحمد،

وبرع فيهما وصار يقرئ كتبهما، ولازم الرحلة في العلم إلى أن صار أحد أركانه، وأدمن الاشتغال والاشغال بحيث بقي أوحد زمانه[٢٢]، توفي سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٥م)، وممن قرأ عليه ودون الزين قاسم الحنفي[٢٣].

– كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود السيواسي ثم الإسكندري، المعروف بابن الهمام، من علماء الحنفية، أصله من سيواس، ولد بالإسكندرية سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، ونبغ في القاهرة، وأقام بحلب مدة، وجاور بالحرمين، ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر، وكان معظماً عند الملوك وأرباب الدولة، من كتبه: (فتح القدير) في شرح الهداية في فقه الحنفية، و(التحرير) في أصول الفقه، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة (٨٦١هـ/١٤٥٧م)[٢٤]، واشتدت ابن قطلوبغا عنايته بملازمة ابن الهمام بحيث سمع عليه غالب ما كان يقرأ عنده في الفنون وغيرها، وذلك من سنة (٨٢٥هـ/١٤٢٢م) حتى مات وكان معظم انتفاعه به[٢٥].

ثانياً: تلاميذه: تتلمذ على يديه العديد من الطلبة سنقتصر على ذكر أشهرهم، وهم:

١– شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ولد في القاهرة سنة (٨٣١هـ/١٤٢٧م)، حفظ التنبيه والمنهاج الأصلي وألفية ابن مالك والنخبة، وغيرها من الكُتب، وكان كثير الرحلة، ودرس على العديد من المشايخ، ومنهم ابن قطلوبغا درس عليه الحديث، توفي في المدينة (٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، له مصنفات عديدة منها: (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع)، و(الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ)، و(التبر المسبوك ذيل لتاريخ المقريزي)، و(وجيز الكلام في الذيل على كتاب الذهبي دول الإسلام)، و(الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر)، و(التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة)، و(بغية العلماء والرواة ذيل لكتاب رفع الإصر عن قضاة مصر)، وغيرها[٢٦].

٢– قاضي القضاة نور الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن يوسف الخزرجي الدمشقي الحنفي الصالحي، المعروف بابن منعة، ولد بصالحية دمشق سنة (٨٣٦هـ/١٤٣٣م)، وحفظ

القرآن العظيم، وسمع (تصحيح القدوري) على الشيخ قاسم قطلوبغا، توفي سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٩م)[٢٧].

٣- محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هشام النحوي المصري الحنفي، نزيل دمشق، ولد سنة (٨٤١هـ/١٤٣٨م)، وتفقه بالعلامة قاسم بن قطلوبغا، توفي سنة (٩٠٧هـ/١٥٠٢م)[٢٨].

٤- برهان الدين إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عون بن مسلم بن مكي بن رضوان الهلالي الدمشقي الحنفي المعروف بابن عون مفتي الحنفية بدمشق، ولد سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م)، وأخذ الحديث عن جماعة، وتفقه بجماعة منهم ابن قطلوبغا، توفي سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م)[٢٩].

٥- شهاب الدين أحمد، المعروف بابن نابتة المصري الحنفي، حضر في الفقه على العلامة الشمس قاسم بن قطلوبغا، توفي سنة (٩٢٧هـ/١٥٢١م)[٣٠].

٦- الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد الشهير بابن نجيم الحنفي، أخذ عن العلامة قاسم بن قطلوبغا، توفي سنة (٩٧٠هـ/١٥٦٣م)[٣١].

ثالثاً: مؤلفاته[٣٢]: ألف الكثير من المؤلفات سنقتصر على ذكر مؤلفاته التاريخية والتراجم فقط وهي: تلخيص السيرة النبوية لمغلطاي، ومنتقى من درر الأسلاك في قضاة مصر، وتلخيص دولة الأتراك، وتاج التراجم في طبقات الحنفية، وتراجم مشايخ شيوخ العصر، وتراجم مشايخ المشايخ.

المطلب الثالث: التعريف بالرسالة ودراسة مضمونها، ومنهجنا بالتحقيق، وصور نُسخ المخطوطة:

أولاً: وصف نُسخ المخطوطة:

١- مصدر المخطوط مكتبة أسعد افندي بإسطنبول ضمن مجموع رقم الحفظ (٣٨١٦)، وعدد اللوحات (٦) بخط عبد الله بن علي مجاوراً بمكة المكرمة في يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٠٣٣هـ، وعدد الأسطر (٢٥) سطر، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين (١٠) إلى (١١) كلمة.

٢- مصورة في مركز جمعة الماجد ضمن مجموع رقم الحفظ (٢٣٣١٤٥)، ومصدر المخطوط من مكتبة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم الحفظ (١٠٨٧٩) ضمن مجموع، وعدد اللوحات (٣) بخط محمد عارف المنير الحسيني الدمشقي يوم الأربعاء تاسع عشري ذي القعدة من شهور سنة (١٣٢٦هـ)، وعدد الأسطر (٣٣) سطر، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين (١٥) إلى (١٦) كلمة.

ثانياً: نسبة الرسالة لمؤلفها وعنوانها:

بعد البحث في ثنايا ما بين أيدينا من المصادر والمراجع لم نهتدي إلى نسبة الرسالة إلى مؤلفها وعنوانها غير ما وجدنا في لوحة العنوان من نسخة (ب) الظاهرية "هذه الرسالة خلاصة التقارير في تحرير الدرهم والدنانير للشيخ العلامة قاسم الحنفي ابن قطلوبغا رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه آمين".

وذكر في بداية المخطوطة: (فإنِ الفقير إلى رحمة ربه الغني قاسم الحنفي يقول: أنه قد وقع لبعض المصنفين كلام في الدينار والدرهم جهلوا به المعلوم، ولم يراعوا المقدر الشرعي المجمع عليه).

ثالثاً: أهمية الرسالة وموضوعاتها، وتاريخ تأليفها:

أهمية الرسالة وموضوعاتها: جاءت أهمية الرسالة وموضوعاتها لمعالجة اختلال النظام النقدي في عصر المماليك البرجية (الجركسية) الذي نتج عنه التضخم الاقتصادي وكساد الأسواق؛ لأن الكساد يعني قلة المعروض، وبالتالي حدوث الغلاء، واتلاف البضائع والمنتوجات، وبسبب هذا الاختلال للنظام النقدي نتج عنه ثلاثة أمور أدت إلى التضخم الاقتصادي، وهي:

١- اختلال عيار النقود في وقت واحد، نتيجة التلاعب بها، والوزن المتعارف عليه قبل حدوث تلاعب في البعض منها، على الرغم من أن القيمة النقدية المقدرة للسلعة هو نفسه لم يتغير، ويحدث هذا الأمر بالتزامن مع ثبات راتب الموظف، وينفق على معظم هؤلاء الموظفين من تلك الدراهم المغشوشة، وبالتالي تضعف القوة الشرائية لغالبية المجتمع.

٢- تفاوت القيمة النقدية للدرهم أمام الدينار سواء بالانخفاض وهو الغالب أو الارتفاع وإن كان قليلاً، إلا أن كلاهما كان يؤدي إلى الغلاء؛ لأن الدرهم لم يعد بنفس القيمة السابقة، ففي الحالة الأولى يحتاج التاجر أن يحقق مكسباً له فيضطر إلى رفع قيمة السلع وغيرها، خاصة إذا أخذ بعين الاعتبار أن هذا الغلاء يرافقه في جميع ما يتم إنفاقه على تجارته منذ البدء فيها إلى بيعها، فترتفع الأسعار نتيجة ذلك، ومن جانب آخر فإن أي محاولة تقوم على إرجاع سعر الدرهم إلى سابقه ورفعه عن قبل فسيؤدي إلى النتيجة نفسها والتي تتلخص في ارتفاع الأسعار وحدوث الغلاء؛ لأن المجتمع يُدرك في تلك اللحظة أن ما يملكه من دراهم تكون قيمتها منخفضة، ويخسرون جزء منها إن احتفظوا بها ويبخس حقها، فيقومون بمحاولة التخلص منها عن طريق إبدال أكبر قدر ممكن من الدراهم بشراء السلع، ويبيعونها فيما بعد عندما يرتفع سعره، فيحدث الغلاء نتيجة كثرة الطلب والإقبال على شراء السلع كما حدث في سنة (٨٦٢هـ /١٤٥٨م)[٣٣].

٣- عندما راج التعامل بالفلوس النحاسية والتي لم يكن لها اعتبار في معظم الأحيان، وكما أسماها المقريزي[٣٤] بـ"المحقرات"، ظهر لدى معظم طبقات المجتمع رغبة قوية في الاستهلاك؛ لأنها من وجهة نظرهم ليست للادخار ولا يُعد بها في هذا الجانب، فتسببت هذه الحركة في الغلاء؛ لكثرة من يشتري من الناس؛ ودليل ذلك ما ذكره ابن حجر[٣٥] في ترجمة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحيم المصري أبو هاشم ابن البرهان الظاهري التيمي قائلاً: "وكان كثير الإنذار لما حدث بعده من الفتن ولا سيما ما حدث من الغلاء والفساد بسبب رخص الفلوس حتى رأى عندي قديماً مرّة خابياً كبيراً من الفلوس فقال لي: احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال".

تاريخ تأليفها: بعد البحث في ثنايا بطون فيما بين أيدينا من المصادر والمراجع لم نهتدي إلى نص صريح في تاريخ تأليف الرسالة، وبالرغم من أن المؤلف بدأ بالتأليف سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م)، حسبما أخبر السخاوي[٣٦] قائلاً: "وأقبل على التأليف كما حكاه لي من سنة عشرين وهلم جرا".

إلا أننا نرجح أنه ألفها بعد وفاة شيخه ابن الهمام سنة (٨٦١هـ/١٤٥٧م) بالرغم من أن ابن قطلوبغا نبه شيخه على التحقيق في هذه المسألة فوعده فلم يتيسر وذكر هذا في مقدمة الرسالة قائلاً: "أنه قد وقع لبعض المصنفين كلام في الدينار والدرهم جهلوا به المعلوم، ولم يراعوا المقدر الشرعي المجمع عليه، وحملوا عبارة بعض السلف على خلاف المراد حتى مشى على ذلك شيخنا العلامة كمال الدين ابن الهمام في شرحه للهداية فلم يحقق المسألة كعادته في غيرها من التحقيق، وذكرت بين يديه سرها فوعد بأن يكتب ما هو الصواب فلم يتيسر له انجاز ما وعد به فاستخرت الله سبحانه وتعالى".

رابعاً: منهج ابن قطلوبغا، ومنهجنا في التحقيق، وصور من نُسخ المخطوطة:

منهج ابن قطلوبغا: من أسلوب علماؤنا رحمهم الله تعالى توضيح منهجهم في مقدمة مؤلفاتهم، وكانوا يلتزمون به إلى حد كبير، وهنا في مخطوطنا ذكر المؤلف ابن قطلوبغا رحمه الله مقدمة لمؤلَفه إذ أورد كلامه وناقش مسألة فقهية عن المقدار الشرعي للدرهم والدينار مصاحباً بأدلة وأحكامهما معتمداً على مصادر السابقين وهم:

١- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي (ت: ٢٢٤هـ/٨٣٨م).
٢- الإمام الصدر الشهيد عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، أبو محمد، برهان الأئمة، حسام الدين، المعروف بالصدر الشهيد (ت: ٥٣٦هـ/١١٤١م).
٣- القاضي فخر الدين حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز المعروف بقاضي خان الأوزجندي الفرغاني (ت: ٥٩٢هـ/١١٩٦م).
٤- الفقيه نجم الدين يوسف بن أحمد بن أبي بكر الخوارزمي الخاصي (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٦م).
٥- الفقيه أبو المكارم ظهير الدين إسحاق بن أبي بكر الولوالجي (ت: ٧١٠هـ/١٣١٠م).
٦- الفقيه ابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود السيواسي (٨٦١هـ/١٤٥٧م).
٧- الإمام أبو المحامد محمود بن مسعود السغدي.

منهجنا في التحقيق:

١- قُمت بنسخ المخطوطة حسب الطريقة الحديث ثابتاً الألف مثل كلمة (اسحاق) بدلاً من (اسحق)، واثبات كلمة (حينئذ) بدلاً من الرمز (ح).

٢- رتبت النص حسب الطريقة العلمية المتبعة واضعاً علامات الترقيم والتنقيط.

٣- عرفت بالأعلام المبهمة التي وردت في المخطوطة، وأما الأعلام المشهورة لم نعرفها مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهم تحت قاعدة: (المعرف لا يعرف).

٤- عرفت بالكلمات الغريبة، والمصطلحات المالية والاقتصادية.

٥- وثقت النصوص من مصادرها الأصلية، وبعض النصوص وثقتها من الكُتب الاقتصادية والتاريخية.

صور من نُسخ المخطوطة:

اللوحة الأولى من نسخة –أ–

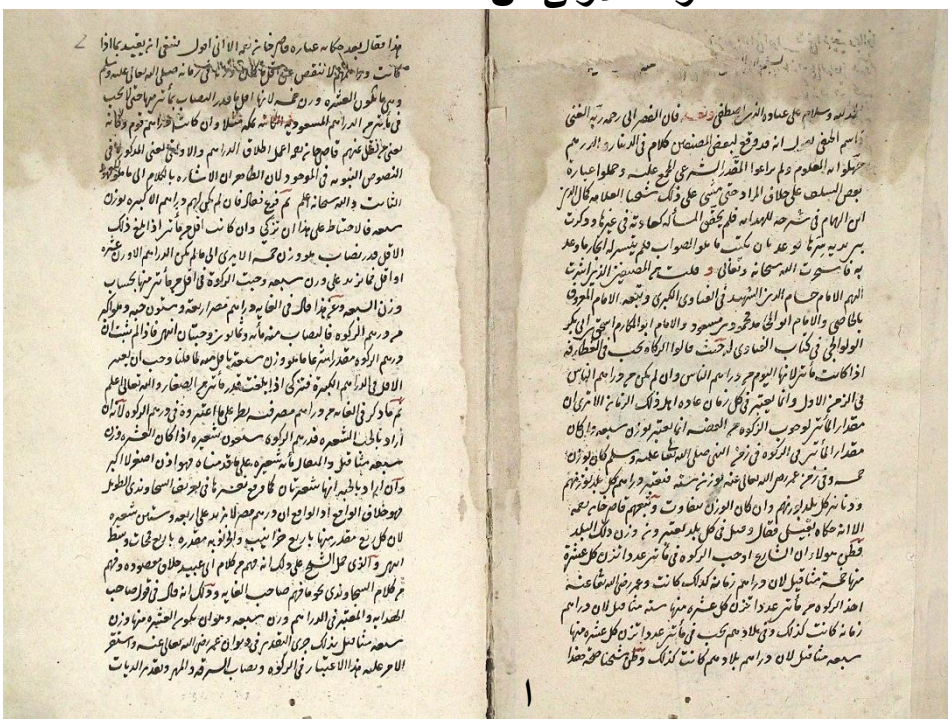

خلاصة التقارير في تحرير الدراهم والدنانير
لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)

للوحة الأخيرة من نسخة –أ–

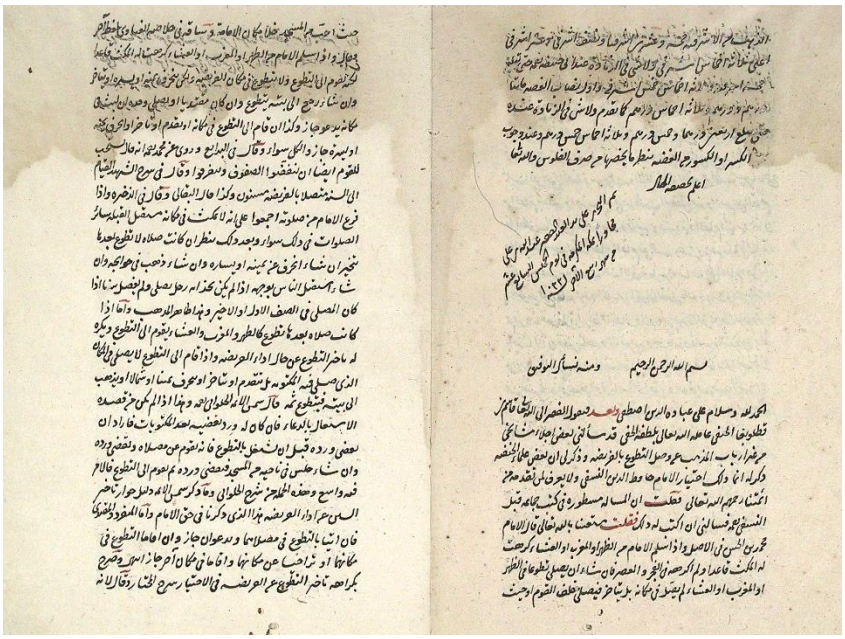

لوحة العنوان من نسخة –ب–

اللوحة الأولى من نسخة –ب–

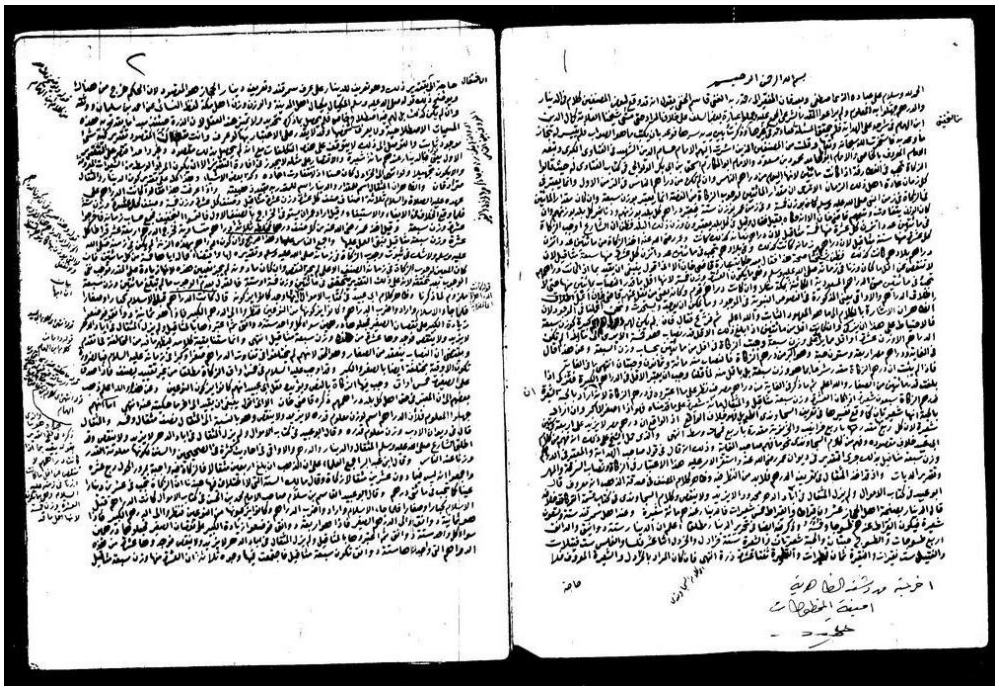

اللوحة الأخيرة من نسخة –ب–

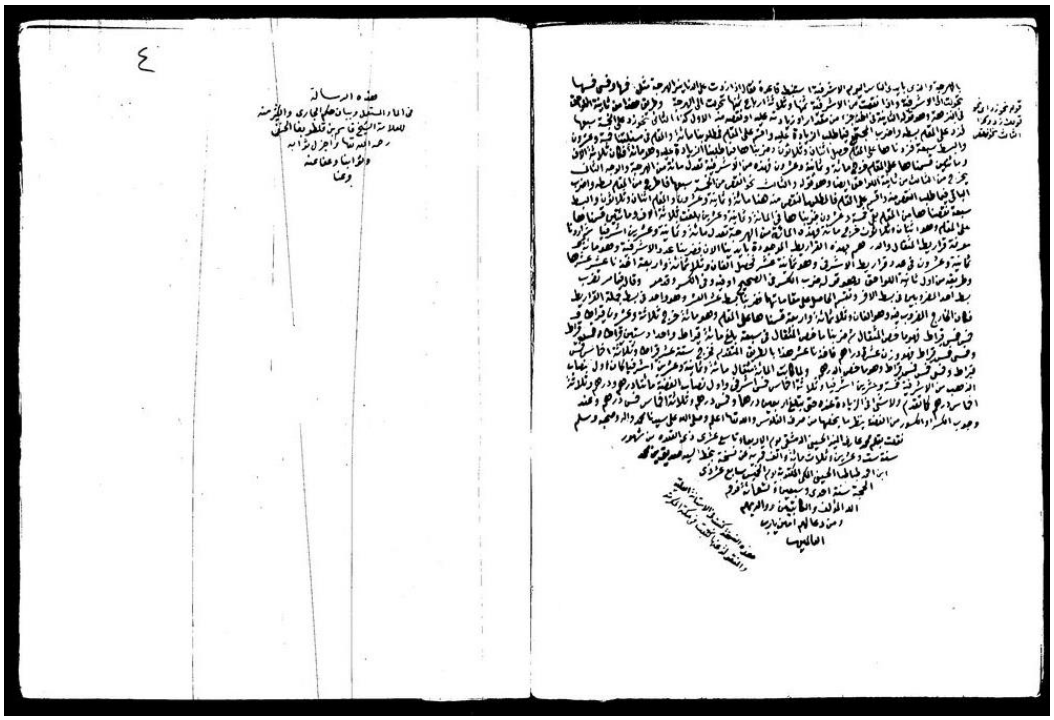

القسم الثاني: النص المحقق:

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذي اصطفى، وبعد:

فإنِ الفقير إلى رحمة ربه الغني قاسم الحنفي يقول: أنه قد وقع لبعض المصنفين كلام في الدينار[٣٧] والدرهم[٣٨] جهلوا به المعلوم، ولم يراعوا المقدر الشرعي المجمع عليه، وحملوا عبارة بعض السلف على خلاف المراد حتى مشى على ذلك[٣٩] شيخنا العلامة كمال الدين ابن الهمام في شرحه للهداية[٤٠] فلم يحقق المسألة كعادته في غيرها [من التحقيق][٤١]، وذكرت بين يديه سرها فوعد بأن يكتب ما هو الصواب فلم يتيسر له انجاز[٤٢] ما وعد به فاستخرت الله سبحانه وتعالى.

وقلت: من المصنفين الذين أشرت إليهم الإمام حسام الدين الشهيد[٤٣] في الفتاوى الكبرى، وتبعه الإمام المعروف بالخاصي[٤٤]، والإمام أبو المحامد محمود بن مسعود[٤٥]، والإمام أبو المكارم اسحاق بن أبي بكر الولوالجي[٤٦] في كتاب الفتاوى له حيث قالوا: الزكاة تجب في الغطارفة[٤٧] إذا كانت مائتين لأنها اليوم من دراهم الناس، وإن لم تكن من دراهم الناس في الزمن الأول، وإنما يعتبر في كل زمان عادة أهل ذلك الزمان إلا ترى أن مقدار المائتين لوجوب الزكاة من الفضة إنما يعتبر بوزن سبعة، وإن كان مقدار المائتين في الزكاة في زمن النبي صلى الله تعالى[٤٨] عليه وسلم كان بوزن خمسة[٤٩]، وفي زمن عمر رضي الله تعالى عنه[٥٠] بوزن ستة[٥١]، فيعتبر دراهم كل بلد بوزنهم، ودنانير كل بلد بوزنهم، وإن كان الوزن يتفاوت، وتبعهم قاضي خان[٥٢] رحمه الله[٥٣] إلا أنه حكاه بقيل فقال: "وقيل في كل بلد يعتبرون وزن ذلك البلد"[٥٤]؛ فظن هؤلاء[٥٥] أن الشارع أوجب الزكاة في مائتين عدداً تزن كل عشرة منها خمسة مثاقيل[٥٦]؛ لأن دراهم زمانه كذلك كانت، وعمر رضي الله تعالى[٥٧] عنه أخذ الزكاة من مائتين عدداً تزن كل عشرة منها ستة مثاقيل؛ لأن دراهم زمانه كانت كذلك، وفي بلادهم تجب في مائتين عدداً تزن كل عشرة منها سبعة مثاقيل؛ لأن دراهم بلادهم كانت كذلك، وظن[٥٨] شيخنا صحة هذا [أ/٢] فقال بعد حكاية عبارة قاضي خان[٥٩] رحمه الله[٦٠] إلا أني أقول فينبغي أن يقيد بما إذا كانت دراهمهم لا تنقص عن أقل ما كان وزناً في زمانه

صلى الله تعالى[٦١] عليه وسلم وهي ما يكون العشرة وزن خمسة لأنها أقل ما قدر النصاب بمائتين منها حتى لا تجب في مائتين من الدراهم المسعودية[٦٢] الكائنة بمكة مثلاً، وإن كانت دراهم قوم وكأنه يعني من نقل عنهم قاضي خان رحمه الله[٦٣] اعمل اطلاق الدراهم، والأواقي[٦٤] يعني المذكورة في النصوص النبوية في الموجود [وما يمكن أن يوجد ويستحدث ونحن أعملنا في الموجود][٦٥]؛ لأن الظاهر أن الإشارة بالكلام إلى ما هو المعهود الثابت، والله سبحانه اعلم[٦٦].

ثم فرع فقال فإن لم يكن لهم دراهم إلا كبيرة بوزن[٦٧] سبعة فالاحتياط على هذا أن تزكي[٦٨] وإن كانت أقل من مائتين إذا بلغ ذلك الأقل قدر نصاب هو وزن[٦٩] خمسة إلا يرى إلى مالم[٧٠] تكن الدراهم إلا وزن عشرة أو أقل فما يزيد على وزن سبعة وجبت الزكاة في أقل من مائتين منها[٧١] بحساب وزن السبعة.

وعن هذا قال في الغاية[٧٢]: دراهم مصر أربعة وستون حبة، وهو أكبر من درهم الزكاة، فالنصاب منه مائة وثمانون وحبتان انتهى [ما في الغاية][٧٣].

فإذا لم يثبت أن درهم الزكاة مقدراً[٧٤] شرعاً ما[٧٥] هو وزن سبعة [بل][٧٦] بأقل منه لما قلنا وجب أن يعتبر الأقل في الدراهم الكبيرة فتزكى إذا بلغت قدر مائتين من الصغار والله تعالى[٧٧] اعلم.

ثم ما ذكر في الغاية من دراهم مصر فيه نظر على ما اعتبروه في درهم الزكاة لأنه أن أراد بالحب[٧٨] الشعيرة[٧٩] فدرهم الزكاة سبعون شعيرة إذا كان العشرة وزن سبعة مثاقيل، والمثقال مائة شعيرة على ما قدمناه فهو اذن[٨٠] أصغر لا أكبر وإن أراد بالحبة أنها شعيرتان كما وقع تفسيرها في تعريف السجاوندي[٨١] الطويل فهو خلاف الواقع، إذ الواقع أن درهم مصر لا يزيد على أربعة وستين شعيرة؛ لأن كل ربع مقدر منها[٨٢] بأربع خرانيب، والخرنوبة مقدرة بأربع قمحات وسط انتهى.

والذي حمل الشيخ على ذلك أنه فهم من كلام أبي عبيد[٨٣] خلاف مقصودة وفهم من كلام السجاوندي نحو ما فهم صاحب الغاية وذلك أنه قال في قول صاحب الهداية والمعتبر في الدراهم وزن سبعة وهو أن يكون العشرة منها[٨٤] وزن سبعة مثاقيل بذلك جرى التقدير في

ديوان عمر رضي الله تعالى[٨٥] عنه واستقر الأمر عليه هذا الاعتبار في الزكاة ونصاب السرقة والمهر وتقدير الديات[٨٦] [ب/٢] وإذ قد أخذ المثقال في تعريف الدرهم فلابد من النظر فيه وظاهر كلام المصنف رحمه الله[٨٧] في صدقة الذهب أنه معروف قال أبو عبيد في كتاب الأموال[٨٨]: "ولم يزل المثقال في آباد الدهر محدوداً لا يزيد ولا ينقص"، وكلام السجاوندي في كتاب قسمة التركات خلافه قاله الدينار بصنجة[٨٩] أهل الحجاز عشرون قيراطاً[٩٠]، والقيراط خمس شعيرات، فالدينار عندهم مائة شعيرة، وعند أهل سمرقند ستة وتسعون شعيرة؛ فيكون القيراط [عندهم][٩١] طسوجاً[٩٢] وخمسة، وذكر فيه أيضاً في تحرير الدينار مطلقاً.

اعلم أن الدينار: ستة دوانيق[٩٣]، والدانق: أربع طسوجات، والطسوج: حبتان، والحبة: شعيرتان، والشعيرة: ستة خرادل[٩٤]، والخردل: اثنى عشر فلساً[٩٥]، والفلس: ست فتيلات[٩٦]، والفتيل: ست نقيرات[٩٧]، والنقيرة: ثمان قطميرات[٩٨]، والقطميرة: ثنتا عشر[٩٩] ذرة[١٠٠]، انتهى.

فإن كان المراد بالخرادل والشعيرة المعروف فلا حاجة إلى الاشتغال بتقدير ذلك وهو تعريف للدينار على عرف سمرقند، وتعريف دينار الحجاز هو المقصود إذ[١٠١] الحكم خرج من هناك ويوضح ذلك قوله صلى الله تعالى[١٠٢] عليه وسلم: ((المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن وزن أهل مكة[١٠٣]))[١٠٤] لفظ النسائي[١٠٥] عن أحمد بن سليمان[١٠٦] ووثقه[١٠٧].

وإن لم يكن كذلك بل لهم فيه اصلاح خاص فلم يحصل بما ذكره تحديد ولا تميز عند العقل؛ لأن الذرة حينئذ هي[١٠٨] مبدأ ما يقدر به هذه المسميات الاصطلاحية ولا يعرف شخصها وقد لا يقدر على الاعتبار بها لو عرف وأنت تعلم أن المقصود تقدير كمية شيء موجود ثابت والتوصيل إلى ذلك لا يتوقف على هذه التكلفات مع أنه لم يحصل بذلك مقصود وغير واحد [اختصهم][١٠٩] على التقدير الأول يعني والدينار[١١٠] عندهم مائة شعيرة والاقتصار على مثله لا يجوز في افادة التقدير إلا أن يكون [المراد][١١١] الوسط من الشعيرات المعروفة وإلا يكون تجهيلاً ولو انتهى إلى الخ أول كان حسناً إذ لا تتفاوت احاده وكذا بعض الأشياء وهذا كله على تقدير كون الدينار والمثقال مترادفان والظاهر أن المثقال

اسم للمقدار المقدر به[١١٢] والدينار اسم للمقدر [به][١١٣] بقيد ذهبيته وإذا عرفت هذا فقالوا كانت الدراهم على عهد النبي[١١٤] عليه الصلاة والسلام ثلاثة اصناف [أ/٣] [صنف][١١٥] كل عشرة وزن عشرة مثاقيل، وصنف كل عشرة وزن خمسة، وصنف كل عشرة وزن ستة، فلما وقع الخلاف في الإيفاء والإستيفاء، وقيل أراد عمر رضي الله تعالى عنه[١١٦] أن يستوفي الخراج بالصنف الأول فالتمسوا التخفيف فجمع حساب زمانه فاخرجوا عشرة وزن سبعة، وقيل أخذ عمر رضي الله تعالى[١١٧] عنه من كل صنف درهماً فخلطه فجعله[١١٨] ثلاثة دراهم متساوية فخرج الدرهم أربعة عشر قيراطاً كل عشرة وزن سبعة مثاقيل فبقي العمل عليها، وأجمع الناس عليها وهذا صريح في إن كون الدراهم بهذه الزنة لم[١١٩] يكن في زمنه صلى الله تعالى[١٢٠] عليه وسلم ولا شك في ثبوت وجوب الزكاة في زمانه صلى الله تعالى[١٢١] عليه وسلم وتقديره لها واقتضاء عماله إياها خمسة من كل مائتين فإن كان المعين لوجوب الزكاة في زمنه[١٢٢] الصنف الأعلى لم يجز النقص وإن كان ما دونه لم يجز تعيين هذه لأنها زيادة على المقدر يوجب نفي الوجوب بعد تحققه لأنه على ذلك التقدير يتحقق في مائتين وزن خمسة أو ستة فالقول بعدم الوجوب ما لم تبلغ مائتين وزن سبعة ملزوم لما ذكرنا، وظاهر كلام أبي عبيد في كتاب الأموال[١٢٣]: أن أيها وجد كانوا يزكونه قال كانت الدراهم قبل الإسلام كباراً وصغاراً فلما جاء الإسلام وأرادوا ضرب الدراهم وكانوا يزكونها من النوعين فنظروا إلى الدرهم الكبير فإذا هو ثمانية دوانق وإلى الدرهم الصغير فإذا هو أربعة دوانق[١٢٤] فوضعوا زيادة الكبير على نقصان الصغير فجعلوها درهمين سواء كل واحد ستة دوانق ثم اعتبروها بالمثاقيل ولم يزل المثقال في آباد الدهر لا يزيد ولا ينقص فوجدوها عشرة من هذه وزن سبعة مثاقيل انتهى.

وإنما سقنا بقية كلامه ليظهر ما فيه من المخالفة لما تقدم ويقتضي أن النصاب ينعقد من الصغار وهو الحق لأنهم لم يختلفوا في تفاوت الدراهم صغراً وكبراً في زمانه عليه الصلاة[١٢٥] السلام فبالضرورة تكون الأوقية مختلفة أيضاً بالصغر والكبر وقد أوجب عليه [السلام][١٢٦] في خمس أواق الزكاة مطلقاً من غير تقييد بصنف فإذا صدق على الصغيرة

خمس أواق [ب/٣] وجب فيها الزكاة بالنص ويؤيده نقل أبي عبيد[١٢٧] أنهم كانوا يزكون النوعين وعن هذا والله تعالى[١٢٨] واعلم.

ذهب بعضهم إلى أن المعتبر في حق أهل كل بلد دراهمهم كما[١٢٩] ذكره قاضي خان[١٣٠] رحمه الله[١٣١] إلا أني أقول ينبغي أن يقيد إلى آخر ما حكيته عنه انتهى. أما أنهم جهلوا المعلوم فلأن الدرهم[١٣٢] اسم لوزن معلوم قدره لا يزيد ولا ينقص وهو بالنسبة إلى المثقال نصف مثقال وخُمسه والمثقال، قال في ديوان الأدب[١٣٣]: "وزن معلوم قدره".

وقال أبو عبيد في كتاب الأموال[١٣٤]: "ولم يزل المثقال في آباد الدهر لا يزيد ولا ينقص، وقد اطلق الشارع صلى الله تعالى[١٣٥] عليه وسلم المثقال[١٣٦]، والدينار، والدرهم[١٣٧]، والأواقي[١٣٨] في أحاديث كثيرة في الصحيحين والسنن لكونها معلومة القدر وزناً عند الناس".

وقال ابن عبد البر[١٣٩]: "أجمع العلماء على أن الذهب أن بلغ أربعين مثقالاً فالزكاة فيه واجبة بمرور الحول رُبُع عُشرِة، واجمعوا أنه ليس فيما دون عشرين مثقالاً زكاة"[١٤٠].

وقال مالك[١٤١]: "السنة الذي[١٤٢] لا اختلاف فيها عندنا أن الزكاة تجب في عشرين ديناراً عيناً كما تجب في مائتي درهم"[١٤٣].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام صاحب الإمام محمد بن الحسن[١٤٤] في كتاب الأموال[١٤٥]: "كانت الدراهم قبل الإسلام صغار وكبار[١٤٦] فلما جاء الإسلام وأرادوا ضرب الدراهم وكانوا يزكونها من النوعين فنظروا إلى الدرهم الكبير فإذا هو ثمانية دوانق وإلى الدرهم الصغير فإذا هو أربعة دوانق فوضعوا زيادة الكبير على نقصان الصغير فجعلوهما درهمين سواء كل واحد ستة دوانق ثم اعتبروها بالمثاقيل ولم يزل المثقال في آباد الدهر لا يزيد ولا ينقص فوجدوها عشرة من هذه الدراهم التي واحدها ستة دوانق تكون سبعة مثاقيل سواء[١٤٧] فاجتمعت فيها وجوه ثلاثة أن العشرة منها وزن سبعة مثاقيل وإنه عدل بين الكبار والصغار وإنه موافق لسنة رسول الله صلى الله تعالى[١٤٨] عليه وسلم في الصدقة فمضت عليه السنة وأجمعت عليه الأمة والناس في زكاتهم بحمد الله تعالى على الأصل الذي هو السنة لم يزيغوا[١٤٩] عنه وكذلك في البياعات والديات على أهل الورق" انتهى.

وقال في المغني[١٥٠]: "أجمع أهل العلم على أن في مائتين درهم خمسة [أ/٤] دراهم، وعلى أن الذهب إن كان عشرين مثقالاً، وقيمته مائتا درهم إن الزكاة تجب فيه، ونصاب الفضة مائتا درهم لا خلاف في ذلك بين علماء الإسلام، والدراهم التي يعتبر بها النصاب هي الدراهم التي كل عشرة منها وزن سبعة مثاقيل بمثقال الذهب، فكل درهم نصف مثقال وخمسه، وهي الدراهم الإسلامية التي يقدر بها نصاب الزكاة، ومقدار الجزية، والديات، ونصاب القطع في السرقة، وغير ذلك، وكانت الدراهم في صدر الإسلام صنفين: سوداء[١٥١] وطبرية[١٥٢]، وكانت السوداء ثمانية دوانيق[١٥٣]، والطبرية أربعة دوانيق[١٥٤]، فجمعا في الإسلام، وجعلا درهمين متساويين، فكل درهم ستة دوانيق[١٥٥]، فعل ذلك بنو أمية فاجتمعت فيه ثلاثة أوجه: إن كل عشرة وزن سبعة، والثاني: أنه عدل بين الكبير والصغير، والثالث: أنه موافق لسنة رسول الله صلى الله تعالى[١٥٦] عليه وسلم ودرهمه الذي قدر به المقادير الشرعية[١٥٧]" انتهى.

قوله فعل ذلك بنو أمية. قلت: عين الفاعل ابن سعد[١٥٨] فروى في الطبقات[١٥٩] بإسناده إلى أبي الزناد عبد الله بن ذكوان[١٦٠] صاحب أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر [بن][١٦١] الخطاب رضي الله تعالى عنهم أنه قال: "ضرب عبد الملك[١٦٢] الدراهم والدنانير سنة خمس وسبعين وهو أول من أحدث ضربها ونقش عليها".

وقال الكرخي[١٦٣] في مختصره وإذا بلغت الفضة مائتي درهم وكان الوزن وزن سبعة وهو أن يكون الدرهم أربعة عشر قيراطاً من الذهب فتكون العشرة وزن سبعة مثاقيل والمائتان وزن مائة وأربعين مثقالاً وإذا بلغ الذهب عشرين مثقالاً ففي كل واحد منهما ربع عشرة خمسة في مائتين ونصف دينار في عشرين.

قلت: إنما كان الدرهم أربعة عشر قيراطاً؛ لأن المثقال كان عندهم عشرين قيراطاً فالدرهم نصف وخمس كما قال في المغنى، وقال في الايضاح: والمعتبر في الدرهم وزن سبعة وهو أن يكون كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل اتفقت الأئمة عليه انتهى.

فيصح بهذا ما ذكرته عمن قال يعتبر وزن البلد من تجهيلهم المعلوم وعدم رعاية المقدر الشرعي ومخالفة ما أجمعت الأمة عليه وظهر إن ما توهموا[١٦٤] به من أن الدراهم كانت

على عهد رسول الله صلى الله تعالى[١٦٥] عليه وسلم كل عشرة وزن خمسة مثاقيل وعلى عهد [ب/٤] [عمر][١٦٦] رضي الله تعالى عنه[١٦٧] وزن ستة مثاقيل باطل لا أصل له ويناقضه قوله في الاختيار والأصل في ذلك ما روى أن الدراهم كانت مختلفة على عهد عمر رضي الله تعالى عنه[١٦٨] بعضها اثنى عشر قيراطاً وبعضها عشرة قراريط وبعضها عشرون قيراطاً وكان الناس يختلفون في معاملتهم فشاور عمر الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال بعضهم خذوا من كل نوع فأخذوا من كل درهم ثلاثة فبلغ أربعة عشر قيراطاً فجعله درهماً فجاءت العشرة مائة وأربعين قيراطاً وذلك سبعة مثاقيل وهذا يخالفه في السبب وكيفية العمل ما في الظهيرية أن الأوزان كانت على عهد رسول الله صلى الله تعالى[١٦٩] عليه وسلم وأبي بكر رضي الله تعالى عنه[١٧٠] مختلفة فلما كان زمن عمر رضي الله تعالى[١٧١] عنه طلبوا منه أن يجمع الناس على نقد واحد فأخذ من كل نوع من الأنواع الثلاثة درهماً فكانت اثنين وأربعين قيراطاً وأمر أن يضرب من ذلك ثلاثة دراهم متساوية فكان كل درهم أربعة عشر قيراطاً وهو وزن سبعة التي جمع عليها عمر الناس وبقي ذلك إلى يومنا ويخالف هذا في السبب ما في شرح الهداية فلما استخلف عمر رضي الله تعالى[١٧٢] عنه فأراد[١٧٣] أن يستوفي الخراج فطالبهم[١٧٤] بالأكبر فشق عليهم والتمسوا[١٧٥] منه التخفيف فجمع حساب زمانه لينظروا بين ما رآه عمر رضي الله تعالى عنه[١٧٦] وبين ما رأته الرعية فاستخرجوا له وزن سبعة ويخالف هذا[١٧٧] من حديث أن عمر رضي الله تعالى عنه[١٧٨] لا يصح عنه أنه لا[١٧٩] يطالب بالأكبر ما روى عبد الرزاق بإسناده قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: أرض كذا وكذا يطيقون من الخراج أكثر مما عليهم فقال [عمر][١٨٠] ليس إليهم سبيل.

وفي البخاري[١٨١] عن عمرو بن ميمون[١٨٢] قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام وقف على حذيفة[١٨٣] وعثمان بن حنيف[١٨٤]، وقال: كيف وظفتما أن تخافا[١٨٥] أن تكون[١٨٦] حملتما الأرض ما لا تطيق؟، قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل، [فقال][١٨٧]: أنظرا إن كنتما حملتموها[١٨٨] ما لا تطيق؟، قالا: لا[١٨٩]. هذا ما تيسر

في تحرير كلام من ذكرنا، وأما ما ذكره شيخنا العلامة كمال الدين رحمه الله[١٩٠] فقوله وكلام السجاوندي خلافه الخ.

قلت: لا مخالفة بينهما والدينار[١٩١] متفقان في الوزن، وإنما[١٩٢] الشعير يختلف خفة وثقلاً في الأقطار والأعصار، إلا ترى أن الشيخ محيي الدين النووي[١٩٣] رحمه الله[١٩٤] قال: "وزن المثقال ثنتان وسبعون [أ/٥] حبة من حب الشعير الممتلئ[١٩٥] غير خارج عن مقادير الشعير غالباً"[١٩٦]، وعنى به أن يكون مقطوع مارق وطال من طرفي كل شعيرة وأن زنة كل درهم من الشعير خمسون حبة وخمسا حبة، والشيخ الإمام أبا عبد الله الفاسي[١٩٧] رحمه الله[١٩٨] قال في شرح الموطأ: قد رأيت درهماً مدوراً وجدت فيه منقوشاً أنه ضرب بدمشق سنة أربع وسبعين من الهجرة وحررت وزنه من حب القمح المعتدل في الخفة والثقل والكبر والصغر ستون حبة غير حبة واحدة.

وفي الغاية أنه بمصر أربعة وستون حبة قوله وذكر فيه أيضاً في تحديد الدينار مطلقاً الخ.

قلت: قوله تحديد تصحيف تجزئه ومراده تجزئة الواحد سواء كان ذهباً أو فضة أو حيواناً أو عقاراً كما تقول حساب ديارنا أن القيراط جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الواحد أي ثلث ثمنه فمخرجه أربعة وعشرون[١٩٩] وأن الحبة ثلث القيراط وأنها جزء من اثنين وسبعين جزءاً من الواحد أي ثمن تسعه فمخرجها اثنان وسبعون، وأن الدانق نصف الحبة وسدس القيراط، وأنه جزء من مائة وأربعة وأربعين جزءاً من الواحد، أي: نصف ثمن تسعه فمخرجه مائة وأربعة وأربعون، فالقيراط والدانق ونحوهما كل [منها][٢٠٠] اسم لقدر نسبي إلى الواحد يختلف باختلاف الاصطلاح فعلى ما ذكر عن أهل الحجاز وأهل سمرقند يكون القيراط ربع خمس الواحد، وعند أهل مصر وما وافقها من البلاد ثلث ثمن[٢٠١] والدانق عند أولئك سدس الواحد وعندنا سدس ثلث ثمنه وبهذا سقط جميع ما أورده الشيخ إلى قوله وإذا عرفت هذا وقوله فقالوا كانت الدراهم [الخ][٢٠٢] قد قدمت ما فيه قوله فإن كان المعين لوجوب الخ هذا بحث منه فيما قالوا وهو بناء على ما ظن من أن المراد بالدراهم المزكاة مائتان عدداً وقد علمت

أن المراد مائتان وزناً بالقدر المعلوم وزنه الذي لم يختلف قوله، وظاهر كلام أبي عبيد في كتاب الأموال[٢٠٣]: أن أيها وجد كانوا يزكونه؟ قلت: نعم يزكونه بحسابه من الوزن.

قوله: وكانوا يزكونها من النوعين. قلت: بحساب كل نوع من الوزن فالصغار إذا بلغت ثلاثمائة عدداً فإن وزنها حينئذ مائتا درهم كما في ديارنا [ب/٥] إذا بلغت من العدد أربع مائة واثنين وثلاثة اخماس درهم؛ لأن ذلك مائة وأربعون مثقالاً وزناً والكبار إذا بلغت مائة وثلاثة وثلاثين وثلثا عدداً فإن ذلك مائة وأربعون مثقالاً وزناً.

قوله: وإنما سقنا بقية كلامه ليظهر ما فيه من المخالفة لما تقدم يعني من كلام السجاوندي. وقد بينت أن لا مخالفة.

قوله: ويقتضي أن النصاب ينعقد من الصغار. قلت: على الوجه الذي بينته لا من عددها مائتين، فإن ذلك باطل لمخالفة درهمه صلى الله تعالى[٢٠٤] عليه وسلم الذي قدر به كما صرح به في المغني[٢٠٥].

قوله وهو الحق، قلت: الحق ما ورد به النص وانعقد عليه الاجماع كما قدمناه.

قوله: فبالضرورة تكون الأوقية مختلفة أيضاً. قلت: هذا لو كانت من أربعين عدداً لكنها من أربعين درهم[٢٠٦] وزناً. قال في المغني[٢٠٧]: من غير خلاف.

قوله فإذا صدق على الصغيرة[٢٠٨] خمس أواق وجب فيها الزكاة بالنص. قلت: إنما يصدق عليها خمس أواق إذا بلغت [من الوزن][٢٠٩] مائة وأربعين مثقالاً ومن عددها ثلاثمائة.

قوله: ويؤيده نقل أبي عبيد[٢١٠] أنهم كانوا يزكون النوعين. قلت: قد بينت معناه قريباً فيما تقدم[٢١١] قوله وعن هذا والله تعالى[٢١٢] اعلم.

ذهب بعضهم إلى أن المعتبر في حق كل أهل بلد[٢١٣] دراهمهم ذكره قاضي خان رحمه الله[٢١٤]. قلت: وقد بينت فساده أتم بيان وأوضحه وإنما قلت إذا بلغت أربعمائة واثنين وثلاثة اخماس درهم لأنها إنما بان[٢١٥] من هذه الانصاف الآن والنصاب منها مائتا درهم ودرهم وثلاثة أخماس درهم وإنما كان كذلك؛ لأن درهمنا ستة عشر قيراطاً من هذه القراريط الموجودة بأيدينا الآن وهو ينقص عن درهم الزكاة ثلاثة اخماس خمس قيراط وخمس خمس

خمس قيراط كما [أن المثقال بها ثلاثة وعشرون قيراطاً وخمس خمس قيراط كما][٢١٦] سنبين، ولما رأى الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن المجدي[٢١٧] رحمه الله [تعالى][٢١٨] أن المعتبر في الزكاة المثاقيل وهي المسماة [بالهرجة[٢١٩]] [٢٢٠] والذي بأيدي الناس اليوم [الأشرفية[٢٢١]][٢٢٢] استنبط قاعدة، فقال: إذا زدت على الدنانير الهرجة مثل خمسها وخمس خمسها تحولت إلى الأشرفية، وإذا نقصت من الأشرفية ثمنها وثلاثة أرباع ثمنها تحولت إلى الهرجة وطريق هذا من ثانية اللواحق في النزهة وهو قوله الثانية في أخذ جزء من مقدار أو [أ/٦] زيادته عليه أو نقصه منه الأول كذا الثاني نحو زد على الخمسة سبعها فزد على المقام بسطه وأضرب المجتمع فيما طلب الزيادة عليه واقسم على المقام فمطلوبنا مائة والمقام في مسألتنا خمسة وعشرون والبسط سبعة فزدناها على المقام حصل اثنان وثلاثون وضربناها فيما طلبنا الزيادة عليه وهو مائة فكان ثلاثة ألاف ومائتين قسمناها على المقام خرج مائة وثمانية وعشرون فهذه من الأشرفية تعدل مائة من الهرجة والوجه الثاني يخرج من الثالث من ثانية اللواحق أيضاً وهو قوله والثالث نحو انقص من الخمسة سبعها فاطرح من المقام بسطه واضرب الباقي فيما طلب النقص منه واقسم على المقام فالمطلوب النقص منه هنا مائة وثمانية وعشرون والمقام اثنان وثلاثون والبسط سبعة نقصناها من المقام بقي خمسة وعشرون ضربناها في المائة وثمانية وعشرين بلغت ثلاثة ألاف ومائتين قسمناها على المقام وهو اثنان وثلاثون خرج مائة فهذه المائة من الهرجة تعدل مائة وثمانية وعشرين أشرفياً ثم اردنا معرفة قراريط المثقال، والدرهم بهذه القراريط الموجودة بأيدينا الآن فضربنا عدد الأشرفية وهو مائة وثمانية وعشرون في عدد قراريط الأشرفي وهو ثمانية عشر فحصل ألفان وثلاثمائة وأربعة أخذنا عشر عشرها وطريقة من أول ثانية اللواحق، وهو قوله ضرب الكسر في الصحيح أو فيه، وفي الكسر، وقد مر، وقال فيما مر تضرب بسط أحد المضروبين في بسط الآخر وتقسيم الحاصل على مقاماتها فضربنا [بسط][٢٢٣] عشر العشر وهو واحد في جملة بسط[٢٢٤] القراريط فكان الخارج المضروب فيه وهو الفان وثلاثمائة وأربعة قسمناها على المقام وهو مائة خرج ثلاثة وعشرون قيراطاً وخمس خمس قيراط فهو ما خص المثقال ثم ضربنا ما خص المثقال في سبعة بلغ مائة قيراط واحداً وستين قيراطاً وخمس قيراط

وخمس خمس قيراط فهو وزن عشرة دراهم فأخذنا عشر هذا بالطريق المتقدم فخرج ستة عشر قيراطاً وثلاثة اخماس خمس قيراط وخمس خمس خمس قيراط وهو ما خص الدرهم ولما كانت المائة مثقال مائة وثمانية وعشرين أشرفياً كان أول نصاب [ب/٦] الذهب من الأشرفية خمسة وعشرين أشرفياً ونصف أشرفي وعشر أشرفي أعني ثلاثة أخماس أشرفي ولا شيء في الزيادة عند أبي حنيفة رحمه الله حتى تبلغ خمسة أشرفية[٢٢٥] وثلاثة أخماس خمس أشرفي وأول نصاب الفضة مائتا درهم ودرهم وثلاثة اخماس درهم كما تقدم ولا شيء في الزيادة عنده حتى تبلغ أربعين درهماً وخمس درهم وثلاثة اخماس خمس درهم وعند وجوب الكسر أو الكسور من الفضة بنظر ما يخصها من صرف الفلوس والله تعالى اعلم بحقيقة الحال تم التحرير على يد العبد الفقير عبد الله بن علي مجاوراً بمكة المكرمة في يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الآخر لسنة ١٠٣٣[٢٢٦].

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، ب. ط، (بيروت، ب. ت).
- ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناح، المكتبة العلمية، ب. ط، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ابن أنس، مالك بن أنس بن مالك (١٧٩هـ/٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط١، (أبو ظبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م) الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ابن عبد البر، علي بن أحمد بن سعيد القرطبي (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ب. ط، (المغرب،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١، (القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: دكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب. ط، (القاهرة، ب. ت).

– ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ب. ط. (مصر، ب. ط).

– حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، ب. ط. (بغداد، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م).

– ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، ط١، (حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

– ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

– ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت: ٣١١هـ/٩٢٤م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

– الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: ٣٨٨هـ/٩٩٨م)، معالم السنن، المطبعة العلمية، ط١، (حلب، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م).

– ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الجزء١، ب. ط. (بيروت، ١٨٨٨هـ/١٩٠٠م).

– ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء٧، ط١، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

– ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء٤، ط١، (١٣٩١هـ/١٩٧١م).

– الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

– الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ/١٢٦٨م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، (بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

– الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ب. ط. (الكويت، ب. ت).

– الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، (بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

– السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، (القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

– السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، ب. ط، (بيروت، ب. ت).

– السروجي، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني (٧١٠هـ/١٣١٠م)، مخطوطة مكتبة السليمانية في اسطنبول، رقم الحفظ (٥٣٢).

– ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

– السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٧)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، (حيدر آباد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).

– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ب. ط، (لبنان، ب. ت).

– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، (القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

– الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، ب. ط، (بيروت، ب. ت).

– الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، ط١، (بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

– الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، (الموصل، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

– أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم بن عبد الله (ت: ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، ب. ط، (بيروت، ب. ت).

– ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، (دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

– الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

– الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت: ١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

– الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ب. ط، (القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

– ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

– الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، (بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

– الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، ب. ط، (بيروت، ب. ت).

– قاضي خان، فخر الدين حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني (٥٩٢هـ/١١٩٦م)، فتاوى قاضيخان، اعتنى به: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

– ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي (ت: ٨٥١هـ/١٤٤٨م)، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط١، (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

– ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت: ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، المغني، مكتبة القاهرة، ب. ط، (القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

– القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله (ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، ب. ط، (كراتشي، ب. ت).

– ابن قطلوبغا، قاسم بن قطلوبغا (ت: ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، مُنية الألمعي فيما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعي بتقدمة وتحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي، ب. ط، (القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م).

– القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، ط١، (دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، ب. ط، (القاهرة، ب. ت).

– مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ/٨٧٥م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ب. ط، (بيروت، ب. ت).

– المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي الخوارزمي (ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م)، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ب. ط، (بيروت، ب. ت).

– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه: الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

– المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، ب. ط (القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

– النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م)، تسمية مشايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي وذكر المدلسين، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد، ط١، (مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

– النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

– أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط١، (الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

– النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، ط١، (دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

– الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

– أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

ثانياً: المراجع:

– بكار، محمد محمود أحمد، العلامة زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى (٨٧٩هـ/١٣٩٩م) وجهوده في السنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الأزهر، (القاهرة، ٢٠٠٩م).

– ابن قاسم، محمد حسين تاجي، الإمام الحافظ قاسم بن قطلوبغا الحنفي حياته وآثاره مع تحقيق كتابه: تخريج أحاديث أصول البزدوي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة كراتشي، كلية الدراسات الإسلامية، (باكستان، ١٩٦٦م).
– قلعجي، محمد رواس، حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، (عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
– النقشبندي، ناصر السيد محمود، الدرهم الإسلامي، مطبعة الحكومة، ب. ط، (بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

---

(١) للمزيد يُنظر: ابن قاسم، محمد حسين تاجي، الإمام الحافظ قاسم بن قطلوبغا الحنفي حياته وآثاره مع تحقيق كتابه: تخريج أحاديث أصول البزدوي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة كراتشي، كلية الدراسات الإسلامية، (باكستان، ١٩٦٦م)؛ بكار، محمد محمود أحمد، العلامة زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى (٨٧٩هـ/١٣٩٩م) وجهوده في السنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الأزهر، (القاهرة، ٢٠٠٩م).

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١، (القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج٤، ص٤٢٦؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ج٦، ص١٨٤؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، (دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٩، ص٤٨٧.

(٣) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: دكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب. ط، (القاهرة، ب. ت)، ج٤، ص٢١٥.

(٤) ابن قطلوبغا، قاسم بن قطلوبغا (ت: ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، مُنية الألمعي فيما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعي بتقدمة وتحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي، ب. ط، (القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، المقدمة، ص٦.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤؛ الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج٤، ص٤١.

(٦) الأمير سودون بن عبد الله الفخري الشيخوني، نائب السلطنة بالديار المصرية بها، كان من أتباع الأمير الكبير شيخون العمري الناصري، ثم ترقّى في الدولة سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) إلى أن ولى حجوبية الحجاب بالديار المصرية في دولة الملك الصالح حاجي، ثم نقله الملك الظاهر برقوق إلى نيابة السلطنة في أوائل سلطنته، تزوج بنت أستاذه، وكان محباً في الصالحين، وكان الملك الظاهر يحترمه ويعظمه ولم يتظاهر بالمنكرات إلا بعد أن خمل ولزم بيته، ومات في جمادى الآخرة سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٦م). ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٣، ص٣٠٣-٣٠٤؛ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ب. ط، (مصر، ب. ط)، ج١٢، ص١٥١.

(٧) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، حققه وعلق عليه: الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٣، ص٢٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤.

(٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٩، ص٤٨٧؛ الغزي، ديوان الإسلام، ج٤، ص٤١.

(٩) الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤.

(١٠) البقاعي، عنوان الزمان، ج٤، ص٤٢٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ج٢، ص٤٥.

(١١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤.

(١٢) قبة البيبرسية: والقبة بناها بجانب من الخانقاه الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيري من سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) إلى سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) موضع دار الوزارة قبل أن يلي السلطنة، وبنى بجانب الخانقاه رباطاً كبيراً يتوصل إليه من داخلها، ولهذه القبة شبابيك تشرف على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد إلى باب النصر، من جملتها الشباك الكبير الذي حمله الأمير أبو الحارث

البساسيري من بغداد لما غلب على الخليفة القائم العباسي (٤٢٢- ٤٦٧هـ/١٠٣٢- ١٠٧٥م)، وأرسل به إلى صاحب مصر. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٤، ص٢٨٥؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، (القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص٢٦٥.

(١٣) مشيخة الشيخونية: نسبة إلى خانقاه شيخو أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٤م)، وآخر ما عرف من خبره أنه كان مساكن للناس، فاشتراها الأمير شيخو من أربابها وهدمها في المحرم من هذه السنة، فاختط فيها الخانقاه، ورتب بها دروساً عدة، ووقف عليها الأوقاف الجليلة، فعظم قدرها واشتهر في الأقطار ذكرها، وتخرج بها كثير من أهل العلم، وأربت في العمارة على كل وقف بديار مصر. المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، ص٢٩٢.

(١٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٨.

(١٥) البقاعي، عنوان الزمان، ج٤، ص٤٢٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٩، ص٤٨٨.

(١٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٩.

(١٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٨٢.

(١٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢١-٢٢.

(١٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٥.

(٢٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٦-٤٠.

(٢١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٤.

(٢٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٩٨.

(٢٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص٢٠١.

(٢٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص١٢٧.

(٢٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٥.

(٢٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص٢ وما بعدها؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت: ١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٥٣-٥٤.

(٢٧) ابن العماد، شذرات الذهب، ج١٠، ص٣٥.

(٢٨) ابن العماد، شذرات الذهب، ج١٠، ص٥١.

(٢٩) ابن العماد، شذرات الذهب، ج١٠، ص١٠٤.

(٣٠) ابن العماد، شذرات الذهب، ج١٠، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج١٠، ص٥٢٣.

(٣٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٨٧.

(٣٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، ص١١٥-١١٦.

(٣٤) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٧، ص٢٨٦.

(٣٥) أنباء الغمر، ج٢، ص٣٣٣.

(٣٦) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٦، ص١٨٦.

(٣٧) الدينار: معرب أصله دنار بالتضعيف فأبدل حرف علة للتخفيف، ولهذا يرد في الجمع إلى أصله فيقال دنانير. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ج١، ص٢٠٠، مادة (د ي ن ر)؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، (بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص٣٩٣.

(٣٨) الدرهم: اسم للمضروب من الفضة وهو فارسي معرب وزنه فعلل بكسر الفاء وفتح اللام في اللغة المشهورة، وقد تكسر هاؤه فيقال درهم حملاً على الأوزان الغالبة، وجمع الدرهم: دراهم. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ/١٢٦٨م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، (بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٠٤، مادة(د ر هـ م)؛ الفيومي، المصباح المنير، ج١، ص١٩٣، مادة (د ر هـ).

(٣٩) (على ذلك) محذوفة من ب.

(٤٠) في ب (على الهداية).

(٤١) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٤٢) في ب (نجاز).

(٤٣) الإمام حسام الدين الشهيد: حسام الدين برهان الأئمة أبو محمد الصدر الشهيد عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، المعروف بالصدر الشهيد، من أهل خراسان، قتل بسمرقند ودفن في بخارى سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م)، له: (الفتاوى الصغرى)، و(الفتاوى الكبرى)، و(شرح الجامع الصغير)، وغير ذلك. القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله (ت: ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، ب. ط، (كراتشي، ب. ت)، ج١، ص٣٩١؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، (بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٥، ص٥١.

(٤٤) الخاصي: نجم الدين يوسف بن أحمد بن أبي بكر الخوارزمي الخاصي، نسبته إلى قرية الخاص، في خوارزم، انفرد صاحب الكشف، وعنه الهدية بالقول إنه المعروف بفطيس، له كتب منها: (الفتاوى الصغرى)، و(الفتاوى الكبرى)، توفي سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م). القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص٢٢٣؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢١٤.

(٤٥) الإمام أبو المحامد محمود بن مسعود: القاضي أبو المحامد محمود بن مسعود السغدي، من تلاميذه أبو الحسن محمد بن الحسن بن الحسين المنصوري السمرقندي. القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص٤١.

(٤٦) الإمام أبو المكارم اسحاق بن أبي بكر الولوالجي: أبو المكارم ظهير الدين إسحاق بن أبي بكر الولوالجي، من أهل (ولوالج) وراء بلخ، له (الفتاوى الولوالجية) توفي سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م). حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، ب. ط، (بغداد، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، ج٢، ص١٢٣٠؛ الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٩٤.

(٤٧) الغطارفة: جمع وهو الدرهم الغطريفي ببخارى وما وراء النهر نسب إلى غطريف ابن عطاء الكندي، لأنه لما قدم أميراً على خراسان في سنة (١٧٥هـ/٧٩١م) في خلافة الرشيد سأله أهل بخارى أن يضرب لهم درهماً لا يحمل إلى موضع، ولا يروج في بلد سواه، فضرب درهماً فيه عدة جواهر نفيسة، وإذا سبك لا يحصل منه شيء، فجمع الدينار، والفضة، والحديد، والرصاص، والنحاس، والآنك، والصفر، ولطخوا بالمسك، فضربوا منها «الدراهم الغطريفية»، فنسبت إلى غطريف ابن عطاء الكندي. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٧)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، (حيدر آباد،

١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)،ج١٠، ص٥٧-٥٨؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ج٢، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٤٨) (تعالى) محذوفة من ب.

(٤٩) لحديث النبي ﷺ قال: (هاتوا ربع العشور من كل أربعين درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتي درهم، ففيها خمسة دراهم، فما زاد فعلى ذلك الحساب). ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت: ٣١١هـ/٩٢٤م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج٤، ص٣٤.

وقال الخطابي: "وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عدداً وقت مقدم رسول الله ﷺ إياها، والدليل على صحة ذلك أن عائشة ﵂ قالت فيما روي عنها من قصّة بريرة: (إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت) [البخاري، الصحيح، ج٢، ص٧٥٩]؛ تريد الدراهم التي هي ثمنها". أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: ٣٨٨هـ/٩٩٨م)، معالم السنن، المطبعة العلمية، ط١، (حلب، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ج٣، ص٦١-٦٢.

وذكر ابن عبد البر قائلاً: "ففيه دليل على أن العد في الدراهم الصحاح تقوم مقام الوزن وأن الشراء بها جائز من غير ذكر الوزن لأنها لم تقل أزنها لهم". أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ب. ط، (المغرب،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢٢، ص١٦٩.

(٥٠) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(٥١) ذكر الماوردي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم، وأن منها البغلي وهو ثمانية دوانق، ومنها الطبري وهو أربعة دوانق، ومنها المغربي وهو ثلاثة دوانق، ومنها اليمني وهو دانق، قال: انظروا الأغلب مما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها، فكان الدرهم البغلي، والدرهم الطبري فجمع بينهما، فكانا اثني عشر دانقاً، فأخذ نصفها فكان ستة دوانق، فجعل الدرهم الإسلامي في ستة دوانيق. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، ب. ط، (القاهرة، ب. ت)، ص٢٣٧؛ للمزيد يُنظر: أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص١٧٨.

(٥٢) قاضي خان: فخر الدين أبو المحاسن حسن بن منصور بن محمود المعروف بقاضي خان الأوزجندي الفرغاني الحنفي، والأوزجندي نسبة إلى أوزجند (بنواحي أصبهان، قرب فرغانة)، له: (الفتاوى)، و(شرح الزيادات)، و(شرح الجامع الصغير)، و(شرح أدب القضاء للخصاف)، وغير ذلك، توفي سنة (٥٩٢هـ/١١٩٦م). الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٢١، ص٢٣١؛ القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٠٥.

(٥٣) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(٥٤) قاضي خان، فخر الدين حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني (٥٩٢هـ/١١٩٦م)، فتاوى قاضيخان، اعتنى به: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج١، ص٢٢٠.

(٥٥) (هؤلاء) محذوفة من ب.

(٥٦) مثاقيل: جمع مثقال، ومثقال الشيء ميزانه من مثله ويقال أعطه ثقله وزان حمل، أي: وزنه. الفيومي، المصباح المنير، ج١، ص٨٣، مادة (ث ق ل)

(٥٧) (تعالى) محذوفة ب.

(٥٨) في ب (فظن).

(٥٩) قاضي خان، ج١، ص٢٢٠.

(٦٠) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(٦١) (تعالى) محذوفة من ب.

(٦٢) الدراهم المسعودية: نسبة إلى الملك المسعود يوسف صلاح الدين أبو المظفر ابن محمد الكامل ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب صاحب اليمن المتوفى سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، وهو من الفضة الخالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، وفي المعاملة بثلثي درهم النقرة الكاملي الذي ينسب إلى الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، ط١، (دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ج٤، ص٢٨٠؛ الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٤٨.

(٦٣) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(٦٤) الأواقي: جمع أوقية، بضم الهمزة وتشديد الياء، والجمع يشدد ويخفف، مثل أثفية وأثافي وأثاف، وربما يجيء في الحديث وقية، وليست بالعالية، وهمزتها زائدة، وكانت الأوقية قديماً عبارة عن أربعين درهماً، وهي في غير الحديث نصف سدس الرطل، وهو جزء من اثني عشر جزءاً وتختلف باختلاف اصطلاح البلاد. ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناح، المكتبة العلمية، ب. ط، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص٨٠، مادة (أوق).

(٦٥) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٦٦) في ب (والله اعلم).

(٦٧) في ب (كوزن).

(٦٨) في ب (يزكي).

(٦٩) (وزن) محذوفة من ب.

(٧٠) في ب (مال هذا لم).

(٧١) (منها) محذوفة من ب.

(٧٢) السروجي، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني (٧١٠هـ/١٣١٠م)، مخطوطة مكتبة السليمانية في اسطنبول، رقم الحفظ (٥٣٢)، لوحة (ب/١٧١).

(٧٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٧٤) في ب (مقدر).

(٧٥) في ب (بما).

(٧٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٧٧) (تعالى) محذوفة من ب.

(٧٨) الحب: وحدة الأوزان الشرعية، وهي حبة الشعير المتوسطة التي لم تقشر بعد قطع ما دق واستطال منها، وهي تساوي جزءاً من ثمانية وأربعين جزء من الدرهم = ٠٦٢٠ و ٠ غراماً. قلعجي، محمد رواس، حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، (عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص١٧٤.

(٧٩) الشعيرة: جمع شعير، نوع من الحبوب، ووحدة للوزن ولقياس الاطوال، وزنها الشرعي ست حبات من الخردل البري = ٠ ٦ ، ٠ غراما وطولها الشرعي ٣٢٠، ٠ سم. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٦٣.

(٨٠) في ب (إذا).

(٨١) السجاوندي: سراج الدين أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الرشيد ابن طيفور السجاوندي الحنفي، فرضي توفي سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٤م)، له: (السراجية) مختصر في الفرائض والمواريث، و(شرح السراجية)، و(الوقف والابتداء)، و(الجبر والمقابلة)، و(ذخائر نثار في أخبار السيد المختار ﷺ). القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص١١٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٧.

(٨٢) في ب (منها مقدر).

(٨٣) أبي عبيد: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، من أبناء خرسان، ولد وتعلم بها، وكان مؤدباً، ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس، رحل إلى بغداد، وحج، فتوفي بمكة سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م)، من كتبه: (غريب الحديث)، و(الأموال)، وغيرها. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج٧، ص٢٥٣-٢٥٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٩٠ وما بعدها.

(٨٤) (وزن سبعة وهو أن يكون العشرة منها) محذوفة من ب.

(٨٥) (تعالى) محذوفة من ب.

(٨٦) في الأصل (والديات والديات).

(٨٧) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(٨٨) أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم بن عبد الله (ت: ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ص٦٢٦.

(٨٩) صنجة: الميزان ما يوزن به، وذُكرت سنجة واختُلف بها، قال الفيومي: سنجة وصنجة والسين أعرب وأفصح فهما لغتان وأما كون السين أفصح فلأن الصاد والجيم لا يجتمعان في كلمة عربية وسنج وزان حمل بلدة من أعمال مرو وإليها ينسب بعض أصحابنا. الرازي، مختار الصحاح، ص١٧٩، مادة (ص ن ج)؛ الفيومي، المصباح المنير، ج١، ص٢٩١.

(٩٠) القيراط: بكسر فسكون جمعه قراريط، معيار في الوزن والمساحة اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة يكون مقداره في الوزن يختلف في الفضة عنه في الذهب، ومقداره في وزن الفضة والأشياء ٤ حبات شعير = ٢٤٧٥، ٠ غراماً، ومقداره في وزن الذهب ٤٢، ٣ حبة = ٢١٢، ٠ غراماً. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٣٧٣-٣٧٤.

(٩١) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٩٢) طسوجاً: معربة وهي: مقدار من الوزن ونسبتها للدرهم لا من الدينار، جمعها طساسيج ووزنها يساوي ٢ حبة = ١٢٤، ٠ غرام. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج١٠، ص٢٩٩؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ب. ط، (الكويت، ب. ت)، ج٦، ص٨٦؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٩.

(٩٣) الدانق يساوي دانق ٨ حبات = ٤٩٦، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٩.

(٩٤) الخردل يساوي ٦ / ١ حبة = ٠،٠١٠٣٣، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٩.

(٩٥) الفلس يساوي ٧٢ / ١ حبة = ٠،٠٠٠٨٢، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٩.

(٩٦) الفتيل يساوي ٤٣٢ / ١ حبة = ٠،٠٠٠١٤٣، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٩.

(٩٧) النقيرة تساوي ٢٥٩٢ / ١ حبة = ٠،٠٠٠٠٢٣٩، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٨.

(٩٨) القطميرة تساوي ٢٠٧٣٦ / ١ حبة = ٠،٠٠٠٠٠٢٩، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٨.

(٩٩) في ب (عشرة).

(١٠٠) الذرة تساوي ٢٤٨٨٣٢ / ١ حبة = ٠،٠٠٠٠٠٠٢، ٠ غرام. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٤٨.

(١٠١) في ب (لأن).

(١٠٢) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٠٣) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٣، ص٤٤.

(١٠٤) وأشار الخطابي في الفرق بينهما قائلاً: "فقوله الوزن وزن أهل مكة يريد وزن الذهب والفضة خصوصاً دون سائر الأوزان، ومعناه أن الوزن الذي يتعلق به حق الزكاة في النقود وزن أهل مكة وهي دراهم الإسلام المعدلة منها العشرة بسبعة مثاقيل فإذا ملك رجل منها مائتي درهم وجبت فيها الزكاة، وذلك أن الدراهم مختلفة الأوزان في بعض البلدان والأماكن فمنها البغلي ومنها الطبري ومنها الخوارزمي وأنواع غيرها، والبغلي ثمانية دوانيق والطبري أربعة دوانيق والدرهم الوزان الذي هو من دراهم الإسلام الجائزة بينهم في عامة البلدان ستة دوانيق وهو نقد أهل مكة ووزنهم الجائز بينهم، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عددا وقت مقدم رسول الله ﷺ إياها. معالم السنن، ج٣، ص٦١.

(١٠٥) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي، صاحب السنن، الحافظ، كان إمام أهل عصره في الحديث، أصله من نسا (بخراسان) وجال في

البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة (بفلسطين) فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً، فمات سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م). ودفن ببيت المقدس، وقيل: خرج حاجاً فمات بمكة، له: (السنن الكبرى) في الحديث، و(المجتبى) وهو السنن الصغرى، و(الضعفاء والمتروكون)، و(خصائص أمير المؤمنين علي ﷺ)، وغير ذلك. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ب. ط، (بيروت، ١٨٨٨هـ/١٩٠٠م)، ج١، ص٧٧ وما بعدها؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص١٢٥ وما بعدها.

(١٠٦) أحمد بن سليمان: أبو الحسين أحمد بن سليمان بن عبد الملك، الرهاوي، محدث الجزيرة، سمع: زيد بن الحباب، وجعفر بن عون، ويحيى بن آدم، ويزيد بن هارون، وأبا نعيم، وعبد بن جعفر الرقي، وخلقاً كثيراً، حدث عنه: النسائي فأكثر، وأبو عبد الرحمن مكحول البيروتي، وآخرون، ذكره النسائي فقال: ثقة، مأمون صاحب حديث، توفي سنة (٢٦١هـ/٨٧٥م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٧٥؛ الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، ط١، (بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٦، ص٢٤٧.

(١٠٧) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م)، تسمية مشايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي وذكر المدلسين، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد، ط١، (مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٥٦.

(١٠٨) (هي) محذوفة من ب.

(١٠٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(١١٠) في ب (فالدينار).

(١١١) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(١١٢) (المقدر به) محذوفة من ب.

(١١٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(١١٤) في ب (على عهده).

(١١٥) في الأصل ممسوحة الكلمة وما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(١١٦) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١١٧) (تعالى) محذوفة من ب.

(١١٨) (فجعله) محذوفة من ب.

(١١٩) في ب(الم).

(١٢٠) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٢١) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٢٢) في ب (زمانه).

(١٢٣) أبو عُبيد، الأموال، ص٦٢٦.

(١٢٤) (وإلى الدرهم الصغير فإذا هو أربعة دوانق) محذوفة من ب.

(١٢٥) (الصلاة) محذوفة من ب.

(١٢٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(١٢٧) الأموال، ص٦٢٦.

(١٢٨) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٢٩) (كما) محذوفة من ب.

(١٣٠) قاضي خان، ج١، ص٢٢٠.

(١٣١) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(١٣٢) في ب (الدراهم).

(١٣٣) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ب. ط، (القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص٣١٣.

(١٣٤) أبو عُبيد، الأموال، ص٦٢٦.

(١٣٥) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٣٦) لحديث رويفع بن ثابت ﷺ في غزوة أناس قبل المغرب يقول: (إن رسول الله ﷺ قال في غزوة خيبر: إنه بلغني أنكم تتبايعون المثقال بالنصف أو الثلثين وإنه لا يصلح إلا المثقال بالمثقال والوزن بالوزن). الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، (الموصل، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

(١٣٧) لحديث عثمان بن عفان ﷺ: (أن رسول الله ﷺ قال: لا تبيعوا الدينار بالدينارين، ولا الدرهم بالدرهمين). مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ/٨٧٥م)، المسند الصحيح المختصر بنقل

العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ج٥، ص٤٢.

(١٣٨) لحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه قال: سألت عائشة زوج النبي ﷺ: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا، قالت : أتدري ما النش؟ قال: قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمئة درهم، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه. مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ج٢، ص١٠٤٢.

(١٣٩) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها، وولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي بشاطبة سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م)، من كتبه: (الدرر في اختصار المغازي والسير)، و(الاستيعاب)، و(الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء)، و(الإنباه على قبائل الرواة)، وغيرها. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط١، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج٧، ص٦٦وما بعدها؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٥٣وما بعدها.

(١٤٠) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج٣، ص١٣٦.

(١٤١) مالك: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، ولد في المدينة سنة (٩٣هـ/٧١٢م)، وتوفي في المدينة سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م)، صنف: (الموطأ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط١، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٤، ص١٣٥ وما بعدها؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٨ وما بعدها.

(١٤٢) في ب (التي).

(١٤٣) ابن أنس، مالك بن أنس بن مالك (١٧٩هـ/٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط١، (أبو ظبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج٢، ص٣٤٥.

(١٤٤) الإمام محمد بن الحسن: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من موالي بني شيبان، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط، ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م)، له كتب كثيرة

في الفقه والأصول منها: (الجامع الكبير)، و(الجامع الصغير)، و(الآثار)، و (السير)، وغيرها. وفيات الأعيان، ج٤، ص١٨٤ وما بعدها؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص١٣٤ وما بعدها.

(١٤٥) أبو عُبيد، الأموال، ص٦٢٦.

(١٤٦) في ب (كباراً وصغاراً).

(١٤٧) (سواء) محذوفة من ب.

(١٤٨) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٤٩) يزيغوا: الزاء والياء والغين أصل يدل على ميل الشيء، يقال زاغ يزيغ زيغاً، والتزيغ: التمايل، وقوم زاغة، أي زائغون، وزاغت الشمس، وذلك إذا مالت وفاء الفيء. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٣، ٤٠-٤١، مادة (زيغ)؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، ب. ط (القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٣، ص١٩٠٠، مادة (زيغ).

(١٥٠) ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت: ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، المغني، مكتبة القاهرة، ب. ط، (القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج٣، ص٣٥-٣٦.

(١٥١) سوداء: وتسمى البغلية منسوبة إلى ملك يسمى برأس البغل. النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، ط١، (دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص١١٣.

(١٥٢) طبرية: منسوبة إلى طبرية وهي قصبة الأردن بالشام. المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي الخوارزمي (ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م)، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ب. ط، (بيروت، ب. ت)، ص٢٨٧، مادة (ط ب ر)؛ الحموي، المصباح المنير، ج٢، ص٣٦٨، مادة (ط ب ر).

(١٥٣) يساوي ٤,٢٦٥ غراماً. النقشبندي، ناصر السيد محمود، الدرهم الإسلامي، مطبعة الحكومة، ب. ط، (بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ج١، ص٣.

(١٥٤) يساوي ٢,١٣٢ غراماً. النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ج١، ص٣.

(١٥٥) يساوي ٤,٢٥٠ غراماً. النقشبندي، الدرهم الإسلامي، ج١، ص٥.

(١٥٦) (تعالى) محذوفة من ب

(١٥٧) لحديث النبي ﷺ قال: (هاتوا ربع العشور من كل أربعين درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتي درهم، ففيها خمسة دراهم، فما زاد فعلى ذلك الحساب). ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ج٤، ص٣٤.

(١٥٨) ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري كاتب الواقدي، ولد في البصرة سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م)، وسكن بغداد، وصحب الواقدي زماناً، كان صدوقاً ثقة، توفي في بغداد سنة (٢٣٠هـ/٨٤٥م) ودفن في مقبرة باب الشام، من أشهر كتبه: (طبقات الكبرى). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٥١-٣٥٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦٦٤ وما بعدها.

(١٥٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٧.

(١٦٠) أبي الزناد عبد الله بن ذكوان: أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ويكنى بأبي عبد الرحمن، مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة عثمان بن عفان ﷺ، سمع الأعرج، وروى عنه مالك والثوري وأهل الحجاز، توفي فجأة بالمدينة سنة (١٣١هـ/٧٤٨م)، وكان ثقة كثير الحديث، فصيحاً بصيراً بالعربية عالماً عاقلاً، وقد ولي خراج بالمدينة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١٤؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البُستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، ط١، (حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج٧، ص٦.

(١٦١) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(١٦٢) عبد الملك: أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، وشهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة (٦٥هـ/٦٨٥م) واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب في حربهما مع الحجاج الثقفي، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في دمشق سنة (٨٦هـ/٧٠٥م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٢وما بعدها؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٤٦ وما بعدها.

(١٦٣) الكرخي: أبو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي، انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق، مولده في الكرخ ووفاته ببغداد سنة (٣٤٠هـ/٩٥٢م)، له: (المختصر في الفقه)، و(شرح الجامع الصغير)، و(شرح الجامع الكبير). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٢٦ وما بعدها؛ القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٣٣٧.

(١٦٤) في ب (ماستوضحوا).

(١٦٥) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٦٦) ما بين المعقوفتين من ب.

(١٦٧) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١٦٨) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١٦٩) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٧٠) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١٧١) (تعالى) محذوفة من ب.

(١٧٢) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١٧٣) في ب(وأراد).

(١٧٤) في ب (طالبهم).

(١٧٥) في ب (فالتمسوا).

(١٧٦) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١٧٧) (هذا) محذوفة من ب.

(١٧٨) (رضي الله تعالى عنه) محذوفة من ب.

(١٧٩) في ب (عنه أن).

(١٨٠) ما بين المعقوفتين من ب.

(١٨١) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد في بخارى، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو، وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من قرى سمرقند) فمات فيها سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م)، له: (الجامع الصحيح)، و(التاريخ)، و(الضعفاء)، وغيرها. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٩١ وما بعدها؛ السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ/١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، (القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج٢، ص٢١٢ وما بعدها.

(١٨٢) عمرو بن ميمون: التابعي أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأودي، أدرك الجاهلية، وكان قد أسلم في زمان النبي ﷺ، وأدى صدقته إلى النبي ﷺ عند قدوم معاذ بن جبل إلى اليمن رسولاً من عند رسول

الله ﷺ، ثم صحب ابن مسعود، وهو معدود في كبار التابعين من الكوفيين، توفي سنة (٧٥هـ/٦٩٤م). ابن عبد البر، علي بن أحمد بن سعيد القرطبي (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج، ص١٢٠٥-١٢٠٦؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).ج٤، ص٢٦٣.

(١٨٣) حذيفة: الصحابي حذيفة بن اليمان واسمه (حسل) بن جابر العبسي أبو عبد الله، كان صاحب سر النبي ﷺفي المنافقين، شهد أُحُد، سكن الكوفة، وتوفي بالمدائن عام (٣٦هـ/٦٥٦م). أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط١، (الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٢، ص٦٨٦؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج١، ص٧٠٦.

(١٨٤) عثمان بن حنيف: الصحابي أبو عمرو عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، شهد أحداً وما بعدها، وولاه عمر مساحة أرض العراق وجبابتها، وضرب الخراج والجزية على أهلها، ثم ولاه على البصرة، ثم سكن الكوفة، وتوفي في خلافة معاوية سنة (بعد ٤١هـ/٦٦١م). ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٠٣٣؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ج٣، ص٥٧٠.

(١٨٥) في ب (اتخافا).

(١٨٦) في ب (تكونا).

(١٨٧) ما بين المعقوفتين من ب.

(١٨٨) في ب (حملتماها).

(١٨٩) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٣، ص١٣٥٣.

(١٩٠) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(١٩١) في ب (والدينارن).

(١٩٢) في ب (وأما).

(١٩٣) الشيخ محيي الدين النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، واليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً، من كتبه: (تهذيب الأسماء واللغات)، و(المنهاج

في شرح صحيح مسلم)، و(مختصر طبقات الشافعية لابن الصلاح)، و(مناقب الشافعي)، و(الإشارات إلى بيان أسماء المبهمات)، وغيرها. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٩٥ وما بعدها؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي (ت: ٨٥١هـ/١٤٤٨م)، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط١، (بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص١٥٣ وما بعدها.

(١٩٤) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(١٩٥) في ب (الممتل).

(١٩٦) النووي: تحرير ألفاظ التنبيه، ص١١٣.

(١٩٧) لم اجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(١٩٨) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(١٩٩) (من الواحد أي ثلث ثمنه فمخرجه أربعة وعشرون) محذوفة من ب.

(٢٠٠) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢٠١) في ب (ثمنه).

(٢٠٢) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢٠٣) أبو عُبيد، الأموال، ص٦٢٦.

(٢٠٤) (تعالى) محذوفة من ب.

(٢٠٥) ابن قدامة، المغني، ج٣، ص٣٥.

(٢٠٦) في ب (درهماً).

(٢٠٧) ابن قدامة، المغني، ج٣، ص٣٥.

(٢٠٨) في ب (الصغير).

(٢٠٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢١٠) الأموال، ص٦٢٦.

(٢١١) في ب (فيما تقدم قريباً).

(٢١٢) (تعالى) محذوفة من ب.

(٢١٣) في ب (بلدهم).

(٢١٤) (رحمه الله) محذوفة من ب.

(٢١٥) في ب (المائتان).

(٢١٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢١٧) أحمد بن المجدي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن رجب بن طنبغا ابن المجدي، عالم بالحساب والفرائض والفلك، ولد بالقاهرة، وتوفي فيها سنة (٨٥٠هـ/١٤٤٧م)، له تصانيف كثيرة، منها: (إبراز لطائف الغوامض في إحراز صناعة الفرائض)، و(إرشاد الحائر إلى تخطيط فضل الدوائر) في علم الهيئة، وسماه زاد المسافر، و(رسالة في العمل بالربع الموسوم بالمقنطرات)، و(رسالة في العلم بالدر اليتيم في صناعة التقويم). السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ب. ط، (لبنان، ب. ت)، ج١، ص٣٠٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٥٦-٥٨.

(٢١٨) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢١٩) الهرجة: ذكره المقريزي قائلاً: "وهو الذهب الهرجة: وقد قل في أيدي الناس وبلغ كل مثقال منه إلى مائتي درهم وخمسين درهماً من الفلوس. وهذا الصنف هو الذهب الإسلامي الخالص من الغش وهو مستدير الشكل على أحد وجهيه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان، وتاريخ ضربه، واسم المدينة التي ضرب بها، وهي إما القاهرة، أو دمشق، أو الإسكندرية، وكل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٦، ص٣٧٨.

(٢٢٠) في أ (بالهوجة)، وما بين المعقوفتين من ب.

(٢٢١) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢٢٢) الأشرفية: هي عملة أصدرها سلطان مصر الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، إذ كان التعامل في البلاد بعملة أفرنجية تسمى الإفرنتي، وسبب ابطال الإفرنتي عليه شعار كفرهم، وقد استشار السلطان الكثير من الأمراء والقضاة وأكابر التجار ووافقوه بإلغاء التعامل به، وأن يضرب عوضه ذهباً عليه السّكّة الإسلامية، وشرع في ضرب الذّهب الأشرفي، ثم نودي بالقاهرة بإبطال المعاملة بالذهب الإفرنتي، وأن يتعامل الناس بالدّنانير الأشرفيّة زنة الدّينار منها زنة الإفرنتي، ثم ألزم السلطان الناس بحمل ما عندهم من الإفرنتية إلى دار الضّرب. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٧، ص١٢٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٤،٢٨٣-٢٨٤.

(٢٢٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ب.

(٢٢٤) في ب (بسط جملة).

(٢٢٥) (ونصف أشرفي وعشر أشرفي أعني ثلاثة أخماس أشرفي ولا شيء في الزيادة عند أبي حنيفة رحمه الله حتى تبلغ خمسة أشرفية) محذوفة من ب.

(٢٢٦) في ب (اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نقلت بقلم محمد عارف المنير الحسيني الدمشقي يوم الأربعاء تاسع عشري ذي القعدة من شهور سنة ست وعشرين وثلاث مائة وألف قمرية عن نسخة بخط السيد صديق بن محمد ابن أحمد طباطبا الحسيني المكي المكتوبة يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وسبعين وتسعمائة ..... الله المؤلف والكاتبين ووالديهم ومن دعاء لهم أمين يا رب العالمين . هذه النسخة كتبت في الاستانة أصلية والمنقولة عنها كتبت في مكة المكرمة).

مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام

Society of the Kingdom of Mali between paganism Islam

م.د عباس علي خلف

Dr. Abbas Ali Khalaf

وزارة التربية / المديرية العامة لاعداد المعلمين والتدريب والتطوير التربوي

مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام

م.د عباس علي خلف

الملخص:

عاشت مملكة مالي في ظل الاسلام كواحدة من ممالك السودان الغربي التي نشأت مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد تمتعت هذه المملكة بنفوذ قوي مكنها من السيطرة على طرق التجارة، فذاع صيتها بين الدول الاسلامية آنذاك، وعلى مدى قرنين من الزمان حاول ملوكها نشر الدين الاسلامي في ربوع المناطق الخاضعة لسلطتهم، الا ان ذلك لم يتحقق بالمعنى المطلق فقد وقفت اسبابا عدة حالت دون ذلك، وظلت شعوب وقبائل بعض المدن التابعة لها على معتقداتها الوثنية يعبدون الاصنام وارواح الاجداد والظواهر الطبيعية وتقديس بعض الحيوانات، ويمارسون حياتهم الاجتماعية في ظل معتقدات وسلوكيات مستهجنة لم تحفظ للإنسان كرامته، وفي خضم الكم الهائل من الكتابات التي تناولت موضوع انتشار الاسلام وتأثيره الحضاري في المجتمعات الافريقية والتي صورته في الاعم الاغلب بصورة وردية ابتعدت عن الواقع، جاء هذا البحث ليكون بمثابة الصرخة التي تنبه الى حجم التناقض التي تعيشه تلك الشعوب والقبائل، فتناول الحياة الاجتماعية بجوانبها المتعددة من وصف المكونات الاجتماعية وما تتمتع به بعض طبقات المجتمع من امتيازات، وسلط الضوء على اهم الظواهر السلبية التي يمارسها المجتمع، من بينها ظاهرة التعري وعدم ارتداء الملابس وظاهرة تعدد الزوجات دون عقد او صدقات، واكل المحرمات من الميتة والجيف، والتعامل بالمقايضة دون حساب او مكيال في البيع والشراء وتداول العملة، وتبني احكاما قضائية في القصاص بعيدة عن الشرع، فضلا عن شيوع ظاهرة السحر والكهانة في المعتقدات والديانات، والشعائر والطقوس الغريبة الخاصة بمراسم دفن الاموات، كل ذلك دفع الباحث الى تبني فكرة ايجاد موازنة بين تعاليم الاسلام وسننه وشرائعه وما تعيشه تلك الشعوب من تناقضات اجتماعية خطيرة.

Abstract

The Kingdom of Mali lived under Islam as one of the Western Sudan's kingdoms that originated in the early 7th century Hijri/13th Century AD and has enjoyed strong influence to control trade routes, for two centuries, its

kings tried to spread Islam's religion throughout the areas under their authority. But that didn't happen in the absolute sense, I stood for a number of reasons that prevented it. And the peoples and tribes of some of their dependent cities continued to worship idols, ancestral spirits, natural phenomena and the sanctity of certain animals, they practice their social lives with reprehensible beliefs and behaviors that do not preserve human dignity. In the midst of the enormous body of literature on the topic of the spread of Islam and its cultural impact in African societies, which most often depicted it in a rosy way that moved away from reality, this research served as a cry that alerts to the magnitude of the contradictions experienced by these peoples and tribes, addressing social life in its many aspects of the description of components.

المقدمة

تعد هذه الدراسة واحدة من الدراسات التاريخية التي اختصت بالمجتمع السوداني في افريقيا جنوب الصحراء إذ تناولت واقع الحياة العامة ابان حكم مملكة مالي التي شهدت تطورات حقيقية في مختلف الاصعدة لاسيما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومدى تأثرهما بالإسلام وأحكامه الشرعية مع بقاء المورثات الوثنية المستهجنة قائمة وسط السكان في ممارسات يومية لم تتمكن يد الاصلاح من تغييرها.

فجاءت هذه الدراسة لتكون نافذة جديدة نطل منها على واقع الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية، مع التأكيد على ان أغلب الدراسات السابقة لم تحاول ان تخلق حالة توازن بين مدى تأثر السكان بالإسلام وقبولهم به كدين ينظم الحياة بكل جوانبها وبقاء رواسب الوثنية شاخصة تمارس على وفق سلوكيات قبيحة تخالف احكامه وشرائعه، وان عني بعضها بشؤون المجتمع والسكان والاسرة، الا ان معظمها كان محاكاة لنمط واحد حاول مؤلفوها الابتعاد عن الواقع وتصويره بصورة اشبه بالوردية في محاولة منهم ترسيخ فكرة ان الاسلام دخل الى تلك البلاد بعظمته وقوة تأثيره محدثا تغييرا شاملا في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، ومع هذا فأن تلك الكتابات جاءت على شكل مقالات مقتضبة لا تشكل دراسات تفصيلية واقعية، ولعل مرد ذلك جملة من الاسباب من بينها

قلة المصادر التاريخية القديمة وشحتها وربما اضطراب محتواها التاريخي، اذ لم يهتم المؤرخون الاوائل في كتاباتهم بشكل تفصيلي عن تاريخ تلك المناطق مثلما وجد عندهم لأماكن اخرى، وما عثر عليه لا يتعدى سوى نتف بسيطة وجدت هنا وهناك، ولعل ذلك يأتي في اطار ما ذكر على تلك البلاد بانهم شعوب مهملة لا حظ لهم في الديانات وانتظام الملك والآداب[1]، اذ ان أغلب الذين كتبوا عن افريقيا جنوب الصحراء من المؤرخين الاوائل لم يسبق لهم ان تجاوزوا الصحراء الكبرى، ما عدا المؤرخ الجغرافي ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) الذي وصل الى مشارف بلاد السودان جنوبا، ومع ذلك فقد جاءت الروايات وهي محملة بالمبالغات والمغالطات لاعتمادها على القصص الشفوية، وان كل ما وصل الينا من أثر قد تأخر حتى دخول الإسلام الى تلك البلاد بحدود القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الامر الذي اظهر وجود فجوة تاريخية لم يكن اشغالها بالشيء السهل وهذه من أهم المعوقات التي واجهت الباحث وهو يحاول وضع تصور واضح لطبائع المجتمع وخصوصيته في تلك البلاد.

تناول البحث أحوال المجتمع في بلاد السودان الغربي وذلك عن طريق ما ورد من روايات ومشاهدات مما دونه المؤرخين والبلدانيين والرحالة الذين اشاروا في كتاباتهم الى احوال المجتمع كالبكري والادريسي والعمري وابن بطوطة في كتابه المسمى (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) الذي وصف فيه احوال المجتمع في المدن التي زارها وتجول بين ارجائها، وفي ضوء ذلك فقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاء المبحث الاول تحت عنوان الحيز الجغرافي والحياة السياسية لمملكة مالي، اما المبحث الثاني فقد تناول نظرة عامة عن احوال المجتمع في افريقيا جنوب الصحراء قبل قيام مملكة مالي الاسلامية، وتصور تاريخي للمظاهر الاجتماعية والاقتصادية والدينية ومستوى التغيرات التي احدثها الإسلام في سكان المملكة، إذ جمعت فيه مرويات المؤرخين والرحالة وتعليقاتهم وآرائهم ومشاهداتهم التي سنعتمدها في بيان جوانب العادات والتقاليد والمعتقدات، ليختم البحث بنتائج توصل اليها الباحث من المؤمل ان تكون مسارا لدراسات جديدة تغني مكتبتنا العراقية.

المبحث الاول: الحيز الجغرافي للسودان الغربي وقيام مملكة مالي

اولا: الحيز الجغرافي للسودان الغربي

اهتم عدد من المؤرخين والبلدانيين المسلمين بجغرافية العالم ورسموا لنا صور ابتدائية عن الحيز الجغرافي لكل المناطق ومن بينها افريقيا جنوب الصحراء، فجاءت كتاباتهم معبرة عن الظروف المكانية والزمانية لتلك المنطقة من حيث طبيعة الارض والمناخ والانهار وما يتعلق بالسكان والزراعة وطرق التجارة والسلع المتداولة وغيرها من الامور، وقد اشار ادوارد بوفيل[٢] الى ان الفضل فيما وصل الينا من معلومات يعود الى أولئك البلدانيين المسلمين الذين نقلوا لنا الواقع الجغرافي لهذه المنطقة في الوقت الذي كنا نعيش حالة من الجهل بأحوال المناطق الداخلية لأفريقيا قبل مجيئهم، فعبرت آراؤهم عن رؤية استشرافية واساس مرجعي للعالم حتى وقتنا الحاضر، وقد نبه ترمنجهام [٣] الى ان هؤلاء المؤرخين اطلقوا على سكان افريقيا جنوب الصحراء ووصفوهم بـ(السودان) وهي نسبة الى سواد البشرة فصار الوصف الجغرافي محددا في كتاباتهم تحت مسمى (بلاد السودان)، وان استعارة الباحث لنصوص المستشرقين بهذا الصدد ما هي الا دلالة واضحة على سبق المؤرخين المسلمين غيرهم من الباحثين في اغناء المكتبة التاريخية بعظيم الاثر.

ومن بين من اشار الى الحيز الجغرافي لأفريقيا جنوب الصحراء المؤرخ والبلداني الاصطخري (٣٤٦هـ/٩٥٧م) بقوله: "اما جنوبي الارض من بلاد السودان فان بلد السودان في اقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال غير ان له حدا ينتهي الى البحر المحيط، وحدا له الى برية بينه وبين ارض المغرب، وحدا له الى برية بينه وبين ارض مصر على ظهر الواحات، وحدا له ينتهي الى البرية التي قلنا انه لا ينبت فيها عمارة لشدة حرها"[٤]، اي بمعنى ان ابعاده بحسب الوصف تبدأ غربا بمحاذاة سواحل المحيط الاطلسي لتمتد في صحراء واسعة وصولا الى واحات مصر شرقا، وقد أكد ابن حوقل[٥] وصف الاصطخري الا انه لم يربط بلاد السودان بالطرف الشرقي عند البحر الاحمر بل جعل حدوده الشرقية تنتهي بحدود بلاد النوبة، وعزز رأيه بخريطة رسمها في كتابه اشار بها الى مناطق ممالك السودان مما جعله من افضل البلدانيين الذين رفدوا

مكتبة التاريخ الإسلامي بالمعلومات الدقيقة لاسيما وانه الوحيد الذي وصل الى تلك البلاد متنقلا بين عدد من المدن الصحراوية مثل مدينة اودغست[٦] التي تمثل اهم محطة تجارية تناوبت على سيادتها الدول والممالك.

اما البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) فقد ذكر ان بلاد السودان تمتد في المساحة الفاصلة ما بين بحر الظلمات غربا حتى مشارف بلاد النوبة شرقا، وهو وصف ينطبق على مناطق غربي افريقيا[٧]، وفي ضوء هذا العرض الموجز يتضح ان الوصف الجغرافي لمنطقة غربي افريقيا التي عرفت بالسودان الغربي اليوم، تشغل المساحة المحصورة بين دائرتي عرض٩ْ و١٧ْ شمال خط الاستواء، ومن الجهة الغربية المحاذية لبحيرة تشاد شرقاً، الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً، وتحده من الجنوب منطقة السفانا الاستوائية[٨] وهو وصف عكس مدى التطور الفكري لجغرافية المكان اذ تم تقسيم المنطقة بحسب الاجناس التي تقطنها فصارت بلاد السودان الغربي تمتد باتساع حول ثنية نهر النيجر في المنطقة المحصورة بين بحيرة تشاد حتى سواحل المحيط الاطلسي تحدها من شمالها الصحراء الكبرى التي مثلت جزأ منها اذ تكاد تختفي الحدود فيها لتداخل مناطقها، ومن الجنوب بلاد الغابات الاستوائية، وهذه الجغرافية تضم اليوم دولا عدة من بينها السنغال وغامبيا وغانا وسيراليون وليبيريا وساحل العاج ونيجيريا وساحل الذهب وداهومي[٩].

اما بالنسبة لطبيعة الارض فتتباين اجزاؤها بين منطقة واخرى فمن الشمال تمثل الرمال الصحراوية الجرداء السمة الغالبة عليها لكنها في فصل الشتاء تكتسي مساحاتها بالعشب لتشكل مراعي جيدة تجذب اليها السكان الباحثين عن الكلأ ، كما تتخللها واحات تكونت بفعل العيون تضللها غابات النخيل التي يستغلها السكان المقيمين في زراعة بعض المحاصيل[١٠]، والتي اصبحت مع الزمن محطات تمثل حلقة وصل بين الشمال والجنوب ادت دورا كبيرا في التجارة اذ تتجمع القوافل التجارية القادمة من الشمال وبالعكس[١١] بينما تمثل المنطقة الداخلية الوسطى مزيج من اودية خصبة تحاذي حافات الانهار، تشكل سهولا للنبات الطبيعي التي تشغل مساحات واسعة من البلاد وهضاب صالحة للزراعة مع وجود مرتفعات جبلية في غينيا ونيجيريا التي يجري فيهما نهري الفولتا والنيجر[١٢].

ويتخلل هذه المنطقة الوسطى نهرين عظيمين هما نهر السنغال ونهر النيجر اذ ينبع الاول من مناطق الفوتاجالون التي تشتهر بسقوط كميات كبيرة من الامطار، ويبلغ طوله حوالي ١٧٠٠كم ويقترب من منابع نهر النيجر الا انه يتجه الى الشمال الغربي ماراً بحوافي الصحراء وهو يسير نحو مصبه، أما الثاني فطوله يبلغ حوالي ٤٢٠٠كم اذ ينبع بالقرب من حدود سيراليون ليتجه نحو اطراف الصحراء ايضا لكن باتجاه الشمال الشرقي ماراً بمدينة تمبكتو[١٣] ليقطع هذه المسافات وسط مناطق سهلية تكثر فيها زراعة المحاصيل المتنوعة، وهذين النهرين يكونان صالحين للملاحة والصيد ليصبان في المحيط الاطلسي[١٤] .

اما المناخ والامطار فتهب على افريقيا الغربية الرياح الموسمية القادمة من الجنوب الغربي، وتتفاوت كميات الامطار الساقطة من منطقة الى اخرى لتكون قليلة عند الاجزاء المحاذية للصحراء كلما ابتعدنا عن خط الاستواء، اذ ترتفع درجات الحرارة صيفاً لتعامد الشمس[١٥].

اما عن الشعوب والاجناس التي سكنت هذه المنطقة فيسود الغموض والاضطراب المصادر العربية الجغرافية والتاريخية القديمة حول الاصول العرقية للقبائل التي اسست مملكة مالي، اذ ان هذه المناطق ظلت بمعزل عن اي احتكاك سامي او حامي ولم تختلط الاجناس مع بعضها الا في العصور المتأخرة وسط اشارات متواترة بوجود هجرات لأجناس مختلفة من البشر، منها هجرات الزنوج الذين نزحوا من الشرق، وهجرات العرب والبربر على حد سواء ووصولهم الى هذه المناطق[١٦].

لكن الدراسات الحديثة لمستشرقين ذهبت بالقول ان هذه الاجناس تعود الى قبائل الماندينغ[١٧]، مع ان هذا الرأي لا يمكن القطع بصحته بيد ان هناك العديد من القبائل التي استوطنت غربي افريقيا من مختلف الاجناس منها الولوف والتكرور[١٨] والماندنجو والفانتي واليوربا والصنغى والهوسا[١٩] وهؤلاء ينقسمون الى فروع اصبح كل واحد منها قبيلة بحد ذاته منهم قبائل السوننكة مؤسسي امبراطورية غانه ، ومنهم الفولانيين مؤسسي دول بلاد الهوسا ومنهم البمبارة والديولا ومنهم الماندي الذين اسسوا مملكة مالي[٢٠] والذين تميزوا عن غيرهم من السودان بالتحضر والذكاء[٢١] والغالب عليهم السواد الحالك وتفلفل الشعر وطول الساقين مقارنة بباقي الجسم[٢٢] وخلاصة القول ان هذا الحيز الجغرافي لغربي افريقيا مثل مسرحا

لقيام ممالك عدة وشعوبا نشطة مارست دورها في الحياة وارتبطت بشبكة علاقات واسعة ابتدأت بقيام دولة غانة ثم مملكة مالي حتى قيام مملكة صنغى التي انهارت نهاية القرن العاشر الهجري على ايدي الغزو السعدي

ثانيا: قيام مملكة مالي[٢٣]

مثل الفراغ السياسي الذي خلفه سقوط مملكة غانة على يد قبائل الصوصو[٢٤] فرصة سانحة لبروز مملكة مالي ككيان سياسي جديد كانت قد عاشت تحت وطأة الاستعباد والقهر والتعسف الذي مارسه ملك الصوصو سومانجورو لمدة طويلة واجتهدت بكل قوة من اجل الاستقلال وتوسيع نفوذها على حساب الممالك المجاورة بقيادة الملك سانديانا كيتا الملقب بـ(ماري جاطة) والتي تعني الملك الاسد[٢٥] الذي يرجع نسبه الى الملك ناري فامغان بن موسى الاكوي من اسرة كيتا، ويرجح ان الاخير هو نفسه الملك برمندان الذي اشتهر في كتب التاريخ الإسلامي[٢٦] والذي وصف بـ (المسلماني)[٢٧]، وتمكن سانديانا كيتا من القضاء على هيمنة الصوصو وتأسيس مملكة مالي القوية بعد عدة معارك طاحنة انتهت بمعركة كريتا الحاسمة عام(٦٣٣هـ/١٢٣٥م) والتي مكنته من بسط نفوذه على جميع الاراضي والمقاطعات التابعة لإمبراطورية غانة سابقا، ومن اجراءاته الادارية انه سن دستورا للبلاد نظم عن طريقه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٢٨]، ونقل عاصمته الى مدينة (ينع او نياني) التي تقع على احد فروع نهر النيجر بدلا من عاصمة اجداده (جارب)[٢٩] ويبدو ان لأهمية الموقع الجغرافي للعاصمة الجديدة دور في اختيارها، إذ تقع عند حافات نهر سنكراني وفي مناطق شبه جبلية تقترب من غابات السفانا التي تشكل حاجزا طبيعيا يعرقل هجمات الاعداء، وكذلك بالقرب من مناجم الذهب التي مثلت مصدرا رئيسا لمالية المملكة؛ بينما علل احد الباحثين السبب وراء ذلك هو عدم شعور سنديانا كيتا بالأمان في العاصمة جارب بسبب تخوفه من عناصر معادية له داخل قبيلته نفسها[٣٠] وقد مكنه هذا الموقع الوسط، فضلا عما تحلى به من صفات شخصية كالشجاعة والحنكة والقوة من أن يوسع حدود مملكته الناشئة ويسيطر على مساحات واسعة لممالك مجاورة، بل وبذل جهوداً كبيرة في نشر الدين الإسلامي في تلك المناطق، لكن

ما يثير الغرابة ان ابن خلدون وهو واحد أهم علماء الاجتماع الكبار يستشكل على نسب هذا الملك قائلا:" ولم يتصل بنا نسب هذا الملك"[٣١]، ولعل مرد ذلك انه ربما لم يكن متأكدا من حقيقة نسبه ممن زوده بأخبار تلك البلاد وتاريخها، إذ ان أغلب ما وصل الينا عن سيرة هذا الملك هو روايات شفوية لا تخلو من الاساطير ولذلك يرجح ان ابن خلدون لم يعول عليها كثيرا.

قضى سانديانا كيتا اكثر من عشرين عاما على راس السلطة ثبت خلالها اركان الملك فصارت مملكته تشغل المساحة الممتدة من المحيط الاطلسي غربا حتى حدود بحيرة تشاد شرقا، ومن جبال البربر شمالا حتى بلاد الهمج من الجنوب، وهذه المساحة ضمت اكثر من اربعة عشر اقليما ما بين مدن وقرى[٣٢]، وبعد وفاته خلفه ابنه منسا ولي (٦٥٣- ٦٦٩هـ/١٢٥٥-١٢٧٠م)، ومعنى منسا بلغة الماندي (السلطان)[٣٣] ، وفي قول آخر يعني (الملك الاكبر)[٣٤] فاستمر على نهج والده في توسيع الدولة وتثبيت اركانها وتمكن من القضاء على بعض التمردات التي ظهرت، والسيطرة على مناطق جديدة في الجنوب والجنوب الشرقي كما قام بالتوسع في الشمال الغربي فضم بلاد التكرور، ووصف بأنه احد اعظم ملوك المملكة، وبعد وفاته خلفه ثلاث ملوك ضعاف وصف اخرهم بانه كان أحمقا يرمي الناس بالسهام فاتفقوا على قتله ليولوا احد ابناء بنت سانديانا كيتا الذي يدعى ابا بكر ولم يستمر طويلا اذ تمكن احد القادة المدعو (ساكورة او سيكرة) من السيطرة على الحكم عام (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، وتتفق اغلب المصادر على التعريف به كقائد من القادة العظام للملك سانديانا كيتا او مولى من عبيد الاسرة الحاكمة ولم يكن من سلالة الملوك، وتتفق ايضا على انه كان حكيما وشجاعا تمكن من القضاء على الفوضى التي اصابت المملكة بعد تاريخ مهزوز من حكم ملوك ضعفاء فتمكن من توسيع نفوذ المملكة وفرض هيمنتها على مناطق واسعة حتى وصف ابن خلدون تلك الحقبة بقوله: " كانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الامم المجاورة لهم. وافتتح بلاد كوكو واصارها في ملكة اهل مالي واتصل ملكهم بالبحر المحيط وغانه بالمغرب الى بلاد التكرور في المشرق، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب

وافريقية"[٣٥]، وفي خضم هذه الانتصارات والتوسع توسم ساكورة ان يكللها برحلة الى مكة للحج واثناء عودته تعرض للاغتيال (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) بعد ان مكث في الحكم خمسة عشر عاما، ويختلف المؤرخون في تحديد مكان اغتياله ومن هي الجهة التي وقفت خلف هذا الفعل فالمصادر تضطرب في هذه الجزئية[٣٦]، وما يهمنا من امر ان مرحلة التوسع انتهت بوصول ملوك ضعفاء لم يكن لهم شان يذكر من الاعمال حتى وصل الى الحكم الملك موسى بن ابي بكر (٧٠٧-٧٣٣هـ/١٣٠٧-١٣٣٢م)، والذي لقب بـ(كنكا موسى) نسبة الى اسم والدته، وقد اشادت كتب التاريخ[٣٧] بإنجازات هذا الملك ومزاياه الشخصية والقيادية وما يمتلكه من قوة، فقد تمكن من توسيع حدود المملكة وضم اليها مناطق جديدة لاسيما مدن الصحراء التي مثلت محطات التجارة مع شمال افريقيا، واحتل عاصمة الصنغى (جاو) وجعلها جزءا من املاكه، ولعظم ما اشتهر به هذا السلطان فقد اطلق العرب على ملوك المملكة اسم (ملك التكرور)[٣٨] وهي تسمية كانوا يأنفون منها لان بلاد التكرور كانت اقليما تابعا لمملكتهم وتحت حكمهم، وقد ذاع صيت هذا الملك ليس فقط لأعماله الكبيرة فحسب بل لرحلة الحج الشهيرة التي قام بها عام (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) والتي اخذت صدى واسعا بين اوساط المؤرخين لما فيها من عجائب وغرائب في مقدار الاموال التي حملها معه وعظم موكب الحراس والعبيد الذين رافقوه في رحلته مما عكست حجم سلطانه والابهة التي تمتلكها دولته، فكانت تلك المشاهد ابوابا اطلت منها قوافل التجار العرب الى تلك البلاد[٣٩]، ولما انقضت سني حكمه التي قاربت الخمسة والعشرين عاما خلفه ابنه منسا مغا فكان على عكس والده ضعيف الهمة قليل الخبرة ولم يلبث طويلا فتمكن عمه منسا سليمان من استلام السلطة عام (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) واستطاع بما اوتي من حنكة ودراية وقوة ونشاط من القضاء على التمردات التي حصلت في بعض الولايات وتأديب القبائل الوثنية في الجنوب فانبسط الامن فبنى المساجد وجلب الفقهاء واقام الجمع وبقي في الحكم حتى عام (٧٦١هـ/١٣٥٩م) اي ما يقارب الاربعة والعشرين عاما، ثم ملك ابنه منسا الذي لم يلبث طويلا ليتحول الحكم الى ماري جاطة الثاني ابن منسا مغا بن منسا موسى فكان هذا سيء السيرة مبذر اضاع الدولة واملاكها حتى قيل انه باع حجرا

من الذهب غير المسبوك زنته خمسين قنطارا كان من ضمن ذخائر خزائن المملكة، ثم اصيب بعلة النوم ومات على اثرها سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، ليتولى الحكم من بعده ابنه موسى الذي سار بالدولة على عكس ابيه لكن المتغلب على امر الدولة حينها وزيرة ماري جاطة الذي كان يسير الجيوش والعساكر نحو البلدان المتمردة فدوخ الأقطار وعنما توفي منسا موسى سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م) تولى اخوه منسا مغا ولم يقم سوى سنة واحدة ليتولى الحكم الوزير صندكي زوج ام موسى لتبدأ الصراعات الداخلية تعصف بالدولة حتى سقوطها على أيدي قبائل الصنغى(٤٠).

المبحث الثاني: مجتمع مملكة مالي ما بين الوثنية والاسلام

اولا: نظرة عامة

عاش مجتمع بلاد السودان الغربي في ظل مملكة مالي الإسلامية في جو متناقض تحت تأثير الموروث الوثني والتقاليد والعادات السائدة التي كانت مترسخة في الواقع الاجتماعي عبر الاجيال في بعض الاقاليم التابعة لها، على الرغم من ان هذه المملكة قد تميزت عن غيرها من الممالك التي سبقتها بانها قامت على ايدي ملوك مسلمين، وهذا مؤشر يبعث على الاستغراب! إذ ان السمات شبه الحاكمة على الصعيد الاجتماعي كانت تشير الى تمسك هذا المجتمع ببعض انماط الحياة الوثنية، فكانت الشرائع الإسلامية شبه معطلة في احكام معينة وتطبق في حدود ضيقة فتوريث ابن الاخت ظل سائدا لمدة طويلة في هذه المملكة، وتعدد الزوجات الى اكثر من اربع ومظاهر التعري وعدم ارتداء الملابس ظلت هي الاخرى تمارس في مجتمعات بعض المدن، وحرية المرأة في مصاحبة من تشاء من الرجال ظل امراً مألوفا ايضا، وممارسة بعض الطقوس الدينية والسحر والشعوذة على الرغم من انتشار الإسلام، فضلا عن التجارة بالعبيد وأكل لحوم البشر وغيرها من السلوكيات الاجتماعية المنبوذة.

ويبدو ان عملية التحول في الحياة العامة التي شهدتها مملكة مالي بعد دخول الإسلام لم تكن تسير بسهولة ويسر او لنقل لم يكن تحولا جذريا بالمعنى الادق بيد ان رواسب الماضي بمعتقداته وأفكاره الشاذة التي يستهجنها الشرع الاسلامي ظلت تمارس

في الواقع الحياتي اليومي للمجتمع في بعض المدن، ويرجع احد الباحثين السبب في ذلك الى الإسلام نفسه الذي لم يحاول فرض ايديولوجيته الدينية بالقوة، او انه لم يشأ الاصطدام بالواقع بشكل مباشر، بل اراد فرض مبادئه وتعاليمه جنبا الى جنب مع ما كان سائدا تاركا المجال للسكان التمييز والموازنة بين ما يوافق احكام الدين الإسلامي وما يخالفها[٤١]، وبين ما يحفظ كرامة الانسان وبين ما يمكن ان يهينها، وقد يكون في هذا الرأي جانب من الصحة برغم ما وصل الينا من اخبار تؤكد ان اسلوبي الاكراه والجبر كانت قد مورست من قبل المرابطين[٤٢] اولا ومن ثم بعض ملوك بلاد السودان ومملكة مالي في بعض المناطق التي فتحوها وادخلوها في حوزة ملكهم ثانيا[٤٣].

ولا غرو اذا وجدنا الإسلام يعيش حالة من التذبذب بين الايمان والكفر في نفوس مجتمع مالي وعدم اكتراثهم بالسنن والشرائع في بعض الممارسات السلوكية، بل وتمسك الاغلب منهم بطقوسه القديمة في التعبد بالأصنام والارواح والايمان بما يقوله الكهنة واستشارتهم في شؤون الحياة المختلفة، وممارسة السحر والتضحية بتقديم القرابين البشرية والحيوانية، إذا ما علمنا ان لهذا الموضوع ما يبرره في حوادث التاريخ في اشارة لما حدث في الشمال الافريقي إبان حقبة الفتح الإسلامي لمناطق الساحل التي استمرت قرابة السبعين عاما ارتد فيها البربر عن الإسلام اثنتي عشرة مرة مع ان الجيوش الإسلامية كانت تجوب البلدان وهي تحاول فرض الدين بالقوة[٤٤]، ولعل السبب الرئيس في عدم ترسيخ القيم الإسلامية وتمسك المجتمعات بمعتقداتها القديمة وبقاء بعض الأقاليم التابعة للمملكة على الوثنية كان وراءه الحكام انفسهم، اذ ان دخول الناس الى الإسلام كان سيحرمهم من اموال الجزية التي تمثل واردا ماليا كبيرا يغني بيوت اموالهم، فضلا عن ان بقاء هذه القبائل على الوثنية يعطي الحكام المبرر لاسترقاقهم وبيعهم كعبيد، ولذلك حالوا ايجاد مبرر معقول لهذا الاجراء فلجأوا الى اشاعة بعض الامور الغيبية من قبيل أن اي بلد من بلدان الكفر يدخله الاسلام وتطبق فيه الشرائع وينطق فيه داعي الآذان الا وقل الذهب في ارضه تدريجيا حتى يتلاشى وينعدم ثم يكثر في البلاد التي تليه التي تبقى على الكفر والشرك لذلك عندما صح لهم

هذا المعتقد تركوا سكان تلك المناطق على دينهم وعبادة اصنامهم ورضوا منهم بالطاعة ودفع الجزية(٤٥).

ومن هنا نجد ابن خلدون يشير الى هذا التحول البطيء بقوله:" إذ تحولت الاحوال باستمرار العصور فاستولى اهل مالي على ما ورائهم وبين ايديهم من بلاد صوصو وكوكو وآخر ما استولوا عليه بلاد التكرور واستفحل ملكهم الى الغابة واصبحت مدينتهم بني حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين"(٤٦)، وخلاصة القول وان بدى انتشار الإسلام واضحا في تلك البلاد والتزام بعض القبائل بمبادئه السامية عن طريق تأثرهم بالدعاة والعلماء والتجار، الا انه كان فيما يبدو اسلاما ظاهريا صوريا اختلفت درجة التمسك بأحكامه الشرعية وتطبيق سننه في الحلال والحرام من مدينة الى اخرى بل ومن قبيلة الى اخرى، إذ تمسك الكثير من الاهالي بالوثنية ولم تعتنقه كل فئات المجتمع السوداني(٤٧).

ثانيا: واقع الحياة الاجتماعية (العادات والتقاليد والمعتقدات)

١- المكونات الاجتماعية

ان المتتبع لتاريخ السودان الغربي يجد ان التركيب الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي لم يطرأ عليه تغيير كبير منذ نشوء مملكة (غانه) مرورا بتاريخ مملكة الصوصو حتى قيام مملكة مالي، إذ ابقت الاخيرة النظام السياسي قائما على ما كان عليه فضلا عن التركيب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي(٤٨) فكان من مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع السوداني ابان حكم مملكة مالي الإسلامية انه مقسم الى طبقات اجتماعية استمدت تكوينها من الموروث الاجتماعي لقبائل الماندنجو وقبائل السوننكة التي اسست مملكة غانه ولم تحاول الخروج من هذا النمط، إذ لا انفصال عن وجوده بما يفرضه الواقع القبلي والنظام السياسي في الوقت نفسه، فكانت هذه الطبقات تختلف في طرق معيشتها وطبيعة علاقاتها مع بعضها البعض، وقد مثلت طبقة الملوك والامراء وقادة الجيش قمة الهرم الاجتماعي فكانت من اغنى الطبقات وأقلها عدداً، وكان النظام وراثيا إذ إن الملوك يتوارثون الحكم والمناصب في المملكة على وفق نمط

توريث ابن الاخت، وان ظهر تطور خلاف السائد في بعض الحالات مثل وراثة منسا ولي لوالده ماري جاطة وخلافة منسا مغا والده منسى موسى ولعل مرد ذلك تأثرا بالعقيدة الاسلامية وان هذه الحالات ربما مثلت انقلابا على الموروث العرفي السائد آنذاك من توريث الملوك لأبناء اخواتهم او بناتهم [٤٩]، إذ ان المجتمع في تلك البلاد يؤمن بمفهوم الامومة بوصفه الاصل الذي يرتبط به النسب، وقد علل البكري ذلك بان ابن الاخت او ابن البنت لا يشك في انه ابن امه، ويُشك في انتسابه لأبيه ولا يقطع بصحة اتصاله به [٥٠]، وهذا فيما يبدو مؤشر على تفشي الظواهر القبيحة في المجتمع مثل الزنى وتعدد الزوجات بشكل غير محدد اي بحصول اليقين بان الولد ابن امه، فكان المشهور ان الرجل يسمى باسم والدته ومصداق ذلك تسمية الملك منسا موسى باسم والدته (كنكا)، فأشتهر باسم (كنكا موسى) [٥١].

وقد تمتعت هذه الطبقة بامتيازات ومراسم خاصة منها ان الملك يصطفي لنفسه القطع الكبيرة من التبر ويترك للناس الرقاق منه، بل ان في زمن الملك منسا موسى كانت مواقع الذهب حمى له يمنع على الناس دخولها ليجمع الذهب عن طريق متحصلين يعملون عنده، وان له الحق بالزواج بعدد لا يحصى من النساء، بل واشتهر ابان حكم مملكة مالي ان من تنشأ له بنت حسناء من اهل مملكته يقدمها للملك امة موطوءة من دون تزويج[٥٢]، فكان من حق الملك ان يكون له من النساء ما يشاء يتسرى بهن من غير عقد قران او مهر كجوار او خليلات وهذا بطبيعة الحال مناف للشرع الاسلامي مع ما اشتهر به ملوك هذه المملكة بانهم مسلمون حريصون على نشر الاسلام ومبادئه السامية؛ وكان يملك عددا من القصور المسورة ومزارع خاصة لاسيما مزارع نبات (القافي) الذي يشبه القلقاس في الشكل لكنه اكثر لذة وكان يعاقب كل من يسرق منه عقوبة تصل الى حد قطع الرأس وهي سنة عندهم مشهورة[٥٣]،، ومن العادات التي تمارس داخل مجلس الملك ان لا أحد يصافحه سوى القاضي فقط، واذا دخل احد خلع قميصه وتأزر ويركع ويضرب صدره بيده ثم يجثو على ركبتيه امامه[٥٤] وتحية المسلمين الداخلين عليه فهي التصفيق[٥٥]، اما اهل مملكته فكان لهم تقليد خاص يتذللون به اليه فلا يدخل احدا كائنا من كان الا حافي القدمين ما عدا

الترجمان كوغا[٥٦] حتى لو كان اميرا ومن يسهو في هذه المسألة تكون عقوبته الموت دون عفو او رحمة، واذا انعم على احدهم اخذ يتمرغ بين يديه بالتراب، ثم يذر على رأسه الرماد الموضوع بجانب الملك، ومن يعطس في مجلسه يضرب ضربا مبرحا، فاذا اراد احدهم العطاس تمدد على بطنه لكي لا يسمع عطاسه، اما اذا عطس الملك فانهم يضربون بأيديهم على صدورهم[٥٧]، ويبدو عن طريق الصورة التي نقلها لنا المؤرخين والرحالة ان هذه المراسم والتقاليد هي من بقايا افرازات الموروث الوثني التي حاول الاسلام ان يهذبها ويشذبها صونا لكرامة الانسان.

اما طبقة الامراء والقادة والفرسان واصحاب المناصب العليا من الحاشية فقد كان تحظى باهتمام الملك وكان لهم الاقطاعات والنعم الكثيرة بحيث يصل عطاء احدهم الى خمسين الف مثقال من الذهب في السنة، فضلا عن الخيل والقماش للعناية بزيهم الذي كان يستدعي اهتمامه اثناء استعراضهم في الاحتفالات وتعبئتهم للحروب، فكان لبس الامراء والقادة الكبار عمائم تحبك مثل العرب وثياب من القطن الابيض تعرف بـ(الكيميصا) ومنهم من يرتدي زيا شبيها بالجباب المغربية ودراريع بلا تفريخ، وكانوا يحضرون مجلس الملك مرتدين الاساور الذهب فمن زادت فروسيته منهم لبس معها اطواقا من الذهب وان زادت لبس معها خلاخل ذهب، وكلما زاد وارتفع شانه البسه الملك سروالا واسعا من السرج ضيق الاكمام وكلما ازداد الفارس بطولة زاد اتساع السروال[٥٨].

اما الطبقة الثانية فهي طبقة العامة التي قسمت بحسب فئات العمل الى ثلاث طبقات اعتمدت المصادر الاقتصادية التي رافقت وجودها في تلك الارض وهي الصيد والرعي، والزراعة وان كانت الحرفة الاخيرة على نطاق محدود في بداية امرها، اذ فرضت عليها ظروف الحياة وقساوتها ان يعيش الناس على شكل تجمعات قبلية تضم في اطارها العام أسر معدودة شكل افرادها مع مرور الزمن النظام القبلي الذي مثل الوحدة السياسية والاقتصادية لهذه المجتمعات، فكان الشيوخ وكبار السن يمثلون الحكمة ولهم الراي والمشورة بينما توزعت المهام داخل الاسرة الواحدة ما بين الرجل

والمرأة، فكان من مهام الرجل الخروج الى الصيد والرعي بينما اهتمت المرأة بشؤون الاسرة والعناية بالأطفال واشتغالها بحرفة الزراعة في مزارع صغيرة بالقرب من البيوت لتأمين القوت اليومي من المزروعات، وكأي نظام قبلي تظهر فيه العصبية القبلية كانت تتضامن تلك الاسر مع بعضها البعض في الدفاع عن حمى العشيرة وافرادها واموالها[٥٩]، اما الطبقة الثالثة فهي طبقة التجار الذين كانوا يمثلون الجانب المتحضر في تلك البلاد، وقد أدى هؤلاء دورا محوريا في انتشار الاسلام في اغلب مدن بلاد السودان التي مثلت محطات تجارية كبرى، فضلا عن دورهم في ادخال البضائع والسلع المتنوعة التي شكلت عامل تحضر لمجتمع السودان، ومن هنا فقد اصبح للتجار دورا مزدوجا يجمع بين نشر تعاليم الاسلام والثقافة واللغة العربية وبين بيع السلع والبضائع[٦٠]، وقد تميز التجار عن باقي الطبقات الاجتماعية في طريقة لبسهم وطعامهم، حتى صارت لهم احياء ومحلات خاصة بهم داخل المدن[٦١].

اما الطبقة الرابعة فهي طبقة العبيد الذين مثلوا ادنى مستوى في السلم الاجتماعي، إذ كان الاعم الاغلب منهم يعيش حياة الفقر والجوع والحرمان في حين وقع على عاتقهم الجزء الاكبر من الاعمال، فضلا عن الاستفادة منهم كبضاعة رائجة في التجارة، فكان سكان مدن سلى[٦٢] وتكرور وغانة وبريسى[٦٣] وغيارة[٦٤] يعملون على جلب العبيد ليتاجروا بهم عن طريق الاغارة على بلاد لملم وغزوها ليأتوا بأهلها اسرى يبيعونهم كسبي الى التجار الوافدين من الشمال[٦٥]، فكانت تجارة الرقيق رائجة في تلك الحقبة، فلا تخرج قافلة من بلاد السودان الغربي الا وتضم اعدادا كبيرة منهم، وقد شهد ابن بطوطة احدى القوافل وهي تحمل بحدود ستمائة عبد[٦٦].

ويمكن تقسيم هذه الطبقة الى اربع فئات، مثلت الفئة الاولى منهم عبيد الطبقة الارستقراطية الذين يعيشون في داخل قصور الملوك والامراء، يستخدمونهم حرسا وخدما، بل ويهادون بهم الى الضيوف من باب الاكرام[٦٧]وقد يرتفع شأن احدهم ليكون على رأس الجهاز الاداري المسؤول عن الاقطاع والاملاك، ومنهم من يرتقي المناصب داخل الجيش ليكون فارسا له نفوذه القوي، اما الفئة الثانية فهي التي يتمتع اصحابها

ببعض الحقوق منها انه يمكن ان تتبناهم الاسر ليكونوا قادرين على الزواج من النساء الحرائر، اما الفئة الثالثة فهي فئة العبيد الحرفيين الذين يعملون في الاسواق والمتاجر، ثم تأتي الفئة الاخيرة التي شكلت رقيق الارض[٦٨]، وقد استغل ملوك مالي وجود الاعداد الكبيرة من العبيد فكانوا يستغلونهم في استخراج الذهب وجمعه مقابل اسقاط الجزية التي كانوا يدفعونها[٦٩].

وبعد هذا الموجز نخلص الى القول بان مجتمع مملكة مالي كان خليطا من الاجناس المختلفة الذين شكلوا القوى الفاعلة في حركة التاريخ على مدى القرون، فكان اغلب سكان المدن تتفاوت في مستواها المعاشي والثقافي والديني بحسب الطبقة التي ينتمون اليها مع الاشارة الى هذه الطبقات تبقى مغلقة على نفسها ونادرا ما يحدث ان يتحول الشخص من طبقة الى اخرى.

٢- اللباس وظاهرة العري

قبل الخوض في شكل الملابس ونوع القماش المستعمل الذي يمثل الزي الرسمي والشعبي الذي يرتديه سكان السودان الغربي بمختلف طبقاتهم ابان حكم مملكة مالي، نشير بتحليل موجز لظاهرة التعري التي ظلت سمة بارزة في المجتمع السوداني مع وجود الاسلام كديانة رسمية للدولة فقد اشار اكثر من مؤرخ الى ان ظاهرة عدم ارتداء الملابس كانت شائعة في اغلب مدن بلاد السودان الغربي زمن مملكة مالي، وهي ظاهرة عامة لم تكن تقتصر على فئة دون اخرى من طبقات المجتمع وهي لا تعكس ثقافة الشعوب السودانية بقدر ما تكون سمة فرضتها عوامل عدة في مقدمتها ان تلك الشعوب ومنذ القدم كانت تعيش حالة من العزلة فصلتها عن غيرها من الشعوب المتحضرة بحكم الموقع الجغرافي، وهذه العزلة جعلتهم يتبنون نمط من الحياة البدائية البسيطة التي اشبه ما تكون بحياة الانسان القديم، فلم يكونوا يفقهوا لمعنى الستر او يهتموا بقيمة الجسد لانهم يمارسون حياتهم مثل باقي المخلوقات حتى وصفوا بانهم اشبه بالبهائم[٧٠] يأكلون ما تقع عليه اعينهم وينامون في الحقول والكهوف والخيام وفوق الاشجار ويمارسون الغرائز بعفوية وفطرة، اما العامل الاخر فهو يتعلق بطبيعة المناخ

اذ ان الانسان جلب فطريا ان يلجأ الى تغطية جسده بأي شيء كان مثل الجلود او اوراق الاشجار طلبا للدفء في الايام الباردة ومع ما اشتهرت به تلك البلاد من شدة الحر في اغلب مناطقها مع طول فصل الصيف الذي تهب فيه رياح شديدة الحرارة فرضت هذه الظروف على السكان التعري[٧١]، فضلا عن ذلك يبدو ان تلك الشعوب لا تحفل بمسألة ستر الجسد وموضوع العفة والكرامة والاحتشام لانهم يعتقدون ان ذلك جزء من نمط حياتهم ويتعاملون معه بفطرة سليمة، ومع كل ذلك فان المتتبع لهذه الظاهرة يجد انها لم تكن ظاهرة عامة في كل المدن، وقد تجد في المدينة الواحدة اناس يرتدون الملابس وآخرون عراة.

ومن دلائل التأثير الذي احدثه الاسلام ما اشار البكري من ان ملك مالي المدعو بـ(المسلماني) كان عاريا قبل اسلامه فلما اسلم على يد احد المسلمين علمه الفرائض والسنن وألبسه ثوبا من القطن وكسر الاصنام واخرج السحرة من بلاده، لكن سكان مملكته بقوا على الوثنية ومعتقداتها[٧٢]، ومع تطور الحياة وازدهارها صار للملك وامراءه زيا خاصا بهم فلا يحق لغيرهم من سائر الناس ارتداء المخيط من القماش، وصار يتحلى بحلي النساء وفوق رأسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرقيقة[٧٣]، ومع مرور الزمن تطورت الازياء التي يرتديها الملك وحاشيته فصار يرتدي أزار حرير يتوشح به او بردة يلتف بها وسراويل في وسطه، وفي قدميه نعل شركي[٧٤]، ثم تطور زمن الملك منسا موسى فصار يلبس عمامة ترخى منها عذبة بين يديه وسراويل عريضة لا يتجاسر على لبس مثلها احد من اهل مملكته[٧٥]، اما في زمن الملك منسا سليمان فقد كان اكثر لباسه عبارة عن جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس[٧٦] وهذه الاشارة تعطينا تصورا لما بدأ يطرأ على زي ملوك السودان الغربي من تطور وذلك بسبب توسع العلاقات السياسية والدبلوماسية والتجارية وتأثر الملوك بمراسيم سلاطين الدول الاخرى، لكن ذلك لم يمنع وجود سلوكيات مستهجنة في المملكة بل وحتى في داخل قصر الملك، إذ نقل لنا ابن بطوطة وهو شاهد عيان على الواقع الاجتماعي والسياسي لمملكة مالي من جملة العادات القبيحة جدا والمستهجنة ان الخدم والجواري في قصر الملك كلهن عرايا باديات العورة دون اي

ستر حتى في شهر رمضان، وحدث ان الملك غضب على بنات عمه بسبب شكوى من أحدى زوجاته، ولم يعفو عنهن الا بعد ان تجردن من ثيابهن ودخلهن الى مجلسه عرايا على رؤوسهن التراب ولمدة اسبوع(٧٧)، ولعل هذا السلوك القبيح يثير الاستغراب بل والاشمئزاز إذا ما علمنا ان هذا الملك كان مقيما للصلاة، ومحتكما بالشريعة، ويجلس للمظالم يقضي حوائج الناس (٧٨).

اما سكان المدن فذكر ان الغالب على لباس سكان بلاد التكرور وغيرها من البلاد الجلود، واذا احتشم احدهم لبس الجلد مدبوغا، ومن خالط البيض – يقصد التجار والبربر ساكني الصحراء– اتخذ لباسه من الصوف والقطن، بينما بقي سكان ظواهر المدن الكفار منهم عراة والمسلمين يسترون فروجهم بالعظام او الجلود(٧٩)، وذكر القزويني ان اهل تلك البلاد خليط من الكفار والمسلمين وكان المسلمون يرتدون قمصانا بيض يبلغ طولها عشرون ذراعا يحملها من الخلف خدمهم، اما الكفار ولا سيما النساء فانهن يسترن قبلهن بخرزات من العقيق على شكل خيوط والميسورة الحال تستعمل خرز من العظام(٨٠) وقد اشار اكثر من مؤرخ الى ان سكان مدينة سامة(٨١) كانوا يتجولون عراة لكن المرأة كانت تستر فرجها بسيور مظفورة(٨٢)، وان أهل كوكو عراة مهملون، وبعضهم يرتدي الملاحف وثياب مصنوعة من الجلد(٨٣)، وبعضهم يرتدي الجلود لستروا عوراتهم وتجارهم يلبسون القداوير والاكسية وعلى رؤوسهم الكرازي وحليهم الذهب ، اما الخواص فيلبسون الازر، في حين ان الطبقة العامة في مدينتي سلى وتكرور ترتدي القداوير الصوف وعلى رؤوسهم الكرازي الصوف، بينما الطبقة الخاصة ترتدي ثياب القطن والمآزر، اما سكان مدينة غانة فكانوا يرتدون الاكسية والازر والفوط وكل اسرة ترتدي بحسب قدرتها المالية، ولبس سكان بلاد ونقارة فهو الازر والاكسية والقداوير، بينما يرتدي سكان مدينة غربيل (٨٤) الصوف (٨٥)، وخلاصة القول ان عامة سكان بعض مدن السودان الغربي لم يتأثروا بالإسلام من ناحية ستر الجسد والحجاب وظل التعري ظاهرة مستهجنة من قبل الوافدين اليهم وبعض المحليين الذين التزموا شرائع الاسلام وسننه في الاحتشام.

٣- الديانات والطقوس والمعتقدات

ظل مجتمع مملكة مالي الاسلامية متمسكا بحكم البيئة وموروثاتها ببعض المعتقدات المترسخة منذ القدم ولم يتمكن الاسلام بقوة تأثيره المعروفة ان يغير المفاهيم الالحادية والشركية والوثنية، مع محاولته فرض سيطرته على بعض المدن وانتشاره تدريجيا على يد الدعاة والتجار واندفاع ملوك مالي نحو تثبيت القيم والمبادئ الاسلامية وترسيخها في المدن عن طريق بناء المساجد والمدارس وارسال العلماء الى المناطق البعيدة، لكن مدنا عدة بقيت تحتفظ بإرثها الاعتقادي المبني على عبادة الظواهر الطبيعية والارواح والاصنام وبعض الحيوانات بوصفها آلهة قادرة على تغيير الاقدار وجلب الخير ودفع الشر، وبعضهم كان يعبد الشمس ويسجد لها حال بروزها في الافق، وبعضهم يبعدون النار كسكان مدينة ولاتة [٨٦]، بينما سكان مدينة كوكو مسيحيون على الطريقة المصرية[٨٧]، ولذلك نجدهم يقدمون القرابين البشرية والحيوانية والمادية لما يعتقدون به انه آله، وكان الكاهن يمثل حلقة الوصل بين الآلهة والاسرة وله سلطة روحية على الملوك والعامة فهم يستشيرونهم ويأخذون بما يظهر في قراءة الطالع، لكنهم مع هذا تجدهم يؤمنون بوجود الاله الاعظم الذي يتحكم بالآلهة الصغرى[٨٨]، وتجدهم متفقون على ذلك لكنهم مختلفون في تقدير سلطاته في تصريف الامور وانه بعيد جدا يصعب التواصل معه، لذلك نشأ عندهم معتقد عبادة ما دونه[٨٩]، وقد اشار البكري الى هذه المدن وما كانت تعتنق من الديانات والمعتقدات فذكر ان مدينة غانة التي كانت مقسمة الى قسمين احدهما للمسلمين والاخر للملك الذي يسكن حوله الوثنيين وسحرتهم الذين يقيمون دينهم في قباب وغابات وشعراء[٩٠] فيها دكاكيرهم[٩١]، بينما اشار الى ان اهل مدينتي تكرور وسلى مسلمون وان المسافة الفاصلة بين سلى وغانة تسكنها قبائل اكثرهم كفار على دين المجوسية لذلك نجد ان ملك سلى دائم الحروب معهم، وان سكان مدينتي برسنى [٩٢]وكوغة [٩٣]مسلمون يحيط بهم الكفار من جميع الجهات، ويبدو ان مدينة كوغة كان يخالطها الوثنيين فاذا ما قويت شوكتهم في داخل المدينة اخفى ملكها اسلامه وتظاهر بالشرك، بينما سكان مدينتي قلنبو [٩٤]والفوريين [٩٥]على الكفر، ومن الجدير بالذكر ان مدينة ترنقة [٩٦] كانت لهم احكام

خاصة بعيدة تماما عن الشرع الاسلامي سنوردها في حينها، وان سكان مدينة زافقو [٩٧] كانوا يعبدون حية كبيرة الحجم لها عرف رأسها يشبه رأس الابل الخراسانية، تعيش داخل مغارة وسط الصحراء يغطي مدخلها الاشجار على شكل عريش تحيط به الاحجار، وكانوا يقدسونها لدرجة انهم يعقلون في الاشجار انواع الثياب النفيسة ويضعون المتاع وجفان الطعام واللبن والشراب، فاذا أرادوا اخراجها من المغارة تكلموا بكلمات معلومة وصفروا تصفيرا فتخرج لهم[٩٨]، ويبدو ان مجتمع هذه المدينة ظل متمسكا بتقاليده واعتقاداته القديمة على الرغم من وجود الدين الاسلامي لقوة نظامه الاجتماعي في مسألة المعتقدات الدينية، وقريبا من ذلك فقد كانت مملكة الدمدم او لملم في الجنوب الغربي من مالي يعبدون صنما على هيئة امرأة وضعوه في قلعة كبيرة وهم يحجبونه[٩٩].

ومن المعتقدات السائدة وسط قبائل الماندنجو المؤسسين لمملكة مالي انهم يعتقدون بان لكل انسان (ظل ونسمة) وعندما يموت الانسان تصعد النسمة الى السماء وكأنها الروح بينما يبقى الظل في البيت حتى تنتهي مراسم الجنازة والدفن ثم يبقى هذا الظل هائما في رحلة تتجاوز الخمسين عاما الى ان تلتحق بالنسمة في السماء[١٠٠]، ولعل من بين الاسباب التي جعلت تلك الشعوب تتمسك بمعتقداتها الدينية وتؤطرها باطار من الجلال والقدسية انها تثير في داخلهم الخوف من العقاب الآخروي الذي يمكن ان تنتظره ارواحهم بعد الموت لذلك كان من الصعب على بعضهم تقبل فكرة الدين الاسلامي كونه يحمل نفس الفكرة لكن بمفهوم الجنة والنار.

٤- المقابر ومظاهر دفن الاموات

لكي يكتمل سياق البحث وتتحقق وحدة الموضوع لابد ان نتطرق الى موضوع المقابر وكيفية دفن الاموات في بلاد السودان الغربي، فقد جاء الاسلام ليكرم الانسان بعد وفاته وشرع له شعائر خاصة يقوم بها ذويه منها اقامة مجلس العزاء وقراءة القرآن الكريم وتقديم الصدقات للفقراء والمساكين ثوابا لروحه، ثم القيام بمراسيم الدفن إذ جاء في الاثر القول المشهور " اكرام الميت دفنه " يسبقها الصلاة عليه وتغسيله وتكفينه ثم

يتم لحده في قبره، وهذه التعاليم والسنن والشرائع وصلت الى تلك البلاد عن طريق الدعاة والعلماء والتجار الذين وفدوا الى بلاد السودان الغربي وانشأوا المدارس داخل المساجد التي بنيت هناك[١٠١] لكننا وعن طريق ما ورد من نصوص في كتب التاريخ وما رصدناه في بعض المصادر من اشارات حول موضوع دفن الاموات والمقابر وجدنا ان من بين سكان بعض المدن من تمسك بطقوسه الوثنية في دفن الاموات ولم يتأثر الجميع بتعاليم الاسلام في هذا الشأن، فذكر البكري ان هناك طقوس خاصة بدفن الملوك يمارسونها في مدن بلاد السودان الغربي قبل قيام مملكة مالي الاسلامية، تقوم على نصب قبة كبيرة من خشب الساج يضعوها فوق موضع القبر المهيأ مسبقا ثم يأتون بالملك المتوفي على سرير ممهد قليل الفرش ليدخلوه في تلك القبة ويدخلون معه سلاحه وحليه والاواني التي كان يأكل ويشرب بها يحملها الخدم من الرجال وهي مليئة بالطعام والشراب ثم يغلقون باب القبة ويلقون عليها الحصر والامتعة ثم يردموها بالتراب حتى تصبح مرتفعة كالجبل ثم يحفرون حولها خندقا كي لا يصل اليها احد الا من جهة واحدة، لتنتهي المراسيم بتقديم القرابين فيذبحون الذبائح ويقدمون الخمور ومن هنا كانت هذه القباب منتشرة بشكل ملفت للنظر في مدينة الملك التي تحيط بها الغابات[١٠٢]، ويتضح من هذا النص ان سكان السودان الغربي كانت لهم طقوس وممارسات خاصة بدفن الاموات بعيدة كل البعد عما جاءت به تعاليم الاسلام وهي دلالة على تمسك هذه الشعوب بتراثها التعبدي القديم المبني على عبادة الظواهر الطبيعية والارواح او الحيوانات، كما يلاحظ انهم يعتقدون بوجود الحياة بعد الموت لذلك كانوا يدفنون مع الملك اشياءه الخاصة وخدمه الذين يكتب عليهم الموت بعد موت الملك وهي معتقدات شائعة في الديانات القديمة.

وفي جانب آخر ذكر ابن سعيد ان في قبيلة (جابي) مثلا وما جاورها من سكان المدن في محيط بحيرة تشاد هي بمجملها مدنا يسكنها الكفار لهم عادات خاصة منها انهم يأكلون البشر كما يأكلون الحيوانات وانهم يبردون اسنانهم، واذا مات لهم ميت دفعوه الى جيرانهم وكذلك يفعل جيرانهم[١٠٣]، ويبدو ان عملية تبادل الاموات بهذا الشكل ربما توحي بتقليد عرفي بعدم استحسان تناول لحم الاقارب من الاموات لذلك

يقدموه الى جيرلنهم من القبائل الاخرى لغرض الاكل لا لشيء آخر، إذ انه لم يتطرق بالشرح او الاشارة الى طقوس معينة ضمن عملية تبادل الاموات.

وفي سياق متصل اشار العمري الى هذه الجزئية فذكر ان عادة أهل مملكة مالي اذا مات لهم ميت من ذوي القدر والحشمة والجاه دفنوه في مقابر خاصة، اما عدا ذلك من البسطاء والفقراء والعبيد والغرباء فانهم يرمونه بالفلاة دون تورية او دفن كما ترمى باقي الميتات[١٠٤]، ويدلل هذا النص بالعموم انه بالرغم من شيوع الاسلام في المملكة الا ان ترسبات الحياة الوثنية لا زالت تمارس ضمن معتقدات خاطئة لم يستطع الاسلام تغييرها او رفضها او منعها، ومع هذا فانه اشار في موضع آخر وهو يتحدث عن حيوان يسمى (تُرمّي) اشتهر وجوده في مملكة مالي كان يعمد الى نبش القبور ليأكل الموتى[١٠٥] وهذا مصداق على وجود مقابر ومدافن خاصة بالأموات لكنها فيما يبدو وجدت مع ازدياد اعداد المسلمين في مدن مملكة مالي فشهدت مراسيم الدفن تطورا مشهودا بيد ان ابن بطوطة ذكر اثناء دخوله مدينة مالي مقبرتها واثناء تجواله في تلك المدينة والمدن الاخرى انه شاهد مقابر خاصة وقبور شاخصة كتب عليها اسماء المتوفين[١٠٦]، وهذا ما شهدته مدن السودان بعد انتشار الاسلام فاصبح لديهم وعيا وفهما للشرائع والاحكام التي من بينها اكرام الاموات ودفنهم في مقابر خاصة تسور بسياج في رحاب المساجد وحواليها من الخارج[١٠٧].

٥- مظاهر السحر وصناعة السموم

مثل السحر والشعوذة في بلاد السودان الغربي نقطة ارتكاز العقائد الوثنية لدى السكان فكان مجتمع السحرة يحظى بمكانة عليا اشبه بالمكانة التي يمتلكها المعلمون ولهم نفوذهم القوي[١٠٨] عند الملوك والامراء وزعماء القبائل ورؤساء الاسر الكبيرة، لما يرتبط وما يقولونه بالحياة العامة سواء بما هو حاصل او بالتنبؤ بما يحصل في المستقبل، أو ما يتعلق بالاعتقاد السائد بان لهم القدرة على الاتصال بأرواح الاموات ومخاطبتها، بل وان لهم القدرة على اصطياد بما يعرف بـ(النفس الشفافة) التي تستيقظ في المرأة بعد زواجها والقضاء عليها[١٠٩]، ولذلك وجد السحرة من يستمع الى كلامهم

لاسيما وان تفشي الجهل كان من الظواهر البارزة في تلك المجتمعات، فضلا عن ان هذه الحرفة ان صح تسميتها كانت مصدر للكسب المادي والجاه والسلطة، والسحر في بلاد السودان الغربي على نوعين، السحر الابيض والسحر الاسود وان قوة تأثير الساحر في معتقد بعض القبائل تنحصر داخل القبيلة الواحدة[١١٠] ولذلك اشتهرت مملكة مالي بوجود عدد كبير من السحرة في مختلف المدن وقد اشير الى ان السحر في مدينة غانة كثير للغاية بحيث يتحاكم الناس عند ملكهم بسببه فيقال ان فلانا قتل بالسحر اخي او ولدي او بنتي او اختي ويحكم على القاتل بالقصاص ويقتل الساحر لجرأته وفعله[١١١]، واشتهرت مدينة كوغة بنسائها الساحرات المتمكنات منه والعارفات به والقادرات عليه إذ كانت لهم فيه حذق وصناعة[١١٢] وقد ساد الاعتقاد ان القوى الخفية التي تساعد الانسان تتركز في بعض اعضاء الجسم الداخلية مثل المرارة والكبد والطحال لذلك فهم يعتقدون ان الساحرات المتميزات بالجدارة والقدرة تكون عندهن تلك الاعضاء ضخمة، ومع كل ذلك فانهم يستعملون في تحضير السحر موادا عدة مستخرجة من اخشاب بعض انواع النباتات وما تفرزه من سوائل وبعض المساحيق لاعتقادهم ان في الاشجار ارواحا تكمن فيها قوى عظيمة، وكذلك من بعض الحيوانات لاعتقادهم ان القوة تتركز في جزء من الحيوان مثل الاذن او الذنب او الشارب او المخلب، فاذا قتل الحيوان اخذ الساحر ذلك الجزء واستغله في السحر، وكان من بين ادواته التي يحملها معه في خرج مصنوع من جلد الماعز، فضلا عن جذور بعض النباتات، وخيوط القطن، ووعاء من الطين اليابس، وتمثالان لرجل وامرأة، ونصلان مقوسان، واجراس اسطوانية، وصرة مملوءة بالودع وقرون مزركشة[١١٣]، وتكمن وظيفة الساحر في استحضار الاجابات الشافية من عالم الغيب عن الاسئلة التي تطرحها الناس حول قضايا تخصهم افرادا وقبائل، مثل طلب الشفاء من مرض او طرد الجن او تحقيق امنية او اسقاط المطر وهو من اهم المطالب اثناء حلول الجفاف بوصفه مطلبا دينيا يتوارثه الابناء عن الاجداد، وكذلك ما يتعلق بالحسد أو ما يعرف بـ(ضربة العين) والتي هي من الامور السائدة التي يعتقد بها سكان مدن السودان الغربي لما تسببه من مرض او موت فتلجأ الاسر الى الساحر من اجل الخلاص منها، وعندما يستحضر

الساحر الاجابة عن طريق ممارسة طرائق معينة وعادة ما يكون ذلك الاستحضار مقرون بإشارة او دلالة مبهمة وغامضة، ثم يبدأ بالإفصاح عن الاجراءات والمتطلبات الواجب اتباعها وتحضير بعض الطلاسم والتعاويذ اللازمة ممن المواد المتاحة لدية[١١٤].

وتعقيبا على مطالبة الساحر بإسقاط المطر نستذكر ما جاء على لسان البكري من رواية ان ملك مالي الذي يدعى بـ(المسلماني) كان قد عجز من محاولات السحرة في بلده من اسقاط المطر بعد حلول القحط مما اضطره الى اللجوء الى احد المسلمين الاتقياء الذي كان يتواجد في بلده ودعاه الى طلب المطر من إلهه الذي يعبده فاشترط عليه ذلك المسلم الدخول في الاسلام والاخلاص للواحد الاحد اله الكون والايمان بمحمد صلى الله عليه وآله نبيا ورسولا، وبالفعل اسلم ذلك الملك وارتدى الثياب وتطهر ثم صعدوا معا على ربوة وبدأ المسلم بالدعاء والملك يؤمن له، ولم تمضي الليلة الا والمطر بدأ بالتساقط مما ولد قناعة لدى الملك بعظمة هذا المعبود وبعدم الثقة بآلهة السحرة لذلك قام بطردهم من مدينته[١١٥].

اما السموم فكانت لهم فيها عناية وتخصص يستخرجون من بعض الحيوانات السموم القتالة التي لا دواء لها ومن بين تلك الحيوانات بعض انواع الاسماك ومرارة التمساح التي كان يحتفظ بها الملك في خزانته[١١٦] ، وكذلك من بعض الحشائش التي يركبون منها السموم القاتلة[١١٧].

٦- البيع والشراء (العملة والموازين)

لم يتطرق المؤرخين الاوائل الى العملة الرسمية لمملكة مالي الاسلامية التي كانوا يتعاملون بها في البيع والشراء ولا الى المكاييل والموازين التي توزن بها بعض السلع والحاجات، سواء في تبادلهم التجاري أو في تعاملاتهم اليومية في الاسواق، ولم يشيروا الى وجود اماكن لسك العملة في تلك البلاد، وكل ما ذكروه لا يتعدى الاشارة الى نظام المقايضة التي مثلت الوسيلة الوحيدة في التبادل التجاري والتعامل في البيع والشراء، في الوقت الذي كانت التجارة مع بلاد السودان الغربي في اطوارها الاولى تقوم

على ما عرف قديما باسم (التجارة الصامتة)[١١٨] وهي مرحلة متقدمة من التبادل التجاري وجدت بعد محاولات التجار المسلمين اختراق الصحراء الكبرى واكتشافهم لمناطق بلاد السودان في الجنوب، فكانت السمه العامة للتبادل ان السلع تقايض بالذهب جزافا[١١٩]، أي من دون وزن او مكيال وكان لقيامها في بداية الامر اسبابا لا يسع البحث لذكرها الا انها بقيت تمارس في الاطوار الاولى للعلاقات المتبادلة ثم انتفت الحاجة اليها بعد تجاوز التجار الحدود المسموح بها آنذاك لاطمئنان اهل السودان الغربي وادراكا منهم ان لا ضرر يمكن ان يلحق بهم نتيجة الاحتكاك بالتجار الغرباء فصار التجار يخالطون السودان حتى صارت لهم بيوت خاصة بهم يقيمون بها، ومع هذا فقد استمر العمل بنظام المقايضة في تبادل السلع البسيطة وغيرها بالذهب، إذ شكل عامل اثراء للتجار، فذكر البكري وهو يتحدث عن بعض مدن بلاد السودان الغربي بان مقايضة الذهب (التبر) بالملح وغيرها من المواد هي الشيء المتعارف عليه في اغلب المدن، ومن بينها مدينة الفرويين التي كان اهلها يقايضون الذهب بالملح، وأهل مدينة سلى يقايضون الذرة والملح وحلق النحاس وأزر القطن، وان عملة اهل مدينة كوكو هي الملح وهو نقدهم، اما عملة أهل تادمكة[١٢٠] فهي الدنانير التي تسمى (الصلع) بوصفها ذهب خالص غير مختوم[١٢١]، وهي اشارة الى ظهور اول نوع من العملة وتطور في التعاملات التجارية لكنه لم يعطينا تفاصيل وافية عن صفة هذه الدنانير او مقدار وزنها من الذهب أو طريقة سكها، لكن المرجح انها من الدنانير المرابطية التي كانت حاضرة في التعاملات التجارية في مدن الصحراء وجنوبها والتي تم سكها في عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م في مدينة سجلماسة[١٢٢]التي استخدم فيها الذهب السوداني[١٢٣] كما ذكر في موضع اخر ان ملك غانة كان يفرض على كل حمل حمار ملح يدخل للبلد دينار والذي يخرج منه ديناران[١٢٤]، وربما يكون ما ذكره ابن حوقل من وجود تعامل بالدنانير يشكل دليلا آخر اسبق مما ذكره البكري لكن ترجيحنا لها انها دنانير مغربية تعامل بها التجار في بلاد السودان[١٢٥] ويؤكد صاحب الاستبصار[١٢٦] على ما جاء به البكري في استمرار نظام المقايضة مع مرور الزمن، فيما اشار الادريسي الى ذلك ايضا بان التجار يتباضعون فيما بينهم بنظام المقايضة،

وان مايحصل عليه التجار المسلمون من اهل المغرب الاقصى من التبر يذهب الى دور السكة فيضربونه دنانير لغرض التجارة[١٢٧] مع البلاد الاخرى، وعطفا على ذلك يرفدنا ابن بطوطة بدلالات عديدة عن استمرار التعامل بنظام المقايضة الى عهده وان التعامل بالملح ظل قائما الى وقت متأخر من قيام المملكة فذكر ان السودان كانوا يتصارفون به كما يتصارف بالذهب والفضة فيقطعونه قطعا صغيرة، لكنه لفت انتباهنا الى ان الملح لم يعد يقايض بالذهب جزافا بل صار له مقابل يكافئه فكان حمل بعير من الملح يباع بعشرة مثاقيل في مدينة ولاته، وفي مدينة مالي ما بين عشرين الى ثلاثين او ربما ارتفع الى اربعين مثقالا من الذهب، وأشار في موضع آخر حين وصف حاله اثناء شراءه الطعام والسمن وكيف قايضه بالملح والعطريات وحلي الزجاج وهذا حال سكان المناطق المحصورة ما بين مدينة تكدا[١٢٨] وصحراء توات الذين يقايضون اللحم واللبن والسمن بالأثواب، بينما في خارج مدينة تكدا يكثر النحاس فكانوا يستخرجونه ويسبكونه في بيوتهم على شكل قضبان رقيقة وغليظة تباع الرقيقة كل ستمائة او سبعمائة بمثقال من الذهب اما الغلاظ فكل اربعمائة بمثقال[١٢٩]، بينما اشار العمري الى ان قيمة بيع مائة مثقال من النحاس بستة وستين مثقال من الذهب وثلثي المثقال[١٣٠] وهم يتصرفون فيه في مقايضتهم وكأنه عمله رسمية يوفرون عن طريقها احتياجاتهم الضرورية فكانت القضبان الرقاق تقايض باللحم والحطب، والغلاظ منها يقايضون بها العبيد والخدم والذرة والقمح والسمن، ومن الجدير بالذكر ان هناك ما يمكن ان يمثل عملة بنظر سكان السودان الغربي الذين يهتمون بها ويسعون الى امتلاكها بشتى الطرق وهي (الودع) فيتبايعون بها فيما بينهم، وقد رصدها ابن بطوطة بقوله ان تعامل سكان مملكة مالي والمدن التابعة لها اثناء البيع والشراء بـ (الودع)[١٣١]، وقد نشط التجار المسلمون بجلب هذه المادة الى بلاد افريقيا جنوب الصحراء لما تحققه من مردود مالي جليل بالنسبة لهم[١٣٢] ، ويبدو ان التعامل بالودع استمر الى وقت متأخر فقد ذكر الحسن الوزان ان تعامل الناس بالودع الذي اسماه (الصدف) الذي يحمله التجار المصريين فكانت كل اربعمائة قطعة تساوي مثقال من الذهب، وهي عملة يتبايع بها سكان السودان في بعض المدن مقابل اشياء تافهة

بحسب زعمه، واشار في موضع آخر ان العملة الرائجة هي الذهب غير المسبوك وقطع الحديد لشراء اللبن والخبز والعسل، إذ تزن القطعة الواحدة بحسب حجمها رطلا أو نصف رطل، أو ربع رطل[١٣٣].

ومما تجد الاشارة اليه هو غياب ذكر الاوزان والمكاييل التي يتعامل بها التجار في داخل اسواق مملكة مالي في المصادر التاريخية مع ان علماء الاثار قد عثروا على مقتنيات في خرائب بعض المدن القديمة من بينها موازين لوزن الذهب[١٣٤] الا ما ذكره ابن بطوطة في مشاهداته عن تعامل التجار بأسواق مدينة تكدا ومن يفد اليها من الغرباء بانهم كانوا يشترون القمح بحساب عشرين مُداً[١٣٥] بمثقال ذهب، والذرة تباع كل تسعين مُد بمثقال ذهب، وان مقدار المُد عندهم ثلث المُد في البلاد الاسلامية في الشمال[١٣٦]، والجدير بالملاحظة انهم حتى مع وجود وحدة قياس الاوزان الا انهم اجتهدوا في مقدارها بحيث انقصوها بمقدار الثلثين عن وزنها الشرعي على وفق ما اقره الدين الاسلامي.

وخلاصة القول ان العملة في بلاد السودان الغربي لم تظهر لها ملامح واضحة او شكل معين مثلما كانت عليه في بلدان الشمال الافريقي، ولم يشتهر على لسان المؤرخين وجود دور للسكة او ختم معين في تلك البلاد خلال الحقبة موضوع البحث، لكن اللافت للنظر ان البيع والشراء صار يقايض بالذهب على حساب المثاقيل وليس جزافا كما تعارف عليه في السابق[١٣٧] ولو ان احد الباحثين اشار الى ان مملكة مالي تمكنت من ضرب عملة ذهبية محلية تزن من ٤-٦ غرام من الذهب[١٣٨] ، لكنه لم يعطينا وصفا دقيقا لنوعيتها او حجمها او شكلها او طريقة سكها، فضلا عن انه لا يشير الى مصدر هذه المعلومة لتبقى شيء مبهم وغامض.

٧- الامراض وطرق التداوي والعلاجات

تعد الامراض واحدة من اشد الاخطار التي كانت تحاصر المجتمع في مدن بلاد السودان الغربي، والتي لا تميز بين غني او فقير او صغير او كبير في ظل شيوع عدم الاهتمام بالنظافة وكثرة الاوساخ وعدم وجود الحمامات والمرافق الصحية

النظيفة، وانتشار الحشرات الناقلة للجراثيم، فضلا عن ممارسة الجنس بكثرة دون ضوابط شرعية واخلاقية، وتناول مختلف انواع الدواب دون مراعاة لتأثيرها على الصحة، وكثيرا ما كانت الامراض تفتك بسكان المدن بسبب سوء الطعام والاغذية غير الصحية[١٣٩] مع عدم وجود علاجات ناجعة إذ انهم يستعملون الكي بالنار وبتر الاعضاء، وبعض الاعشاب والزيوت والسوائل التي يستخرجونها من انواع الاشجار وبعض الحيوانات، فضلا عن استعمالهم لبعض المعادن فذكر البكري ان غانة كانت مدينة موبوءة فلا يكاد الداخل اليها يسلم من المرض لاسيما في موسم نضوج المحاصيل ولذلك يلجؤون الى مغادرة المدينة ولا يقيمون فيها مدة من الزمن فيقع الموت في غربانها التي تأكل الزرع[١٤٠]، ويبدو ان احد اسباب تفشي الامراض هو بعض انواع الحشرات التي تتغذى على ثمار بعض النباتات السامة فتنقل المرض الى السكان، وقد اشار ابن بطوطة الى ذلك اثناء حديثة عن مدينة تغازى[١٤١] على سبيل المثال لا الحصر اذ كانت كثيرة الذباب وان القمل يكثر في شعور السودان فكانوا يقتلونه بمادة الزئبق يضعونه في اعناقهم على شكل خيوط كالقلائد[١٤٢]، بوصفه مادة طاردة للحشرات، وفي سياق متصل ذكر انه اصيب بالمرض بسبب الحر الشديد وغلبة الصفراء حال انصرافه من مدينة مالي في الطريق الذي يقطعها الخليج الذي يخرج من نهر النيجر وهو مكان يكثر فيه البعوض نهارا فلا يمر به احد الا في الليل وكانت اعراض المرض قد ظهرت عليه وهو في مدينة تنبكتو[١٤٣]، وكان من فنون علاجهم لمرض ارتفاع درجة حرارة الجسم مايسمى بـ (الحمى) عن طريق استعمال ثمرة شجرة لاراك التي تشتهر بها مدينة تادموت تشبه البطيخ في داخله مادة شبيه بالقند تشوب حلاوته بحموضة[١٤٤] تعمل على خفض حرارة المريض، وذكر ان سكان السودان يستعملون بعض العقاقير الشعبية المستخرجة من نوع آخر من الاشجار يعرف باشجار (الغور أو الكور) التي تحتوي على مادة منشطة تشعر ماضغها بالنشاط لذلك دأب التجار على استعمالها اثناء قطع الصحراء من دون الشعور بالعطش او الجوع او الاعياء الشديد[١٤٥]، فصار عندهم تقليد بانهم يتهادون هذه الثمرة فيما بينهم لاهميتها في حياتهم.

اما طريقتهم في علاج لسعات الافاعي فانهم يقومون اولا بكي مكان اللسعة بحديدة محمرة وان لم ينفع يقومون بذبح بعير ثم يفتحون كرشته فيدخل المصاب يده داخل الكرشة لمدة ليلة كاملة فان شفي كان بها وان تناثر لحم يده يقومون ببترها(١٤٦).

وكان في بلاد الفرويين بحيرة تنبت فيها شجرة عجيبة في جذورها علاج لتقوية الباه فاذا اخذ منه الرجل القليل منحه نشاطا وقوة في الجماع وتساعد في تقوية الاخصاب وعلاج العقم ولذلك كان الملك يحتكره لنفسه ويمنع الناس منه لعظيم ما عنده من النساء، فكان يطوف عليهن في اليوم الواحد ولا ينكسر(١٤٧)

٨- العادات الاجتماعية المستهجنة

كان المجتمع في مملكة مالي واقعا تحت تأثير ممارسات وسلوكيات اجتماعية واخلاقية قبيحة ومظاهر شوهت كرامة الانسان وجعلته اقرب الى الحيوان، ومع قوة تأثير الاسلام فانه لم يتمكن من القضاء عليها بالكامل، وقد أكد اكثر من مؤرخ هذا الامر فذكر ان هذه السلوكيات والحالات والظواهر الاجتماعية من المطاعم والمشارب والملبس والسكن يفعلها اكثر سكان السودان وانها كانت موجودة قبل دخول الاسلام واستمروا عليها ولم يتركوها بعد انتشاره(١٤٨) وقد اشرنا مما سبق الى ظاهرة التعري عند سكان بعض المدن لاسيما بين النساء بوصفها واحدة من تلك السلوكيات المستهجنة، الا اننا نجد من الصعب تخطي مظاهر اكثر بشاعة واستهجان كانت تمارس وسط مجتمع السودان الغربي، من بينها ان المرأة كانت مرتهنة بما يريده الرجل على الرغم من الاعتقاد بأن الامومة هي أصل النسب، خاضعة له من دون قواعد او ضوابط اجتماعية تنظم وجودها، سوى ما كان من اعراف تتقيد بها، فكانت ظاهرة الزنى من ابرز الظواهر التي اشتهرت بها مجتمعات بعض المدن فلم يكن لاحد من الرجال امرأة خاصة به، انما كانوا يجتمعون في الليل عشرة او اثني عشر رجلا وامرأة في كوخ ويضاجع كل واحد منهم من تعجبه اكثر من غيرها (١٤٩) في حين مثلت المرأة لبعض الاسر الفقيرة مصدرا لكسب الرزق تباع حالها حال اي سلعة لمن يمتلك المال من الاثرياء واصحاب المكانة (١٥٠).

وكان تعدد الزوجات أمرا شائعا بشكل كبير، فلا حقوق مصانة للمرأة عند الزواج إذ انهم يتزوجون من دون صدقات، لذلك تجدهم كثيرو النسل[١٥١] وقد يصل عدد مايملكه الرجل من النساء الى عشرين زوجة لاسيما اذا كان من ذوي الجاه والمال، وفيما يبدو ان تلك الممارسة لم تكن لمجرد اشباع رغبة جنسية او ضرورة تكافل اجتماعي، بل كان الغرض منها زيادة النسل للاستفادة منه في العمل داخل الأرض، ومما يساعد على ذلك ان الزواج في تلك المجتمعات انه لايتطلب نفقات مالية كبيرة [١٥٢]، بل وان الاهم من ذلك ان هنالك اعتقادا دينيا سائدا عند بعض القبائل السودانية يقضي بموجبه تحريم الاتصال الجنسي للمرأة اثناء الطمت وطوال مدة الرضاعة وهذا العرف جاء بدعوى الاعتقاد بضرورة المحافظة على طهارة المرأة وعفتها[١٥٣] ومن الجدير بالذكر ان هذه الظاهرة ادت الى تفشي الزنا بسبب حالة الفراغ الجنسي الذي تشعر به المرأة والاختلاط المباح بين الرجال والنساء، لذلك فقد اشتهرت بعض المدن في بلاد السودان الغربي بشيوع العلاقات الجنسية المحرمة في اوساط المجتمع من بينها مدينة تادمكة التي كان سكانها خليط من البربر والسودان وكانت نساء المدينة تستقبل التجار الوافدين اليها ليتنافسن على ايهن تفوز بالرجل الوسيم منهم وتأخذه معها الى بيتها[١٥٤]، وما ذكر عن سكان مدينة ولاته وهي اول عمالة بلاد السودان الغربي ما يثير الاشمئزاز والحنق لعدم التزام النساء بالحجاب والحشمة امام الرجال الغرباء فكان اتخاذهن الاصحاب من الرجال للتسامر والخلوه بوجود ازواجهن مسألة طبيعية، وكذلك يفعل الرجال فيتخذون صويحبات لهم، وهذا يعد انتهاك صارخ لمفهوم العلاقات الاجتماعية وتجاوز سافر على حقوق الاسرة، وينم عن فقدان الغيرة عند الرجال وهتك لستر المرأة وعفتها، في الوقت الذي وصفن فيه بالجمال الفائق والقدر الجليل وبأنهن أعظم شانا من الرجال، مع ارتدائهن الملابس الحسان مما يجلبه تجار مصر، وانهم رجالا ونساء مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن واداء الفرائض، ولعل هذه الحرية المباحة للمرأة هي التي بررت سطوة المعتقدات القديمة التي ترجع اصل الانتماء الى الام بدل الاب وقيام النظام السائد من عدم انتساب الرجل الى ابيه وانتسابه الى خاله، وذهاب تركة من يموت الى ابناء اخته[١٥٥].

لكن كل ذلك لم يمنع الاسلام من التدخل في محاولة انهاء هذه الممارسة القبيحة التي كان من احد افرازاتها انتشار الزنى في مجتمعات بعض المدن، ومحاولة رفض هذه الظواهر بوصفها استسلام لمظاهر العبودية مما يولد الجنوح نحو الانحلال الاخلاقي، والعلاقات المشبوهة والمحرمة بين الأقارب والتي اوحت مع الزمن وكانها مظاهر عادية في المجتمع[١٥٦]، وقد اجتهد الفقهاء والعلماء من اجل توضيح المساوىء المترتبة على هذا السلوك وخير مثال على ذلك ما حصل من حوار بين الملك منسا موسى وأحد الشخصيات في مصر اثناء رحلة الحج التي قام بها والذي نهاه عن تعدد الزوجات والتسري بالجواري[١٥٧].

اما بشأن العادات الاخرى فقد كان مجتمع مملكة مالي واقعا تحت ضغوط فرضتها الطبيعة حينا والتقاليد المكتسبة من رواسب الموروث الوثني القديم حينا اخر، فقد اشتهر سكان بعض المدن بظاهرة اكل الجيف من الحيوانات النافقة، واكل الكلاب والحمير، وعدم الالتزام بتعاليم الاسلام في هذه المسألة مع اشتهار تلك المدن بوجود مختلف الدواب كالابقار والاغنام والماعز وغيرها ممن تعد طعاما مفضلا للسكان، وايضا ما اشير الى تقديم الملوك لمن يضيفهم من بلاد آكلي لحوم البشر جواري كتكريم وحفاوة لكي يذبحوها ويأكوها[١٥٨]، وايضا ماكان من سيادة الاعتقاد عند بعض القبائل من ان الانسان في اصل تكوينه يكون جامعا لصفتي الذكورة والانوثة وان الذي يميز بينهما هو الختان لذلك عمدوا الى ختان البنت ايضا[١٥٩] وهي ظاهرة نهى عنها الاسلام وحرمها.

٩- القضاء والاحكام

يعد القضاء واحدا من النظم الحضارية التي تهتم بها الدول في تنظيم شؤون المجتمع بمختلف علاقاته الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وكان منصب القاضي عاملا مهما في تثبيت اركان الملك لما يتمتع به صاحبه من حكمة وخبرة ودراية في الشؤون التشريعية والاحكام القضائية، لذلك فقد كان اختيار القاضي يتوقف على معايير عدة منها ان يكون مسلما عالما بالفقه والتشريع، نزيها شريفا ذا سمعة طيبة،

فضلا عما يمتلكه من مؤهلات شخصية كالشجاعة وقوة الشخصية، ومن هنا فقد فرض القضاء احترامه في مملكة مالي وكان للقاضي مكانة مرموقة عند الملوك والسكان في الوقت نفسه، وكانت لهم من امتيازات خاصة ميزتهم عن غيرهم من الناس من بينها انهم كانوا يجالسون الملك في كل مجلس في قصره، وكانوا الوحيدين من بين الحضور الذين يمكنهم مصافحة الملك ولا يرفعون ثيابهم او يضعون التراب فوق رؤوسهم تذللا له واحتراما، وكان القاضي يدعى بـ(انفار) ويقال (انفار قم) اي (قاضي القبيلة) لانه يختار من بين ابنائها(١٦٠)، وكانت لهم مرتبات خاصة واعطيات مالية من قبل الملك في المناسبات والاعياد، ويرتدون الطيلسان زيا رسميا خاصا بهم(١٦١)، وقد ارتبطت مهنة القضاء بالفقهاء كونهم اعلم الناس بالامور الشرعية وما يترتب عليها من اصدار احكام قطعية(١٦٢)، فكانت لهم الكلمة المسموعة واحكامهم ماضية عند الملك والعامة، ولذلك منحوا حق اجارة الملهوف او المظلوم فمن استجار بهم يجار حتى ولو كان مرتكبا لجريمة كبرى(١٦٣)، وقد يشارك الملك القاضي في مسألة النظر في المظالم والشكاوى فتكون قراراته واجبة التنفيذ وملزمة (١٦٤) لكن بعد التشاور مع القاضي الذي يكون حاضرا مع كتاب الدواوين.

وفي ذات السياق فان ملوك مملكة مالي حرصوا اثناء توسعهم وبناء المدن وتطويرها الى ان يكون فيها من القضاة المؤهلين لحل القضايا والنظر في الشكاوى، فكانوا يختارون لهذا المنصب من الشخصيات العلمية المعروفة وخاصة من المغاربة(١٦٥) لكن وجود القاضي لم يمنع استمرار بعض المدن بممارسة اعرافهم الخاصة بالاحكام والمنازعات الموروثة عن معتقداتهم القديمة لذلك نجد ان هناك احكاما قضائية تسير مسرى العرف في بعض مدن مملكة مالي لم ينزل الله بها من سلطان وهي ترسيخ لمعتقدات الوثنية التي حاول الاسلام القضاء عليها، منها ما كان من احكام في مدينتي قلنبو وترنكة بحق السارق والزاني فكان الامر يصار الى صاحب السرقة فيخير ما بين بيع السارق او قتله، واما الزاني فيسلخ جلده (١٦٦)، وما كان في مدينة غانة فيما يعرف بحكم الماء، اذ يأتي صاحب الدعوى بعود فيه حرارة ومرارة

ويصب عليه الماء بقدر معلوم ثم يسقي به المدعي عليه بهذا الماء فان رماه من جوفه فان ذلك يعني انه بريء وان لم يرمه وبقى في جوفه صحت الدعوى عليه(١٦٧).

النتائج التي توصل اليها الباحث

١- ان مملكة مالي الاسلامية واحدة من الممالك التي حكمت منطقة شاسعة ضمت اقاليما عدة امتدت من ثنية نهر النيجر شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا، بينما تجاوزت حدودها الشمالية عمق الصحراء الكبرى وامتدت من الجنوب حتى بلاد الغابات.

٢- اتسمت هذه المملكة بالطابع الاسلامي في الوقت التي كانت تحكم اقاليما بقيت على وثنيتها من دون اجبارها على الدخول في الاسلام.

٣- على الرغم من انتشار الاسلام في ربوع مدن هذه المملكة فقد بقيت رواسب الموروث الوثني تمارس بشكل واضح في الحياة الاجتماعية، مثل ظاهرة التعري والزواج والختان والبيع والشراء وغيرها.

٤- اثبت البحث ان هناك ممارسات في اصدار الاحكام في القضايا المتعلقة بالزنا والسرقة تخالف ما جاءت به نصوص الشريعة الاسلامية.

٥- لم تنتهي بعض القبائل في بعض المدن عن ممارسة طقوسها الدينية الوثنية وعبادة آلهتها المتعددة مثل عبادة الشمس والظواهر الطبيعية والنار والحيوان فضلا عن الاصنام.

٦- اثبت البحث ان مملكة مالي لم تكن لها عملة ذهبية خاصة بها بل استمرت في تداول التجارة بنظام المقايضة ولم نجد مايشير الى وجود دور سكة مع اشتهارها ببلاد الذهب.

٧- بدى للباحث ان هناك تأثرا طرأ على مراسم طقوس الدفن والمقابر في مملكة مالي فوجدت المقابر بجوار المساجد، مع استمرار الوثنيين بطقوسهم القديمة ذاتها.

٨- اشتهرت مملكة مالي بوجود السحر كممارسة مستمدة من الارث الوثني القديم بين اوساط العامة وكان لهذه المهنة اثر واضح في الحياة الاجتماعية، كما ظهر الاهتمام بصناعة السموم ايضا.

٩- اظهر البحث ان الاوبئة والامراض منشرة في مملكة مالي نتيجة عدم وجود المرافق الصحية والبيئة النظيفة، وعدم مراعاة الشروط الصحية في الملبس والمأكل والمسكن.

١٠- وقف الباحث على جملة من الممارسات المستهجنة التي كانت تمارسها القبائل المنضوية تحت حكم مملكة مالي وهي من رواسب الموروث القديم مثل الزنى، واكل الجيف، واكل لحوم البشر وغيرها.

المصادر

١- الادريسي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحموي الحسني (٥٦٠هـ/١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة٢٠٠٢م).

٢- الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، (ليدن ١٩٢٧م).

٣- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الابصار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، دار احياء العلوم، (بيروت ١٩٨٧م).

٤- البكري: ابو عبيد بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: ادريان ليوفن واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٩٩٢م).

٥- الحسن الوزان: الحسن بن محمد الفاسي المعروف بـ(ليون الافريقي)، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت١٩٨٣م).

٦- ابن حوقل: ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، مطبعة ليدن، دار صادر، (بيروت ١٩٣٨م).

٧- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، (بيروت٢٠٠٠م).

٨- الزهري: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، طبع المركز الاسلامي، توزيع مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد ، د ت).

٩- السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، (باريس ١٩٨١م).

١٠- ابن سعيد المغربي: ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، (بيروت١٩٧٠م).

العمري: ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

١١- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت٢٠١٠م).

١٢- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت١٩٨٨م).

١٣- الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠٥م).

١٤- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت ١٩٦٩م).

١٥- القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٥٩٣م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، دار الكتب الخديوية، (القاهرة ١٩١٥م).

١٦- كعت: محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي (ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار، تحقيق: ادم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، (بيروت ٢٠١٤م).

١٧- مجهول: (مؤلف مراكشي من مؤرخي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء١٩٨٥م).

١٨- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الاندلس، (بيروت ١٩٩٦م).

١٩- المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد ٢٠٠٠م).

٢٠- المنجم: اسحق بن الحسين (من مؤرخي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، (بيروت١٩٨٨م).

٢١- ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ١٩٧٧م).

٢٢- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت ٢٠١٠م).

المراجع

٢٣- ابراهيم: رجب عبد الجواد وآخرون، المعجم العربي لأسماء الملابس، الشركة الدولية للطباعة، دار الافاق العربية، (القاهرة٢٠٠٢م).

٢٤- اسبر: امين، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، دار دمشق للطباعة، (بيروت، دمشق١٩٨٥).

٢٥- الالوري: آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، (بيروت١٩٦٥م).

٢٦- باري: عثمان برايما، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار الامين للنشر والتوزيع، (القاهرة٢٠٠٠م).

٢٧- باري: محمد فاضل و كريدية: سعيد ابراهيم، المسلمون في غرب افريقيا، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٧م).

٢٨- بانيكار: مادهو، الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، ط٢، (المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٨م).

٢٩- بوفيل: ادوارد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز، ط٢، منشورات قاريونس، (بنغازي ١٩٨٨م).

٣٠- الجمال، احمد محمد اسماعيل احمد، تاريخ مدينة اودغست ودرها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، الحولية الثامنة ٢٠٠٨م.

٣١- جودة: حسنين جودة، قارة افريقيا دراسات في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية ٢٠٠٠م).

٣٢- الحميري : محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٧٤م).

٣٣- الدالي: الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة١٩٩٩م).

٣٤- دي: فيج جي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، مراجعة بهجت رياض صليب، منشورات دار المعارف، (القاهرة ١٩٨٢م).

٣٥- ديشان: هوبير، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: احمد صادق حمدي وآخرون، المركز القومي للترجمة، (القاهرة٢٠١١م).

٣٦- الرهماني: الرهماني سالم، الجاليات العربية الاسلامية المبكرة في غرب افريقيا واثرها في نشر الاسلام واللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢، (جامعة طنطا ٢٠٠٩م)،

٣٧- الزبيري: محمد العربي، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر ١٩٧٨م).

٣٨- زكي: عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مطبعة يوسف، مكتبة الجامعة المصرية، (القاهرة١٩٦٧م).

٣٩- زيادة: نقولا، افريقيات، مكتبة رياض الريس للكتب والنشر، (لندن١٩٩١م).

٤٠- شكري: احمد، الإسلام والمجتمع السوداني (امبراطورية مالي١٢٣٠-١٤٣٠م)، اصدارات المجمع الثقافي، (ابو ظبي١٩٩٩م).

٤١- شلبي: احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط٥، مكتبة النهضة العصرية، (القاهرة ١٩٩٠م).

٤٢- طاهر: احمد، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، (القاهرة ١٩٧٥م).

٤٣- طرخان، ابراهيم علي، قيام دولة مالي الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد ١، (القاهرة ١٩٧٠م).

٤٤- فليجة: احمد نجم الدين، افريقية دراسة عامة واقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية د ت).

٤٥- الفيتوري: عطية المخزومي، دراسات في تاريخ شرق افريقيا، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي ١٩٩٨م).

٤٦- قداح، نعيم، حضارة الإسلام وحضارة اوربا في افريقية الغربية، مكتبة أطلس، (دمشق ١٩٦٥م).

٤٧- قداح: نعيم، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (كوناكري ١٩٦٠م).

٤٨- كجيري: عبد القادر بن تيجان بن لالم، موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كبيرى للتربية والبحوث التاريخية، (طوبى ٢٠١٥م).

٤٩- ميسير: رونالد، ذهب غرب افريقيا والعملات الذهبية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: نزاد اسكندر، مقال منشور لنسخة منقحة من ورقة بحثية قرأت في الاجتماع السنوي السادس لاتحاد الدراسات الشرق اوسطية، في جامعة ولاية نيويورك في برمنغهام(١٩٩٩م).

٥٠- نوري: دريد عبد القادر، دور الحج في ربط السودان الغربي بالوطن العربي بعد القرن الخامس الهجري، مجلة رسالة الخليج العربي، (الرياض ١٩٨٣م)، المجلد٣، العدد٩.

٥١- نيان: جبريل، تاريخ افريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية في بيروت، صدر عن منظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم والعلم والثقافة (اليونسكو)، (باريس ١٩٨٨م).

٥٢- هنس: فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان١٩٧٠م).

٥٣- Trimingham: J. Spencer, Islam of west in Africa, Oxford University 1959, London

٥٤- Mouny: Raimond, Tableau Geographique de L,oust Africain moyen AGE. Dakar 1961.

الهوامش:

(١) الاصطخري: ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، (ليدن ١٩٢٧م)،ص٤.

(٢) بوفيل: ادوارد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز، ط٢، منشورات قاريونس، (بنغازي ١٩٨٨م)، ص١١٩-١٢٠.

(٣) Trimingham: J. Spencer, Islam of west in Africa, Oxford University 1959, London, P.1.

(٤) الاصطخري: مسالك الممالك، ص٤٠.

(٥) ابن حوقل: ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الارض، مطبعة ليدن، دار صادر، (بيروت ١٩٣٨م)، ج١، ص١٥-١٦.

(٦) وهي مدينة قديمة في افريقيا حدد الجغرافيون موقعها بالنسبة الى مدينة سجلماسة فاتفقوا على انها تقع جنوبها، اذ يفصل بينهما مسافة شهرين ولم يبق لها أثر اليوم. ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ١٩٧٧م)، ج١، ص٢٧٧؛ وللمزيد من المعلومات عن مدينة اودغست: الجمال، احمد محمد

اسماعيل احمد، تاريخ مدينة اودغست ودرها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، الحولية الثامنة ٢٠٠٨م، ص٢٢.

(٧) البكري: ابو عبيد بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تحقيق: ادريان ليوفن واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ١٩٩٢م)، ج١، ص١٣.

(٨) طرخان، ابراهيم علي، قيام دولة مالي الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد ١، (القاهرة ١٩٧٠م)، ص٢.

(٩) دي: فيج جي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، مراجعة بهجت رياض صليب، منشورات دار المعارف، (القاهرة ١٩٨٢م)، ص١٥.

(١٠) قداح: نعيم، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (كوناكري ١٩٦٠م)، ص٢؛ الزبيري: محمد العربي، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر ١٩٧٨م)، ص٥٨.

(١١) فليجة: احمد نجم الدين، افريقية دراسة عامة واقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية د ت)، ص١١.

(١٢) قداح: افريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٢-٦.

(١٣) مدينة اسسها الطوارق وتحديدا طوارق مقشرن في اواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تبعد حوالي اربعة اميال عن نهر النيجر، كان تأسيسها كمخزن للمؤن في بداية امرها حتى اصبحت مدينة تجارية وعاصمة للثقافة والعلوم. ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، (باريس ١٩٨١م)، ص٢٠-٢١.

(١٤) شكري: احمد، الإسلام والمجتمع السوداني (امبراطورية مالي١٢٣٠-١٤٣٠م)، اصدارات المجمع الثقافي، (ابو ظبي١٩٩٩م)،ص٦٠؛ جودة: حسنين جودة، قارة افريقيا دراسات في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية ٢٠٠٠م)، ص٦٣، ٦٥.

(١٥) جودة: قارة افريقيا، ص٧٥.

(١٦) طرخان: قيام دولة مالي الإسلامية، ص٢-٣.

(١٧) Mouny: Raimond, Tableau Geographique de L,oust Africain moyen AGE. Dakar 1961, p:119.

(١٨) بلاد تنسب الى قبيل من السودان فصارت تعرف ببلاد التكرور وهي مدينة عظيمة مشهورة لا سور لها سكانها خليط من المسلمين والكفار. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨؛ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت ١٩٦٩م)، ص٢٦.

([١٩]) شلبي: احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط٥، مكتبة النهضة العصرية، (القاهرة ١٩٩٠م)، ج٦، ص٦٤.

([٢٠]) الفيتوري: عطية المخزومي، دراسات في تاريخ شرق افريقيا، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي ١٩٩٨م)، ص٢٣-٣٢.

([٢١]) الحسن الوزان: الحسن بن محمد الفاسي المعروف بـ(ليون الافريقي)، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت١٩٨٣م)، ج٢، ص ١٦٤.

([٢٢]) العمري: ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت٢٠١٠م)، ج٤، ص٤٩.

([٢٣]) لعل من المهم بمكان البحث عن اصل التسمية والتعريف بها في ظل السياق التاريخي الذي ظهرت فيه تلك المملكة وهي تخطوا نحو المجد، فقد اطلقت تسميات عدة جاءت بحسب المنظور اللغوي والتاريخي منها:

١- ما جاء على لسان كانتي سليمان قوله ان اصل لفظ مالي جاء مكون من مقطعين الاول (ماغا) وتعني الملك باللغة السوننكية وهو لقب لملك غانة الذي كان يطلق عليه (كي ماغ) اي ملك الذهب و (دين) وتعني الابن، فصارت كل مملكة تتبع امبراطورية غانة يطلق عليها (ماغ) فكانوا يسمون الملوك بـ(ماغا فلان) اي (ماغا دين) بمعنى ابناء الملك ثم خففت فأصبحت (ماندي) لتتحول مع الزمن الى (مالي) ينظر: كجيري: عبد القادر بن تيجان بن لالم، موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كبيرى للتربية والبحوث التاريخية، (طوبى ٢٠١٥م)، ص١٤٨.

٢- وهناك من يقول ان التسمية جاءت نسبة الى فرس النهر الحيوان الضخم الذي يعيش في انهار تلك المناطق بكثرة. باري: محمد فاضل و كريدية: سعيد ابراهيم، المسلمون في غرب افريقيا، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٧م)، ص٧٦.

٣- اما المؤرخين العرب ومن اتبعهم من مؤرخي السودان فقد اطلقوا على تلك البلاد تسميات عدة لكنها متشابهة في اصلها منها (ملل، ومل، وملي، ومالي) ومنهم: اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت ٢٠١٠م)، ج١، ٢٣٨؛ البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٥؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الابصار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص، دار احياء العلوم، (بيروت ١٩٨٧م)، ص٦٩٤؛ العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩؛ السعدي، تاريخ السودان، ص6؛ كعت: محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي (ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار،

تحقيق: ادم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، (بيروت ٢٠١٤م)، ص١٢٠؛ الحسن الوزان: وصف افريقيا، ص٦٤.

وتشغل مملكة مالي القديمة المساحة التي تشغلها جمهورية مالي وجنوب موريتانيا من الجهات الشمال والسنغال وغينيا من الغرب وشمال ساحل العاج وفولتا من الجنوب والنيجر من الشرق. ينظر: قداح: افريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٤٤.

([٢٤]) هي فرع من مجموعة قبائل المالنكة الوثنية كانوا يقيمون في مناطق غرب غانة في المنطقة الجبلية لكوليكورو تخصصوا بصناعة الحديد. ينظر: نيان: جبريل، تاريخ افريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية في بيروت، صدر عن منظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم والعلم والثقافة (اليونسكو)، (باريس ١٩٨٨م)، المجلد الرابع، ص١٣٧.

([٢٥]) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، (بيروت٢٠٠٠م)، ج٦، ص٢٦٦؛ القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٥٩٣م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، دار الكتب الخديوية، (القاهرة ١٩١٥م)، ج٥، ص٢٩٣.

([٢٦]) طرخان: قيام مملكة مالي، ص٢١.

([٢٧]) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٥.

([٢٨]) نيان: تاريخ افريقيا العام، المجلد الرابع، ص١٤٦.

([٢٩]) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٧

([٣٠]) المصدر السابق: المجلد الرابع، ص١٤٧.

([٣١]) العبر،ج٦، ص٢٦٦.

([٣٢]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩؛ العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت١٩٨٨م)، ص٤٤.

([٣٣]) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٣.

([٣٤]) الالوري: آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، (بيروت١٩٦٥م)، ص١٥٥.

([٣٥]) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧.

([٣٦]) كجيري: موسوعة تاريخ مالي، ص٢٢٧.

([٣٧]) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٤؛ المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد ٢٠٠٠م)، ص١٤٠؛ السعدي: تاريخ السودان، ص٨؛ كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٠.

([٣٨]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٤٩.

([٣٩]) للمزيد من المعلومات حول رحلة حج الملك منسا موسى يراجع العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٦-٥٨؛ نوري: دريد عبد القادر، دور الحج في ربط السودان الغربي بالوطن العربي بعد القرن الخامس الهجري، مجلة رسالة الخليج العربي، (الرياض ١٩٨٣م)، المجلد٣، العدد٩، ص٢٥٤.

([٤٠]) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧-٢٧٠؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٤-٢٩٨.

([٤١]) الفيتوري: تاريخ شرق افريقيا، ص٢٨٤.

([٤٢]) عرفوا بهذا الاسم لانهم اتخذوا رباطا لهم بقيادة عبد الله بن ياسين الجزولي في منطقة معزولة جنوب السنغال، وهم جزء من قبائل صنهاجة الجنوب الذين تميزوا بلبس اللثام فعرفوا ايضا بالملثمين. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٣.

([٤٣]) مجهول: (مؤلف مراكشي من مؤرخي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء١٩٨٥م)، ص٢١٧؛ زكي: عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مطبعة يوسف، مكتبة الجامعة المصرية، (القاهرة١٩٦٧م)، ص٣١.

([٤٤]) المصدر السابق، ج٦، ص١٣٥.

([٤٥]) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٠، ٦١.

([٤٦])المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٥.

([٤٧]) طرخان: قيام دولة مالي، ص٢٩؛ قداح: الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، ص٣١؛ زيادة: نقولا، افريقيات، مكتبة رياض الريس للكتب والنشر، (لندن١٩٩١م)، ص٣١٣.

([٤٨]) طاهر: احمد، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، (القاهرة ١٩٧٥م)، ص٧١-٧٢.

(٤٩) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ٢٦٧.

(٥٠) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧١.

(٤٩) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٠.

([٥٢]) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٥.

([٥٣]) المصدر نفسة: ص٥١

([٥٤]) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٢.

([٥٥]) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٣؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢٠.

([٥٦]) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٤.

([٥٧]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٣.

([٥٨]) المصدر نفسه: ج٤، ص٥٣.

([٥٩]) قداح، افريقيا في ظل الإسلام، ص ٩٣-٩٤.

([٦٠]) الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق افريقيا، ص١٠٢.

([٦١]) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٠.

([٦٢]) جاءت في معجم البلدان بلفظ (سلا) وهي مدينة بأقصى المغرب ليس بعداها معمور، يحاذيها البحر المحيط على سمت بلاد السودان. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣١.

([٦٣]) مدينة تقع شرق نهر النيجر على بعد اثنتا عشرة مرحلة عن مدينة تكرور، وهي مدينة لا سور لها حاضرة كالقرية اهلها تجار متجولون. الادريسي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحموي الحسني (٥٦٠هـ/١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة٢٠٠٢م)، ص١٩.

([٦٤]) يلفظها ابن سعيد غيارو نقع على ضفة خليج يخرج من نهر النيجر، يحيط بها حفير اشبه بالخندق، بينها وبين مدينة غانة احدى عشرة مرحلة. المصدر نفسه: ص٢٦؛ الجغرافيا، ص٩٣.

([٦٥]) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩، ٢٦.

([٦٦]) ابن بطوطة: تحفة النظار،: ص٦٩٩.

([٦٧]) المصدر نفسه: ص ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٩٠.

([٦٨]) بانيكار: مادهو، الوثنية والاسلام تاريخ الامبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، ط٢، (المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٨م) ، ص٤٧٨.

([٦٩]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٩.

([٧٠]) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص١٥٩.

([٧١]) المنجم: اسحق بن الحسين (من مؤرخي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، (بيروت١٩٨٨م)، ص١٠٣؛ ابن خلدون: العبر، ج١، ص٥١٧.

([٧٢]) المسالك والممالك، ص٨٧٦.

([٧٣]) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٢ ، ٨٧٤؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢٠.

([٧٤]) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٤.

([٧٥]) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٣.

([٧٦]) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٤؛ ابراهيم: رجب عبد الجواد وآخرون، المعجم العربي لأسماء الملابس، الشركة الدولية للطباعة، دار الافاق العربية، (القاهرة٢٠٠٢م)، ص٣٠٩.

([٧٧]) تحفة النظار، ص٦٨٩ ، ٦٩١.

(٧٧) المصدر نفسه، ص٦٩٦-٧٠١.

([٧٨]) ابن سعيد المغربي: ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، (بيروت١٩٧٠م)، ص٩١.

([٨٠]) آثار البلاد واخبار العباد، ص٢٦.

([٨١]) واحدة من مدن بلاد السودان الغربي بينها وبين مدينة غانة مسيرة ايام، يعرف اهلها بالبكم. الحميري : محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٧٤م)، ص٢٩٩.

([٨٢]) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٦؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢١؛ الادريسي: نزهة المشتاق، ص٣٤.

([٨٣]) ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، ص٩٣؛ البكري: المسالك والممالك، ص٨٨٣.

([٨٤]) مدينة جليلة القدر تقع على ضفة البحر الحلو وهي على سفح جبلي. الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٥-٢٦.

([٨٥]) المصدر نفسه، ص١٨، ٢٤ ، ٢٨.

([٨٦]) تقع الى الشمال من مدينة غانة على الطريق الرابط بينها ومدينة سجلماسة فتبعد عن الأخيرة مسيرة شهرين، وقد اسماها ابن بطوطة ايوالاتن حيث. تحفة النظار، ص٦٧٦.

([٨٧]) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٠

([٨٨]) باري: عثمان برايما، جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار الامين للنشر والتوزيع، (القاهرة٢٠٠٠م)، ص٧.

([٨٩]) ديشان: هوبير، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: احمد صادق حمدي وآخرون، المركز القومي للترجمة، (القاهرة٢٠١١م)، ص٤٤.

([٩٠]) الارض ذات الاشجار. ينظر: الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت ٢٠٠٥م)، ص٤١٦.

([٩١]) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٢.

(٩٢) لم نقع على تعريف لها ونعتقد انها نفسها مدينة بريسى التي عرفناها سابقا

([٩٣]) مدينة في بلاد السودان الغربي، سكانها من المسلمون واكثر ما تجارتها الملح والودع والنحاس. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص٢٢٢.

([٩٤]) مدينة من مدن السودان على الطريق بين سلى وغانة، تبعد عن الاولى مسيرة يوم، تقع على نهر النيجر واهلها كفار. البكري: مسالك الممالك، ص٨٦٩.

([٩٥]) مملكة واسعة على الطريق الرابط بين سلى وغانة، سميت نسبة الى قبيل من السودان تجارتهم الملح والذهب. المصدر نفسه، ص٨٧٠.

([٩٦]) تقع على نفس الطريق بعد مدينة قلنبو، وهي بلد عريض يسكنها قبيل من السودان يحيكون ازر القطن المعروفة بالشكيات. الحميري: الروض المعطار، ص١٣٢.

([٩٧]) تسمى (زافو) ايضا وحاضرتها (زافون) وهي ولاية واسعة في بلاد السودان المجاورة للمغرب متصلة ببلاد الملثمين، لهم ملك ذو قوة ومنعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٢٧.

([٩٨]) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٠ ؛ مجهول: الاستبصار، ص٢١٨.
([٩٩]) مجهول: الاستبصار، ص٢٢٥.
([١٠٠]) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٦.
([١٠١]) المصدر نفسه، ص١٢٢-١٣١.
([١٠٢]) المسالك والممالك، ص ٨٧٢، ٨٧٣.
([١٠٣]) الجغرافية، ص٩٤.
([١٠٤]) مسالك الابصار، ج٤، ص٥٤.
([١٠٥]) المصدر نفسه: ص٥٢.
([١٠٦]) تحفة النظار، ص٦٨١، ٦٩٤.
([١٠٧]) السعدي: تاريخ السودان، ص٥٦، ٥٨.
([١٠٨]) بانيكار: الوثنية والاسلام، ص٤٧٧.
([١٠٩]) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٢،١٧.
([١١٠]) اسبر: امين، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، دار دمشق للطباعة، (بيروت، دمشق١٩٨٥)، ص١٧٥.
([١١١]) العمري: مسالك الممالك، ج٤، ص٥٢.
([١١٢]) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٧.
([١١٣]) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٨٧.
([١١٤]) اسبر: افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ص١٧٥-١٧٦.
([١١٥]) المسالك والممالك، ص٨٧٦.
([١١٦]) العمري : مسالك الممالك: ج٤، ص٥٢ ، ٥٩.
([١١٧]) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩١.
([١١٨]) اذ كانت تقوم بترك التجار لبضائعهم في مكان محدد ثم ينسحبون مسافة الى ان يختفوا ويضربون الطبول فيعلم اهل السودان انهم انسحبوا ليأتوا الى مكان البضائع ويتركوا كمية من الذهب قبالة الاشياء التي يرغبون بشرائها ثم ينسحبون وبنفس الطريقة يضربون الطبول ايضا، فيعلم التجار انهم انسحبوا ليعودوا مرة اخرى ويأخذوا الذهب ويتركوا البضائع على حالها وينسحبوا، فيرجع السودان ويأخذوا البضائع وقد تتكرر هذه العملية مرات عدة فيما لو وجد التاجر ان الذهب لا يكافئ بضاعته ومن هنا جاءت تسميتها بالتجارة الصامتة لان طرفي التبادل التجاري لا يلتقون في مكان واحد ولا يحدث بينهم تفاوض ومن ثم الاتفاق على البضائع والاسعار. المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الاندلس، (بيروت ١٩٩٦م)، ص٨٨؛ العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٦٠؛ الزهري: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م)، كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد

حاج صادق، طبع المركز الاسلامي، توزيع مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد ، د ت)، ص١٢٢؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٩.

(١١٩) البكري: مسالك الممالك، ص٨٤٠.

(١٢٠) مدينة واسعة تقع بين جبال وشعاب ، ذكر انها اشبه البلاد بمكة، ولا نعرف من اين جاء هذا الشبه! بينها وبين مدينة غانة خمسون مرحلة . مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار، المصدر السابق: ص٢٢٣.

(١٢١) ص٨٦٨، ٨٧١، ٨٨٠ ،٨٨٣.

(١٢٢) تقع هذه المدينة في طرف بلاد السودان جنوبي المغرب، اهلها خليط من البربر من صنهاجة والسودان. اليعقوبي، البلدان، ص١٩٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٢.

(١٢٣) ميسير: رونالد، ذهب غرب افريقيا والعملات الذهبية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: نزاد اسكندر، مقال منشور لنسخة منقحة من ورقة بحثية قرأت في الاجتماع السنوي السادس لاتحاد الدراسات الشرق اوسطية، في جامعة ولاية نيويورك في برمنغهام(١٩٩٩م)، ص١٤٤.

(١٢٤) البكري: مسالك الممالك، ص٨٧٤.

(١٢٥) صورة الارض، ص٩٦.

(١٢٦) مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢٣.

(١٢٧) وردت في المصدر (المقارضة) وهي ربما جاءت تصحيفا اثناء النسخ ينظر: الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٨.

(١٢٨) تقع هذه المدينة في الطريق الى مدينة كوكيا ناحية الصحراء في واحات توات وبناء بيوتها بأحجار حمراء لكثرة النحاس في ارضها والتي عرفت ببلاد النحاس. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٧٠٩-٧١٠.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص٦٩٧،٦٩٤،٦٧٤.

(١٣٠) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٩.

(١٣١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٩.

(١٣٢) العمري: مسالك الابصار، ج٤، ص٥٦-٥٧.

(١٣٣) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص ١٦٣، ١٦٧.

(١٣٤) الرهماني: الرهماني سالم، الجاليات العربية الاسلامية المبكرة في غرب افريقيا واثرها في نشر الاسلام واللغة العربية، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢، (جامعة طنطا ٢٠٠٩م)، ص٧٥٢.

(١٣٥) مقدار المد الشرعي ٨١٢,٥ غم من القمح. هنس: فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان١٩٧٠م)، ص٧٤.

(١٣٦) تحفة النظار، ص٦٩٦.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص٦٩٦.

(١٣٨) الدالي: الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة١٩٩٩م)، ص٧٨.

(١٣٩) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٨.

(١٤٠) البكري: المسالك والممالك، ص٨٤٧.

(١٤١) يسميها القزويني (تغارة) وهي بلدة جنوبي المغرب جهة المحيط، بناء دورها من حجارة الملح لكثرتها والتي تنقل الى بلاد السودان، يسكنها عبيد مسوفة ، ومياه ابارها عذبة وليس فيها زرع. آثار البلاد واخبار العباد، ص٢٥-٢٦.

(١٤٢) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٧٤.

(١٤٣) المصدر نفسه: ص٦٩١، ٦٩٤.

(١٤٤) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٤.

(١٤٥) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٨.

(١٤٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٧٦.

(١٤٧) البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٠.

(١٤٨) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٠؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٦٨٧.

(١٤٩) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ص١٥٩-١٦٠.

(١٥٠) قداح، نعيم، حضارة الإسلام وحضارة اوربا في افريقية الغربية، مكتبة أطلس، (دمشق ١٩٦٥م)، ص١٩٣.

(١٥١) الادريسي: نزهة المشتاق، ص٢٢.

(١٥٢) قداح: حضارة الاسلام وحضارة اوربا، ص١٩٩.

(١٥٣) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٤.

(١٥٤) مجهول: الاستبصار، ص٢٢٣.

(١١٩) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٩٠.

(١٥٦) قداح: حضارة الاسلام وحضارة اوربا، ص١٩٣-١٩٤.

(١٥٧) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٥.

(١٥٨) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٩١، ٦٩٣؛ العمري: مسالك الممالك، ج٤، ص٥٩-٦٠.

(١٥٩) ديشان: الديانات في افريقيا السوداء، ص١٥.

(١٦٠) كعت: تاريخ الفتاش، ص١٢٢.

(١٦١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ٦٨٣ ، ٦٨٦ ، ٦٨٩.

(١٦٢) السعدي: تاريخ السودان، ص٥٧.

(١٦٣) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٨٩.

(١٦٤) العمري: مسالك الابصار،ج٤، ص٥٣.

([١٦٥]) السعدي: تاريخ السودان، ص٥٦-٥٧.

([١٦٦]) البكري، مسالك الممالك، ص٨٩٦؛ مجهول: الاستبصار، ص٢١٨.

([١٦٧])البكري: المسالك والممالك، ص٨٧٧.

دور المرأة اليهودية في النشاط الاقتصادي في مصر خلال القرن(٥هـ/١١م)

The role of Jewish women in economic activity in Egypt during the 5th century AH/11AD

م.م امال عدنان احمد

المديرية العامة لتربية بابل

M.M. Amal Adnan Ahmed - General Directorate of Education in Babylon

E-mail:

amaal.adnan1104b@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Phone: 07726786104

دور المرأة اليهودية في النشاط الاقتصادي في مصر خلال القرن(٥هـ/١١م)

م.م امال عدنان احمد

الملخص:

حرص المجتمع اليهودي والقائمين عليه على تعليم الفتيات اليهوديات ورغم كون ذلك التعليم كان مقتصر على تعاليم الشريعة اليهودية وتعلم بعض المهارات الحرفية التي كانت الفتاة اليهودية قد تعلمتها من والدتها أو عن طريق النساء اليهوديات ذوات الخبرة في مجال معين، وذلك التعليم أو نقل الخبرات من جيل الى أخر، كان قد سمح للمرأة اليهودية المشاركة بالنشاط الاقتصادي، داخل وخارج منزلها لتامين الدخل المالي الذي يسد نفقاتها، كما كانت معيلة لعائلتها، وبعض المهن التي زاولتها المرأة اليهودية كانت مقتصرة على النساء، وبعضها كان يتطلب خروجها من المنزل وبعض المهن كانت تزاولها في منزلها ومنذ سن مبكر، وفي الكلا الحالتين كان للمرأة اليهودية دورها في المجتمع كعنصر فعال ومنتج، كما كان لها استقلالها المالي نوعاً ما في تلك الحقبة.

الكلمات المفتاحية : دور المرأة اليهودية – النشاط الاقتصادي – مصر

Abstract

The Jewish community and those in charge of it were keen to educate Jewish girls, even though that education was limited to the teachings of Jewish law, and to learn some craft skills that the Jewish girl had learned from her mother or through Jewish women with experience in a particular field, and that education or transfer of expertise from one generation to the next. Another had allowed the Jewish woman to participate in economic activity, inside and outside her home, to secure the financial income that covered her expenses, and she was also the breadwinner for her family. Some of the professions that the Jewish woman practiced were limited to women, and some of them required her to leave the home, and some of the professions she practiced in her home and since at an early age, in both cases the Jewish woman had a role in society as an active and productive element, and she also had some financial independence in that era.

Keywords: the role of Jewish women - economic activity – Egypt

المقدمة: يُعد موضوع المرأة في المصادر التاريخية خلال العصور الأسلامية من الموضوعات الصعبة (لويس،٢٠١٤، ص٦٣٧)، لقله المصادر التي تحدثت عن ذلك ولكن المؤكد ان دور المرأة اليهودية لم يقتصر على ما تقوم به من واجبات داخل المنزل، بل ساهمت في النشاط الإقتصادي من خلال مزولتها لعدد من المهن والحرف، ورغم، الا ان المرأة اليهودي كان لها دور بتأمين احتاجاتها الشخصية أو المساهمة بسد جزء من نفقات أسرتها، وكانت المرأة اليهودية تعلم منذ الصغر مهنة تكون مصدر دخل لها ولعائلتها.

اولاً: مصادر ثروة المرأة اليهودية:

كانت ثروة المرأة اليهودية تتكون من مصادر رئيسية هي: (الميراث، المهر، والعمل)، اما الميراث فأن المرأة اليهودية وحسب شريعتهم فأنها لا ترث من أبيها إلا في حالة عدم وجود ابن له، وفي التوراة جاء النص التالي موضحاً ذلك: "وَتُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: أَيُّمَا رَجُل مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، تَنْقُلُونَ مُلْكَهُ إِلَى ابْنَتِهِ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ابْنَةٌ، تُعْطُوا مُلْكَهُ لإِخْوَتِهِ."(التوراة، سفر العدد،٢٧: ٨)، وفي حالة وجود ابناء وبنات يمنح الابن البكر حصة مضاعفة وباقي الاخوة يأخذون حصص متساوية، وهنا يكون واجب الاخ تجاه اخته نفقتها ومهرها عند الزواج، اما الزوجة فلا يحق لها سوى السكن والمعيشة في دار الزوج، بعد ان تسترد حق مهرها المؤجل من الميراث، واحيانا كانت تعتبر هي نفسها ميراث في حاله لم تنجب من زوجها يفرض عليها الزواج من اخو زوجها، والطفل الأول من الأخ الأكبر يحمل أسم الأخ المتوفي(قنديل،٢٠٠٨، ص٧١) .

أما المهور فأن العائلات اليهودية، كما هو مثبت في عقود الزواج التي تضمنتها وثائق الجنيزا، هو مصطلح يطلق على كل الكتب الدينية والاوراق الرسمية ومراسلات التجار وغيرها مما كان يحمل اسم الله بين ثناياها، لذلك كان محرم ابادتها بل يحتفظ بها في مكان خاص في المعبد الى حين دفنها(حسن، والنبوي، ١٩٩٩، ص١٢)، والعقود التي وجدت ضمن وثائق الجنيزا اكدت أن العوائل اليهودية كانت تساهم بمنح بناتها جزء من المهر المقرر لهن، وهذه المساهمة أما تكون مبالغ مالية أو ما يعادلها من أغراض منزلية

وشخصية، ونادراً ما تكون تلك الممتلكات مكونه من ارض وعبيد، اما المهور التي تسجل في عقود الزواج أو (كيتوبة) كما تسمى في التلمود (شتاينسالتز،٢٠٠٦، ص١٧٣)، فهي عادةً عباءة أو رداء، تختلف في نوع قماشها ما بين حرير او كتان او صوف وثلاث وسائد، وكانت المهور تتراوح قيمتها مابين(٥ –٢١٠٠ دينار) اما مقدار المهر وقيمته كان مرتبطاً بالدرجة الاساس بأمكانات الزوج أو أهل الزوجة المادية، ولا نعرف على وجه اليقين هل كان لعمل المرأة اليهودية ونوعه وما يدر من مال، له تأثير على مقدار المهر أم لا. ان الطريقة التي كان يتم الزواج بها في مصر، هي ذاتها تقريباً في الوقت الحاضر، فجهاز العروس في مصر عملية مشتركة يساهم فيها الزوج واهل الزوجة، ويتحكم بنوع الجهاز وقيمته الحالة المادية والمكانة الاجتماعية للطرفين، وكانت عقود الزواج اليهودية تشبه الى حد ما العقود الإسلامية فقد كان على الزواج اليهودي يدفع جزء نقدي لتجهز العروس نفسها للزواج، وجزء يؤجل ويبقى حق للزوجة يؤخذ في حالة وفاة الزوج من الميراث قبل تقسيمه(Krakowski, 2012, p47).

اما العمل فأن المرأة اليهودية زاولت بعض الأعمال ذات المردود المادي في داخل المنزل وخارجه، اذ كان من بين الواجبات المفروضة على كل امرأة يهودية متزوجة ان تقوم بعمل يرد عليها بالمال، بالإضافة إلى التزامها القيام بالأعمال المنزلية، لذلك غالبًا ما كانت عقود الزواج تنص على توضيح بشأن مردود عمل الزوجة اليهودية، فيما إذا كان للزوج حق في مكاسب عمل الزوجة أو انه يسمح لها الاحتفاظ بتلك المكاسب واستخدامها في تلبيه احتياجاتها الخاصة من ملابس وغيرها، وكان على الزوج عند سفره الى خارج البلاد، كان عليه ان يرسل لها أو يترك قبل سفره مبالغًا لزوجته، لكي تدفع منها الإيجار والضرائب ونفقات أسرتها، لكن العقد ينص صراحة على عدم رفع أي شكوى بشأن الدخل الذي تحصل عليه الزوجة من خلال العمل والغزل. وفي بعض الاحيان تحصل خروقات بالعقد المبرم بين الزوج والزوجة، فالوثائق سجلت حالات كان الزوج فيها يستولي وبشكل غير قانوني على المبالغ التي تحصل عليها زوجته مقابل عملها(Goitein, 1967, p127).

ومما تقدم يتبين أن عقود الزواج هي التي تحدد أستفادة الزوج من عمل زوجته، ولكن قبل الزواج من المستفيد من عملها؟ وهل للفتاة اليهودية حرية التصرف بمردود عملها وهي

في بيت اهلها ام انها تخضع لسلطة الاب؟ ويمكن معرفة الجواب من خلال احدى الشكاوى المقدمة لرئيس السلطة الدينية اليهودية والذي يحمل لقب الجاؤون أو الناجد(قنديل، ١٩٨٤، ص١٤٤)، وهي مقدمة من اب يشكو من استمرار إقامة بناته القاصرات مع زوجته السابقة وزوجها الجديد وجاء فيها: "يخجلني الناس قائلين انظر بناتك يعيشون مع ذلك الرجل الذي يستفيد من عملهم"، ويوجد نص قانوني في التلمود البابلي يقول:" أن العروس العذراء التي تقترب من الزواج قد تؤخر الزواج لمدة تصل إلى اثني عشر شهرًا بعد بلوغها النضج القانوني، من أجل ان تجهز نفسها بالمهر(Krakowski, 2012, p57).

من خلال ما سبق يمكن القول ان الأب له السلطة على ما تكسب الفتاة القاصر من عملها الى ان تصل الى السن القانوني، كما يتضح ان الفتاة كانت بعملها تجهز نفسها للزواج مخففة بذلك عن كاهل عائلتها نفقات تجهيزها، وكانت المساهمة الاقتصادية الكبيرة للنساء بصورة عامة في هذه الحقبة تجلت في إنتاج المنسوجات.

ثانياً:- مهن النساء اليهوديات:

عملت النساء اليهوديات في عدد من المهن التي كان يسمح بها المجتمع في تلك الحقبة الوسطى في مصر، وأما عن تعلم تلك المهن فكان يعتمد على تناقل الخبرات داخل العائلة الواحدة، أي ترث البنت مهنة والدتها أو جدتها، اما الطريقة الثانية لتعلم المهنة فهو التدريب المهني الغير رسمي الذي كان يتم في المنزل أو المعبد(Krakowski, 2012, p54).

ومن أهم المهن التي زاولتها النساء اليهوديات في المجتمع المصري في تلك الحقبة هي:

١- **الدلالة (الوكيلة):** وهي من المهن التي زاولتها المرأة اليهودية في هذه الحقبة، وذكرت في القوائم التي كانت تحفظ في المعابد اليهودي ويسجل فيها افراد المجتمع اليهودي ومهنهم(قاسم، ٢٠٠٣، ص١٤١)، وفي هذه المهنة تكون المرأة واسطة بين المنتج والمستهلك لبيع السلع وتصريفها، فتأخذ منتج النساء العاملات في المنازل وتبيعه لاصحاب الدكاكين او التجار، او تقوم هي ببيع السلع عن طريق التجول فيها على المنازل وعرضها على النساء ليقمن بشرائها(Krakowski, 2012, p54).

ولم يقتصر عمل المرأة اليهودية في هذه المهنة على تصريف مايتم عمله في المنازل من أشغال يدوية، بل تعداه الى تصريف الأشياء الثمينة من تحف وأثار نفيسة، كما هو الحال في احدى القضايا التي وردت في وثائق الجنيزا رجل ورث عن ابيه مخطوطات ثمينة من الكتاب المقدس، يدور محورها حول شخص ورث عن والده مخطوطات الكتاب المقدس كتبت بالعبرية، فدفع بها الى وكيلة كي تبيعها له، وقد عرضتها على رجال الدين اليهود في المجتمع المصري آنذاك، ولما فشلت الوكيلة في عملية البيع، ولم تجد مشتري للمخطوطات قررت ان تبيعها لابنها بسعر(٢/٧١) دينار وقد اخذت عموله عن البيع (٣/١) دينار، وبعد مرور(٦ سنوات)علم المالك الاصلي ان قيمة المخطوط الواحد اكثر من (٢٠) دينار، فرفع قضية على المرأة في المحكمة يتهمها بالتآمر مع ابنها لبخس حقه في بيع ما ورث عن والده(Goitein, 1967, p129).

٢- **الطبيبة:** كانت مهنة الطب من المهن المهمة التي تحتاج الى دراسة على يد العلماء المختصين ودراسة كتب الطب، والاطباء في المجتمع يُعدون من اعلى المستويات ويدرسون بالإضافة الى كتب الطب التوراة والتلمود (لطف، ٢٠١٩، ص٩٩)، غير ان وثائق الجنيزا تذكر انتماء الطبيبات اليهوديات الى الطبقات الدنيا في المجتمع، اي انهن من الصعب ان يكن قد درسن العلوم الطبية لان دراستها مكلفة، وهذا يعني انهن قد توارثن المعرفة والخبرات الطبية من ذويهن أو عن طريق الممارسة، وقد ذكرت لنا قوائم المهن طبيبات يهوديات قد تخصصن بطب العيون، وكان لهن دور بارز في علاج النساء في المجتمع المصري في تلك الحقبة.(Goitein, 1967, p128).

٣- **الغاسلة والنادبة:** الغاسلة وهي امرأة تقوم بغسل النساء اليهوديات وتجهيزهن للدفن(Krakowski, 2012, p54)، وكان من واجبها ان تظهر المرأة المتوفاة بأجمل حلة، ومن عادات اليهود ان النساء اليهوديات عند الوفاة يرتدين افضل الثياب ويكونن بكامل الاناقة، ويمكن معرفة اهمية يوم الدفن لليهود سواء النساء او الرجال على حد سواء، من احد الامثال اليهودية ونصه: " الانسان لا يستمتع ويظهر بأجمل مظهر الا مرتين في يوم زواجه وفي يوم وفاته"، كما كانت من ضمن اعمال الجنازة ما تقوم به النادبة في مجلس عزاء المتوفية من ذكر محاسن المتوفي وصفاته وخصاله (Goitein, 1967, p129)، والنادبة

من التقاليد التي شاعت في المجتمع المصري في جميع فئاته، ولم تقتصر على اليهود فقط، بل كانت من عادات المجتمع العربي قبل الاسلام وكانت مهنة مقتصرة على النساء، وكانت تسمى النائحة، ورغم نهي الأسلام عن النياحة، لكن تشير الى وجودها، فعندما حضرت الوفاة عمرو بن العاص عام(٤٢هـ/٦٦٢م) قال:" فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار..."(ابن عبد الحكم، ١٩٩٤، ص٢٧٩)، وهذا ما يدل على ان هذه المهنة كانت جزء من عادات وتقاليد المجتمع المصري بمختلف مكوناته.

٤- **الغزل والحياكة:** كان المجال الأهم والأوسع لعمل الاناث في هذه الحقبة هو أنتاج المنسوجات سواء كانت من الحرير أو الكتان، ويعود الغزل كعمل نسائي إلى العصور القديمة، وهو معروف في ثقافة الشعوب الشرقية وقد ذكر في كل من الأدب الديني اليهودي والإسلامي (Stillman, 1972, p3).

ذكر الكتان والغزل في كتاب التوراة عدة مرات، منها: "لاَ تَلْبَسْ ثَوْبًا مُخْتَلَطًا صُوفًا وَكَتَّانًا مَعًا." (التوراة، سفر التثنية،٢٢: ١١)، ويتبين من النص التوراتي التالي: "وَكَانَ دَاوُدُ لاَبِسًا جُبَّةً مِنْ كَتَّانٍ"(التوراة، سفر اخبار الايام،١٥: ٢٧)، ان الكتان كان لبس الانبياء والملوك، ويبدو ان الكتان قد زرع في ارض مصر منذ القدم، كما كان له شهرة، فقد جاء في التوراة الآتي: "كَتَّانٌ مُطَرَّزٌ مِنْ مِصْرَ هُوَ شِرَاعُكِ لِيَكُونَ لَكِ رَايَةً"(التوراة، سفر حزقيال،٢٧: ٧). ومما يدل على قدم مهنة الغزل وارتباطها بالنساء جاء في التوراة: "تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمِغْزَلِ، وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلْكَةِ." (التوراة، سفر الامثال،٣١: ١٩)، وكذلك النص: "وَكُلُّ النِّسَاءِ الْحَكِيمَاتِ الْقَلْبِ غَزَلْنَ بِأَيْدِيهِنَّ..." (التوراة، سفر الخروج،٣٥: ٢٥)، والكتان المغزول احد السلع التي تباع في الاسواق فجاء النص: "قَدَّمُوا غَزْلًا فِي أَسْوَاقِكِ..." (التوراة، سفر حزقيال،٢٧: ١٩)، مؤكداً ذلك. ودليل عمق مهنة الغزل والحياكة في المجتمع ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً بها في قوله تعالى:﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ... ﴾(القرآن، سورة النحل، ٩٢).

وفي هذه الحقبة شاركت النساء بصورة عامو واليهوديات بصورة خاصة في المجتمع المصري ومن جميع الطبقات في انتاج الملابس والمفروشات للأستخدام المنزلي في أسرهن، وعمل البعض منهن في صناعة المنسوجات كعمالة مأجورة ولاسيما الغزل والتطريز مقابل

أجر وهذا ما اثبتته وثائق الجنيزا التي تعود الى ذلك العصر(Goitein, 1967, p132)، واظهرت وثائق الجنيزا المئات امتلاك النساء للكثير من الثياب ، كانت من منتجات النساء الموهوبات في هذا المجال(علي، ٢٠١٦، ص١٢١٠)

الفتيات اليهوديات كن يتعلمن الغزل والتطريز بس مبكرة داخل منزل الأهل، من أمهاتهن أو قريباتهن الأخريات، سواء كان الغرض من التعليم لاستخدامهن الشخصي ولأسرهن، أو من اجل الكسب المادي، ويظهر من قضايا الطلاق التي ذكرت في الوثائق القانونية لطائفة اليهود في العصور الوسطى التي جاءت في اوراق الجنيزا، أن الامهات مسؤولة بالدرجة الاولى عن تعليم بناتهن اعمال النسيج، ويتضح ذلك من خلال إجابة رئيس السلطة الحاخامية في القرن (٦هـ/١٢م) على سؤال يتعلق بحضانة الأطفال، جاء فيه أن في حالات الطلاق يجب أن تبقى البنات في رعاية أمهاتهن، ليس فقط لأن الأمهات أكثر حماية لبناتهن من الآباء، ولكن أيضًا لأنهم مسؤولون عن التعليم المنزلي لبناتهم: "إن (الأم) هي التي تعلمها (البنت) وتدربها على ما تحتاج الفتيات إلى تعلمه والاعتياد عليه، مثل النسيج والإشراف على احتياجات الأسرة، وجميع الأمور المماثلة، بالإضافة إلى هذا التعليم غير الرسمي، كما كانت الفتيات الصغيرات يتلقين تدريباً في فن النسيج من النساء المتخصصات، أي المعلمات اللائي يدرسن في المدارس الدينية الابتدائية(Goitein, 1967, p129).

وقد تم تدريب الفتيات اليهوديات في سن مبكرة على المشاركة في هذا النشاط الأنتاجي، وقد ساهمت الفتيات غير المتزوجات بشكل كبير في دعم الدخل المادي لأسرهن، مما يجعل عملهن سلعة معترف بها يخضع محتواها لمطالبات قانونية واجتماعية في عقود الزواج أو تسويات الطلاق(Krakowski, 2012, p55).

أن حرص اليهود في مصر سواء كانوا الأهل أو رجال الدين على تعليم الفتيات مهنة ذات مردود مادي ليتمكن من الاعتماد على انفسهن ومساعدة ذويهن كان من الاولويات في تنشأة الفتيات وهذا يبين ان المرأة اليهودية قد خرجت من اطار واجباتها المنزلية وتربية الابناء الى تحمل اعباء الحياة مناصفة مع الرجل في تلك الحقبة، كما كان لها حرية

التصرف في المال المكتسب من العمل وكان القانون اليهودي يحفظ لها هذا الحق حسب ما تذكر عقود الزواج.

ويبدو ان الاب هو صاحب الحق والمسؤول عن المردود المادي للفتيات الصغيرات، مما يثبت صحة المعلومة، الوثيقة التي تعود الى القرن (٦هـ/١٠م) ومفادها ان رجلاً يهودي من الإسكندرية تقدم بطلب إلى رئيس الطائفة اليهودية لنقل حضانة ابنته البالغة من العمر ست سنوات له ، والسبب حسب ادعائه المردود المالي لعمل تلك الطفلة وجاء في الطلب: مغزلها يدور في منزلهم (أهل الزوجة) كل يوم، بما يكفي لسد تكاليف معيشتها وأكثر من ذلك، وهم يحرمونني من كل ذلك ... أتمنى إخراج ابنتي من الخضوع للآخرين ومن خدمتهم وعودتها لي.(Krakowski, 2012, p57)

يبدو أن عدد النساء العاملة في إنتاج المنسوجات بأجر قد ازداد في المجتمع سواء كن من المسلمات أو اليهوديات في أواخر القرن (٦هـ/ ١٢م)، ويعود ذلك الى تطور صناعات النسيج فقد أصبحت أكثر تنوعاً ودقة، وازاد الطلب عليها سواء محلياً أو في التجارة الخارجية، رغم ذلك عملت الحرفيات مدفوعات الأجر في هذه الفترة بشكل عام داخل حدود منزلهن أو منزل الراعي صاحب العمل، وهناك مجموعة من الإشارات في وثائق الجنيزا تؤكد ذلك، فقد ذكرت ان مجموعة من النساء كان عملهن جمع ما تنتجه النساء في المساكن الخاصة بهن وتسليمه الى رب العمل، كما اشارت الى حوادث وقعت لهن أثرت على عملهن، فقد وردت في الجنيزا شكوى حول امرأة كانت تقوم بتفكيك خيوط الحرير الخام واحترق في منزلها ويطالب صاحب الحرير بثمنه، كما بينت احدى القضايا ان المجتمع كان يفضل عمل المرأة داخل منزلها، وفي قضية صلح بين زوجين اشترط الزوج على زوجته العمل داخل المنزل، وكان سبب الخلاف خروجها منه للعمل ورفض الزوج لذلك(Goitein, 1967, p132).

في احد الرسائل التي وجدت في وثائق الجنيزا وهي غير مؤرخة، والتي تناقش أساليب تنشئة أختين يتيمتين، وجاء فيها أن الاختين يجب أن يتعلما التطريز ولكن ليس على يد مدرب محترف أو معلمة، بل تطوعت امرأة يهودية كانت ارملة لأحد العلماء اليهود وكانت

بدون أطفال لذلك رغبت برعايتهما وتود أن تصطحب هاتين الفتاتين الى منزلها وتعليمهما التطريز، وستتولى شؤونهما. (Goitein, 1967, p128)

وكانت بعض المدن المصرية قد اشتهرت بالغزل والنسيج مثل مدينة زفتى، التي كان التجار يفدون اليها حاملين اليها الحرير ليتم غزله أو يباع لسكان القرى في تلك المدينة، وكانت النساء اليهوديات في مدينة زفتى التي اشتهرت بزراعة الكتان في نواحيها، ينسجن نوع خاص من القماش يطلق عليه اسم (شغل الريف)، وكان هذا النسيج يرسل مع المنسوجات الاخرى التي تنتجها المدينة لتباع في القاهرة، وقد اشتغل اليهود في نسج الكتان والحرير في مدن عديدة منها المحلة الكبيرة وقليوب، بنها، وشطنوف من المدن وقد بلغ يهود هذه المدينة ما بين(٣٠٠- ٥٠٠) شخص يهودي (قاسم، ٢٠٠٣، ص٤١-٩٧) .

٥- **القابلة:** وهي من المهن التي اقتصرت على النساء، وبالتحديد من لديها خبرة منهن في هذا المجال، فكل امرأة تحتاج الى مساعدة اثناء عملية الولادة، كما تحتاج الى توجيهات للعناية بنفسها وبطفلها، وخصوصاً الأمهات حديثات العهد بالأمومة، وكن يحصلن عليها من قبل النساء ذوات الخبرة من عائلتها، أو من قبل القابلات المحترفات لهذه المهنة في المجتمع، وقد ادرجت اسماء العديد من النساء اليهوديات في سجلات الجنيزا لنساء يهوديات زاولن هذه المهنة (Goitein, 1967, p127)، ولا نعرف اذا كان عملهن هذا اقتصر على النساء اليهوديات فقط، أو كان على خدماتهن طلب من باقي فئات المجتمع اعتماداً على مدى ما تمتعن به من خبرة في هذا المجال.

٦- **الماشطة(المزينة):** من المهن التي ترتبط بالشؤون النسائية الخاصة في المجتمع المصري مهنة الماشطة(Krakowski, 2012, p54) ، وقد مارستها النساء اليهوديات مثل غيرهن من النساء المصريات المسلمات والمسيحيات(قاسم، ٢٠٠٣، ص١٠٢). فقد كانت عادات الزفاف في ذلك الزمان، كما هو اليوم، وهي تتشابه مع عادات المسلمين، فقد كان حفل الزفاف اليهودي او المسلم يمتد لعدة ايام احياناً(Goitein, 1967, p161).

يوم الزفاف من أهم الايام في حياة المرأة والتي يجب ان تظهر فيه بكامل زينتها واناقتها، فهي الشخص الاهم في هذه المناسبة، وهناك مثل يهودي يقول: "طالما أن العروس قد أكلت وشبعت، لا يهم ان بقي كل من في الحفل جائعًا" (Goitein, 1967, p128)،

وتقع مهمة تزيين المرأة اليهودية وإعدادها للزفاف على الماشطة، التي كان يتم اختيارها من قبل العروس، ويمكن ادراج مهنة اخرى ضمن التزيين، وهي مهنة ازله الشعر من اجساد النساء كانت تقوم بها نساء مختصات في المجتمع اليهودي المصري، وكانت المشاطة مسؤولة عن تنسيق ملابس العروس وترتيب حفل الزفاف، وفي بعض الاحيان كانت توظف ماشطة مسلمة في اعراس اليهود (Goitein, 1967, p128)

٧- المرضعة:

نادرًا ما يتم ذكر المرضعات في سجلات جنيزا، الى ان هذه المهنة موجوده في المجتمع المصري، وقد ورد ذكرها في احدى الوثائق التي احتوت على طلب الافتاء حول أسرة مسلمة وظفت مرضعة يهودية وكانت هذه المرضعة تجلس مع العائلة المسلمة وتتناول الطعام معهم، إلا ان الطعام الذي كانت المرضعة تأكله كان يُعد وفق الشرائع اليهودية، فهل جلوسها مع الأسرة المسلمة فيه أثم عليها أو هناك ما يمنع ذلك وفق الشريعة، وهناك حالة مماثلة من القرن (٧هـ/١٣م) تتحدث عن حالة امرأة يهودية ارضعت صبياً مسلماً وتوفيت وتركت طفلاً لها مع الطفل المسلم الذي ترضعه، وكان من المستحيل تحديد أيهما الصبي اليهودي ووتميزه عن الصبي المسلم "(Goitein, 1967, p127)

٨- **المعلمة:** التعليم من المهن المهمة في المجتمع، وحسب عقيدة اليهود هوذا (الله سبحانه وتعالى) المعلم الأول فجاء في التوراة "هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ. مَنْ مِثْلُهُ مُعَلِّمًا؟"(التوراة، سفر ايوب،٣٦: ٢٢)، ولم تفرق الديانات السماوية بين رجل وامرأة في التعليم والعمل، فكلاهما يجب ان يعبدا الله ويمارسا طقوسهم الدينية، كما فرض على الانسان العمل وتعمير الارض منذ نزول سيدنا آدم(عليه السلام) اليها، "فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا." (التوراة، سفر التكوين،٣: ٢٣) ، وهذا لا يتم الا بالتعلم.

ونجد في الجنيزا وثائق تتحدث عن المعلمات، وجاء لفظ (معلمة) فيها، وكن هؤلاء المعلمات يقمن بتعليم الفتيات اليهوديات الأمور المهمة في التوراة، فضلاً عن تعليمهن فن التطريز وأعمال الابرة. (Goitein, 1967, p134)

كانت الفتيات اليهوديات في مصر، يسمح لهن اخذ قسط من الثقافة والتعليم، وخصوصاً في المجال الديني، وكانت العوائل اليهودية تتعاقد مع معلمين ليتم تعليم الفتيات،

وكان التعليم يبدأ بالصلوات وبعض التفسيرات للتوراة باللغة العربية. (لطف، ٢٠١٩، ص٩٩)

تشير اوراق الجنيزا الى ان النساء والفتيات غير المتزوجات، كن يحضرن الى الكنيس بانتظام، وكانت لهن حجرة منفصلة عن الرجال، وكان هناك غرفة درس خاصة بالفتيات، ويؤكد ذلك استفسار جاء لموسى بن ميمون، عن كيفية التعامل مع حالة معلم كفيف يعلم الفتيات وقد رفضن الدراسة مع غيره، كما ذكرت اسماء نساء معلمات في قوائم اجور المعلمين، كما ورد ذكر شخصان زاولوا مهنة التعليم، كان يطلق عليهما (ابن المعلمة)، وكانت ولادتهما تعمل في كتاب احد الاقارب في دمياط، وكان من ضمن الدارسين ابنيها واخوها.(Goitein, 1967, p185)

ان السيدات اليهوديات المتعلمات لم يشكلن الا نسبة ضئيلة من المجتمع كما يتضح من وثائق الجنيزا، وكانت الطبقات الاجتماعية العليا تولي تعليم الفتيات اهتماماً اكبر من الطبقات الاقل، ولم يكن يسمح للفتيات ان ينلن التعليم المتوسط او العالي بل كان تعليمهن يقتصر على التعليم الاولي او الابتدائي، وكانت هناك فصول خاصة لتعليم الفتيات، وكانت الجماعة اليهودية تنفق على تعليمهن(كوهن، ١٩٨٧، ص٥٦)

تذكر احدى مراسلات الجنيزا والتي فيها يصف معلم مشاكل وقعت من صبي مشاكس، يتحدث فيها عن شقيقة الصبي التي كانت تحضر معه الى المدرسة، وهذا يدل اماكن الدرس كانت مشتركة للفتيان والفتيات في مرحلة عمرية مبكرة، وكان للفتيات اليتيمات حظ من التعليم، إذ نجد ذلك في احدى المراسلات ان الناجد قد وصلته رسالة من امرأة عهد اليها بالإشراف على الفتيات اليتيمات، وقد اقترحت تلك المرأة ان يوكل كل فتاتين لامرأة تقوم بتعليمهن المهارات النسائية، وقد طلبت ان يأتي المعلم الى المنزل ليعلمهن الصلوات حتى لا ينشأن كحيوانات برية، وهذا لا يمنع وجود فتيات اميات لم يكن باستطاعتهن القراءة والكتابة، وكن يستعن بالأقارب او المعارف اذا أردن أن يرسلن رسالة أو لمعرفة ما في الرسائل التي ترسل اليهن.(لطف، ٢٠١٩، ص١٠٠).

يتضح من وصف الفتاة غير المتعلمة بأنها(حيوان بري)، اهمية التعليم للفتاة اليهودية في العصور الوسطى في مصر، وان كان تعليم بسيط لتعاليم التوراة او تعليم حرفي يؤهل المرأة لكسب المال لمتطلبات معيشتها.

ونجد ان علماء التلمود قد شددوا على عدم الاستعانة بالمعلمات سواء كن متزوجات او لا، خوفاً من وقع الفاحشة بين المعلمات واباء الدارسين، كما شددوا على عدم الاستعانة بالمعلم غير المتزوج للتعليم، خوفاً من نشوء علاقة بينه وبين امهات الاولاد، حين يقمن بجلب اولادهن الى المدرسة، وبكل الاحوال فقد وجدت في ذلك الوقت معلمات كن يعلمن الصبيان، ولكن عددهن اقل من الرجال(قاسم، ٢٠٠٣، ص٨٢)

وقد تضطر بعض النساء بسبب الظروف إلى تطوير مهارات متخصصة في وقت لاحق من الحياة، بدأت معلمة رُوِيت قصة حياتها بتفاصيل غير عادية في استعلامين أرسلوا إلى موسى بن ميمون حياتها المهنية المتواضعة بدافع الضرورة الاقتصادية عندما كانت في الخامسة والعشرين من عمرها، لم تكتسب معرفتها بالكتاب المقدس إلا بعد زواجها المبكر، جزئيًا من زوجها ، وجزئيًا بمفردها ، بعد أن تخلى عنها لعدد من السنوات في أواخر سن المراهقة (Krakowski, 2012, p57).

٩- **المنجمة وقارئة الطالع:** كان التنجيم وقراءة الطالع من المهن العادية في العصور الوسطى، وكانت النساء اليهوديات قد زاولن هذه المهنة، وقد تنبأن بمستقبل عملائهن، وقد احترفت النساء كبيرات السن اليهوديات قراءة الكف والطالع، وكان هذا شائع في تلك الفترة عندما يعترض الفرد مشكلة في حياته، او قبل مضي الشخص للقيام بعمل ليضمن نجاحه او عندما يقرر المرء الذهاب رحلة لضمان امانها من المخاطر(Goitein, 1967, p128).

ويبدو أن النساء اليهوديات كن يؤمن بالطالع وأن هذه الظاهرة كانت من بين الأمور المعتمدة في ترتيب امورهن الحياتية، ففي خطاب لمرأة مصرية يهودية كانت تعيش في احد مناطق الامبراطورية البيزنطية ارادت العودة الى وطنها، خطاب ارسلته الى ذويها جاء فيه: نظرت في لفيفة التوراة، واظهرت لي ان حظي سيئاً وانني لن احظى برحلة امنه، لذلك لم اكن مع حاملي هذه الرسالة في رحلتهم اليكم ومن اشهر الطرق كانت البحث في كتاب التوراة واحياناً كان الانسان يقوم بقراءة طالعه بنفسه، ومن اشهر الطرق التي كانت تتبع

لمعرفة الطالع، البحث في كتاب التوراة واحياناً كان الانسان يقوم بقراءة طالعه بنفسه. (Goitein, 1967, p346)

References

*Torah
*The Quran
1. Abd al-Hakam, Abd al-Rahman bin Abd Allah (d. 257 AH/871), Conquests of Egypt and Morocco, Library of Religious Culture, Cairo, 1415 AH, p. 279.
2. Foreign references:
3. Goitein, A Mediterranean Society, The Jewish Communities of the world as portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Economic Foundations, University of California press, 1967.
4. Hassan, Muhammad Khalifa and Al-Nabawi Jabr Siraj, The Geniza and the Jewish Synagogues in Egypt, Center for Religious and Historical Studies, Cairo, 1999, p. 12.
5. Krakowski, Eve, Female Adolescence in the Cairo Geniza documents, Chicago, Illinois, 2012..
6. Lotf, Omar Mustafa, The Educational Life of Egyptian Jews in the Islamic Era, Egyptian General Book Authority, Cairo, 2019 AD.
7. Qandil, Abdel Razzaq Ahmed, Inheritance in Judaism and Islam, a Comparative Study, Center for Oriental Studies, Cairo, 2008, p. 71.
8. Qandil, Ahmed Razzaq, The Islamic Impact on Jewish Religious Thought, Dar Al-Turath, Cairo, 1984 AD.
9. Qasim, Qasim Abduh, The People of Dhimmah in Egypt from the Islamic Conquest until the End of the Mamluks, Ain for Human and Social Studies and Research, Cairo, 2003 AD.
10. Steinsaltz, Adin, Introduction to the Talmud, translated by: Venita Bochevia Al-Sheikh, Dar Al-Farqad for Printing and Publishing, Damascus, 2006 AD.
11. Stillman, Yedida Kalfon, Femal Atiter of Medieval Egypt: According to The Trousseau Lists And Cognate Material From The Cairo Geniza, University of Pennsylvania, 1972.

Magazines:

12. Ali, Jassim Sakban, Bourgeois Hegemony under Fatimid Rule, Journal of the College of Education for Girls, Volume 27, 2016 AD.

13. Lewis, Balqis Idan, Women according to Al-Sakhawi in his book "The Bright Light of the People of the Ninth Century," a study in social life, Journal of the College of Education for Girls, Volume 25, 2014 AD.

حرية الرأي في العصر النبوي

م.د. علي جاسم حسين

وزارة التربية / الرصافة الثانية

حرية الرأي في العصر النبوي

م.د. علي جاسم حسين

ملخص

كفل الشارع الحكيم حرية الأفراد العقدية والسياسية والمدنية، وكفل لهم حرية الرأي والتعبير، التي تعد من أهم قضاء الفكر الإنساني ومن أهم عوامل البناء الحضاري ، وباستعمال هذه الحرية بشكل صحيح تتم الإفادة من الآراء والخبرات في مسيرة بناء وضوابط وشروط تضمن لكل فرد او مجتمع ، ويمنع التسلط والاستبداد والفساد الذي يعيق ذلك. والإسلام وضع لذلك حدودا حقه في التعبير عن رأيه من غير اعتداء على الآخرين، وهذا البحث لبيان هذه المسألة من منظور السنة النبوية ،وذلك من خلال التعريف بحرية الرأي ومعناها، وتفصيل الضوابط والقيود التي يجب مراعاتها لمن يريد النقد أو إبداء الرأي، المتمثلة في خلوه من التعصب والتقليد، وعدم معارضته للنصوص الشرعية أو مخالفته للآداب العامة، وإيراد النماذج التطبيقية على حرية الرأي في عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم واصحابه ومواقفهم السياسية والاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: سنة ، حرية ، رأي، فكر ، منهج .

Freedom of opinion in the Prophet's era

Assistant Dr. Ali Jassim Hussein
Ministry of Education / Rusafa II

Abstract

The Wise Legislator guaranteed the religious, political and civil freedom of individuals, and guaranteed to them freedom of opinion and expression, which is considered one of the most important foundations of human thought and one of the most important factors in building civilization. By using this freedom correctly, opinions and experiences can be benefited from in the process of construction, controls and conditions that guarantee every individual or society, and prevent Tyranny, tyranny and corruption hinder this. Islam has therefore set limits on his right to express his opinion without

attacking others, and this research is to clarify this issue from the perspective of the Prophet's Sunnah, by defining freedom of opinion and its meaning, and detailing the controls and restrictions that must be observed for those who want to criticize or express an opinion, represented by its freedom from freedom of opinion and its meaning. Fanaticism and imitation, and not opposing the legal texts or violating public morals, and presenting applied examples of freedom of opinion during the era of the Prophet, may God bless him and his family and grant them peace, and his companions, and their political and social positions.

Keywords: Sunnah, freedom, opinion, thought, method.

المقدمة :

إن في الحفاظ على حرية الإنسان في فكره وتعبيره ، صونا لأدميته المكرمة من الله تعالى ، ودعماً لكيانه المستقل والمتميز عن غيره، وتنمية لشخصيته لتكون قوية متماسكة، وتعزيزاً لاعتداده بذاته وثقته بنفسه . وراحة وسعادة له في حياته، وإعطاء هذه الحياة معاني الكرامة وأسباب الهناء ، مما يجعله إنساناً مسالماً يحب نفسه ويحب الناس ويحترمهم ، ويحترم آراءهم، فيسود السلم والتسامح والمحبة بين أفراد المجتمع . وإن من أهم أسباب انتشار العنف والتطرف والإرهاب بين أفراد المجتمع هو مصادرة الرأي ، والحجر على أفكار الناس وآرائهم ، وعدم احترام حرية الرأي والتعبير عما يجول في خواطرهم ، ولقد نبه الى ذلك نبينا وحبيبنا محمد ، فضمن للناس حرية الرأي والتعبير عن أفكارهم، ولم يصادر رأي أي أحد منهم . والمتمعن في منهج النبي وسنته في التعامل مع الناس ، يجد العديد من المواقف والشواهد والأدلة على ذلك ، والتي أدت الى سيادة الأمن والسلم الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم في ذلك الوقت .

وبسبب ما لحرية الرأي والتعبير من دور في تحقيق السلم الاجتماعي من خلال نشر المحبة والتسامح والاحترام بين الناس ، والذي أسس أركانها وبنى دعائمها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديث كثيرة في السنة النبوية أحببت أن اتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة ، فكان عنوان بحثي: حرية الرأي في العصر النبوي ، وتتكون من ثلاث مباحث

المبحث الاول جاء بعنوان مفهوم حرية الرأي في القران الكريم والشريعة الاسلامية ، اما المبحث الثاني فجاء بعنوان حرية الرأي العسكري في العصر النبوي ، اما المبحث الثالث فجاء بعنوان حرية الرأي السياسي في العصر النبوي .

المبحث الأول / حرية الرأي في القران والشريعة الاسلامية

مفهوم حرية الرأي : يشتمل مدلول حرية الرأي على معنيين رئيسين هما :

المعنى الأول : حرية الإنسان في طرق النظر العقلي وأساليبه دون أن تفرض عليه من الآخرين معطيات ، وأدوات من شأنها أن تؤدي به إلى الخطأ فيسلك أساليب وطرق النظر العقلي دون قيد أو مؤثر.

المعنى الثاني : حرية الإنسان في الإعلان عن الرأي الذي توصل إليه بالنظر ، والبحث فيقتنع به ، ويشيعه بين الناس ويدافع عنه دون قيد أو مؤثر ؛ لأن حرية التعبير عن الرأي هي الثمرة المنطقية التي ينتجها الفكر السليم كما أن حرية التفكير لا تعني شيئاً ما لم يصاحبها حرية التعبير.

وتعني حرية رأي أيضاً : أن يكون الإنسان حراً في تكوين رأيه فلا يكون تبعاً لغيره ، وأن يكون حراً في إبداء هذا الرأي وإعلانه بالطريقة التي يراها. (العلي ،١٩٨٣ ، ص٤٦٥)

ازدادت مهمة الأمة العربية وتعقدت ممهماتها كثيراً بعد إن كلفت بحمل الرسالة الإسلامية السمحة لهداية الناس إلى طريق النور والخير والاستقامة بطول هاماتهم قوله جل شأنه وهو يخاطبهم بقوله ((كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)). (ال عمران ، الاية ١٠٦)

وقد كانت بلغةٍ واضحة وصريحة جاءت في احكام جديدة تهدف الى تغيير واقع الحياة تغيراً جذرياً وهذه المهمة، تتطلب رجالاً مؤمنين بقضيتهم ومبادئ دينهم وأمةً واعيةً تستطيع ان تستوعب ما في الرسالة وتستطيع ان تبشر بها الى الاخرين وتحملهم على الاقتناع بها، لأن أية رسالة بكل محتوياتها من احكام ومواد قانونية تظل مجرد احكام مسطرة على شكل حروف وكلمات موزعة هنا وهناك لا حياة فيها ولا أثر لها ما لم تتفاعل هذه الأحكام والمواد مع الانسان تفاعلاً عميقاً يكون العقل والوجدان ميداناً لها.

فكان القرآن الكريم وما زال دستور هذه الرسالة أوحاه عز وجل الى نبي الأمة محمد (ﷺ) الذي اصطفاه رسولاً، فكان القرآن عند من آمن به مصدراً للعقيدة الدينية وأصول أحكامها وشرائعها، وكانت مبادئ هذا الدين ومنذ البدء مبدأ للتفكير وللتبشير بمبادئ الدين الحنيف التي حمل لواءها الرسول الكريم (ﷺ) معتمداً فيها على روح الإقناع والاختيار وعلى اليقين بالرسالة وعلى وعيٍ بها. لذلك كانت مواقفه ومن معه منسجمة ومتطابقة لقوله تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)). (النحل، آية ١٢٥)

التي عبر عنها ابن خلدون في مقدمته بقوله (خلدون ا.، ١٩٨٨): ((مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها، وكانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة)). (ابن خلدون ، ١٩٨٨، صفحة ١٩٠)

المبحث الثاني /حرية الرأي العسكري في العصر النبوي

قال تعالى: ((والذين، استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)) (الشورى، الاية ٣٨). كان ذلك قبل قيام الدولة العربية الاسلامية في المدينة المنورة وقبل نزول الآية الثانية التي تنص على الشورى ايضاً: ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)) (عمران، الاية ١٥٩)

فقد اكد اصحاب التفاسير القرآنية ومعاجم اللغة العربية ان الشورى ليست مشورة، فان للشورى جذوراً تأريخية في مكة او في المدينة، وان اهل المدينة قد تجمعوا بالنقباء الذين ارسلهم النبي (ﷺ)، وخرجوا بنتيجة التزموا بها جميعاً وهي الايمان بالدعوة الاسلامية (وأمرهم شورى بينهم). أي يتشاورون في الامور. وليس هذا فحسب بل لا بد من الانقياد الى الرأي الذي خرجوا به ((... فكانت الانصار قبل قدوم النبي (ﷺ) اذا ارادوا امراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه ... أي انهم لانقيادهم الى الرأي في امورهم متفقون لا يختلفون)). (القرطبي، ١٩٥٨، الصفحات ٣٦-٣٧)

وفي الآية الثانية (وشاورهم في الامر) تاكيد على حكم الآية الاولى، وايعاز الى النبي (ﷺ)، انه ((... اذا صاروا في هذه الدرجة صاروا اهلاً للاستشارة في الأمور)). (القرطبي، ١٩٥٨، صفحة ٢٤٩)

ويبين القرطبي وجوب الشورى على اولي الامر: (والشورى هي من قواعد الشريعة وعزام الاحكام، من لا يستشرْ اهل العلم والدين فعزله واجب).وقوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله). يعني الامر للرسول(ﷺ) أن: (اذا عزم على امر ان يمضي فيه والعزم قصد الامضاء) فعلى الرسول (ﷺ) ان يعرض الامر ما لم يكن بشانه وحي على اصحابه وعندما يتم الاتفاق على رأي ما يجب الالتزام بتنفيذه، لذلك جاء تفسير الرسول الكريم (ﷺ) لكلمة العزم ((مشاورة الرأي ثم اتباعهم)). (ابن كثير ، ١٩٣٨، صفحة ٢٠)

ويذكر المفسرون ان العزم هو الامر المروى المنقح. (القرطبي، ١٩٥٨، صفحة ٢٥٢)

يقول ابو حيان ان المقصود بالآية هو ((فاذا عقدت قليلاً على امر بعد الاستشارة فامض به، واعتمد على الله وثق به لا بقوتك)). (ابو حيان، ١٩٣٠، صفحة ٩٩)

على هذه تاتي اهمية المشاورة التي تفتح المجال لمقابلة الرأي بالرأي. وكان الرسول (ﷺ) القدوة الحسنة لهذا النهج السياسي من خلال السنة القولية والسنة العملية على حد سواء في تأكيد وتعزيز حرية الرأي عند الفرد والجماعة.

واهم ما حدث في حياته (ﷺ) واعتمد صور المشورة فيها الآتي:

الوقوف على رأي أصحابه واستشارتهم في معركة بدر في ثلاثة مواقف:

اولاً : قبل المعركة:

يروى عن انس بن مالكﷺ ان الرسول (ﷺ) لما سار الى بدر استشار المسلمين واشار عليه ابو بكر ﷺ ثم أشار عليه عمر بن الخطاب ﷺثم شاورهم فقالت الانصار: يا معشر الانصار اياكم يريد رسول الله)) قالوا: إذاً لا تقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون، والذي بعثك بالحق لو ضربت اكبارها الى برك الغماد لاتبعناك._(ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٤٤٧)_(الطبري، ١٩٦٠، صفحة ٤٣٥)

ثانياً : في إثناء المعركة:

وعلى ارض المعركة برزت صورة اخرى لتؤكد حرية الرأي، عندما تقدم الحباب بن المنذر لعرض مشورته ورأيه على الرسول (ﷺ) قال: يا رسول الله، ارأيت هذا المنزل، امنزلاً انزله لك الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه، ام هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراء القليب ثم نبني عليه حوضاً نملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله (ﷺ) لقد اشرت بالرأي. (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٤٥٢) (الطبري، ١٩٦٠، صفحة ٤٤٠) (ابن الاثير ، ١٩١٠، صفحة ٣٦٤)

ثالثاً: بعد المعركة:

فحين جئ بالاسرى، فقال (ﷺ) ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ ثم قال، إنهم اليوم عالة فلا يفلتن منهم احد الا بفداء او ضرب عنق. قال عبدالله بن مسعود: الا سهيل بن بيضاء فأني سمعته يذكر الاسلام، فسكت رسول الله (ﷺ). فما رأيتني في يوم اخوف ان تقع عليّ حجارة من السماء، مني، حتى قال رسول الله (ﷺ) الا سهيل بن بيضاء. (الطبري، ١٩٦٠، صفحة ٤٧٦) (ابن العربي ، ١٩٥٧، صفحة ٢٩٨) لقد قال عبدالله بن مسعود ما وجده في الاسلام .وفي سياسة الرسول (ﷺ) ما يتيح له الحق في ابداء الرأي والمشورة.

في معركة احد:

عندما علم الرسول (ﷺ) بقدوم قريش، اشار عليه جمع من الصحابة بلقائهم خارج المدينة، فيما كان رأيه (ﷺ) البقاء في المدينة لحصانتها ومنعتها وسهولة الاحاطة بالاعداء في ازقتها فكان رأي عبدالله بن ابي بن سلول مع رأي الرسول (ﷺ) ثم ما لبث ان قبل (ﷺ) الرأي الاول، وقرر الخروج من المدينة._(ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٣٥٤) (الطبري، ١٩٦٠، صفحة ٢٠٢)_(ابن كثير ، ١٩٣٨، صفحة ٢٢)

أما في معركة الخندق:

فقد عمل (ﷺ) بمشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي، واخذ برأيه في حفر الخندق في شمالي المدينة المنورة، والذي كان سبباً من الاسباب التي حققت النصر على الأعداء.

(ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٥٨٨)(اليعقوبي، ١٩٦٠، صفحة ٤٢)_(الطبري، ١٩٦٠، صفحة ٢٠٨)

المبحث الثالث /حرية الرأي السياسي في العصر النبوي

١-صلح الحديبية:

عندما اتى عيينة بن حصن الرسول (ﷺ) واخبره بالقول: ان قريشاً جمعوا لك جمعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك. فقال الرسول (ﷺ) أشيروا أيها الناس عليّ، اترون ان اميل الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون ان يصدّونا عن البيت فأن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين والا تركناهم محروبين. قال ابو بكر: يا رسول الله خرجت عامراً لهذا البيت لا تريد قتل ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدّنا عنه قاتلناه، فقال النبي (ﷺ) امضوا على اسم الله (البخاري، د.ت ، صفحة ١٦١) (البيهقي، ١٩٦٩، صفحة ١٠٩) (ابن كثير ، ١٩٣٨، صفحة ٤٢٠)

وكان (ﷺ) قد خرج في بضع عشرة مائة من اصحابه. فكان لموافقته (ﷺ) لرأي ابي بكر الصديق ﷺ دلالة واضحة على الحرية التي كان يمارسها الصحابة في حياته (ﷺ).

٢-في مصالحة الأحزاب:

لما اقبلت قريش ومن تبعها من اعراب كنانة وتهامة في عشرة الاف ونزلوا. في مجمع الأسيال من رومة على بعد ثلاثة اميال من المدينة. وبعد ان اشتد الخوف وعظم البلاء على المسلمين اذ ذاك، اقام الرسول (ﷺ) واقام المشركون عليه قريباً من شهر، لم يكن بينهم حرب الا المراماة بالنبل والحصار. فلما اشتد الامر على المسلمين وشكوا الى الرسول (ﷺ) حالتهم بعث الرسول (ﷺ) الى قائدي غطفان (عيينة بن حصن والحارث بن عوف) يفاوضهما في قبول ثلث غلة المدينة على ان يرجعا بمن معهما، فقبلا. وكتب نص المحالفة خلواً خلواً من اسماء الشهود، اذ لم يتم الصلح ولم يكن الا المراودة، وصرفهم عن قريش، ليفت في عضدهم ، فلما اراد الرسول (ﷺ) ان يفعل بعث الى سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله امر تحبه فنصنعه ام شيئاً امرك الله به لا بد لنا من العمل به، ام شيئاً تصنعه لنا؟ فاخبرهما بان هذه الفكرة عرضت له للخروج من هذا المأزق. وما اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا

لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان اكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا هم يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الأ قرى او بيعاً، افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال الرسول (ﷺ) فأنت وذاك، ثم اعطاهما الكتاب ليمحوا ما به ففعلا ثم قال: ليجهدوا علينا. (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٧٠٧) (الطبري، ١٩٦٠، صفحة ٥٧٢) (كثير، ١٩٧٧، صفحة ١٠٥)

ظهرت في هذه الحرب مقدرة الرسول (ﷺ) الحربية ومرونته السياسية، اذ نفذ مشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق الذي لم تعرفه العرب قبل ذلك، كما تجلت حنكته السياسية في مساومة غطفان لزحزحتها عن موقفها الى جانب قريش.[*] (اليعقوبي، ١٩٦٠، صفحة ٤١)

يضاف الى ذلك استشارته (ﷺ) السعدين (سعد بن عبادة وسعد بن معاذ) في امر المصالحة؟ اما كان غنيا" عن مشاورتهما؟ فهو الرسول يبلغ عن ربه ويوصى اليه من السماء وقال فيه تعالى: ((وما ينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى)). (النجم، الايات ٣-٤) ومع ذلك لم يستبد برأي، ولكنه كان يستشير اصحابه في كل ما يعرض له من، صور ليس فيها حكم من الله تعالى، ويعمل بمشورتهم، اذا ما عرفنا ان الله تعالى لم يخص في ذلك – أي النطق عن الهوى – امر الدين من امر الدنيا، فوجب ان يكون فيهما جميعاً. (الجصاص، ١٩٥٩، صفحة ٥٠)

لقد اراد (ﷺ) بذلك ان يعطي للرأي حرية واسعة، يمارسها الناس ويعتادها على اوسع نطاق وفي مجمل امور الدين والدنيا.

[*] لما فاوض الرسول (ﷺ)غطفان واطمعهم في ثلث غلة المدينة ثم عدل عن ذلك ورفضه، توهمت غطفان ان مركزه قد تحسن، وانه مقبل على حرب الاحزاب وجلائهم، ومما زاد هذا الوهم تحقق غطفان من عدول بني قريظة عن مناصرة الاحزاب وعزمها على تقديم سادات قريش وغطفان الى الرسول ليقتلهم.

وكان (ﷺ) حريصا" على مشاورتهم واعطائهم كامل الحرية ببيان الرأي الأصلح والأصوب وصولاً الى الرشاد ((لان تطابق الارواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله، وهذا هو السر في صلاة الجماعة خير من صلاة الفرد)). (ابن الجوزي، د.ت، صفحة ٤٢)

فان تبادل الرأي والمشاورة في طلب الحق يصب في باب المجاهدة في الله، قال تعالى: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)). (العنكبوت، الاية ٦٩) ولعل عناية الرسول(ﷺ) بحرية الرأي والمشاورة ان يجعلها واجبة بين الناس، وعدها رحمة لامته.

لقد كانت سياسة الرسول الكريم محمد (ﷺ) سياسة حكيمة ورشيدة مكملة لما رسمه القرآن المجيد ومتممة له، فصبر على أذى المشركين واحتمل جفوتهم، وصفح عنهم وقبل معذرتهم قابل للقطيعة بالوصل والمنع بالعطاء، يزور الضعيف، ويعود المريض فآتت هذه السياسة وتشريعاته واخلاقه السامية الكريمة ثمرتها فانقادوا إليه واجتمعوا عليه، اثروه على انفسهم واولادهم، فأيقظ شعورهم الذهني والفكري، حتى عرفه من لم يكن قد عرفه من قبل، واستجاب له حتى من كان متحاملاً عليه، ودخل الناس في دين الله افواجاً. كان ذا نظر ثاقب، ورأي صائب، لم نرَ إلا ما كان منه حينما استقر به المقام في المدينة حتى:

١- آخى بين المهاجرين والأنصار إخاء كان له أطيب الثمار حتى انهم كانوا يتوارثون به إرثاً مقدماً على ارث القرابة.

٢- براعة سياسته الحكيمة التي تجلت في العهد الذي عقده بين سكان المدينة من مسلمين ويهود ومشركين والذي وادعهم فيه، واقرهم على دينهم شجار واموالهم على أن تكون بينهما المناصرة على من يُدْهِم المدينة وان لا يكون بين طرفي اهل هذه الصحيفة من حدث أو يخاف فساده فمرده الى الله والى محمد رسول الله (ﷺ) [*] (ابن هشام ، ١٩٨٨، الصفحات ١٦-١٧)

[*] وهو أول معاهدة للتعاون وعدم الاعتداء بين المسلمين واليهود والمشركين.

٣-تفكيره ورأيه الصائب حينما عقد صلح الحديبية، حين قبل شروط قريش حتى ظن عمر ﷺ وبعض الصحابة أنه إجحاف بالمسلمين، ولكن لم يمض وقت طويل حتى كان هو الفتح المبين.

والذي ينظر لحال الأمة بعد الدعوة الإسلامية يدرك سياسته (ﷺ) منذ أن أبتدأ دعوته في مكة عندما خاطب أهلها ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم)). (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٣٠٦)

فهي محاولة لنقل المجتمع الى حال أفضل وأكثر اتساعاً تناسب طبيعة الانسان الجديد، والمجتمع الذي ينشده (ﷺ) إذ قضى (ﷺ) مرحلة بعث الرسالة السماوية مدة ثلاثة عشر عاماً، قبل هجرته إلى يثرب، (كثير، ١٩٨٧، صفحة ٦) التي بدأت فيها محاولته بناء الدولة الجديدة مع من آمنوا بدعوته في مكة من المهاجرين والأنصار في يثرب، التي كانت نخضع للنظام القبلي التي لم تكن فيها سلطة سياسية تحكمها وتدير شؤونها وتقيم الأمن فيها، فقد كان التفكك والصراع القبلي يسودها. على خلاف ما كانت عليه بمكة التي ضمت بعض التنظيمات الاجتماعية التي ترعى حقوق الأفراد وتنظم مصالحهم لانها بيئة تجارية. (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٣٨) (مطلوب، ١٩٨٨، صفحة ٣١)

وبهجرة الرسول (ﷺ)إلى المدينة تكاملت عناصر نشوء الدولة العربية الإسلامية عندما وجد الحافز النفسي لدى كثير من أهلها بحثاً عن الأفضل وسعياً لتحقيق الوعي الاجتماعي والسياسي الأمثل ولم يكتف (ﷺ) منذ قدم المدينة بتبليغ الوحي الذي ينزل عليه خاصاً بالأمور التشريعية العامة بل رأى أن يهتم بالوسائل التي ينظم بها الحياة في المدينة وهي الغاية التي يلتقي عليها الناس، يكون أساساً لتحقيق الوحدة بين أهاليها فكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار بعد إ ن فطن الرسول (ﷺ) بأنهم كانوا بحاجة إلى نظام يجمع شملهم ويحدد علاقتهم بعضهم ببعض وضمنه أيضاً المبادئ التي يجب عليهم إتباعها في السلم والحرب.

يقول المسعودي: ((وقد مثل الإسلام والعمل على نشره او مواجهة أعدائه الغاية المشتركة التي يلتقي عليها الأفراد ويتميزون من بقية المجتمعات)) ، (المسعودي، ١٩٨٩، صفحة ٢٩٧) (ابن خلدون ، ١٩٨٨، صفحة ٢٨٣)الأمر الذي كان له الأثر في

توثيق عرى وحدة المسلمين في المدينة وإبدال الوحدة الدينية محل الوحدة القبلية، (السهيلي، ١٩٧٢، صفحة ٢٥٢) (ابن الجوزي، ١٩٦٠، صفحة ١٠٧)فكان ذلك مثالاً لا نظير له في تاريخ الإنسانية آنذاك.

وتعد وثيقة المدينة التي وضعها الرسول (ﷺ) الدستور الأول للدولة العربية الإسلامية، (الاثير، ١٩٦٥، صفحة ٣٠٤) كرست أول مبادئ الحكم وجعلت الحكومة لله ولرسوله، يقول ابن هشام في ذلك ((أنه مهما اختلفتم فيه من شئ، فأن مرده إلى الله والى محمد)) (حميد، ١٩٦٦، صفحة ٢٠)

وكذلك قال: ((وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فأن مرده إلى الله عز وجل والى محمد رسول الله)) (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٢٤١) أنها الركيزة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي الجديد، أنها دستور لتنظيم الحياة في هذا المجتمع الجديد اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وكفل له من خلال إقرار نظام الدولة والقانون والتمتع بحقوق المواطنة وحرية الاديان. (العلي ، ١٩٦٩، صفحة ٢٨)

وجعل الرسول الكريم (ﷺ) المؤمنين في صف والاثم والمعتدي والظالم والمفسد في صف آخر، وان أيديهم عليه جميعاً ليشيع روح العدل واحقاق الحق مستمداً ذلك من روح الشريعة الإسلامية قال تعالى: ((وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)) (الانعام، الاية ١٥٢)وقوله تعالى: ((وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) (النساء، الاية ٥٨) وعند قراءة نصوص الوثيقة نجد أنها تذهب إلى رسم تحديد وسائل وملامح تطبيق القانون وإجراءاته التنفيذية التي تكفل سيادته لبناء المجتمع على أسس العدل والحرية.

جاء فيها ((وأن المؤمنين المتقين على من بغى أو ابتغى وسعيه ظلم، أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم)). (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٢٤١)

ومن نصوص الوثيقة: ((وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينةٍ، فأنه قود به إلا أن يرضي ولي المقتول وان المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وأمن بالله واليوم أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وانه من نصره أو أواه فأن لعنة الله عليه وغضبه يوم القيامة)). (ابن هشام ، ١٩٨٨، الصفحات

٢٤١-٢٤٢) وذلك لأهتمام الإسلام كثيراً بمسألة العهد والميثاق قال تعالى: ((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً)). (النمل، الاية ٩١)

وقال تعالى ((إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم أن الله يحب المتقين)). (التوبة، الاية ٤)

وكما عززت الصحيفة المبدأ الذي جاء به الإسلام بإقرار حرية الأديان السماوية ((لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم)). (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٢٤٢)

فأن الإسلام ساوى بين الناس على اختلاف اجناسهم بين الأبيض والأسود الريف والمدينة الحاكم والمحكوم الرجل والمرأة اليهود والنصارى المسلمين ما داموا في سلم معهم. فقد جعل (ﷺ) من الوثيقة دستوراً سياسياً ونظاماً ادارياً تعهد فيه بحفظ حقوق الإنسان وكفل فيه أمنه وحريته ويظهر ذلك من قوله (ﷺ): في خطبة الوداع: ((يا أيها الناس أنما المؤمنون أخوة أن ربكم واحد كلكم لأدم وآدم من تراب أن اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى)) (ابن حنبل، ١٩٤٩، صفحة ٤١١)

لقد جعل مبدأ المساواة بين الناس اساساً وقاعدة يسند اليها حفظ الحريات، والحقوق متساوون فيها. لقد اراد (ﷺ) أن تكون الشورى سنة لخلفائه من بعده يشير الى ذلك الحسن البصري ((أنه كان عن مشاورتهم لغنياً لكنه أراد ليسنن بذلك للحكام من بعده)). (ابن ماجه، ١٩٥٣، صفحة ١٠٩)

فتأكيد نظام الشورى دعم لحب النفس العربية التي فطرها الله على حب الحرية ورفض الظلم. ولعل من أروع صور التعبير في هذا الخصوص روح التسامح والخلق الرفيع التي جسدها الرسول (ﷺ) وأراد منها ترويض النفوس على معنى الحرية والتصرف بها كحقيقة ففي يوم دخوله (ﷺ) مكة. بعد أن كتب الله عز وجل له النصر المؤزر وقف على باب الكعبة مخاطباً قريش بقوله: ((يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وأبن أخ كريم. قال: أذهبوا فأنتم الطلقاء)). (ابن هشام ، ١٩٨٨، صفحة ٤١) (الاثير، ١٩٦٥، صفحة ٢٥٢)

على هذه الأسس بنى الرسول الكريم (ﷺ) وحدة الدولة العربية الإسلامية فكان لها الأثر في مجريات الأحداث التي أرسى أسسها وطبعها بطابع روح التسامح بدلاً من طابع روح التعصب القبلية فزالت معها كل الفوارق الطبقية والاجتماعية واصبح المسلمون في الدين أخواناً من دولة واحدة تعلوها كلمة لا أله إلا الله. وتظلها راية الإسلام.

يقول ابن حزم: ((وكانت العرب بلا خلاف قوماً لقاحاً لا يملكهم أحد، يتوارثون الملك كابراً عن كابر فانقادوا كلهم لظهور الحق وأمنوا برسول الله وهم آلاف آلاف وصاروا أخوة كبني أب وأم، وأنحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم الى رسْله[*] (الرازي، ١٩٨١، صفحة ٢٤٢) طوعاً بلا خوف غزو ولا اعطاء مال ولا بطمع عز، بل كلهم أقوى جيشاً من جيشه، وأكثر مالاً وسلاحاً منه وأوسع بلداً من بلده. وهكذا كان إسلام جميع العرب... لما ثبت عندهم من آياته وبهرهم به من معجزاته)) (الشهرستاني، د.ت، صفحة ٤٠)

وقال ويلز: ((كان الإسلام في أول أمره خالياً من التعقيدات اللاهوتية التي طالما تعقدت بها النصرانية ... وليس للإسلام كهنة بل له علماء ومعلمون ووعاظ. وهو حافل بروح الرأفة والسخاء والإخاء، كما أنه ينطوي على عاطفة النجدة التي تنبت في الصحراء ولهذا جاز الى قلوب عامة الناس دون أن يجد ما يصده في غرائزهم)) ، فكان لهذه السياسة الرشيدة التي اتبعها الرسول (ﷺ) وما عرف عنه من الصفات والسجايا والخلق الرفيع أثرها في تهيئة المناخ الرحب والمناسب ليمارس المسلمون من خلاله حريتهم في شتى مجالات الحياة إذ يصفه (ﷺ) بقوله: ((أمتاز بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التأريخ مُصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في. من قصير كما فعل محمد)) (حسن، ١٩٦٤، صفحة ٢٠٢)

لذلك كان التفاف الناس حوله (ﷺ) عظيماً حتى قال فيه عروة بن سعد بعد عودته من سفارته لقريش يوم الحديبية: ((يا معشر قريش أني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وأني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في اصحابه لا

[*] رسْله: اللبن.

يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه وأنهم لن يسلموه لشئ أبداً فرأوا رأيكم)) (الناس، ١٩٧٤، صفحة ١٥٣)

وبعد أن أتم (ﷺ) أساس بناء وقيام الدولة العربية الإسلامية الجديدة في المدينة بعد أن شرع لها الأنظمة والقوانين والأحكام التي تكفل بقاءها ونموها وتطورها إذ جاءت شهادة المولى عز وجل لذلك بقوله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)) (المائدة، الاية ٣٠)

وهكذا كان (ﷺ) يستشير أصحابه، ويعمل بمشورتهم في كل ما ليس فيه وحي من السماء، وظل كذلك الى أن لحق بالرفيق الأعلى.

وقد تولى من بعده خيار الصحابة ﷺ. فحملوا أمانة مسؤولية الحكم والخلافة إذ أن سنة الله في خلقه أن كل جماعة مهما قل عددها لا بد لها من رئيس يدير أمرها، ويدير شؤونها ويكون به قوامها وإلا لا يقر لها قرار ولا يستقيم لها حال يدلهم نحو الخير ويبعدهم عن الشر وأليه المرجع في كل ما يحدث وهو أمام المسلمين وهو الذي يحكم بينهم بما انزل الله، والبناء على قواعد تلك الشريعة، والسير بها نحو تحقيق الأهداف التي وجدت من أجلها وعلى رأسها تطبيق شرع الله وتبليغ الدعوة وحملها الى الناس كافة. (الناهي ، ١٩٦٨، صفحة ٣٤٠)

أنها مهمة في غاية الصعوبة، أنه كان يعلم ذلك (ﷺ) تمام العلم وعظم هذه المسؤولية التي سيخلفها لأصحابه لذلك أعد رجالاً رباهم على سريرته وسقاهم بهدى الأيمان ونور النبوة فاقتبسوا كل شئ منه وساروا على نهجه وترسموا خطاه، أذ لم يكن للمسلمين بد منها حتى لا يفشلوا وتذهب ريحهم، وتدول دولتهم.

ونجحوا في ذلك وأكملوا الطريق الذي اختطه لهم (ﷺ) ((فاتسعت الدولة وعظم عمرانها، وأزداد عددها، واختلفت عاداتها واعرافها واستجدت فيها أمور واحداث لم تكن من قبل، فأحتاج الأمر الى نظم تساير هذا التوسع والتطور تكفل الثبات والاستقرار والإزدهار والقوة والحياة، والتقدم والرفاهية، مما يجعلها من ارقى واقوى دول العالم في تلك العصور)) (شلبي، ١٩٦٤) وفي الوقت نفسه فأن الحياة لا تخلو من كدر، وحركة الزمان لا بد أن تكون بين مد وجزر منذ أن وجدت الخليقة على الأرض.

وستبقى الى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، فلا بد للخلفاء أن يأخذوا نصيبهم ويخوضوا هذا الصراع لينصروا الضعيف على القوي والحق على الباطل.

والحفاظ على دينهم ودنياهم متمثلة في قوله تعالى: ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) (الانفال، الاية ٤٦٠)

فكان الحوار والتشاور بين أبناء الأمة من أقوى ركائز حرية الرأي وديمقراطية التعبير، التي قوت دعائم النهضة في الدولة الإسلامية بعد أن تحمل الخلفاء الراشدون ﷺ عبأ المسؤولية.

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث، وبعد أن بذلت جهدي في كتابته ، تبين لنا من خلال هذا البحث عدد من النتائج أوجزها بما يأتي :

١-إن أفضل من أسس لضمان حرية الرأي والتعبير ، ومارسه ممارسة فعلية وناجحة هو نبينا وحبيبنا ورسولنا محمد بن عبد الله ، فوضع المنهج القويم ، والطريق السليم لضمان هذه الحرية ، وعدم حجرها .

٢-الحرية الرأي أهميتها العظيمة في حياة الفرد والمجتمع في الجانب الأخلاقي والاجتماعي والسياسي من حيث الإصلاح والتغيير نحو الأفضل، من حيث استخدام أساليبها في المنظور الإسلامي من الدعوة إلى الخير .

٣- وإبداء النصح للجميع بما في ذلك السلطة الحاكمة، ومنعها من الاستبداد وتكميم الأفواه ، ومصادرة الحريات . حرية الرأي حق تشريعي نصت عليه الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية ، لا يجوز لأحد منعه ومصادرته .

٤- لحرية الرأي في المنظور الإسلامي ضوابط وأصول لا يجوز الخروج عنها، من ذلك الاعتداء على حرمات الشريعة أو مصالح الآخرين.

٥-تغييب حرية الرأي في كثير من المجتمعات أدى إلى الانفراد بالسلطة ، وانتشار الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين قبل الاسلام ، حتى جاء الرسول وصحح العديد من المفاهيم الانسانية والمشاورة في الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع

الحاجة لتثقيف لمختلف طبقاته وألوانه بثقافة حرية الرأي من حيث أهميتها، وضوابطها ، وطرق استخدامها لتحقيق المصالح الكبيرة للمجتمع .

المصادر والمراجع

١- ابن الاثير . (١٩١٠). اسد الغابة في معرفة الصحابة . طهران : المطبعة البهية اوفسيت المطبعة الاسلامية .

٢- ابن الاثير. (١٩٦٥). الكامل في التاريخ. (تحقيق نخبة من العلماء، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية ، ج٢.

٣- ابن الجوزي. (د.ت). سيرة عمر بن الخطاب. مصر: الدار القومية.

٤- ابن العربي . (١٩٥٧). احكام القران. بيروت: دار احياء الكتاب العربي .

٥- العلي (١٩٨٣) الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام ، دار الفكر عمان

٦- ابن حنبل. (١٩٤٩). المستد. مصر: دار المعارف .

٧- ابن خلدون . (١٩٨٨). المقدمة. بيروت : دار مكتبة الهلال .

٨- ابن سيد الناس. (١٩٧٤). عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير . بيروت : دار الطليعة ، ج٣.

٩- ابن كثير . (١٩٣٨). تفسير القرآن العظيم. مصر: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

١٠- ابن ماجه. (١٩٥٣). سنن ابن ماجه . مصر : دار احياء الكتاب العربي .

١١- ابن هشام . (١٩٨٨). السيرة النبوية. عمان: مكتبة المنار.

١٢- ابو حيان. (١٩٣٠). البحر المحيط. مصر: مطبعة السعادة.

١٣- ابو زيد شلبي. (١٩٦٤). تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي . القاهرة : مطبعة وهبة .

١٤- احمد مطلوب. (١٩٨٨). الدولة في عهد الرسول (ﷺ). بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد التاسع والثلاثون ، العدد ٣.

١٥- ال عمران . (الاية ١٠٦).
١٦- ال عمران. (الاية ١٥٩).
١٧- الانعام. (الاية ١٥٢).
١٨- الانفال. (الاية ٤٦٠).
١٩- البخاري. (د.ت). صحيح البخاري. مصر : دار احياء الكتب العربية .
٢٠- البيهقي. (١٩٦٩). السنن الكبرى. الهند: مجلس المعارف العثمانية حيدر اباد.
٢١- التوبة. (الاية ٤).
٢٢- الجصاص. (١٩٥٩). احكام القران . مصر : المطبعة البهية .
٢٣- الرازي. (١٩٨١). مختار الصحاح . بيروت : دار الكتاب العربي .
٢٤- السهيلي. (١٩٧٢). الروض الانف. القاهرة : مكتبة الكلية الازهرية ، ج٢.
٢٥- الشهرستاني. (د.ت). الملل والنحل. تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
٢٦- الشورى. (الاية ٣٨).
٢٧- الطبري. (١٩٦٠). تاريخ الرسل والملوك . مصر : دار المعارف .
٢٨- العنكبوت. (الاية ٦٩).
٢٩- القرطبي. (١٩٥٨). الجامع لاحكام القران. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
٣٠- القيم ابن الجوزي. (١٩٦٠). زاد المعاد في هدى خير العباد. القاهرة: المطبعة المصرية ، ج٣.
٣١- المائدة. (الاية ٣٠).
٣٢- المسعودي. (١٩٨٩). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق قاسم الدفاعي، بيروت: دار العلم.
٣٣- النجم. (الايات ٣-٤).
٣٤- النحل. (آية ١٢٥).
٣٥- النساء. (الاية ٥٨).

٣٦- النمل. (الاية ٩١).
٣٧- اليعقوبي. (١٩٦٠). تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر.
٣٨- حسن ابراهيم حسن. (١٩٦٤). تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي من (٤١/١٣٢هـ). القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
٣٩- صالح احمد العلي . (١٩٦٩). تنظيمات الرسول الادارية في المدينة. بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي.
٤٠- صلاح الدين الناهي . (١٩٦٨). النظرية العامة في القانون الموازن وعلم الخلاف . بغداد : د. ن.
٤١- ابن كثير. (١٩٧٧). البداية والنهاية. بيروت: مطبعة المعارف.
٤٢- ابن كثير. (١٩٨٧). تفسير القران الكريم. تحقيق : مصطفى عبد الواحد، بيروت: دار الرائد العربي ، ج١.
٤٣- محمد حميد. (١٩٦٦). مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . بيروت: دار الفكر .

Sources and references

1- Ibn Al-Atheer. (1910). The Lion of the Jungle in the Knowledge of the Companions. Tehran: Al-Bahiyah Offset Press, Islamic Press.
2- Ibn Al-Atheer. (1965). Complete in history. (Verified by a group of scholars, translators) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, vol. 2.
3- Ibn al-Jawzi. (d.t.). Biography of Omar bin Al-Khattab. Egypt: National House.
4- Ibn al-Arabi. (1957). Provisions of the Qur'an. Beirut: Arab Book Revival House.
5- Ibn Hanbal. (1949). Almstad. Egypt: Dar Al-Maaref.
6- Ibn Khaldun. (1988). the introduction -. Beirut: Al-Hilal Library House.
7- Ibn Sayyid al-Nas. (1974). Oyoun al-Athar in the Arts of Maghazi, Shama'il and Sir. Beirut: Dar Al-Tali'ah, Part 3.
8- Ibn Kathir. (1938). Interpretation of the Great Qur'an. Egypt: House of the Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi.
9- Ibn Majah. (1953). Sunan Ibn Majah. Egypt: Arab Book Revival House.

10- Ibn Hisham. (1988). Biography of the Prophet. Amman: Al-Manar Library.
11- Abu Hayyan. (1930). ocean sea. Egypt: Al-Saada Press.
12- Abu Zaid Shalabi. (1964). History of Islamic civilization and Islamic thought. Cairo: Wahba Press.
13- Ahmed is wanted. (1988). The state during the era of the Prophet (PBUH). Baghdad: Journal of the Iraqi Scientific Academy, Volume Thirty-Nine, Issue 3.
14- Al Imran. (verse 106).
15- Al Imran. (verse 159).
16- Al-An'am. (verse 152).
17- Anfal. (verse 460).
18- Al-Bukhari. (d.t.) Sahih Bukhari. Egypt: Arab Book Revival House.
19- Al-Bayhaqi. (1969). The great Sunnah. India: Ottoman Encyclopedia Hyderabad.
20- Repentance. (verse 4).
21- Al-Jasas. (1959). Provisions of the Qur'an. Egypt: Al-Bahia Press.
22- Al-Razi. (1981). Mukhtar Al-Sahah. Beirut: Arab Book House.
23- Al-Suhaili. (1972). Al-Rawd Al-Naf. Cairo: Al-Azhar College Library, vol. 2.
24- Al-Shahristani. (d.t.). Boredom and bees. Verified by: Abdul Aziz Muhammad Al-Wakil, Beirut: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.
25- Shura. (verse 38).
26- Al-Tabari. (1960). The history of the apostles and kings. Egypt: Dar Al-Maaref.
27- Spider. (verse 69).
28- Al-Qurtubi. (1958). The comprehensive of the provisions of the Qur'an. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing.
29- Al-Qayyim Ibn Al-Jawzi. (1960). The Day of Resurrection increased in the guidance of the best of servants. Cairo: Egyptian Press, vol. 3.
30- Al-Ma'idah. (verse 30).
31- Al-Masoudi. (1989). Meadows of gold and precious metals. Verified by Qasim Al-Diffai, Beirut: Dar Al-Ilm.
32- The star. (Verses 3-4).
33- Bees. (verse 125).
34- Women. (verse 58).
35- Ants. (verse 91).

36- Al-Yaqoubi. (1960). History of Yaqubi. Beirut: Dar Sader.
37- Hassan Ibrahim Hassan. (1964). History of political, religious, cultural and social Islam from (41/132 AH). Cairo: Egyptian Nahda Library.
38- Saleh Ahmed Al-Ali. (1969). Al-Rasul's administrative organizations in the city. Baghdad: Journal of the Iraqi Scientific Academy.
39- Salah al-Din al-Nahi. (1968). The general theory of balanced law and the science of disagreement. Baghdad: Dr. n.
40- Ibn Kathir. (1977). The beginning and the end. Beirut: Al-Maaref Press.
41- Ibn Kathir. (1987). Interpretation of the Koran. Mustafa Abdel Wahed, Beirut: Dar Al-Raed Al-Arabi, vol. 1.
42- Muhammad Hamid. (1966). A collection of political documents of the Prophet's era and the Rightly Guided Caliphate. Beirut: Dar Al-Fikr.

موقف حزب الشعب السوري من الاحداث السورية ١٩٤٨-١٩٥٠

م.م. نسرين فيصل داود

nassren.fayssal@gmail.com

الجامعة المستنصرية – رئاسة الجامعة – مكتب رئيس الجامعة – وحدة الهياكل التنظيمية

موقف حزب الشعب السوري من الاحداث السورية ١٩٤٨-١٩٥٠

م.م. نسرين فيصل داود

ملخص :

تعد الكتب والجرائد والوثائق من المصادر المهمة وتقدم معلومات عن تاريخ سورية الحزبية وكان حزب الشعب من الاحزاب الذي لعب دور مهم في سياسة سورية من خلال مواقف الحزب من الاحتلال الفرنسى واستقلال البلاد وتأسيس وزارات وقد تضمن البحث عدة مواضيع اعتمدت على تلك المصادر في إيضاح دور حزب الشعب.

الكلمات المفتاحية: حزب الشعب السوري- الحكومات- الوحدة- مصر- سورية

The position of the Syrian People's Party on the Syrian events 1948-1950

M.M.. Nisreen Faisal Daoud

nassren.fayssal@gmail.com

Al-Mustansiriya University - University Presidency - University President's Office - Organizational Structures Unit

Summary Research:

Preperation of books, newspapers and documents are important sources that provide information about Syria's partisan history. The people's party was one of parties that played an important role in the Syrian political life through the parties opinions on the French occupation and the country's independence and the establishment of ministries. The research included topics about various sources and the opinions of the party role

Keywords: Syrian People's Party - governments - unity - Egypt - Syria.

المقدمة:

يكمن اهمية موضوع البحث بوصفة احد الموضوعات التي تكشف جانب من تاريخ سورية السياسي اذ ادى حزب الشعب دورا في الحياة السياسية وكان الحزب ضمن الكتلة الوطنية وقد انشق من الكتلة وكون حزب مستقل وعاصر فترة الانقلابات العسكرية وتمكن من تشكيل اكثر من وزاره فضلا عن رئاسة المجلس التأسيسي ، كما ان الحزب كان يعمل من اجل الوحدة مع العراق تحت عرش الملك الموجود في العراق والذي كان تحت الاحتلال البريطاني مما ادى الى الانقسام داخل الحزب نفسه بين قطبيين الاول يؤيد الوحدة والثاني يرفض ان تكون سورية تحت الحكم الملكي ويرغب بالاحتفاظ بالنظام الجمهوري ، وكذلك تعرض الحزب الى معارضة من قبل الاحزاب الرافضة للوحدة مع العراق وتؤيد الوحدة مع مصر والسعودية من اجل دفع اخطار الاعتداء الاسرائيلي على الحدود السورية .

حزب الشعب:

(١٥ اب ١٩٤٨)انعقد مؤتمر في بلدة فالوغا في لبنان حضر كل من (ناظم القدسي [١] – رشدي الكيخيا [٢] – كتلة الدستورية – كتلة حزب الاحرار – الحزب القومي السوري – حزب الشباب – الكتلة الدستوريه)[٣].حيث اتفق المؤتمرون على تأسيس حزب الشعب ابرز قادته رشدي الكيخيا وناظم القدسي ومصطفى الاتاسي وهاني السباعي[٤] وعدنان الاتاسي[٥] وعلى بوظو[٦] وشاكر العاصي ورشاد جبري ونسيب البكري[٧] ومعروف الدواليبي[٨] وقد اصدر الحزب بيان جاء فيه (ان النظام البرلماني لا يمكن ان ينجح كما لا يمكن للحياة الديمقراطية ان تستقر الا عن طريق انشاء احزاب سياسية تشتمل على عناصر الحياة وإمكانات العمل المثمر وبالتالي فان تأسيس حزب الشعب يأتي استجابة لهذه الحاجة السياسية الملحة اما في ما يخص المسالة العربية فان الحزب في نظرته القومية لم يخص لبنان بصيغة معينة بل توجه بنظرته الى العرب بشكل عام ، فقدم بصيغه عامة تجمع العرب في اطار العراق والتجاذبات السياسية الهاشمية من جهة والسياسية المصرية والسعودية من جهة اخرى[٩] .

جاء في برنامج الحزب :

١. في السياسة القومية يسعى الحزب لتحقيق الوحدة اما عن طريق اتحاد دولي بين سورية والبلاد العربية جميعا والثاني اتحاد الجامعة العربية وسيلة الى :

أ – توحيد السياسة الخارجية في البلاد العربية وتوحيد التمثيل الخارجي .

ب – توحيد قوى الدفاع العربي في قيادته وأنظمته .

ج – توحيد التشريع .

د – اعتبار بلاد الجامعة العربية وحدة كمركية .

هـ – اعتبار البلاد العربية وحدة اقتصادية وتوحيد المنهاج الاقتصادي .

و – الغاء جوازات السفر بين دول الجامعة العربية ، وبالنسبة فلسطين فقد اعتبرها جزء من الوطن العربي ويعمل الحزب على مقاومة تغلغل النفوذ الاجنبي بمختلف اشكاله وصوره الى اي جزء من اجزاء الوطن العربي .

٢. اما الميدان الدولى يرى الحزب ان تسير سياسة سورية الخارجية على اساس المصلحة المتقابلة وعدم تفضل واحدة على الاخرى إلا بالقدر الذي تقتضيه المصلحة القومية .

٣. اما السياسة الثقافية يسعى الحزب الى نشر التعليم وإشاعة فوائده في طبقات الامة وفي اتخاذ الاسباب الموجبة للتهذيب القومي الصحيح وعلى الاخذ من التراث العربي والتوفيق بينة وبين الحاجة الى التطور .

٤. وفي السياسة الاقتصادية يعتبر الزراعة واسطة الرزق والمورد الرئيسي للبلاد لذلك فان الحزب يعتمد في سياسته الاقتصادية في الناحية الزراعية على زيادة الانتاج الزراعي بتحرير الفلاح وتشجيع العمل في الريف وترويج الملكية الصغيرة [١٠] .

٥. السياسة الداخلية يحث الحزب على تحقيق التوازن بين السلطات لتوطيد النظام الجمهوري والحكم الشعبي ويرى ضرورة تعديل دستور عام ١٩٣٠ (تعديل جوهري يحقق سيادة الامة وسلطانها ، وسلامة فصل السلطات من طغيان احداها على الاخرى ومسايرة التطور ضمن حدود النظام النيابي)[١١] .

موقف حزب الشعب من وزارة خالد العظم:

واجهت حكومة جميل مردم [١٣]. نقمة الشعب السوري وذلك بسبب هزيمة الجيش السوري في فلسطين بالإضافة الى الازمات الداخلية منها توقف شركة النفط عن توزيع البنزين والكاز فأصبح الشعب يعاني من البرد في الشتاء مما ادى الى قيام مظاهرات في جميع انحاء البلاد مما اضطر جميل مردم الى تقديم استقالة حكومة وإثناء محاولات رئيس جمهورية شكري القوتلي [١٤] بتشكيل وزارة جديدة تقدم حزب الشعب بمذكرة الى الرئيس شكري القوتلي جاء فيها (لم تستعد في الوقت المناسب لمجابهة الاخطار في الداخل والخارج والخطر الصهيوني بل اقتصرت جهودها على تصريف الامور بما يفرضه عليها الظروف ، فعجزت عن ايجاد حل موفق لأيه قضية من القضايا الكبرى فلجأت للتسويف والتهرب من حمل المسؤولية وأصبحت سورية في وضع يتعذر عليها معه دفع الخطر الصهيوني بمفردها مهما عبأت من قوى مادية ومعنوية وأنة ان الاوان لبذل المساعي لإنشاء اتحاد دولي عربي يضم سورية وغيرها من البلاد العربية التي استكملت فيها شروط هذا الاتحاد) كما ان مذكرة حزب الشعب الى شكري القوتلي بأن يدعوه الى الاتحاد العربي يكون اقوى من جامعة الدول العربية ولكن حصر هذا الاتحاد بالدول العربية المستكملة شروطه[١٥] .

كلف شكري القوتلي حزب الشعب بتالف الوزارة وعندما عقد مجلس النيابي جلسته طلب حزب الشعب من رئيس مجلس النواب تثبيت مخالفته للدستور الذي ارتكبه بعدم دعوته الى الدورة الاستثنائية وفق طلب اكثرية المجلس ومنع النواب من حق الكلام عبر الحزب الشعب عن رأيه، في هذا مخالفة وقد اصدر الحزب بيان وزعه على الشعب جاء فيه (منذ نشأة الحياة النيابية في البلاد يتبع المسئولون اساليب وطرائق لا تمت بصلة الى الاوضاع الدستورية الصحيحة والأعراف والتقاليد البرلمانية السليمة ، ويبعدون البلاد عن التمتع بمزايا الاستقلال وثمراته ويحولون دون انشاء اوضاع قوية تصون للمواطنين حقوقهم وتضع حدا للإجراءات الاستبدادية التعسفية التي عصفت بمقدرات البلاد فكان من نتائج ذلك ان ازادت الحالة الداخلية سوء فوق سوء والسياسة الخارجية كانت ضعيفة فضلا عن فساد الادارة وكانت اثارها بشكل خاص في ناحيتين المالية والاقتصادية مما يعاني كل مواطن من ذلك ، وها هو الشعب يشهد ما يجري في مجلس النيابي منذ سنوات فكثيرا ما

حاولت العناصر التقدمية الواعية تغيير مجرى الامور وتبديل الاوضاع الفاسدة فبذلت ما بذلت من جهد ولكنها لم تجد إلا اصرار وتمسكا بما تشكو الية البلاد ويتألم المواطن له من مخالفة الدستور والقوانين وإساءة استعمال السلطة واستغلال وسائل الحكم من قبل الوزراء ومن يليهم ممن يمنعون في استمرار هذه الاوضاع ، فلم يعد مجلس النيابي اداة للتشريع والرقابة والحكم ولم تعد الحكومة أداة لإسعاد المواطنين ونحن نقدر كل التقدير النتائج الخطيرة التي تترتب على هذه الاساليب المستمرة لذلك كانت لنا مواقف يعرفها الشعب داخل المجلس وخارجة ، وكلها تستهدف غاية واحدة هي انقاذ البلاد من تلك الاساليب القمعية ... وما جرى في تلك الجلسة الاخيرة ان هو إلا حادث عارض لكثير من الحوادث والمحاولات التي كنا نعالجها بالمسايرة لمراعاة ظروف البلاد)[١٦] .

شهدت سورية أزمة وزارية استمرت ستة عشر يوما وبرزت خلالها الازمات الداخلية والخارجية التي زادت الامور تعقيدا ، فقد عادت الى الواجهة مسألة التنافس بين المملكة السعودية والعراق من اجل السيطرة على سورية والتي برزت من خلال موقف حزب الشعب المناصر لدولة الهلال الخصيب وبين شكري القوتلي الصديق لملك السعودية المعادي لفكرة الاتحاد مع العراق ، وتحت ضغط الحزب الشعب كلف القوتلي هاشم الاتاسي[١٧] . في تشكيل وزارة ائتلافية تضع حد للفوضى والتوتر وتعيد الثقة بالدولة ، إلا ان الاتاسي فشل في تشكيل الوزارة لان الاتاسي طلب من القوتلي موافقة على برنامج حزب الشعب لتشكيل الوزارة إلا ان القوتلي اخذ يراوغ ووضع عراقيل في وجه الاتاسي ولما انسحب الاخير كلف القوتلي الامير عادل ارسلان ففشل بدوره في تشكيل وزارة تجمع بين الحزب الوطني والحزب الشعب[١٨] .

كلف القوتلي خالد العظم[١٩] تشكيل وزارة حاول العظم كسب حزب الشعب إلا انة فشل فشكل العظم وزارته في ١٦ كانون الاول عام ١٩٤٨ وقد نالت الوزارة ثقة المجلس النيابي إلا ان حزب الشعب امتنع عن اعطاه الثقة لوزارة[٢٠] . وإثناء انعقاد مجلس النواب جلسته طلب رشدي الكيخيا من المجلس اطلاق سراح المعتقلين ونص الاقتراح دولة رئيس مجلس النواب نقترح على المجلس الكريم اتخاذ القرار التالي (نلغي التدابير العرفية العسكرية المفروضة فورا وتكلف الحكومة بإطلاق سراح المعتقلين وإجراء التحقيق السريع مع

الاشخاص الذين سببوا ذلك وعرض النتيجة على المجلس بأقرب فرصة) إلا ان احد النواب رد على الكيخيا ان الغاء الاحكام العرفية لا اعتراض علية وان الحكومة اتخذت كافة التدابير من اجل الغاء الاحكام العرفية اما اطلق سراح المعتقلين فقد وقعت احوادث وحرائق وسلب ونهب واعتداء على الحريات الناس وعلى الحكومة تحيل المعتقلين الى السلطات القضائية والتي هي لها الحق في الحكم على المجرمين او طلاق سراحهم اذ كانوا ابرياء[٢١].

اعتمدت سياسة العظم على مواجهة المشاكل الاقتصادية وترميم ما فسد خلال العام الذي صرفت فيه البلاد كل طاقتها في قضه فلسطين وحولت الانظار عن قضايا التنمية الداخلية[٢٢]. على الرغم من الجهود التي بذلتها الحكومة لإصلاح الوضع في نظام القوتلي إلا ان الوزارة لم تأخذ فرصة الكافية لتنفيذ ما عزمت علية فقط واجهت معارضة برلمانية بزعامة حزب الشعب بمسالة اقحام الجيش في الامور السياسية ، والفوضى الناجمة عن التظاهرات الطلابية ومن ورائها الاحزاب اليسارية والاهم من ذلك صدمة الشعب السوري بالحكم الوطني واخذ يطالب قيام حكم جديد لأنة لم يرى في وزارة العظم إلا تغير اسماء الساسة فقط وكان يريد تغير النظام الفاسد والعاجز ، وكان من اهم القضايا التي عالجتها حكومة العظم اتفاقية مرور انابيب النفط السعودية بواسطة شركة خط الانابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) وهذه الاتفاقية وقعها جميل مردم سابق ، إلا ان نواب حزب الشعب هاجم الاتفاقية وكذلك هاجمت الصحف الاتفاقية واتهمت الحكومة بالعمالة للأمريكان كما نظمت الاحزاب اليسارية تظاهرات في دمشق فقامت الحكومة وأغلقت المدارس خوفا من تجديد اعمال العنف[٢٣] . استعان العظم بالجيش وفرض الاحكام العرفية [٢٤] .

مما ادى الى اثار نائب حلب رشدي الكيخيا قضية قمع المظاهرات وفرض الاحكام العرفية قال (يعلم الزملاء الكرام اننا قد قررنا في الماضي قانونا للإحكام العرفية كما اقر المجلس ايضا الموافقة على اعلان هذه الاحكام العرفية وعلى ما اذكر ان المدة التي حددت لتنفيذ هذه الاحكام كانت ستة اشهر وقد انقضت فأصبحت الاحكام العرفية ملغاة بطبيعتها فان اعلانها مجددا يجب ان تتبع الاساليب الدستورية ونحن لا نبحث ما اذا كان من الواجب اعلان الاحكام العرفية ام لا وإنما نبحث بأمر الدستوري فقد فوجئنا بإحكام عرفية غير معلنة انا لا الوم قائد الجيش فقد امر باتخاذ هذه التدابير ولكنني اتساءل من هو

الذي امر قائد الجيش باتخاذها مخالفة لنص المادة (١١٢) التي تقتصر حق اعلان الاحكام العرفية بفخامة الرئيس الاول على ان يعرض هذا الاعلان على المجلس)[٢٥] . اخذت الاحداث تتسارع منذ اوائل عام ١٩٤٩ بقرب حدوث ازمة سياسية بين الحكومة والأحزاب السياسية فضلا عن الخلاف بين العظم وبعض ضباط الجيش ورئيس الاركان العامة حسني الزعيم[٢٦] خاصة بعد فضيحة السمن التي تعد من الاسباب الرئيسية لحدوث الانقلاب فقد قام رئيس الاركان حسني الزعيم الاطاحة بحكومة خالد العظم والقى به ورئيس الجمهورية شكري القوتلي بالسجن واجبرهما على تقديم استقالتيهما في ٧ نيسان ١٩٤٩[٢٧].

انقلاب سامي الحناوي وتشكيل وزارة من حزب الشعب:

بعد حدوث انقلاب سامي الحناوي[٢٨] في ٢٤ اب ١٩٤٩ اعلن بان الجيش قد تولى مقاليد الامور السياسية في سورية وأوكل أمر تسيير الوزارات الى ألأمناء العاملين ثم دعى عدد من كبار السياسيين للتداول حول الاوضاع وعلى رأسهم فارس الخوري وناظم القدسي وأكرم الحوراني حيث تم الاقتراح على تشكيل حكومة مؤقتة يرأسها هاشم الاتاسي ريثما تعود الحياة الدستورية تدريجيا الى البلاد [٢٩] . استقر الرأي في النهاية على تشكيل لجنة تضع تقرير حول ما جرى بحثه وتشكلت اللجنة من ممثلين الاحزاب هاشم الاتاسي وفارس الخوري [٣٠] ورشيد الكيخيا وناظم القدسي وغيرهم ، وضعت اللجنة تقريرها الذي عرضته على الحناوي وتتلخص تكليف الاتاسي تشكيل الحكومة على ان يترك لها امر اعتبار المجلس النيابي المنحل والدعوى الى اجراء الانتخابات نيابية جديدة[٣١].

سمح الحناوي عودة الاحزاب السياسية ممارسة نشاطها وفتح الصحف المغلقة في زمن حسني الزعيم كما تركة السلطة الى هاشم الاتاسي على ان يراقب الجيش الاوضاع السياسية وتم تشكيل الحكومة [٣٢]. ارسل الحناوي خطاب الى هاشم الاتاسي جاء فيه (استعداد الجيش لتضحية في سبيل الوطن وانه يترك الحكم الى المدنيين لكي يتولى الامر البلاد) ومع انتهاء الجلسة الاولى مجلس الوزراء اعلنت حكومة الاتاسي بيانا اوضحت فيه (ان الحكومة الحالية هي حكومة مؤقتة وان مهمتها هي اعداد البلاد لأقامه اوضاع دستورية مشروعة فيها وستدير حكومة التصريف امور البلاد خلال هذه الفترة الانتقالية ، أنها ستجعل نصب عينها المودة في علاقات الدول العربية مع بعضها ورفع شان الجامعة العربية [٣٣] .

نال حزب الشعب مناصب مهمة في حكومة فقد تولى رشدي الكيخيا وزارة الداخلية ، ناظم القدسي وزارة الخارجية ، وفضي الاتاسي وزارة الاقتصاد الوطني كما حصل ميشيل علف[٣٤] وزارة التربية اما اكرم الحوراني اصبح وزير الزراعة[٣٥]. كما اعادة بعض اصدقاء الحناوي العسكريين الذين اقالهم الزعيم الى مراكزهم امثال اديب الشيشكلي [٣٦] الذي اصبح قائد اللواء الاول ، وخالد العظم المستقل وزير المالية اما حزب الوطني لم يشارك بالحكومة[٣٧] .

موقف حزب الشعب من الاتحاد مع العراق:

كانت مرحلة الانقلابات العسكرية في سورية مرحلة حرجة في تاريخ علاقات سورية مع الدول العربية والدول الكبرى ذات المصالح فيها فقد ظهر الانقسام واضحا في الموقف العربي بين الفريقين الاول كتلة مصر والسعودية اللتين حرصتا على ابعاد سورية عن اي تحرك نحو الاتحاد مع العراق والفريق الثاني يضم العراق والأردن ويسعى الى جر سورية الى الاتحاد وكانت على حكومة الاتاسي التوفيق بين هذه الفريقين بحيث لا تخسر احدهما ، وسبق لمصر ان تلقت اخبار حدوث انقلاب سامي الحناوي بعدم الارتياح وأعلنت الحداد لمدة ثلاث ايام على مقتل حسني الزعيم الذي فقدت فيه حليفا قويا لها لأنه وقف بشدة ضد مشروع الهلال الخصيب وسورية الكبرى [٣٨] .

كانت موقف الحزب الوطني مؤيد للاتحاد اما حزب البعث بقياده ميشيل عفلق وحزب الشباب حيث كان عميد الحزب اكرم الحوراني [٣٩] يتظاهر بتأييد الاتحاد ولكن اصرت هذه الفئات المؤيدة للاتحاد مع العراق على نقطتين اساسيتين الاول وجوب الاحتفاظ بالنظام الجمهوري في سورية وثانية عدم امتداد مفعول المعاهدة العراقية البريطانية بحيث يشمل سورية في ما لو عقدت الوحدة وبالنسبة الى النقطة الثانية لم يكتف السوريون بطلب تأكيد العراق وإنما اصروا على وجوب اعطاء بريطانية التأكيدات بهذا الشأن وقد ذكر الحوراني بان احد الوزراء العراقيين زار دمشق واتصل بالقدسي وزير الخارجية وباحثة في الوحدة بين القطرين فإجابة القدسي(ان النظام الملكي في العراق وقيام المعاهدة بينة وبين بريطانية يحولان دون هذا البحث لان سورية لا ترضى بغير النظام الجمهوري بديلا كما ترفض الارتباط بأيه دولة اجنبية بالمعاهدة) [٤٠] .

وكان حزب الشعب ورئيسة الكيخيا يهدفان الى الوحدة مع العراق للتخلص من نفوذ العسكر وفي حال تحقيق الوحدة يزول نفوذ الجيش السوري ويذوب امام قوة الجيش العراقي ، وكان الكيخيا يقوم بدور نشط من خلال دعوة للمشروع حيث كان يتولى مهمة اقناع السياسيين السوريين بمشروع الحزب ، وفي جلسة عقدها مجلس الوزراء السوري قرأ رشدي الكيخيا على المجلس مشروع قرار طلب من المجلس اقراره وقد نص هذا المشروع على قبول الاتحاد وتكليف رئيس الحكومة بمباشرة المفاوضات(٤١).

وقد تألفت لجنة تمثل حزب الشعب وحزب الوطني والمستقلين منهم عادل العظمة لحضور جلسات مجلس الجامعة العربية في دورته الحادية عشرة ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٩ وكان الوضع العربي الذي ينذر بخلافات كبيرة ولم يناقش الوفد السوري مسالة الاتحاد بين سورية والعراق وذلك بسبب ان جامعة انشغلت بقضية فلسطين وهجوم الاحتلال اسرائيلي على اراضي فلسطين ،كما ان الوفد السوري لمس في القاهرة مساعي يوسف ياسين وبعض السورين في مصر ضد مشروع الاتحاد ، وقد تم الاتفاق على ان يبحث ناظم القدسي في اللجنة السياسية الاسباب التي دعت للتفكير في الاتحاد إلا ان مصر قدمت اقتراح ايجاد ضمان جماعي للبلاد العربية وبعد عودة الوفد سوري الى دمشق شرح عادل العظمة الموضوع امام مجلس الوزراء بان الوفد السوري اتفق عدم عرض الموضوع امام الجامعة قبل الاوان كما عرض عادل العظمة امام مجلس اقتراح الحكومة المصرية للضمان الجماعي كأحد الاسباب لدفع الخطر عن الدول العربية ، وطلب المجلس الاطلاع على تفاصيل المشروع وإدخال نص تقديم المعونة الى الدول العربية المحتاجة من الدول العربية الاخرى ووضع المجلس مشروع قرار ينص على ان الضمان لا يعني تقييد حرية اية دولة بإيجاد اتحاد فيما بينها وبين دولة اخرى لتامين سلامتها ،وتدرك عادل العظمة بان الغاية من تقديم الاقتراح هو عرقلة الاتحاد وكان عادل يلح على مجلس الوزراء للموافقة على الاتحاد وأيده الكيخيا في ذلك وان الانتخابات على الابواب وضع عادل لمساته الاخيرة على مشروع الاتحاد وكتب عادل الى الاتاسي يعرض سوء الاوضاع في مجلس الوزراء وعدم الانسجام بين اعضائه وظهور معارضة في اوساط المجلس لمشروع الاتحاد(٤٢). وصرح القدسي في مؤتمر صحفي عن الضمان الاجتماعي المقدم من مصر في اجتماع جامعة الدول العربية

صرح (ان سورية ترحب ترحيبا شاملا به فالجامعة كما ترى سورية وسيلة وخطوة اولى لاتحاد بين الشعوب العربية) وأضاف (يرجو ان يشمل مشروع الضمان الاجتماعي النواحي الاقتصادية)[٤٣].

تم تشكيل لجنة وزارية برئاسة هاشم الأتاسي وعضويه خالد العظم وعادل العظمة ورشدي الكخيا وناظم المقدسي وأكرم الحوراني، وقد بحثت في أول اجتماع لها أمر الاتحاد مع ألعراق بالاتصال مع رجالات ألعراق وتقرر في الاجتماع تكليف رشدي الكخيا بالاتصال بسامي كباره وناظم المقدسي وميشيل عفلق لأخذ رأيهم في موضوع ألاتحاد وتكليف الأتاسي بالاتصال بفيضي الأتاسي والتشاور معه بشأن الاتحاد توصل حزب الشعب السوري والوفد العراقي الى الخطوات التي تتبع لتحقيق ألاتحاد فوافق الأتاسي عليها وهي:

١-تمهيد الجو السياسي الداخلي في سورية وتهيئة الرأي العام لقبول الاتحاد مع ألعراق وذلك بعد انتخاب جمعية تأسيسية تضع الدستور الجديد الذي ينص على الاتحاد .

٢-تحريك رجال الصحافة وزعماء الأحياء والعشائر ودفعهم بهذا الاتجاه .

٣-ترتيب أوضاع الجيش ، بتصفية صفوفه من المعارضين لفكرة ألاتحاد وترقية الضباط ألموالين وتسليمهم المناصب الفعالة في الجيش .

٤-تنسيق السياسة الخارجية للدولتيين، بهدف مواجهة كل محاولة مصرية أو سعودية ضد الاتحاد. [٤٤] .

رأى العديد من قادة سورية بان نوري السعيد غير محبوب في سورية حيث كان اعتقاد بأنه اكثر اخلاصا بريطانية منة للعرب وقد اعتقد زعماء حزب الشعب بان فترة حكمة كانت عقبة في طريق الوحدة وحدث لقاء بين حسين جميل وهو سياسي عراقي وبين الكاتب البريطاني باتريك سيل اكد الاول بان ناظم القدسي قدم اقتراحا الى وصي العرش بان من الحكمة لكي تخرج خطط وحدتهم الى طور النضج اختيار شخصية مقبولة مثل على جودت او جميل المدفعي محل نوري السعيد ، وفي منتصف تشرين الثاني جرت مشاورات بين الوصي وعلى جودت في تأليف الوزارة ونجح جودت بتأليف وزارة وعند ذهابه الى الوصي اقترح الوصي دعوة القدسي لزيارة بغداد [٤٥] .

كان السبب الذي جعل حزب الشعب يطلب الاتحاد مع العراق ان اعضاء الحزب من الاقطاعيين والبرجوازيين والرأسمالية والارستقراطية التي ترى في العراق سوقها الرائجة وهي تتطلع الى اقامة سوق واسع وموحد وملائم لتجارة حلب وصناعتها التي كانت من وجهة نظر البرجوازية الحلبية تقوم على اتحاد سورية مع العراق الذي كان نظامه انذاك ملكي خاضعا النفوذ الاستعماري البريطاني وهذا ما دفع الكثيرين الى اعتبار سياسة حزب الشعب هذه محاولة لإعادة سورية مجددا الى التبعية الاستعمارية والقضاء على استقلالها ونظامها الجمهوري وتصفية الحركة الديمقراطية والاجتماعية وهذا الامر لم يكن في حسابات الاكثرية من زعماء الحزب الشعب [٤٦] .

رئاسة حزب الشعب الجمعية التأسيسية :

واجهت حكومة الاتاسي مشكلة الدستور فقد انقسم مجلس الوزراء الى قسمين حيث كان القسم الاول يؤيد عودة المجلس المنحل على ان يعقد جلسة واحد يمنح فيها الحكومة القائمة السلطات التشريعية ثم يحل ويقوم بإجراء انتخابات جديدة اما القسم الثاني يرى بان الدستور لم يعد صالحا لذلك يجب وضع دستور جديد من قبل الجمعية التأسيسية تنتخب لهذه الغرض ثم تنحل ، فينتخب مجلس النواب على اساس الدستور الجديد وكان من اقطاب هذا الرائ الكيخيا والقدسي وبعض نواب حزب الشعب وان حجتهم ان الحكومة الجديدة اقرت ضمن المراسيم الصادرة في عهد الزعيم فكيف تستطيع الغاء المرسوم القاضي بحل مجلس النواب وان ذلك المجلس اذا دعى الى الاجتماع فأكثريته من الحزب الوطني ومن الكتلة الدستورية ، بينما حزب الشعب ومناصروه قلة فيه لذلك لا يستبعد ان تقرر تلك الاكثرية سحب الثقة من الحكومة الجديدة ثم تعتمد الى رفض استقالة القوتلي ، ويذكر خالد العظم في مذكراته بان الكيخيا يرمي من وراء هذه الفكرة الى هدف لم يعلنه في ذلك الوقت ولم يذكره في سياق الحديث وهو ضم سورية والعراق وتوحيد الدولتين تحت تاج ملك العراق وكان يعتقد ان تعديل الدستور لا يتضمن دمج الدولتين في دولة واحدة او اتحادهما لذلك اصر على وضع دستور جديد يتضمن الدمج او اتحاد الدولتين بشكل صريح وبعد انتهاء الاجتماع تم الموافقة على عدم دعوه المجلس السابق اما الاقتراح بوضع دستور جديد وانتخاب الجمعية التأسيسية فقد تم الموافقة علية بأغلبية المجلس[٤٧].

(٩ ايلول ١٩٤٩)عقد وزير الخارجية ناظم القدسي مؤتمرا صحفيا قال فيه ان (مهمة الحكومة ان تجري انتخابات المجلس التأسيسي لكي يضع للبلاد دستورا وقد الت على نفسها إلا تعرض رأي ما في هذا الدستور كما انها لا تستمع لأي مصدر بان يفرض رأي لهذا المشروع وعندما يجتمع المجلس التأسيسي مع الحكومة تبدأ الحكومة بعرض على الجميع وجهات النظر بشان العلاقات مع دول العربية مع بعضها البعض وذلك بصورة واقعية لا تحيز لرأي دون الاخر وعلى الاعضاء المتنفذين للمجلس بان يفسحوا المجال امام ممثلين الشعب بان يختاروا الدستور الرسمي الذي يرونه لمصلحة البلاد)[٤٨] .

لاحظت الحكومة السورية ان تأخير اعتراف كل من مصر والسعودية بالحكم الجديد بدا يثير قلق المواطنين فأعطت الضوء الخضر للصحافة بان تنتقد هذا التريث ففعلت الصحافة ذلك وفي ١٩ ايلول اعلن مجلس الوزراء المصري في اعقاب اجتماع عقدة واستغرق عدة ساعات اعتراف مصر بالوضع الجديد في سورية وكذلك قام وزير المملكة السعودية لدى سورية الشيخ عبد العزيز بن زيد بزيارة وزير الخارجية السوري وقد سلمه مذكرة تتضمن اعتراف المملكة العربية السعودية بالوضع الجديد في سورية كما سلم وزير لبنان حميد فرنجية الى ناظم القدسي برقية جاء بها (حضرة صاحب المعالي وزير الخارجية السورية – دمشق اتشرف بان ابلغ معاليكم باسم الحكومة اللبنانية اعترافها بالحكومة السورية الجديدة ويسرني كل السرور ان تستمر بيننا الصلات الطيبة التقليدية وان تتوطد بين القطريين الشقيقين العلاقات الودية وانتهز هذه الفرصة لاوكد استعداد لبنان لتعزيز المصالح القائمة بين البلدين ويستمر التواصل مع الجامعة العربية)[٤٩]. شكل مجلس الوزراء لجنة تضم كل من عادل العظمة من الحزب الوطني وميشيل عفلق من حزب البعث وأكرم الحوراني من حزب الشباب وبرئاسة هاشم الاتاسي من حزب الشعب ومهمتها وضع قانون انتخابات ،كما منحت اللجنة حق الانتخابات لكل الرجال والنساء فوق سن ١٨ وان تحمل النساء الشهادة الابتدائية ، وأعلنت اللجنة اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية ١٥ تشرين الثاني ، كان حزب الشعب حريصا على امرين هما الاول ان يشكل مؤيده اكثرية الجمعية التأسيسية والأمر الثاني ان تتواجد في هذه الجمعية جميع الفئات السياسية في سورية وذلك فقد بذل كل جهده

ليشكل قوائم ائتلافية مع الحزب الوطني ومع الرابطة الاسلامية ومع حزب الشباب والمستقلين لكن حزب الشعب فشل في ذلك بالنسبة لأكثر المحافظات [٥٠] .

(١٤ تشرين الثاني ١٩٤٩) عقد الحزب الشعب اجتماعا في مكتبة في دمشق وبعد المناقشة في الموقف الانتخابي ودراسة الامر على مختلف جوانبه قرر الحزب ان يخوض الانتخابات لمرشحين شعبين مستقلين عن الاحزاب والمنظمات الاخرى مقدرين ان يبين المرشحين الاخرين للمعركة الانتخابات لا لهم من ماضيهم وحاضرهم وأفكارهم التقدمية ما يؤهلهم للفوز بشرف النيابة ،لذلك تركت اربع مقاعد لمسلمين في الدائرة الشعبية فضلا عن مقعد خاص لغير المسلمين وبعد انتهاء الاجتماع اصدر مكتب حزب الشعب في دمشق بيان اعلن فيه مرشحين حسب الترتيب الهجائي المسلمين رشاد جبري ، على بوظو ، منير المالكي وغيرهم اما غير المسلمين جورج شهلوب وغيرهم وقد ارفقت هذه القائمة بيان جاء نص (منذ ان عادت الحرية للبلاد وأعلن موعد الانتخابات وحزب الشعب في دمشق يحاول ان يتعاون مع العناصر المخلصة من مختلف الاحزاب والهيئات ولكن هذه المحاولة النبيلة التي استهدفت توحيد الصف الوطني لإشراك جميع عناصر الامة في وضع دستور البلاد لم يكتب لها النجاح رغم ما قدمنا من تسامح وما بذلنا من جهود ، لذلك رأينا ان يتقدم مرشح حزب الشعب من الناخبين بقائمة مستقلة من اعضائه تاركين فيها امكانية لكل من يرى الشعب فيه من المزايا ما يمكنه من تحمل اعباء هذا الواجب والله سبحانه ولى التوفيق) [٥١].

وخلال الانتخابات حاول حزب الشعب ان يستغل وضع القوى في الحكومة والجيش ويضغط بمختلف الوسائل لإنجاح مرشحيه مما دفع الحزب الوطني في اخر لحظة الى الانسحاب من معركة الانتخابية التي اعتبرها غير متكافئة[٥٢] . وانتهت الانتخابات بفوز حزب الشعب بما لا يزيد عن ٤٠ مقعدا وفاز جماعة الاخوان المسلمين ٤ مقاعد اما بقية المقاعد كانت على نحو سبعين معقدا فقد فاز بيها حياديين كنواب حماة والجزيرة وبعض الاقضية فضلا عن سامي كبارة وجماعته ولم تعجب النتيجة جماعة حزب الشعب اذ انهم لم يحصلوا على اكثرية اثابتة فاستعملوا شتى الاساليب لضم بعض النواب الى صفوفهم حتى انحاز اليهم عدد لم يصل بحزب الشعب في النهاية الى اكثر من ٥٥ نائبا ولم تكن المجموعة ذات رأى واحد ، اذ كان ممثلو حزب الشعب انفسهم منقسمين الى فئتين فئة

بأمر رشدي الكيخيا وناظم القدسي وفئة قليلة مزعزعة[٥٣]. عقدت الجمعية التأسيسية الجلسة الاولى وتم انتخاب الكيخيا احد اعضاء حزب الشعب رئيس للمجلس فالقى كلمة جاء فيها (ارجو ان نصرف جهودنا ليكون دستورنا منسجما مع اوضاعنا وحاجات الامة العربية ، وأخذا بالفكرة القومية السلمية والمبادئ الديمقراطية القومية مسايرا للتطور الحديث بمختلف نواحيه وأرجو ان نستفيد بتجاربنا وتجارب غيرنا فيما طبق من النصوص الدستورية)[٥٤].

بعد فوز حزب الشعب بالانتخابات الجمعية اصبح بالمكانة ان يفرض سياسته الواضحة على كل معارضيه من اجل الضغط لقيام اتفاق مع العراق ، كما قدم الكيخيا اقتراحا الى مجلس الوزراء بمشروع الدستور المؤقت يعرض على الجمعية ، وكان هذا المشروع يوجب انتخاب رئيس دولة مؤقت وتخويل الوزارة صلاحية التشريعية الى ان تنتهي الجمعية من وضع الدستور وكان حزب الشعب يرمي من وراء هذا المشروع الى الحصول على اصلاحات تشريعية من الجمعية ليتمكن من اداة الحكم حتى انجاز وضع الدستور وفي حال استطاع ان يصوغ الدستور بحسب توجهاته الوحدوية مع العراق ليسرع في انجازه ونشرة ، اما اذ ظهرت عراقيل تحول دون بلوغ هذه الغاية فيستمر في الحكم حتى تسمح الظروف بتحقيقها وتوطيدا لفكرة الاتحاد نص مشروع الدستور المؤقت على (ان يقسم اعضاء الجمعية ورئيس الدولة اليمين على السعي لتحقيق الوحدة العربية)[٥٥] .

وافق مجلس الوزراء على هذه المشروع وتقدم بة الى الجمعية التأسيسية إلا ان الكثيرين من اعضائها ثاروا علية وبدوا يعقدون الاجتماعات لتوحيد الصفوف ضده وكان هولاء من غير المنتسبين لأي حزب ، بحيث دعوا فيما بعد بالحياديين وكان معظمهم من نواب الاقضية ومن الذين كانوا فيما سبق منتسبين الحزب الوطني وكان الى جانب هذه الكتلة جماعة من النواب الذين تربطهم باركان الجيش صلات وثيقة واستطاعت هذه المعارضة ان تحمل نواب حزب الشعب على الدخول معهم في مفاوضات ومباحثات ادت الى تعديل المشروع بحيث تحددت مهلة منح الحكومة سلطة التشريع بثلاثة اشهر[٥٦]. قدم الاتاسي استقالته الى الجمعية التأسيسية بعد ان طلبت الحكومة من الجمعية قبول المشروع وطلب الكيخيا رئيس الجمعية التأسيسية من الاتاسي القيام بإعمال الوزارة ريثما يتم قبول الاستقالة[٥٧].

اقرت الجمعية التأسيسية الدستور المؤقت بموافقة ٧٢ نائبا ومعارضة ٣٢[٥٨]. وطرحت موضوع انتخاب رئيس الجمهورية للتصويت نال هاشم الاتاسي اغلبية الاصوات ولم يبقى امام الاتاسي الى اداء يمين القسم[٥٩] . تكلم رئيس الجمعية الكيخيا قائلا (انه يعتبر فخامة الرئيس السيد هاشم الاتاسي رئيسا مؤقتا للدولة السورية وإنني ارفع لفخامته التهاني باسم المجلس كما ارجو لعهده السعيد والفلاح وهو الذي كان منذ عهد المغفور له جلالة فيصل الاول يجاهد في سبيل تحقيق الاستقلال لامته وأعلن فور انتهاء الجلسة سأتوجه الى داره يرافقني اعضاء المكتب لحمل هذه النتيجة الى فخامته وتهنئة باسم المجلس الكريم) [٦٠] . وعلى اثره قدم هاشم الاتاسي استقالة حكومته ، وانتخبته الجمعية رئيسا للدولة بموجب الدستور المؤقت [٦١].

يذكر معروف الدواليبي في مذكرته بان الجيش كان يتدخل في كل شي وان حزب الشعب الذي له اغلبة البرلمانية واقف امام الجيش وقد طلب ناظم القدسي وأعضاء الحزب الشعب بان اكون انا رئيس الوزراء فاعتذرت ولكن اصروا علي وقالوا (انت الواقف امام الجيش) قلت لهم (الظروف غير مساعدة فقد كان قبلي ناظم القدسي وجاء بفوزي سلو وزيرا للدفاع فأحدث ذلك غضب في صفوفنا لإدخال العسكريين في الحكومة) ولما اصر اعضاء الحزب علي بتأليف الوزارة قلت (لا يمكن تأليف وزارة بعيدة عن الجيش ، فكما تغاضيتم عن وزارة القدسي دعوني الان عالج الموقف بإدخال عسكري معي الى الوزارة قالوا (لا يجوز تدخل عسكريا) كما قال القدسي (انت خائف) قلت له (لست خائفا ولكني واقعي) وتم تأليف وزارة دون عسكري مما ادى الى سقوط الوزارة بعد عدة ساعات من تأليفها [٦٢].

خلاف بين اعضاء حزب الشعب على شكل الحكم:

وقع خلاف بين زعماء حزب الشعب حول كيفية التعامل مع الجيش فمنهم من رأى استمرار الجمعية التأسيسية في وضع الدستور الجديد مثل شاكر العاص وعبد الوهاب حومد ومعروف الدوليبي ومنهم من رأى المقاطعة لإحراج الجيش وعلى رأسهم كان رئيس حزب الشعب رشدي الكيخيا ، بينما كان البعض مثل ناظم القدسي مترددا بين الطرفين[٦٣] . طلب الشيشكلي من خالد العظم تشكيل حكومة وان الجيش سيقوم بدعمه فيما وافق الاتاسي تكليف العظم تشكيل الوزارة وقد ابلغ الاتاسي العظم ان الشرط الاساسي لتشكيل الحكومة ان

لا يجعل الاتحاد هدفا رئيسي لتشكيل حكومته وإثناء اتصالات العظم لتأليف الحكومة الجديدة وجد صعوبات تعترض طريقة بسبب مواقف حزب الشعب وخاصة الكيخيا الذي كان غاضبا بسبب اعتقال الحناوي ورفاقه ولم يرغب في ان يتولى العظم رئاسة الوزراء بسبب معارضته لمشروع الاتحاد بين سورية والعراق ففشل العظم في تأليف حكومته[٦٤]. وبعد ذلك تم تكليف ناظم القدسي تشكيل الوزارة على النحو الاتي القدسي لوزارة الخارجية ، فيضي الاتاسي للدفاع والاقتصاد ، زكي الخطيب للعدل هاني السباعي للمعارف احمد قنبر للداخلية محمد المبارك للإشعال العامة شاكر العاص للمالية ومحمود العظم للزراعة وجورج شهلوب للصحة وشكل القدسي لجنة تتألف من ثلاث وزراء امر اعداد البيان الوزاري بينما استعد الوزراء للتوجه الى مكاتبهم لمباشرة اعمالهم ، فجأة وقبل ان ينقضي اربع وعشرين ساعة على تشكيل الوزارة استدعى القدسي في الساعة العاشرة لليلاً الى مكتبة في وزارة الخارجية ثم ابلغ الوزراء انة ذاهب الى القصر الجمهوري لتقديم استقالته وفي الوقت نفسه ارسل نص الاستقالة الى الاذاعة التي بثته وجاء به (فخامة رئيس الدولة العظم اتشرف بان ارفع الى فخامتكم استقالة الحكومة التي اتشرف برئاستها شاكرا باسم زملائي واسمي ثقتكم الغالية بي وبأعضاء وزارتي)[٦٥].

وبرر القدسي استقالته بأنة سمع بان الجيش رفض قيام وزارة يسيطر عليها حزب الشعب الذي فشل في حصول على تأييد الجيش ولم تمس مكانته داخل اروقة البرلمان وبسقوط هذه الوزارة سقط النظام البرلماني وعلية قام الاتاسي بتقديم استقالته احتجاجا على تدخل الاركان[٦٦]. ويذكر عبد اللطيف يونس في مذكراته لقد اخطا رئيس الدولة عندما كلف القدسي تشكيل الوزارة وهو من خارج دمشق وكان ما يزال له اثره وتأثيره ان يكون الرؤساء الثلاثة رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التأسيسي ورئيس الوزراء من خارج دمشق ولا بد ان يكون احدهم من داخل دمشق ولكن اكثر النواب كان من حزب الشعب ومؤيديه وقد اتخذوا قرارا بذلك ورضخ رئيس الجمهورية للقرار علما ان ابن عدنان الاتاسي كان من اقطاب حزب الشعب وله تأثيره قوي على والده [٦٧] .

لم تتجاوب الجمعية التأسيسية الى استقالة الاتاسي وفي جلسة عقدتها الجمعية في ٢٦ كانون الاول نوقشت قضية استقالة الرئيس الاتاسي وبدا رئيس الجمعية الكيخيا المناقشة

بالقول (ان الظرف يستدعي ان يظل فخامته في رئاسة الدولة بالنظر لما يترتب على منصبة الخطير في الظروف التي تمر بيها سورية) واقترح عدد من الاعضاء زيارة الرئيس الاتاسي وإقناعه على أهمية بقائه في منصبة وانتهت المناقشة الى قرار رفض الاستقالة بالإجماع وأعلن رئيس الجمعية الكيخيا انة متوجة الى بيت الرئيس الاتاسي للبلاغة بالقرار[٦٨]. الامر الذي دفع الاتاسي بان يعود ويكلف العظم مرة ثانية بتشكيل الوزارة فشكلها في ٢٧ كانون الاول وتسلم وزارة الخارجية اضافة الى رئاسة الوزارة واسند الدفاع الى اكرم الحوراني ووزارة الداخلية الى احد المستقلين سامي كبارة في حين تسلم حزب الشعب اربع حقائب وزارية ثانوية وتسلم الحزب الوطني وزارة الصحة[٦٩]. وفي ٥ كانون الثاني ١٩٥٠ قدم العظم منهاج وزارته الى المجلس التأسيسي وكان منهاج الوزارة يضم التمسك بالجمهورية دون ان يشير الى ما يدل على انة يهتم بأمر تحقيق وحدة ما مع أي قطر من الاقطار العربية ، او ما يشبه ذلك [٧٠] .

وبعد ان اكمل النواب مناقشة منهاج الوزارة طرحت الوزارة للتصويت وبلغ عدد اعضاء الجمعية ١١٢ حضر منهم ١٠٠ نائب فمنحت الثقة ٩٢ صوتا لصالح الوزارة مقابل ستة اصوات حجبت الثقة[٧١]. إلا ان حزب الشعب لم يقف مكتوف الايدي امام وزارة العظم التي جاءت بالرغم عنة فمضى من خلال اكثريته في المجلس النيابي ليشكل لجنة الثلاثة والثلاثين رجلا الذين ارتبط بهم وضع الدستور وبرزت الجبهة الاسلامية الاشتراكية بقيادة مصطفى السباعي يقود معركة لإعادة الشريعة الاسلامية الى الحياة حيث اوكل الثلاثة والثلاثون نائبا الى تسعة نواب ان يقوموا بصياغة مسودة الدستور وكان مصطفى السباعي احدهم وكان نائبا رئيس المجلس النيابي ، وامسك حزب الشعب العصا من الوسط فلم يرفض الاسلام بتاتا ولكنة ابعده عمليا عن التشريع اذ اقر الدستور مادتين فقط هما:

١-دين الدولة الاسلام

٢-الفقه الاسلامي مصدر رئيسي من مصادر التشريع

وأمام الاغلبية اقرت اللجنة هذه الصيغة إلا ان مادة الاولى من جعل الاسلام دين الدولة اثارت حرب بين الطوائف وقد قدم الحوراني استقالته من وزارة الدفاع وأعلن اعتراضه على المادة الخامسة عشر من مادة الدستور الجديد على الاقل وأنة لم يأخذ رأي الحكومة

بالدستور ، لقد كانت قضية ابعاد الاسلام عن الساحة السياسية من اهم القضايا التي تشغل الحوراني وكوادر حزبه الذين اعلنوا رفضهم الى المادة الخامسة عشر ،وكان اغلب حزبه من النصرانيين والدروز والفلاحين ومن اهم بنود هذا الاعلان اخماد الطائفة الدينية وتحرير المرأة ومن اجل ذلك كان يرفض الاستمرار[٧٢]. الامر الذي ادى الى استدعاء كل من الكيخيا والقدسي من حلب حيث كانا يحاولان اعادة تنظيم حزب الشعب بعد ان اصبح الحزب الوطني اكثر تواجد وتأثير في حلب وعندما وصلا الى دمشق عقدوا اجتماعا في القصر الجمهوري حضر اربعة وزراء وبحثوا الموقف على ضوء التطورات التي ادت الى استقالة الحوراني والى وجود العظم في الجبهة الوزارية واعتقدت الاوساط السياسية بان الحكومة قد انتهت ولابد الخروج من الازمة بتشكيل حكومة حزبية من احدى الفئتين القويتين في الجمعية التأسيسية تتحمل وحدها المسؤولية دون الحاجة الى خليط المتباين من رجال السياسة الذين يؤلفون الحكومة [٧٣]. في ١٧ ايار ١٩٥٠ قدم العظم استقالته [٧٤] .

وزارة حزب الشعب ٤ حزيران ١٩٥٠:

كان حزب الشعب مدركا تماما ان بقاءه في السلطة مرتبط بتعاونه مع الشيشكلي وبالتالي فان على الحكومة ان تعتمد سياسة خارجية متلائمة مع توجهات القادة الضباط وقد ظهر جليا ان من الممكن ان يؤدي التناغم بين مصالح الشعب ومصالح الجيش الى ضمان سلامة البلاد وأمنها الداخلي[٧٥].عقد حزب الشعب اجتماع طويلا استعرض فيه الازمة الوزارية والصعوبات القائمة التي تحول دون تأليف الوزارة وبعد مناقشات اتخذ عدة قرارات ، اهمها تفويض القدسي تفويضا مطلقا لانتهاج الخطة التي يراها مناسبة للخروج بالأزمة اما بقية الاحزاب فقط وافقت على تشكيل الحكومة ولكن بشروط ترى الاوساط المطلقة بأنة يمكن التفاهم عليها [٧٦].

وفي ٤ حزيران ١٩٥٠ كلف حزب الشعب القدسي باستطلاع موقف الكتل السياسية من تأليف وزارة وتبين له ان الكتل البرلمانية اتفقت على وجوب حل الازمة وتأليف الوزارة في اقرب وقت كما تبين له وجود خلافات بين هذه الكتل يدور معظمها حول شكل الوزارة وان بالإمكان ايجاد حلول لها ، وقد عقد اجتماع في دار الرئاسة حضره رئيس الجمعية التأسيسية الكيخيا وممثلين عن حزب الشعب وبقية الاحزاب وممثلين الكتل المستقلة وتم

الاتفاق في الاجتماع على تشكل الوزارة وبعد انتهاء الاجتماع توجه القدسي الى هاشم الاتاسي رئيس الدولة في مكتبة بالقصر الجمهوري وعهد الية تأليف الوزارة فقبل القدسي المهمة[٧٧] .

ادلى القدسي بتصريح قبل تشكيل الوزارة جاء فيه (كلفني فخامة رئيس الجمهورية بتأليف الوزارة فاشترطت ان تكون الوزارة مؤقتة وانتقالية ريثما يتم وضع دستور للبلاد وعلى الوزارة يجب ان تحصر عملها في تصريف الشؤون الادارية وألا تبت في المسائل السياسة إلا ما كان غير قابل للتأجيل منها، في الوقت ذاته لا يمكن الاقدام على اصلاحات اساسية في الوضع الحكومي لان مثل هذا الاصلاحات تحتاج الى وجود دستور قائم والى وقت يمكن الحكومة من دراسة مشروعات الاصلاح ووسائل تنفيذها والى مجلس متفرغ للتشريع في سبيل هذه الاصلاحات وتنفيذها) وأكمل القدسي تصريح (وان الجمعية التأسيسية كما نعلم انتخبت للهدف الاساسي وهو ايجاد دستور شرعي ولا اظن من المستحسن ادخالها بأمور تشريعية تعيق مهمتها الاساسية او تؤخر هدفها)، شكل القدسي وزارته في ٤ حزيران ١٩٥٠ على النحو الاتي القدسي رئيس الوزراء والخارجية رشاد برمدا للداخلية فوزي سلو للدفاع شاكر العاصى للاقتصاد والزراعة زكي الخطيب للعدل حسن جبارة للمالية جورج شهلوب للإشغال فرحان الجندي للمعارف والصحة، وبذلك سيطر حزب الشعب على الوزارة لان رئيسها القدسي هو رئيس للجنة التنفيذية للحزب ووزرائها هم نواب الحزب [٧٨] .

(٦ حزيران ١٩٥٠) عقدت الجمعية التأسيسية اجتماعها فالقى القدسي البيان الوزاري جاء فيه (السادة الاعضاء المحترمين انكم تعرفون أي ظروف تمر بها البلاد وأية مسؤوليات تواجهها الجمعية التأسيسية والحكومية ، فالواجب يقتضيه من الجميع ان تهيئ الجو الصافي لنشر الطمأنينة في النفوس وثقة في القلوب كي تمضي جمعيتكم الموقرة في وضع دستور للبلاد الذي يتوقف على انجازه تحقيق الاستقرار وتامين الاصلاح في مختلف المرافق وميادين النشاط الحيوي للامه فالوطن في اشد الحاجة الى اصلاح شامل ويتطلب الكثير من الجهد والوقت لإصدار القوانين وإصدار برنامج لحل الازمة وتنفيذها والضرورة تقتضي بان تكرس الجمعية التأسيسية جهدها لانجاز الدستور ، لذلك الحكومة ترغب ان لا تتقدم اليكم خلال هذا الفترة التي ترجوا ان يكون سرعة بالانجاز بما تفرضه الضرورة الملحة من مشاريع القوانين التي تطلبها المصلحة العمومية ان لا تطول من الوقت لانجاز ألدستور والحكومة تقوم بجميع واجباتها وتتحمل مسؤولياتها وتحسم في ما يواجهها من الامور طبق ما تفرضه هذه المرحلة الدقيقة من يقظة وحزم ، وستولى عنايتها حماية ثروة البلاد وتنظيم قواعد الاستيراد والتصدير بما يتفق مع مصلحتها وحاجاتها وان لا تتخذ هذه الحكومة من وجودها في الحكم وسيلة للدعاية لشخص او فئة وإنما

تضع مصلحة الوطن العليا فوق الجميع وتعتمد على نهجا قويا تدعوا الى السير فيه كل من يضع مصلحة الشعب فوق كل مصلحة وفي السياسة الخارجية ستعالج الحكومة شؤون البلاد بما يضمن مصلحة سورية ومصلحة البلاد العربية وستكون الحكومة في علاقاتها مع الاقطار العربية الشقيقة داعية الى الوحدة، والحكومة ان تتقدم بهذا البيان الموجز المجرد من الوعود التي لا تسمح بها طبيعة هذا المرحلة الانتقالية تطلب ثقة جمعيتكم الكريمة ترجوا الله ان يوفقها بالتعاون معكم تعاون مخلصا وصادقا)[٧٩] .

طلب القدسي مناقشة البيان الوزاري ولكن الاكثرية من اعضاء المجلس طلب تأجيل المناقشة الى جلسة ثانية ثم عقدت جمعية جلستها المخصصة لمناقشة البيان الوزاري وكان عدد الغائبين ١٧ نائبا من اصل ١٠٤ نواب وحدث خلاف داخل الجلسة وانقسم الاعضاء بين مؤيد تشكيل حكومة من حزب الشعب وبين رافض على تشكيلها من الحزب فقد قال منير العجلاني (ان الوزارة الحزبية افضل من غير الحزبية ولكن هذه الوزارة وان كانت من حزب الشعب فأنها لا تحمل من مبادئ حزب الشعب شيئا)، بعد ذلك توقفت الجلسة ثم افتتحت من جديد والقى رئيس الوزراء كلمة جاء فيها (لقد جئنا لنضع دستورا للبلاد بعد انقلاب عسكري واني لا اريد ان ابرر ما اذا كان الجو حرا او غير حر ولكنني اقول بأنه جو وطني فالأبحاث في مثل هذه الامور لا تجدي فتيلا والذي يفيد البلاد هو ان تحقق الاستقرار وان ماضي يثبت انني لم اشتغل في جو غير حر وبودي ان ندرك حقيقة ان وضع الدستور كان ثمرة انقلاب عسكري وان الحكومة التي تألفت بعد الانقلاب الثاني تألفت بمرسوم عسكري فهل تعتبرون ذلك تدخلا ، اناشدكم مخلصا العمل على وضع الدستور وعندما تفرغون منة يصبح لكل حادث حديث) وطلب عدد من النواب اقفال الحديث فوافق المجلس على ذلك [٨٠]. حازت وزارته على ٨٧ نائبا ومعارضة اثنين واعتراض سبعة والباقي لم يأتوا الى الجلسة ولقد صوت الحزب العربي الاشتراكي وبقية الاحزاب اعطائه الثقة اما نواب الحزب الوطني فقد صوتوا ضده لان وزارته كانت في معظمها من حزب الشعب اذ كان فيها خمسة وزراء منة وزيران مستقلان ووزير الدفاع فوزي سلو الذي وضعة القدسي تحت ضغط الشيشكلي[٨١]. وأصبح حزب الشعب الذي كان ذا سلطة بلا سلطة تماما ولقد عقد القدسي هدنة مع اركان الجيش وتجنب بذلك عداوة الجيش المباشرة ، [٨٢] .

استمرت الجمعية التأسيسية مناقشة مواد الدستور المقترح من اللجنة التي تشكلت من ناظم القدسي احد زعماء حزب الشعب وعلى اثر مناقشات النواب حاول البعض تمديد العمل بالدستور السابق كما دار النقاش حول القوانين والمواد خلال الفترة الواقعة بين الانقلابات الثلاثة اذ اكدت

الاحزاب المؤتلفة تمسكها بالدستور القديم ووضعه الشرعي ، وأصدرت بيانا شجبت به الدستور الجديد وهاجمت الجمعية الوزارة القائمة وحزب الشعب ،وخرج الدستور بصيغته النهائية احتوت الوثيقة الاصلية على ١٧٧ مادة ثم قللت مواده الى ١٦٦ اثناء اقراره إلا انة كان له معارضين كما كان له مؤيدين وكان هدف المعارضين للدستور الجديد العودة الى نفوذهم وأيام عزهم خلال العصر الذهبي الذي كانوا يحكمون فيه سورية في عهد القوتلي وكان المؤيدون للدستور الجديد يشكلون اغلبية اعضاء الجمعية وممثليهم وكان على رأسهم حزب الشعب الذين جاء الدستور بخط ايديهم فطالبوا بتحويل الجمعية التأسيسية الى مجلس نواب رغبة منهم في البقاء في المناصب النيابية والمحافظة على نفوذهم فيه(٨٣) .

شكل المعارضون جبهة شملت اعضاء الحزب الوطني ومؤيدوه الذين كانوا اكثر خصوم الجمعية وكذلك الحزب التعاوني الاشتراكي والكتلة الجمهورية التي اتهمت حزب الشعب بأنه يسعى لقلب الجمعية الى المجلس لكونه يشكل اكثرية الاعضاء فيها والذي خرج الدستور خدمة لمصالحة ولم يكتف بذلك وإنما اخذ يسعى الى قلب الجمعية الى مجلس نواب ومن اجل الوصول الى نوع من التسوية كان هنالك تدبير واحد هو قلب الجمعية الى مجلس نواب يبقى فترة محدودة لا تزيد عن عام إلا ان هذا لم يتم(٨٤). وفي ٢٤ اب دعت الاحزاب المؤتلفة للقيام بمظاهرات لإحداث الشغب والمشاكل للحكومة واحتجاجا على الدستور الجديد إلا ان المظاهرات فشلت لقلة عدد المتظاهرين ومنعهم من قبل الشرطة السورية من الوصول الى القصر الجمهوري(٨٥). اقرت الجمعية التأسيسية الدستور وحولت نفسها الى مجلس نيابي وانتخاب هاشم الاتاسي رئيسا للجمهورية فضلا عن انتخاب رشدي الكيخيا زعيم لحزب الشعب رئيسا للمجلس النيابي(٨٦) .

(٢٧ اب عام ١٩٥٠) اصدرت وزارة القدسي عفو عام نص على ما يلي يمنح عفو عام عن جميع الافعال التي ارتكبت بدوافع سياسية او على حقوق سياسية عامة او فردية منذ تاريخ ٣٠ اذار عام ١٩٤٩ حتى نهاية ٣١ كانون الاول ١٩٤٩ ويشمل هذا العفو ما ارتكب مع الجرائم السابقة من اعمال سواء كانت هذه الاعمال تشكل جرائم مستقلة او مركبة او ملازمه كما يشمل الجرائم المرتكب من عسكريين في المدة المذكورة وأعطى القانون مجلس الوزراء حق تسريح الموقوفين ممن يشملهم هذا العفو وله ايضا اعطاء الموقوفين ممن يشملهم هذا العفو تعويضا مقطوعا على ان لا يتجاوز مبلغ عشرة ألاف ليرة سورية لكل منهم شمل هذا العفو اللواء سامي الحناوي ورفاقه الموقوفين معه ، وفي ٧ ايلول ١٩٥٠ أي قبل استقالة القدسي بيوم واحد اطلق سراحهم ورافقتهم قوة من الشرطة العسكرية الى الحدود السورية اللبنانية وأخرجتهم من البلاد

وأعطيت تعليمات مشددة عممت على جميع المخافر الحدودية بمنعهم من دخول البلاد وإلقاء القبض عليهم اذا ما حاولوا ذلك وفي ٨ ايلول قدم القدسي استقالة وزارته [٨٧] .

الهوامش:

١- ناظم القدسي: مواليد حلب شارك الزعماء السياسيون في مؤتمر حمص الذي دعا الية هاشم الاتاسي لوضع النظام الاساسي للكتلة الوطنية الدستور وحين تم وضع استراتيجة الكتلة وفي عام ١٩٤٠ شكل مع الكيخيا جناحا ضمن الكتلة ، انتخب نائبا عن قضاء حلب للمرة الثالثة ،يحيى سليمان قسام ، موسوعة سورية البنية والبناة المجلد الاول رئاسة الدولة ٢٠٠٥ - ١٩١٨، ط١ ، ج١ ، (دمشق - دار المجد للطباعة والنشر ،٢٠٠٧) ،ص٣٠٣- ٣٠٤ .

٢ - رشدي الكيخيا : ولد بحلب عمل في صفوف الكتلة الوطنية منذ تشكيلها عام ١٩٢٧ اعلن انفصالة عنها عام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ عندما تعثرت المفاوضات مع فرنسا ورفضت التصديق على المعاهدة عام ١٩٤٨ اسس حزب الشعب وظل رئيسة حتى حلت الاحزاب وغادر سورية . عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسية ، ط١ ، ج ٢، (بيروت ،المؤسسة العربية للدراسة ولنشر ، ١٩٩٣) ، ص ٨١٧ .

٣ - نجاح محمد ، الحركة القومية العربية في سورية من خلال تاريخ تنظيماتها السياسية ، ط١ ، ج ١ ،(دمشق ، دار البحث ، ١٩٨٧)، ص١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ .

٤ - هاني السباعي : ولد في حمص ، اصبح وزير المعارف في حكومة خالد العظم الاولى والثانية ثم انتخب نائبا عن حمص عام ١٩٤٣ ، انتخب نائبا عن حمص مرة الرابعة عام ١٩٥٤ ثم انتسب الى الكتلة حزب الشعب البرلمانية . يحيى سليمان قسام ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

٥ - عدنان الاتاسي ولد في حمص وهو ابن هاشم الاتاسي في عام ١٩٣٨ عين قنصل مساعدا ثم انتخب نائبا عن حمص في البرلمان السوري عام ١٩٤٣ ورئيسا للجنة الشؤون الخارجية ثم عين وزير مفوض في فرنسا عام ١٩٤٥ ثم اصبح وزير العدلية والإشغال العامة . جورج فارس ، من هو في سورية ١٩٤٩ ،(دمشق ، المطبعة الاهلية ،١٩٤٩) ص٢٩- ٣ .

٦- على بوظو: ولد بدمشق كان احد المؤسسين لحزب الشعب حيث انتخب عضوا في المكتب التنفيذي للحزب في مؤتمر ولادة الحزب وتولى الجريدة التي اصدرها الحزب باسمة انتخب نائبا عن دمشق في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩ اصبح وزير الزراعة في وزارة ناظم القدسي وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة اختير نائبا في مجلس الامة لس . عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٨٤ .

٧ – نسب البكري ولد في دمشق ، ثم عين مستشار خاصا لفيصل انشأ الحزب الوطني في اواخر حكم الفيصلي بعد مغادرة فيصل كان احد المرشحين لعرش سورية ثم انتخب نائبا عن دمشق عام ١٩٣٢ ثم تولى وزارة العدل حتى عام ١٩٣٩ ، ثم اعيد انتخابة نائبا عن دمشق عام١٩٤٣ ١٩٤٩ ثم اصبح من المؤسسين لحزب الشعب عام ١٩٤٨ ، عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٥٨١ .

٨ – معروف الدواليبي: شكل في حلب بقيادة جميل ابراهيم باشا الحرس الوطني وكان تابعا للكتلة الوطنية ثم عمل بالمحاماة في دمشق واصبح عضو في الكتلة الوطنية عام ١٩٣٧ ثم اصبح وزير الاقتصاد في وزارة خالد العظم ، شكل وزارتة وبعد الانقلاب الشيشكلي قدم استقالتة ، عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٤.

٩– شمس الدين الكيلاني ، تحولات في مواقف النخب السورية ولبنان (١٩٢٠ – ٢٠١١) ، ط١ ، (بيروت المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ، ٢٠١٢)، ص١٧٤.

١٠– عبد الجبار حسن الجبوري ، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر السوري من اواخر القرن التاسع عشر الى سنة ١٩٥٨ ، ط١ ، (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠) ، ص ٢٣٥ – ٢٥٦ – ٢٥٧ .

١١ – محمد حرب فرزات ، الحياة الحزبية في سوريا دراسة تاريخية لنشوء الاحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٨٠ – ١٩٥٥ ، ط ١ ، (د. م ، منشورات دار الرواد ، ١٩٥٥) ، ٢٢٥ .

١٣ – جميل مردم : ولد في دمشق انتخب امنيا عاما لة وبعدها سافر الى امريكا الجنوبية ١٩١٩ عاد الى دمشق ثم عين مستشارا في وزارة الخارجية في حكومة هاشم الاتاسي ، ثم شكل عدة وزارات اخرها عام ١٩٤٨ ثم قدم استقالة وزارتة وغادر سورية الى مصر، يحيى سليمان قسام ،المصدر السابق ، ص٥٤ – ٦٢ .

١٤ – شكري القوتلي: ولد في دمشق كلفة الملك فيصل بتشكيل ولاية دمشق ثم سافر الى مصر ثم اوربا وغادر سورية اثناء الثورة السورية عام ١٩٣٥ الى مصر والحجاز ثم عاد الى دمشق بعد صدور العفو شارك في الكتلة الوطنية ، ثم انتخب نائبا عن دمشق عام ١٩٣٦ ثم تولى بعدها في اول حكومة وزارتي المالية والدفاع ثم انتخب رئيس الجمهورية ، عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٤٨٨ .

١٥– اكرم الحوراني ، مذكرات اكرم الحوراني ، ط ١ ، ج١، (القاهرة ، الناشر مكتبة مدبولى ، ٢٠٠٠) ، ص٨٠٩ –٨١٢–٨١٣ – ٨١٦ .

١٦ – هاشم عثمان ،الاحزاب السياسية في سورية السرية والعلنية ، ط١ ،(بيروت ،رياض الريس للكتب والنشر ، ٢٠٠١) ، ص٣٢٢ – ٣٢٣ .

١٧ – هاشم الاتاسي :عين قائماما عام ١٨٩٧ –١٩١٣ ، كان عضوا في المؤتمر عام ١٩٢٠ شكل الوزارة السورية في عهد الملك فيصل الاول ،ثم انتخب رئيسا لجمهورية السورية عام ١٩٣٦ وبقى منصبة حتى عام ١٩٣٩ ، خير الدين الزركلي ، اعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١٧ ، ج٨ ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٧)، ص ٦٥ .

١٨ – امل مخائيل بشور ، دراسة في تاريخ السياسي ألمعاصر(توزيع جروس برس)، ص١٢٤ – ١٢٥ .

١٩ – خالد العظم ولد في حماة تلقى علومه الابتدائية والثانوية في الجامعة الفرنسية في بيروت ونال شهادة الليسانس لم يعمل الا في اشغالة الخاصة دخل المعترك السياسي اذ خاض الانتخابات النيابية وفاز بتمثيل حماة في المجلس السوري عام ١٩٤٧ ، عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

٢٠ – نجاح محمد ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

٢١ – جريدة القبس السورية ، ١٨ كانون الاول ١٩٤٨ ، ٣٧٣٩ .

٢٢ – وائل عدنان محمد الحسيني ، خالد العظم سيرته ودوره في السياسة السورية ١٩٠٣ – ١٩٦٥ ، ط١ ، (دمشق ،امل الجديدة للنشر ، ٢٠١٥) ، ص ١٠٠ .

٢٣ – امل مخائيل بشور ، المصدر السابق ، ص١٢٦ .

٢٤ – نجاح محمد ، المصدر السابق ، ص١٧١.

٢٥ – اكرم الحوراني ، المصدر السابق ، ص٨٢٩ – ٨٣٠ .

٢٦ – حسني الزعيم : عين ضابطا في الجيش العثماني قام بالانقلاب في ٣٠ اذار ١٩٤٩ الف وزارة ودعا انتخابه رئيسا للجمهورية فانتخبه الناس خوفا في ٢٦ حزيران ١٩٤٩ ثم حوصر منزلة واعتقل مع رئيس وزرائه محسن البرازي بتهمة الخيانة ، يحيى سيلمان قسام، المصدر السابق ،ص١٩٥ – ١٩٦ .

٢٧– وائل عدنان محمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص١٠٥.

٢٨ – سامي الحناوي : ولد في ادلب ١٩١٦ ايد انقلاب حسني الزعيم فجعله زعيما وقائد الواء الاول استغل نقمة اعضاء حزب القومي السوري في الجيش على حسني الزعيم لتسليمه انطون سعادة الى لبنان فقام انقلاب علية ، بعد ذلك انتفض علية اديب الشيشكلي بسبب موضوع الاتحاد مع العراق : يحيى سليمان قسام ، المصدر السابق ، ص٢١٥.

٢٩ – بشير زين العابدين ، الجيش والسياسة في سورية (١٩١٨ _ ٢٠٠٠) دراسة نقدية ، ط١ ، (دمشق ، دار الجابية ، ٢٠٠٨)، ص١٧٥.

٣٠ – فارس الخوري : تعلم بالمدرسة الاميركية استقر في دمشق انتخب نائب عن دمشق في مجلس ثم احترف المحاماة ثم انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي ، ثم عين وزيرا للمالية السورية وفي عام ١٩٣٦ انتخب رئيسا لمجلس النواب توفي في دمشق عام ١٩٦٢ ، عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ص٤٤٥ – ٤٤٦.

٣١ – هاشم عثمان ، تاريخ سورية الحديث ، ط١ ، (دمشق ، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠١٢) ص٢١٧ – ٢١٨.

٣٢ – غسان محمد رشاد حداد ، اوراق شامية من تاريخ سورية المعاصر ١٩٤٦ – ١٩٦٦ ، ط١، (القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ٢٠٠٧)، ص ٤٧ .

٣٣ – سيد عبد العال ، الانقلابات العسكرية في سوريا ١٩٤٥ – ١٩٥٤، ت عاصم الدسوقي ، ط١، (القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ٢٠٠٧) ، ص ١١٠ .

٣٤ – ميشيل عفلق اسس جريدة لحزب البعث التي اصبحت ناطقة باسم الحزب ثم انتخب رئيسا الحزب وفي ١٩٤٨ شارك بالحرب فلسطين وعنده عودته الى دمشق قام بنشاط وطني والقي القبض علية من قبل القوتلي وفي عام ١٩٥٠ سافر الى البرازيل ثم بعد سنتين عاد الى دمشق وبعد اعلان الوحدة مع مصر. ينظر : الدار العربية للوثائق ، ملفات العالم العربي ، بيروت ، وزارة الاعلام ، مركز التوثيق الاعلامي ، جمهورية العراق اس –١ \ ١٩٠٧ .

٣٥ – جريدة اليقظة ، العدد ١–٦ ، ١٧ اب ١٩٤٩ .

٣٦– اديب الشيشكلي ولد عام ١٩٩٠ –١٩٦٤ في حماة وتخرج من المدرسة الزراعة ثم من المدرسة الحربية في دمشق شارك بالانقلاب حسني الزعيم ثم قاد انقلاب الثالث ولكن فشل سافر الى لبنان ثم السعودية . عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ص٦٠٠.

٣٧ – منير الغضبان ، سورية في القرن ، ط١ ، ٢٠١٢ص١١٤ – ١١٥ .

٣٨ – باتريك سيل ، الصراع على سورية دراسة للسياية العربية بعد الحرب ١٩٤٥ – ١٩٥٨ ، ت سميرة عبدة – محمود فلاحة ، ط ١ ،(دمشق ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،١٩٨٦)، ص١٠٧ .

٣٩ – اكرم الحوراني ولد في سورية اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق ثم انتخب نائبا بعد ذلك شارك بالانقلاب العسكري الثلاثة الى جرت عام ١٩٤٩ اصبح نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة بعد قيام الوحدة عام ١٩٥٨ استقال نهاية عام ١٩٥٩ ، عبد الوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣.

٤٠ – شمس الدين الكيلاني ، المصدر السابق، ص١٩١ .

٤١- خالد العظم ، مذكرات خالد العظم ، ط ٢ ، ج ٢ ، (بيروت ، الدار المتحدة للنشر ،١٩٧٣) ، ص٢١٩- ٢٢٠.

٤٢ – خيرية قاسمية ، الرعيل العربي الاول حياة وأوراق نبية وعادل العظمة ،ط١، (دمشق ، رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩١) ص١٤٠- ١٤٢ .

٤٣ – العالم العربي ، العدد ٦٨٥٨، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

٤٤ – اسامة رفعت حسن البياتي ، هاشم الاتاسي ودوره السياسي في سورية ١٨٨٧ – ١٩٦٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن ألرشد جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ . ص١٨٢

٤٥ – باتريك سيل ، المصدر السابق ، ص١١٧ .

٤٦ – عبد الله حنا ، صفحات من تاريخ الاحزاب السياسية في سورية القران العشرين وأجواؤها الاجتماعية ، ط١ ،(بيروت ، المركز العربي للابحاث ودارسة السياسات ، ٢٠١٨) ،ص ١٣٨.

٤٧ – خالد العظم ، المصدر السابق، ص٢١١ -٢١٢.

٤٨ – العالم العربي ، العدد ٦٨٦٤ ، ٩ ايلول ١٩٤٩ .

٤٩ –فؤاد مطر ، عسكر سوريا واحزابها ، ت رياض نجيب الريس ، ط١ ، (بيروت ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٩)، ص١٦١ – ١٦٢ .

٥٠ – نجاح محمد ، المصدر السابق ، ص٢٠٩ – ٢١٠ .

٥١ – جريدة الشعب (دمشق) ، العدد ١١- ٦٢ ، ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

٥٢ – محمد جعفر فاضل الحيالي ، العلاقات بين سوريا والعراق ١٩٤٥ – ١٩٥٨ دراسة في العمل السياسي القومي المشترك ، ط١ ، (بيرت ، مركز درسات الوحدة العربية ، ٢٠٠١) ، ص١٥٩.

٥٣- خالد العظم ، المصدر السابق ، ص ٢١٦.

٥٤ – اكرم الحوراني ، المصدر السابق ، ص١٠٩٣ .

٥٥ – محمد جعفر فاضل الحيالي ،ص٢٩٧ – ٢٩٨.

٥٦ – خالد العظم ، المصدر السابق ، ص٢٢٢- ٢٢٣ .

٥٧ – جريدة الانقاذ (العراقية) ، العدد ٦٩٩ ، ١٥ كانون الاول ١٩٤٩.

٥٨ – خالد العظم ، المصدر السابق ، ص٢٢٣.

٥٩ – سيد عبد العال ، المصدر السابق ، ط١ ، ص ١١١ .

٦٠ – نصوح بابيل ، الصحافة والسياسة سورية في القرن العشرين ، ط٢ ،(بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ،٢٠٠١)، ص٤٤٥ .

٦١ – منير الغضبان ، المصدر السابق ص١١٨ – ١١٩ .

٦٢ – معروف الدواليبي ، مذكرات ، اعداد عبد القدوس ابو صالح ، ت محمد علي الهاشمي ، ط١ ، (الرياض ،مكتبة العبيكان ، ٢٠٠٥) ، ص١٣٥– ١٣٦.
٦٣ – بشير زين العابدين ، المصدر السابق ، ص١٩٠.
٦٤ – محمد جعفر فاضل الحيالي ، المصدر السابق ، ص١٦٤.
٦٥ – جريدة اليقظة (بغداد) ، العدد ٧٠٦ ، ٢٧ كانون الاول ١٩٤٩ .
٦٦ – امل مخائيل، المصدر السابق ، ص١٧٧ .
٦٧ – عبد اللطيف يونس ، مذكرات ، ط٢ ، ج٢، (دمشق ، مطابع مؤسسة الاسكان العسكرية ، ١٩٩٧) ،ص٣١٩.
٦٨ – فؤاد مطر ، المصدر السابق ، ص١٦٨.
٦٩ – نزار كريم جواد الربيعي ، المصدر السابق ، ص١٩٢.
٧٠ – على رضا ، سورية من الاستقلال حتى الوحدة المباركة ١٩٤٦ – ١٩٥٨ ،ط١ ، (حلب ، مطبعة شيك بلوك ١٩٨٣) ص١١٦.
٧١ – وائل عدنان محمد الحسيني ، ص١١١.
٧٢ – منير الغضبان ، المصدر السابق ،ص١٢٢ – ١٢٣.
٧٣ – جريدة القبس (دمشق) ، العدد ١٠٩٥ ، ٣٠ نيسان ١٩٥٠ .
٧٤ – وائل عدنان محمد الحسيني ، المصدر السابق ، ص١١٨.
٧٥ – امل ميخائيل ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .
٧٦ – جريدة النهار (دمشق) ، العدد ٤٥٢١ ، ٣ حزيران ١٩٥٠.
٧٧ – جريدة النهار (دمشق) ، العدد ٤٥٢٢ ، ٤ حزيران ١٩٥٠ .
٧٨ – جريدة الاهرام (مصرية) ، العدد ٢٣٢٣٣ ، ٥ حزيران ١٩٥٠.
٧٩ – جريدة النهار (دمشق) ، العدد ٤٥٢٣ ، ٦ حزيران ١٩٥٠.
٨٠ – نصوح بابيل ، المصدر السابق ،ص ٤٦١ – ٤٦٢ – ٤٦٣.
٨١ – محمد نجاح، المصدر السابق ، ص ٢٣٣.
٨٢ – باتريك سيل، المصدر السابق ، ص ١٣٢.
٨٣ – محمد رشيد عبود الراوي ، التطورات السياسية في سوريا(١٩٤٩– ١٩٥٤) ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٢ –١٧٦.
٨٤ – المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .

٨٥ – د ، ك ،و ، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملف ٢٦٥٢ \ ٣١١ ، ص١ ، كتاب وزارة الخارجية العراقية سري الى رئاسة الديوان الملكي ديوان مجلس الوزراء ، المرقم ش \ ٥٨٠ \ ٥٨٠ \ ١٨٣٤١٨ ، ٢٦ \ ٨ \ ١٩٥٠.

٨٦ – نزار كريم جواد الربيعي ، دراسات في تاريخ سوريا المعاصر ،ط١، (دمشق ، دار امل الجديدة ، ٢٠١٢) ، ص ١٩٤ .

٨٧ – هاشم عثمان ، المصدر السابق ، ص٢٢٩ – ٢٣٠.

المراجع

١- اسامة رفعت حسن البياتي ، هاشم الاتاسي ودوره السياسي في سورية ١٨٨٧– ١٩٦٠، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن الرشد، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ .

٢- اكرم الحوراني ، مذكرات اكرم الحوراني، ط١، ج١، (القاهرة ،الناشر مكتبة مدبولى ،٢٠٠٠)، .

٣- امل مخائيل بشور ، دراسة في تاريخ السياسي ألمعاصر (توزيع جروس برس).

٤- باتريك سيل ، الصراع على سورية دراسة للسياية العربية بعد الحرب ١٩٤٥ – ١٩٥٨ ، ت سميرة عبدة – محمود فلاحة ، ط ١ ،(دمشق ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر – ١٩٨ .

٥- بشير زين العابدين ، الجيش والسياسة في سورية (١٩١٨-٢٠٠٠) دراسة نقدية ، ط١، (لندن ، دار الجابية ، ٢٠٠٨).

٦- جريدة الانقاذ (العراقية) ، العدد ٦٩٩ ، ١٥ كانون الاول ١٩٤٩.

٧- جريدة الاهرام (مصرية) ، العدد ٢٣٢٣٣ ، ٥ حزيران ١٩٥٠.

٨- جريدة الشعب (دمشق) ، العدد ١١– ٦٢ ، ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

٩- جريدة القبس (دمشق) ، العدد ١٠٩٥ ، ٣٠ نيسان ١٩٥٠ .

١٠- جريدة القبس السورية ، ١٨ كانون الاول ١٩٤٨ ، ٣٧٣٩ .

١١- جريدة النهار (دمشق) ، العدد ٤٥٢٢ ، ٤ حزيران ١٩٥٠ .

١٢- جريدة النهار (دمشق) ، العدد ٤٥٢٣ ، ٦ حزيران ١٩٥٠.

١٣- جريدة النهار (دمشق) ، العدد ٤٥٢١ ، ٣ حزيران ١٩٥٠.

١٤- جريدة اليقظة (بغداد) ، العدد ٧٠٦ ، ٢٧ كانون الاول ١٩٤٩ .

١٥- جريدة اليقظة ، العدد ١–٦ ، ١٧ اب ١٩٤٩ .

١٦- جورج فارس ، من هو في سورية، ط١،(دمشق ،المطبعة الاهلية ، ١٩٤٩).

١٧- خالد العظم ، مذكرات خالد العظم، ط٢، ج٢، (بيروت ، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣).

١٨- خير الدين الزركلي ، اعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٧، ج٨ ، (بيروت، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٧) .
١٩- خيرية قاسمية ، الرعيل العربي الاول حياة واوراق نبية وعادل العظمة ،ط١، (دمشق ، رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩١).
٢٠- د، ك، و، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملف ٢٦٥٢ \ ٣١١١ ، ص١ ، كتاب وزارة الخارجية العراقية سري الى رئاسة الديوان الملكي ديوان مجلس الوزراء ، المرقم ش \ ٥٨٠ \ ٥٨٠ \ ١٨٣٤١٨ ، ٢٦ \ ٨ \ ١٩٥٠.
٢١- الدار العربية للوثائق ، ملفات العالم العربي ، بيروت ، وزارة الاعلام ، مركز التوثيق الاعلامي ، جمهورية العراق اس -١ \ ١٩٠٧ .
٢٢- سيد عبد العال، الانقلابات العسكرية في سوريا ١٩٤٥- ١٩٥٤ ، ت: عاصم الدسوقي، ط١، (القاهرة ، مكتبة مدبولى ،٢٠٠٧).
٢٣- شمس الدين الكيلاني ، تحولات في مواقف النخب السورية ولبنان (١٩٢٠ - ٢٠١١) ، ط١، (بيروت ،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢).
٢٤- العالم العربي ، العدد ٦٨٥٨، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٩ .
٢٥- العالم العربي ، العدد ٦٨٦٤ ، ٩ ايلول ١٩٤٩ .
٢٦- عبد الجبار حسن الجبوري ، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر السوري من اواخر القرن التاسع عشر الى سنة ١٩٥٨ ، ط١ ، (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠) .
٢٧- عبد اللطيف يونس ، مذكرات، ط٢، ج٢، (دمشق ، مطابع مؤسسة الاسكان العسكرية، ١٩٩٧).
٢٨- عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية، ج٢، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ،١٩٣٣).
٢٩- عبد الله حنا ، صفحات من تاريخ الاحزاب السياسية في سورية القران العشرين واجواؤها الاجتماعية ، ط١ ،(بيروت، المركز العربي للابحاث ودارسة ألسياسات ٢٠١٨) .
٣٠- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ج٢، (بيروت ،المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، ١٩٩٣).
٣١- على رضا ، سورية من الاستقلال حتى الوحدة المباركة ١٩٤٦ - ١٩٥٨، ط١، (حلب ، مطبعة شيك بلوك ١٩٨٣) .
٣٢- غسان محمد رشاد حداد ، اوراق شامية من تاريخ سورية المعاصر ١٩٤٦ - ١٩٦٦ ، ط١، (القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ٢٠٠٧) .

٣٣- فؤاد مطر ، عسكر سوريا واحزابها، ت: رياض نجيب الريس، ط١، (بيروت ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٩) .
٣٤- محمد جعفر فاضل الحيالي ، العلاقات بين سوريا والعراق ١٩٤٥ – ١٩٥٨ دراسة في العمل السياسي القومي المشترك، ط١، (بيروت، مركز درسات الوحدة العربية- ٢٠٠١) .
٣٥- محمد حرب فرزات ، الحياة الحزبية في سوريا دراسة تاريخية لنشوء الاحزاب السياسية وتطورها بين ١٩٨٠ – ١٩٥٥ ، ط ١ ، (منشورات دار الرواد ، ١٩٥٥) ، ٢٢٥ .
٣٦- محمد رشيد عبود الراوي ، التطورات السياسية في سوريا(١٩٤٩- ١٩٥٤) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ١٩٨٥.
٣٧- معروف الدواليبي ، مذكرات ، اعداد عبد القدوس ابو صالح ، ت محمد علي الهاشمي ، ط١ ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، ٢٠٠٥).
٣٨- منير الغضبان ، سورية في القرن ، ط١ .
٣٩- نجاح محمد ، الحركة القومية العربية في سورية من خلال تاريخ تنظيماتها السياسية ، ط١، ج١، (دمشق ، دار البحث ، ١٩٨٧) .
٤٠- نزار كريم جواد الربيعي ، دراسات في تاريخ سوريا المعاصر، ط١، (دمشق ، دار امل الجديدة ، ٢٠١٢).
٤١- نصوح بابيل، الصحافة والسياسة سورية في القرن العشرين ، ط٢ ،(بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ،٢٠٠١.
٤٢- هاشم عثمان ، تاريخ سورية الحديث ، ط١ ، (دمشق ، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠١٢).
٤٣- هاشم عثمان ،الاحزاب السياسية في سورية السرية والعلنية ، ط١ ،(بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ، ٢٠٠١) .
٤٤- وائل عدنان محمد الحسيني ، خالد العظم سيرته ودوره في السياسة السورية ١٩٠٣ – ١٩٦٥ ، ط١ ، (دمشق، امل الجديدة للنشر ، ٢٠١٥).
٤٥- يحيى سليمان قسام ، موسوعة سورية البنية والبناة المجلد الاول رئاسة الدولة ٢٠٠٥ – ١٩١٨، ط١ ، ج١ ، (دمشق ، دار المجد للطباعة والنشر ،٢٠٠٧) .

المهدي عبد الله مؤسس الدولة الفاطمية

Al-Mahdi Abdullah, founder of the Fatimid state

سالم جاسم راضي

أ . د غنية ياسر كباشي

salem.jassem1105b@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

07708808593

المهدي عبد الله مؤسس الدولة الفاطمية

سالم جاسم راضي
أ . د غنية ياسر كباشي

الدولة الفاطمية

الدولة الفاطمية التي قامت في بلاد المغرب الأدنى وتوسعت إلى المشرق وحتى إلى جنوب أوربا في الأندلس إي إسبانيا والبرتغال وجزر البحر المتوسط وأصبحت دولة مترامية الأطراف بفضل الجهد الذي قام به الخلفاء الفاطميين من نشر مذهب أهل البيت العلوي ، مما حدا بتلك الدولة أن تصبح في أقل من قرنٍ واحد إمبراطورية كبيرة امتدت جذورها إلى أطراف من ممتلكات الخلافة العباسية القائمة في الشرق الإسلامي ، وكان ذلك الانتشار الكبير ناتج عن الدعاية والعمل السري والعسكري والدعوة والتخطيط الذي امتلكه الخلفاء الفاطميين ودعاتهم المخلصين .

The Fatimid state, which was established in the lower Maghreb and expanded to the East and even to southern Europe in Andalusia, that is, Spain, Portugal, and the Mediterranean islands, and became a sprawling state thanks to the efforts made by the Fatimid caliphs to spread the Alawite doctrine, which led that state to become in less than One century, a large empire whose roots extended to the outskirts of the possessions of the Abbasid Caliphate existing in the Islamic East, and that great expansion was the result of propaganda, secret and military work, advocacy and planning possessed by the Fatimid caliphs and their loyal preachers

أولاً : عبد الله المهدي الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية: (ت:٣٢٢هـ/٩٥٥م)

اسمه ونسبه :

[عبد الله المهدي] لم يتفق المؤرخين على تسمية واحدة لمؤسس الخلافة الفاطمية في المغرب عبد الله المهدي[١]، إذ إن الاختلاف ظاهر في المصنفات التاريخية ويأتي في مقدمة المؤرخين في ذكر التسمية ابن حزم والذهبي[٢]،إذ يبينان التسمية بالقول : " إن بني عبيد ، ولاة مصر قد ادعوا في أول أمرهم إلى عبد الله بن جعفر بن محمد هذا فلما لم يصح عندهم

إن عبد الله لم يعقب إلا ابنة واحدة تركوه وانتموا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين " ، و تبعه من المؤرخين الذين يذكرون تسمية خليفة الفاطميين الأول إذ نجد أن الكاتب مراكشي [٣]، يبين لنا اسماً يكاد ينفرد به إذ يقول : " أنه عبيد الله والدة عبد الله بن سالم ابن عبدان الباهلي وأن جده سالم صلبه المهدي العباسي على الزندقة على ما قاله الذين فحصوا عن أمره " ، ثم يدون المؤرخ نفسه اسماً آخر غير الأول ، إذ يقول : " محمد بن إسماعيل بن الحسن بن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن علي الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رضي عنه وعن جميعهم) ... فسرت معه فأدخلني ووجدت ولده عبيد الله "[٤] ، أما المؤرخ ابن حماد[٥]، فهو يلتحق مع الرواة فيذكر اسم الخليفة الفاطمي بروايته ويقول : " عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب (ﷺ) " ولم يكن المؤرخ الدواداري[٦]، بعيد عن الفاطميين وتاريخهم إذ يبدأ بذكر التسمية لمؤسس الخلافة الفاطمية إذ يقول : عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ﷺ) " ثم يدون اسماً أخر بقوله :" هو عبيد الله بن علىّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن ابن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام. [٧]، ولم يكتفي الدواداري[٨] بهذا إذ بين في كتابه كنز الدرر وجامع الغرر ، إن عبيد الله هو " عبيد الله بن التقي ابن الوفي ابن الرضي ... وعبد الله المذكور الملقب بالرضي هو عبد الله بن محمد بن الحسين ، والأصح ابن إسماعيل بن جعفر " ، ويرجح المؤرخ الدواداري[٩] إلى الميل إلى أكثر العلماء في تدوين اسم المهدي الفاطمي ويثبت اسماً جديداً وهو " سعيد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله ".

في حين أن ألـــــــمؤرخ ابن خلكان[١٠]، يبين النسب في اختلاف واضح ، إذ يقول في تسميته : " أبو محمد ... هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بنت موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، ثـم يـكمل في بيان الاسم إذ يقول : " هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور "[١١]، ولم ينتهي التعريف باسم عبد الله الفاطمي فقد بين ابن خلكان[١٢] اسماً آخر هو : "علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

(رضي الله عنه)" ، ثم يذكر اسم جديد هو " عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي ، وهؤلاء الثلاثة هم المستورون في ذات الله والرضي المذكور بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور ، واسم النقي الحسين واسم الرضي أحمد ، واسم الرضي عبد الله " [١٣] ، ويعطي أبو الفداء[١٤]، تسمية أخرى ، إذ يقول : " هو عبيد الله بن حمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب " ، بعدها يذكر تسمية أخرى للمهدي الفاطمي فهو : " سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح بن ميمون بن ديصان"[١٥]، وأما النويري [١٦]، في ما يخص مسألة التسمية فله رأي آخر إذ يقول : " أنه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب " ، ثم ينفي هذه التسمية بدلالة الأنساب فيذكر : " اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبي شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان "[١٧]، ولم يكن العدوي [١٨]، متطابق في روايته مع الآخرين ، إذ يبين اسماً آخر بقوله : " أبو محمد عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب " والمؤرخ ابن الوردي [١٩]، يذكر اسم المهدي الفاطمي ، إذ يقول : " أبو محمد عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب " ، ثم يعطي اسماً آخر وهو " عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) "[٢٠]، ويضيف في الأقوال فيذكر اسماً جديداً هو : "سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح بن ميمون بن ديصان "[٢١].

ويلتحق الصفدي[٢٢]، بالمؤرخين ليبين رأيه في الاسم إذ يذكر المهدي الفاطمي ويقول : " عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب " ، ثم يعطي اسماً آخر هو : " عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور "[٢٣]، إلا أنه يكمل الحديث عن المهدي الفاطمي في مسألة التسمية ليذكر اسماً هو : " علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب "[٢٤]، وما ينقله الدميري[٢٥]، في مسألة الاسم تكون

غريبة بعض الشيء ، إذ يذكر نسباً علوياً إلى المهدي الفاطمي فهو :" عبيد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)" ، أما ابن خلدون[٢٦]، فيذكر عبيد الله الفاطمي بقوله : " عبيد الله المهدي محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق" ، ويذكر بعدهم القلقشندي[٢٧]، اسماً وهو : " سعيد بن أحمد القداح بن ميمون بن ديصان وقيل سعيد بن الحسين بن محمد " ، وللذهبي[٢٨]، في مسألة الاختلاف في اسم الفاطمي رأي ، إذ يقول : " زعم سعيد أنه ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح " وفي كتاب سير أعلام النبلاء[٢٩]، يذكر الذهبي اسماً غير الأول ، إذ يقول عن المهدي الفاطمي :" أنه عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق " ، ،ويدخل الحميري[٣٠]، في الاسم لمؤسس الدولة الفاطمية فيعرفه بأنه : " عبيد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح " ، أما الغرناطي[٣١]، فيذكره بقوله : " أبو محمد عبيد الله بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب " ، وللمقريزي [٣٢]، تبيان وتسمية في عبيد الله المهدي الفاطمي ، إذ يقول : " هو عبيد الله المهدي بالله الإمام أمير المؤمنين أبو محمد بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق " .

وأما القرماني [٣٣]، فهو يبين اسماً غير ما طرح في السابق ، إذ يقول عن عبد الله الفاطمي بأنه : " عبيد الله المهدي بن الحسن بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب " .

ولم ينتهي الأمر في كتابة المؤرخين في تسمية عبد الله المهدي ، وإنما استمر الأمر إلى الاختلاف في نسبه وكلاً يدعي أمراً مختلفاً، إذ تطرق القاضي النعمان[٣٤]، إلى نسب مؤسس الدولة الفاطمية في إعطاء أدلة من الكتاب والسنة ومن ثم ربطها مع خليفة الفاطميين في المغرب ، إذ يقول : " كان المهدي (ع) ونشأته في المشرق ثم هاجر إلى المغرب ... يتم الله به ذلك فيما هناك ويورث الأرض " ، ثم يكمل الظهور للمهدي مستنداً إلى أحاديث أهل البيت ، إذ يقول : " وتظهر رايات المهدي من هاهنا وأُومئ بيده إلى المغرب "[٣٥]، وأن الدافع الذي جعل المهدي الفاطمي لا يظهر علناً هو التقية التي أدت

الروايات إلى الأخذ بها في نصرة الحق وإتمام نور الهداية" [٣٦]، والتوقيع المرسل إلى خطباء رقاده [٣٧]، والقيروان[٣٨] ، من قبل المهدي الفاطمي الذي يبين عن نفسه إذ يذكر في كتابه بعد الصلاة على محمد وآل محمد يقول : " اللهم فصل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبيد الله أي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين " [٣٩] ، كما أن ابـــن خلدون[٤٠]، يـعد طلب الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) [٤١]، مـــن ولاته ومـنهم ابن الأغلب[٤٢] ، بـالقيـروان وابـن مـــدرار[٤٣]، بسجلماسة[٤٤] ، بالقبض على المهدي الفاطمي دليل على أنهم من نسل علي (عليه السلام)[٤٥]،أن لموقف الطالبين الإيجابي في ذكر الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الأثر الكبير في غضب السلطة العباسية عليهم ومحاربتهم وإجبارهم على التنكر لهم بالرغم من قول فقيه الطالبيين من ذكرهم في ديوانه ، إذ أنشد الشريف الرضي[٤٦] ، أبياتاً تمجد حـكام مصر العلويين، إذ يقول[٤٧]:

ما مَقامي عَلى الهَوانِ وَعِندي مِقوَلٌ صارِمٌ وَأَنفٌ حَميُّ

أَلبَسُ الذُلَّ في بلادِ الأَعادي وَبِمِصرَ الخَليفَةُ العَلَوِيُّ[٤٨]

وأن الضعف العسكري وعدم مقدرة الخلافة العباسية النيل منهم سياسياً وعسكرياً اتجه العباسيون إلى الطعن بالنسب وهذا لضعفهم تجاه الفاطميين ، إذ يقول المقريزي [٤٩] : " وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذٍ بتنفير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم ، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم ، وأعجب به أولياؤهم " ويستمر إثبات صحة النسب فيذكر المقريزي [٥٠]، أمراً آخر ، إذ يقول : " أن بني علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد والجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم ، والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودي " ، ويذكر المقريزي [٥١]، في الرد على ابن رزام[٥٢]،، إذ يقول في كتابه المقفى الكبير : " تناقله مؤرخو الشام والعراق والمغرب حتى انتشر في الآفاق إلى اليوم وامتلأت به التصانيف ، وأنا أبرأ إلى الله منه ، ولولا خشية الظن أني لم أقف عليه لما سطرته " وهذا يدل على عدم وجود الرواية نصاً مدوناً.

وفي ما يخص محضر الطعن بالنسب سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م) في بغداد بين المقريزي أن التهديد والوعيد كان أساساً للقيام بذلك المحضر مما دفع السيد محمد الموسوي والد الشريفين المرتضى والرضي بالطلب والإنكار من ابنه بشأن نفي تلك الأبيات وطاعةً لأبيه وافق على طلبه وأمره[٥٣]، وينضم ابن الأزرق[٥٤]، إلى تأييد نسب الفاطميين لآل البيت إذ يقول : " وعصبية الفاطميين والطالبيين وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ... فأن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لذلك إلا بان يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه " .

ولابن حزم[٥٥]، رأي في النسب الذي ذكر عنه في ما يخص الخلفاء الفاطميين، إذ يذكر أن عبيد الله المهدي دخيل وليس له شأن في النسب العلوي ، وهذا افتراء وكذب فيذكر: " ولأن مثل النسب لا يخفى على من له أقل بالنسب ولا يجهل أهله إلا جاهل "، ولم ينتهي إلى هذا القدر من تكذيب النسب فمنهم من ذكر أن الفاطميين يرجع نسبهم إلى المجوس وهم بعيدين عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهم بالأصل يرجعون إلى ميمون القداح[٥٦]، إذ كان دخولهم إلى المغرب وادعائهم بالنسب الفاطمي كونهم حديثي العهد وغير معروفين في تلك البلاد[٥٧]، في حين هناك جمهور من المؤرخين يذهب إلى إعطاء الفاطميين نسب يهودي كون مؤسس الدولة الفاطمية عبد الله المهدي كان ابناً لأحد اليهود الحدادين وهو القداح بعد أن تعلم أسرار الدعوة وأعطي الأموال والعلامات[٥٨]، ويذهب قسم أخر إلى جعل نسبهم في النصرانية إلى ميمون القداح أيضاً [٥٩].

وفي موضع آخر يختلف عن الأول إذ أن هناك من المؤرخين الذين ينسبون الفاطميين إلى غير العلويين لما أورده بعضهم عن سؤال الخلفاء الفاطميين عن أصلهم ولم يكن لهم الرد الوافي ضد تلك الأسئلة فعندما سؤل المعز الفاطمي[٦٠]، أثناء دخوله إلى مصر بعد أن فتحها الفاطميون سنة (٣٥٨هـ/٩٨٠م)، إذ سألوا الخليفة المعز عن نسبه فأجابهم بلغة الترهيب والترغيب إذ فعل بـ: " جذب سيفه من الغمد وقال : هذا نسبي ونثر على الحاضرين والأمراء الذهب وقال : وهذا حسبي "[٦١]، وحتى في أيام العزيز الفاطمي[٦٢] ، عندما صعد المنبر ليخطب بالناس يـــوم الجمعة إذ وجـــد أمامه ورقة تحوي أبيات الشعر جاء فيها:

إنَّا سَمعـــــنا نَسَباً مُنكراً يُتلى على المنبرِ في الجامعِ

إِنْ كنتَ فيما تَدَّعي صادِقاً فاذكُر أَباً بعد الأَبِ الـــرابع
وإِنْ تُرِد تَحقيقَ مـــــا قُلتُهُ فانْسُب لنا نَفسكَ كـــالطَّائعِ
أَوْلا دَعِ الأَنســـابَ مَستُورةً وادخُل بِنا في النَّسَبِ الواسعِ [٦٣]

وكذلك في مناسبة أخرى وجد العزيز الفاطمي (ت ٣٨٦هـ/١٠٠٨م)، ورقة وضعت أمامه قبل أن يصعد إلى منبر الخطابة دون عليها أبيات شعرية[٦٤] :

بالظُّلمِ والجَورِ قـــد رَضِينا وليس بالكُفرِ والحَماقة
إن كنتَ أُعطِيتَ عِلمَ غَيبٍ فقُلْ لنا كاتِبَ البِطاقَة

والأبيات دلالة على شهرتهم وعلمهم بالغيبيات كونهم من سلالة العترة الطاهرة التي كانت لديهم من مواريث آبائهم ومن هذه العلوم علم الجفر[٦٥] ، الذي توارثوه عن أبائهم .

وللمنافع السياسية فقد كان للأمويين في الأندلس دور في تأجيج الناس في مسألة الطعن بالنسب فكان هناك غضب ما بين العزيز بالله الفاطمي (ت:٣٨٦هـ/١٠٠٨م)، وما بين الخليفة الحكم المستنصر الأموي [٦٦] (ت:٣٦٦هـ/٩٨٨م)، إذ تكاتبا بعد أن قام العزيز بشتم الخليفة الأموي فرد عليه بكتاب : " أمـــا بعد فإنك قد عـرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك "[٦٧]، فلم يجبه وسكت العزيز الفاطمي من هذا الأمر ولم يرد القول بمثل ما كانت لديه من قوة القول وبلاغته ، ويلتحق العباسيون في هذا ألتناكف في الطعن بالنسب الفاطمي حيث عمد الخليفة العباسي القادر بالله (ت:٤٢٢هـ/١٠٣١م) في سنة (٤٠٢هـ/١٠٢٤م) إلى القيام بإجراء محضر دعي فيه مجموعة من العلماء البارزين ليشهدوا على ما يدون من ذكر النسب والطعن فيه وكان من بينهم نقيب الطالبيين السيدان الشريفان الموسويان المرتضى[٦٨]، وأخية السيد الشريف الرضي وجماعة من العلويين والقاضي أبو محمد ابن ألاكفاني [٦٩]، وغيرهم إذ دونوا فيهم شهاداتهم بان حكام الفاطميين بمصر ليسوا من نسب علي بن أبي طالب وأنهم خارج الملة إذ عملوا الأباطيل واعتنقوا الشرك والألحاد وان المسلمين براء منهم ومن أعمالهم[٧٠]، في حين هناك رواية ينقلها بعض المؤرخين فيها طرح غريب يذكر فيه موت المهدي الفاطمي قبل إعلان دولته وأثناء إخراجه من سجنه في سجلماسة ، إذ يقوم أبو عبد الله الشيعي[٧١] ، وفق الرواية أن يستبدل بأحد العبيد ليؤسس دولة الفاطميين إذ تقول الرواية : " فدخل أبو عبد الله إلى السجن فوجد المهدي مقتولاً وعنده

رجل من أصحابه كان يخدمه ، فخاف أبو عبد الله ، أن ينتقض عليه ما دبره من الأمر أن عرفت العساكر بقتل المهدي ، فأخرج الرجل وقال : هذا هو المهدي" [٧٢]، وفي تدوين المؤرخين والنسابة ينقسم الخلاف ما بين الطاعن بالنسب والذام فيه وجاعله في غير أهل البيت والقسم الآخر يجعله فيهم ولذلك ذكر القلقشندي [٧٣]، ذلك الأمر بقوله : " قد طعن فيه طاعنون من النسابة ... والله أعلم بما هو الحق " ، وقد وجدنا مخطوط صريح لمؤلف مجهول[٧٤] ، يذكر النسب بقوله : " لجعفر بن محمد ولدين أسماعيل وموسى ، من سلالة موسى باقي الأئمة الاثنا عشرية... محمد بن إسماعيل السبعية الأئمة المستورين" .

نلاحظ في الروايات السابقة التي ذكرت النسب الفاطمي سواءً في ما يخص الطعن به أو الاعتراف بصحته ،يظهر و يتبين لنا فيما ذكره المؤرخين حول التسمية ، وأن اختلفت إلا أن الغالبية من المؤرخين يميلون إلى ربط المهدي الفاطمي بأهل البيت (عليهم السلام) وكذا الأمر في ما يخص ذكره من جانب الطعن به حول الديانة اليهودية أو المجوسية وحتى النصرانية فالملاحظ هو أن الاسم واحد لكن الديانة متغيرة بمعنى أن القداح هو نفسه بالنسبة للمؤرخين مرة ينسب إلى اليهودية وأخرى إلى المجوسية وتارة إلى النصرانية وعليه فأن الاختلاف لا يثبت ما اتجه إليه المؤرخين من طعنهم في التسمية وفي ذكر النسب الفاطمي فأن الاختلاف حاصل وواضح في النصوص التاريخية ونحن من خلال ما ورد ذكره في المصادر التاريخية نرجح نسب الخلفاء الفاطميين من أحفاد الإمام الصادق (عليه السلام) وأن تكرار التذكير بالنسب طوال فترة حكمهم في أفريقيا ومصر ناتج من أنهم أصبحوا أكثر شهرة ووصلت دولتهم إلى حكم جنوب اوربا مثل صقلية وغيرها وامتلكوا أراضي واسعة ولم يبقى أمام حكمهم للخلافة الإسلامية سوى العاصمة بغداد وما يحيط بها ولم يكن لعباسيين القوة العسكرية واصبح حكمهم اسمياً والأمر والطاعة في دولهم للغرباء كالبويهيين [٧٥] ،والأتراك[٧٦]، وعليه فأن ضعف مركز الخلافة سياسيا أدى بالنتيجة لإيجاد مقاومة بديلة عن ذلك إذ أصبح الرد إعلامياً في مواجهة الامتداد الفاطمي لضعفهم عسكرياً والسيطرة على الأمور في مركز العاصمة العباسية من قبل الأقوام الأخرى طمعاً لكسب الأنصار وتأخير التأييد عن الفاطميين حتى لا تنتهي دولتهم لأطول فتره ممكنه وهو ما حصل بالفعل من

إسقاط العاصمة بغداد وإعلان ولائها والخطبة إلى مركز الخلافة الفاطمية في مصر من قبل القائد البساسيري[٧٧] ، سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) .

١ – ولادته ونشأته :

لم ينتهي الاختلاف ما بين المؤرخين حول عبد الله الفاطمي إذ استمر الحال في مسألة الولادة والمكان لأول الخلفاء الفاطميين ، فقد ذكر الرواة أنه ولد في مدينة سلمية، مكان لولادته ، في حين ذهب آخر إلى مدينة الكوفة محطة أخرى في ولادته [٧٨]، وثالث حـــــــدد مدينة بغداد مكاناً لولادته [٧٩]، ثم استمر الأمر كذلك في اختلاف المؤرخين في تحديد عام الولادة للمهدي الفاطمي فقد نصت الروايات في ذكر سنة الولادة فقيل هي سنة (٢٥٩هـ/٩٦٩م، وقيل (٢٦٠هـ/٩٧٠م)، وأخرى سنة(٢٦٦هـ/٩٧٦م) [٨٠].

أن الروايات التاريخية السابقة والتي استمرت على طرح الاختلاف في مكان وتاريخ ولادة عبد الله المهدي الفاطمي وهذا الاختلاف الحاصل هو نتيجة السرية في الدعوة الإسماعيلية وفي نهجها السري حتى تم لها الإعلان عن دولتهم بالمغرب فمنذ البداية كان نهجهم يقوم على السرية والكتمان في إعلان أسماء و مواليد الأئمة المستورين فقد كان معتقدهم الذي لا يسمح في الإفصاح بذكراهم ومكان تواجدهم خوفا عليهم ولم يعرف غالبية أنصارهم من هو الأمام أو احد من أفراده كي لا تطولهم إيدي الأعداء وتنال منهم وهو ما حصل بعد أن بدأت انتصارات أبو عبد الله الشيعي الداعي إلى المهدي الفاطمي وكيفية مقتل أسرة المهدي الفاطمي كما سنوضحه في التالي من بحثنا وكذا الأمر ينسحب حول سنة الولادة ، وان العامل المشترك في تلك الاختلافات يعود إلى الاختفاء والسرية من قبل أئمة الدعوة الفاطمية في مراحلها الأولى ولذلك لم يدون مؤرخي فترات الستر هذا الأمر مما دفع إلى طرح المؤرخين اللاحقين تواريخ تقديرية ليست أمراً واقعاً فقط كان التدوين من باب الكهانة وليس أمراً قطعياً لهذه الحادثة أو تلك إلا أن الأمر اختلف بعد إعلان الخلافة الفاطمية وظهور الدعوة العلنية تبين لدى المتابع التأكيد على المدد التاريخية للخلفاء الفاطميين في تحديد مجرياتها الزمنية والمكانية ومن ثم فأن امر السرية أعطى مبتغاه في إنجاح و تأسيس الدولة الفاطمية .

٢ – بداية الدعوة[٨١] :

كان نظام الدعوة يقوم على إرسال الدعاة إلى مناطق مختلفة من العالم الإسلامي ، وكانت بلاد اليمن المكان الخصب الذي شكل ثقل الدعوة الفاطمية في بداية الأمر ، إذ أرسل ابن حوشب[٨٢]، إلى تلك البلاد طالباً منهم تلبية الدعوة والنصرة إلى آل البيت والمهدي الفاطمي [٨٣] ، وسرعان ما انتشرت الدعوة حتى وصلت أخبارهم إلى الخلافة العباسية تخبرهم بمركز الدعوة وهي مـــــــــدينة سلمية حتى أرسلت الخلافة العباسية طلباً بالقبض على عبد الله المهدي في تلك المدينة[٨٤]، وصادف أمرٌ آخر هو أكثر خطراً إذ عمل القرامطة ، على وضع خطة للوصول إلى مقر عبد الله الفاطمي وتعقبه ومحاولة القبض عليه وقتله ، إذ ظفر القرامطة بأهل بيته وأسرته فتم قتلهم جميعاً بعد قليل من خروج عبد الله الفاطمي من مدينة سلمية[٨٥] ، وهذا الخروج من المدينة يتطابق مع نبوءة والد المهدي الفاطمي بحدوث الهجرة إلى مكان بعيد لا محالة ويكون الخروج إكراهاً وليس رغبة والانتقال من بلدٍ إلى آخر مصاحباً لهذه الأخطار عقبات ومخاطر تكاد وان تقضي على هذه الحركة إلى أن يمن الله عليه بالفتح[٨٦]، فلما اشتد على المهدي الفاطمي طلب الخلافة بالقبض عليه ترك الشام متوجهاً لبلاد اليمن حيث القاعدة الشيعية الموجودة هناك وانتظارهم المهدي وحباً للحركة الإسماعيلية من قبل أهالي المغرب [٨٧] ،إلا أن فراسته في تقدير ما هو أصلح لقيام الدولة وانتشارها بعد فساد احد دعاته في اليمن جعل أمر المسير يختلف عن مساره[٨٨] .

هنا يتبين لنا إن دعوة اليمن كانت السباقة في إعلان التأييد إلى الفرع العلوي ذلك لوجود القاعدة الشعبية المحبة لآهل البيت ، وان الخلافة العباسية لم تستطع الوصول لتلك الأماكن لعدة أسباب الأول بعدها الجغرافي عن مركز الخلافة و السبب الثاني طبيعة المنطقة الجبلية الوعرة التي تمنع الجيوش من التقدم إلى تلك المناطق بسهولة ويسر، وهو السبب نفسة الذي أورد الاختلاف بين الدعاة وعليه فأن من الطبيعي نشوء الاختلاف في مفاصل الحركة السرية كون الدعاة هم أناس غير منزهين من فتنة النفس الأمارة بالسوء لذلك كان عبد الله المهدي قد شعر بهذه الأخطار جراء المكاسب الشخصية من بعض دعاة الإسماعيلية لذلك تدارك الواقع الذي يمر به أهل اليمن ولم يذهب إلى أصل الدعوة المنتشرة

فيها ويمكن طرح أمراً آخر هو أن بلاد المغرب أكثر اتساعاً وأنصاراً للدعوة الإسماعيلية وأكثر بغضاً وبأساً على الخلافة العباسية وحتى لا تنكسر الدعوة وتجهض في بداياتها فأن الاختلاف الحاصل في اليمن ساعد على أن يحدد عبد الله المهدي مسراه إلى المغرب .

عندئذ عمل عبد الله المهدي إلى تغيير جهته نحو بلاد المغرب بعد سماع الأخبار تلك البلاد المبشرة بالفتح ، فاتجه إليها عبر مصر متنكراً بزي التجار[٨٩]، وكان هذا الاختفاء خوفاً من جند الخلافة العباسية وولاتها في مصر وكافة البلدان وكان والي مصر وعاملها يومئذٍ عيسى النوشري[٩٠]، ولحذر عبد الله الفاطمي من الأخطار القادمة إليه استطاع الإفلات من قبضة الخلافة العباسية التي كانت تطلبه في مصر[٩١]، فجهد عبد الله بالمسير وهو متخفي بزي التجار حتى وصل إلى طرابلس الغرب [٩٢]، والتي كان عليها حكام بنى الأغلب[٩٣]، الذي حث عماله على الإمساك بعبد الله والإتيان به إليه حـــالما يجده اتباعه[٩٤]، لكن عناية الله ومشيئته أنقذته من أيدي الأغالبة حتى وصل إلى مدينة سجلماسة ، إذ حوصر هو وخاصته من قبل والي المدينة آنذاك اليسع بن مدرار[٩٥]، الذي وصل إليه كتاب الأمير ابن الأغلب الذي يأمره بالقبض عليه وإيداعه السجن حالما يتم إيجاده وبالفعل تم إلقاء القبض عليه بالرغم من محاولة عبد الله الفاطمي الاختفاء عن عيون الخلافة والسلطة في المدينة[٩٦] ، إذ تم حبسه من قبل والي المدينة بالرغم من عدم علمه بمن يكون هذا الشخص الذي تم القبض عليه ولذكاء عبد الله الفاطمي وفطنته فقد برهن إلى الوالي بن مدرار بأنه تاجر وأغدق عليهم الهدايا والعطايا والتكريم مما حدا باليسع إلى مداراته وملاطفته واحترامه[٩٧]، وهو الأمر الذي دائماً ما كان يردده عبد الله الفاطمي على لسانه إذ يقول : " لي من الفضل ما جعله الله لي ولمن يأتي من بعدي "[٩٨]، وفي تلك الظروف الصعبة التي كانت تعمل على إنهاء الدعوة الفاطمية في المغرب كان هناك داعياً يعد بمثابة المنقذ والفاتح لهذه الدولة إذ كان أبي عبد الله الشيعي[٩٩]، مهندساً للفتح الفاطمي إذ حشد الأخبار والأبطال بعد انتصاراته المتلاحقة للمسير لإخراج قائده من سجنه بعد أن علم بأسره من قبل السلطة هناك[١٠٠]، فهم بالمسير لمـــدينة سجلماسة يـــرافقه جنـــده الأوفـــياء والأقوياء من قبيلة كتامة [١٠١]، وغيـرها مـن القـبائل الـموالية لـه والمطيعة لأمـره[١٠٢]، وسارت جحافل أبو عبد الله الشيعي نحو سجلماسة لإطلاق سراح المهدي الفاطمي وبعد صولات مع

اليسع بن مدرار استطاع الأخير الهرب من المعركة ليلاً وبذلك حسمت المعركة لصالح أبو عبد الله الشيعي ليدخل إلى سجن سجلماسة الذي يتواجد به خليفته ويطلق سراحه من تلك المحنة التي كادت تنهي مشروع القيام للدولة الفاطمية(١٠٣)، وعند دخول أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة يذكر المؤرخين خبراً في مصير المهدي الفاطمي إذ أن مجموعة من المؤرخين يذهبون إلى أن اليسع بن مدرار بعد أن وصلت قوات أبي عبد الله الشيعي بتقدمها السريع نحو المدينة قام الوالي بقتل المهدي الفاطمي ومن ثم الهروب لاحقاً(١٠٤)، وبعد وصول أبو عبد الله الشيعي إلى سجن سجلماسة وعرف بالأمر قام الشيعي بتنصيب أحد خدمة المهدي الفاطمي على انه الإمام ، وإخراجه إلى الناس وإخبارهم بأنه هو المهدي (١٠٥)

لكن القاضي النعمان يذكر إخراج المهدي من السجن والبيعة له (١٠٦)، و بعد انتصارات الفتح المبارك الذي أحرزه أبو عبد الله الشيعي استطاع إخراج وإنقاذ خليفته من السجن وقدم إليه جواداً وقاده له بنفسه دليلاً للطاعة والمودة وحسن السريرة والإيمان بقضيته(١٠٧)، وبعده بدأ الحاضرين يهتفون ويرحبون بعبد الله المهدي بعد أن برهن لهم بما لا يجعل هناك طريقاً للشك أن هذا الشخص هو الذي يدعو له ومخلصهم من العباسيين إذ كان أبو عبد الله الشيعي يردد القول لهم : " هذا مولاي ومولاكم "(١٠٨) ، فكانت قصائد الوعد بالأمل الموعود بخروج مخلص الناس من الظلم تصدح عند مؤيدي الدولة الفاطمية إذ يقول شاعرهم :

كأني شمس الأرض قد طلعت لنا ... من الغرب مقرونا إليها هلالها
فيملأ أرض الله قســـــطا بعدله ... بما ضم منها سهلها وجبـــالها
إذ آمن منها ما أخـــــاف وأتقى ... فأظفر بالزلـــفى به وأنــالها(١٠٩)

وتقدم الركب نحو مقر أبو عبدالله الشيعي وفي مقدمته عبد الله المهدي حتى وصل إيكجان(١١٠)، إذ أمر بإحضار كتاب طلب أن يتلى على المنبر ذكـــــر فيه بعد البسملة : " فالحمد لله ناصر دينه ، ومعز وليه ، الذي اظهر دينه على سائر الأديان"(١١١)، بـــعدها أعلن عن قيام دولته الفاطمية وتلقب هو بأمير المؤمنين المهدي(١١٢)، ليبدأ بإعلان تاريخ جديد في خلافة إسلامية تدعو إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) تحت رايـــــة الخليفة الفاطمي عبد الله

المهدي سنة (٢٩٧هـ/٩١٩م)[١١٣] ، واستقبل الناس بشارة إعلان الخلافة في بلاد المغرب فأنشد شاعرهم يصف الأمن والاستقرار الذي صدح وولد في بلاد المغرب فأنشد يقول :

هذا أمير المؤمنين تضعفت له ... لقدومه أركان كل أمـــــــيرِ
هذا الإمام الفاطمي ومـــن به ... أمنت مغاربها من المـــــحذورِ
والشرق ليس لشامه وعـــراقه ... من مهرب من جيشه المنصورِ
حتى يفوز من الخلافة بالمنى ... ويعاز من بعـــدله المنشورِ[١١٤]

ومن ثم إعلان الخلافة بعد أن تم تحرير معظم أراضي شمال أفريقيا على يد الداعي أبا عبد الله الشيعي وعندئذ أصبح واضحاً للمناصرين بيان إمام الدعوة وإعلانها ولذلك اظهر عبد الله المهدي دولته وأنه سليل العترة الطاهرة وتأسيس خلافة معارضة في المغرب على حساب خلافة المشرق العباسية .

٣- الخلاف بين المهدي الفاطمي ودعاته (مقتل الشيعي):

أبوعبدالله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية وصانعها وله الفضل في خلافتها وقيامها ، وكان أبو عبد الله الشيعي قد لجأ إلى اليمن وتلقى من علوم أحد رجالات الدعوة في اليمن وهو الداعي منصور اليمن ابن حوشب إذ علمه مكامن وعلوم وأسرار الدعوة الإسماعيلية ومن ثم وجهه نحو المغرب[١١٥]، وتعلم منه إضافة إلى ما كان عنده من علوم وخرج بعد ذلك إلى الحج مع أهل اليمن ومن ثم الهجرة نحو المغرب[١١٦]، وكانت بلاد المغرب قد وصلا إليها دعاة أهل البيت من قبل الإمام صادق (عليه السلام)،وهم شخصان وعالمان هما الســـــفياني [١١٧]، والحلواني [١١٨]، إذ مهدا الطريق إلى نشر مذهب أهل البيت وفق تعاليم الرسالة الإسلامية [١١٩]، فوجد الشيعي أرضاً صالحة لنشر فكر وعلوم أهل البيت (عليهم السلام) فأزره الناس وسروا بقدومه والتفوا حوله وأيدوا دعوته فكانت البداية لإعلان القيام الفاطمي في المغرب [١٢٠]، وعندئذ بدأت الدعوة للمهدي الفاطمي الذي يكون مخلصاً لأهل المغرب من جور الحكم العباسي الذي حل بالمغاربة والخروج من طاعتهم ، لذلك هبو لنصرة الشيعي وتؤيده باعتباره الأمل المنشود لمخلص الناس من الظلم والجور .

فكان هذا المعلم هو من عمل على نشر الدعوة في تلك البلاد[١٢١]، وساعده في تلك المحن والظروف أخيه أبو العباس إذ نزلوا في أقوام لم يكن لـــهم معهم سابق دراية بهم إلا

فترة الحـــــج لبعضهم [١٢٢]، وأبو العباس سند أبو عبد الله الشيـــعي الذي يصفه القاضي النعمان[١٢٣] بقوله : " وكان أسن منه وانفذ واحدّ ذهناً وأكثر تفنناً في العلوم وأسبق منه سابقة " ، لذلك عمل هذان الأخوين بجد وإخلاص حتى مكنهما الله من جني ثمار ما عملوه إذ فتح الله عليهم البلاد وحبب إليهم العباد واستطاعا فتح بلاد المغرب تمهيداً لبناء دولة الفاطميين وتم لهم ذلك [١٢٤] ، واستطاع الشيعي بعد جهد كبير في ان يخلص المهدي الفاطمي من محنته وسجنه في مدينة سجلماسة وأظهره للناس وعرفهم به وأعلن له الطاعة والولاء ولم يكن له غش في الأمر ، إلا حباً بإظهار الحق ودولته لا لغاية دنيوية [١٢٥]، ولم يستمر الود بين الإمام وثقته أبو عبد الله الشيعي إلا اشهراً قليلة إذ قام المهدي الفاطمي بقتله مع أخيه في السنة اللاحقة لخروجه من السجن إذ يذكر القاضي النعمان [١٢٦] سبب قتلهما بقوله : " تداخل من ذلك أبا العباس أخا أبي عبد الله فساد ، وذلك أنه تطعم بحضرة أبي عبد الله لما قدم على طرابلس عليه رياسةً لتقديمه إياه وتعظيمه له " .

وبعد ما كان من فتوحات وانتصارات احرزها أبي عبد الله الشيعي وإعلان دولة الفاطميين في بلاد المغرب[١٢٧]، نجد أن حلاوة النصر والتأسيس للدولة الفاطمية لم تستمر طويلاً في حفظ انفس رجالات الدعوة إذ عمل أصحاب المكر والكراهية إلى زرع الفتنة بين عبد الله المهدي وفاتح أفريقيا أبي عبد الله الشيعي إذ يحمل القاضي النعمان[١٢٨] القول في أن سبب قتل عبد الله المهدي لقائده الهمام هو أبو العباس إذ يذكره بقوله : " ثم سار إلى سجلماسة فكانت أمور الناس إليه واعينهم نحوه والأمر في ذلك أمره والنهي نهيه ، فلما عدم ذلك فسدت نيته وتداخله الحسد واستفزه الشيطان فأغواه ... فجعل ينكر ذلك ويزري على المهدي (ع) عند أبي عبد الله أخيه " ، في حين نجد أن كاتب مراكشي[١٢٩]، يصرح بالقول في هذه الحادثة إذ يقول : " ... أن أبا عبد الله وأبا العباس قد شكا في الخاتم الذي ذكرت أنه بين كتفيك ... قال لهم ألم يعلما كما قيل أنهما أيقنا به ؟ قالوا نعم فقال لهم : الشك لا يزيل اليقين ، والتفت إلى صاحب شرطته ؟ فقال له : يا عروبة آتني برأسيهما " ، ويذكر ابن خلكان [١٣٠] أمراً في سبب قتل الشيعي إذ يقول : " اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد وكان هو الأكبر ... وقال له : تكون صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك

وتبقى من جملة الاتباع ، وكرر عليه القـــول ، فقدم أبو عبد الله على ما صنع واضمر الغدر " .

وأما أبو الفداء [١٣١] يذكر السبب في قتل فاتح أفريقيا إذ يقول : " فشرع أبو العباس اخو أبو عبد الله الشيعي يندم أخاه ... حتى شرع يقول لرؤوس القبائل ليس هذا المهدي الذي دعوناكم إليه " ، ولم يتوقف الرواة في ذكر حادثة القتل إذ يذكر النويري [١٣٢] أمراً جديداً يقوم على طلب ابو عبد الله الشيعي من المهدي الفاطمي بقوله : " ... زالت الرئاسة عن أبي عبد الله وأخيه ... وأشار عليه بتفويض الأمور إليه والانقطاع في قصره والاحتجاب عن الناس ، وقال هذا أهيب لك وأشد لأمرك " ، ويدخل الذهبي [١٣٣] ، في رواية حادثة القتل لأبي عبد الله الشيعي إذ يذكر ذلك بقوله : " أراد أبو عبد الله استدراك ما فات فقال على سبيل النصح للمهدي أنا أخبر منك بهؤلاء فاترك مباشرتهم إلي فأنه امكن لجبروتك وأعظم لك ... فححب أبو العباس نفوس جماعة من الأعيان وشككهم في المهدي حتى جاهره مقدمهم ... " ، ونتيجة لهذا التصعيد في الأحداث والوقائع اجتمع الناس بين الاثنين ما بين مؤيد وناقم وجرت الوقائع بين الجانبين انتهت بانتصار عبد الله المهدي وقتل الأخوين ومجموعة من الثائرين عليه [١٣٤]، وفي امر القتل هناك من ذهب إلى القول أن القتل لم يكن بين جيشين وإنما حدث قتل الأخوين عن طريق الغدر بهما بعد إن غواهما عبد الله المهدي فقتلهما غدراً [١٣٥]، وكان قتلهما في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) [١٣٦]، وقيل في سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) [١٣٧]، وقد ترحم عبد الله المهدي على أبو عبد الله الشيعي [١٣٨]، بعد قتله والتخلص منه فأقام الصلاة عليه وترحم له وقال : " رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل سعيك "[١٣٩].

لم يكن بعيداً مصير قادة الفتح على مر التاريخ الإسلامي القتل و التصفية من قبل من استفادوا منهم وذلك الأمر واضحاً وإلى اليوم فقد كانت نتائج التاريخ تبين لنا كيفية الخلاص من هؤلاء القادة الذين لولاهم لما تحقق لزعمائهم بناء دولهم والأمثلة كثيرة يطول الخوض فيها ومن تلك الأمثلة الرجل الذي وصفناه على أنه فاتح أفريقيا للفاطميين إذ اختلفت الأهواء تجاه مجازاة تلك الشخصية فبعد ما تقدم من جهاده وقيادته وطاعته تم الخذلان به والتنكيل بجثته وكان اختلاف الرواية التي تنص على سبب الغدر به تحوم حول

أخيه الذي كان يعد بمثابة المعلم والأكثر نفاذاً وتفننا في العلوم فلا نجد أن العالم يتغير في ليلة وضحاها دون أسباب تذكر وعليه نجد لزاماً علينا إبداء وطرح بعض الأمور التي استخلصناها من الروايات منها إن من الممكن القول أن المهدي الفاطمي وجد في بقاء هذان العالمان القائدان ما يهدد طموحه في البقاء واحتمالية الرجوع إليهما من قبل أهالي المغرب خاصة انصار الدعوة هناك من الكتاميين وغيرهم ولذلك تحجج المهدي في إيجاد الوسيلة والعذر لقتلهما، والأمر الأخر أن يكون المهدي الفاطمي قد حجب عنهم كل مسؤولياتهم السياسية والدينية والغاية نفسها كما في بداية الطرح هو تحجيم أمرهم وهو ما شغل الأنصار وتفكيرهم كون أهل المغرب يعتبرون أبا عبد الله الشيعي وأخيه أهلاً للقيادة فتعاقب الناس عليهم وطلبوا ما كان واجباً الخروج لطلبه من قبل الاثنين وجندهم بإعلان انفسهم أئمة للناس ، ومن الاحتمالات الأكثر قبولاً في رأيي المتواضع أن يكون الاثنين قد وجدا عدم الأهلية وحسن القيادة في المهدي الفاطمي كونهم أي الشيعي وأخيه هم الأكثر استحقاقاً للقيادة خاصة أن الدعوة في البداية لأبو عبد الله الشيعي لم تكن للمهدي أول وهلة وإنما كانت لأبيه وشتان بين الاثنين فتفاجئ أبو عبد الله الشيعي بالقائد الذي ضحى من أجله بعدم وجود الحكمة والحنكة السياسية بدليل خروج الآلاف عليه ونقله للعاصمة وظهور الثورات عليه بكثرة والتي استمرت إلى ما بعد وكانت سبباً في احتمالية القضاء على الدولة وكذلك كان واضحاً حرب أهل المغرب للدعوة ولم يدخل الناس فيها وكذا الأمر في تغيير الدعوة من الإسماعيلية إلى الفاطمية وبقى أمراً أخيرا لا نميل له وإلزاماً الوقوف عنده وهو تآمر الاثنين على إمامهما والعصيان لطاعته وحسدهما على نجاح المهدي الفاطمي لذا كشفهما الخليفة الفاطمي وقام بتصفيتهما وهو الأمر الغير وارد بدليل ما بيناه من الصلاة على أبا عبد الله الشيعي والترحم عليه وليس من المعقول قتل القائد الفاتح من قبل الخليفة والرجوع للصلاة عليه والترحم له ، وفي ما يخص سنة الوفاة فنحن نميل إلى سنة ثمان وتسعين ومائتين كونها السنة التي تلت قيام الدولة الفاطمية ، ونجد إن السنة السادسة والتسعين بعد المائتين غير مقبولة كونها لم يتم فيها الفتح وإعلان الخلافة الفاطمية في المغرب بعد انتصار الثورة التي قادها أبو عبد الله الشيعي .

٤- الثورات التي خرجت ضد المهدي الفاطمي :

بعد السيطرة الفاطمية التي حصلت على بلاد المغرب بادرت الولايات السابقة والتابعة لدولة بني الأغلب بالبيعة لصالح الفاطميين إذ كتب ابن أبي الفوارس [١٤٠]، إلى المهدي الفاطمي يطلب الأذن بالقدوم إلى أفريقيا إذ صار واجب إعلان الطاعة والولاء لخليفة المسلمين في تلك المنطقة التي تغيرت الخلافة فيها من الحكم العباسي إلى الحكم الفاطمي ولعدم إنصاف الناس وأعمال الظلم التي جرت من قبلة تم حبسه لعدم رضا المهدي الفاطمي علية وعدم قبول عذره لأعماله العدائية[١٤١]،إذ عزلة عن ولاية المدينة وإعلان والياً جديداً تحت امرتهم على صقلية[١٤٢]، وهو بن أبي خنزير[١٤٣]، لكن أهالي المدينة ثاروا عليه نتيجة لسياسته الجائرة عليهم فحبسوه عندهم مما أجبر المهدي الفاطمي لتغييره بأحد الولاة وهو البلوي [١٤٤]، فرفضوه هو أيضاً [١٤٥]، مما حدى بالمهدي الفاطمي القيام بحملة عسكرية استطاع فيها دخول المدينة بالقوة وقتل الكثير من أهل صقلية حتى دانت له المدينة بالطاعة والولاء وقبول ولاة الفاطميين عليهم [١٤٦].

أ _ ثورة أهل المغرب بعد مقتل أبي عبد الله الشيعي :

استطاع المهدي الفاطمي إن يسيطر على البلاد وينفذ عملية القتل لابي عبد الله الشيعي لكن الأمور لم تستقم إلا استراحة محارب قليلة ونتيجة لما حصل من القضاء على ممهد الدولة الفاطمية في أفريقيا إذ خرج على المهدي الفاطمي ثوار كتامة ضد أهل القيروان ، وجرت بين الطرفين الكثير من الدماء إذ حمل المهدي الفاطمي بنفسه لإخماد هذه الفتنة التي كادت تطيح باستقرار البلاد وأخمدها بعد الأمر بإيقاف التشريعات الخاصة بمذهب الدولة الفاطمية [١٤٧]، لكن أمرهم لم يستقم إذ كانوا على قناعة وعدم قبول وفاة أبي عبد الله الشيعي ونصبوا أحد الأطفال عليهم مدعين بذلك أنه المهدي المخلص مما حدى بالمهدي الفاطمي إلى إعطاء الموافقة والأمر بالمسير اليهم وقتالهم بقيادة ولده أبي القاسم فأستطاع النيل منهم والقضاء على دعوتهم وقتل الطفل الذي نصبوه عليهم وإرجاع الأمور إلى مسارها الذي طلبه المهدي الفاطمي[١٤٨].

ب – ثورة أهل القيروان من العلماء :

ولم يكن العلماء من أهل القيروان بعيدين عن حركة الثورة والاستفادة من مجريات الأحداث لصالحهم إذ ساعدهم في ذلك قيام الكتاميين معهم وطالبوا بالحكم والخلاص من المهدي الفاطمي لكنهم لم يستطيعوا النيل من قدرة الفاطميين العسكرية إذ ترك عبد الله المهدي الأمر حتى يدبر الأمور ويقوم بالالتفاف عليهم ، إذ أتاه شيوخ القيروان مع القاضي فاعتذروا من تلك الأعمال فأعرض عنهم ولم يعجل بالعقوبة عليهم مدة ثم عاقبهم بعد ذلك [١٤٩]، وقد كانت هناك لقاءات بين علماء القيروان وأبي عبد الله الشيعي وهذه المناظرات الكثيرة غالبيتها تنتهي إلى التشنج والانفعال لاختلاف الثقافة الفكرية بينهم[١٥٠]، وقد وصل الحال بينهم إلى أن يحذر أبو عبد الله الشيعي من غضب أهل القيروان فكانت هناك فتنة بين الطرفين انتهت بهزيمتهم من قبل عبد الله المهدي [١٥١]، فأصبحت بين شيوخ القيروان والفاطميين قطيعه ودماء نتيجة لأعمال المنع والقسوة التي جرت ضد الخارجين على نظام الدولة الفتية في بلاد المغرب مما أدى إلى ازدياد الأمور سوءاً وعدم الرضا والقبول بالفكر الجديد في أفريقيا ومحاربته بمختلف الأعمال[١٥٢].

٥- أهم أعمال المهدي الفاطمي(تأسيس المهدية):

بعد ثورة شيوخ القيروان وعدم قبولهم بالدعوة الفاطمية عمل عبد الله المهدي بإيجاد طريقة لتامين مقره الاجتماعي والسياسي فأوعز بطلب الانتقال والتوجه إلى إيجاد مكان جديد بديلاً عن مدينته الأولى رقادة إذ وجد بعد فترة زمنية ليست بالطويلة مكان مميزاً لعاصمته البديلة فوافق على بناء مدينته المهدية[١٥٣]، لتكون أماناً لأهل بيته من النساء إذ كان طالما يردد مقولته المشهورة : " إنما بنيت هذه لتعتصم الفواطم بها "[١٥٤]، وكانت المدينة قد اختيرت من قبل المهدي الفاطمي لتكون حاضرة وأمان للفاطميين من كل حركات المعارضة التي لا تؤيد الفكر الجديد وعليه تم الاختيار على مكانها فخطت وتم الانتقال إليها من قبل المهدي الفاطمي وآل بيته[١٥٥]، ولم يبتعد تقدير الخليفة الفاطمي بالمشاكل والأزمات في المستقبل إذ تنبأ المهدي الفاطمي لحركة صاحب الحمار[١٥٦] ، إذ قال بعد أن فرغ من بنائها وصعد إلى أعلى سطحها ورمى بسهمه إلى المغرب وقال : " إلى هاهنا ينتهي صاحب الحمار " [١٥٧].

لم يكن من السهل أن تنتهي الأمور بقبول أهل المغرب ما حدث إلى زعيم الثورة الفاطمية أبي عبد الله الشيعي إذ استغلها العدو قبل الصديق من أهل المغرب وكانت قبيلة كتامة أولهم في طلب الحق إلى أهله ، إذ لم يجد الناس سبباً مقنعاً لهذا القتل لشخص بنى الدولة قبل قيامها وآزروه قبل الإعلان وبعد جني الثمار لانتصار الثورة تكون النتيجة مكافأته بالقتل لكن قوة السلاح والعدد والأموال عملت إلى الخلاص من الثائرين في هذه الحركة وأما الأعداء الذين خرجوا ضد الفكر الفاطمي الإسماعيلي فأنهم وجدوا الاصطفاف مع الكتاميين لينالوا واحدة من الاثنين أن يركبوا الثورة ويكونوا داعمين بعد أن وجدوا حطب النار المشتعل وغضب الناس على المهدي الفاطمي لقتله أبو عبد الله الشيعي والأمر الآخر لأهل القيروان هو استنزاف الاثنين وتبقى الغلبة لهم لكن صبر المهدي الفاطمي كسب الرهان وإخماد الحركتين بقوة السيف والسلاح . ناهيك عن وجود سبب مهم آخر هو أن انحسار الثورة الشعبية خلف وراءه كره الناس للفكر الجديد واستمر الحال إلى نهاية الدولة الفاطمية في مصر ومما جعل الفاطميين يحتمون بالبحار ويختاروا الأمان بالقرب منها في عاصمتهم المهدية منعاً لأي حركة ضد دولتهم سواء كانت الحركة داخلية من أهل المغرب ام خارجية من الروم وبالفعل أصبحت أمان الدولة البعيدة عن يد الغادرين لهذه الدولة وكانت المدينة الجديدة محط انطلاق السفن نحو المشرق الإسلامي .

٦- الحملات الفاطمية إلى مصر :

لم تكن الأمور السياسية في الانتقال إلى المشرق بعيدة عن عيون الخلافة الفاطمية منذ قيامها في المغرب ، إذ كان الرحيل في أفكار الخلفاء الفاطميين حتى سؤل أحد الدعاة الخليفة المعز الفاطمي (ت: ٣٦٥هـ / ٩٨٧م) بقوله : " ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق "[١٥٨]، فكان جواب الخلافة واضحاً بانهم ومنذ بداية الدولة الفاطمية أعدوا العدة إلى الانتقال والذهاب إلى باب المشرق الكبير مصر لكن الوقت لم يحن بعد فقال المعز : " إنا لم نختلف عن ذلك ألا انتظار للمدة التي وعدنا الله الظهور فيها "[١٥٩]، وعلى الرغم من ذلك فأن المحاولات بدأت منذ بدايات الفتح الفاطمي لبلاد المغرب وبالرغم من الحملات على مصر كانت غير نافعة وهي ضمن قاموس أول خلفاء الفاطميين إذ كان الانتقال لمصر محط أنظار الفاطميين وحلمهم الأكبر لذا عمل المهدي الفاطمي على توجيه حملات عديدة

لفتح مصر وكان المهدي الفاطمي يعلم بعدم الجدوى منها إلا أنه قام بها إذ يذكر عبد الله المهدي محاولاته تلك على لسان رابع الفاطميين في الخلافة المعز لدين الله (ت: ٣٦٥هـ / ٩٨٧م) بقوله : " ولقد انهض المهدي بالله (ﷺ) قرة عينه ومهجة نفسه القائم (ﷺ) إلى مصر كرتين وهو عالم بأنها لا تفتح على يديه ... إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها"[١٦٠]، لكن الحملات إلى مصر ووفق ذلك الواقع فقد تحركت جيوش الفاطميين إلى المشرق سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) ، بقيادة القائد حباسه[١٦١] ، فقد جهزت الحملة بإمدادات بحرية كبيرة حتى وصلت جيوشهم إلى فسطاط مصر والإسكندرية [١٦٢] ، وبعد وصول الأخبار إلى جيوش الخلافة العباسية سارعت بنجدة المدينة بقيادة مؤنس الخادم[١٦٣]، وجرت بين الطرفين صولات عديدة تباينت بين الانتصار والهزيمة وانتهت الحملة بهزيمة جيش الفاطميين في مصر وانسحابه نحو المغرب [١٦٤]، ولما دخل الجيش المنهزم إلى المغرب غضب الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي عليهم ، ونتيجة لعدم قبوله بالهزيمة النكراء عندئذ امر بقتل القائد حباسة لانهزامه من تلك المعركة في سنة (٣٠٢هـ /٩٢٤م)[١٦٥]، ولم يكتل او يتوقف الجيش الفاطمي بالتقدم نحو مصر للسيطرة عليها بالرغم من ما جرى وحصل لهم في الحملة الأولى إذ أنيطت القيادة الجديدة للحملة الثانية إلى ولي العهد الفاطمي القائم بأمر الله (ت:٣٣٤هـ /٩٤٥م) إذ استطاع دخول مدينة الجيزة[١٦٦]،وهناك كتب إلى الولاة في الأرض الحرام مكة المكرمة والأقاليم التي تجاورها بوجوب الطاعة الولاء للخلافة الفاطمية وذلك كونهم هم الأقرب إلى السلالة الطاهرة من آل البيت (عليهم السلام) [١٦٧] ، وقد وجه المقتدر العباسي(ت:٣٢٠هـ / ٩٣٢م)[١٦٨] ، بإرسال الجيش إلى مصر بقيادة مؤنس الخادم وجرت معارك عديدة بين الطرفين انتهت بهزيمة وانسحاب جيوش الفاطميين إلى المغرب بعد إحراق المراكب البحرية الفاطمية وما خلفته المعارك من أحداث دامية [١٦٩].

أن فشل محاولات الفاطميين ساعدت الطرفين في الاستعداد للقادم من الأحداث إذ خطط كل من الفاطميين والعباسيين إلى إعداد العدة لهزيمة الآخر وهو ما حدث بعد عقود من انتصار الفاطميين ودخولهم مدينة الإسكندرية ومن ثم السيطرة على مصر وبناء عاصمتهم في المشرق القاهرة سنة(٣٥٩هـ/٩٦٩م) والسيطرة على معظم تلك الأراضي .

٧- وفاة المهدي الفاطمي (٣٢٢هـ / ٩٥٥م)

بعد هزيمة الفاطميين في مصر عمل الفاطميون إلى تعبيد الطريق أمام حكمهم في المغرب والذي كان المهدي الفاطمي قد أرسى دعائم الحكم فيه بمختلف الطرق في تلك البلاد وأصبحت تحت قيادته ، حتى قدمت سنة (٣٢٢هـ / ٩٥٥م) وهي عام الوداع لمؤسس الدولة الفاطمية إذ توفي عبد الله المهدي في مدينته المهدية تاركاً للخلفاء من بعده القوة والسيطرة والاتساع في الأقاليم المختلفة[١٧٠] .

٨- حادثة الحجر الأسود ودور الفاطميين فيه :

وأخيراً لابد لنا في المرور على مسالة الحجر الأسود والسيطرة عليه من قبل المهدي الفاطمي إذ نورد الروايات التي ذكرت تلك الحادثة ونقارنها بسني حكم المهدي الفاطمي ، إذ أن القرامطة قد أسسوا لهم قوة كبيرة في مدينتي البصرة والبحرين واستطاعوا الوقوف امام الجيوش المختلفة والانتصار على الخلافة العباسية وكان القرامطة انذاك تحت راية أبي سعيد الجنابي[١٧١] ، ومنحتهم حلاوة النصر بان يأخذوا الغنائم والعدة وكذلك الأسرى من ارض المعركة وكان ذلك في عام (٢٣٧هـ/٨٥١م) [١٧٢].

وعند مسألة القرامطة وعلاقتهم بالدولة الفاطمية تظهر لدى المؤرخين اختلاف في سرد رواية مسألة الحجر الأسود وكيفية السيطرة عليه فهنالك من المؤرخين من يذهب إلى حادثة أخذ الحجر من قبل القرامطة ودور عبد الله المهدي في إرجاعه إذ كان له السلطة العليا عليهم مما أدى إلى إن يأمرهم بوجوب وتنفيذ أوامره فيما يخص وضع الحجر الأسود في محله بالبيت العتيق وعدم هتك قدسية البيت وما يحوي من مكانة لدى المسلمين[١٧٣] ، في حين نرى آخرين من الرواة يذهبون إلى أن الحجر الأسود تم أخذه من قبل القرامطة ولم يعيدوه إلى مكانه إلا بعد أن بقى لديهم ما يقارب اكثر من عشرين عاماً أي إلى سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) [١٧٤١٧٥]، وتظهر لنا رواية ثالثة يوردها صلاح الدين[١٧٦] بقوله : " أن القرامطة أخذوا الحجر الأسود مرتين ، فيحتمل أن المرة الأولى رده بكتاب المهدي ، والثانية رده لما أشترى منه أو بالعكس ".

من خلال الروايات يتبين لنا الاختلاف في مسالة وحادثة الحجر الأسود في عدم الاتفاق على كيفية رد الحجر الأسود إلى مكانه وهل كانت بأمر عبد الله المهدي او بعده

والواضح من الروايات أن الفاطميين لم يقبلوا بعمل القرامطة تجاه أمر المقدسات فهم يعلمون أن مشاعر المسلمين تتوحد في مسألة العقيدة فهم متفقون أن البيت الحرام حرام المساس به بالرغم من الاختلاف بمن يملك السيطرة عليه ولذلك فالجميع ونحن نميل له أن الفاطميين سعوا بما لا يقبل الشك إلى إعادة الحجر الأسود إلى مكانه وأن كان البيت تحت حكم العباسيين لما للبيت من مكانة لدى المسلمين يجتمعون عليها ويتوحدوا ضد أي حركة تهدف إلى الاستهانة به وحتى ولو لم يقاموه بالقوة فانهم سيكون ردهم على ذلك الأمر بمقاطعة الفاعلين لتلك الجريمة وأما مسالة الحجر الأسود وسيطرة القرامطة عليه فهذا وارد في الكتب التاريخية التي تبين إن محاولاتهم لم تتوقف على المقدسات إذ كان هناك حملة ثانية لأخذ الحجر الأسود جرت في القرن اللاحق لوفاة عبد الله المهدي وهي بذلك بعيدة عن اتفاق القرامطة وتآمرهم مع الفاطميين .

الخاتمة

يتبين من لنا من خلال المصادر التاريخية العديد من الامور .

- يمكن قبول الاختلاف في اسم المهدي الفاطمي في ايام الدعوة ، ولكن بعد الخلافة لا يكن البقاء على السرية في الكتمان يدل على امرين الاول ، اما وجود الاسم والنسب في المخطوطات وكتمانها من المحققين ومن اخرج تلك المخطوطات ، او ان المهدي الفاطمي لا يرجع في نسبه الى البيت العلوي .
- عدم الحفاظ على اركان الدعوة يدل على تغير مسارها المخطط له كما في ابو عبدالله الشيعي
- استطاعت الدولة الفاطمية ان تحقق التوسع الكبير في فترة قليلة ونافست الخلافة العباسية
- لم تنجح الخلافة الفاطمية في نشر مذهبها خارج انصارها
- بناء العاصمة المهدية دليل على عدم الوثوق بمن هم في شمال المغرب وخاصة اهل رقادة وغيرها

- خطط المهدي الفاطمي للسيطرة على المشرق والبلاد الاسلامية من خلال احتلال مصر ، لكنه فشل بسبب عدم التخطيط الجيد ووجود الانصار
- لم تكن حادثة الحجر الاسود مقرونة بحكم المهدي الفاطمي

المصادر والمراجع :

القران الكريم

الحديث النبوي الشريف

١. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)،الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، ط : ٢، (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٨٥م).
٢. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، تح: عمر عبد السلام ، (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٩٧م).
٣. الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الطالبي(ت: ٥٦٠هـ /١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩ هـ).
٤. الأسد أبادي ، أبو الحسين القاضى (ت: ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) ، تثبيت دلائل النبوة ،(شبرا: دار المصطفى ، د، ت).
٥. الأصفهاني ،عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠٠م) ،البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تح: عمر عبد السلام ، (بيروت: المكتبة العصرية ، ٢٠٠٢ م)
٦. ايفانون ، مذكرات في حركة المهدي الفاطمي (استتار الامام وسيرة الحاجب جعفر) ، ترجمة : محمد كامل حسين ، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ،١٩٣٩م)
٧. بامخرمة ، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت:٩٤٧ هـ/١٥٤٠م) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ،عُني به: بو جمعة مكري ،(جده: دار المنهاج ، ٢٠٠٨ م).
٨. البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت: ٢٧٤هـ / ٨٨٧م) ، الرجال ، (طهران: چاپخانه دانشگاه ، د ، ت)
٩. البكري ،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي(ت: ٤٨٧هـ /١٠٩٤م) ، المسالك والممالك ، (القاهرة: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ م).
١٠. تامر ، عارف ، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين عبيد الله المهدي ، (دمشق: دار دمشق ، ١٩٨٠م)

١١. التستري ، الشيخ محمد تقي ، قاموس الرجال ، تح :مؤسسة النشر الاسلامي، (قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٢٢هـ)

– أبن تغري بردي ، جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

١٢. مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تح : نبيل محمد ، (القاهرة: دار الكتب المصرية ، د ، ت).

١٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (مصر: دار الكتب ، د ، ت) .

١٤. التفريشي ، مصطفى بن الحسين (ت: ق ١١ / ق١٧م) ، نقد الرجال ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) ، (قم : ستارة ، ١٤١٨ هـ)

١٥. الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت: ٤٢٩هـ /١٠٣٧م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد ،(بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م).

١٦. الجزائري ، مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم: محمد الميلي ،(الجزائر: المؤسسة الوطنيّة ، ١٩٨٦م) .

١٧. جوذر، أبي علي منصور العزيزي (ت:٣٦٢هـ /٩٧٢م) ، سيرة الأستاذ جوذر(وبه توقيعات الائمة الفاطميين)، تح : محمد كامل ،(مصر: مطبعة الاعتماد ، د، ت)

١٨. أبن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ، جمهرة أنساب العرب، تح : لجنة من العلماء،(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م) .

١٩. أبن حماد ، أبي عبد الله محمد بن علي (ت:٦٢٨هـ / ١٢٣١هـ) ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح : التهامي نقرة ، (القاهرة: دار الصحوة ، د ، ت).

٢٠. الحميدي ، أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر ،١٩٦٦ م)

٢١. الحميرى ،أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت: ٩٠٠هـ /١٤٩٤م) ،الروض المعطار في خبر الأقطار ،تح :إحسان عباس ط:٢،(بيروت: دار السراج ، ١٩٨٠ م).

٢٢. الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطناها العلماء من غير أهلها وواردیها، تح: بشار عواد ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٢ م).

٢٣. أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح : خليل شحادة ، ط : ٢ ،(بيروت: دار الفكر ، ١٩٨٨ م).

٢٤. أبن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تح : إحسان عباس ،(بيروت: دار صادر ،١٩٧١م) .
٢٥. الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي (ت: ٣٨٥هـ /٩٩٥م)، المؤتَلِف والمختَلِف، تح: موفق بن عبد الله ،(بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٨٦م).
٢٦. الداعي ، عماد الدين ادريس بن الحسن القرشي (٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م) ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص بكتاب عيون الاخبار) ، تح : محمد اليعلاوي ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٥م) .
٢٧. الدميري ، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) حياة الحيوان الكبرى ، ط : الثانية،(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ) .
٢٨. الدواداري ،ابي بكر بن عبد الله بن ايبك (ت : ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) كنز الدرر وجامع الغرر، تح : صلاح الدين المنجد،(القاهرة : قسم الدراسات الإسلامية ،١٩٦١ م) .
– الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٢٩. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، تح : بشار عوّاد ، (د، م: دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٣ م).
٣٠. سير أعلام النبلاء ، (القاهرة: دار الحديث ،٢٠٠٦م).
٣١. العبر في خبر من غبر ،تح : أبو هاجر محمد ،(بيروت: دار الكتب ، ١٩٨٥م) .
٣٢. أبن زبر ، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة (ت: ٣٧٩هـ / ٩٨٩م) ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تح: عبد الله أحمد ، (الرياض: دار العاصمة ،١٤١٠ هـ)
– السيوطي، جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)
٣٣. المحاضرات والمحاورات ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٤هـ).
٣٤. تاريخ الخلفاء، تح : حمدي الدمرداش ،(الرياض: مكتبة نزار مصطفى ، ٢٠٠٤م).
٣٥. أبو شامة ، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي(ت: ٦٦٥هـ /١٢٦٦م) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تح : إبراهيم الزيبق ،(بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م)
٣٦. الشريف الرضي ، أبو الحسن السيد محمد بن الحسين بن موسى (ت:٤٠٦ هـ / ١٠١٥م) ، ديوان الشريف الرضي ، ضبط وعلق علية : محمود مصطفى ، (بيروت: دار الارقم ، ١٩٩٩م) .
٣٧. الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام (ت: ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح : إحسان عباس ، (تونس: الدار العربية للكتاب ،١٩٧٩م) .

٣٨. الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، تح : أحمد الأرناؤوط ، (بيروت: دار إحياء التراث ، ٢٠٠٠م).
٣٩. صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، فوات الوفيات ، تح : إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٣ م) .
٤٠. الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت: ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تح: إبراهيم الابياري، (القاهرة: دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ م).
٤١. أبن الازرق، عبد الله محمد بن علي الأندلسي (ت: ٨٩٦هـ /١٤٩٠م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ،تح : علي سامي ،(العراق: وزارة الإعلام ، د ، ت).
٤٢. العدوي ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت: ٧٤٩هـ /١٣٤٨م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،(أبو ظبي: المجمع الثقافي ، ١٤٢٤هـ) .
٤٣. أبن العديم ،عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي(ت: ٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب،تح : سهيل زكار، (بيروت: مؤسسة البلاغ ، ١٩٨٨ م).
٤٤. أبن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت: ٦٩٥هـ/١٢٦٦م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح :ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ، ط : ٣ ، (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٨٣ م).
٤٥. أبن العربي ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر(ت: ٥٤٣هـ /١١٤٨م) ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، تح : محب الدين الخطيب ، ط : ٢ ،(بيروت: دار الجيل ، ١٩٨٧م)
٤٦. أبن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ /١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو أجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح : عمرو بن غرامة ، (دمشق: دار الفكر للطباعة ، ١٩٩٥ م) .
٤٧. أبن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح: محمود الأرناؤوط ،(دمشق : دار بن كثير،١٩٨٦ م).
٤٨. العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (ت: ٨٥٥هـ /١٤٥١م) ، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، تح : محمد حسن: (بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٦ م) .
٤٩. غرطوج ، أبو محمد الفتح بن خاقان بن أحمد (ت: ٢٤٧هـ / ٨٨٧م) ، قلائد العقيان ،(مصر: د، مط ،١٨٦٦م).

٥٠. الغرناطي ، الوزير ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت:٧٧٦هـ / ١٣٩٨م) ، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك الكلام ، تح : سيد كسروي حسن ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) .
٥١. الفاسى ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت: ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م) ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تح : محمد عبد القادر عطا ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ م).
٥٢. أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣٢هـ /١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر ، تح : محمد زينهم ، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٨م) .
٥٣. أبن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت: ٤٠٣هـ /١٠١٢م) ، تاريخ علماء الأندلس ، صححه: عزت العطار ، ط: ٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي ،١٩٨٨ م) .
٥٤. الفيروزآبادى ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م) ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، (دمشق: دار سعد الدين للطباعة .٢٠٠٠م) .
- القاضي النعمان ، أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي(ت: ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)
٥٥. افتتاح الدعوة ،(لبنان : مؤسسة الأعلمي ،٢٠٠٥م).
٥٦. دعائم الإسلام ، تح : آصف بن علي ، (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٣م)
٥٧. شرح الأخبار في فضائل الائمة الاطهار ، تح : السيد محمد الجلالي ، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٣١هـ).
٥٨. المجالس و المسايرات ، تح : حبيب الفقي واخرون ،(بيروت : دار المنتظر، ١٩٩٦م)
٥٩. القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى(ت: ٥٤٤هـ /١١٤٩م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تح: عبد القادر الصحراوي ، (المغرب: مطبعة فضالة ،١٩٧٠ م).
٦٠. القرماني ،ابو العباس احمد جلبي احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت١٠١٩هـ / ١٦٤١م) ، اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، تح : احمد حطيط ، (بيروت: عالم الكتب ، ١٩٩٢م) .
٦١. القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تح : محمد أبو الفضل ،(القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٢م) .
- القلقشندي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١ هـ /١٤١٨م).
٦٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، (القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩٢٢م) .
٦٣. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تح : إبراهيم الإبياري ، ط: ٢، (بيروت: دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ م).

٦٤. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح : عبد الستار أحمد ، ط : ٢ ، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٥م) .
٦٥. الكاتب مراكشي (ت : ق ٦هـ / ق١٢م) ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦ م)
٦٦. الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٣٥٥هـ/٩٦٥م) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي ، تح: محمد حسن،(بيروت: دار الكتب العلمية ،٢٠٠٣ م) .
٦٧. الكوفي ، إبراهيم بن محمد الثقفي (ت: ٢٨٣ هـ /٨٩٦م)، الغارات ، تح: جلال الدين الحسيني ، (قم : مطبعة بهمن ، د، ت)
٦٨. المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ٤٧٤ هـ/١٠٨١م) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تح: بشير البكوش ، ط : ٢ ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٤ م) .
٦٩. المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت: ٣٤٦هـ /٩٥٧م) ، التنبيه والإشراف ، صححه: عبد الله إسماعيل ، (القاهرة: دار الصاوي ، د ، ت).
٧٠. المغربي ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد (ت: ٦٨٥هـ / ١٢٥٩م) ، الجغرافيا ، تح : إسماعيل العربي ،(بيروت : المكتب التجاري للطباعة و النشر ،١٩٧٠م).
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
٧١. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح : جمال الدين الشيال ، (الاسكندرية : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، د ، ت)
٧٢. المقفى الكبير، تح : محمد اليعلاوي، ط : ٢ ، (بيروت: دار الغرب ، ٢٠٠٦ م)
٧٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ) .
٧٤. المنجم ، إسحاق بن الحسين (ت: ق ٤هـ / ق١٠م) ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان،(بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ).
٧٥. المؤلف مجهول (ت: ٣٧٢هـ / ٩٨٢م) ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، حقق وترجم الكتاب (عن الفارسية) :يوسف الهادي ، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر ،١٤٢٣ هـ) .
٧٦. المؤلف مجهول ، تراجم أئمة الدروز ، مخطوط محفوظ في المركز الوطني للمخطوطات ، تحت رقم ٩٥٩.
٧٧. ناصر خسرو ، أبو معين الدين الحكيم المروزي القبادياني (ت: ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، سفر نامه تح: يحيى الخشاب ، ط : ٣ ،(بيروت: دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٣م).

٧٨. النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت : ٧٣٣هـ / ١٣٥٥م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة: دار الكتب والوثائق ، ١٤٢٣هـ) .

١. ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد(ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦م) .

٢. الوزير، ابي عبد الله محمد بن محمد (ت:١١٤٩هـ/١٣١٨م) ،الحلل السندسية في الأخبار التونسية ،(تونس : مطبعة الدولة التونسية ،١٢٨٧م).

– ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت: ٦٢٦هـ /١٢٢٨م).

٧٩. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تح : إحسان عباس ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣ م).

٨٠. معجم البلدان ، ط : ٢ ، (بيروت: دار صادر ، ١٩٩٥ م).

٨١. اليعقوبي ، أبي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) ، البلدان ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ).

٨٢. الدشراوي ، فرحات ،الدولة الفاطمية بالمغرب،(بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٤م).

٨٣. دوزي ، رينهارت بيتر (ت: ١٣٠٠هـ /١٨٨٢م) ، تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه: جمال الخياط ، (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ٢٠٠٠ م)

٨٤. رضا ، أحمد ، معجم متن اللغة ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٨ م) .

٨٥. الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي الأعلام ، ط : ١٥ ، (د، م: دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ م).

٨٦. سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية ، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٥م)

٨٧. سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية(تفسير جديد)،(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢م) .

٨٨. الطالبي ، محمد ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ١٨٤–٢٩٦هـ/ ٨٠٠–٩٠٩م ، تعريب: المنجي الصيادي ، مراجعة : حمادي الساحلي ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٥م).

٨٩. الطاهر ،عبد الباري محمد ، الاتراك والخلافة في العصر العباسي الاول ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ،جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ، ١٩٨٩م.

٩٠. عبد المنعم ، ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي) ، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٤م).

٩١. الغزي ،كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط : ٢ حلب: دار القلم ، ١٤١٩ هـ)

٩٢. كباشي ، غنية ياسر ، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧هـ / ١١٧١م) ، أطروحة دكتورة (غير منشورة) ، جامعة بغداد – كلية التربية / ابن رشد ، ٢٠٠٧م.
٩٣. كُرْد عَلي، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد (ت: ١٣٧٢هـ /١٩٥٣م) ، خطط الشام ، ط : ٣، (دمشق: مكتبة النوري ، ١٩٨٣ م) .
٩٤. مقديش ، محمود بن سعيد الصفاقسي ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تح: علي الزواري،(بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨ م
٩٥. منيمنة ،حسن ، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي –بلاد فارس– ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م ، (الاسكندرية :دار الجامعة ،١٩٨٧م).

الهوامش:

(١) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٧٨ .
(٢) جمهرة أنساب العرب ،ص٥٩ ؛ تاريخ الإسلام ،١٠٨/٢٤ .
(٣) الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص٢٠٥ ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص٣٠٧ .
(٤) كاتب مراكشي ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص٢٠٣ .
(٥) بن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص٣٥ .
(٦) كنز الدرر وجامع الغرر ،٦/٤ .
(٧) الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ،٦/٤ .
(٨) ٦/٤ .
(٩) كنز الدرر وجامع الغرر ، ١٩/٧ –٢٠.
(١٠) وفيات الأعيان ،١١٧/٣ .
(١١) أبن خلكان ، وفيات الاعيان ،١١٧/٣.
(١٢) وفيات الأعيان ،١١٧/٣ .
(١٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،١١٧/٣ ؛ الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ،٦/٤ .
(١٤) المختصر في أخبار البشر،٦٤/٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،٣٧٧/٣.
(١٥) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ،٦٤/٢ ؛ كرد علي ، خطط الشام ،١٠/ ٢٠٠ .
(١٦) نهاية الأرب وفنون الأدب ،٦٤/٢٨.
(١٧) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ،٦٤/٢٨ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،١٥٦/٢ .
(١٨) مسالك الأبصار،٢٤٢/٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٣٥١/٣ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء ،١/ ٥٢ ؛ الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب،١٦٨/١ .
(١٩) تاريخ بن الوردي ،٢٤٢/١ .
(٢٠) ن ، م ،٢٤٢/١ .
(٥) ن ، م ،٢٤٢/١ .
(٢٢) الوافي بالوفيات ،١٥٥/١٩ .
(٢٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات ،١٥٥/١٩ .
(٢٤) ن ، م ،١٥٥/١٩ .
(٢٥) حياة الحيوان الكبرى ،١٥٠/١ .
(٢٦) تاريخ بن خلدون ،١٥/٤ ؛ القلقشندي ، مآثر الاناقة في معالم الخلافة ،٢٥٦/٢ ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ،٢٨٩/٤.
(٢٧) مآثر الاناقة في معالم الخلافة ،٢٥٨/٢ .
(٢٨) تاريخ الإسلام ،٢٤/٢٢ .
(٢٩)٤١٩/١١.
(٣٠) الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص٣٠٧ .

([٣١]) الغرناطي ، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك الكلام ،٢٣٢/١ .

([٣٢]) المقفى الكبير ،٢٨٩/٤ .

([٣٣]) اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، ٢٢٩/٢ .

([٣٤]) القاضي النعمان ، شرح الأخبار في فضائل الائمة الاطهار ،٣٦٥/١١ .

([٣٥]) القاضي النعمان ، شرخ الأخبار ،٣٦٥/١١ .

([٣٦]) القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ، ص٥٩ .

([٣٧]) رقادة مدينة أثرية تقع وسط تونس جنوب غرب القيروان ،أسسها الأمير إبراهيم بن الأغلب سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م، والتي تعد عاصمة دولة الاغالبة .البكري ،المسالك والممالك ،٦٧٩/٢ ؛ كاتب مراكشي ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ١١٦ .

([٣٨]) مدينة القيروان قاعدة إفريقية وحصنها وهي كبيرة جليلة اختطها عقبة بن نافع القرشي لما ولاّهُ الخليفة معاوية بن ابي سفيان أرض مصر وأفريقية ووضع أساسها سنة(٤٧ /٦٧م) من الهجرة وهي أم الأمصار وقاعدة الأقطار وكانت أعظم مدن الغرب قطرا وأكثرها بشرا وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا. المنجم ، آكام المرجان ،ص٩٨ ؛ كاتب مراكشي ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ١١٣ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،٢٨٤/١ .

([٣٩]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٧٨؛ الغرناطي، أعلام الأعلام ،٢٣٣/١ .

([٤٠]) تاريخ بن خلدون ،٤٤٩/٣ .

([٤١]) أحمد أمير المؤمنين المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد توفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م).الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد،٦/ ٧٩ .

([٤٢]) ابي محمد زيارة الله بن ابراهيم بن الأغلب كان يتمتع بالعقل الراجح والخبرة العسكرية الكبيرة . ابن الابار، الحلة السيراء ، ١٨٠/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب ،١٠٧/٢٤ .

([٤٣]) اليسع ابن مدرار بن التيع وهو آخر ملوك بني مدرار تولى أمر سجلماسة حتى وفاته سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١٩٣/٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ،٢٠٤/١ .

([٤٤]) سجلماسة مدينة على نهر يقال له زيز وأهلها خليط والأغلبية منهم من البربر من صنهاجة وفي المدينة مزارع بالاعتماد على الأمطار لقلة المياه . اليعقوبي ، البلدان ، ص١٩٨ .

([٤٥]) المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،١٨٢/٢ .

([٤٦]) الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن طاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ)، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر . الثعالبي ، يتيمة الدهر ،٦٩/٥ ؛ الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،٤٦٥/٨ .

([٤٧]) الشريف الرضي ، ديوان الشريف الرضي ، ،٤٩٣/٢ .

([٤٨]) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ،٣/ ٦٤ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،٢٤٣/١؛ ابن خلـــدون، تاريخ بن خلدون ، ٤٤٩/٣ ؛ المـــقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،١/ ٣٥ ؛ المقفى الكبير،٤/ ٣٩٩ .

([٤٩]) المقريزي ، المقفى الكبير ،١٨٤/٢ .

([٥٠]) المواعظ والاعتبار ،١٥٢/٢ .

([٥١]) المواعظ والاعتبار ،٢٩٠/٤ .

([٥٢]) أبي عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائفي الكوفي . المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٣٤٣ .

([٥٣]) المقريزي ، المقفى الكبير ، ٣٠٠/٤ .

([٥٤]) بدائع السلك في طبائع الملك ، ص١٤٤ .

([٥٥]) جمهرة أنساب العرب ، ص٦٠ .

([٥٦]) ميمون بن الأسود القداح مولى بني مخزوم ومن أصحاب الإمام الباقر والصادق (عليه السلام) ، وسمي قداحاً لأنه يقدح العين من الماء . البرقي ، الرجال ، ص١٨ ؛ الدواداري ، كنز الدرر ،١٧٨/٤ ؛ التفريشي ، نقد الرجال ، ٤٤٨/٤ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ٣٢٦/١٠ .

([٥٧]) ابن العربي ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص٢٧١ ؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ،٦٤/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب ،٦٤/٢٤ ؛ ابن الوردي ،تاريخ بن الوردي ،٢٤٢/١ ؛الصفدي ،الوافي بالوفيات ،١٥٥/١٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون،٤٥٠/٣ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٠ .

([٥٨]) ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،٢٤٢/١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات،٢٤٣/١٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٥٠/٣ ؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار ،١٥٦/٢ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ،١١/ ٤١٩ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص١٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،١٠٨/٥ .

([٥٩]) ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٥٠/٣ .

([٦٠]) أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي بويع بولاية العهد أيام أبيه المنصور وجددت له البيعة بعد وفاة أبيه استطاع فتح مصر والسيطرة على أرض المغرب بجيش كبير توفي سنة (٣٦٥هـ/٩٨٧م) . ابن خلكان ، وفيات ألاعيان ،٣٣٤/٥ ؛ القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ،٢٨٩/٤ .

([٦١]) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص٢٧١ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ،٥/ ٣٧٣ ؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر،٦٤/٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،١٥٥/١٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ،١٠٨/٢٤ .

([٦٢]) العزيز بالله ، أبو منصو نزار بن المعز بالله جعد بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدي توفي سنة (٣٨٦هـ/١٠٠٨م) . ابن تغري بردي ، مورد اللطافة ،٣٧٢/١ ؛ باخرمة ، قلادة النحر ،٣/ ٣٦٦ .

([٦٣]) الدواداري ، كنز الدرر ،١٤٧/٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ،١٠٨/٢٤ .

([٦٤]) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،٣٧٣/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب ،١٤٣/٢٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣١/٢٧ .

([٦٥]) الجفر : علم يقوم بطريقة التصرف بحروف الهجاء والعربية في المربعات وعليه فهو علم الحروف بلوح القضاء والقدر وما يكون وقد دون على جلد جفر وكان هذا العلم مختص باهل البيت . دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ١٣٠/٣ ؛رضا ، معجم متن اللغة ، ٥٤١/١ .

([٦٦]) المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس عام(٣١٦ هـ/٩٢٨م)، كان مشغوفاً بالأدب وجمع الكتب. الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص١٢ ؛ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ١/ ١٨ .

(٦٧) ابـن العربـي ،العواصـم مـن القواصـم ، ص٢٧١ ؛ابـن خلكـان، وفيـات الاعيـان ،٣٧٢/٥ ؛الـذهبي، تـاريخ الـذهبي ،١٣٠/٢٧ ؛ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة،١١٤/٤ ؛السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص١٠ .

(٦٨) الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان نقيب الطالبيين وأشعرهم وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، يتحلى بالنسب الشريف . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ،٣١٨/٧ ؛ القفطي ، أنباه الرواة ،٣٤٨/٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،٤١٤/٤ .

(٦٩) محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسين القاضي المعروف بابن الاكفاني . الذهبي ، تاريخ بغداد ،٤٧٢/٣.

(٧٠) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ،٢٠٠/٢؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٢٤٣/١٩ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،١٨٢/٢ ؛ باخرمة ، قلادة النحر،٣٤٣/٣ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ،٥/ ١٠.

(٧١) أبو عبد الله الشيعي الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصَّنْعَانِيُّ ويلقب بالمعلم وهو الذي قام بالتمهيد والعمل لتأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب كان من الدهاة الشجعان ومن الدعاة البارزين في الدعوة الإسماعيلية. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١٩٢/٢؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،٥٨/١٤ ؛ الفيروزآبادى ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، ص٥٨ .

(٧٢)ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،١١٨/٣؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،١٠٨/٢٤؛الصفدي ،الوافي بالوفيات،٢٤٢/١٩ ؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول،٢/ ٢٣ ؛ مقديش، نزهة الانظار ،٣٢٨/١ .

(٧٣) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص١٤٥ ؛ وللمزيد ينظر : كباشي ، ، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧هـ / ١١٧١م) ، ص١١ وما بعدها .

(٧٤) المؤلف مجهول ، تراجم أئمة الدروز ، ورقة ١٠.

(٧٥) البويهيون هم تلك الاسرة الديلمية الذين قادوا الجيوش من المرتزقة للحصول على الاموال من الغنائم ولقيادة كبيرهم ومؤسس دولتهم علي بن بويه واستغلال الفرص ولضعف الخلافة العباسية ايام الخليفة خليفة المستكفي ٣٣٤ هـ/٩٤٦م استطاعوا تأسيس دولتهم في تلك البلاد البعيدة . منيمنة ، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي –بلاد فارس– ٣٣٤–٤٤٧هـ/٩٤٥–١٠٥٥م ، ص١٨ .

(٧٦) الاتراك مجموعة من القبائل البدوية التي كانت تسكن اواسط اسيا في مناطق ما وراء النهر (نهر جيحون) وانتشرت في الارجاء الصحراوية وكانت تجتمع تلك القبائل وتتفرق بالعداء وكانت تتعرض في وقت الضعف للغزوات والحروب وتنتصر وقت التوحد فكانت تترك اسرا في كل مكان يسكنونه . الطاهر ، الاتراك والخلافة في العصر العباسي الاول ، ص٣٦ .

(٧٧) البساسيري أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأترك ببغداد، إنه كان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، و قد تقدم على جميع الاتراك، وتقلد الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمرهوهابته الملوك وهو الذي خرج على الخليفة القائم بأمر الله ببغداد، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، ، ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، مدة سنة كاملة حتى جاء طغرلبك السلجوقي وقاتل البساسيري وقتله . إبن خلكان وفيات الاعيان ،١٩٢/١.

(٧٨) الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٢٤٢/١٩ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ١٩٧/٤ .

(٧٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٦/١ ؛ العدوي ، مسالك الأبصار ،٩٧/٢٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٢٤٢/١٩ ؛ الزركلي، الأعلام ،١٩٧/٦.

(٨٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٩/٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ،٢٤٢/١٩ ؛ الزركلي، الأعلام ، ١٩٧/٤ .

(٨١) هناك ملاحظة مهمة إذ لا يمكن تحديد بداية الدعوة لسريتها في مراحلها الأولى .

(٨٢) أبو القاسم الفاطمي بن فرج بن حوشب بن زادان منصور اليمن ، وقيل رستم بن الفرج بن حوشب بن زادان . القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٦ ؛ أبو الفداء ، المختصر،٦٤/٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،٣٨/٥ ؛ سير أعلام النبلاء ،٤٢٢/١١ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،٢٤٢/٢ .

(٨٣) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٦ ؛ أبو الفداء ، المختصر ،٦٤/٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،٧٤/٢٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،٢٠/ ٣٨ .

(٨٤) ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون،٤٥١/٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٠/١ ؛ المواعظ والاعتبار ،٢/ ١٥٦ ؛ أبو الفداء ، المختصر،٦٥/٢ ؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد، ص٣٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،٢٤٢/٢١ ؛ العبر في خبر من غبر،١٦/٢ ؛عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي) ، ص٧٩ .

(٨٥) ايفانون ، مذكرات في حركة المهدي الفاطمي (استتار الامام وسيرة الحاجب جعفر) ،ص١١١ للمزيد ينظر: الداعي ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص بكتاب عيون الاخبار) ص١٤٧ .

(٨٦) ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ٤٥٣/٣؛ القلقشندي، صبح الاعشى ، ١٣١/٥؛ مآثر الأناقة ، ٣٥٦/٣ .

(٨٧) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٩٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ١٠١/٢٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، ٤٤/٤ ؛ تامر ، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين عبيد الله المهدي ، ، ص١٦ ؛ سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية (تفسير جديد)، ص٤٨ .

(٨٨) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٩٨؛ جوذر، سيرة الأستاذ جوذر(وبه توقيعات الائمة الفاطميين)، ص٣٤ ؛ الداعي إدريس ، تاريخ الخلفاء ، ص١٤٩ .

(٨٩) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ١٩١/٢ ، ابن عذارى، البيان المغرب،٣٠٦/١ ؛ أبو الفداء ، المختصر ،٦٥/٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٤٥/١.

(٩٠) والي مصر من قبل المكتفي بالله العباسي (ت ٢٩٥هـ/٩٠٨م)، تسلم الولاية سنة (٢٩٢هـ/٩٣٦م)، فمسك الأمور والأعمال والشرطة في البلاد . الكندي ، كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي ، ص١٨٧ .

(٩١) ابن عذارى ، البيان المغرب، ٢٠٦/١ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ٦٥/٢ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ، ٣٤٣/١.

(٩٢) مدينة على البحر سماها اليونان طرابليطة وهي ثلاث مدن وسكانها من البربر فيها خيرات تم فتحها سنة (٢٣هـ/٦٤٥م) . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٢٥/٤ .

(٩٣) زيارة الله بن عبد الله الناصر لدين الله ابن الأغلب (ت :٣٠٤هـ/ ٩١٦م) آخر ولاة أفريقية الذي استطاعت قوات عبد الله الشيعي القضاء عليه وإسقاطه . القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١١٣ ؛ الكندي ، كتاب الولاة ، ص ١٩٣ .

(٩٤) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٠٠ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ٦٥/٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ، ٢٤٣/١ .

([٩٥]) اليسع الثاني بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم ولقبه المنتصر تولى السلطة سنة (٢٧٠هـ/٩٩٢م)، إلى وصول الفاطميين وقيام دولتهم .المقريزي، المقفى الكبير ،٣٠٢/٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ،١٩٦/٧ .

([٩٦]) أبو الفداء ، المختصر ،٦٥/٢ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،٢٤٣/١ .

([٩٧]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٠١ ؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٥٢ ؛ أبو الفداء ، المختصر ،٦٥/٢ .

([٩٨]) القاضي النعمان ، المجالس و المسايرات ، ،٢/ ٩٧ .

([٩٩]) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا القائم بالدعوة الفاطمية في المغرب دخل أفريقيا وحيداً واستطاع تأسيس دولة امتدت إلى أكثر من قرنين من الزمن توفي سنة (٢٩٨هـ/١٠٠٠م) . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١٩٢/٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٢٠٣/١٢.

([١٠٠]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ،ص ١٦٨ ؛ الغرناطي، أعمال الأعلام ،٢٣١/١ .

([١٠١]) كتامة قبيلة من البربر في المغرب الاوسط وينسب إليها الكتامي وقد نصروا أبو عبد الله الشيعي في حروبه ضد العباسيين ولهم من الشدة والقوة والبأس في الوغى . الكوفي ، الغارات ، ٦٨٠/٢ ؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار ،٣٢/١٢؛ العيني ، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، ٤٤٢/٢ .

([١٠٢]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٦٨ ؛ الغرناطي ، أعمال الأعلام ،٢٣١/١ ؛ القرماني ، أخبار الدول ،٢٢٩/٢ .

([١٠٣]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٨/٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،١٧١/١٢؛ أبو الفداء ، المختصر ،٦٥/٢ .

([١٠٤]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٨/٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٣٤٣/١٩؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٤/٣٤ ؛المقريزي، المقفى الكبير ،٣٠٢/٤؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ،١١٥/٤ .

([١٠٥]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٨/٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٣٤٣/١٩؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٤/٣٤ ؛المقريزي، المقفى الكبير ،٣٠٢/٤ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ،١١٥/٤ .

([١٠٦]) افتتاح الدعوة ؛ ص١٧٠.

([١٠٧]) الكاتب مراكشي ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ٢٠٤ ؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص ٤٠ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء،٦٥/١ .

([١٠٨]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ،ص ١٧٠ ؛ كاتب مراكشي ، الاستبصار ، ص ٢٠٤ ؛ أبو الفداء ،٦٥/٢ ؛ الغرناطي ، أعمال الأعلام ،٢٣٢/١ .

([١٠٩]) القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ص ٤٢٦ .

([١١٠]) ناحية بالمغرب يسكنها البربر وقبائل كتامة وفيها حصن منيع وكانت دار هجرة أبو عبد الله الشيعي . الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،٢٦٩/١٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،١/ ٢٧٣ .

([١١١]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٧٦ ؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٥ ؛ الغرناطي ، أعمال الأعلام ،٢٣٣/١ .

([١١٢]) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٧٨ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ،٣٩٠/٩ ؛ ابو شامة ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢١٨/٢ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ،١٧٥/٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب،٢٠٧/١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،٢٣٧/٢٥ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ،١٥٠/١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٢٥٢/١ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،١٨٥/٢ ؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٥ .

(١١٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص١٨١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٨/٣ ؛ الصفدي ، الوفي بالوفيات ،١٩/ ٢٤٢ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى ،٤٤٨/٥ .

(١١٤) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٨٣ .

(١١٥) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص٢٤ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،٣٤٣/١.

(١١٦) ن ، م ، ص٢٥ ؛ ن ، م ،٣٤٤/١ .

(١١٧) السفياني: احد الأشخاص الذي ارسل إلى بلاد المغرب من قبل الإمام الصادق علية السلام لنشر أفكار أهل البيت عليهم السلام . القاضي النعمان افتتاح الدعوة، ص٢٤؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص٨٤؛ الطالبي ، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م ، ص٦٥١وما بعدها .

(١١٨)الحلواني : الشخص الأخر الذي أرسلة الأمام الصادق(عليه السلام) إلى بلاد المغرب لنشر أفكار أهل البيت عليهم السلام . ينظر : القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٢٤؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص٨٤؛ الطالبي ،الدولة الأغلبية ، ص٦٥١وما بعدها .

(١١٩) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص٢٣-٢٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون، ٤٥٠/٣ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار،٢٠/٣ .

(١٢٠) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،٧٩/٢٢ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء،٢٦/١ ؛ المواعظ والاعتبار ،١٨٣/٣ .

(١٢١) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٣٢ ؛ كاتب مراكشي ، الاستبصار ، ٢٠٣/١ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،٢٠/٣ ، ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٥١/٣ ؛ الزركلي ، الاعلام ،٣١١/٣ .

(١٢٢) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٦٥ ؛ النويري ، نهاية الارب ،١٠٢/٢٨ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،١٥٦/٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٥٤/٣ .

(١٢٣) افتتاح الدعوة ، ص١٦٥ .

(١٢٤) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص٦٧ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ،١٩٤/٢ ؛ ابن العديم ، بغية الطلب ،٣٩٠/٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،١٩٣/٣ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ،١٤٦/١ .

(١٢٥) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٧٠ ؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ،١٩١/٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،١٩٣/٣.

(١٢٦) افتتاح الدعوة ، ص١٨٧ .

(١٢٧) العدوي ، مسالك الابصار ،٢٤/١٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٣٩/٤ .

(١٢٨) افتتاح الدعوة ، ص١٨٧ .

(١٢٩) الاستبصار ، ص٣٠٥ .

(١٣٠) وفيات الاعيان ،١٩٣/٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٢٠٤/١٢ .

(١٣١) المختصر في أخبار البشر ،٦٦/٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي،٢٤٤/١ .

(١٣٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ،١٠٧/٢ .

(١٣٣) تاريخ الإسلام ،٢٨/٢٢ ؛ سير أعلام النبلاء ،٤٢١/١١.

(١٣٤) النويري ،نهاية الأرب،٢٨/ ١٠٧؛الذهبي، تاريخ الإسلام،٢٩/٢٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء،٦٨١/١ .

(١٣٥) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ،ص١٩٤ ؛كاتب مراكشي ،الاستبصار ،ص٢٠٥ ؛ابن خلكان، وفيات الاعيان،١٩٣/٣ ؛ أبو الفداء، المختصر ،٦٦/٢ ؛ابن الوردي، تاريخ بن الوردي،٣٤٤/١ ؛الدشراوي ،الدولة الفاطمية بالمغرب ، ص١٩٠ .

(١٣٦) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٩٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،٣/ ١٩٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٢٠٤/١٢ ؛ النويري، نهاية الأرب ،١٠٦/٢٨ .

(١٣٧) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ،٦٦/٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي،٢٤٤/١ .

(١٣٨) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٩٣ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٨/١ .

(١٣٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ،١٦٤/١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٨/١ ؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص٤٣ .

(١٤٠) الوالي علي بن أبي الفوارس (٢٩٦-٢٩٧هـ /٩٠٨-٩٠٩م): كان والياً على صقلية في إيام الأغالبة وعزل ولما قامت الدولة الفاطمية في المغرب (٢٩٦هـ/٩٠٨م) تزعم ابو الفوارس الفئة المناصرة للفاطميين واصبح والياً .النويري ، نهاية الارب،٢٤/ ٣٦٥ .

(١٤١) النويري ، نهاية الأرب ،٢٤/ ٣٦٥ .

(١٤٢) ن ، م ،٢٤/ ٣٦٦ .

(١٤٣) الوالي الحسن بن احمد بن ابي خنزير الكتامي :حكم للمدة (٢٩٧-٢٩٨هـ/٩٠٩-٩١٠م) وصل الى صقلية في عام(٢٩٧هـ/٩٠٩م) وهو احد الرجال المخلصين للدولة الفاطمية ومن قبيلة كتامة المعروفة بولائها للدولة الفاطمية. ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،٥٩٩/٦؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ،١٧١/١؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٥٥/٣ .

(١٤٤)علي بن عمر البلوي حكم للمدة (٢٩٩هـ-٣٠٠هـ/٩١٢-٩١٣م) صقلية بأمر من الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م). ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،٤٥٥/٣؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٧/٤؛ مقديش ، نزهة الأنظار ،٣٣٣/١ .

(١٤٥) النويري، نهاية الأرب ، ٣٦٥/٢٤ ؛ الدشراوي ، الدولة الفاطمية ، ص١٩٨ .

(١٤٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٨/١ ؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢١٤ ؛ الدشراوي ، الدولة الفاطمية ، ص٢٠١ .

(١٤٧) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٩٦ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٨/١ ؛ اتعاظ الحنفاء ،٢/ ١٨٢ ؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨ .

(١٤٨) المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٨/١ ؛ الداعي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٩ .

(١٤٩) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٩٧ ؛ الدشراوي، الدولة الفاطمية ، ص١٩٢ .

(١٥٠) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٩٧ ؛ المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،٦٢/٢ .

(١٥١) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص١٩٧ ؛ الدشراوي، الدولة الفاطمية ، ص١٩٢ ، سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٥٦ .

(١٥٢) المالكي ، رياض النفوس ،٥٦/٢ ؛ سيد، الدولة الفاطمية ، ص٥٦ .

(١٥٣) المهدية مدينة كبيرة تقع على ساحل بحر الروم متصلة بحدود القيروان وهي ذات نعم وفيها تجار كثيرون من شتى البلدان بناها الْمهْدي بعد السيطرة على الْمغرب والأندلس . المؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص ١٨٠ ؛ ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص٨٥ .

(١٥٤) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ٢٩٠/١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤١٦/١ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٧١/١ ؛ الوزير ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ص٢٣٣.

(١٥٥) كاتب مراكشي ، الاستبصار ، ص٢٠٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،١١٨/٣ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب ،٢٠٧/١ .

(١٥٦) صاحب الحمار واسمه مخلد بن كيداد يكنى بأبي يزيد ويعرف بالأعرج من بني يفرن خرج سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) وكان في قبائل زناتة اشتدّت شوكة بإفريقيّة وكثرت أتباعه وهزم الجيوش حتى تم القضاء علية . القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،٣٠٣/٥ ؛ المقريزي، المقفى الكبير،٩٦/٤ .

(١٥٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ،١١٩/٥ ؛ قلائد الجمان ، ص١٦٥ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ،١٨٥/٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٠٤ .

(١٥٨) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص٤٧٥ ؛ سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٦٢ ؛

(١٥٩) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص٤٧٦ ؛ المغربي ، الجغرافيا ، ص٤٢.

(١٦٠) القاضي النعمان ، المجالس والمسايرات ، ص٤٧٦ .

(١٦١) أبو داود حباسة بن يوسف الكتاميّ البربريّ أمير برقة وقائد الاساطيل العبيدية سار في جيشٍ قاصدًا مصر فوصل إلى الجيزة وتقدم لكنه انهزم ورجع للمغرب . الكندي ،الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٩٥ ؛ الأصفهاني ،البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص٢١٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،٢٣/١٢ ؛الجزائري ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ٢١٧/٢ .

(١٦٢) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٣٨٦/٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ،١٧١/١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،٢٤٠/٢٢ ؛ الدواداري ، كنز الدرر ،٣٤٢/٥.

(١٦٣) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر المعتضدي بلغ رتبة الملوك لشجاعتة وسياسته ودهاءه ارسل لحرب الفاطميين سنة (٣٠٠هـ/ ٩٢٢م) وانتصر عليهم وبعدها حارب الخلافة العباسية ذاتها في أيام المقتدر بالله وحكم دمشق . الدارقطني ، المؤتَلِف والمختَلِف ،٣٩٣/٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،٥٦/١٥ ؛ الفاسى ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، ٢٧١/٣.

(١٦٤) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٢٨٦/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ بن خلدون ،٤٩/٤ ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء ،١/ ٦٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،٣/ ١٧٣ .

(١٦٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٣٨٦/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب ،٤٠/٢٣ ؛ الدواداري ، كنز الدرر ،٥/ ٣٤٣ .

(١٦٦) النويري ، نهاية الأرب ،٢٨/ ١١٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٤٩/٤؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،٦٦/١ .

(١٦٧) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٣٨٧/٢ ؛ النويري ، نهاية الارب ،٥٥/٢٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ،٦٤٣/٣ .

(١٦٨) جعفر المقتدر بالله بن احمد المعتضد بالله بن ابي احمد الموفق بْن جَعْفَر المتوكل عَلَى اللَّه بْن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، يكنى أبا الفضل وكان يتباهى بتقريب العلماء والفقهاء . بن زبر ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، ٦٢٢/٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،٢٢٢/٧ ؛ غرطوج ، قلائد العقيان ، ص ١٨٧ .

([١٦٩]) النويري، نهاية الأرب،٥٥/٢٢ ؛ الداودي ،كنز الدرر ،٣٥٠/٥ ؛الذهبي، تاريخ الإسلام،٢٥/ ١١٥

([١٧٠]) الذهبي، سير أعلام النبلاء ،٤٢٤/١١؛ العدوي ، مسالك الابصار ،٩٩/٢٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٣٣٥/١٥ .

([١٧١]) أبي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام القرمطي كبير القرامطة ومعلن مذهبهم من أهل جنابة (بفارس) ونفي منها فأقام بالبحرين تاجرا وجعل يدعو العرب إلى نحلته فعظم أمره استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين قتله خادم له صقلبي في الحمام في مدينة هجر. الأسد أبادي ، تثبيت دلائل النبوة ،٣/ ٣٤٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،١٣/٦ ؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ،٥٩/٢ ؛ السيوطي ، المحاضرات والمحاورات ، ص٤٣٣ .

([١٧٢]) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،١٤٧/٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،٢٣٩/٢٥ ؛ الدواداري ، كنز الدرر ،٥٥/٦ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،١/ ٢٣٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،٣١٤/١١ .

([١٧٣]) ابن خلكان ، وفيان الاعيان ،١٤٩/٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ،٣٨٤/١ ؛ صلاح الدين ، فوات الوفيات،٢/ ٦٠؛الصفدي ، الوافي بالوفيات،٣٣٥/١٥ ؛ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون،١١٦/٤ .

([١٧٤]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،٢/ ١١١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ،١٨٩/٢٢ ؛ الداوداري ، كنز الدرر ،٩٣/٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،٣٨١/٢٢ ؛ سير أعلام النبلاء ،١١/ ٥١٦ ؛ ابن الوردي ، تاريخ بن الوردي ،١/ ٣٧٤ ؛ العدوي ، مسالك الابصار ،١٥٧/٢٤.

([١٧٦]) فوات الوفيات ،٦١/٢.

المقدمات الحِجاجية في تفسير مناهج البيان

م. د . زهراء عبد الحسين خزعل السوداني

أ. د. صالح هادي شمام القريشي

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

المقدمات الحِجاجية في تفسير مناهج البيان

م. د. زهراء عبد الحسين خزعل السوداني
أ. د. صالح هادي شمام القريشي

الكلمات المفتاحية : مناهج البيان ، المقدمات الحِجاجية ، المُحاجج

ملخص البحث

إنَّ الحِجاج ينبني على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج المحاجج منها (خطيباً – كان أم كاتباً) خططه البرهانية ، وبوساطة هذه المقدمات يُستمال المعنيون . ومن أهم هذه المقدمات : (الوقائع ، والحقائق والافتراضات ، والقيم ، والهرميات) ، وقد شحذ الشيخ محمد باقر في تفسيره من الآلات والطرائق التي يقوي بها التخريج ويرشح بها التأويل ويضمن بها نجاعة خطابه التفسيري وقوته في كسب طاعة الجمهور وجعله يعتقد بوثاقة تلك الآراء التي يطرحها ، فمن تلك الآلات والطرائق (المقدمات الحِجاجية) التي بدت جلية في تفسيره ، إذ كشف البحث سياسته في توجيه أراء المتقبلين وجهة تحدد معالمها تلك المقدمات تحديداً معلوماً يضبط حركتها ويقوي دوافعها ويرصد منطلقاتها في الإرث الفكري الإسلامي .

Argunentatuve Introductions in Introduction Tafseer of Manahij Albayan

Extracted research introduced by PhD student Zahra'a Abdulhussien Khaza'al

Supervised by Assistant Prof.Dr.Salih Hady Alquraishy

University of Mustasiryah /College of Arts /Department of Arabic Language

Keywords :Manahij Albayan ,Argumentative Introductions ,Argumentations

Argumntation is formed on group of images,introductions,hypothesis that the argumentor (either he was orator or writer)forms his argumentative plans and by these introductions the concerned people are attracted .The most important introductions (facts ,realities ,hypothesis ,values pyramids).Shiekh Mohammed

Baqir in his Book Tafseer takes the mechanisms and methods which the explanations and choosing the inferences ,insure his intrpretations speech success ,his power in acquire the people obedience,making him believe the truth of the opinions he introduced .Among these methods is (Argumentative)that look clear in his Tafseer.The researcher explained its method in directing the aidience opinions and the meaning that discusses its features by the these introductions in learned plan which control its movement ,supportits motives and observethier ways in Islamic thinking heritage. ering arcted tative

المقدمة

لقد ربط علماء الحِجاج بداية انطلاق العملية الحِجاجية بمقدماتها ، وذلك كونها متعلقة بالقضايا التي فيها يكون المنطلق وبها يكون الاستدلال على قضية ما أو رأي بعينه(١). ويمكن تعريف المقدمات بكونها القضايا الأولية التي يؤدي التسليم بها إلى نتائج تلزم عنها بالضرورة(٢). لذلك نجد أنَّ الحِجاج ينبني على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج المحاجج منها (خطيباً – كان أم كاتباً) خططه البرهانية ، وبوساطة هذه المقدمات يُستمال المعنيون ، ولهؤلاءِ الحق في رفضها إذا لم تكن تنسجم مع تصوراتهم ، أو كانت من البساطة أو السطحية بحيث لا تمثل عنصراً جذاباً ، ومن أهم هذه المقدمات : (الوقائع ، والحقائق والافتراضات ، والقيم ، والهرميات) (٣). ومن تلك المقدمات :

أولاً : الوقائع (Lesfaits) :

يمثل هذا النوع من المقدمات الحِجاجية ما هو مشترك بين عدة أشخاص ، أو بين جميع الناس فهي ، أي : (الوقائع) لا تكون عرضة للدّحض أو الشك ، وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحِجاج(٤). وأنَّ التسليم بها من الفرد ليس إلاّ تجاوباً منه لشيء يفرض نفسه على الجميع فهي تقتضي إجماعاً كونياً وهي أقرب ما يكون للمسلمات لأنّها ثابتة (٥) . وتنقسم الوقائع إلى قسمين: وقائع مشاهدة أو معاينة ، ووقائع مفترضة : وهذان النوعان من الوقائع يكونان متطابقين مع بنى الوقائع التي يسلم بها الجمهور(٦) . فكان منطلق الشيخ محمد باقر في تفسيره من وقائع لا تقبل الشك أو الدحض لأنَّها وقائع استندت إلى النص القرآني المبارك الذي أثبت تحقق وقوعها

وعليه : فهي وقائع مسلم بها لأنّها مشتركة بين جميع المسلمين ، وكلُّ من آمن بأنَّ القرآن الكريم كتابٌ سماوي منزل من الله سبحانه وتعالى ، فكانت تلك الوقائع منطلقاً للحِجاج في التفسير، والتي كانت على قسمين :

- وقائع المشاهدة (المعاينة) :

أ-وقائع المشاهدة (المعاينة) في الأمم السابقة للعصر الإسلامي ومنها:

وقائع استدل بها الشيخ محمد باقر لإثبات سُنّة الله سبحانه – الحكيمة القيمة على ما نطقت به محكمات الكتاب وقطعيات السنن في مجازاة المحسنين على حسناتهم وصالح أعمالهم ، وكذلك مجازاة المذنبين على سيئاتهم وجرائمهم ، ومن تلك الوقائع ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا١٥**﴾ [الشمس: ١١-١٥] ، إذ أشار إلى أنَّ قوم ثمود أمة كفرت بالله وكذبت رسوله وأصرت على عبادة الأوثان وعلى إبطال حُجّة واضحة من الله ، فأهلكهم الله بسطواته ، وذكر بأن عاداً كانت بعد قوم نوح وثمود بعد قوم عاد وفقاً لما جاء من الآيات القرآنية المباركة فأقام صالح (عليه السلام) فيهم يدعوهم إلى دين الله وتوحيده وترك عبادة الأصنام وأخرج تعالى لهم ناقة من الجبل آية بينة لصالح (عليه السلام) معجزة خارقة لسُنّة العادة والطبيعة ، برهاناً نيراً على نبوته وصدق مقالته ، وكانت آية يعرفها العالم بعلمة، والجاهل مع جهله ، فقهرهم نبي الله صالح (عليه السلام) بهذه الآية وأبطل حججهم وأزاح عللهم وأعذارهم[٧] . ثم ذكر أن قولهُ تعالى : (((كذبت)) المراد من التكَذيب هو التكَذيب بطغيانهم في أعمالهم حين عمدوا إلى عقر الناقة التي كانت آية باهرة بين أظهرهم لوضوح أنَّ (إذ) في قوله تعالى ((إذ انبعث أشقاها)) ظرف لقوله : ((كذبت ثمود بطغواها)) والعامل في الظرف هو قوله تعالى ((كذبت)) ، فلا محالة يكون التكذيب بالطغيان) [٨] ، ثم نجد الشيخ محمد باقر يطرح سؤالاً منتزعاً من نفسه ذاتاً ثانية بقوله : (إن قلت بماذا أهلك الله ثمود وانتقم منهم؟ قلت : صريح عدّة من الآيات ، أنَّه تعالى أهلكهم بالصيحة قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ٦٦ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ٦٧**﴾ [هود: ٦٦-٦٧]... وصريح عدّة من الآيات أنَّه سبحانه

أهلكهم بالصاعقة ، قال تعالى : ﴿**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ٤٣ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ٤٤**﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٤] وصريح بعض الآيات أنَّه تعالى أبادهم بالرّجفة ، قال تعالى : ﴿**فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ٧٧ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ٧٨**﴾ [الأعراف: ٧٧-٧٨] [٩] .

وهنا نجد أنَّ الشيخ استعمل ما يسمى (بالحِجاج التقويمي) الذي هو في مرتبة عُليا من مراتب أصناف الحِجاج ، وهو : (إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسهِ ذاتاً ثانية يُنزلها منزلة المعترض على دعواه فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحُجَّة إلى المخاطب ، واقفاً عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي بوصفه هو أول متلق لما يلقي ، فيبنى أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم بهِ ، مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها)[١٠] . ثم يكمل استدلاله على نوع العذاب ، بقوله : (لم أجد في كلام المفسرين من تعرض للجمع بين هذه الآيات مع اختلافهم في كل من الصيحة والرجفة والصاعقة ، وحيثُ إنَّ الآيات مثبتات لا يبعد أنَّ يُقال بوقوع جميعها وأنّ الله سبحانه أرسل عليهم كلاًّ من الصيحة والرجفة والصاعقة بناءً على أنَّ الصاعقة هي النّار المرسلة من السماء)[١١] . وقد استند في ذلك إلى حُجَّة مهمة من الحُجج ،ألاّ وهي (حُجَّة السلطة) فهي من حُجج التواصل التواجديّ التي تقوم على استحضار القوة السلطوية ، فهي نمط من الحِجاج الموجّه والفعّال ، وهي حُجج لا تحاول إنشاء محاورة مع المُخاطب ، وإنَّما تحاول حمله على الإذعان بإخضاعه لسُلطة يُقرُّ بها سلفاً و يَعترف بنفوذها[١٢] . حيثُ توصل الشيخ محمد باقر إلى هذا الرأي وفقاً لما جاء في النص القرآني الذي هو بحد ذاته يُعد سلطة عليا، كذلك استند إلى سلطة اللغة بالرجوع إلى رأي الفيروز آبادي (ت٨١٧ هـ) في معجمه ،إذ قال فيه : (الصاعقة: الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ... أو نار تسقط من السماء وصعقتهم السّماء – كمنع – صاعقة – مصدر كالراعية أصابتهم بها . وكسمع صعقاً – ويحرّك – وصعقة وتصاعقاً فهو صَعِق ، ككتف:غشي عليه . والصَعَق – محركة : شدة الصوت . وككتف : الشديد الصوت)

[١٣]. وبذلك ينتهي استدلاله بالقول : (فالصاعقة قابلة الانطباق على الصيحة وعلى الرجفة بناءً على بعض هذه المعاني التي ذكرها في القاموس)[١٤]. ويمكن صوغ هذه الواقعة التي استدل بها الشيخ محمد باقر بالشكل الآتي :

[المعطى] : الدعوة إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام .

- أرسل الله سبحانه نبي الله صالحاً (ع) ومعه حُجَّة ومعجزة وهي (الناقة) ⟵ واقعة (١).
- أبطل حُججهم وأزاح عللهم وأعذارهم ⟵ واقعة (٢)
- كان فعلهم التكذيب وعقر الناقة ⟵ واقعة (٣)

[النتيجة] : إهلاكهم بأشد العذاب (الصيحة ، الرجفة ، الصاعقة) .

ب–وقائع المشاهدة (المعاينة) زمن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) :

ومن تلك الوقائع التي كانت منطلقاً للشيخ محمد باقر في تفسيره ، قوله تعالى : ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ٥**﴾ [المسد: ١-٥] ، إذ أشار إلى أنَّ سوق مثل هذه الواقعة لتكون بلاغاً وذكرى لأولي الألباب ، الذين يقرؤون هذه السورة المباركة في القرآن الكريم ، ويرون كرامته تعالى ، وعنايته الخاصة في حماية رسوله ونصرته على أعدائه المستهزئين بهِ – صلوات الله عليه وآله – [١٥] . فقد تحصل أن معاداة أبي لهب وزوجته – لرسول الله (ص) – الذي كان من أرباب الثروة والشرف وبيته من بيوت هاشم وزوجته أُخت أبي سفيان من أشراف قريش وفراعنتها من رؤوس الضلال والإلحاد ، إنّ هذه المعاداة لها شأن عظيم في حياة النبي(ص) في إيجاد الغوائل عليه وسد باب التوحيد لكن الله سبحانه نصر نبيه وانتقم له من أبي لهب وخذله وأخزاه ولم يغنِ عنه مطلق ما كسب من ولد وعزّةٍ وجاه وأعوان ... وكذلك زوجته التي كانت تنمّ على رسول الله (ص) وتحمل الأخبار عليه وتثير الغوائل بينه وبين قريش كي تشعل نار الفتن والفساد[١٦] . إنَّ

هذه المقدمة التي صاغها الشيخ محمد باقر في حِجاجه الذي استند فيه إلى الواقع لا يمكن ردها أو التشكيك فيها لأنّها كانت معاينة ومشاهدة من الجمهور ، وهي بهذا أدعى لثبوتها وقبولها ، فهذه الواقعة لا مراء فيها ولا جدال لأنّها محل اتفاق مجموعة كبيرة من الناس . ويمكن صوغها بالشكل الآتي :

[المعطى] : حلول بأسه وخزيه ونفاذ قضائه العادل .

- الانتقام من أعداء الرسول محمد صلى الله عليه وآله ⟵ واقعة (١).
- الدعاء بالتباب على أبي لهب وزوجته والأعلام بتحقق هلاكهما واقعة ⟵ (٢).
- **[النتيجة]** : عنايته الخاصة في حماية النبي (ص) ونصرته والانتقام من أعداءه وجعلهم عبره لمن أعتبر .

٢- وقائع مفترضة :

يُشير (بيرلمان) إلى أنّ من الوقائع التي لا شكَّ فيها وغير قابلة للدّحض هي ما كان منها مفترضاً (غير مشاهد للعيان "faits supposes ") ، لكنها تبقى متطابقة مع بُنى الوقائع التي يُسّلم بها الجمهور[١٧] ، فهي من الوقائع التي أخبر بها القرآن الكريم إذ تعد من المعجزات الباهرة للقرآن الكريم ، وبرهان صدق على نبوة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه واله) ، وهي من المعارف الجليلة ، وكان منها انطلاق الشيخ وعليها أسس حِجاجهُ واستدلالاته ، فكانت منطلقاً ثرَّاً و ناجعاً وممهداً لاستقبال الحُجّة المراد إيصالها للجمهور إذ ذكر في تفسير قولهُ تعالى : ﴿**وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ٩**﴾ [التكوير:٨-٩] ، قولهُ : (وقد اخبر تعالى في مقام الإنذار والتقريع – سيّما على الكافرين سيّما الطاغين في القرآن والرسول – عن وقوع القيامة وتحققها ؛ وبشيء من أهوالها من انتشار الصّحف ، وتسعير الجحيم وحضور الأعمال وذكر تعالى في مقام التهديد والإنذار عدّةً من أشراط الساعة وعلاماتها من تكوير الشمس وانكدار النجوم وسير الجبال وتفرقها؛ وبالجملة فناء الدنيا وبطلان أجسامها وانحلال صورها وتركيبها)[١٨] ، فكان الغرض من سوق هذه الواقعة هو أنّها : (من الحقائق والحوادث الكبار التي كشف عنها القرآن الكريم وهي من

جملة الغيوب المستورة التي ضرب الله عليها الحجاب فيستحيل العلم بها ولا يعلمها إلاَّ الله ومن ارتضاه لغيبة من رسله وصفوة خلقه ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] فالسبيل الوحيد في باب العلم بهذه الغيوب ونظائرها ، هو التقيد بالوحي مثل محكمات الكتاب الكريم وقطعيات السنن فمن تكلف وأخذ في الاستدلال عليها ، وخاض في البحث والتحليل بالمقدّمات العلميّة الاصطلاحيّة ، فلا يزيده إلاّ بعداً عن الحق وحرماناً عن أصابه الواقع) [١٩]. فكانت هذه الواقعة من الوقائع المسلم بها عند المسلمين وكان كلام الشيخ محمد باقر في تفسيرها باباً ومنطلقاً للولوج إلى الحُجّة الأساس التي أراد إيصالها إلى المتلقين وهي : أنَّ هذا النمط العلميّ خاص بالأنبياء والمرسلين ومن استغنى عنهم واستقلّ بنفسه وانتحل نفسه إلى العلم والفضل ، ما أدرك شيئاً من الحق وما وصل إليه أو وصل قليلاً من كثير وجاء بأشياء مغموسة مع اختلاف عظيم بينهم كذلك أن ما جاء بهِ القرآن الكريم في هذا الباب هو الأصل الأصيل والنمط القيم مما اختصت بهِ طريقة الأنبياء والرسل في دعوتهم وتعاليمهم .

ثانياً : الحقائق (Raelites) :

وهي أكثر أهمية وتعقيداً أو تجريداً من الوقائع ، وتتعلق الحقائق بالتصورات والنظريات العلمية والمفاهيم الأدبية والفلسفية الصادقة واليقينية ، والمفاهيم الدينية المتعالية على التجربة فمن هنا يربط (الخطيب/المُحاجِج) بين مجموعة من المواضع والحقائق والوقائع ، من أجل الاستدلال على صحة نظرية ما ، ومن أجل جعل المخاطب يقتنع بما يصله من استدلالات وحُجج متنوعة ومختلفة ، ويعني هذا أنَّ الحقائق يتفق حولها الجمهور ، ويعدها مسلمات تكاد تكون صادقة [٢٠] ومن تلك الحقائق التي عمدَ إليها الشيخ محمد باقر لتكون منطلقاً في حِجاجه ، تفسيره لقوله تعالى: ﴿**تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢**﴾ [الملك: ١-٢] ، إذ قال : (اعلم أنَّ حقيقة الإنسان بحسب الكتاب والسُنّة عبارة عن الروح والبدن ؛ وحقيقة الموت هو التفريق بين الروح والبدن ، وواضح عند أهل البصائر أنَّ الإماتة من جملة أفعاله تعالى الحكيمة القيمّة والآيات الكريمة تنادي بأعلى صوتها أنّه تعالى يُحي ويُميت فهو المتفرد في ذلك وحده لا شريك له ، فعليه يكون الموت من جملة ما

خلقهُ الله سبحانه ، فلا محالة لا يكون هذا الموت إلاّ عن مشيئته تعالى وإرادته وقدرهِ وقضائه ، فيميت الإنسان ويموت معه جميع آماله وأمنياته ، وينتقل إلى عالم البرزخ وينتظر البعث ، قال تعالى : ﴿ **وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ١٠٠** ﴾ [المؤمنون: ١٠٠])[٢١]. مما سبق نجد أنَّ الشيخ محمد باقر قد أستعمل استراتيجيات حِجاجية متنوعة في خطابة منها :

– أنّهُ ابتدأ حِجاجه بـ (أعلم) الذي يعد بضمن ما يسمى بـ (الموجهات التعبيرية) التي تمثل باختلاف أنواعها منطلقات واسعة تسمح باستعمالات متعددة للحِجاج ، والتي توفّر للمحاجّ الوسائل المفضية إلى إقناع الجمهور وحمله على التصديق عبرَ التنويع في ضروب التعبير عن الفكرة الواحدة[٢٢] .

– كذلك نجده يتخذ من الاستعارة في قوله : (والآيات الكريمة تنادي بأعلى أصواتها) حُجّة لما لها من وظيفة توجيهية ، فالاستعمال الاستعاري في الدرس الحِجاجي يُعد وسيلة تواصلية في النص ، لأنَّها تُحدثُ تفاعلاً مع الآخر ، وتتحول إلى أداة من أدوات الإقناع الحِجاجي بما تقوم به من تأثير عند تحويل المعنى المتخيل إلى أفكار جديدة اعتماداً على مقومات حسية ، فالقول الاستعاري يُعد (آلية حِجاجية بامتياز)[٢٣].

– كما وظّفَ العامل الحِجاجي (لا – إلاَّ) في قوله : (لا يكون هذا الموت إلاَّ عن مشيئته تعالى) الذي أسهم في إبراز حضور الشيخ محمد باقر في كلامه ، وفي الكشف عن مدى تأكده منه ، فهذا من العوامل التي إذا وردت في الكلام فأنَّها توجهه نحو خدمة نتائج معينه دون غيرها وتلغي الإمكانات الأُخرى كافة ، التي يمكن أن تصحب عملية تأويله[٢٤] . كما يُعد (النفي والاستثناء بـ إلاّ) عاملاً حِجاجياً مهماً بما يقصر من شيء على شيء آخر في بنية النص ، وتكون الفكرة المشتركة بين كل من المرسل والمتلقي هي المسار المؤدي إلى نتيجة ما ؛ ذلك لأنَّ هذا العامل صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة والضغط على محتواها الخبري لكي يجعل المتلقي يُذعن ، فكثيراً ما يُستعمل هذا العامل ونحوه في توجيه القول نحو ما يعتقدهُ المتحدث[٢٥] .

– والذي أعطى لحِجاج الشيخ في كلامه قوته في التأثير ، الاستشهاد بالآيات القرآنية المباركة التي تعد من أقوى الشواهد في الثقافة العربية الإسلامية ، وترجع هذه القوة إلى كون سلطة

القرآن الكريم غير شخصية ، لأنّه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين فقد عُدَّ الاستشهاد بهِ أمراً ضرورياً في كل خطاب ، لأنَّ القرآن (هو القطب الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية والعقائدية للمسلمين) [٢٦] .

نستنتج مما سبق : إنَّ حِجاج الشيخ محمد باقر انبثق عن حقيقة دينية مركزها (إحاطة قدرته تعالى واستعلائه على كل شيء) ، ومن ذلك حقيقة (الحياة ، الموت) و (إنَّ الحياة خارجة عن حقيقة الإنسان ، مثل : العقل ، والعلم . فإنّيّة الإنسان حقيقة مظلمة ، فبإفاضة الحياة منهُ تعالى يصير حياً ، وبفيضه يصير ميتاً) [٢٧] . ويعمد الخطيب للربط بين الوقائع والحقائق ؛ ليُحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة ، أو لفت ذهن السامع إلى حقيقة ما غفل عنها الأخير أنزلها الخطيب منزلة الواقعة غير المعلومة .

ثالثاً : الافتراضات (Presomptions) :

يؤكد (بيرلمان) أنّ الافتراضيات شأنها شأن الحقائق و الوقائع تحضى بالموافقة العامة ولكنَّ التسليم بها والإذعان لها لا يكون قوياً حتى يؤيد بأدّلة وأنساق برهانية تدعمها وتقويها [٢٨] . وهذه الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعاً للوسط والمقام والمتكلم والسامعين والأدلوجات ، لأنَّها تقاس (بالعادي أو المحتمل) والعادي: مفهوم مجرد يختلف باختلاف القدرات والإمكانات الفردية والجماعية [٢٩]. ولذلك نجد (أوليفيي روبول) يقول : (تمتلك الافتراضات دوراً رئيسياً لأنَّها تشكل ما سميناه (المحتمل) أي ما يسلّم بهِ الجميع إلى حين إثبات العكس)[٣٠] . ومن تلك الفرضيات ما ذكره الشيخ محمد باقر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ٩١**﴾ [البقرة: ٩١] ، فمن جملة ما ذكره في تفسيره لهذه الآية المباركة قوله : (أقول : إنَّه على فرض كون اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليهم فليس قتلهم الأنبياء المبعوثين إليهم إلاّ لجاجاً وعناداً) [٣١] . فالافتراض الذي قدمه النص القرآني وأكدهُ الشيخ بـ(إنَّ) المشددة هو الادعاء الذي قال بهِ اليهود آنذاك (أنهم مؤمنون بما أُنزل عليهم ، ويقصدون بذلك التوراة) والحقيقة هم ليسوا كذلك ، إذ استند المحاجج في بطلان هذا الافتراض إلى الحقائق التي منها : (قتلهم الأنبياء) ليمنح حِجاجهُ بداية قوية نافذة ، فهي من القضايا المسلم بها عند

جمهور المتلقين ولا سيّما الطائفة المسلمة [٣٢] . والذي زاد من قوة الحِجاج في هذه القضية هو : (المُسائلة) في النص القرآني التي أثبتت التناقض الذي هم عليه ، وهو : (الجمع بين الإيمان وقتل الأنبياء) وهنا يكشف لنا الحِجاج القرآني و التفسيري عن حُجّة من الحُجج شبه منطقية وهي: (حجة التناقض وعدم الاتفاق) التي سيأتي عليها البحث إن شاء الله .

لذلك نجد أنَّ الشيخ الطاهرين عاشور وهو في صدد تفسير هذه الآية المباركة يقول عن ذلك : (فصله عما قبله لأنَّه اعتراض في أثناء ذكر أحوالهم قصد بهِ الرد عليهم في معذرتهم هذه لإظهار أنَّ معاداة الأنبياء دأب لهم وأنّ قولهم (نؤمن بما أُنزل علينا) كذب ، إذ لو كان حقاً لما قتل أسلافهم الأنبياء الذين هم من قومهم ودعوهم إلى تأييد التوراة والأمر بالعمل بها ولكنهم يعرضون عن كل ما لا يوافق أهواءهم وهذا إلزام للحاضرين لما فعله أسلافهم لأنَّهم يرونهم على حق فيما فعلوا من قتل الأنبياء ، والإتيان بالمضارع في قوله (تقتلون) مع أنَّ القتل قد مضى لقصد استحضار الحالة الفظيعة ، وقرينة ذلك (من قبل)... والمراد بأنبياء الله الذين ذكرناهم في قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ٦١**﴾ [البقرة: ٦١])[٣٣] . ففي السياق نفسه يقول الشيخ محمد باقر في تفسير الآية المباركة في سورة البقرة : (٦١) : (هذا جناية أخرى منهم فأنَّهم كانوا يقتلون الأنبياء المعصومين وأولياء الله الطاهرين ، وقوله : (ذلك) إشارة إلى قتل الأنبياء)[٣٤]. فالافتراض بوصفه شكلاً من أشكال المقدمات الحِجاجية التي يبني عليها المتكلم حِجاجه له صور وأنساق مختلفة يسعى المحاجُّ عبرها إلى تحصيل موافقة الجمهور الضمنية التي تعد شرطاً من شروط نجاح عملية الإقناع ، فكانت الموافقة الضمنية حاصلة من النتيجة التي هي : (أنّهم من التكذيب في التوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والقرآن عناداً وخلافاً لأمره وبغياً على رسوله)[٣٥] .

رابعاً : القيم (Les valeurs) :

توجد القيم في أساس الحِجاج وغايته ، وهي تتغير مع السامعين ، أكثر من الوقائع فتوجد قيّم كلية لكنها صورية فلا ريب أنَّ كل مجتمع يقبل العادل أو الجميل ، لكن بمضامين مختلفة كثيراً إلاّ أنَّ هذا الطموح إلى الكلية هو في حد ذاته حُجَّة [٣٦]. فهي عنصر أساس من

عناصر الحِجاج ولها أثرٌ بارز في العلوم الإنسانية ، إذ يُعتمد عليها في تغيير مواقف السامعين ، ودفعهم إلى الفعل المطلوب [٣٧] . وقد ميّزَ (بيرلمان و وتيتكاه) بين صنفين من القيم ، قيم مجردة: كالعدل ، والشجاعة والكرم، والفداء ، ومحسوسة : كالوطن ، وأماكن العبادة [٣٨] .

وتظهر قيمة (الكرم) في قوله تعالى :﴿**ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ٣**﴾ [العلق: ٣] وهي من القيم المجردة أشار إليها الشيخ محمد باقر في قوله:(((الأكرم)) : أي : الأعظم كرماً من أن يبلغ كرمه كرمَ كريم... فأنَّ صيغة أفعل إذا نُسبت إليه تعالى يتجرّد وينسلخ عن معنى التّفاضل إذ ليس في عرض ذاته تعالى وفي مرتبته شيء يساويه ، ولا في مقابل نعته نعتُ أحد يدانيه ، كي يكون تعالى أكمل منهُ في ذاته وفي نعوته . فلا محصّل لتوهّم التّفاضل بينه تعالى وبين خلقه) [٣٩] .

ومن القيم التي مجّدَ تعالى بها نفسه في كتابهِ العزيز هي قيمة : (العدل) ، إذ ذكر الشيخ في تفسير قولهُ تعالى : ﴿**وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ٤٧**﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، قائلاً : (أخبر تعالى أنّهُ يضع يوم القيامة الموازين العادلة ليعلمَ الناسُ مقدار ما عملوا من الحسنات والسيئات ويعلموا أنَّ أي من أعمالهم أثقل وأرجح ، وليعلم المؤمنون المسيئون أنَّهُ تعالى ما أراد في عذابهم فوق ما يستحقون ؛ وإن عفا عنهم بعد ذلك فبرحمته وفضله، وليعلم المحسنون أنّهُ سبحانه ، ما نقص عمّا وعدهم من الثواب على حسناتهم تفضلاً ، وإن زادَ على ذلك وضاعفها وأنماها ، أو بدّل بعضاً من سيّئاتهم حسنات ، فهو تعالى ذو الفضل العظيم ... فلا ظلم اليوم لأحد من المسيئين والمحسنين)[٤٠] .

فهذه القيم في جملة القيم الإنسانية التي تكون محل اتفاق كوني لا تحدد في بيئة معينة أو مجتمع من دون الآخر ، بل هي محل تسليم الجميع إذ (إنَّ الأخلاق والقيم لا تخلو منها أية ثقافة ، فالقيم الإنسانية واحدة في جميع الديانات تقريباً)(٤١) . أما القيم المحسوسة فمنها : (القرآن الكريم) : إذ نجد الشيخ محمد باقر عندما يفسر بعض الآيات المباركة التي تذكره كقوله تعالى:﴿**إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا٥**﴾ [المزمل: ٥] وقوله تعالى : ﴿**فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ١٨**﴾ [القيامة: ١٨] ، نجده يُبين أهمية هذه القيمة الكبيرة والعظيمة بقوله : (لا ريب عند أولي الأبصار أنَّ القرآن الكريم حُجَّة بين الله سبحانه وبين خلقه وهو حبلٌ ممدود بينه تعالى وبين عباده عند من

عرفَ لغة القرآن ، اللغة المقدسة العربية فالقران الكريم قد وصفة الله سبحانهُ أنهُ برهان وفرقان وبيان وتبيان وشفاء وضياء ، ونور وبصائر ، وغير ذلك من نعوتهِ الجليلة .. وحيثُ إنَّ القرآن هداية وإرشاد إلى جميع العلوم الفطرية التي يتمكن الناس من نيلها و دركها ، وما ألهمهم الله تعالى من فجورهم وتقواهم)[٤٢] . ثمَّ يقول : (إنَّ المراد بالقول الثقيل هو القرآن المبين . فإنّ له عند الله سبحانه ، وعند الراسخين في العلم وزناً لا يساويه شيء وموضعاً لا يدانيه أمر ، وقد قال صلى الله عليه وآله : " إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً حتّى يردا عليّ الحوض ": فالقرآن الكريم أكبر الثقلين وأعظم الخليفتين)[٤٣] . إنَّ جوهر ذكر القيم سواء كان ذكرها في النص القرآني المبارك أم في تفاسير النص القرآني إنَّما يكمن في بعدها التأثيريّ والإجرائي في المتلقي لأنَّها واقع عملي وعياني تفرض نفسها في ساحة الإقناع .

خامساً : الهرميات : (Les Hierarchies) :

تخضع القيم لهرمية ما ، فهي درجات ومراتب ، إذ تكتسي هذه الهرمية قوة حِجاجية قد تفوق القوة الحِجاجية للقيم نفسها [٤٤] . وتتأتى من كون القيم ليست على درجة واحدة ، وإنَّما تخضع لتراتبية هرمية ، ووعي المُحاجِج بتراتبيتها أهم من القيم نفسها لأنَّ هذا التراتب يختلف من مجتمع إلى آخر[٤٥] . إنَّ الترتيب والتدرج لهذه القيم ينتج عنه حاصل مفاده أنَّ المحاجّ وهو يراتب بين قيمه المجرّد منها والمحسوس إنَّما يضع مجال اختياره ويعرب عن باطن مقداره في تقديم قيمة على أُخرى تقديم مراتب وتنظيم[٤٦] . وقد آثر الشيخ محمد باقر هذه التراتبية في القيم ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ ٢٠**﴾ [المزمل: ٢٠] ، إذ قال : (واضح أنَّ المراد ليس ما هو متعارف من إقراض المؤمنين بعضهم بعضاً بل الظاهر أنَّ المستقرض هو الله والمقرض هم المؤمنون... والظاهر أنَّ المراد من الخير هو الثواب الذي وعده الله تعالى لأهل الإحسان. والتفاضل أنَّما هو بين هذا الخير والأجر الأعظم ، وبين عين المال الذي أنفقه في سبيل الله ، لأنَّ المقترض هو الله سبحانه ، فيؤدي ما اقترضوه أداءً وافياً بما شاء وأراد كما في قوله تعالى : ﴿**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١**﴾ [البقرة: ٢٦١] ، وفي الصحيفة السّجادية ، قال الأمام علي بن الحسين

(عليهما السلام) ((يامن يُثمر الحسنة حتى ينميها*))[٤٧] . فالقَرْضُ في الاصطلاح الفقهي : هو أن يدفع الإنسان إلى غيره ما لا ينتفع به في الوقت الحاضر ثم يضمن للمالك عوضه مثله أو قيمته في المستقبل[٤٨] . والقَرْضُ : هو فعل خير يؤديه الإنسان مع أخيه وهو معروف أثبته الشارع إمتاعاً للمحتاجين وسماه الأمام الصادق (عليه السلام) معروفاً [٤٩] . فهو بحد ذاته قيمة إيجابيه حسنة (بين المؤمنين) ، ثم ترتقي هذه القيمة حين يكون المقترض هو مالك الملك والمقرض هو من لا يملك لنفسه شيئاً ، وعليه فإنَّ الأجر الذي يعود على الإنسان المؤمن في الترتيب الثاني لقيمة القرض هو الخير والأجر العظيم كما وصفه أحسن القائلين . ومن القيم المحسوسة ، (الأشخاص) الذين يمثلون جوهر القيم والصورة المثال الذين مدحهم عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز ، نحو قوله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا٦**﴾ [الإنسان: ٥-٦] ، فقد أشار الشيخ محمد باقر إلى ذلك بقوله : (لا يُبعد أن يُقال أنَّ ((عيناً)) بدل من ((كافورا)) وقوله : ((يشرب بها)) أي من هذه العين عباد الله المرتضون ، وفي إضافة ((عباد)) إليه تعالى إشارة إلى تشريف هؤلاء الكرام الأحرار ، وفي الآية الكريمة أيضاً إشعار بأنَّ هذه العين أعلى وأطيب من شراب الكأس الذي يشرب منها الأبرار ، فعليه يكون المراد من (عباد الله) في الآية الكريمة غير الأبرار المذكورين في صدر الآية ، وأن مرتبة هؤلاء الأصفياء أعلى وأشرف من مرتبة الأبرار ، إلاّ إن يُقال : إنَّ الأبرار في الآية الكريمة بعينهم عباد الله ، وإنَّ التعبير بالأبرار لإبراز صدقهم وسدادهم ، والتعبير بأنَّهم عباد الله لبيان مقام خضوعهم وإبراز أدبهم في ساحة ربهم ، أقول : الأظهر ما ذكرناه)[٥٠]. فهذه المُثل أنَّما هم قيم كونية إنسانية استمدت ضياءها من المثل الأعلى الحقيقي الذي هو الله تعالى [٥١] . فكان هؤلاء صوره حية للمؤمنين غير مؤطرة بزمان وغير محدده بمكان وإنّ مسار الهرمية القيمة القائمة على التدرج : (عباد الله ، الأبرار) يسير بخط واحد نحو الحق تعالى وهو طريق لا محيص من نجاة من اتبعه ، وضلالة من خالفه .

كذلك نجد تراتبية بين القيم المحسوسة والمجرّدة ، وهي قيمتا : (النبي محمد صلى الله عليه وآله – والاستغفار) ، أشار إليهما الشيخ محمد باقر في تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ**

غَفُورٌ رَّحِيمٌ٢٠﴾ [المزمل: ٢٠] ، إذ قال : (الاستغفار : طلب العفو من الله سبحانهُ والاستخلاص من مؤاخذة ما اجترم من الآثام ، وهذا من الواجبات البديهية العقلية ... وكفى به فضيلة أنَّه أمان من الله سبحانه من سخطه وعذابه في الأرض ، قال تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ٣٣**﴾ [الأنفال: ٣٣][٥٢] ، فالعذاب لا يقع ، بسبب وجود القيمة والمثل الأعلى لكل البشر وهو النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، ووجود الاستغفار من قبل المؤمنين . ثم نجد الشيخ يستدل بالمروي لإثبات هذه التراتبية التي شكلت بنية حِجاجية متينة وبؤرة مهمة في خطابه ، وهي رواية مروية عن (عبد الله بن محمد الجعفي قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) والاستغفار حصنين لكم من العذاب ، فمضى أكبر الحصنين ، وبقيَّ الاستغفار ، فأكثروا منه فإنَّه منجاة للذنوب ، وإن شئتم فاقرؤوا ((وما كان الله ليعذّبهم ...))[٥٣] . فهرمية الحِجاج هنا تدرجت من الأعلى مرتبة إلى الأقل .

سادساً : المواضع (Les Lieux) :

لا يختلف تصور (بيرلمان) للمواضع عن تصور (أرسطو) لها ، فكلا الرجلين يعد المواضع مقدمات عامة وشاملة تستمد عناصرها الحِجاجية مما سماه (شيشرون) بـ (مخازن الحُجج) ، لكن الاختلاف بينهما يكمن في تحديد أنواع هذه المواضع[٥٤] . وللمواضع أثرٌ كبيرٌ في الحِجاج والدفع إلى الفعل وخلخلة العقبات التصورية التي تكون أحياناً راسخة لدى المحاججين والتي لا تنسجم مع البناء الحِجاجي المقدم[٥٥] . فضلاً عن ذلك فالمواضع تعد النقطة المركز التي تحوم حولها عملية نجاعة الخطاب لذلك عرَّفها (دومارسي) بكونها : الأقفاص التي يمكن لكل الناس أن يذهبوا إليها من أجل أن يأخذوا مادة خطاب ما ، وحُججاً حول كل نوع من الموضوعات وهي تمثل رافداً للقيم وهرميتها عند عملية الإقناع التي يروم الخطيب تحقيقها [٥٦] . انطلاقاً من هذه الأهمية نجد أنَّ (بيرلمان) قد صنفَ المواضع في كتابه (مصنّف في الحِجاج) إلى صنفين كبيرين ، هما : مواضع الكم ، ومواضع الكيف ، وهناك مواضع أُخرى أفردَ لها فقره وضرب فيها أمثلة [٥٧] .

١-مواضع الكم (Lieuxde quantite) :

وهي المواضع التي تثبت أنَّ شيئاً ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية ، بحيث يتكأ في الاحتجاج بها على مقولة (الكم ، والعدد) وذلك إذا صيغ الموضوع على مقولة الكثير والقليل[٥٨]. أو هو ذلك المؤثر الذي يمنح خيراً أكثر ، أو الخير الأعظم والأدوم ، أو الذي يضمن الشر الأقل[٥٩]. ومن تلك المواضع التي وظَّفها الشيخ محمد باقر في منهاج البيان ، ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧** ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وذلك عندما اعترض بنو إسرائيل على ملك (طالوت) بأنَّهُ لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة وليس له ثروة ولا جاه ، إذ قال : (اصطفاؤه تعالى واختياره شخصياً على العباد هو جعله آمراً بأمره وحاكماً بحكمه فيهم فلا بد من إفاضة العلم من الله تعالى فإنَّه الركن الأصيل في الخلافة والحكومة الإلهية وبديهي أنَّ هذا العلم ليس من سنخ العلوم العادية في الناس ، فأقل ما يلزم على الحاكم للخلق أن يكون أعلم من جميع من يسودهم ويقودهم ، وأخشاهم وأتقاهم ، ولا بدَّ أن يكون بصيراً بتدبير الحكومة طبقَ ما قلّده الله واستخلفه في عباده ، ولا يمكن هذا إلاّ بتأييد وتعليم من الله تعالى بخصوصه ، وكذلك لا بدَّ أن يكون قوياً في إنفاذ أوامره تعالى وأحكامه فالنقص في القوى الجسمية يقعده عن إنفاذ أوامره التي تحتاج إلى إعمال القوة والقدرة)[٦٠]. فالحُجَّة هنا مبنية على مقدمة موضع الكم من حيثُ (القلة والكثرة) بما يخدم غرض الآية المباركة ويقوي حُجتها في إقناع المتلقي ، فقوله تعالى : ((وزاده)) معيار كمي من حيثُ (العلم ، والجسم) ، والكم هنا زاد التأثير في المخاطب حول مشروعية اختيار واصطفاء (طالوت) على غيره . ونجد هذا الموضع في تفسيره قوله تعالى : ﴿**وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا٢٢**﴾ [نوح: ٢٢] وهم قوم نبي الله نوح (عليه السلام) إذ قال : (هذه السُنَّة الخبيثة السيئة مستندة إلى جميع القوم ، وقد ارتكبوا في إطفاء نوره وإبطال حُجَّته القيّمة حيلةً ومكراً كبّاراً ...ولعل العناية في الكبّار إلى كثرة الماكرين)[٦١] ، فكثرة هؤلاء الماكرين هو المعيار الذي على أساسه صيغ الموضع.

٢- مواضع الكيف (Lieuxde qualite) :

وهو المواضع التي تؤكد في الخطاب صلاحية شيء دون آخر لأسباب كيفية لا دخل للكم فيها بل إنَّها متفردة وسبب تفردها قيامها على الوحدة ، مثل الحقيقة التي يضمنها الله فهي واحده في مقابل آراء البشر المختلفة [٦٢]. ومن ذلك ما ذكره الشيخ محمد باقر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ٢٢٢**﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، إذ قال في التفريق المفهومي بين محبة الله سبحانه ومحبة المخلوقين: الفرق بين محبّة الخالق ومحبة المخلوقين إنَّ الثانية هي الشوق الغريزي أو الشعوري على الاستكمال على حسب اختلاف المدارك والأشواق ، والمشتاق إليه شرفاً وخسة ، فهذه المحبة مشوبة بنواقص وفقدانات بخلاف محبة الخالق فأنَّ الخالق واجد لجميع مراتب الكمال والجّلال بأتم ما يكون ، فالمحبة في حقه تعالى مقدسة عن القصورات والنقائض والكدورات الإمكانية ... إنَّ حبه تعالى مقدس ومتأبّ عن التصور والتوهم والتشبيه ، فلا بدَّ أن يُعرف بآثاره وعلاماته عرفاناً وإثباتاً خارج عن الحدين : حد التعطيل والتشبيه)[٦٣] . . والملاحظ أنَّ هذه المواضع مثل القيم تتفاوت في نسبيتها بين الزمان والمكان والأشخاص والمقام بصفة عامة ، وأنَّ لكل نوع منها أسلوبه الحِجاجي الخاص [٦٤] . فعبرَ هذا الموضع الكيفي ، وهو (حبُّ الله) الذي استمد قيمته الحِجاجية من تفرده به تعالى ، وعدم مقبولية موازنته مع غيره ، وهو(حبُّ المخلوق) ، عُدَّ ذا قيمة حِجاجية عالية قادرة على اكتساب رضى أكبر عدد ممكن من المتلقين .

الخاتمة

لقد ربط علماء الحِجاج بداية انطلاق العملية الحِجاجية بمقدماتها ، وذهبوا إلى أنَّ مقدمات الحِجاج هذه تؤسس لنقاط الارتكاز التي سينطلق منها الحِجاج. فقد أظهر البحث أنَّ الشيخ محمد باقر قد أجاد في انتقاء عناصر المحاجّة في تفسيره على أساس نوعية الجمهور المتلقي للخطاب في تفسيره وقد تمثل ذلك في استحضار العنصر المنُتقى وجعله ماثلاً بين أعين المخاطبين وأذهانهم ، إذ استمد هذا الإحضار أهميته كونه مؤثراً يؤثر في الوجدان تأثيراً مباشراً . فقد أظهر البحث كفاءة الشيخ محمد باقر عبرَ منهجه في بناء آراءه التفسيرية ورؤيته التي أسس عليها اختياراته

في تقديم الفرضيات و المقدمات التي من حقها التقديم في مقام خاص ومع جمهور بعينه لأنَّ وحدات البداية تعد أهم ما يُقرع الأذهان المتلقية ، وتحدد القبول أو الرفض للتصور المتقدم .

الهوامش:

(١) ينظر: الحِجاج والحقيقة وآفاق التأويل ، د. علي الشبعان : ٩٦.

(٢) الحِجاج الحواري بين الله وإبليس في النص القرآني ، د. رعد رشراش الناصر ، (بحث) في (مجلة) العلوم الإنسانية ، العدد (٣٣) : ٢٤٠

(٣) ينظر : مفهوم الحِجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم محمد : ٤٨٨/١ ، بضمن كتاب : (الحِجاج مفهومه ومجالاته) .

(٤) ينظر: في نظرية الحِجاج دراسات وتطبيقات ، أ.د. عبد الله صولة : ٢٤

(٥) ينظر: الحِجاج أُطُرُهُ ومنطلقاته وتقنياته ، أ.د. عبد الله صولة (بحث) بضمن كتاب : (أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) : ٣٠٨

(٦) ينظر : في نظرية الحِجاج دراسات وتطبيقات ، أ.د. عبد الله صولة : ٢٤

(٧) ينظر : مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٥٠٦/٣٠

(٨) المصدر نفسه : ٥٠٧/٣٠

(٩) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٥١٠/٣٠-٥١١

(١٠) الحِجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن (مقاربة إبستمولوجية) ، د. محمد حمودي (بحث) في مجلة (حوليات التراث) ، عدد (١٢)، ٢٠١٢ ، جامعة مستغانم ، الجزائر.

(١١) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٥١١/٣٠.

(١٢) ينظر: الحِجاج في قصص الأمثال ، عادل عبد علي الغامدي : ١٨٧.

(١٣) القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي : ٩٠٠/١

(١٤) منهاج البيان ، الشيخ محمد باقر :٥١٢/٣٠

(١٥) ينظر : مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٧١١/٣٠

(١٦) ينظر : المصدر نفسه :٧١١/٣٠-٧١٢ ، وينظر : التبيان ، الشيخ الطوسي : ٤٢٧/١٠ وينظر : الكشاف ، الزمخشري : ٨١٣/٤- ٨١٦ ، وينظر : مجمع البيان : ٣٦٥/١٠ وينظر: ونور الثقلين ، عبد علي جمعة الحويزي : ٣٥٣/٨-٣٥٥

(١٧) ينظر : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، أ. د . عبد الله صولة : ٢٤ وينظر : الخطاب الحِجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) ،عبد الحسن علي : ٧٤

(١٨) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر ، ١٨٦/٣٠

(١٩) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٠١/٣٠

(٢٠) ينظر : شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي : ٤٠ ، وينظر : بلاغه الإقناع في المناظرة ، د. عبد العالي قادا : ١٦٢.

(٢١) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٩/٨.

(٢٢) ينظر : حِجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية ، د. الزماني كمال : ٩١ .

(٢٣) ينظر : عندما نتواصل نغير ، د. عبد السلام عشير : ١٢٠، وينظر ، الحِجاج في النص القرآني ، د. هاني يوسف : ١٠١ .

(٢٤) ينظر : حِجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية : د. الزماني كمال : ٢٢٢.

(٢٥) ينظر : أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي ، مثنى كاظم صادق :١٠٨ – ١٠٩ .

(٢٦) التفكير البلاغي عند العرب ، أ. حمّادي صمّود : ٣٤

(٢٧) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٩/٢٩.

(٢٨) ينظر : في نظرية الحِجاج دراسات و تطبيقات ، أ. د . عبد الله صولة : ٢٥ ، وينظر : الحِجاج في الحديث النبوي ، د. أمال يوسف المغامسي : ٨٥ وينظر : بنى الحِجاج في نهج البلاغة ، د. علي عبد الواحد :٢٠٠

(٢٩) ينظر: الحِجاج في البلاغة المعاصرة ، د. عبد العالي قادا : ١٦٢– ١٦٣.

(٣٠) مدخل إلى الخطابة ، أوليفي روبول ، ترجمة : رضوان العصبة :١٦٥.

(٣١) منهاج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٨٥/١ .

(٣٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري : ٣٥٠/٢ ، وينظر : معالم التنزيل ، البغوي : ١٢٢/١ ، وينظر : إرشاد العقل السليم ، أبو السعود : ١٣٠/١.

(٣٣) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور :٦٠٨/١

(٣٤) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر :٢٣٩/١

(٣٥) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي :١٤٤/٣–١٤٥

(٣٦) ينظر :مدخل إلى الخطابة ، أوليفي روبول ، ترجمة : رضوان العصبة ، مراجعة : د. حسان الباهي : ١٩٥ – ١٩٦ .

(٣٧) ينظر : الحِجاج في الحديث النبوي ، د. أمال يوسف المغامسي : ٨٦ .

(٣٨) ينظر : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، أ.د. عبد الله صولة : ٢٦ ، وينظر: الحِجاج وتوجيه الخطاب ، د. باسم خيري خضير :٦٦ .

(٣٩) مناهج البيان ، محمد باقر : ٣٠/٥٨١-٥٨٢.

(٤٠) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٣٠/٢٩٨-٢٩٩

(٤١) ينظر : العقل الأخلاقي العربي ، محمد عابد الجابري : ١٩٨.

(٤٢) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٩/٢٦٠

(٤٣) المصدر نفسه: ٢٩/١٣٠، وينظر: حديث الثقلين، السيد علي الحسيني الميلاني: ٨-٩-١٠

(٤٤) ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد العالي قادا : ١٦٣-١٦٤.

(٤٥) ينظر : الحِجاج في الحديث النبوي ، د. أمال يوسف المغامسي : ٨٦

(٤٦) ينظر : الحِجاج والحقيقة وآفاق التأويل : د. علي الشبعان : ١٠٤ .

(٤٧) منهاج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٩/١٥٥-١٥٦. وينظر : الصحيفة السّجادية الكاملة للأمام زين العابدين علي ابن الحسين (عليه السلام): ١٤٦

(٤٨) ينظر : المصطلحات الحوزوية الميسرة ، إبراهيم سرور ، ١٢٩.

(٤٩) ينظر : الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، محمد بن مكي : ٣/٣١٨.

(٥٠) منهاج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٩/٢٩٧

(٥١) ينظر : الخطاب الحِجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) ، عبد الحسين الناصر : ٨٥.

(٥٢) منهاج البيان : الشيخ محمد باقر ٢٩/١٥٦.

(٥٣) المصدر نفسه : ٢٩/١٥٦، وينظر : تفسير العياشي ، الشيخ محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ) : ٢/١٩٢.

(٥٤) ينظر : قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، ترجمة : عمر أوكان : ٦٠ ، وينظر : حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية ، د. الزماني كمال :٨٦ .

(٥٥) ينظر : مفهوم الحِجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم محمد ، (بحث) يضمن كتاب (الحِجاج مفهومه ومجالاته) : ١/-٥٠٦.

(٥٦) ينظر: قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، ترجمة : عمر أوكان :٦٠ ، وينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، عز الدين الناجح : ٨٢.

(٥٧) ينظر : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : أ.د. عبد الله صولة : ٢٧-٢٨ ، وينظر: العامل الحِجاجي والموضع ، عز الدين الناجح ، (بحث) بضمن كتاب : (الحِجاج مفهومة ومجالاته) : ١/٢٩٠-٢٩١.

(٥٨) ينظر : الدفاع عن الأفكار ، د. محمد بن سعد الدكان : ١٥٦.

(٥٩) ينظر:مدخل إلى الخطابة، أوليفي روبول، ترجمة :رضوان العصبة ،د. حسان الباهي :١٩٦.

(٦٠) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر :٣٠٠/٢.
(٦١) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ١٠٣/٢٩.
(٦٢) ينظر : العوامل الحِجاجية في اللغة العربية ، د.عز الدين الناجح : ٨٥.
(٦٣) مناهج البيان ، الشيخ محمد باقر : ٢٢٧/٢-٢٢٨.
(٦٤) ينظر: الحِجاج في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم محمد : ١١٣.

مصادر البحث :

القرآن الكريم

١. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية ، نشر : د.مثنى كاظم صادق ، نشر : منشورات صفاف ، الطبعة الأولى ، لبنان ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م .
٢. أصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، نشر : منشورات الفجر الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م.
٣. آليات الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية للأمير عبد القادر نموذجاً الباحثة : لعرباوي نورية ، إشراف : أ.د. مفلاح بن عبد الله (أطروحة دكتوراه) الجمهورية الجزائرية جامعة وهران ، كلية الآداب والفنون ، قسم اللغة العربية ٢٠١٨م

٤.أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمودي صمود ، نشر : جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب منوبة تونس ، (د.ط .ت) . الحجاج واستراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمن (مقاربة أبستمولوجية) .د محمد حمودي (بحث) في مجلة (حوليات التراث) ، عدد (١٢) ، جامعة مستغانم الجزائر ، ٢٠١٢م .

٤. بلاغة الإقناع (دراسة نظرية تطبيقية) ، الدكتور : عبد العالي قادرا ، نشر دار كنوز المعرفة ، الطبعة الأولى ، عمان ، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
٥. بنى الحِجاج في نهج البلاغة دراسة لسانية ، الباحث: علي عبد الوهاب عباس إشراف : أ.د. عبد الإله إبراهيم عبد الله ، (أطروحة دكتوراه) ، الجامعة الستنصرية كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١٣م .

٦. التبيان في تفسير القرآن ، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٤٤١هـ.
٧. التحرير والتنوير ، تأليف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، نشر : دار سحنون الطبعة التونسية ، تونس ، موافق للمطبوع ، ١٩٩٧م.
٨. التداولية والحجاج (مداخل ونصوص) ، تأليف : صابر الحباشة ، نشر : صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، دمشق – سوريا ، ٢٠٠٨م.
٩. تفسير أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود(ت٩٨٢هـ) ، نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ط.ت).
١٠. التفسير للعياشي ، تأليف : الشيخ أبي النظر محمد بن مسعود العياشي (ت٣٢٠هـ) تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ
١١. التفكير البلاغي عند العرب (اسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ، (د.ط)، ١٩٨١م.
١٢. تقنيات الحجاج في مناظرات الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، أ.م.د. رواء نعاس ميثاق حسن عطار ، كلية الآداب جامعة القادسية ، بحث في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الواحد والعشرون ، العدد (١)، ٢٠١٨م.
١٣. التوحيد ، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ) دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د. ط .ت) .
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، نشر : مؤسسة الرسالة ' الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
١٥. الحجاج الحواري بين الله سبحانه وإبليس من النص القرآني (قراءة منطقية برهانية) د. دعد رشراش الناصر ، بحث في مجلة (العلوم الإنسانية) ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، العدد (٣٣) ، ٢٠١٩م.
١٦. الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية ، د. أمال يوسف المغامسي ، الدار المتوسطية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م .

١٧. الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء انموذجاً) ، إيمان درنوني ، إشراف : د. الجودي مرداسي ، (رسالة ماجستير) ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها ، تخصص : علوم اللسان ، الجزائر ٢٠١٣م.
١٨. الحجاج في قصص الأمثال القديمة (مقاربة سردية تداولية) د. عادل بن علي الغامدي نشر : دار كنوز المعرفة ، الطبعة الأولى، عمان ، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦.
١٩. الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات (في نماذج ممثلة في سورة البقرة) تقديم : حمادي صمود ، نشر : دار الكتاب الجديدة المتحدة الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٢٠. الحجاج وتوجيه الخطاب (مفهومه ومجالاته وتطبيقاته في خطب ابن نباتة)، د. باسم خيري خضير ، نشر : دار صفاء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
٢١. حجاجية الأسلوب في الخطبة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام) د.الزماني كمال ، نشر: عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى ، إربد – الأردن ٢٠١٦م.
٢٢. حديث الثقلين ، السيد علي السيد علي الميلاني ، نشر : مركز الابحاث العقائدية (سلسلة الندوات العقائدية) ، الطبعة الأولى ، قم – إيران ١٤٢١هـ.
٢٣. الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج (دراسة تداولية) عبد الحسن علي حبيب شبيب الناصر ، نشر : مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة الطبعة الأولى ، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
٢٤. الدفاع عن الأفكار (تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري) ، د. محمد سعد الدكان نشر : مركز نماء للبحوث والدراسات ، الطبعة الدروس الأولى ، بيروت ٢٠١٤م.
٢٥. شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي ، نشر : دار الريف للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ، المملكة المغربية ، تطوان ، ٢٠٢٠م.
٢٦. الشرعية في فقه الإمامية ، الشهيد الأول محمد بن مكي ، مكتب النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين ، الطبعة الثانية ، قم المقدسة ، ١٤١٧هـ.
٢٧. الصحيفة السجادية الكاملة ، الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، تقديم : السيد الشهيد محمد باقر الصدر ، مؤسسة أم أبيها ، الطبعة الثانية ، بغداد – العراق ٢٠١٣م.

٢٨. العامل الحجاجي والموضع ، عز الدين الناجح (بحث) بضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) ، إشراف : د. حافظ إسماعيلي علوي ، نشر : عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى ، أربد – الاردن ، ٢٠١٠م.
٢٩. العقل الاخلاقي العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية) د.محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ٢٠٠١م.
٣٠. العوامل الحجاجية في آيات الأحكام ، أ.د. عايد جدوع حنون ، وثائر عمران (بحث) في مجلة (أوراك) ، المجلد التاسع ، العدد الرابع ، ٢٠١٦م.
٣١. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، أ.د. عبد الله صولة ، نشر : مسكيلياني الطبعة الأولى ، تونس ، ٢٠١١م.
٣٢. القاموس المحيط ، المؤلف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق : مؤسسة الرسالة لتحقيق التراث ، إشراف : محمد نعيم العرقوسي الطبعة الثامنة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
٣٣. قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارت ، ترجمة : عمر أوكان ، نشر : أفريقيا الشرق ، (مكتبة النقد الأدبي) ، ١٩٩٤م.
٣٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل ، تأليف : جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، نشر : دار الكتاب العربي بيروت (د.ط) ، ١٤١٧هـ .
٣٥. مدخل إلى الخطابة ، أوليفير وبول ، ترجمة : رضوان العصبة ، مراجعة : د.حسان الباهي ، أفريقيا الشرق ، (١٥٩مكرر)، المغرب ، ٢٠١٧م.
٣٦. المصطلحات الحوزوية الميسرة (أصول ، فقه ، رجال، دراية، حديث) ، إبراهيم سرور نشر: دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠١١م.
٣٧. معالم التنزيل ، أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، حققة : محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرمش ، نشر دار طيبة ، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.
٣٨. مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم محمد الأمين (بحث) بضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) إشراف : د. حافظ إسماعيلي علوي ، نشر : عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى ، أربد – الاردن ، ٢٠١٠م.

٣٩.من الحجاج الى البلاغة الجديدة ، جميل حمداوي ، مطبعة أفريقيا الشرق الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٤.

٤٠.مناهج البيان في تفسير القرآن ، آية الله الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي ، نشر : مؤسسة النبأ الثقافية ، الطبعة الأولى ، طهران ، إيران ، ٢٠١٣م.

٤١.الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس) ، نشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، شبكة الفكر ، (د.ط.ت) هذه الطبعة منقحة ومحققة بحسب الشبكة .

٤٢.نور الثقلين ، الشيخ علي بن جمعة الحويزي، تحقيق : السيد علي عاشور ، نشر : مؤسسة التاريخ العربي الطبعة الأولى ، بيروت .

اللعنات والتسميات المتعلقة بها واسبابها

Curses, related designations, and their causes

كوثر علي حسين

kwkh7697@gmail.com

ا.د سعد سلمان فهد

saadsalman@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/كلية الاداب/قسم الاثار

اللعنات والتسميات المتعلقة بها واسبابها

كوثر علي حسين

ا.د سعد سلمان فهد

المستخلص

تعد اللعنات احدى اهم المظاهر الحضارية التي تميزت بها بلاد الرافدين ،وقد تنوعت هذه اللعنات ما بين لعنات قوية واخرى اقل قوة،كما ان اهم مصادر نزولها وحدوثها هي الالهة والشياطين وغيرها من الاشياء الاخرى،ارتبطت باللعنات ايضا عدة الالهة،ويمكن القول بان جميع الالهة بمقدورها انزال اللعنات على بني البشر،كما ان اللعنات لم تختص بالبشر فحسب بل انها ارتبطت ايضا بالنباتات والحيوانات واشياء اخرى.

اما فيما يتعلق باصابتها ببني البشر فقدكانت تصيب عامة الناس والملوك والامراء والعبيد ان ان الجميع مكن ان يصابوا بها ،وقد عرف سكان بلاد الرافدين طرقا كثيرة في التخلص من اللعنات واهما الدعاء والصلاة.

Abstract

Curses are one of the most important cultural manifestations that characterized Mesopotamia. These curses varied between strong and less powerful curses. The most important sources of their infliction and occurrence are the gods, demons, and other things. Several gods were also associated with curses, and it can be said that all gods have the power to curse them. Inflicting curses on human beings. Curses were not limited to humans only, but were also linked to plants, animals, and other things.

As for its infecting human beings, it affected the common people, kings, princes, and slaves, and everyone could be infected with it. The people of Mesopotamia knew many ways to get rid of curses, the most important of which is supplication and prayer.

الكلمات المفتاحية

١-بلاد الرافدين ٢- النصوص المسمارية ٣- اللعنات ٤- الالهة ٥- الدعاء

المقدمة

تمتعت بلاد الرافدين قديما وحديثا بمعطيات حضارية كثيرة حباها الله بها وميزها عن بقية الحضارات الاخرى،فهي تنعم بالمياه الوفيرة التي يغذيها نهري دجلة والفرات وفروعهما ،و بخصوبة ترتبتها وتنوع في مناخها الامر الذي منحها نعمة التنوع في المحاصيل الزراعية وهي بذلك قد امتلكت قطبين مهمين لقيام اي حضارة وهما الماء والزراعة،فبهما ارتكزت حضارة بلاد الرافدين وامتدت عبر الاف السنين لتقدم للبشرية نموذجا حضاريا رائعا عد مرتكزا لبناء الحضارة الانسانية وقيامها حتى وقتنا الحاضر.

وما يميز حضارة بلاد الرافدين هو انتشارها في بقاع عديدة من العالم فضلا على انتشارها في مدن ومواقع عديدة في بلاد الرافدين،اذ اكتنزت المواقع الاثرية باثار عديدة ومتنوعة البعض منها تم الكشف عنه والبعض الاخر ينتظر من يزيح اللثام عنه .

ان الاثار العديدة والمتنوعة التي تم الكشف عنها ابرزت لنا جوانب حضارية متنوعة بتنوع الحياة اليومية وكان للنصوص المسمارية منها دورا كبيرا في توضيح معالم كثيرة في هذه الحضارة،وتاتي اللعنات من بين الجوانب الحضارية المهمة التي افرزتها لنا النصوص المسمارية لتوضح ماهية هذه المفردة الحضارية ودورها في مجتمع سكان بلاد الرافدين وارتباطها بالعديد من المفردات الحضارية الاخرى.

ان مسالة اللعنات كانت وما زالت تشغل حيزا كبيرا من فكر الانسان لانها ارتبطت بالجوانب السلبية من حياته واثرت تاثيرا كبيرا عليها وبالتالي فانه سعى جاهدا في ان يتقي منها وان يحاول بقدر المستطاع الابتعاد عن الاصابة بها اوالتخلص منها بطرق متعددة،كما ان الشيء المهم في اللعنات ان وضعها وطبيعتها كانت وما زالت مرتبطه كموروث حضاري في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين ،وعلى الرغم من تنوع مسبباتها فانها بشكل عام تصيب عامة الناس والحيوانات والنباتات وغيرها من الجوانب المرتبطة بالحياة العامة لسكان بلاد الرافدين.

ونظرا لشغل اللعنات حيزا مهما في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين ودورها في هذه الحضارة ومحاولة معرفة كل التفاصيل المتعلقة بها ارتى الباحثان ان يختارى موضوع **اللعنات اسبابها والتسميات المتعلقة بها** كموضوع بحث علمي.

وتاتي اهمية الموضوع لانه يسلط الضوء على مفردة حضارية مهمة في حياة سكان بلاد الرافدين ومحاولة التعرف على ماهيتها وتاثيرها بمجمل الحياة العامة للمجتمع والخاصة للافرا

مختصرات المصادر الاجنبية

المختصر	اسم المصدر
AfO	Archiv für Orientforschung.
ARM	Archives royales de Mari
BBSt	L. W. King, Babylonian Boundary Stones
Borger Esarh	R. Borger, Die Inschriften Asarhaddons,Königs von Assyrien(= AfO Beiheft 9).
Boyer contribution	G. Boyer, Contribution a l'histoire juridique de la Ire
CAD	The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago
CT	Cuneiform Texts from Babylonian Tablets
KAR	Keilschrifttexte aus Assur religiösen Inhalts
Kraus Texte	F. R. Kraus, Texte zur babylonischen Physiognomatik (= AfO Beiheft 3)
KTS	J. Lewy, Die altassyrischen Texte vom Kiiltepe bei Kaisarije
Labat TDP	R. Labat, Traite akkadien de diagnostics et prognostics medicaux
Lambert BWL	W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature.
PBS	Publications of the Babylonian Section, University Museum University of Pennsylvania
SDG	Sumerisch–Deutsches Glossar Society
Streck Asb	M. Streck, Assurbanipal ... (= VAB 7).
Šurpu	E. Reiner, Surpu (=AfO Beiheft 11)
TCL	Textes cuneiformes du Louvre
VAS	Vorderasiatische Schriftdenkmaler
YOS	Yale Oriental Series, Babylonian Texts

اولا:التسميات المتعلقة باللعنات

عدت التسميات التي اطلقها سكان بلاد الرافدين من الجوانب المهمة،لانها في كثير من الاحيان تعكس لنا ماهية الشيء ووظيفته،لقد اهتم سكان بلاد لرافدين باطلاق التسميات سواء على الانسان انثى ام ذكر او غيرها،اذ حملت الاسماء الشخصية مدلولات دينية واجتماعية جمة زودت الباحثين بمعلومات مهمة حول طبيعة في بلاد الرافدين.

وفيما يتعلق بتسمية اللعنات والاسماء المرتبطة بها ،افرزت لنا النصوص المسمارية معلومات حول هذا الجانب،فقد اطلق على اللعنة المفردة السومري $AŠ_2$ والذي يقابله بالاكدية

arāru[١] وتجمع على نحو arrātu اي لعنات،بيد ان المفردة نفسها تشير ايضا الى الفعل يلعن[٢]، وقد اطلق على اللعنات التي يسببها الاخلال بالقسم في اللغة السومرية بالمقطع PAD_3 والتي يقابلها بالاكدية māmītu[٣]،كما اطلق على اللعنة كفعل(يلعن) المفردة السومرية IB_2 [٤].

اما فيما يتعلق بالرجل الملعون فقد ورد على نحو $^{lu}{}_2AŠ_2.A$ والذي يقابله بلاكدية ḫalpu[٥]، وورد كلمة ملعون في اللغة الاكدية على نحو zēr ḫalgatê ايضا، وفي كتابات الملك اشور-باني-بال aššur-bāni-apli (٦٦٩-٦٢٧ ق.م) [٦]اشارة الى مثل هذه المصطلح (الملعون) والذي في احيان معينة ينعت به بعض الشعوب ، وكالاتي (...هو تامر مع دوكدامي dugdammē ملك الشعب الملعون..)[٧]، وفي اشارة اخرى الى الشعوب الملعونة والتي لا تحترم القسم بالالهة او الولاء للملك اوردت لنا احدى الرسائل من العصر البابلي الوسيط(١٥٠٠-٦٢٦ ق.م) الاتي (...انهم شعب ملعون ولايحترمون قسم الالهة ، ولا اي ولاء لقسم الملك...)[٨].

وقد اقترنت بعض اللعنات باماكن معينة سواء بالمدينة او البيت ومن هذه الاماكن مكان عرف بالمصطلح السومي ME والذي يقابله بالاكدية dūtu وبحسب ترجمة المصادر المختصة فان هذا المكان يشير الى المكان السري[٩] ،وقد اشار احد النصوص المسمارية الى اقتران اللعنات بهذا المكان في المدينة او حتى في البيت وكالاتي (...لعنة (مقترنة) بالمكان السري للمدينة (و) المنزل...)[١٠].

وقد تاتي اللعنة بمفهوم السب او الشتم وقد اشار احد النصوص المسمارية الى سب امراة الاله الشخصي لزوجها وكالاتي (...اذا لعنت(سبت) الزوجة الاولى لرجل الاله الشخصي...)[١١] ،وقد تاتي ايضا بمفهوم العمل المكره والثقيل على الانسان وقد اشار الى ذلك احد النصوص والذي ارتبط بالاعمال التي يقوم بها الافراد في حضارة بلاد الرافدين،فالبعض من هذه الاعمال ممكن ان تكون فردية والبعض الاخر ممكن ان تكون جماعية وعلى العموم هناك اعمال تكون تحت امرة شخص معين ويعمل تحت سلطته موظفين اخرين ويبدو ان طبيعة الاعمال في احيان معينة تؤدي بالنتيجة الى قيام الخلاف بين الطرفين الامر الذي يؤدي الى نطق اللعنات وقد اشار احد النصوص الى تلك اللعنة التي اطلقها الموظفين على قائدهم وكالاتي (...فيما بعد لاتقل ،نحن لعنا) قائدنا (لاننا قدمنا التمور بدون ايصالات مختومة...)[١٢].

وفي نص اخر اشارة الى استعمال اللعن كشتم وكالاتي(...انت تعرف ذلك الرجل الذي كلامه(مزعج) لقد لعنني او شتمني في السابق...)[١٣]، وفي نص اخر ما يشير الى استعمال

اللعنات في السب والشتم وكالاتي(بدلا من اخباري ، تستمر في ارسال الكلمات الغاضبة واللعنات لي)[١٤]

ثانيا:اسباب اللعنات

تعددت الاحداث في حضارة بلاد الرافدين نتيجة عوامل وامور عديدة،فكانت هناك احداث سياسية واخرى اجتماعية وكذلك احداثا دينية فضلا عن الاحداث الاقتصادية وغيرها من الاحداث الاخرى ،بيد ان في تاريخ حضارة بلاد الرافدين ابرزت لنا النصوص المسمارية جملة من الاسباب والاحداث التي ارتبطت بها ،ولما كانت اللعنات واحدة من المظاهر الحضارية التي برزت في حضارة بلاد الرافدين كانت هي الاخرى لها اسبابها الخاصة والتي تنوعت كما اشرنا سابقا،ولنا ان نذكر الاسباب التي اتربطت ارتباطا وثيقا باللعنات وكالاتي:

١: العوامل السياسية

مرت حضاة بلاد الرافدين باحداث سياسية جمة ما بين كر وفر في معارك عديدة خاضها حكام وملوك بلاد الرافدين[١٥] ،وقد نشات هذه المعارك لاسباب عديدة البعض منها ارتبط بالجانب التوسعي،والبعض الاخر ارتبط بجانب تامين جوانب اقتصادية للبلاد ومنها على سبيل المثال ضمان توفر المياه لها وكذلك تامين طرق التجارة المرتبطة بها[١٦]،فضلا عن جوانب اخرى تتعلق بالدفاع على مقدرات البلد من كل هجمات شرسة تحاول النيل منه ومن سكانه،وعلى السنين حدثت في باد الرافدين وخارجها معارك عديدة دونتها لنا النصوص المسمارية،كما ارتبط بالجوانب السياسية تلك المعاهدات التي ابرمها الحكام والملوك فيما بينهم والتي عكست الجانب السلمي والتعايش الايجابي بين المدن والبلدان[١٧].

لقد اشارت النصوص المسمارية المتعلقة بالجوانب السياسية الى معلومات حول اللعنات ، فقد عمد سكان بلاد الرافدين حين الشروع بتدوين اتفاقاتهم ان يدونوا اللعنات التي تصيب من يخل بهذا الاتفاق ،وقد اشار احد النصوص الى تلك اللعنات التي يحدثها الاله اشور والاله سين وبقية الالهة العظام واشار النص ان هذه الالهة ممكن لها ان تحدث كل اللعنات وخاصة فيما يتعلق بمن يخل باتفاق الادو adû [١٨]،ان ذكر مثل هذه اللعنات في هذه الاتفاقيات كان له مرددوده الايجابي في عملية الالتزام بشروط الاتفاق حيث يولد الرهبة والخوف في من يفكر في الاخلال بهذا الاتفاق خوفا من تلك اللعنات التي يحويها هذا الاتفاق والتي عادة ما تسلطها الاله على كل من يخل به بحسب مفهوم النص وكالاتي(...اشور و سين و(الألهة الأخرى) انزلت عليهم كل اللعنات التي دونت على اللوح(الذي يحوي)اتفاقهم الادو...)[١٩].

ومن خلال استقراء النصوص المسمارية المتعلقة بكتابات الملوك يبدو ان مثل هذا الاتفاق الادو في احيان معينة يبرم مابين الملوك وعامة الشعب ،اذ ياخذ الملك بما يشبه البيعة لحكمه من خلال هذا الاتفاق المبرم بينهم فقد اشار الى مثل هذا الاتفاق احد النصوص يتضمن في جنباته حيثياته معينة ترتبط ارتباطا وثيقا باللعنات اذ يصاحب هذا الاتفاق شرب الماء الذي تقرا عليه بعض اللعنات المختصة وبالتالي من يشرب هذا الماء وفي المستقبل يخل باتفاقه او بيعته الى الملك فانه سيصاب باللعنات وهي اشارة واضحة الى ارتباط اللعنات ايضا بتنصيب الملوك واخذ البيعة من قبل عامة الناس وعدم الاخلال بهذه البيعة التي تصيب الانسان اللعنات المتعلقة بها كما اشار النص ايضا الى ان هذا الاتفاق الأدو والذي ابرم ما بين الملك اسرحدون –aššur aḫa–iddin (٦٨١–٦٦٩)[٢٠] والناس قد صوحب بإداء القسم وبحضور الالهة العظام لا ضفاء الشرعية التامة على تنصيب الملك وحصوله على الدعم الديني التام، وعادة مايتم تامين هذه الاتفاقيات عن طريق السحر وكذلك الطقوس الدينية(الاحتفالات واللعنات والقسم) والوسائل السحرية وجميعها يكون لضمان فعالية الاتفاقيات وتنفيذها، وقد اشار الى ذلك النص الاتي(...مواطنون اشور الذين اعترفوا بي كملك لهم من خلال اتفاقية الادو التي ابرمت بـ (شرب ماء اللعنات والزيت في احتفالية القسم وبحضور الالهة العظماء...)[٢١]، هنا من خلال ما ورد ذكر اللعنات في النص تبين انا الاتفاقيات التي تعقد بين مختلف الفئات في سكان في بلاد الرافدين كانت تذكر اللعنات والقسم ضمن الاتفاقية من اجل الالتزامات بشروطها وعدم الاخلال بها وخلاف ذلك تنزل اللعنات على من يناقض تلك الاتفاقيات ،ان مثل هذه الاتفاقيات ومنها اتفاقية الادو التي تبرم بين الاطراف المتفقة عادة ما يتم وسط اجراءات وطقوس يصاحبها الاحتفالات واقامة بعض الطقوس السحرية واللعنات والقسم ويرجح اقامة مثل هكذا امور لضمان عدم الاخلال في الاتفاقيات في المستقبل ولضمان تطبيقها بشكلها السليم لذلك وضع مثل هذا الترهيب من لعنات وسحر وقسم وغيرها من الامور التي لها جنبة تاثيرية على الانسان من حيث العامل النفسي [٢٢].

ويبدو ان الاتفاقات التي كانت تبرم سواء اكانت على مستوى الملوك او على مستوى عامة الناس كانت من ضمن حيثياتها ان تشترط على كل من يخل بالاتفاق ان تصيبه لعنات من اله او الهة معينين ،وقد اشار احد النصوص المسمارية الا هذا الجانب واكد ان من يخل بالاتفاق المبرم والذي اشار اليه النص باتفاق الادو بان تلعنه لعنة الاله اشور، كما ان النص بهذه الاشارة لمح الى قضية مهمة وهي اختصاص اللعنات بالالهة فهناك لعنة معينة اختص بها الاله اشور وهكذا بقية الالهة ويبدو ايضا ان مثل هذه الاتفاقيات تكون برعاية الالهة العظام كما اشار الى ذلك

النص المسماري الاتي(...هكذا حلت لعنة اشور على الذين انتكهوا الاتفاق الادو والذي(ابرم) تحت حماية الالهة العظماء...)[٢٣].

كما عدت الحروب وما يشوبها من قتال وموت احدى الاسباب التي تسبب اللعنات ايضا، وارتبطت احدى اللعنات باصابة الانسان بالاسلحة والادوات الحادة في عنقه او فقا عينه نتيجة للحروب او حتى الصراعات والنزاعات الاعتيادية(الاجتماعية)،وان اصابة الشخص بهذه الاسحلة والادوات ومنها الخنجر عدت في احيان معينة نوع من انواع اللعنات التي تنزل على البشر وكالاتي (...خنجر في حلقه (حنجرته) وسكين في عينه (اللعنة)...)[٢٤]، وهناك اشارت مسمارية ورد لنا من العصر البابلي الحديث(٦٢٧-٥٣٩ ق.م) وقد سميت بحسب المختصين بنصوص الحصار،اذ اختصت مثل هذه النصوص بالعامل السياسي العسكري لحصار المدن ،وتتضمن هذه النصوص بحسب معطياتها عبارات مطولة بلعنات عديدة[٢٥].

كما ان نزول اللعنات وحدوثها ارتبط ايضا بعملية رسم الحدود وتحديدها،ان عملية رسم الحدود كانت من الامور التي قام بها سكان بلاد الرافدين لضمان حقوق الاشخاص والمدن في ممتلكاتهم وحقوقهم ،كما ان الالهة نجدها في احيان معينة تقوم بهذه المهمة حينما يتم النزاع بي مدينتين كما هو الحال بمدينة اوما ولكش،اي ان ترسيم الحدود يعد من الامور التي اهتم بها سكان بلاد الرافدين ولعل ارتباط اللعنات بها يشير الى التطاول على حقيقة هذه الحدود ورسم حدود غير متفق عليها او التطاول على هذه الحدود ،وقد اشار احد النصوص المسمارية الى تلك اللعنات التي يكون منشاها رسم الحدود وتحديدها وكالاتي (...اللعنة التي سببها عمل خطوط الحدود والحدود...)[٢٦].

٢-العوامل الاجتماعية

استطاع الانسان خلال مسيرة حياته الطويلة في ان يبني مرتكزاته الحضارية منذ ان نشا على هذه المعمورة وصولا الى الوقت الحاضر،وفي حضارة بلادالرافدين تحقق للانسان تحولا اقتصاديا يكاد يكون ملحوظا بعد ان عرف الانسان الزراعة ودجن الحيوانات[٢٧]،فبدا بما يعرف بالاستقرار ،ويبدو ان هذا الاستقرار ادى بطبيعة الحال الى نشوء ما يعرف بالكيانات الاجتماعية المتمثلة بالاسرة ومن ثم بالقرى ومن ثم المدن وصولا الى الكيان العام للدولة،وعن طريق هذا الاستقرار نشات في كل قرية او مدينة نظم اجتماعية معينة عكست الطابع الحضاري المحلي لها وبذلك نشات معها اعرافها وتقليدها عبر مر العصور.

لقد امتاز مجتمع بلاد الرافدين بتنوع طبقاته والتي اثرت هي الاخرى تاثيرا كبيرا على مجمل الحياة فيه،فالحاكم والملك والكاهن وعلية القوم كان لهم الشان الاكبر في رسم الاطر العامة لهذا المجتمع ودورهم كان ملحوظا فيه،ثم تاتي بقية الطبقات الاخرى لتتفاعل معها عبر منظومة الحياة العامة ،ومن خلال هذا التفاعل نشات الاحتكاك والعلاقات بين طبقات المجتمع،ومن خلال استقراء النصوص المسمارية عكست لنا واقع هذه العلاقات ومكامن اطرها العامة وبالتالي وضحت الصورة الشاملة لها،وحيث ان اللعنات جزءا من هذا التعامل المجتمعي اورد لنا النصوص المسمارية ما يتعلق بالجانب الاجتماعي وعلاقته باللعنات .

ففي احد النصوص المسمارية اشارة واضحة الى ان بعض اللعنات واحد من اسبابها ان تكون اجتماعية بحته تتعلق بفئة عامة من الناس والذي يتصفون بالبذائة وعدم النزاهة وخاصة اؤلك الذين يقترضون المال من الناس ولا يؤدون حق ارجاع مستحقات ما عليهم وهو بدوره يؤدي الى دعاء الناس عليهم بان تصيبهم اللعنات ويبدو ايضا من خلال النص ان مثل هكذا لعنات التي قد تصيب اؤلئك الذين يتصفون بعدم النزاهه تكون بمثابة مخوف ورادع لمن تسول له نفسه ان يخدع الناس وبالتالي فانها تعد احدى وسائل الترهيب والتخويف للناس وقد اشار احد النصوص المسمارية الى هذا الجانب وكالاتي (...قبل ان تنتهي ايامه لعنة الناس ستدركه لانه غير نزيه مقترض المال سيتم احضاره للحساب ويعاقب...)[٢٨].

ان من الامور التي تستوجب اللعنات هي تلك العلاقات الاجتماعية التي يشوبها نوع من التعامل العاق وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الاب والابن [٢٩]،ففي بعض الاحيان هذه العلاقة تؤدي بالنتيجة الى عدم رضى الاب عن ابنه بل يتعدى ذلك في بعض الاحيان الى ان تتحول تلك العلاقة الى علاقة كره ولعن من قبل الاب الى ابنه العاق،وقد اشار احد النصوص المسمارية الى توكيد فعلي على اللعن للإبن العاق من قبل الأب ولدرجة عدم التحدث والتواصل حتى مع الحفيد وكالاتي) ...هو يجب ان يلعن ابنه ولا يتحدث مع حفيده...)[٣٠].

لقد امن سكان بلاد الرافدين بان السرقة توجب العقوبة سواء اكانت هذه العقوبة مادية نص عليها القوانين والاعراف والتقاليد المتبعة ام انها جائت نتيجة الاخلال بمنظومة الحياة التي ينبذها الهة وسكان بلاد الرافدين، وقد اشار احد النصوص المسمارية الى ارتباط المسروقات باللعنات ايضا اذ بين ان سبب اللعنة التي اصابت احدهم هي ناتجة او وليد لحم مسروق وكالاتي(...اللعنة(سببها) اكل اللحم المسروق....)[٣١].

لقد امن سكان بلاد الرافدين ان اللعنات وما يرتبط بها تكون مؤذية فكان يتحاشاها ويتحاشى كل ما يمكن ان يسببها او يرتبط بها،فعلى سبيل المثال ان من جملة الاسباب التي تؤدي الى لعنة الاشخاص هو اكلهم للطعام الملعون ،ففي اشارة الى احد النصوص الى ان اكل الطعام الملعون او ذلك الطعام الخاص بشخص ملعون اساسا فان ذلك يؤدي بالنتيجة الى لعنة الشخص الذي ياكل مثل هذا الطعام ،وبالنتيجة ومن خلال هذا النص نجد ان هناك نوع من انواع النصح او الارشاد في عدم الاقتراب من الاشخاص الملعونين وخاصة من حيث مشاركتهم لطعامه وكالاتي(...اللعنة (سببها) اكل طعام الرجل الملعون...)[٣٢].

لقد حرص سكان بلاد الرافدين كل الحرص على سلامة مدافنهم والتاكد من عدم العبث بالقبر سواء الجثة او موجودات القبر[٣٣]،كما عدوا كل من يقوم بدفن جثة ثانية في القبر انتهاكا لحرمة القبر ومقلقا لراحة الميت وسببا لغضب الالهة ونزول اللعنات[٣٤].

اعتقد سكان بلاد الرافدين ان الظلم حالة منبوذة في مجتمع سكان بلاد الرافدين ،لذا فان الشخص المظلوم مهما كان انثى ام ذكر يسبب في احيان كثيرة نزول اللعنات على الشخص الظالم،ان هذه الثقافة المجتمعية تؤدي بالنتيجة الى سيادة العدالة بين افراد مجتمع سكان بلاد الرافدين ونبذ العنف والظلم من قبل الاشخاص ،وقد اشار احد النصوص المسمارية الى اللعنات التي يسببها الشخص المظلوم ذكرا كان ام انثى والتي اقترنت بنحو او باخر بالاله سين وكالاتي (...لعنة" (الاله سين) اللعنة التي يسببها الشخص المظلوم ، ذكرا كان أو أنثى...)[٣٥]،

ويرى سكان بلاد الرافدين ان الذنوب والخطايا وحتى اللعنات ماهي الا جوانب تصدر من الهة او شياطين يعذب بها الانسان ،ففي احد النصوص المسمارية اشارة الى ان كل من الخطايا واللعنات ما هي الا انواع من المصائب والعذاب التي تحيط بالانسان وتصيبه وكأنها قد خصصت له وكالاتي(...الذنوب واللعنات لا تصلح الا لتعذيب الانسان....)[٣٦]،

كما اشارت النصوص المسمارية الى ان هناك اعمال يقوم بها الانسان ربما تكون محرمة او انها مشينة وان عملها لمرة واحدة لا يستلزم ولا يؤدي الى حلول اللعنات عليه وربما بذلك يشير الى نوع من انواع الغفران له سيما وان العمل قد يكون عن غير ذي قصد،اما في حالة تكرار العمل فان ذلك يستوجب نزول اللعنات عليه،كما في النص الاتي(...عندما فعلت تلك الاشياء ؟ ان الذين فعلوا تلك الاشياء بشكل متكرر (لعنوا)...)[٣٧]

ومن الاسباب التي تؤدي الى اصابة الاشخاص باللعنات هي العقوبات التي تنزل عليهم نتيجة لاقترافهم ذنوب معينة،اي ان اللعنات تكون واحدة من العقوبات التي تنزل على الاشخاص

وقد اشار الى هذا الجانب احد النصوص واشار ايضا الى قضية اخرى تصيب الانسان ايضا وتكون له كغطاء للراس ولعل ذلك يرتبط بنحو او باخر بالمروث الحضاري الذي لازلنا نستعمله الى الوقت الحالي ونقول بالعامية(مصيبة ووقعت على الرأس)(...هو يتحمل اللعنة عقاب له .....مثل غطاء الرأس...)[٣٨]، ليس هذا فحسب بل ان سكان بلاد الرافدين ظنوا ان الوقوف مع المذنبين والمجرمين باي حال من الاحوال ينزل اللعنات ايضا ،وان مثل هذا الاعتقاد بالتاكيد سوف يخفف ويقلل عملية مساندة المجرم باي حال من الاحوال سواء عن طريق اجرامه او اداء قسم يعينه او يبرئه من التهم الواقعة عليه وقد اشار احد النصوص المسمارية الى هذا الجانب وكالاتي (...اللعنة ناتجة عن الانحياز الى جانب المجرم...)[٣٩].

كما ان العمل المتهور او اللامبالاة في الالتزام بالعمل في احيان معينة يؤدي الى انزال اللعنات على ذلك الشخص صاحب العمل المتهور ،ويبدو ان مفهووم هذه اللعنة يندرج تحت اطار عدم الالتزام بالعمل واحترامه الامر الذي يشير الى اعتقاد سكان بلاد الرافدين باهمية العمل ومكانته واحترامه وعكس ذلك سيؤدي الى مزول اللعنات وكالاتي (...اللعنة سببها العمل المتهور...)[٤٠]

كما يتسبب نزول اللعنات ان يسحب احدهم سلاحا داخل المجلس،ولعل مثل هذه التصرفات تكون منبوذة في فكر سكان بلاد الرافدين فالمجالس لها حرمتها وتقديرها ووزنها ومن يتعدى على كل ذلك يتعدى على حرمة اعضاء المجلس وشرعيته،لذا اعتقد سكان بلاد الرافدين ان لهذا المجلس حرمة ومن يتعدى عليها ستنزل به اللعنات وقد اشار احد النصوص الى هذا الجانب وكالاتي(....اللعنة سببها سحب السلاح في التجمع...)[٤١].

واعتقد الاشوريون ان الامراض احدى المسببات التي تسببها الالهة ،وان ما يتوصل اليه الانسان في احيان معينة من تفسير الظواهر الكونية يكون قاصرا بعض الشيء ،اذ لعله ما يكون صائبا لدى الانسان بذات الوقت يكون خاطءا عن الالهة لان الالهة بحسب فكرهم ومعتقدهم يكون لها من الادراك والتفكير ما يعجز الانسان عن الوصل اليه،لذا كانت الخطيئة احدى الاسباب التي تؤدي الى الامراض واللعنات ،ففي احد النصوص المسمارية التي تعود في زمنها الى الملك اسرحدون يرد ما فحواه عن صحة احد ابناء الملك اسرحدون (...فيما يتعلق بما كتبه سيدي الملك، اذا كانت هنا لعنة،اجيب، لقد بحثت واستقصيت ليس هناك لعنة او بلوى...)[٤٢].

كما ان بعض اللعنات تسببها بعض الاحتفالات ولعل ذلك ناتج عن امور تتعلق بماهية الاحتفال او الحيثيات التي تتصل به،لان مثل هذه الاحتفالات السنوية او الشهرية اغلبها تتعلق

بالجوانب الدينية وان عدم الاكتراث لمثل هذه الاحتفالات قد يسبب في احيان معينة نزول اللعنات على الاشخاص الامر الذي يؤدي بالنتيجة الى اهتمام الاشخاص بمثل هذه اللعنات(...اللعنة التي تكبدتها من عشية (...) او اللعنة التي تكبدتها من يوم احتفال الايشيشو eššešu ...)[٤٣].

ومن الاشياء التي تسبب اللعنات هي الطرق والمسارات،وهي واحدة من الموروثات الحضارية التي لازالت ترتبط بنحو او باخر بفكر ومعتقدد سكان بلاد الرافدين،فكثيرا ما نسمع بنصح احدهم الى الاخر بان لا يسلك طريق معين لانه ممكن ان يكون مسكونا (من قبل الجن)وقد اشار النص الى تلك اللعنات التي تسببها الطرق والمسارات ،كما يمكن ان يكون التعبير مجازيا بان لا يتبع الانسان الطريق او المسلك الذي يؤدي به الى الهلاك او الاذى وبالتالي فان النص يشير ايضا وعلى هذا النحو بان مثل هذه الطرق تسبب اللعنات لسالكيها وكالاتي (...اللعنة سببها الطريق او المسار ...)[٤٤].

٣-العوامل الاقتصادية

عد الاقتصاد احد اهم الركائز الاساسية لقيام الدول والحضارة وهو احد الاسباب الرئيسة في قوة الدولة او ضعفها في بقائها او ضعفها،و عن طريق تتبع اقتصاد بلاد الرافدين نجد انه منذ بدايته اعتمد اعتمادا رئيسا على الزراعة وما يتعلق بها، كما انه كان مرتبطا بحسب فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين بالآلهة [٤٥]. وبما أن مشاريع الري تشكل العمود الفقري للزراعة في بلاد الرافدين فقد اهتم سكان بلاد الرافدين اهتماماً كبيراً بإقامة تلك المشاريع وصيانتها والمحافظة عليها.،لقد تميز اقتصاد بلاد الرافدين بتنوعه وارتباطه بالدول المجاورة ،لقد اوردت لنا النصوص المسمارية معلومات جمة حول اقتصاد بلاد الرافدين وبينت لكل عصر سماته الاقتصادية الخاصة به وبالتالي تحديد الاطر العامة لاقتصاد كل عصر بحسب ما ورد في نصوصه الاقتصادية.

لقد ابرزت لنا النصوص الاقتصادية معلومات كثيرة حول مجتمع سكان بلاد الرافدين وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي منه ،اذ ذكرت المواد المتنوعة التي تعامل بها سكان بلاد الرافدين وارتبطت بالجانب الاقتصادي سواء اكانت هذه المواد زراعية ام معدنية ام تتعلق بجوانب الحياة اليومية كالبيع والايجار والاستلام والتسليم فضلا عن ذكرها الى اشخاص متعددين باسماء متعددة عكست في معانيها مفاهيم دينية ودنيوية ،كما ان هذه النصوص امتازت بمسالة مهمة وهي ان الكثير منها احتوى على صيغا تاريخية دونت تاريخ كتابة العقد وان هذه الصيغ كانت تحوي على احداث سياسية او دينية او اقتصادية او عمرانية قدمت للباحثين معلومات مهمة حول حضارة بلاد الرافدين من جوانب متعددة.

وقد تعددت الجوانب الاقتصادية في حضارة بلاد الرافدين بتعدد مفردات الحياة اليومية،ومن خلال استقراء النصوص المسمارية يتوضح ان هناك جوانب معينة من الاقتصاد ارتبط ارتباطا وثيقا باللعنات، وواحدة من الاسباب التي تنزل اللعنات والمرتبطة بالجوانب الاقتصادية هو الكيل بمزايين زائفة وغير صحيحة وهي اشارة الى احترام سكان بلاد الرافدين لعدم التحايل على الناس ونبذ الغش والخداع وخاصة فيما يتعلق بالمكاييل والموازيين غير الصحيحة ،وقد اشار احد النصوص المسمارية الى ذلك (...اللعنة سببها موازين زائفة(كاذبة)...) [٤٦].

٤-الظواهر الفلكية

عد علم الفلك احد العلوم التي كان لسكان بلادالرافدين دورا مهما في معرفته وتطوره،وهو من العلوم القديمة التي ارتبطت مع الانسان ،اذ نشا هذا العلم مع مراقبة الانسان للسماء وما تحويه من نجوم وكواكب وبرق ورعد وغيوم وامطار كلها ولدت له تسائلات عديدة فاخذ يهتم بمراقبتها والجوانب المرتبطة بها واخذ يتعمال معها بما تتيح له معرفته بهذا الجانب ومن هنا نشا علم الفلك [٤٧]،واقترنت اللعنات ايضا بالمظاهر الفلكية بحسب ما اشارت له النصوص المسمارية فهناك لعنات تسببها الابراج ومنها برج السرطان وخاصة اذا ما اقترن ذلك بحدوث مظهر فلكي كاقتراب كوكب من برج معين كما هو الحال باقتراب كوكب المريخ من برج السرطان ،وفي هذه الحالة اشار احد النصوص المسمارية الى اللجوء الى النهر للحيلولة دون تأثير اللعنات على الاشخاص وكالاتي(....اذا كان المريخ يقترب؟(من) السرطان...هو يجب ان يلقى.... في النهر ولعنة السرطان سوف لن تؤثر عليه...)[٤٨]، كما اشارت النصوص المسمارية الى بعض الغموض حيال اللعنات فعلى سبيل المثال هناك لعنة يسببها الانكار او السؤال في اليوم المظلم ولا يعرف على وجه الدقة ما المراد من اليوم المظلم فهل هي اشارة الى اليوم الاعتيادي عندما يكون فيه الظلام دامسا او انه يوم محدد من ايام السنة اطلق عليه هذا الاسم وسواء اكان اي منهما فان السؤال او الانكار في مثل هذا اليوم يتسبب بنزول اللعنات وكالاتي (... اللعنة التي سببها السؤال والانكار في اليوم المظلم...)[٤٩] .

الاستنتاجات

١-اوردت لنا النصوص المسمالرية مصطلحات ومفردات ارتبطت ارتباطا وثيقا باللعنات على ان اهم هذه الكلمات واكثرها استعمالا للدلالة على اللعنة هي المفردة السومرية $AŠ_2$ والتي يقابلها بالاكدية arāru ،كما ان اللعنات في احيان معينة تعبر عن مضمون اخر غير اللعنة والذي يرتبط بالشتم والسب.

٢-ارتبطت اللعنات ارتباطا وثيقا بالجوانب السياسيه وخاصه فيما يتعلق بتلك الاتفاقات والمعاهدات التي تبرم بين الحكام والملوك والتي تحمل في مضمونها لعنات متنوعة على كل من تسول له نفسه الاخلال بالمعاهده.

٣-مورست في احيان معينه حيثيات كشرب الماء وقراءة اللعنات حين الشرب وخاصة فيما يتعلق بالاتفاقات السياسيه وولايه العهد وبالتالي فان النطق باللعنات في احيان معينه يكون مصاحبا لممارسات معينه ومنها شرب الماء .

٤-عدت الحروب وماتسببه من صراعات ونزاعات وموت نتيجه لاصابة الجنود بالاسلحه الفتاكة احدى الاسباب التي ربطها سكان بلاد الرافدين باللعنات،فموت الانسان وطعنه بسلاح حاد يعد من اللعنات التي تصيب الانسان فضلا عن النزعات العشائريه والقبليه التي يشوبها الاقتتال والطعن بالاسلحه الحادة عدت ايضا من اللعنات التي تصيب الانسان.

٥-ارتبطت اللعنات ارتباطا مباشرا بعمليات رسم الحدود وتحديدها بين المدن، وفي فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين ان التطاول على الحدود المرسومه يجلب وينزل اللعنات.

٦-ارتبطت العنات ارتباطا مباشرا ببعض الجوانب الاجتماعيه، اذا ارتبطت اللعنات بؤلئك الاشخاص البذيئين والذين لا يرجعون الاستحقاقات التي بذمتهم وبالتالي يتم الدعاء عليهم بان يصابوا باللعنات نتيجه لافعالهم ،كما ارتبطت ايضا بالسرقه والاشخاص الذين يسرقون.

٧-ارتبطت اللعنات بعلاقه الابن وابيه وخاصه فيما يتعلق بالابن العاق الذي يدعو في العاده عليه ابيه باصابته باللعنات وبذالك عد اعاقة الوالدين احدى اهم الاسباب التي تنزل اللعنات.

٨- عد اكل الطعام الملعون احد اهم الاسباب لنزول واصابه الاشخاص باللعنات كما عد الوقوف مع المجرمين و مساندتهم احد اسباب نزول اللعنات.

٩-ارتبطت اللعنات واسباب نزولها ارتباطا وثيقا بعمليه دفن الميت وعد بحسب مفهوم سكان بلاد الرافدين دفن جثة ثانيه في القبر نفسه انتهاكا لحرمه الميت وسببا لغضب الالهة ونزول اللعنات.

١٠-نبذ مجتمع سكان بلاد الرافدين قضيه الظلم وعد هذه المساله سببا لنزول اللعنات على الشخص الظالم.

١١-بحسب فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين ان اللعنات والذنوب والخطايا ماهي الى جوانب متعدده اصدرتها الالهة او الشياطين ويراد منها تعذيب الانسان.

١٢-عد عدم احترام والاتزام بالعمل واللامبالاة احد الاسباب الاجتماعيه الى تؤدي بدورها الى نزول اللعنات واصابة الشخص بها.

١٣-ارتبطت اللعنات ايضا بالطرق والمسالك وعدت بعض الطرق كفيلة بانزال اللعنات على سالكها.

١٤ -ارتبطت اللعنات ونزولها ارتباطا وثيقا بالعوامل الاقتصاديه وعد الكيل والوزن بمقاييس زائفه وغير صحيحه من اهم الاسباب التي تؤدي الى نزول اللعنات.

١٥-اقترنت بعض اللعنات ببعض المظاهر الفلكيه فهناك لعنات تسببها الابراج ومنها برج السرطان حينما يقترب منه كوكب المريخ.

المصادر العربية

١-الامين، محمود ،" تعليقات على حملة سرجون الثامنة"، مجلة سومر، مج ١ – ٢، بغداد ، ١٩٤٩.

٢-الانصاري،داليا فوزي،الاسرة العراقية القديمة في ضوء النصوص المسمارية،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٣.

٣-توفيق،عماد طارق،"الاسرة في بلاد الرافدين من الناحية القانونية"،مجلة دراسات في التاريخ والاثار،عد ٥٨ ،٢٠١٧.

٤-الجحيشي ،سالم أحمد يونس أبليه، ولاية العهد في العصر الآشوري الحديث (٩١١ _ ٦١٢ ق . م)،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الموصل ،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠١١.

٥-الحديدي ،أحمد زيدان خلف، "الحملات العسكرية الآشورية إلى الجهات الغربية (٨٨٣- ٦٢٦ ق.م) في ضوء المشاهد الفنية"،مجلة دراسات موصلية،مج الرابع،عد ٢٠٠٨،٢١.

٦-الحديدي،احمد ،زيدان،"المنحوتات البارزة شاهدا للحملات العسكرية الاشورية على بلاد بابل مابين ٨٥١-٦٤٨ ق.م،مجلة دراسات موصلية،عد ٢٧ ،٢٠٠٩.

٧-حسين،ايمان لفته،"الطقوس الجنائزية في بلاد الرافدين خلال الالف الثالث قبل الميلاد"،مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، مج ٨، عد ٤، ٢٠٠٩.

٨-الدوري،رياض عبد الرحمن،اشور-باني-بال ٦٦٩-٦٢٧ ق.م سيرته ومنجزاته،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار،١٩٨٦.

٩-الدوري، رياض عبد الرحمن امين،السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، الهيئة العامة للاثار ،بغداد،٢٠٠٩.

١٠-الراوي، هالة عبد الكريم كرموش ،المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تاريخية فنية،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل، كلية الاداب ،قسم الاثار،٢٠٠٣.

١١-رشيد،فوزي،"علم الفلك بداياته وانجازاته"،مجلة المؤرخ العربي،عد ٥٥، ١٩٩٧.

١٢-شمار،جورج،بوييه، المسؤولية الجزائية في الادب الاشورية والبابلية، تر:سليم الصويص، بغداد، ١٩٨٤.

١٣-الشمس، ماجد عبدالله، الإله والانسان وأسرار جنائن بابل، آفاق من حضارة الرافدين، ط١، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٦.

١٤-الطائي، إبتهال عادل إبراهيم ،و عيسى ،هيفي سعيد ،"المعاهدات المرتبطة بالتجارة بين بلاد أشور و مدن الساحل الفينيقي خلال عهد الملكين تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق. م) و أسرحدون (٦٨١-٦٦٩ ق. م)"،مجلة افاق فكرية،مج الخامس،عد ١١، ٢٠١٩.

١٥-علي،ايمان هاني سالم،الحياة الاجتماعية في بلاد اشور في ضوء المصادر المسمارية،اطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة الموصل،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٦.

١٦-الفتلاوي ،أحمد حبيب سنيد ،اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، راسلة ماجستير غير منشورة،جامعة واسط،كلية التربية،قسم التاريخ،٢٠٠٦.

١٧-القيسي،محمد فهد،"اثر المياه على الحروب في العراق القديم ٣٠٠٠-٢٩٣ ق.م"، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، عد ٥٢، ٢٠١٦.

١٨-كاظم،و محمد،فاتن منصور،" الالات والادوات الزراعية في بلاد الرافدين"،مجلة الاداب،عد ٢٩، ٢٠١٩.

١٩-محسان،محمد سياب،المعاهدات السياسية في العراق القديم،دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،٢٠١١.

٢٠-محمد ،نبيل نورالدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية : دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة،اطروحة دكتوراة غير منشورة ،جامعة الموصل،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٦.

٢١-النعيمي،شيماء علي احمد،الفلك في العراق القديم منالقرن السابع الى القرن الرابع (ق.م)،اطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة الموصل،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٦.

٢٢-الوردي، محمود فارس عثمان، المدافن في العراق القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٦.

المصادر الاجنبية

1-Biggs,R.D.,The Babylonian Prophecies and the Astrological Traditions of Mesopotamia, JCS,Vol. 37, No. 1, 1985.

2-Borger,R, Die Inschriften Asarhaddons Köng von Assyrien Published in(Afo,9),Germany (1967), **(**=Borger Esarh.).

3-Boyer,G., Contribution A I'histoire Juridique de la 1re Dynasti Babylonienne, Paris (1928).(=Boyer contribution).

4-Clay,A. T., records from erech time of cyrus and Cambyses, London(1925) .(=YOS,7).

5-Dossin,G. Correspondance DE IASMAADDU, Paris(1952), (=ARM,5).

6-Ebeling,E., Keilschrifttexte aus assur religiosen in halts,Leipzig (1910),(=KAR).
7-Frame,G.,Babylonia 689-627 B.C. A Political History, Leiden, 2007.
8-Gelb,I,J,and others,the Assyrian dictionary,Chicago (1964ff). (=CAD).
9-Halloran, J.A , Sumerian Lexicon , version 3.
10-Halton, Rocherberg, "Astrology, Astronomy and the Birth of Scientific, Inquiry",Bulletin, 19, 1990.
11-Hubner,B.,and Reizammer,A.,Sumerisch-deutsches Glossar, Deutsch ,1985 ,(= SDG/1).
12-King,L.,W.,Babylonian boundary stones and memorial-tablets, London(1912).(=BBSt).
13-Kraus,F.R.,Texte zur babylonischen Physiognomatik, Verlag, 1939,.(= Kraus Texte).
14-Labat,R. Traité Akkadien de Diagnostics et Pronostcs Médicaux Leiden (1951) ,(=Labat TDP).
15-Lambert,W.G. Babylonian Wisdom Literature, ,Oxford(1960). (=Lambert BWL).
16-Lambert,W.G.,"Three Literary Prayers of the Babylonians", AfO.Bd,19, 1959-1960
17-Lewy, J., Tablettes Cappadociennes, Paris (1935) . (=TCL,19).
18-Lewy,J.,Keilschrifttexte in den Antiken-Museen zu stambul.Die altassyrischen texte vom konstantinopel(1926).(=KTS).
19-Lutz,H.F ,Sumerian and Babylonian Texts,Philadelphia (1919), (=PBS ,1/2).
20-Neugebauero,O, The History of the Ancient mathematicol Astronomy, Verlag,1975.
21-Oppenheim,A.L,"Siege-Documents" from Nippur", Iraq, Vol. 17, No. 1 ,1955.
22-Pinches,T.G,Texts from babtlonian tablets,in the britisch museum,part 4,London,1898.(=CT,4).
23-Reiner,E.,Šurpu A Collection of Sumerian and akkadian incantations,(=Šurpu), Chicago,1958.
24-Sand ,P.H.,Mesopotamia 2550 B.C.: The Earliest Boundary Water Treaty,Global journal of archaeology and anthropology, Vol.5,issue 4,2018.
25-streck,M.,Assurbanipal and die letzten assyrischen konige Bis zum untergange niniveh´s,Leipzig(1916).(= Streck Asb).
26-Thompson,R.C., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, London,1903 ,(=CT,17).
27Veenhof,K.R.,and,Brandt,E.K.,Altassyrische tontafeln aus kultepe texte und siegelabrollungen ,Berlin, 1992.(=VAS,26).

الهوامش:

[1] Hubner,B.,and Reizammer,A.,Sumerisch-deutsches Glossar, Deutsch ,1985 ,(= SDG/1).p.80

[2] Thompson,R.C., Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, London,1903 ,(=CT,17), 34:39f; King,L.,W.,Babylonian boundary stones and memorial-tablets, London(1912).(=BBSt). No. 5, iii :33

[3] CAD,M/1,P.189:b

[4] Halloran, J.A , Sumerian Lexicon , version 3,P.4

[5] Lewy, J., Tablettes Cappadociennes, Paris (1935) . (=TCL,19),32:28; CAD, Ḫ,P:48:b

[٦] اشور-باني-بال ،احد ملوك الامبراطورية الاشورية الحديثة،ورابع ملوك السلالة السرجونية،حكم بحدود ٤٢ عاما،للمزيد،ينظر:

الدوري،رياض عبد الرحمن،اشور-باني-بال ٦٦٩-٦٢٧ ق.م سيرته ومنجزاته،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار،١٩٨٦،ص ص ٢٣-٤١; الحديدي،احمد ،زيدان،"المنحوتات البارزة شاهدا للحملات العسكرية الاشورية على بلاد بابل مابين ٨٥١-٦٤٨ ق.م،مجلة دراسات موصلية،عد ٢٧ ،٢٠٠٩، ص ص ١٣١-١٣٦; الجحيشي ،سالم أحمد يونس أبليه، ولاية العهد في العصر الآشوري الحديث (٩١١ _ ٦١٢ ق . م)،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة الموصل ،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠١١، ص ص ١٠-١١.

[7] Frame,G.,Babylonia 689-627 B.C. A Political History, Leiden,2007,P.208.

[8] CAD,Z,P:87:b

[9] Labat,R. Traité Akkadien de Diagnostics et Pronostcs Médicaux Leiden (1951) ,(=Labat TDP). 82:18; Lutz,H.F ,Sumerian and Babylonian Texts,Philadelphia(1919),(=PBS ,1/2), 115, i :21f

[10] Reiner,E.,Šurpu A Collection of Sumerian and akkadian incantations,(=Šurpu), Chicago,1958, VIII ,56

[11] CAD,Ḫ,P:200:b

[12] Boyer,G., Contribution A l'histoire Juridique de la 1re Dynasti Babylonienne, Paris (1928).(=Boyer contribution), 108:25

[13] Dossin,G. Correspondance DE IASMAADDU, Paris(1952),(=ARM,5), 4 : 8

[14] Veenhof,K.R.,and,Brandt,E.K.,Altassyrische tontafeln aus kultepe texte und siegelabrollungen ,Berlin, 1992.(=VAS,26), 52: 4

[١٥] حول الحملات العسكرية في حضارة بلاد الرافدين ينظر:

محمد ،نبيل نورالدين حسين، الحملات العسكرية الآشورية : دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة،اطروحة دكتوراة غير منشورة ،جامعة الموصل،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٦; الحديدي ،أحمد زيدان خلف، "الحملات العسكرية الآشورية إلى الجهات الغربية (٨٨٣- ٦٢٦ ق.م) في ضوء المشاهد الفنية"،مجلة دراسات موصلية،مج الرابع،عد ٢١،٢٠٠٨، ص ص ١٠١-١٢٨; الامين، محمود ،" تعليقات على حملة سرجون الثامنة"، مجلة سومر، مج ١ – ٢، بغداد ، ١٩٤٩; الراوي، هالة عبد الكريم كرموش ،المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تاريخية فنية،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل، كلية الاداب ،قسم الاثار،٢٠٠٣.

[16] Sand ,P.H.,Mesopotamia 2550 B.C.: The Earliest Boundary Water Treaty,Global journal of archaeology and anthropology,Vol.5,issue 4,2018,pp.98-99;

القيسي،محمد فهد،"اثر المياه على الحروب في العراق القديم ٣٠٠٠-٢٩٣ ق.م"، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، عد ٥٢، ٢٠١٦، ص ص ٢-٢٢.

[١٧] حول المعاهدات في حضارة بلاد الرافدين يراجع:

محان،محمد سياب،المعاهدات السياسية في العراق القديم،دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،٢٠١١ ; ا لطائي، إبتهال عادل إبراهيم ،و عيسى ،هيفي سعيد ،"المعاهدات المرتبطة بالتجارة بين بلاد أشور و مدن الساحل الفينيقي خلال عهد الملكين تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق. م) و أسرحدون (٦٨١-٦٦٩ ق. م)"،مجلة افاق فكرية،مج الخامس،عد ١١، ٢٠١٩،ص ص ١١٢-١٣٠.

[١٨] الادو adû هو نوع من انواع الاتفاقات التي تبرم وعادة ما تتعلق بالملوك وقد برز مثل هذا الاتفاق في العصرين الاشوري الحديث والبابلي الحديث ، للمزيد يراجع:

CAD,A/1,PP.131-134;

[19] streck,M.,Assurbanipal and die letzten assyrischen konige Bis zum untergange niniveh´s,Leipzig(1916).(= Streck Asb), 76, ix :60

[٢٠] الملك اسرحدون احد ملوك الامبراطورية الاشورية الحديثة ورث الحكم من قبل ابيه الملك سنحاريب،للمزيد،يراجع:

الفتلاوي ،أحمد حبيب سنيد ،اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، راسلة ماجستير غير منشورة،جامعة واسط،كلية التربية،قسم التاريخ،٢٠٠٦، ص ص ٢٠-٧٢

[21] Borger,R, Die Inschriften Asarhaddons Köng von Assyrien Published in(Afo,9),Germany (1967), (=Borger Esarh.), 43, i :50

[22] Clay,A. T., records from erech time of cyrus and Cambyses, London(1925) .(=YOS,7),50:2

[23] Streck Asb, 12, i :132

[24] BBSt, No. 6 ,ii: 54

[25] Oppenheim,A.L,"Siege-Documents" from Nippur", Iraq, Vol. 17, No. 1 ,1955,P.70.

[26] Šurpu, Chicago,1958, III ,60

[٢٧] علي،ايمان هاني سالم،الحياة الاجتماعية في بلاد اشور في ضوء المصادر المسمارية،اطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة الموصل،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٦،ص ١٨; طاهر،احمد كاظم،و محمد،فاتن منصور،" الالات والادوات الزراعية في بلاد الرافدين"،مجلة الاداب،عد ٢٩، ٢٠١٩، ص ٣٥٧

[28] Lambert,W.G. Babylonian Wisdom Literature, ,Oxford(1960). (=Lambert BWL). 132:115

[٢٩] الانصاري،داليا فوزي،الاسرة العراقية القديمة في ضوء النصوص المسمارية،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٣، ص ص ٩-١٥ ; توفيق،عماد طارق،"الاسرة في بلاد الرافدين من الناحية القانونية"،مجلة دراسات في التاريخ والاثار،عد ٥٨ ،٢٠١٧، ص ١٦٧

[30] Pinches,T.G,Texts from babtlonian tablets,in the britisch museum,part 4,London,1898.(=CT,4), 5:11

[31] Šurpu,III :131.

[32] Šurpu ,III, 131

[٣٣] حسين،ايمان لفته،"الطقوس الجنائزية في بلاد الرافدين خلال الالف الثالث قبل الميلاد"،مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، مج ٨، عد ٤، ٢٠٠٩، ص ٢١٦

[٣٤] الوردي، محمود فارس عثمان، المدافن في العراق القديم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٦، ص ١٣٠.

[35] Ebeling,E., Keilschrifttexte aus assur religiosen in halts,Leipzig (1910),(=KAR), 246:26

[36] Šurpu , IV: 88

[37] Lewy,J.,Keilschrifttexte in den Antiken-Museen zu stambul.Die altassyrischen texte vom konstantinopel(1926).(=KTS), 15:19.

[38] Lambert,W.G.,"Three Literary Prayers of the Babylonians",AfO.Bd,19, 1959-1960, 58:141

[39] Šurpu, VIII: 67

[40] Šurpu, III ,142

[41] Šurpu, III, 71

[٤٢] الدوري، رياض عبد الرحمن امين،السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، الهيئة العامة للاثار ،بغداد،٢٠٠٩ ، ص ص١٢٠ -١٢٢;

شمار ،جورج،بوبيه، المسؤولية الجزائية في الادب الاشورية والبابلية، تر:سليم الصويص، بغداد، ١٩٨٤،ص ٦٤.

[43] CAD,E,P:372:b

[44] Šurpu, III ,33

[٤٥] للمزيد ينظر :

الشمس، ماجد عبدالله، الإله والانسان وأسرار جنائن بابل، آفاق من حضارة الرافدين، ط١، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٦ ، ص ص٣٣-٤٠.

[46] Šurpu, VIII, 67

[٤٧] حول هذا العلم والامور المرتبطة به ،يراجع:

النعيمي،شيماء علي احمد،الفلك في العراق القديم منالقرن السابع الى القرن الرابع (ق.م)،اطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة الموصل،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٦،ص ص٥-١٧; رشيد،فوزي،"علم الفلك بداياته وانجازاته"،مجلة المؤرخ العربي،عد ٥٥، ١٩٩٧.

Neugebauero,O, The History of the Ancient mathematicol Astronomy, Verlag,1975,PP.1-17; Halton, Rocherberg, "Astrology, Astronomy and the Birth of Scientific, Inquiry",Bulletin, 19, 1990, p.27ff; Biggs,R.D.,The Babylonian Prophecies and the Astrological Traditions of Mesopotamia, JCS,Vol. 37, No. 1, 1985, pp. 86-90.

[48] Kraus,F.R.,Texte zur babylonischen Physiognomatik,Verlag,1939,.(= Kraus Texte), 25:12f.

[49] Šurpu, III ,38

دور الأنهار في حضارة بلاد الرافدين

(الزراعة و الري أنموذجا)

The role of Rivers in the civilization of Mesopotamia (The Agricultural and Irrigation Model)

جاسم حسين يوسف

ا د سعد سلمان فهد الشويلي

دور الأنهار في حضارة بلاد الرافدين (الزراعة و الري أنموذجا)

جاسم حسين يوسف

ا د سعد سلمان فهد الشويلي

المقدمة :

لعبت الأنهار دورا أساسيا ومهما في نشوء الحضارة وازدهارها وتطورها عبر العصور المختلفة خاصتا نهري دجلة والفرات وروافدهما ، وشمل هذا التطور مجالات الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية وغيرها من مجالات الحياة المختلفة والتي أسهم فيها الإنسان بشكل كبير إلى الارتقاء بها إلى سلم التطور والمجد . والزراعة واحدة من هذه المجالات المختلفة التي نمت فيها وتطورت عبر الفترات اللاحقة فبعد أن كانت مقتصرة في بداياتها على زراعة مساحات قليلة تكفي لسد حاجات الأسرة ، أصبحت في العصور اللاحقة تزرع بمساحات شاسعة وكبيرة وبأنواع مختلفة من المزروعات التي تسد حاجات أعداد أكبر من الناس . وحرص الملوك على وضع بعض المواد القانونية التي اسهمت في تنظيم الزراعة والمحافظة على إنتاج المزارع من العبث والإهمال ، فقد كشفت بعض المواد القانونية دفع غرامة مالية لكل شخص يتسبب في أتلاف محاصيل الحقول بسبب الإهمال أو لأي سبب أخر . وما كانت تقوم الزراعة وتتطور لولا عناية الملوك والحكام بمجال الري ومتابعته والأشراف عليه من قبل الملوك والحكام أنفسهم كونهم مثلين عن الآلهة في خدمة الناس وتوفير متطلباتهم . فقد كشفت الكثير من المدونات المسمارية والرسائل التي عثر عليها أثناء التنقيبات الأثرية الإحاطة الكبيرة والعناية الفائقة من الملوك والحكام لتلك المشاريع ، وتخبرنا الرسائل الموجة من الملك حمورابي إلى إتباعه في المدن إلى وجوب صيانة وكري الأنهار والقنوات المائية ودموميتها بشكل مستمر ، وترينا أيضا السنوات الخاصة بحكم بعض الملك أنهم بذلوا جهودا جبارة في سبيل توفير أفضل الخدمات للشعب عن طريق حفر القنوات وكريها ومتابعتها مما يدل على اهتمام الملوك في تطوير مشاريع الري بشكل لا يقبل الشك .

Abstract:

The Rivers played a fundamental and important role in the emergence, prosperity and development of civilization throughout the various eras, especially the Tigris and Euphrates rivers and their tributaries.

Moreover,This development included the various social, economic, political, legal and other espacts of life in which man contributed greatly to raising them to the ladder of development and glory. Also,Agriculture is one of these different fields in which it grew and developed over subsequent periods. After it was limited in its beginnings to cultivating small areas sufficient to meet the needs of the family, in later eras it became cultivated in vast and large areas and with different types of crops that meet the needs of larger numbers of people.

So that ,The kings were keen to establish some legal articles that contributed to organizing agriculture and preserving farm production from tampering and neglect. Some legal articles revealed that a fine should be paid to every person who causes damage to field crops due to negligence or for any other reason. Therefor,Agriculture would not have been established and developed had it not been for the interest of kings and rulers in the field of irrigation, and its follow-up and supervision by the kings and rulers themselves, as they are examples of the gods in serving the people and providing for their needs.

Whatever,Many cuneiform records and letters found during archaeological excavations revealed the great attention and great care given by kings and rulers to these projects.

That letters sent from King Hammurabi to his followers in the cities tell us about the necessity of maintaining and maintaining the dredging of rivers and water canals on an ongoing basis, and they also show us the years of the rule of some of them.

Also, The King said that they made tremendous efforts to provide the best services to the people by digging, dredging, and monitoring canals, which indicates the interest of the Kings in developing irrigation projects in an undoubted manner.

نشأت الحضارات القديمة قرب ضفاف الأنهار والمسطحات المائية ، وبنى الناس مساكنهم بالقرب منها لحاجتهم إلى المياه كونه المصدر الرئيس على سطح الكرة الأرضية . ولعبت الأنهار أدوارا مهمة في العصور القديمة ليس فقط في الزراعة والري بل شملت مجالات الحياة المختلفة ، والأنهار هي مجاري مائية تجمع المياه من عدة روافد وتصب في البحر أو الخلجان والمحيطات وقد تكون الأنهار كبيرة كنهري دجلة والفرات أو صغيرة كنهر الحلة ويمكن لنا أن نلخص هذه الأدوار بالاتي :

أولا: دور الأنهار في الزراعة

تميزت الأراضي الزراعية في بلاد الرافدين بتنوع تضاريسها التي كانت عاملاً في تطور الحياة الاقتصادية للإنسان في البلاد، إذ تتباين هذه التضاريس في الشمال عن الجنوب وفي الشرق عن الغرب من مناطق جبلية وسهلية وصحراوية، فضلاً عن توافر مصادر الحياة المتمثل بالنهرين دجلة والفرات وروافدهما والينابيع والبحيرات ومياه الأمطار التي كانت من العوامل المهمة في تطور الزراعة والري في البلاد[١].لقد أسهم النهرين العظيمين دجلة والفرات وروافدهما بشكل كبير ومهم في إنعاش الزراعة، بالرغم من أثار الفيضانات المدمرة، التي كانت تترك أثارها السلبية على الزراعة[٢]، ومنها انخفاض مناسيب مياه النهرين في بعض الفترات خاصة في فصل الصيف مما جعل الإنسان يبحث عن البدائل لسقي محاصيلهم الزراعية المتمثلة بمشاريع الري[٣].

وظهرت الحاجة لزراعة مساحات شاسعة من الأراضي بسبب زيادة عديد السكان،الامر الذي دفع الإنسان إلى القيام بمشاريع أروائية خاصة في جنوب البلاد، و كان الهدف منها إيصال المياه إلى الأراضي الزراعية[٤]. فقد كانت الأرض الزراعية تهيأ عن طريق ترطيبها بالمياه قبل عمليات الحرث والبذر لتسهيل عملية قطع الأعشاب الضارة الموجودة على التربة[٥].

عُدت الزراعة من أبرز مقومات الاقتصاد في حضارة بلاد الرافدين ، وقد أشتهر سكان بلاد الرافدين منذ أقدم الأزمنة بهذا النشاط، وساعدهم على ذلك توفر مياه النهرين دجلة والفرات وروافدهما وخصوبة التربة واستواء الأرض في الأقسام الجنوبية والوسطى من البلاد ، مما يسر لهم التنظيم والإفادة من هذه المياه بفتحهم العديد من القنوات وإنشائهم

السدود ، والخزانات والسيطرة على الفيضانات [٦] . وقد أشارت النصوص الكتابية من العصر الاكدي وما بعده لى مهنة مفتش القنوات والتي وردت باللغة السومرية على نحو $GU_2.GAL$ وبالاكدية (guggalu)، التي تعني مفتش القناة[٧]وهي اشارة واضحة الى اهتمام حكام وملوك بلاد الرافدين بتنظيم قنوات الري عبر هذا المسؤول .

وترتكز الزراعة على عاملين مهمين هما الأرض والماء اللذان لا يمكن الاستغناء عنهما في الأعمال الزراعية[٨]. وتقلد الإله دموزي (dumuzi ^{d})[٩]وظيفة إله الزراعة الذي ينسب إليه نمو النبات و وفرة إنتاج أثمار أشجار الحقول والبساتين[١٠].

لقد اهتدى الإنسان للزراعة في الجزء الشمالي من بلاد الرافدين منذ الألف الثامن قبل الميلاد نظراً لوفرة المطر والمناخ المناسب،إذ تحصر الجبال في القسم الشمالي من بلاد الرافدين فيما بينها سهولاً منبسطة نوعاً ما تصلح للزراعة المطرية، إذ تميزت هذه السهول بخصوبة تربتها ووفرة مياهها[١١]. وقد بلغ معدل سقوط المطر في هذه المناطق نحو (٦٠ سم) في السنة مما يجعلها صالحة للزراعة، في حين أدت قلة سقوط الأمطار في المنطقة الجنوبية والوسطى إلى استعمال طرائق الري الاصطناعية من النهرين العظيمين دجلة والفرات أو المياه الجوفية لإرواء الحقول الزراعية [١٢] .

يُعد امتهان الزراعة ونشوء القرى الزراعة من أبرز التطورات في العصر الحجري الحديث في بلاد الرافدين[١٣]، وتمكن سكان القرى الزراعية الأولى من الافادة من الجداول والانهاروتقليل عنف النهرين دجلة والفرات[١٤].

أن من الأمور المهمة في مجال الري عملية تنظيم السقي والسيطرة على مياه الإرواء التي كثيراً ما أحدثت مشاكل بين المزارعين، وعلى سبيل المثال في عصر فجر السلالات خاصة بين مدينتي أوما ولكش[١٥] . وتعكس النصوص المسمارية الخاصة بشؤون الري جهود حكام وملوك حضارة بلاد الرافدين واهتمامهم بالمشاريع الإروائية،اذ عكست هذه النصوص تسخير كل الإمكانيات المادية والبشرية لهذه المشاريع[١٦]. وأن ملوك بلاد الرافدين لم يكتفوا بالتباهي والتفاخر بأعمال الري بل إنهم أرخوا بعض سنوات حكمهم بحفرهم لهذه القنوات[١٧]،كما استعمل سكان بلاد الرافدين عدد من الآلات في شق القنوات ومنها الفأس التي خلقها الإله انليل (Enlil) إله الهواء، إذ نقرأ في كتاباتهم الآتي : ((...

خلقت الفأس لتكون أداة نافعة بيد الإنسان يستعملها في الحفر ...))[١٨] ،كما استعملت المسحاة في حفر القنوات وفي الجوانب الزراعة ووردت على نحو AL باللغة السومرية وallu باللغة الأكدية[١٩] ، فقد ذكرت في احد النصوص استعمالها في حفر القنوات نقرأ الآتي : (...**قناتها المحبوبة بالمسحاة حفرها ...))**[٢٠]،وقد اوردت لنا النصوص المسمارية معلومات تتعلق بالقنوات، فهناك احد الاشخاص المسؤولين عن فتح المياه لقنوات الري وقد اشار الى ذلك احد النصوص المسمارية نقرأ : **((... هو المسؤول عن فتح وغلق البثق لنهر الملك الذييخص حقول سيدة الوركاء عشتار ...))**[٢١] ، كما اشارت بعض النصوص الى العدد المستعمل في حفراحدى القنوات، في حين تذكر نصوص أخرى طول وعرض وعمق القناة الفرعية الذي يشير من دون شك إلى الخبرة الكبيرة في تنفيذ مثل تلك المشاريع في العصور القديمة[٢٢] . وقد اشارت النصوص المسمارية الى اهتمام الحكام والملوك بحفر القنوات لما لها من دور في عملية التنمية الاقتصادية والمتعلقة بالجانب الزراعي،فقد اشار حاكم مدينة لكش اور–نانشة (dUr_ nannše)[٢٣]الى بنائه احدى القنوات والتي تدعى قناة سامان **نقرأ : ((...هو بنى قناة سامان ...))** [٢٤]،وتشير النصوص العائدة إلى الأمير كوديا **(Gudea)** (٢٢٠٠ _ ٢١٠٠ ق م) حاكم مدينة لكش أنه قد حفر القناة المسماة**(قناة ننكرسو اوشومكال)، اي قناة ننكرسو التنين نقرأ : ((السنة التي حفرت بها قناة ننكرسو–اوشومكال))**وعد هذا حدثاً تاريخياً اورخ به احد سنينه [٢٥] ، وتشير النصوص الكتابية المسمارية أن البابليين استعملوا الساعة المائية لمعرفة حساب ساعات الليل [٢٦] . **و** قسموا اليوم إلى أثنى عشر ساعة مضاعفة تعرف (بيرو) (BERU) [٢٧].

لقد تمثلت البدايات الأولى للري بعمل بعض السداد الصغيرة وحفر الخنادق والافادة من تساقط مياه الأمطار[٢٨]. في حين كان ازدهار الري وتوسعه يرجع إلى تطور المنظومة السياسية الخاصة بدولة المدينة [٢٩]،كما عدت الابار من مصادر المياه المهمة والتي اعانت سكان بلاد الرافدين على حياتهم اليومية وعدت من المستلزمات المهمة التي أعتمد عليها السكان في حياتهم اليومية أوقات السلم وفترات الحصار أو الجفاف، التي كانت تتعرض لها بعض المدن أو في حالة تلوث مياه الأنهار أو فيضانها[٣٠]. وحرص الحكام

على توافر المياه بشكل دائم، وقاموا بتجهيز بعض المدن بعدد من الآبار نقرأ الآتي : ((**... ما مجموع ٣٢ بئرا تم تجهز المدينة بالمياه ...**))[٣١] ،ويذكر أحد النصوص الكتابية استعمال مياه الآبار للشرب والغسل في إثناء الحملات العسكرية إذ نقرأ الآتي : ((**.. أنا أعطيت لقطعاتي الماء المسحوب من البئر ...**)) [٣٢].

وقد كشفت التنقيبات الأثرية في مدينة بابل وجود حواجز لترشيح بعض المياه لغرض تجهيز المدينة بمياه الشرب [٣٣]وعثر على بئر مائي في مدينة بابل كان يجهز أحد القصور بالمياه، إضافة إلى ثلاثة آبار اخرى، التي فسرها المنقبون على أنها كانت تجهز الجنائن المعلقة في مدينة بابل بالمياه [٣٤]. وقد فضل السكان القدماء استعمال مياه الآبار كونها مياه نقية خالية من الشوائب، التي غالباً ما توجد في القصور الملكية وبيوت المترفين، وقد اشرت لنا النصوص الكتابية ان هناك موظفا خاصا يهتم بامدادات المياه الى القصر وقد سمي هذا الموظف باللغة الاكدية rab mê ša šarri [٣٥] ،اما المسؤول عن امدادات المياه بشكل عام فقد عرف بالمصطلح الاكدي ša muḫḫi mê[٣٦]،وقد ذكر البئر في الامثال التي تناولها سكان بلاد الرافدين نقرأ: ((**...حفر بئرليس فيه ماء،يوفر قشرةبدون حبوب...**))[٣٧]،وتؤكد النصوص الكتابية أن البلاط الملكي الحثي أهتم بالمياه إلى درجة إنه كان يضع لها الحراسات المشددة وذلك خوفاً من العبث بها من بعض الأشخاص، وأن هناك ما يشير إلى أن بعض الملوك أصدروا بعض الأوامر الملكية التي تخص المياه، بل انهم اشرفوا بانفسهم في احيان كثيرة على تهيئة المياه لارواء الاراضي الزراعية ومايؤيد هذا الجانب ماذكره سنحاريب في حولياته نقرأ : ((**...جهزت المياه لزراعة الشعير...**))[٣٨].

وتعتبر ملوحة التربة من أكثر الأخطار التي واجهت الفلاحين أثناء عملية الزراعة ، والتي بلا شك أنها أثرت على فكر سكان بلاد الرافدين ، وأعتقد السكان القدماء إن مشكلة الملوحة ترجع إلى غضب الآلهة عليهم فكتبوا التراتيل والأدعية وتوسلوا بالآلهة لتخليصهم من آفة الملوحة التي جعلت الأرض خراباً[٣٩] فقد ذكرتها أسطورة اتراخاسيس، إذ نقرأ فيها الآتي : ((**... أبيضت الحقول خلال الليالي واخرج السهل الفسيح بلورات الملح ....**))[٤٠]،كما

ذكرت الملوحة ايضا في نصوص اخرى تتعلق بالفال إذ نقرأ : ((.. **إذا احتوى الحقل على بلورات من أملاح فإن صاحب الحقل سيكون بصحة سيئة ....**)) [٤١] .

ومن المعروف أن طبيعة المياه تعد السبب الرئيس لزيادة الأملاح في التربة، وهي قضية كانت محط أنظار المسئولين في حضارة بلاد الرافدين، والتي أوجبت عليهم مراقبة القنوات والسدود وعمليات السقي[٤٢] . فعلى سبيل المثال عانت مدينة أور في عصر اور الثالثة من نقص المواد الغذائية بسبب انتشار الملوحة ضمن الأراضي الخاصة بها وخاصة في زمن حكم ملكها ابي–سين[٤٣] .

وإن أول قناة دونتها النصوص المسمارية في التاريخ هي قناة الغراف على نهر دجلة في واسط، التي حفرت في نحو منتصف الألف الثالث قبل الميلاد[٤٤] .

وعُدت المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين أعمال السقي وجلب المياه من الأنهار والقنوات من عمل الآلهة، وقد مثلت بالأساطير والتراتيل الدينية . فعلى سبيل المثال ذكرت الكتابات المسمارية أن الإله مردوكMarduk[٤٥] إله مدينة بابل الرئيس هو من يحافظ على مياه الأنهار، فنقرأ في أحد النصوص نقرأ الآتي : ((... (**مردوك**) **الذي يحافظ على الينابيع والأنهار ويفتح القنوات...**))[٤٦] ،ويعزى الى الإله مردوك ايضا خلق نهري دجلة والفرات وكان مضطلعاً بفتح قنوات الري وإنشاء السدود، على وفق ما جاء في النص الآتي: ((... **أقام مردوك سدا في سيف البحر ...**))[٤٧] .

كما تذكر النصوص أن الإله أيا (إله المياه والحكمة) هو من يقوم بحفر القنوات الجالبة للمياه والخصب والنماء، الذي يملئ الينابيع بالمياه في باطن الأرض، والقادر على سد الأنهار وقطع المياه، نقرأ الآتي : (....**أيا يحفر القنوات، الذي يوفر الينابيع...**)[٤٨] ،كذلك نقرأ في نص آخر : ((... **ربما (Ea) سد الأنهار في المنبع...**))[٤٩] ، كذلك عد الاله ننورتا (^{d}Ninurta)[٥٠]احد الالهة المسؤولة عن فتح القنوات **نقرأ الآتي** : ((...**ننورتا الذي يفتح القنوات...**)) [٥١]، وتذكر أسطورة ننورتا –اساك [٥٢]بعض أعمال الري، فحينما ارتفعت المياه الأولى في كور إلى سطح الأرض ، ولم تعد مياه نهر دجلة ترتفع حل البأس بآلهة سومر ، على وفق ماجاء في النص الآتي: ((... **في الأنهار الصغيرة ..... ولم يرتفع الماء عاليا فلا تروى الحقول ...**))[٥٣]. ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه

أقام الإله ننورتا[٥٤]سداً كبيراً تمكن من إيقاف الفيضان ودفع المياه الزائدة إلى نهر دجلة ، وقد ورد هذا في أحد النصوص نقرأ : ((... **ما تبدد وفاض من مياه كور آجراه وسلطه في دجلة فأجرى المياه العالية على الحقول ....**))[٥٥].

ويملأ الإله ننورتا القنوات بالماء السرمدي ويعمل على زيادة وفرة الحيوانات ، فتذكر أحدى الترانيم المقدمة له الآتي :((... **أنت ملأت القناة بماء أبدي (سرمدي) ، أنت جعلت بقعة الشعير تنمو في الحقول ...**))[٥٦] .

وقد تولى بعض الآلهة مهمة الإشراف على الأنهار والقنوات، فالإله انكيمدو Enkimdu[٥٧] كان إله القنوات والجداول ، إذ عينه الإله إنكي لينظم شؤونها[٥٨] . وشغل وظيفة الفلاح المختص بالشؤون الزراعية والمسؤول عن المحراث والحقل والخضار، بأمر من الإله إنكي (Enki) بحسب أسطورة (إنكي و تنظيم العالم)، فقد وصف بـ (فلاح الحقل) المشرف على تقنيات سقي المزروعات، لا سيما في المناطق الجنوبية من بلاد الرافدين [٥٩]، فتذكر النصوص الكتابية الاتي : ((... **السيد الذي يلبس التاج زينة السهل المرتفع القوي، فلاح إنليل أنكيمدو، من أجل القناة و السد عينه انكي مسؤولا عنهما ...**))[٦٠]،و تشير أسطوره أخرى إلى أعمال الإله الزراعية، إذ نقرأ : ((... **دموزي شرع يخاصم الفلاح، ملك السدود و السواقي، في (حقله) الراعي دموزي في حقله شرع يخاصمه ...))**[٦١].

وتذكر ملحمة الخليقة البابلية اينوما _ إيليش أن الإله أنبيلولو Enbilulu[d][٦٢] هو الإله المسؤول عن كافة أعمال الري في بلاد الرافدين، اذ نقرأ في أحد النصوص الآتي :((... **أنبيلولو انه السيد الذي يجعلهم مزدهرين ... الذي ينظم دائما للأرض المراعي وأماكن الري الذي فتح الآبار وسبب مجيء الماء ...**))[٦٣]كما ان الإله أنليل إله الهواء عهد إلى الإله انتن Enten[d][٦٤] إله الشتاء بأعمال الري، إذ يرد في أسطورة انتن وايمش الآتي : ((... **يا أبتي انليل قد عهدت إلي بشؤون القنوات فجلبت مياه الخير ...**))[٦٥] .

تؤكد المصادر الكتابية اعتماد اقتصاد دويلة المدينة على مشاريع الري، وأن الحاكم هو الوحيد الذي له الحق في حق التجنيد الإلزامي (السخرة) عند الحاجة للأيدي العاملة من أجل أكمال أعمال الصيانة وبناء الخزانات وغيرها من مشاريع الري الأخرى[٦٦]. إن

وقوع أغلب المدن على ضفاف الأنهار أو بالقرب منها وخصوبة التربة كان له الأثر الكبير في تطور الزراعة وأعمال الري عبر مر العصور(٦٧) . لقد كان للماء دوراً هاما واساسيا في توسع الأراضي الزراعية وأحياء المدن في بلاد الرافدين.

وأولى الملوك في بلاد الرافدين مشاريع الري اهتماماً كبيراً، خاصة القنوات التي تعمل على إيصال المياه إلى الحقول والبساتين، حتى ان المياه حينما تقل في القنوات والانهر يكون من الصعب الابحار بها وقد اشار احد النصوص الى هذا الجانب نقرأ : **((....في أيام الفاقة يقدم كوديا قربانٍ وينهل إلى ملكه ننكرسو، غير أن الآلهة لم تستطع ركوب القارب، لأن القناة التي تؤدي إلى مدينتها قد نضب ماؤها ...))**(٦٨) .

وكرس الملك أور– نانشة ur–nanše (٢٤٨٠ _ ٢٤٥٠ ق م) حياته في سبيل توفير مياه الري عن طريق حفر القنوات المائية ، فقد جاء في أحد النصوص الآتي : **((.... اور–نانشة ملك لكش ... بنى معبد نانشة .. حفر القناة ...))**(٦٩).

ويتفاخر الملك اوروكاجينا (٢٣٦٥ _ ٢٣٥٧ ق م) في مدوناته الكتابية بأنه استطاع توفير المياه لمدينة لكش، وذلك بحفر قناة (نيناندو) التي كرسها للإله نانشة (dNanše)(٧٠)، إذ نقرأ في أحد النصوص ما يشير إلى هذا الموضوع **نقرأ الآتي** : **((... لأجل الآلهة نانشة حفر قناة نيناندو وجدولها ...))**(٧١).

وسمى الملك سرجون الأكدي (٢٣٥٠ _ ٢٢٩٤ ق م) بعض القنوات باسمه كقناة (إي– شرو كين Šarru .kin . E) اي قناة شارو–كين التي بناها بنفسه(٧٢)،وتذكر النصوص من هذا العصر، أن الملك نرام –سين هو الحامي لمياه نهري دجلة والفرات، فقد جاء فيها **الآتي** : **((.... نرام سين هو الحامي لموارد نهر دجلة والفرات ....))**(٧٣).

لقد عد حفر القنوات المائية عملاً دينياً مقدساً يتقرب به الملوك من الآلهة ، فيذكر أحد النصوص التكريسية للملك أورنمو ur–namu(٢٠١٢ _ ٢٠٥٩ ق م) مؤسس سلالة أور الثالثة ، أنه حفر قناة لأجل الإله نانار Nannar d إله القمر(٧٤)، إذ جاء فيه : **((... من أجل نانار ، ملكه أورنمو الرجل العظيم ، ملك أور ، ملك سومر وأكد ، حفر**

القناة الكبرى ، قناته المحبوبة ...))[٧٥] . وحفر قناة تدعى (En _ erin _ nun) وكرسها للإله أنليل، على وفق النص الآتي :

((... لأجل أنليل ملك جميع البلدان ، ملكه أورنمو ، ملك أور ، ملك سومر وأكد ، بنى معبده ، و قناة (En _ erin _ nun) التي تغذيه ، حفرت...))[٧٦] .

وحفر الملك اور–نمو عدد آخر من القنوات المائية منها قناة (أ _ نينتو . A Nintu)[٧٧]، وقناة (كيش داكو Kiš _ daku)[٧٨]. وأشارت إحدى التراتيل الخاصة بهذا الملك إلى أحد تلك القنوات المائية، فقد ذكرت هذه الترتيله الآتي :

((... قناة كيش _ داكو من الذي سيحفرها ، القناة من الذي سيحفرها ؟ قناة بابيلوخ من الذي سيحفرها ، القناة من الذي سيحفرها ؟ اورنمو المقدس الثري المزدهر سوف يحفرها ... في أور حفرتُ قناة الوفرة ، و أطلقت عليها اسم قناة كيش _ داكو اسم يستحق الثناء ...))[٧٩]. وقد دون الملك اورنمو أعماله الخاصة بالري على مسلته الشهيرة المعروفة باسم مسلة اورنمو، إذ ذكر بأنه حفر عدد من القنوات، فقد جاء فيها :

((...هو اورنمو حفر ، هو حفر القناة ، هو حفر القناة العظيمة ... وقناة الإله ننا ، هو حفر قناة ننا كوكال لإجل الإله ننجرسو[٨٠]**، هو حفر قناة ... إلى قناة الإله ننجرسو..))**[٨١] .

ويذكر الملك حمورابي في مقدمه قانونه النص الآتي : **((... محيي مدينة الوركاء واضع الماء الوفير لشعبه ..... موسع الأرض المحروثة...))**[٨٢].

وأشارالملك سابيئوم sābium(١٨٤٤ _ ١٨٣١ ق م) في السنة الثالثة من حكمه أنه فتح أحد السدود، فنقرأ: **((... السنة التي فتح بها سدّ آبا هي الوفرة ...))**[٨٣] ، وتشير النصوصالمسمارية ايضا أن الملك أبل _ سين apil–^{d}sin(١٨٣٠ _ ١٨١٣ ق م) عني بمدينة بابل والمدن التابعة لها خاصة في مجال أعمال الري، فشق نهر أبل _ سين و نهر سوموندار (Sumun _ Dar ^{i7})[٨٤] . وقد أرخ في السنة الثانية عشرة من حكمه أنه نظم سد على نهر الفرات نقرأ الآتي : **((السنة التي نظم بها سد قناة الفرات))**[٨٥] .

وقد شغلت أعمال الري وتحديداً شق القنوات المائية وكريها جانباً كبيراً من اهتمام الملك ريم _ سين الأول rīm–^{d}sin I (١٨٢٢ _ ١٧٦٣ ق م)[٨٦]، فتذكر النصوص

البنائية التذكارية من العصر البابلي القديم أنه جلب المياه إلى بلاد سومر وأكد نقرأ الآتي : **((... جلب مصادر لا تنضب من المياه إلى بلاد سومر وأكد ...))**[٨٧]. وفي نص اخر يذكر كيف ان الالهة العظام انو وانليل وانكي وننماخ اعطوه القوة والسلطة لجب المياه الوفيرة **نقرأ الآتي : ((... عندما الآلهة أنو و أنليل ، وأنكي ، و ننماخ أعطوها السلطة ليقوم بجلب المياه الوفيرة غير المتوقفة ، المياه الأبدية ، التي جلبها نهرا دجلة والفرات منذ أقدم الأزمان ...))**[٨٨] .

وتعد عملية حفر حفر قناة مامي _ شارت Mami _ Šarrat من أبرز المشاريع العائدة للملك ريم _ سين الأول، فذكر في أحد نصوصه ما يأتي : **((... أنا الراعي المبجل الذي كان إلى جانب الإله أنليل سيده ، أنا ريم _ سين رجل الجبل العظيم ، الإله أنليل ، أنا الواحد الذي يمتلك الذكاء ، الكامل في الحقيقة ، صانع الخير الذي أعطاه أنكي ، قرار حفر قناة (مامي _ شارت Mami _ Šarrat) القناة التي تجلب الوفرة للأرض ... عملت خندق القناة مثل الجبل ، أنا جعلت المياه وفيرة في مساربها وملئت خزانتها وجعلت على طول حافتهم النباتات الفخمة تنمو على نحو كبير ، أنا الذي سمى تلك القناة (توقمات _ إيرا Tuqmat _ Erra) ، أنا الذي أعاد المياه السرمدية لدجلة والفرات ...))**[٨٩] .

وتتردد أعمال حفر القنوات في سنوات حكم الملك حمورابي، فقد أشار في إحداها إلى ما يأتي**((... السنة التي حفر فيها حمورابي قناة " نوخوش _ نيشي " _ Nuḫush nishi...))**[٩٠] .

كذلك أرخ في السنة التاسعة من حكمه حفر قناة حمورابي**(السنة(التي حفر بها الملك حمورابي)قناة حمورابي (قناة)الوفرة)**[٩١] . وقد حفر هذا الملك نهراً سمي باسمه (نهر حمورابي) اذ ورد في كتاباته الآتي :

((... أنا حمورابي الملك الجبار الذي أخضع لنفوذه كل أقاليم العالم الملك الذي أحرز الانتصارات العظيمة التي باركها الإله مردوخ ، لما عهد لي الآلهان (أنو وبيل) حكم بلاد سومر وأكد حفرت لسكان سومر وأكد نهر حمورابي ولقد ازدادت بمياهه خيرات الآلهين ورفاههيتم ...))[٩٢].

وينتج إهمال كري وتنظيف القنوات والمجاري المائية زيادة الترسبات ونمو النباتات التي تمنع سير المياه ، فيذكر حمورابي في رسالة إلى سين –أدينام الآتي : ((. **..أستدعي الرجال الذين يمسكون الحقول على ضفاف قناة دامانوم لينظفوا قناة دامانوم في منتصف هذا الشهر ...)**[٩٣]، وكذلك وجه الملك حمورابي سين –أدينام أحد حكام المقاطعات بأعمال التنظيف للقناة الموجودة وسط مدينة الوركاء، على وفق ما جاء في النص الآتي : ((**... لم تنظف القناة (إلى) وسط المدينة العائدة لمدينة الوركاء ، لا يدخل الماء إلى وسط المدينة (والقوارب) لا تستطيع الدخول ...))**[٩٤] .

ان سبب انخفاض مستويات المياه في الانهار والقنوات يعدو اما لشحة المياه الموسمية وخاصة في فصل الصيف او لوجود التعرية فيها الامر الذي يستلزم التدخل السريع في معالجتها،لان مثل هذا النقص بالتاكيد يؤثر ويؤدي الى قله المياه وانقطاعها عن الحقول والبساتين،وهذا ما اكدته احدى رسائل الملك حمورابي الى شمش–خازر–šamaš–ḫazir[٩٥]جاء فيها ((**... أنخفض الماء في نهر أوكم _ دو لميصل (الماء إلى) الحقل ...))**[٩٦] . وكان لعدم تقوية فتحات السدود وقله المياه الاثر المباشر في تلف المحاصيل الزراعية[٩٧] . كما ان مياه النهر في بعض الفترات تنخفض بسبب فصل الصيف وقله الأمطار مما يضطر المسئولين بإضافة كمية من المياه إلى الأنهر المنخفضة لتحافظ على مستويات معينة و لإرواء الأراضي الزراعية القريبة من النهر ، وهو ما أشار له نص يرجع للعصر الآشوري يبين انخفاض مستويات المياه في نهر الخوصر، نقرأ : ((... **أضفت (هذه المياه) كمكمل دائم لمياه نهر الخوصر...))**[٩٨] .

وعنى الملوك في بلاد آشور بمشاريع الري بشكل كبير ، فيذكر أحد النصوص للملك آشور_ أوبالط الأول aššur–ubalit I (١٣٦٥ _ ١٣٣٠ ق م)[٩٩] بأنه حفر قناة لأجل الإله آشور (^{d}Aššur)، وقد جاء فيه : ((**...آشور– اوبالط نائب الإله آشور ، ابن " إريبا –أدد " نائب الإله آشور ، عندما كلفني سيدي آشور مهمة بناء قناة باتي _ طوخدي " ṭuḫdi _ patti " .... وقد بلغ عمقها إلى الماء عشرة أذرع ...)**[١٠٠] ، وحفر الملك آشور– ناصر– ابيلي الثاني aššur–nāṣir–apli (٨٨٣ _ ٨٥٩ ق م)[١٠١] قناة تدعى " باتي خيكالي " (patti _ hegalli) التي تعني " قناة الوفرة والخصوبة " لجلب المياه من

نهر الزاب الأعلى لإرواء حقول وبساتين مدينة كالح[١٠٢]، وقد وردت هذه الإشارة في النص الآتي : ((. .. **حفرت قناة من الزاب الأعلى وقطعتها من خلال الجبل وقمته واسميتها " باني خيكالي ...**))[١٠٣] .

وقد أهتم الملك سنحاريب sîn-aḫḫē-erība(٧٠٤ _ ٦٨١ ق م)[١٠٤] اهتماماً كبيراً بمشاريع الري عن طريق حفر القنوات وإقامة السدود والخزانات، ويُعد مشروع إرواء مدينة نينوى[١٠٥] من أكبر مشاريع الري في الأقسام الشمالية من البلاد ، فيذكر احد نصوصه الآتي : ((... **أنا سنحاريب ملك آشور ورئيس جميع الأمراء ، الذي دانت له البلاد من مشرق الشمس لمغربها ، قد أسقيت نينوى وأرويت ما يجاورها بمياه القنوات التي أمرت بتشيدها ، وزرعت حدائق ورياضا فيها جميع الأشجار المثمرة ...**))[١٠٦].

وكان يشرف على أعمال الري مجموعة من الموظفين ، وكان (الشتامو- šatammu) المسؤول الأعلى عن حفر وكري وتنظيفوتفتيش الأنهار والقنوات[١٠٧].

الخلاصة :

لعبت الأنهار دورا هاما وكبيرا في ازدهار ونمو حضارة بلاد الرافدين بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والسياسية وغيرها من مجالات الحياة المختلفة ، وشكل نهري دجلة والفرات وروافدهما المرتكز الذي قامت عليهما حضارة بلاد الرافدين إذ لم تقّم حضارة البلاد إلا بهما ، ولأهمية الأنهار قدس سكان البلاد النهرين واعتبروهما من جملة الآلهة ، و حظي نهر الفرات بأهمية فاقت بشكل كبير أهمية نهر دجلة نظرا لكثرة المواقع الاستيطانية عليه ، واستخدامهما في نقل البضائع والأشخاص بين المدن الداخلية وبين بلاد الرافدين والبلدان المجاورة ، لقد سقى النهرين دجلة والفرات مئات الآلاف من الأراضي الزراعية بطرق عديدة منها الري بالواسطة ، ولغرض تنظيم الزراعة خصص الملك حمو رابي في قانونه عدد من المواد القانونية التي سهلت تنظيم الزراعة وعدم تجاوز الفلاحين على حصص الآخرين المائية .

الهوامش:

(١) الدباغ ، تقي ، " البيئة الطبيعية .... ، ص ٢٩ .

(٢) شريف ، إبراهيم ، الموقع الجغرافي ... ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٣)الهاشمي ، رضا جواد ، تاريخ الري في العراق .... ، ص ٦٢ وما بعدها .

(٤) الزبيدي ، مها حسن رشيد ، الحياة الاقتصادية في العصر البابلي الوسيط .... ، ص ٧٣ .

(٥) الزبيدي ، مها حسن رشيد ،المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٦) معوشي ، سامية ، " جهود الملوك ودورهم في توسيع شبكة قنوات الري الزراعية في العراق القديم" ، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ، العدد ١ ، جامعة الأغواط ، ٢٠٢٠ ، ص ٥٤ .

(7)Sassmannshausen , L . , " Beitrage zur verwaltung und GeSellschaft Babyloniens in der kassitenzeit " , Bagh _ for , Band 21 , Germany , 2001 , p. 29 ;

Hackman,G.G.,and Stephens,F.J., Sumerian and Akkadian administrative text frompredynastic times to the end of the akkad dynasty, London,1958,(=BIN,8).,151:4;CAD,G,P.121:a .

(٨) مهدي ، علي محمد ،" إنماط الملكية الزراعية في وادي الرافدين عبر العصور "، مجلة النفط والتنمية ، العدد ٧ _ ٨ ، ١٩٨١ ، ص ١٧٣ .

(٩) الإله دموزي : هو إله السومري أبن إله الحكمة والمياه إنكي وتنسب له زوجه عشتار ، عُبد في مدن كثيرة منها مدينة الوركاء للمزيد ينظر :

_ Bottero , J ., Love and Sex in Babylon, Every Day Life in Ancient Mesopotamia , Great Britain, 2001, p.107 .

(10)Edzard ,D . O., Wörterbuch der Methologie, Die Methologie de Sumer et Akkad , Germany,1957 , p ,90 .

(١١) الطلبي ، جمعة ، أنماط الاستيطان وطرز العمارة في منطقة أعالي بلاد الرافدين، بغداد، ٢٠٢١، ص١١ .

(١٢) الدباغ ، تقي ، " البيئة الطبيعية .... ، ص ٢٧ .

(13) Cauvin , J ., the Birth of the Gods and the origins of Agriculture , Cambridge , 2003 , p. 11.

(١٤) العمري ، فؤاد عبد الوهاب ، و العزاوي علي عبد عباس ، الأنظمة الأرضية والاستيطان القديم في منطقة أعالي الفرات ، المؤتمر العلمي لجامعة الأنبار ، ١٩٩٢ ، ص ١٣ .

(١٥) الهاشمي ، رضا جواد ، "تاريخ الري في العراق القديم .... ، ص ٦٨ .

(١٦) معوشي ، سامية ، جهود الملوك ودورهم .... ، ص ٥٤ .

(١٧) وهد ، جاسم شهد ، " الزراعة خلال العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ _ ١٥٩٥ ق م) " ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ١١ ، العدد ٣ ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٤ .

(١٨)علي ، فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ، بغداد ، ١٩٩٧ ، ص ٩٢ .

(19)Hackman,G.G.,and Stephens,F.J., Sumerian and Akkadian administrative text from predynastic times to the end of the akkad dynasty,London,1958,(=BIN,8),271:5; MDA,P.139, 298.

(٢٠) رشيد ، فوزي وآخرون ، العراق في موكب الحضارة (الأصالة والتأثير) ،ج ١، بغداد ،١٩٨٨، ص ٢٠٨ .

(٢١) الهاشمي ، رضا جواد ، تاريخ الري في العراق القديم ... ، ص ٧٧ .

(22)Gerow , E ., Cuneiform Mathematical Texts As Areflection of Every Day Life in Mesopotamia , AOS , vol 75 , New Haveni , 1993 , p . 37 .

(٢٣) اور– نانشة (d Ur_ nannše) : ابرز الملوك القدماء الذي كان له الكثير من الأعمال ابرزها مشاري الري للمزيد ينظر : مورتكارت ، انطوان ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دمشق ، ١٩٥٠ ، ص ٥٩ .

(24)Frayne,D.R.,Presargonic period(2700–2350BC), London, 1998, p.91, v,10–11.(=RIME,Vol.1) .

(٢٥) سليم ، أحمد أمين ، دراسات في تاريخ حضارة العراق القديم ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨ ؛ صالح ، عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم .... ، ص ٢٢ ،

Edzard,D.O,Gudea and his dynasty, RIME ,Early period,Vol.3/1 , London(1997),p.27.(=RIME,Vol.3/1) .

(٢٦) باقر ، طه ، لمحات من تراث حضارة وادي الرافدين ... ، ص ٢٠ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٢٨) الرويشد ، سعدي ، " تطور الحضارة " ، مجلة سومر ، مج ٢٣ ، ١٩٩٧ ، ص ٢٣٧ .

(٢٩) الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم،دار الرشيد للطباعة والنشر، ، ج ١ ، بغداد ،ص ٩٦ .

(٣٠) الجميلي ، محمد عجاج جرجيس ، نموذج تخطيط وبناء العواصم الآشورية الأربعة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٣١ ؛ إبراهيم ، جابر خليل ، تخطيط المدينة ، موسوعة الموصل الحضارية ، ج ١ ، الموصل ، ١٩٩١ ، ص ٤٤٠ .

(٣١) الهاشمي ، رضا جواد ، تاريخ الري في العراق القديم ... ، ص ٧٤ .

(32) Simonet , G ., Irrigation De piedmont et Economie . Agri _ Cole Assur , RA , vol . LXXI , No . 2 , 1977 , p. 158 .

(٣٣) كوليني ، جي ، بابل كتراث حضاري ، (المعهد العراقي الإيطالي للآثار) ، سومر ، مج ٣٥ ، ج ١ _ ٢ ، ١٩٧٩ ، ص ١٨٤ .

(٣٤) الزيدي ، كاظم عبد الله عطية ، أضواء على العناصر المعمارية في مدينة بابل من خلال حفرياتها الأخيرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك،الاردن، ١٩٩٩ ، ص ١١٨.

(35) CAD,M/2,P.156:a .

(36) CAD,M/2,P.156:b .

(٣٧) نظام ، زهراء محمود محمد ، الامثال في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية– دراسة مقارنة مع اللغة العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ، كلية الاثار، قسم اللغات العراقية القديمة ،٢٠٢١،ص ١٦٩.

(38) Luckenbill,D.D,The annals of sennacherib ,London (1924). (=OIP,2) ,80:23 .

(٣٩) سليمان ، عامر ، " العراق في التاريخ " موجز التاريخ الحضاري ، دار الكتب للنشر ، الموصل ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢٤ .

وللمزيد حول ملوحة التربة والإرواء وخاصة في حوض ديالى، يراجع :

Jacobsen,T.,Salinity and Irrigation Agriculture in Antiquity. Diyala Basin Archaeological Projects: Report on Essential Results (1957–58), Malibu,1982.

(٤٠) علي ، فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة .... ، ص ١٠٥.

(٤١) حنون ، فاضل كاظم ، مشاريع الري في العراق .... ، ص ١٨١.

(٤٢) نخبة من علماء السوفيت ، العراق القديم ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٧ .

(٤٣) رشيد ، فوزي ، أبي سين أخر ملوك سلالة أور الثالثة ، بغداد ، ١٩٩٠، ص ٣١ .

(٤٤) رشيد ، عبد الوهاب حميد ، حضارة وادي الرافدين ،دار المدى للنشر ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ١١١ .

(٤٥) الإله مردوك (Marduk) : إله مدينة بابل وعُد أبن الإله أنكي / أيا (إله المياه) وزوجته هي الآلهة صربانيتمSarpanitum برز على المسرح السياسي منذ زمن الملك حمورابي بسبب تعاظم سلطة مدينة بابل للمزيد ينظر : الهاشمي ، رضا جواد ،"مردوخ عظيم آلهة .... ، ص٤٧ ؛

_ Boda , M and Novotny, J. Cosmos , Temple ,House :Building and Wisdom in Ancient Mesopotamia and Israel,Germany,2010,p.421 .

_ Albert , J. ,The Wars of Gods and Men ,London,2010,p. 170 .

(46) CAD , N/1, p. 110 a .

(٤٧) باقر ، طه ، مقدمة في أدب العراق القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٨٧ .

(48) CAD , N/1 , P. 110 a .

(49) CAD , N/1 , p. 110 a .

(٥٠) الإله ننورتا (dNinurta) : كان ظهور الإله ننورتا في العصور السومرية المبكرة ، وهو أبن الإله انليل من زوجته الآلهة ننليل وقد عبد في مدن عديدة أهمها مدينة نيبور / نفر ومعبده المسمى المعبد الطاهر أو المقدس للمزيد ينظر :

Polonsky , J, The Rise of Sun God and the Determination of Destiny in Ancient Mesopotamia,U.S.A,2002 , p. 103؛

Alster,B.," "Ninurta and the Turtle", UET 6/1 2",JCS,Vol.24, No.4,1977.PP.120-125; Annus,A.,The God Ninurta in the Mythology and Royal Ideology of Ancient Mesopotamia,Pennsylvania,2002.

الدريساوي ،جاسم حسين يوسف،الإله ننورتا في الادب العراقي القديم،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٩.

(51) Budge,E.A.W.,and King,L.W.,A nnals of the king of Assyria,Vol.1, London(1902).(=AKA),255, i :3 .

(٥٢) تدور احداث اسطورة ننورتا واساك حول الشيطان اساك و هو من شياطين الامراض وصراعه مع الاله ننورتا، للمزيد، يراجع :

علي، فاضل عبد الواحد، سومر اسطورة .... ، ص ١١٧

؛ كريمر، صمؤئيل نوح ،" اساطير سومر و اكد " ، بحث ضمن كتاب : اساطير العالم القديم ، (نيويورك ، ١٩٦١) ، ترجمة : احمد عبد الحميد يوسف ، مراجعة : عبد المنعم ابو بكر ، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٤) ، ص ٨٥- ٨٦؛

كريمر، صموئيل نوح، من الواح سومر .... ، ص ص ٢٨٧- ٢٨٩؛

حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، الطبعة الثانية، بغداد ،١٩٨٦، ص ١٧٧؛

الصالحي، صلاح رشيد ، العفريت اساك asakkû الشياطين والامراض في بلاد الرافدين، بغداد ،٢٠١٩، ص ص ١-١٣.

(٥٣) كريمر ، صموئيل نوح ، أساطير العالم .... ، ص ٨٥ .

(٥٤) الإله ننورتا (dNinurta) : كان ظهور الإله ننورتا في العصور السومرية المبكرة ، وهو أبن الإله انليل من زوجته الآلهة ننليل وقد عثبد في مدن عديدة أهمها مدينة نيبور / نفر ومعبده اسمه (المعبد الطاهر أو المقدس للمزيد ينظر :

Polonsky , J, The Rise of Sun God .... , p. 103.

(٥٥) كريمر ، صموئيل نوح ، من الواح سومر .... ، ص ٢٨٨ .

(56)Radau , H .,The Babylonian Expedition , Pennsylvania, 1908, p.28-29.

Van Soden ,W .,Sumerisch und Akkadisch Hymnen und Gebeto , Stuttgart, 1953, p.50-51 .

(٥٧) إنكيمدو: Enkimdu إله سومري تقلد عدد من الوظائف منها إله السدود والقنوات بأمر من إنكي / أيا نتيجة لذلك لقب بسيد السدود والقنوات للمزيد ينظر :

_Jordan , M ., Dictionary of Gods .... , p.90.

(٥٨)كريمر ، صموئيل نوح ، من ألواح سومر .... ، ص ١٨٣ .

Jeremy,B.,The literature of ancient sumer,Oxford, 2006,p.86;

Esther,F.H.,umamma of ur in Sumerian literary,verlag,1999,p.105.

(٥٩) الشواف، قاسم ، ديوان الأساطير، الحضارة والسلطة ، الجزء الثالث، بيروت ،(ب ت) ص١٧٩.

(٦٠) حنون ، نائل ، عقائد الحياة و الخصب في الحضارة العراقية القديمة، عمان، ٢٠٠٢، ص ١٠٨ .

([61]) Frankfort, H and Others, The Intellectual Adventure of Ancient Man, London, 1992, P. 167 .

([٦٢])انبيلولو : إله سومري مسؤول عن المياه والحقول ويعُده الأكديون أبن الإله أيا للمزيد ينظر : ادزارد ، د و آخرون ، قاموس الآلهة والأساطير.... ، ص ٩٧ .

Greve,A.,Goddesses in Context: On Divine Powers, Roles, Relationships and Gender in Mesopotamian Textual and Visual Sources ,OBO, Vol.259, 2013,p.50؛

Lambert, W, G., "Enbilulu and the Calendar". If a Man Builds a Joyful House: Assyriological Studies in Honor of Erle Verdun Leichty. Brill,2006,p.239 ؛

Cavigneaux, A,and Krebernik, M.,1998, "Nin-Bilulu", Reallexikon der Assyriologie(=RLA), German,(1998),p.336.

([٦٣]) إبراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم _ حضارات الشرق القديم ، العراق / فارس ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٧٦ ، ص ٣١٠ .

([٦٤]) الإله انتن (dEnten) : هو إله الشتاء كما تقلد وظيفة الإله المزارع للمزيد ينظر :

_Jordan ,M .,Dictionary of Gods .... , p.91؛

Jourdan,M,Encyclopedia of gods,New York ,1993 ,PP. 356-359.

([٦٥]) صلاح ، أبو السعود ، تاريخ وحضارة أرض الرافدين سومر اكد بابل آشور ، ط ١ ، مصر ، ٢٠١١ ، ص ٢٨٦ .

([٦٦]) ساكز ، هاري ، عظمة بابل .... ، ص ١٩٤ ؛ الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ....،ج ١ ، ص ١٤٥ .

([٦٧]) الأحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ج ٢ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦١ .

([٦٨]) مورتكارت ،أنطوان ، تاريخ الشرق القديم ، ترجمة توفيق سليمان وآخرون ، دمشق ، ١٩٦٧، ص ١١١ .

([٦٩]) مورتكارت ، انطوان ، تاريخ الشرق الأدنى .... ، ص ٥٩ .

([٧٠]) الآلهة نانشة Nanše ، الهة سومرية أرتبط اسمها بالمياه (مياه الأنهار والقنوات والمياه المالحة (مياه البحر)،عدت أبنه للإله (إنكي / أيا) وأختاً للإلهين (نينگرسو Ningirsu) و(نيسابا Nisaba) للمزيد ينظر : بادنجي، طاهر، قاموس الخرافات والاساطير، بيروت ،١٩٩٦، ص ٧٢؛

Greve,A, and others,Julia M.; Westenholz,Goddesses in Context: On Divine Powers, Roles, Relationships and Gender in Mesopotamian Textual and Visual Sources,Zurich ,(2013),pp.21-22.

(٧١) علي ، ياسر هاشم حسين ، " عبارات التباهي والتفاخر عند بعض حكام وملوك بلاد الرافدين " ، مجلة الآداب ، العدد ١٠٨ ، كلية الآداب ، بغداد ، ٢٠١٤ ، ص ٤٧٥ .

(٧٢) دانيال ، تي بوتس ، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٦ .

(73) CAD , B, p.338a .

(٧٤) الإله ننار d Nannar : دعاه السومريون بـ (ننار d Nannar) والاكديون سين (Sin) ، وهو أبن الإله أنليل وله زوجه تدعي (نينكال Ningal) ، وعبد في مدينة أور منذ العصر السومري القديم للمزيد ينظر :

_Diakonoff, I.M., Early Despoisms in Mesopotamia, Early Antiquity, Chicago, 1991, P. 95.

_Combe, E.T., History Du Culte De sin en Babylonie, Parise, 1908, p. 7-8.

(75)Gadd , C.J ., Ur Excavations Texts , Royal Inscriptions , the Exford University press , London , 1928 , p. 9 .

(76) Gadd , C.J ., Ur Excavations …. , pp. 9 _ 10 .

(77)Sigirist , Marcel and Damerow , peter ., Mesopotamian Year Nmes Neo_ Sumerian and Old Babylonian Date . paris , 1967 , p . 43

(78)Hallo ,W, " the Coronation of Ur _ Nammu ",JCS,Vol. 20, No. 3/4 (1966), p. 141 .

(79) Ibid , p. 141 .

(٨٠) الإله ننجرسو dNingirsu : إله مدينة لكش (Lagša) الرئيس كان يُعرف بـ أيننو É.NINNU) أي (معبد الخمسين) للمزيد ينظر :

الأحمد، سامي سعيد ، المعتقدات الدينية في العراق ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٣٤ ؛

منصور، رشا سمير، الاله ننكرسو NIN-GIR-SU-دراسة تاريخية-،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،كلية التربية/ابن رشد،قسم التاريخ،٢٠٢٠.

(81)Frayne , R .D ., Ur III Period (2112 _ 2004 B C) , The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early periods , vol . 2 _ 3 , University of Toronto press , 1997 , p. 57 .

(٨٢) رشيد ، فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، ط٣ ، ١٩٨٧ ، ص ٣٣٦ .

(83)Mereer , snmuel ., Sumero-BabylonianYear Formulae,London,1946, p.33.

(٨٤) الخالدي ، شيماء ناصر حسين ، نصوص مسمارية غير منشورة من عهد الملك آمي صادوقا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٦ ، ص ١٤ .

(85)Mereer ,S.A., Sumero _ Babylonian .... , p.34.

(٨٦) الزيدي ، نعيم عودة صفر ، ريم _ سين الأول (١٨٢٢ _ ١٧٦٣ ق م) دراسة تأريخية وحضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٩ ، ص ١٤٤ .

(87)Frayne , D., Old Babylonian period (2003 _ 1595 B .C) ,R I M E Vol.4 , 1990 , p. 292.

(88) Frayne , D., Old Babylonian period .... , p. 292 .

(٨٩) الزيدي ، نعيم عودة صفر ، ريم _ سين الأول .... ، ص ص ١٤٧ _ ١٤٨ ؛

Frayne,D.,Old Babylonian period ,Toronto,1990(=RIME,Vol.4),PP.292-293؛

Murphy,D.J., Evolution of agrourban cultures: I The Near East,chapter 10 in the book of people,plants and genes:the story of crops and humanity,Oxford,2007,p.147؛

Hassan ,F..,Water and ethics,France, 2004, p.19.

(90)Clay , A . T ., Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection , Babylonian texts , vol . 1, Yale University press , New Haven , 1915 , p. 45 ;

معوشي ، سامية، "جهود الملوك ودورهم في توسيع شبكة .... ، ص ٦٠.

(91) Horsnell ,M . J . , A , the Year - Names of the First Dynasty of Babylon , Mcmaster University , 1999 , p. 114 , No. 9؛

Sigrist,M,and Damerow,P,Mesopotamia year names,Berlin ,2001, (MYN) ,p.70:9

(٩٢) سوسة ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين .... ص ٦٥ .

([93]) King , L . W . , The Letters and Inscriprtion of Hamurabi ,LIH, vol III , London , 1900 , p . 14 , No. 5 : 4_ 11 .

([94])Frankena , R , Briefe Aus Der British Museum , AbB , II , Leiden , 1966, p. 4 , No. 5 : 3 _ 19 .

([٩٥]) احد الحكام المحليين لمدينة لارسا في عهد لملك حمورابي ، للمزيد حول هذا الحاكم يراجع :

de Boer,R.,Two New Royal Old Babylonian Letters: one from Apil-Sîn and one from Samsu-iluna,NOVA SERIES, Vol. 84, No. 2 (2015),P.153؛

Kraus,F.R.,Briefe aus dem Archive des Šamaš-Hazir,Brill,1968.

([96]) Kraus , F . R . , op , cit , p. 26 , No. 39 : 8 _ 17 .

([٩٧]) الجبوري ، سالم يحيى خلف، المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم الاثار،٢٠٠٦، ص ١٤٢ .

([98]) CAD ,R , p. 242 a .

([٩٩]) آشور_ أوبالط الأول 1330 _ 1365) aššur-ubalit I ق م) : الملك الآشوري استطاع تحرير آشور من السيطرة الميتانية : حول الملك اشور- اوباليط الاول يراجع :

de Mieroop, M.V., A history of the ancient near east,Chicago, 2006, pp. 127-128.

([100])Luckenbill , D. D., Ancient Records of Assyria and Babylonia Chicago (1926) ,(=ARAB,Vol.1), p. 23, N.61؛

Grayson,A.K,Assyrian rulers of the third and second millennia BC(To 1115 BC),Toronto,1987, p.10,(=RIMA,Vol.1),P.112؛

E. Ebeling, B. and others, Die Inschriften der altassyrischen Konige, Leipzig, 1926,p.38,No.3.

([١٠١]) آشور- ناصر- ابيلي الثاني aššur-nāṣir-apli : الملك الآشوري له الكثير من الأعمال العمرانية لمزيد ينظر :

Davey , C.J., " The Negub Tunnel " , Iraq , vol . 47 , 1985 , pp. 49.

([102]) Davey , C.J., op , cit , pp. 49 _ 57 .

([103]) Jacobsen , Thorklid ., " the Waters of Ur " , Iraq , vol . 22 , 1960 , p. 178 ; Grayson,A. Assyrian rulers of the third and se/v :cond millennia BC I(1114-859BC),London(1991),(= RIMA, Assyrian erid,Vol.2),P.222.

([104]) حول هذا الملك يراجع :

Frame,G.,Rulers of babylonia from the second dynasty ofIsun to the end of Assyrian domination(1157-612BC) .,Toronto ,1995,(=RIMB,Vol.2), PP.153-154

([105]) مدينة نينوى : أبرز المدن في العالم القديم تقع شمال بلاد الرافدين كان لها شأن عظيم ايام الملك سنحاريب للمزيد ينظر : ساكز ، هاري ، عظمة بابل .... ، ص ٣٤٢ .

([106]) سفر ، فؤاد ، " أعمال الإرواء التي قام بها سنحاريب " ، مجلة سومر ، مج ٣ ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٤٧ ، ص ٨٠ .

([107]) ساكز، هاري ، عظمة بابل ....، ص ٣٠٢ .

وحول مهنة الشتامو šatammu في حضارة بلاد الرافدين ، يراجع :

Gallery ,M.,"The Office of the šatammu in the Old Babylonian Period, Archiv für Orientforschung", 27. Bd. ,1980, pp. 1-36؛

MacGinnis,J.,The Šatammu of Sippar, Die Welt des Orients ,Bd. 26 (1995), pp. 21-26.

المصادر العربية :

١ _ الأحمد، سامي سعيد ، المعتقدات الدينية في العراق، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة بغداد ، ١٩٨٨.

٢ _ إبراهيم ، نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم _ حضارات الشرق القديم ، العراق / فارس ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٧٦.

٣ _ باقر ، طه ، مقدمة في أدب العراق القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٤ _ بادنجي، طاهر، قاموس الخرافات والاساطير، بيروت ،١٩٩٦ .

٥ _ الجميلي ، محمد عجاج جرجيس ، نموذج تخطيط وبناء العواصم الآشورية الأربعة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٨ .

٦ _ الجبوري ، سالم يحيى خلف، المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراة غير منشورة،جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم الاثار،٢٠٠٦.

٧ _ حنون ، نائل ، عقائد الحياة و الخصب في الحضارة العراقية القديمة، عمان، ٢٠٠٢ .

٨ _ الخالدي ، شيماء ناصر حسين ، نصوص مسمارية غير منشورة من عهد الملك آمي صادوقا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٦ .

٩ _ الدريساوي ،جاسم حسين يوسف،الاله ننورتا في الادب العراقي القديم،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،قسم الاثار،٢٠٠٩

١٠ _ رشيد ، فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، ط٣ ، ١٩٨٧ .

١١ _ رشيد ، عبد الوهاب حميد ، حضارة وادي الرافدين ،دار المدى للنشر ، بغداد ، ٢٠٠٤ .

١٢ _ الزيدي ، نعيم عودة صفر ، ريم _ سين الأول (١٨٢٢ _ ١٧٦٣ ق م) دراسة تأريخية وحضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ،كلية الاداب،قسم الاثار، ٢٠٠٩ .

١٣ _ سليمان ، عامر ، " العراق في التاريخ " موجز التاريخ الحضاري ، دار الكتب للنشر ، الموصل ، ١٩٩٣ .

١٤ _ سليم ، أحمد أمين ، دراسات في تاريخ حضارة العراق القديم ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤.

١٥ _ سفر ، فؤاد ، " أعمال الإرواء التي قام بها سنحاريب " ، مجلة سومر ، مج ٣ ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٤٧ .

١٦ _ الشواف، قاسم ، ديوان الأساطير، الحضارة والسلطة ، الجزء الثالث، بيروت ،(ب ت)

١٧ ._ الصالحي، صلاح رشيد ، العفريت اساك asakkû الشياطين والامراض في بلاد الرافدين، بغداد ،٢٠١٩.

١٨ _ صلاح ، أبو السعود ، تاريخ وحضارة أرض الرافدين سومر اكد بابل آشور ، ط ١ ، مصر ، ٢٠١١ .

١٩ _ الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم،دار الرشيد للطباعة والنشر، ، ج ١ ، بغداد .

٢٠ _ علي ، ياسر هاشم حسين ، " عبارات التباهي والتفاخر عند بعض حكام وملوك بلاد الرافدين " ، مجلة الآداب ، العدد ١٠٨ ، كلية الآداب ، بغداد ، ٢٠١٤.

٢١ _ كولييني ، جي ، بابل كتراث حضاري ، (المعهد العراقي الإيطالي للآثار) ، سومر ، مج ٣٥ ، ج ١ _ ٢ ، ١٩٧٩ .

٢٢ _ منصور، رشا سمير، الاله ننكرسو NIN-GIR-SU-دراسة تاريخية-،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،كلية التربية/ابن رشد،قسم التاريخ،٢٠٢٠ .

٢٣ _ مورتكارت ،أنطوان ، تاريخ الشرق القديم ، ترجمة توفيق سليمان وآخرون ، دمشق ، ١٩٦٧.

٢٤ _ نخبة من علماء السوفيت ، العراق القديم ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٢٥ _ نظام ، زهراء محمود محمد ، الامثال في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية– دراسة مقارنة مع اللغة العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل ، كلية الاثار، قسم اللغات العراقية القديمة ،٢٠٢١ .

المصادر الأجنبية :

1 _ Clay , A . T ., Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection , Babylonian texts , vol . 1, Yale University press , New Haven , 1915 .

2 _ Cavigneaux, A,and Krebernik, M.,1998, "Nin-Bilulu", Reallexikon der Assyriologie(=RLA), German,(1998) .

3 _ Davey , C.J., " The Negub Tunnel " , Iraq , vol . 47 , 1985 .

4 _ Esther,F.H.,umamma of ur in Sumerian literary,verlag,1999.

5 _ E. Ebeling, B. and others, Die Inschriften der altassyrischen Konige, Leipzig, 1926.

6 _ Frankfort, H and Others, The Intellectual Adventure of Ancient Man, London, 1992.

7 _ Frame,G.,Rulers of babylonia from the second dynasty ofIsun to the end of Assyrian domination(1157-612BC) ,Toronto ,1995,(=RIMB,Vol.2).

8 _ Frayne , D., Old Babylonian period (2003 _ 1595 B .C) ,R I M E Vol.4 , 1990 .

9 _ Gallery ,M.,"The Office of the šatammu in the Old Babylonian Period, Archiv für Orientforschung", 27. Bd. ,1980.

10 _ Gadd , C.J ., Ur Excavations Texts , Royal Inscriptions , the Exford University press , London , 1928 .

11 _ Horsnell ,M . J . , A , the Year - Names of the First Dynasty of Babylon , Mcmaster University , 1999 .

12 _ Jourdan,M,Encyclopedia of gods,New York ,1993.

13 _ Jacobsen , Thorklid ., " the Waters of Ur " , Iraq , vol . 22 , 1960.

14 _ King , L . W . , The Letters and Inscriprtion of Hamurabi ,LIH, vol III , London , 1900.

15 _ Luckenbill , D. D., Ancient Records of Assyria and Babylonia Chicago (1926) ,(=ARAB,Vol.1) .

16 _ Mereer , snmuel ., Sumero-BabylonianYear Formulae,London,1946 .

17 _ MacGinnis,J.,The Šatammu of Sippar, Die Welt des Orients ,Bd. 26 (1995).

18 _ Polonsky , J, The Rise of Sun God and the Determination of Destiny in Ancient Mesopotamia,U.S.A,2002.

19 _ Radau , H .,The Babylonian Expedition , Pennsylvania, 1908.

20 _ Sigirist , Marcel and Damerow , peter ., Mesopotamian Year Nmes Neo_ Sumerian and Old Babylonian Date . paris , 1967 .

21 _ Sigrist,M,and Damerow,P,Mesopotamia year names,Berlin ,2001 .

22 _ Van Soden ,W .,Sumerisch und Akkadisch Hymnen und Gebeto , Stuttgart, 1953 .

موقف إذاعة بغداد من الاحداث في مصر عام١٩٥٢-١٩٥٧

عبادة حسين علي

ebada.husseina@coart.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د. أثمار كاظم سهيل

جامعة بغداد- كلية الآداب- قسم التاريخ

موقف إذاعة بغداد من الاحداث في مصر عام١٩٥٢-١٩٥٧

عبادة حسين علي
أ.م.د. أثمار كاظم سهيل

الملخص:

كان لإذاعة بغداد مواقف عدة تجاه أبرز وأهم الإحداث الداخلية والخارجية التي لمصر. اذ شهدت المدة من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٧ تغيرات كبيرة في العلاقات المصرية – العراقية، وكانت البداية مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، واختلاف وجهات النظر للحكومة العراقية في ظل الحكم الملكي للثورة في مصر ، وبدأت العلاقات بين مصر والعراق بتوتر مع اعلان النظام الجمهوري في مصر ووصل جمال عبد الناصر للحكم . لكنها سرعان ما هدأت نسبياً مع اعتراف الحكومة العراقية والبلاط الملكي بالنظام الجمهوري في مصر . الا ان الأوضاع تغيرت وبدأت بتوتر مرة أخرى بعد دخول العراق حلف بغداد عام ١٩٥٥ اذ شن جمال عبد الناصر حملة شديدة على حلف بغداد عبر إذاعة صوت الحق التي كانت من اقوى واكثر الإذاعات تأثيراً في الجماهير ، ورداً على تلك الحملات قامت الحكومة العراقية بعمل إذاعة اطلق عليها اسم (صوت مصر الحر) ، تبث من بغداد ، كما أصدرت مديرية التوجيه والإذاعة العراقية عدة بيانات تندد فيها بالهجوم المصري على السياسية العراقية ، وتوضح ان العراق يعمل للحفاظ على الوحدة العربية ، ولا يبادل العراق مصر بلهجوم عليها ، وطالبت البيانات بوقف الأسلوب العدائي الذي تشنه مصر على العراق ، لان هذا الأسلوب عكر العلاقات المصرية – العراقية . كما أعربت الحكومة العراقية عن موقفها الرسمي بشأن مناصرة مصر أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦. ولإن إذاعة بغداد إذاعة رسمية تابعة للحكومة العراقية وناطقة بسياسة النظام الملكي كانت لها مواقف عدة من الاحداث التي جرت في مصر .

تم تقسيم البحث الى مقدمة وخاتمة وثلاث محاور وقائمة المصادر ، المحور الأول عن موقف إذاعة بغداد من ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، والمحور الثاني عن موقف إذاعة بغداد من العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، اما المحور الثالث تكلم عن الحرب الإعلامية بين جمال عبد الناصر ونوري السعيد .

الكلمات المفتاحية: موقف، إذاعة، أحداث، مصر

summary

Radio Baghdad had several positions regarding the most prominent and important internal and external events taking place in Egypt. The period from 1952 to 1957 witnessed major changes in Egyptian-Iraqi relations, and the beginning was with the outbreak of the revolution of July 23, 1952, and the differing views of the Iraqi government under the monarchy of the revolution in Egypt, and relations between Egypt and Iraq began to be tense with the declaration of the republican regime in Egypt and Gamal Abdel Nasser came to power. But it soon calmed down relatively soon as the Iraqi government and the royal court recognized the republican system in Egypt. However, the situation changed and began to become tense again after Iraq entered the Baghdad Pact in 1955, when Gamal Abdel Nasser launched a severe campaign against the Baghdad Pact through Sawt al-Haqq radio, which was one of the strongest and most influential radio stations among the masses. In response to these campaigns, the Iraqi government created a radio station called The name is (Free Voice of Egypt), broadcasting from Baghdad. The Iraqi Directorate of Guidance and Radio also issued several statements denouncing the Egyptian attack on Iraqi politics, and clarifying that Iraq is working to preserve Arab unity, and Iraq does not reciprocate with Egypt by attacking it. The statements demanded an end to the hostile method it is launching. Egypt is against Iraq, because this method disturbed Egyptian-Iraqi relations. The Iraqi government also expressed its official position regarding supporting Egypt during the tripartite aggression in 1956. Because Radio Baghdad is an official radio station

affiliated with the Iraqi government and speaks of the policy of the monarchy, it had several positions on the events that took place in Egypt.

The research was divided into an introduction, a conclusion, three axes, and a list of sources. The first axis was about Radio Baghdad's position on the revolution of July 23, 1952, and the second axis was about Radio Baghdad's position on the tripartite aggression against Egypt in 1956. The third axis talked about the media war between Gamal Abdel Nasser and Nuri al-Saeed. .

Keywords: position, radio, events, Egypt

المحور الأول :- موقف إذاعة بغداد من ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢:

تعد ثورة الثالث والعشرين من تموز في مصر من اهم الثورات في الوطن العربي خلال تلك المدة، لأنها ثورة قلبت نظام الحكم في مصر من نظام ملكي الى نظام جمهوري، كما اثرت فيما بعد بالثورات التي اعقبتها واهتدت بها في باقي أجزاء الوطن العربي . وكان لهذه الثورة عدة أسباب مباشرة الا ان أهمها الوجود البريطاني وتصاعد اعماله العدوانية ضد الشعب المصري، اذ نتج عن تلك السياسة احداث الاسماعلية في الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٩٥٢ التي اسفرت فيما بعد عن حدوث حريق القاهرة في السادس والعشرين من كانون الثاني[١]، اما الأسباب الغير مباشرة فتنقسم الى أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية، تمثلت الأسباب السياسية بفساد الملك وعدم مقدرته في السيطرة على الحكم فظهرت الفوضة السياسية، اما الأسباب الاقتصادية التي تمثل السبب الرئيسي في حدوث الثورة، أهمها ضعف مستوى دخل الفرد المصري اذ كان ٥% من عدد سكان مصر يمتلكون ما يقارب ٩٥% من مجمل ثورات البلاد فأدى تجمع تلك الثورات في ايدي قليلة من الافراد الى حدوث تفاوت طبقي وصرعات بين الاقطاعيين الأقلية، والفقراء الذين يمثلون الأغلبية من الشعب[٢]، واخيراً الأسباب العسكرية فكانت نابعة من شعور الضباط المصريين بأنهم تابعين الى القوات البريطانية التي تولي شؤونهم من ناحية التدريب والتسليح . واجتمعت كل الأسباب لدى الضباط المصريين لتخلص من كل المعوقات التي تقف في طريقهم فضلاً عن ما تعرض له الجيش المصري من خذلان في حرب فلسطين وتزويد

الجيش بالأسلحة الفاسدة[٣]، وكانت من اهم نتائج الثورة ومنجزاتها هو اعلان الجمهورية وإلغاء الملكية في الثامن عشر من حزيران ١٩٥٣ وتعيين اللواء محمد نجيب[٤] رئيساً للجمهورية الجديدة وبعد صراع دام شهرين مع جمال عبد الناصر[٥] انتهى بتولي عبد الناصر الحكم في التاسع والعشرين من اذار ١٩٥٤ [٦].

اتبعت مصر منذ بداية قيام الثورة سياسة قامت على اللين والمجاملة مع كافة الأقطار العربية، فعملت وسائل الاعلام المصرية على زيادة وتوطيد الروابط بين مصر والدول العربية الأخرى وعملت على توجيه الجماهير العربية بما يلائم سياستها القادمة[٧] اذ انشأة إذاعة خاصة تعمل على تغطية شؤون الوطن العربي[٨]، وكانت تحمل اسم صوت العرب[٩].

شهدت المدة من ١٩٥٢- ١٩٥٤ جمود العلاقات العراقية المصرية وكانت البداية مع قيام ثورة الثالث والعشرين من تموز ١٩٥٢، اذ حرصت الحكومة العراقية على تكتيم الاخبار وعملت على ان لا يطلع الشعب العراقي على مجريات الاحداث في مصر[١٠]، اذ اكتفت بنشر اخبار وانباء الثورة عبر الإذاعة والصحف العراقية دون التعليق عليها حتى لا يتأثر الشعب بها، لان الثورة قامت ضد النظام الملكي فخشيت الحكومة العراقية والبلاط الملكي بأن تصبح ثورة مصر ظاهرة عامة في الوطن العربي وتنتقل الى العراق، فاعتمدت الحكومة العراقية على أسلوب التعتيم الإعلامي في بادئ الامر، وتم تعتيم تلك الاخبار الاذاعية من قبل الحكومة العراقية ولم تبادر بالاعتراف بالثورة الابعد نجاحها في تغيير نظام الحكم ووصول جمال عبد الناصر الى رئاسة الحكومة فاعترف العراق بنظام الحكم الجديد في مصر عام ١٩٥٢ [١١]، وتوثيقاً للروابط بين البلدين رفعت الحكومتين تمثيلها الدبلوماسي من مفوضية الى سفارة، وبث الخبر من مبنى دار الإذاعة في بغداد[١٢].

استمر التقارب النسبي بين البلدين مصر والعراق، واخذت الإذاعة العراقية ببث اخبار الحكومة المصرية كما أذيع خبر لقاء الوصي عبد الاله بالرئيس جمال عبد الناصر، واتسعت العلاقات حتى شملت الجوانب الثقافية، واكتفت الإذاعة بنشر اخبار الحكومة المصرية الجديدة مع الامتناع عن نشر التعليقات الاذاعية، خوفاً من التأثيرات الممكن حصولها في اذهان المستمعين العراقيين فلم العراقيين مع الثورة المصرية، بسبب التعتيم

الإعلامي الذي نتج عن عدم معرفة احداثيات الفريق الذي قام بتلك الثورة ومع مرور الوقت ووضوح واستقرار اهداف وسياسة الثورة رحب الشعب العراقي بها فيما بعد[١٣].

وبالرغم من ذلك التعتيم الإعلامي لم تستطع الحكومة العراقية السيطرة على الوضع اذ حدثت انتفاضة محدودة في أوائل تشرين الثاني ١٩٥٢ أي بعد ثلاث اشهر من قيام الثورة في مصر، شارك فيها الشعب العراقي بجميع طوائفه وهيئاته، وكانت موجه الى نظام الملكي لكن تم القضاء عليها[١٤]، واذاعت حكومة العميد الركن نوري الدين محمود[١٥](٢٣تشرين الثاني ١٩٥٢-٢٩كانون الثاني ١٩٥٣)[١٦] الاحكام العرفية في العراق في الثالث والعشرين من تشرين الثاني، وإذاعة بيان بمنع التظاهرات والتجمعات[١٧]. وتم اعتقال الشخصيات السياسية التي شاركت في الانتفاضة، و كانت تشغل مناصب إدارية مهمة في الإذاعة و المنتمين لحزب الاستقلال المؤيد لثورة، ومنهم فائق السامرائي [١٨]ومحمد صديق شنشل[١٩] وحسين جميل[٢٠] وغيرهم من الوزراء والنواب الذين كانوا يؤيدون الثورة في مصر[٢١].

وبسبب تلك الاحداث لم يستمر التقارب النسبي بين البلدين اذ بدأت العلاقات تتعقد مع نهاية عام ١٩٥٤ وبداية عام ١٩٥٥، بسبب حلف بغداد وبذلك لم يدم التفاهم والتقارب بسبب تضارب المصالح بين البلدين، على الرغم من ارسال الحكومة العراقية برقيات تهنئة عقب اعلان الجمهورية المصرية وكانت تلك البرقيات تمثل سياسة العراق المعلنة، اما السياسة الغير معلنه فكانت عبارة عن تخوف من ردود الفعل الداخلية، وكان سبب تلك التعتيمات الاذاعية عن ثورة الثالث والعشرين من تموز ١٩٥٢ هو خضوع الإذاعة لسياسة حكومة [٢٢] محمد فاضل الجمالي[٢٣](١٧ أيلول ١٩٥٣- ٨ اذار ١٩٥٤)[٢٤] التي كانت تقف بالضد من ثورة في مصر ولا تؤيد قيام نظام الجمهورية . وبذلك كانت الإذاعة ملتزمة بتعليمات الحكومة العراقية[٢٥]. ومما سبق نلاحظ ان موقف العراق من الثورة وإعلان الجمهورية في مصر، قد اختلف باختلاف الهيئات والافراد والأحزاب .

المحور الثاني :- موقف إذاعة بغداد من العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦

كان السبب الرئيسي لبدء العدوان الثلاثي ضد مصر قرار جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس في السادس والعشرين من تموز ١٩٥٦، ولأن قناة السويس تشكل أهمية كبيرة

لبريطانيا وفرنسا لان ٢٥ % من صادرات بريطانيا تمر عبر قناة السويس، فضلاً عن واردات النفط التي تمر عبر القناة، اما فرنسا فتعتبر قناة السويس ممراً حيوياً للاقتصاد الفرنسي، اذ صرحت الحكومة الفرنسية انها مستعدة لاستخدام القوة كحل نهائي اذ لم تتراجع مصر عن قرار التأميم، فكان هدف كل من بريطانيا وفرنسا[٢٦] الحفاظ على مصالحهم [٢٧].

كان موقف الحكومة العراقية مختلفاً عن موقف الشعب العراقي الذي وقف مع تأميم قناة السويس، وواصل الشعب العراقي نداءاته للوقوف مع باقي الشعوب العربية لنصرة مصر[٢٨]، وكان للصحافة العراقية دور الكبير في نشر اخبار التأميم وخطابات جمال عبد الناصر بعد الصمت الحاصل من قبل الاذاعة والحكومة العراقية[٢٩]، كما كان للأحزاب العراقية موقفاً مشرفاً من قرار التأميم، ويمكن القول ان الاحداث الشعبية جرت بإيعاز من زعماء الأحزاب اذ تكاتفت جميع الأحزاب لنصرت مصر وتم ارسال البرقيات لتأييد قرار التأميم[٣٠]، ولم تتمكن الحكومة العراقية آنذاك من الاستمرار في سياسة اللامبالاة، بسبب الضغط الكبير من الجماهير والأحزاب والصحف، وبدأت بتغيير توجهها الإعلامي عندما نشر خبر في صحيفة الاخبار المعروفة باتصالها الوثيق في الحكومة العراقية خبر ينص على تأييد تأميم قناة السويس، واجتمع مجلس الوزراء برئاسة رئيس الوزراء نوري السعيد وتمت إذاعة البيان الرسمي لتأييد تأميم قناة السويس[٣١].

وبعد إصرار جمال عبد الناصر بعدم التنازل عن قرار التأميم، شنت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل حربها على مصر في التاسع والعشرين من تشرين الأول الى الخامس من تشرين الثاني١٩٥٦ [٣٢]، وما ان تمت إذاعة خبر العدوان الثلاثي على مصر حتى خرجت المظاهرات في مختلف المدن العراقية تستنكر تلك الهجمات، وحاولت الحكومة العراقية منع المظاهرات فتم اعلان الاحكام العرفية من مبنى دار الإذاعة في بغداد، وشنت الحكومة العراقية حملات اعتقال واسعة بحق المتظاهرين في بغداد وباقي ألوية العراق المختلفة[٣٣]، وأعربت الأحزاب العراقية عن موقفها المعارض لإجراءات الحكومة المتبعة ضد المتظاهرين وإعلانه عن موقفها المؤيدة لمصر، ومنها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي وحزب الاستقلال، من اهم الشخصيات السياسية التي عملت في ميدان العمل الإذاعي التي

شاركت في موقفها المناهض للعدوان الثلاثي على مصر هم كل من فائق السامرائي ومحمد صديق شنشل(٣٤).

ومما لا شك فيه ان من اهم وسائل التأثير في الرأي العام وسائل الاعلام بكافة اشكالها، اذ احتلت الإذاعة المرتبة الأولى في التأثير على الاحداث وتحريكها، اذ لم يكن موقف إذاعة بغداد بالمستوى المطلوب ولم يصل حتى الى المسؤولية الحقيقية في نقل اخبار العدوان الثلاثي على مصر، استمرت الإذاعة في نشر الأغاني والبرامج العادية والاحاديث التي لم تتطرق الى الأوضاع الدائرة في مصر وما كان يفعله العدوان الثلاثي، كما كانت الاخبار تذيع انباء العدوان بالحذر الشديد(٣٥)، ويرجع السبب في تلك السياسة الى طبيعة العلاقات بين العراق وبريطانيا، وبحكم ان الإذاعة كانت خاضعة الى سيطرة الحكومة، فكانت، تأخذ توجيهاتها من مديرية التوجيه التي كان يرأسها خلال تلك الفترة خليل إبراهيم(٣٦) فكانت الإذاعة تبث ما يصل اليها من بيانات واحداث من قسم الاخبار، وان أراد احد التغيير او الاعتراض على تلك البيانات او الاخبار يتم فصلة(٣٧)، وبذلك نستنتج ان سياسة الحكومة العراقية الخارجية وتوجهها الدعائي عبر عن سياستها المزدوجة من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي(٣٨).

وقد نتجت عن تلك السياسة اعراض الجمهور عن الاستماع العراقي عن الاستماع الى إذاعة بغداد بل وحتى أصبحت محل استنكار من الجميع، اذ استنكر العاملين في الإذاعة تلك السياسة وبعض رجال الدين حتى وصل الامر بهم برفع شكواهم الى الملك فيصل الثاني بسبب استمرار إذاعة بغداد بتجاهل الاحداث، واضطر البعض الاخر بتهديد بنسف الإذاعة مما دفع بالحكومة الى تشديد الحراسة على مبنى الإذاعة في الصالحية(٣٩). واعلنت الحكومة العراقية بعد ذلك عبر إذاعة بغداد ان الجيش العراقي على استعداد للدفاع عن مصر ضد الهجمات (الإسرائيلية) فقد تبين ان الحكومة العراقية كانت تقف ضد الهجمات الإسرائيلية لكن وقفت موقف المتفرج من الهجمات البريطانية على مصر، وذلك بسبب حلف بغداد(٤٠) اذ كانت بريطانيا واحدة من اهم الأطراف الموقعة على هذا الحلف(٤١).

استمرت الحكومة في سياستها الإعلامية المزدوجة اذ بثت الإذاعة في اليوم الرابع للعدوان الثلاثي على مصر اغنية (لليلة عيد)، وبعد ان بث خبر غرق الباخرة المصرية بثت الإذاعة بعدها مباشرةً اغنية (انا اللي استاهل)[٤٢]، وبثت إذاعة بغداد خبر في احدى نشراتها الإخبارية الصباحية صدر من مكتب مدير التوجيه والإذاعة العامة خليل إبراهيم مفاده سقوط مدينة بور سعيد بأيدي القوات البريطانية، وكانت تلك الاخبار غير صحيحة، لان مدينة بورسعيد كانت تقاتل بضراوة وتضحية وفداء لكي لا تسقط، وكانت تلك الاخبار المدسوسة السبب الرئيسي في اشعال المظاهرات والاحتجاجات مرة أخرى في بغداد والعراق بشكل عام[٤٣].

وبسبب ضغط الذي واجهته الحكومة من قبل الشعب والأحزاب والصحافة وبعض رجالات السياسة، قررت حكومة فاضل الجمالي بعد اجتماعها تقديم احتجاج على حكومة فرنسا وبريطانيا واعلانه عن مقاطعتها لاجتماعات حلف بغداد في حال حضور مندوب بريطانيا، وقطعت علاقتها مع فرنسا ولم تقطعها مع بريطانيا وارسلت الحكومة العراقية بعض قطعات الجيش العراقي الى الأردن لحمايتها من الهجوم الإسرائيلي، وعملت الحكومة على اعلان موقفها المعادي لفرنسا وإسرائيل، كما أعلنت إذاعة بغداد ان الجيش العراقي مستعد للدفاع عن مصر[٤٤]، توقفت الإذاعة عن نشر الاخبار الكاذبة حفاضاً على استقرار الأوضاع[٤٥].

وشهدت الإذاعة العراقية اهم حدث تاريخي في تلك المدة العصيبة وهو مجيئ اهم مذيعين العالم العربي العاملين في إذاعة الشرق الأدنى[٤٦]، وذلك لاعتراضهم واحتجاجهم على العدوان الثلاثي على مصر[٤٧]، واعتراضهم على سياسة الإذاعة في تلك الفترة التي اجبرتهم على إذاعة بيانات ضد جمال عبد الناصر، فعبروا عن توجههم القومي وتضامنهم مع إخوانهم في مصر ووقوفهم ضد العدوان الثلاثي من خلال تقديمهم استقالة جماعية من إذاعة الشرق الادنى[٤٨].

لذلك استعانت الحكومة العراقية بهم، (وهم كل من صبحي أبو لغد شغل منصب مدير البرامج ، وعبد المجيد أبو لبن نائب المدير، ومصطفى أبو غريبة عمل مذيع في إذاعة

بغداد، محمد صوّان شغل منصب مسؤول تنظيم البرامج وتنسيقها وزوجته تغريد الحسيني عملت مذيعة في إذاعة بغداد، والاديبة القصصية سميرة عزام عملت مراقبة لقسم الاحاديث وركن المرأة، ومحمد كريم عمل مخرج في قسم التمثيليات، ووديع خوندة) . قدمت الحكومة العراقية طلباً لتعاقد معهم في الأول من شباط ١٩٥٧، فتعاقدت مديرية التوجيه والإذاعة والتلفزيون العامة معهم[٤٩] وكلفت قسماً منهم في تقديم بعض البرامج ومنها (برنامج عائدون، وبرنامج الجزائر)[٥٠]، اما القسم الأخرى فكلفتهم الإذاعة ان يعملوا على تدريب كادر الإذاعي شاب واعداد ما يمكن اعداده من برامج اذاعية وتمثيليات[٥١]، وتم توقيع عقود عملهم برواتب تتراوح مابين المائة دينار والمائتين وخمسين دينار شهرياً للواحد منهم[٥٢]. وكانت هذه الخطوة محاولة من قبل الحكومة العراقية لاستعادة توجهها القومي وتقليل من نشاطات الأحزاب المعارضة لسياستها الخارجية المتمثلة بمديرية التوجيه والإذاعة والتلفزيون العامة، اذ لم يستمر هؤلاء المذيعين في العمل داخل إذاعة بغداد فترة طويلة وذلك بسبب تعرضهم لمشاكل عديدة كان من أهمها رفضهم المشاركة في تقديم التعليقات الاذاعية لرد على إذاعة القاهرة وإذاعة صوت العرب[٥٣]. وبذلك يمكن القول ان الحكومة العراقية وفقت في التعاقد معهم، وذلك لما قدموه من خبرات ومهارات أدت دوراً مهماً في رفع مستوى الإذاعة العراقية التي بدأت تكسر حاجز الجمود.

المحور الثالث :- الحرب الاذاعية بين جمال عبد الناصر ونوري السعيد

تعود البداية الأولى للحرب الاذاعية الموجهة بين العراق ومصر عندما اعلن العراق انضمامه الى حلف بغداد، وذلك بعد ان أصدرت الحكومة العراقية منع ادخال الصحف المصرية الى العراق، وجاء الرد المصري بسلاح اقوى واكثر تأثيراً فاستخدمت مصر سلاح البث الإذاعي[٥٤]، بدأت مصر هجومها الإذاعي على الحكومة العراقية بشكل عام وعلى نوري السعيد بشكل خاص، منذ بداية المفاوضات العراقية التركية في كانون الثاني ١٩٥٥ من خلال إذاعة صوت العرب اذ كانت هي اقوى واكثر الإذاعات تأثيراً في الجماهير العربية، داخل وخارج مصر، اذ استغلت الإذاعة المصرية في بداية حربها ذكرى الانتفاضة الشعبية التي قام بها أبناء ضد معاهدة بورتسموث ١٩٤٨ [٥٥]، ودعت الشعب الى الثورة

ومعارضة الاتفاق التركي واسقاط نوري السعيد، وحاولت الإذاعة المصرية خلق حالة من الانقسام بين نوري السعيد والقصر الملكي، اذ وجهت بيانات باسم العرب بضرورة وقف المباحثات العراقية التركية، كما وجهة الإذاعة اتهامات الى نوري السعيد بانه ترك العرب وربط العراق بإسرائيل والدول الاستعمارية واتهمته بالخيانة للعروبة والعرب وتحطيمه للجامعة العربية اكثر مما فعلته إسرائيل(٥٦).

وجدت إذاعة صوت العرب تجاوباً كبيراً في نفوس الشعوب العربية لاسيما العراقيين، ويمكن القول ان الإذاعة المصرية والدعاية الإعلامية الموجه منها استطاعت الوصول الى قلب العالم العربي، وكانت الهجمات الاذاعية موجه الى الدول المشاركة في حلف بغداد منها تركية وبريطانيا(٥٧)، واستمرت في سياستها البعيدة عن المجاملات الدولية، حتى انها بدأت تتدخل في الأمور الشخصية المتعلقة بالمسؤولين العراقيين وتنتهك الاسرار العائلية التي لا علاقة لها بالامور السياسية(٥٨).

عملت الاذاعة العراقية على رد الهجوم الحاصل على الحكومة العراقية من قبل إذاعة صوت العرب ، فقد جرت اتصالات بين مديرية التوجيه والإذاعة العامة والسفارة العراقية في القاهرة و وزارة الخارجية العراقية، لتنسيق وتوحيد الجهود لمجابهة هجمات الإذاعة المصرية فكانت التعليقات الاذاعية موجهة الى إذاعة صوت العرب(٥٩)، وقامت الحكومة العراقية بحملة مضادة ضد الدعاية المصرية وبدأت الحرب الاذاعية الغير معلنة بين الطرفين(٦٠)، اذ كان نوري السعيد المسيطر على الإذاعة ويعمل على تحريكها بما يناسب توجهه ضد الدعاية المصرية بشكل عام وجمال عبد الناصر بشكل خاص(٦١). فانشأة الحكومة العراقية إذاعة اطلق عليها اسم صوت مصر الحر تذيع اخبارها من بغداد، كما تم انشأ منظمة اسماها منظمة مصر الحرة لتقوم بدعاية ضد مصر بتعاون مع بعض العناصر المصرية المعارضة لسياسة جمال عبد الناصر(٦٢). وانشأ نوري السعيد إذاعة صوت الحق وكانت تدار من بيته، وكانت موجهة ضد الثورة في مصر(٦٣).

كما أصدرت مديرية التوجيه والإذاعة العامة عدة بيانات تندد فيها بالهجوم المصري على السياسة العراقية، وطالبت البيانات بوقف الأسلوب العدائي الذي تشنه مصر على

العراق[٦٤]، وقدم راديو انقرة رداً على هجمات إذاعة صوت العرب وندد بسياسة المصرية التي تريد ان تتزعم الشرق الأوسط[٦٥].

وعملت الحكومة على ادخال التحسينات على العمل الإذاعي لمواجهة الدعاية المصرية[٦٦]، ولغرض اجراء التحسينات تم نصب اربع مرسلات للإذاعة بقوة الالف كيلو واط[٦٧]، ونتيجةً لذلك تم استحداث قسم الانصات التابع لقسم الاخبار، لكي تتمكن الحكومة العراقية والقائمين على العمل الإذاعي بالسيطرة على الزخم المتواصل من الاحداث والبيانات الموجهة من إذاعة صوت العرب[٦٨]، ولكن تلك التحسينات لم تكن كافية لمواجهة الدعاية المصرية، بسبب تحول التعليقات الاذاعية الى حرب إعلامية بين رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد ورئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر من جهة أخرى . عملت الإذاعة على بث الاطراء والمديح للدول المشاركة في حلف بغداد، وربط تلك الدول والعراق ومقر السكرتارية العامة لحلف بغداد بجهاز لاسلكي واحد، لتداول الاخبار ومواد الدعاية الموجهة ضدهم من إذاعة صوت العرب[٦٩].

وتم نصب أجهزة تشويش الإذاعي بعد الاتصال بين ثلاث جهات وهي مديرية الاستخبارات العسكرية، ومديرية المخابرات اللاسلكية، ومديرية التوجيه والإذاعة العامة. اذ كان التشويش موجهاً على إذاعة صوت العرب وكل الإذاعات التي تم توجيهها من القاهرة الى بغداد[٧٠].

واستمر نوري السعيد في محاولاته لتصدي للحملات الاذاعية المصرية التي قادها المذيع احمد سعيد[٧١]، بتعيين مذيع مصري يدعى سعيد لطفي واعطائه صلاحيات كبيرة في إذاعة بغداد، اذ قدم برنامج إذاعي يومي باسم (اخي في مصر) ثم تم تغيير اسم البرنامج الى (اخي العربي حيثما تكون)[٧٢].

بعد ان عجز نوري السعيد من السيطرة على تلك الحرب الإعلامية المنطلقة من إذاعة صوت العرب، وعدم مقدرته على تجاوز ما تنشرها، بسبب تعلق اغلب الجمهور العراقي بها، واستماعهم لإذاعة صوت العرب وتركهم لإذاعة بغداد، وذلك بسبب سخط الشعب وتذمره من الإجراءات الحكومية، المتمثلة بحلف بغداد، فضلاً عن ان التعليقات الاذاعية التابعة للدعاية

المصرية كانت اقوى من تعليقات إذاعة بغداد، اذ لم يستطع مدير مديرية التوجيه والإذاعة العامة خليل إبراهيم من الرد على تلك التعليقات، لان إذاعة مصر كانت متفوقة من الناحية الفكرية والايديولوجية، وكانت موجاتها ومرسلاتها القوية على الموجة القصيرة[٧٣]، ولرد تلك الحملات الاذاعية قامت الحكومة العراقية ببعض الإجراءات والمحاولات ومنها تقديم شكوى الى الأمانة العامة لجامعة العربية ولكن لم يتم اتخاذ أي خطوة من قبل الجامعة العربية واعضائها[٧٤] بسبب عدم استجابة مجلس الجامعة العربية الى مطلب السفير العراقي، لذلك عمد رئيس الوزراء نوري السعيد الى زيادة موجات التشويش على إذاعة صوت العرب[٧٥]، وزيادة فترات بث إذاعة صوت مصر الحرة[٧٦].

واستمرت الحرب الإذاعي حتى استقالة وزارة نوري السعيد الثالثة عشرة من (١٧ كانون الأول ١٩٥٥- ٢٠ حزيران ١٩٥٧) الى ان تسلم علي جودة الايوبي[٧٧] منصب رئيس الوزراء من (٢٠ حزيران ١٩٥٧- ١٤ كانون الأول ١٩٥٧)[٧٨]

حاول اتخاذ سياسة التهدئة وذلك لتقليل النقمة الشعبية تجاه موقف نوري السعيد، ولتخفيف التوتر بين مصر والعراق، وطلب علي جودة الايوبي من مديرية التوجيه والإذاعة العامة إيقاف التشويش على إذاعة القاهرة وصوت العرب مع إيقاف بث الإذاعة التي تم نصبها في بيت نوري السعيد[٧٩].

وبذلك يمكن القول ان الحرب الاذاعية بين نوري السعيد وجمال عبد الناصر انتهت بانتهاء النظام الملكي وإعلان الجمهورية العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨ومقتل نوري السعيد

الخاتمة

وبذلك يمكن القول ان للإذاعة العراقية الرسمية والإذاعة السرية الغير رسمية التي كانت موجهة من الحكوم العراقية ضد الحكومة المصرية منذ اعلان الحكم الجمهوري في مصر كان يصاحبه ردود أفعال سياسية مختلفة ومتباينة من الأحزاب والصحف والمجلات والمواطنين ، ولم تكن هذه الردود كافية لصمود بوجه الإذاعات المصرية القوية وتعليقاتها التي كانت تؤثر على الجمهور العراقي ، مما أدى الى توتر العلاقات السياسة

بين مصر والعراق ، وانعكس هذا التوتر بشكل مباشرعلى الإذاعة التي كان لهُ الدور الكبير في إحِداث تغييرات بين البلدين ، لاسيما بعد حدوث الثورة في مصر عام ١٩٥٢، التي أدت الى اختلاف الدولتين في نظام حكمهما ، اذ تحولت تلك التوترات الى سجالات إذاعية وصلت حد التشهير الى اقطاب تلك الخلافات وهم كل من نوري السعيد رئيس وزراء العراق وجمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية ، اذ تحولت تلك السجالات الى حرب إذاعية بين قطبين مختلفين ، وكانت المساجلات حرباً نفسية دعائية وإعلامية ، وعلى الرغم من الخلافات القائمة بين الحكومتين خلال تلك المدة الا انه الإذاعة العراقية احتفظت بجهودها ودورها القومي والعربي الذي ادتها خلال تلك المدة ، اذ اكدت الإذاعة في تعليقاتها على ضرورة تجنب الخلافات بين الدول العربية ولاسيما مصر لذلك نجد ان الحكومة عبرت عن موقفها الإعلامي الرافض للعدوان الثلاثي على مصر بعد ان استقطبت عدد من المذيعين العرب للعمل في إذاعة بغداد ، وبذلك يمكن القول ان الإذاعة كانت الوسيلة الوحيدة التي سيطرت عليها الحكومة العراقية بشكل مباشر لتسهيل نشر وبث سياستها الخارجية تجاه الاحداث السياسية التي تخص بلدان الوطن العربي.

هوامش البحث:

(١) جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج٢، بغداد، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٦٥، ص ٤٦٧.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، ثورة الشعب عرض للحركة الوطنية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين مع دراسة تفصيلية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٥، ص ص ١٤٢-١٤٦.

(٣) احمد حمروش، ثورة ٢٣ يوليو، ج١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(٤) محمد نجيب:- ولد عام ١٩٠١ في السودان، تخرج من المدرسة الحربية عام ١٩١٨ وحصل على شهادة الحقوق عام ١٩٢٧، اصبح اول رئيس لمصر بعد الاعلان عن انهاء الملكية وقيام الجمهورية

العربية المصرية، توفي عام ١٩٨٤. ينظر: محمد نجيب، مذكرات محمد نجيب كنت رئيساً لمصر، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ١٩٨٤.

(٥) جمال عبد الناصر:- ولد عام ١٩١٨، وهو ثاني رؤساء مصر، وهو قائد الاتحاد العربي الاشتراكي، وكان عضوا. في حزب مصر الفتاة الذي ينادي بالاشتراكية، توفي عام١٩٧٠ . ينظر: بثينه عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.

(٦) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، العلاقات السياسية بين مصر والعراق ١٩٥١-١٩٦٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ص ١٦٨- ١٦٩.

(٧) عصمت السعيد، نوري السعيد رجل الدولة والانسان ، بيروت ، الساقي ، ٢٠٠٣، ص ١٣٤.

(٨) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٩) إذاعة صوت العرب:- بدأت ارسالها في السادسة مساءاً مساء يوم السبت في الرابع من تموز ١٩٥٣، وكانت مدة الارسال نصف ساعة يومياً وفي تشرين الأول ١٩٥٣اصبح الارسال ساعة كاملة، واخذ الارسال يتزايد حتى وصل من عام ١٩٧٠-١٩٧١ الى أربعة وعشرين ساعة، وكانت الإذاعة في تلك الفترة تتبع المخابرات العامة مباشرة، حيث كانت تأخذ توجيهات سياسية يومياً من وزير الداخلية ومديرية المخابرات، ولقد ساهمت الإذاعة في الكثير من المعارك العربية السياسية والعسكرية . ينظر: لمياء محمد السيد، تأثير العلاقات السياسية العربية على المضمون الاخباري لإذاعة صوت العرب دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٩١، ص ٤٨.

(١٠) خالد صبحي احمد الخيرو، السياسة الخارجية العراقية ١٩٤٥-١٩٥٣، بغداد، مطبعة دار القادسية، ١٩٨٦، ص ٢٠٠.

(١١) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(١٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج٨، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨، ص ٢٩٦.

(١٣) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ص ١٧٨-١٨٠.

(١٤) عادل غنيم، تطورات الحركة الوطنية في العراق، سلسلة كتب قومية رقم ٦٦، مطابع الدار القومية، د ت، ص ص ٤٠-٤١.

(١٥) نوري الدين محمود:- ولد عام ١٨٩٩في الموصل، درس العلوم العسكرية في إسطنبول وتخرج منها عام ١٩١٧. انتمى الى الجيش العراقي في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢١، وتدرج في مناصبه العسكرية واصبح مدرساً في مدرسة الخيالة وكلية الأركان، وشغل منصب رئيس اركان الجيش عام ١٩٥١، ثم اصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ووكيلاً للداخلية، تميز حكمه بشدة، توفي عام ١٩٨١. ينظر: حسن

لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة السياسية العراقية ، بيروت ، العارف للمطبوعات ، ٢٠١٣ ، ص ص ٦٣٦-٦٣٧.

(١٦) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزرات العراقية في العهد الملكي، ج ٨، ص ٣٣٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٣٤٤.

(١٨) فائق السامرائي : سياسي ومحامي ، ولد عام ١٩٠٨ في العمارة ، اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الامريكية في البصرة ، ودخل مدرسة الحقوق واعتقل عدة مرات بسبب توجهاته السياسية ومشاركته في التظاهرات وكان أهمها مشاركته في تظاهرات التي جدثت صد زيارة الفريد موند ، وكان من مؤيدين لحركة رشيد عالي الكيلاني وكان احد مؤسسين حزب الاستقلال ، انتخبه نائباً عن بغداد عام ١٩٥٢، وعمل محامي حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، توفي في بغداد ١٥ أيار ١٩٧٩. ينظر: مير بصري ، اعلام الوطنية والقومية العربية ، لندن ، دار الحكمة ، ١٩٩٩، ص٢٨٩.

(١٩) محمد صديق شنشل : ولد عام ١٩١٠ في الموصل ، نشأة وتعلم في بغداد وفيها اكمل الابتدائية والثانوية ، ودرس الحقوق في بغداد وبعدها وانتقل بعدها في المرحلة الثانية لدراسة في دمشق وبذلك تخرج من كلية الحقوق في سوريا ، ومن جامعة باريس حصل على شهادة دبلوم في القانون العام والاقتصاد السياسي ، عُرف بقوميته وانتمى الى الجمعيات العربية السرية المتمثلة بالحزب القومي السوري ، وكان من المؤيدين لحركة رشيد عالي الكيلاني وعين من قبل قادة الحركة مديراً لمديرية الدعاية والنشر ومشرفاً على الإذاعة ، توفي عام ١٩٩٠. ينظر: حميد المطبعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، ج١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٥، ص ١٩٢.

(٢٠) حسين جميل : ولد عام ١٩٠٨ في بغداد ، دخل المدرسة الابتدائية في بغداد عام ١٩١٧، خرج من كلية الحقوق في دمشق عام ١٩٣٠، وشغل منصب وزير العدل في وزارة علي جودة الايوبي ١٠كانون الأول ١٩٤٩-٥ شباط ١٩٥٠، وشغل منصب وزير الارشاد في حكومة عبد الكريم قاسم في ١٠ شباط ١٩٥٩ لكنه استقال بعد يومين، توفي في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٢. ينظر : حسن لطيف كاظم الزبيدي ، المصدر السابق، ص ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢١) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٢٢) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ص ١٧٩-١٨٢.

(٢٣) محمد فاضل الجمالي : ولد عام١٩٠٣ في بغداد ، دخل الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٢١، حصل على شهادة الدكتوراه من كلية المدرسين التابعة لجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك عام ١٩٣٢، شغل منصب وزير الخارجية عام ١٩٤٦- ١٩٥٢، واصبح رئيساً للوزراء من عام ١٩٥٣-١٩٥٤،

اعتقل بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتم الافراج عنه بعد مطالب دولية ، غادر العراق الى جنيف وبعدها الى تونس ، توفي عام ١٩٩٢. ينظر : رحيم كاظم محمد الهاشمي ، محمد فاصل الجمالي ودوره السياسي ونهجه التربوي حتى عام ١٩٥٨، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٢.

(٢٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج٩، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨، ص ٥٣.

(٢٥) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٢٦) صرح كل من وزير الخارجية البريطاني ايدن Eden، ووزير الخارجية الفرنسي بينو Pineau. في بيان مشترك قالا فيه (نوكد على اننا يجب ان نكون مستعدين لاستخدام القوة كحل نهائي لاعادة ناصر الى صوابه ....) . ينظر: عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٩٢.

(٢٧) امين سعيد، الثورة من ٢٣ تموز ١٩٥٢ الى ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، د ت، ص ٣٧٢؛ عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٢٨) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٢٩) وزارة الخارجية المصرية، النشرة الأسبوعية الخاصة لتأميم قناة السويس، ج٦، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٤١.

(٣٠) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

(٣١) جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣- ١٩٥٨، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص ص ١٧١-١٧٢.

(٣٢) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٣١٨.

(٣٣) حسن فاضل، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦-١٩٥٨، بغداد، مطبعة الشعب، ١٩٦٣، ص ٣٨٤.

(٣٤) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٣٢٣.

(٣٥) جريدة الجمهورية، العدد ١٩، ٧ اب ١٩٥٨.

(٣٦) خليل إبراهيم: ولد عام ١٩٨٦ في كركوك، درس في المدرسة العسكرية في بغداد وإسطنبول وتخرج علم ١٩٠٦، انتمى الى الجيش العراقية منذ تأسيسه ١٩٢١برتبة مقدم، وعين مديراً للحركات في وزارة الدفاع، ثم آمر لواء الموصل ١٩٢٤، انتخب نائباً عن كركوك في مجلس النواب ١٩٣٤، تولى منصب مديرة مديرية التوجيه والإذاعة العامة من عام ١٩٥٥-١٩٥٦، توفي عام ١٩٣٧. ينظر: حسن لطيف كاظم الزبيدي، المصدر السابق، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣٧) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

[٣٨] المصدر نفسة، ص ٣٢٣.

[٣٩] عصمت السعيد، المصدر السابق، ص ١٩٦؛ عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(٤٠) حلف بغداد : عقد عام ١٩٥٥ وضم كل من العراق تركيا ايران وباكستان وبريطانيا ، وقع الحلف عن العراق رئيس الوزراء نوري السعيد وكان هدف نوري السعيد من عقد الحلف دعم سلامة العراق والتخلص من معاهدة ١٩٣٠ وتحقيق الاستقرار المنشود والتعاون الاقتصادي مع البلدان الموقع على الحلف ، وحصول العراق على دعم عسكري من خلال تزويده بالأسلحة والتدريب ، ومن نتائج الحلف تم وضع قاعدة الحبانية والشعيبة تحت تصرف بريطانيا والتزام العراق بأدامة المؤسسات والمباني التي يقيم فيها البريطانيين ، وكان الهدف عقد الحلف تطويق الاتحاد السوفيتي للحد من نفوذه ولتقليل انتشار المد الشيوعي ، وللحفاظ على المصالح الاقتصادية لتلك المنطقة لاحتوائها على اكبر احتياطي نفطي في العالم. وانسحب العراق من الحلف ١٩ اب ١٩٥٩ . ينظر : محمد حسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨في العراق أسبابها ومقدماتها ومسيرتها وتنظيمات الضباط الاحرار ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٣، ص٧٠؛ عصمت السعيد ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٧-١١١.

[٤١] جريدة الجمهورية، العدد ٤٨، ١٠ أيلول، ١٩٥٨.

[٤٢] سندس حسين علي، توجهات الإذاعة العراقية الوطنية ١٩٣٦-١٩٥٨ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠١٢، ص ٢٣٨.

[٤٣] حافظ القباني، الإذاعة العراقية تاريخ وذكريات ،عمان ، دار نارة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦، ص ٧٧.

[٤٤] عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.

[٤٥] حافظ القباني، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٤٦) إذاعة الشرق الأدنى :- إذاعة اسستها السلطات البريطانية في قبرص ، بدأت تبث برامجها باللغة العربية عام ١٩٤١ ، وبعدها أصبحت تحت اشراف وزارة الخارجية البريطانية وتعود ادارتها الفعلية الى المخابرات البريطانية ، انتقلت بعد عام ١٩٤١ الى مدينة يافا فلسطين، ثم انتقلت الى مدينة القدس ، بعد ان اشتدت الصدامات بين الفلسطينيين والاسرائيليين عام ١٩٤٧، وكانت هذه الإذاعة هي اقوى صوت للدعاية البريطانية في الشرق الأوسط ، ينظر هادي نعمان الهيتي ، اتجاهات نشرات الاخبار لتلفزيون الإسرائيلي باللغة العربية ، مجلة البحوث ، العدد ١٥، تموز ١٩٨٥، ص ٩ ؛ دوغلاس أ . بويد ، إذاعة الشرق الأدنى، صوت بريطانيا محطة الإذاعة العربية البريطانية السرية وكارثة دعاية حرب السويس ، مجلة حوليات القدس ، العدد ٥ ، ربيع ٢٠٠٧ ، ص ص ٨٥ -٩٠ .

[٤٧] حافظ القباني، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٤٨) كامل قسطندي، ٦٦ عاماً واكثر قصة عمرٍ بدأ في الشرق الأدنى، مجلة الكترونية فلسطين صوت الذين لا صوت لهم، كانون الثاني، ٢٠١٥.

(٤٩) جريدة الشعب، العدد ٣٧٤٣، ٨ شباط ١٩٥٧؛ جريدة الشعب، العدد ٣٩٨٢، ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٧.

(٥٠) جريدة البلاد، العدد ٤٩٣٣، ١٥ نيسان ١٩٥٧.

(٥١) حافظ القباني، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥٢) جريدة البلاد، العدد ٥١١٠، ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٧.

(٥٣) ملحق جريدة الجمهورية، العدد ٩، ٢٧ أيلول ١٩٥٨.

(٥٤) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٥٥) احمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو جمال عبد الناصر والعرب، ج٣، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٦، ص ٢٢.

(٥٦) محمد هادي ارحيم الحيالي، تحليل مضامين تعليقات إذاعة بغداد الموجهة الى مصر عام ١٩٥٥، مجلة كلية المعلمين، العدد ١٣، ٥ أيار ١٩٩٨، ص ٧٩.

(٥٧) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٥٨) توفيق السويدي، مذكراتي في نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩، ص ٥٥٣.

(٥٩) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، متفرقة، رقم الملف ٥٤، رقم الوثيقة ١٤٥، ص١٥٣.

(٦٠) احمد فوزي، المثير من احداث العراق السياسية ، بغداد دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٨، ص ٢٣٢.

(٦١) جريدة الجمهورية، العدد ٣٢، ٧ أيلول ١٩٥٨.

(٦٢) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٦٣) إبراهيم الداقوقي، الإذاعات السرية والحرب النفسية الاذاعية، مجلة فنون إذاعية، بغداد، العدد ١٤، ١٩٧٧، ص ص ٩٢-٩٣.

(٦٤) عبد الرزاق الحسني، ج٩، ص ص ٢٥٠-٢٥١.

(٦٥) عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٦٦) محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨-١٩٥٨، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥، ص ٤٠٣.

(٦٧) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، تقوية المحطة اللاسلكية العراقية، وقم الملف ٣١١/٥٦٨٨، رقم الوثيقة ١، ص ٢.

(٦٨) حافظ القباني، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٦٩) سندس حسين علي، المصدر السابق، ص ص ٢٣٢- ٢٣٤.

(٧٠) محمد هادي ارحيم الحيالي، المصدر السابق، ص ص ١٧- ١٨.

(٧١) احمد سعيد:- ولد عام ١٩٢٥ في القاهرة وهو من اشهر مذيع في مصر خلال فترة الخمسينات والستينات، رأس إذاعة صوت العرب في عند جمال عبد الناصر خلال الأعوام ١٩٥٣-١٩٦٧. ينظر: سندس حسين علي، المصدر السابق، ص ٢٤٠.

(٧٢) جريدة الشعب، العدد ٤١٦٢، ٦ من أيار ١٩٥٨.

(٧٣) محمد هادي ارحيم الحيالي، المصدر السابق ، ص ٧٧.

(٧٤) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، المتفرقة، رقم الملف ٥٤، رقم الوثيقة ٤٤، ص ٤٥.

(٧٥) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، مديرية التوجيه والإذاعة العامة من وزارة الخارجية الى مديرية التوجيه والإذاعة العامة، رقم الملف ٣٢٠٣٠/١٠٠، رقم الوثيقة ٥٨، ١٥ كانون الثاني ١٩٥٧، ص ٦٤٣.

(٧٦) حميدة سميسم، الدعاية المضادة وسبل مواجهتها، مجلة حوليات الاعلام، جامعة بغداد، كلية الاعلام، العدد ٢، ١٩٨٢، ص ٧٩.

(٧٧) علي جودة الايوبي:- ولد عام ١٨٨٦في الموصل، درس في المدرسة الرشدي في الموصل ثم قدم الى بغداد ودخل المدرسة الرشدية العسكرية، وانتمى الى المدرسة العسكرية عام ١٩٠٦، تنقل بين المناصب الادارية والعسكرية حتى تم تعينها وزيراً للداخلية عام ١٩٢٣، وتولى منصب وزير المالية عام ١٩٣٠، واصبح رئيساً للوزراء ثلاث مرات، توفي عام ١٩٦٩. ينظر: علي جودة الايوبي، ذكريات على جودة الايوبي ١٩٠٠- ١٩٥٨، بيروت، مطبعة الوفاء، ١٩٦٧؛ جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، علي جودة الايوبي ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٥٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية تربية ابن رشد، ١٩٩٧.

(٧٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج١٠، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨، ص ص ٧٠- ١٤٤.

(٧٩) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج ١٠، ص ١٤٦.

قائمة المصادر

أولاً. البحوث المنشورة :

١. إبراهيم الداقوقي، الإذاعات السرية والحرب النفسية الاذاعية، مجلة فنون إذاعية، بغداد، العدد ١٤، ١٩٧٧.

٢. احمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو جمال عبد الناصر والعرب، ج٣، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٦.

٣. احمد حمروش، ثورة ٢٣ يوليو، ج١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

٤. احمد فوزي، المثير من احداث العراق السياسية ، بغداد دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٨، ص ٢٣٢.

٥. امين سعيد، الثورة من ٢٣ تموز ١٩٥٢ الى ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، د ت.

٦. بثينه عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.

٧. توفيق السويدي، مذكراتي في نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩.

٨. جعفر عباس حميدي، التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق ١٩٥٣-١٩٥٨، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٠.

٩. جورج لنشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، ج٢، بغداد، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٦٥.

١٠. حافظ القباني، الإذاعة العراقية تاريخ وذكريات ،عمان ، دار نارة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦.

١١. حسن فاضل، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦-١٩٥٨، بغداد، مطبعة الشعب، ١٩٦٣.
١٢. حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة السياسية العراقية ، بيروت ، العارف للمطبوعات ، ٢٠١٣.
١٣. حميد المطبعي ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، ج١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٥.
١٤. حميدة سميسم، الدعاية المضادة وسبل مواجهتها، مجلة حوليات الاعلام، جامعة بغداد، كلية الاعلام، العدد ٢، ١٩٨٢.
١٥. خالد صبحي احمد الخيرو، السياسة الخارجية العراقية ١٩٤٥-١٩٥٣، بغداد، مطبعة دار القادسية، ١٩٨٦.
١٦. دوغلاس أ . بويد ، إذاعة الشرق الأدنى، صوت بريطانيا محطة الإذاعة العربية البريطانية السرية وكارثة دعاية حرب السويس ، مجلة حوليات القدس ، العدد ٥ ، ربيع ٢٠٠٧ .
١٧. رحيم كاظم محمد الهاشمي ، محمد فاضل الجمالي ودوره السياسي ونهجه التربوي حتى عام ١٩٥٨، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٢.
١٨. سعيد عبد الفتاح عاشور، ثورة الشعب عرض للحركة الوطنية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين مع دراسة تفصيلية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٥.
١٩. عادل غنيم، تطورات الحركة الوطنية في العراق، سلسلة كتب قومية رقم ٦٦، مطابع الدار القومية، د ت.
٢٠. عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبي، العلاقات السياسية بين مصر والعراق ١٩٥١-١٩٦٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.
٢١. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج١٠، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨.

٢٢. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج٨، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨.

٢٣. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج٩، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨.

٢٤. عصمت السعيد، نوري السعيد رجل الدولة والانسان ، بيروت ، الساقي ، ٢٠٠٣.

٢٥. علي جودة الايوبي، ذكريات على جودة الايوبي ١٩٠٠- ١٩٥٨، بيروت، مطبعة الوفاء، ١٩٦٧.

٢٦. كامل قسطندي، ٦٦ عاماً واكثر قصة عمرٍ بدأ في الشرق الأدنى، مجلة الكترونية فلسطين صوت الذين لا صوت لهم، كانون الثاني، ٢٠١٥.

٢٧. الكتب المنشورة والمترجمة:

٢٨. محمد حسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨في العراق أسبابها ومقدماتها ومسيرتها وتنظيمات الضباط الاحرار ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٣.

٢٩. محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨-١٩٥٨، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥.

٣٠. محمد نجيب، مذكرات محمد نجيب كنت رئيساً لمصر، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ١٩٨٤.

٣١. محمد هادي ارحيم الحيالي، تحليل مضامين تعليقات إذاعة بغداد الموجهة الى مصر عام ١٩٥٥، مجلة كلية المعلمين، العدد ١٣، ٥ أيار ١٩٩٨.

٣٢. مير بصري ، اعلام الوطنية والقومية العربية ، لندن ، دار الحكمة ، ١٩٩٩، ص٢٨٩.

٣٣. هادي نعمان الهيتي ، اتجاهات نشرات الاخبار لتلفزيون الإسرائيلي باللغة العربية ، مجلة البحوث ، العدد ١٥، تموز ١٩٨٥.

ثانياً. الرسائل والاطاريح الجامعية :

١. جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، علي جودة الايوبي ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٥٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية تربية ابن رشد، ١٩٩٧.
٢. سندس حسين علي، توجهات الإذاعة العراقية الوطنية ١٩٣٦-١٩٥٨ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠١٢.
٣. لمياء محمد السيد، تأثير العلاقات السياسية العربية على المضمون الاخباري لإذاعة صوت العرب دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ١٩٩١.

الصحف والمجلات :

١. جريدة البلاد، العدد ٤٩٣٣، ١٥ نيسان ١٩٥٧.
٢. جريدة البلاد، العدد ٥١١٠، ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٧.
٣. جريدة الجمهورية، العدد ٣٢، ٧ أيلول ١٩٥٨.
٤. جريدة الجمهورية، العدد ٤٨، ١٠ أيلول، ١٩٥٨.
٥. ملحق جريدة الجمهورية، العدد ٩، ٢٧ أيلول ١٩٥٨.
٦. جريدة الشعب، العدد ٣٧٤٣، ٨ شباط ١٩٥٧.
٧. جريدة الشعب، العدد ٣٩٨٢، ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٧.

الوثائق الغير منشورة:

١. وزارة الخارجية المصرية، النشرة الأسبوعية الخاصة لتأميم قناة السويس، ج٦، القاهرة، ١٩٥٦.
٢. د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، متفرقة، رقم الملف ٥٤، رقم الوثيقة ١٤٥، ص١٥٣.
٣. د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، تقوية المحطة اللاسلكية العراقية، وقم الملف ٣١١/٥٦٨٨، رقم الوثيقة ١.
٤. د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، المتفرقة، رقم الملف ٥٤، رقم الوثيقة ٤٤.
٥. د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، مديرية التوجيه والإذاعة العامة من وزارة الخارجية الى مديرية التوجيه والإذاعة العامة، رقم الملف ٣٢٠٣٠/١٠٠، رقم الوثيقة ٥٨، ١٥ كانون الثاني ١٩٥٧.

ملامح عامة عن حياة الملك نبوخذ نصر الأول
(١١٢٥-١١٠٤ق.م)

ا.م.د مها حسن رشيد الزبيدي

الجامعة المستنصرية /كلية التربية /قسم التاريخ

dr.mahaalzubaidi@uomustansiriyah.edu.iq

ملامح عامة عن حياة الملك نبوخذ نصر الأول (١١٢٥-١١٠٤ق.م)

ا.م.د مها حسن رشيد الزبيدي

الملخص:

يعد الملك نبوخذ نصر الأول أحد أعظم الشخصيات التأريخية في بلاد الرافدين بصورة عامة وفي سلالة إيسن الثانية أو ماتعرف بسلالة بابل الرابعة التي حكمت خلال العصر البابلي الوسيط في بلاد بابل بصورة خاصة،هو رابع ملوك سلالة إيسن الثانية حكم مدة إثنان وعشرون عاما إرتبط إسمه في العديد من المؤلفات التأريخية والآداب البابلية والآشورية، ورث الحكم عن أبيه الملك "ننورتا-نادن-شومي"، في الوقت التي كانت بلاد بابل تعاني من التهديدات العيلامية المتكررة على مدنهم الحدودية كان نبوخذ نصر الأول يخطط للقضاء عليهم وإعادة الإله مردوخ الى مدينته المقدسة بابل ، فقام بمقارعة العيلاميين في عقر دارهم وتحقيق النصر عليهم وتخليص بلاد بابل وشعبها من خطرهم وتهديداتهم المستمرة ،وثق جميع الأحداث التي رافقت حملته العسكرية في بلاد عيلام على حجرة حدود ((كودورو)) عرفت بوثيقة النصر. تضمنت نتائج الحرب أعادة هيبة وعظمة بابل بعودة الإهها الرسمي وملك جميع اللآلهه مردوخ وإرتقاءه ليكون سيد الآلهة.

Summary:

The King Nebuchadnezzar I is considered one of the greatest historical figures in Mesopotamia in general and in the Second Isin Dynasty, or what is known as the Fourth Dynasty of Babylon, which ruled during the Middle Babylonian era in Babylonia in particular. He is the fourth king of the Second Isin Dynasty and ruled for twenty-two years. His name is associated with He wrote many historical works and Babylonian andAssyrian literature. He inherited the rule from his father, King Ninurta-Nadin-Shumi. At a time when Babylonia was suffering from repeated Elamite threats to their border cities, Nebuchadnezzar I was planning to eliminate them and return the god Marduk to his holy city of Babylon, so he By fighting the Elamites in their homeland, achieving victory over them, and ridding Babylon and its people of their danger and constant threats, he documented all the events that accompanied his military campaign in Elam on a border chamber ((Kuduru)) known as the Victory Document. It included the results of the war and the restoration of the prestige and greatness of Babylon with the return of its official god and king. Of all the gods, Marduk is the master of the gods

الكلمات المفتاحية

الملك المنتصر ،نبوءة مردوخ،وثيقة النصر ،عودة مردوخ،الأمير المتعبد

المقدمة:

إن دراسة تأريخ العراق القديم يكشف لنا عن صفحاته المشرقة وحضارته العظيمة وأحداثه المتنوعة عبر عصوره المختلفة،كما ويزخر تأريخه بأحداث مشرفة ومضيئه عبرت عن الشخصية العراقية القديمة المحبة للحرية والإستقرار ،حتى تمكنوا من صناعة أقدم حضارة شهدها العالم القديم فأصبحت بحق أولى الحضارات البشرية في منطقة الشرق الأدنى القديم وأصبح بلاد الرافدين مركز أشعاع فكري وحضاري على مدى الأزمنة القديمة تأثرت به الأمم والشعوب وأقتبست من حضارته العريقة ونهلت من معرفته الا محدودة وتناقلت أخباره ومنجزاته في أصقاع الأرض عبر القرون،ومن أبرز تلك الشخصيات الساطعة في سماء بلاد الرافدين هو الملك نبوخذ نصر الأول أحد أعظم الشخصيات التأريخية في سلالة إيسن الثانية أو ماتعرف بسلالة بابل الرابعة التي حكمت خلال القسم الأخير من العصر البابلي الوسيط في بلاد بابل،وهو رابع ملوك سلالة إيسن الثانية حكم مدة إثنان وعشرون عاما إرتبط إسمه في العديد من المؤلفات التأريخية والآداب البابلية والآشورية، ورث الحكم عن أبيه الملك "ننورتا-نادن-شومي"، في الوقت التي كانت بلاد بابل تعاني من التهديدات العيلامية المتكررة على مدنهم الحدودية كان نبوخذ نصر الأول يخطط للقضاء عليهم وعودة الإله مردوخ الى مدينة بابل، لقد أمضت البلاد قرون عدة تحت الحكم الكاشي ثم تعرضت للعديد من الغزوات الآشورية والعيلامية حتى تمكنت الأخيرة من إسقاط السلالة الكاشية والمعروفة بسلالة بابل الثالثة وسرقة تمثال الإله مردوخ فقام بمقارعت المحتل في عقر داره وواجه أشرس الغزوات وأسهم في تحرير بلاد بابل وأعاد لها هيبتها وعظمتها بعودة الإهها الرسمي وملك جميع اللآلهه مردوخ.تلك الأحداث تسببت في نشاط الحركة الأدبية والشعرية ذات المضامين الوطنية والدينية في كل من بلاد بابل وآشور آنذاك،تضمن البحث تسليط الضوء على دراسةحياة الملك نبوخذ نصر الأول وإنجازاته العسكرية والإدارية وإرتباطه الروحي والوجداني بلإله مردوخ الذي إختاره من بين عدة ملوك حكموا بلاد بابل ليفك أسره من بلاد عيلام حتى أرتبط الإسمين معا في المدونات الآشورية

والأخمينة والعصور التي تلتها،أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة فهي عبارة عن شذرات من المعلومات القيمة التي توزعت بين الكتب المختصة في دراسة عصر سلالة إيسن الثانية وخصوصا الجانب العسكري في حياة هذا الملك ،تمتاز هذه الدراسة عن سابقاتها إنها إهتمت بجميع المجالات التي تختص بسيرة ومنجزات هذه الشخصية الرافدينية العظيمة.

أولا:الأحوال السياسية في بلاد بابل عام ١١٦٠ق.م والوجود العيلامي فيها:

عانت بلاد بابل خلال نهاية حكم السلالة الكاشية من أوضاع سياسية داخلية وخارجية صعبة وتحديدا خلال حكم الملك زبابا-شوما-ايدنا (١١٦٠ق.م)مما دفع الملك الآشوري آشور-دان الأول (١١٧٩-١١٣٤ق.م) الهجوم عليها مستغلا ضعفها ليضمها تحت حكمه بعد احكام سيطرته على جميع المدن الواقعة جنوب بلاد آشور فتحول النزاع الكاشي الآشوري وتدهور الأوضاع الداخلية في بلاد بابل الى فرصة ذهبية استغلها العيلاميون للإنقضاض عليها [١].

في حدود (١٢٠٠-١١٠٠ق.م) شهدت بلاد عيلام المرحلة الثالثة من الفترة العيلامية الوسيطة الي تميزت بعودة البلاد بقوة الى المسرح السياسي وظهور ملوك أقوياء إستطاعوا أن يوسعوا حدود دولتهم الخارجية[٢]،تولى السلطة العيلامية في ذلك الوقت الملك شتروك-ناخونتي (١١٨٥-١١٥٥ق.م) كان يطمح بتوسع المد العيلامي آنذاك وفرض سيطرته السياسية والعسكرية على حساب مدن بلاد الرافدين وعرف بالملك المحارب[٣]،عاشت بلاد عيلام في عهده أوج عظمتها وزهوها بعكس ماكان يجري في بلاد بابل وآشور من أوضاع داخلية صعبة بسبب ضعف ملوكها وإنشغالهم بالنزاعات فيما بينهم فضلا عن الأجواء المشحونه بالكره والعداء المستمر بين حكام بابل والدولة العيلامية فقام الملك شتروك-ناخونتي بالهجوم على بلاد الرافدين سالكا الطريق المعتاد من مدينة سوسة عابرا نهر الكرخة متوجها الى مدينة تل الدير (دير آنو) ثم ينطلق بجيشه منها الى مدن جنوب بلاد الرافدين غزا المدن ونهبها ومنها أور والوركاء وأكد وكيش وسبار وأشنونا[٤] و اطاح بالملك الكاشي "زبابا-شوما-ايدنا"،كما ورد بالعبارة التالية:**(قام الملك شتروك-ناخونتي بخلع الملك زبابا-شوما-ايدنا وانهى حكمه)**

وقام بنهب مدن شمال بابل فحمل معه كميات كبيرة من الذهب والفضة والغنائم النفيسة استولى عليها من أكد وسبار ودور-كوريكالزو،ومن جملة الغنائم التي حصلوا عليها هي مسلة النصر للملك نرام -سين التي خلدت انتصاره الساحق على الولوبيين،الى جانب مسلة حمورابي[٥]وتذكر الكتابات من عهده عندما قام بسرقة بعض أحجار الحدود للملوك الكاشيين قام بتغيير بعض ما تحتويه من كتابات وأضاف كتابات على بعض القطع المسروقة من تلك الحملة عرف فيها عن نفسه ومنها نسخة من تمثال بالحجم الطبيعي للملك الأكدي مانشتوسو[٦]**((إبن خالوتوش إنشوشيناك،الخادم المحبوب لإنشوشيناك،ملك إنشان وسوسة موسع مملكتي حامي عيلام،أمير عيلام،قام شتروك-ناخونتي،بناءا على طلبه بعمل محدد، لقد حطمت المدن!))**

رافقه في حملته على بلاد بابل إبنه البكر" كودور-ناخونتي" الذي نصبه والده ملكا عليها بدلا عنه[٧]، وردت اشارة في نص مسماري من عهد الملك نبوخذ نصر الأول،تضمن وصف لصراعات قديمة حدثت في عهد آخر ملوك السلالة الكاشية والمعارك التي وقعت بين بلاد بابل وعيلام[٨]وجاء فيه:

(قام الملك شتروك-ناخونتي بخلع الملك زبابا-شوما-ايدنا وانهى حكمه ،ابنه كودور-ناخونتي ،قد فاق ذنوب آبائه وأسلافه وكانت جريمته الشنيعه أكبر من جرائمهم ،أحدث الشر في بلاد أكد)

وبالرغم من الهجوم العيلامي على بلاد بابل من قبل الملك شتروك-ناخونتي وتنصيب ابنه حاكما عليها وكل ما حدث من صراعات سياسية الا ان حكم الكاشيون لبلاد الرافدين لم ينتهي بعد، اذ اعتلى عرش بابل آخر ملوك السلالة الكاشية الملك انليل-نادن-آخي (١١٥٩-١١٥٧ق.م) استمرت مدة حكمه ثلاث سنوات استطاع خلالها مقاومة الاحتلال العيلامي واستعادة استقلال البلاد[٩]،يبدو إن "انليل-نادن-آخي" قد نصبه الملك العيلامي "كودور- ناخونتي" ليحكم بلاد بابل بإسم الدولة العيلامية بإعتباره تابعا لهم ولكن سرعان ما تمرد على حاكمه وثار عليه فقام "كودور-ناخونتي" بإنهاء حكمه وأقتاده اسيرا الى عيلام[١٠]،وفي إشارة للملك نبوخذ نصر الأول يصف الأحداث التأريخية التي مرت بها البلاد آنذاك، وكما ورد في النص التالي[١١]

(الملك انليل-نادن-آخي الذي سبق وأقام العداوة لي (.....) تحدث عن (.....) وهو (كودور-ناخونتي)(الذي) أكتسح البلاد وغمر بلاد أكد كالطوفان....مثل فيضانات عاصفة دمرت جميع مدنهم الكبيرة، لقد حول جميع مراكز العبادة (عبادتهم) الى أنقاض،وجعل الاله مردوخ السيد العظيم يغادر مجلسه وأخذه غنيمه من بلاد سومر وأكد الى بلاد عيلام،قاد الملك انليل-نادن-آخي بعيدا الى عيلام وانهى حكمه ،هو ليس من مواطني بابل بل هو عدوا لها ،(حلت عليه) العقوبة الآلهية)

لقد واجه الباحثون صعوبة في معرفة تفاصيل الأحداث التأريخية وتحديد النهاية الفعلية لحكم الملك الكاشي ولعل السبب الرئيسي في ذلك هو فقدان عدد كبير من العلامات المسمارية وإعتماد قراءة إسم الملك العيلامي كودور-ناخونتي في النص المسماري علما لم يعثر على إسمه بشكل صريح فيه بسبب فقدان عدد من أسطر النص لذا يبقى الغموض يشوب المشهد السياسي آنذاك[١٢]،كما وعارض بعض الباحثين رأي (tadmor) الذي قال إن الملك الكاشي "انليل-نادن-آخي" ليس من أبناء بابل بلإعتماد على المقولة **(هو ليس من مواطني بابل بل هو عدوا لها)** وعده أحد ولاة الدولة العيلامية من المحتمل إن العبارة كان يقصد بها الملك "كودور-ناخونتي" لإرتكابه أبشع الجرائم وتدنيس المقدسات وتدمير المدن وخرابها حتى باتت أعماله محفورة في ذاكرة البابليين وتوثيق أحداثها في كتاباتهم وأشعارهم[١٣]،وردت إشارة لمراسلات من عهد الملك كودور-ناخونتي مخاطبا فيها شعب بابل تضمنت إشارات للهجوم العيلامي وما خلفه من دمار في كل من نفر ومدينة بابل وسرقة الإيساكيلا،وعلى الرغم من فقدان الكثير من الأحداث التأريخية التي وثقها النص بسبب التلف الكبير للعلامات المسمارية فيه إلا إن إسلوب سرد الأحداث ومطابقتها مع كتابات الملك نبوخذ نصر الأول تأكد صحة نقل الأحداث التى مرت بها بلاد بابل خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد[١٤]،يذكر (برنكمان) إن هذه الكتابات تعود للعهد الأخميني ضمن أعمال الملك شتروك- ناخونتي ووصفت الصراع الكاشي-العيلامي،كما وقدمت تبرير سرقة تمثال الإله مردوخ ونقله مع الغنائم الثمينة الى بلاد عيلام[١٥]،وهي عبارة عن خطاب ملكي "لكودور-ناخونتي" حمل عنوان (رسالة كودر-ناخونتي) فحوى الخطاب إصراره في الاستيلاء على عرش بابل ورغبته في نشر السلام بين الدولتين، وبسبب غضب الإله مردوخ على بلاد بابل

وشعبها عاقبهم بإشد العذاب ومنحه شرعية حكمه لها،وقد كان رد البابليين عليه إن إدعاء الملك العيلامي غير صحيح وهم تواقون لمجيء ملك شرعي من أهل بابل يهزم العيلاميون ويزيل الحزن الجاثم على صدورهم وقد توقعوا أن تتحقق آمالهم بهزيمة العدو في أكثر أشهر السنة حرارة وهذا ما حدث بالفعل على يد الملك نبوخذ نصر الأول [١٦] نص الخطاب:((**الإله السماء الذي (قضى!) للرياح الأربع ،حكم (مردوخ) على (بابل) بالعقوبة في مدينة بابل الجديرة (لهم) قضى له بالحكم،وسيكون ملك البابليين،صغارا وكبارا ،بمشورتهم الثابتة، أسسوا [...] لكودور-ناخونتي،ملك عيلام،الآن يرضيهم (.....) سيكون الملك في مدينة بابل..... في مدينة كاردونياش مردوخ ملك الآلهه أقاموا (عرشه)**))

أقترح (برنكمان) إن تكون قراءة النص على النحو التالي:((**بمشورتهم الثابتة،حددت [الآلهة] مسار (عزم) كودود-ناخونتي ملك عيلام،الآن من يرضيهم(أي الآلهة)....سيكون ملك في بابل مدينة كاردونياش... [الآن] في بابل مدينة مردوخ ملك الآلهة،[الآلهة] أقاموا [عرشه].....أي ملك من عيلام الذي قدم للإساكيلا.....؟[هل إهتم] بالبابليين أم (.....) بأعمالهم؟**))يوضح (برنكمان) إن فحوى الرسالة هو حكم الآلهه بعدم منح شرعية ملوكية بلاد بابل لأي ملك عيلامي،ولايمكن إعتبار" كودور-ناخونتي" ملكا للبلاد بسب إختلافه عن الحاكم البابلي في النسب والمفاهيم والعادات ،كذلك من الصعب جدا عليه أن يهتم بمصالح شعب بابل وإن يرضي الهتهم ويقدم لمعابدهم كونه محتل ومختلف عنهم عقائديا،وأن بإمكان الشخص الذي ترضى عليه الآلهة فقط أن يحكم في مدينة الإله مردوخ ملك الآلهة،ومع ذلك حكم كودور-ناخونتي بلاد بابل [١٧]،ختم الملك العيلامي خطابه متباهيا بنسبه الملكي مدعيا بأنه إبن أميرة كاشية وله الحق في حكم بلاد بابل وهذا ما دفعه للهجوم عليها وبمباركة الآله القومي لكاردونياش، ونص الخطاب[١٨]:

((**[اما] الكلمات التي كتبتها ، أنا ملك،إبن ملك،من (نسل ملكي)،الذي ينذر بسقوط جميع الأراضي ... في مشورتهم الثابتة ...ملك الآلهة بين الغنائم التي سيخرجونها**))

وبالعوده الى المشهد التأريخي الذي يصف الهجوم العيلامي وحجم الغنائم التي نهبها العدو من مدن بلاد بابل وكم العداء والكراهية التي نفذتها الحملة العسكرية من تدمير المدن

وطمس معالمها وتدنيس معابدها من جهة،وإعتماد إن هذه الرسائل تعود للملك" كودور-ناخونتي "بالرغم من عدم وجود إسمه فيها بسبب تلف في علاماتها المسمارية من جهة أخرى،دعت بعض الباحثين الى التوصل بإن من المفترض أن يكون صاحب هذه المقولة والملك المقصود هنا هو" شتروك- ناخونتي "وليس" كودور-ناخونتي" لسببين رئيسيين:

الأول إدعائه إنه سليل عائلة ملكية كاشية لأن والده قد تزوج من إبنة الملك الكاشي ميلي-شيباك (١١٨٦-١١٧٢ق.م) وإنه مستاء كون أمه إبنة عائلة ملكية ولم يعتلي عرش بابل ((**لم أجلس على عرش بلاد بابل**)) فقام بغزو البلاد والقضاء على ملكها "زبابا-شوما-إيدنا" ونهب خيراتها ونقلها الى بلاده،والسبب الثاني تنازله عن عرش بابل بعد وقت قصير من تحقيق هدف سياسي وعسكري كان يصبو اليه ويطالب به لإبنه البكر كودور-ناخونتي فكيف يطالب الأخير بعرش بابل وقد حصل عليه بسهولة من خلال مرافقته لوالده أثناء حملته العسكرية[١٩] ،وعند تحليل مضمون نص الرسالة نجد من الطبيعي جدا أن يكون الملك المقصود فيها هو كودور-ناخونتي لأنه ينتسب لنفس العائلة الكاشية الحاكمة في بلاد بابل كون الملكة جدته لإبيه وبحكم القرابة أدعى أنه وريث العرش الشرعي،كذلك إرتباط حمل الغنائم والنفائس وعلى رأسها سرقة تمثال الإله مردوخ قد نسبت اليه الأمر الذي يدفع المتلقي الى مقبولية "كودور-ناخنتي" هو الملك المقصود في الخطاب،ولم ينجب الملك " كودور-ناخونتي "ولدا يرثه العرش لذا خلفه أخوه شيلاك-أنشوشناك (١١٦٥-١١٥١ق.م) لقب نفسه (إبن شتروك-ناخونتي) و(الأخ المختار لكودور-ناخونتي)[٢٠]هو أحد أعظم ملوك الدولة العيلامية،يمثل عهده قمة الإنجازات السياسية والعسكرية والعمرانية أهمها الجانب الديني، رافق ذلك فترة إنتعاش إقتصادي خصوصا في الجانب التجاري نتيجة التوسع الجغرافي لحدود دولته[٢١]،تعرضت بلاد بابل وآشور خلال حكمه الى هجمات متعددة مستغلا حالة الفراغ السياسي التي مرت به بلاد بابل بعد نهاية السلالة الكاشية والهجمات العيلامية المتكررة عليها وضعف السلطة الحاكمة في بلاد آشور هذه المعلومات وثقتها الكتابات الملكية العيلامية فقط دون البابلية ،يعتقد البعض انه حكم بلاد بابل في الفترة التي تتوسط حكم الملك العيلامي "كودور- ناخنتي" والملك الكاشي "انليل-نادن-آخي" [٢٢]،ولم يدم حكمه فترة طويلة اذ انسحب "شيلاك-انشوشناك" من بلاد بابل تاركا فيها حامية عسكرية

وفي هذه الاثناء تولد عند شعب بلاد بابل نزعة تحررية من قيود الاحتلال وظهور زعماء من مدينة إيسن حرروا البلاد وأعادوا استقلالها وطردوا الحامية العيلامية وأسسوا سلالة وطنية حاكمة عرفت بسلالة إيسن الثانية أو سلالة بابل الرابعة[٢٣].

ثانيا: **سلالة إيسن الثانية (بابل الرابعة)**

أ- مدينة إيسن :

تعد مدينة إيسن من الناحية التأريخية أحد أهم المدن العراقية القديمة وتشير الدلائل الآثارية أنها كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التأريخ وأستمر السكن فيها خلال العصور التأريخية[٢٤]،تقع على بعد ٢٤ كم إلى الجنوب من مدينة عفك ومسافة ٢٨ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة نفر تشغل مساحة واسعة من المنطقة وتعرف بقاياها اليوم (إيشان البحريات)[٢٥]،بدأت التنقيبات الآثارية العلمية المنتظمة بموسمها الأول عام ١٩٧٣من قبل البعثة الألمانية،وأستمر العمل للأعوام ١٩٧٤-١٩٧٦ شهدت المدينة خلال نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد توسع عمراني وتشييد عدد كبير من المباني والإهتمام بالجانب الزراعي ونظام الري،ورد ذكرها في الكتابات المسمارية للعصور التاريخية المبكرة بالمصطلح السومري EZEN بمعنى (عيد -إحتفال) ويقابلها بالأكدية isinnu وبالمقطعين PA-EŠ^{ki} كذلك وردت بالمقاطع isin وInsin و/Is/ šin و[٢٦]،تأسست فيها سلالات حاكمة عرفت بسلالة إيسن الأولى[٢٧]،وخضعت بعد ذلك لسيطرة سلالة لارسا في عهد ملكها ريم - سين عام ١٧٩٤ ق.م،وفي السنة السابعة من حكم الملك حمورابي تمكن من ضمها لدولته خلال العصر البابلي القديم[٢٨]،ثم خضعت لحكم السلالة الكاشية وعندما إنتهى حكمهم على يد العيلاميين تأسست فيها سلالة جديدة على الأغلب من مدينة إيسن تمكنت من تقوية مركزها السياسي وبناء قوة ذات تأثير كبير في المنطقة نتيجة الأوضاع المضطربة التي أحدثها الغزو العيلامي لبلاد بابل والأحداث السياسية والعسكرية السيئة آنذاك قامت جماعة ثائرة بطردهم وتحرير البلاد من سطوتهم وأسسوا سلالة جديدة عرفت بسلالة إيسن الثانية.

ب-تأريخ تأسيس سلالة إيسن وذكرها في المصادر المسمارية:

أسسها الملك "مردوخ-كابت-آخيشو" عام ١١٥٧ق.م ولا يعرف على وجه الخصوص كيف تسلم مقاليد حكم البلاد وما هي الأسباب التي ساعدته على القيام بتأسيس سلالة

وطنية مستقلة عرفت بسلالة إيسن الثانية، يبدو إنه قاد انتفاضة كبيرة على الاحتلال العيلامي وذلك في حدود عام ١١٥٧ ق . م وطرد الحامية العسكرية من البلاد،دام حكم السلالة ١٣٢عام امتدت بين (١١٥٧-١٠٢٦ق.م) حكم خلالها احد عشر ملكا،عرفت سلالة إيسن الثانية في قوائم الملوك البابلية بالإسم بالا-با-شي (EŠBALA.PA.)أو(EŠPA.)ويقابلها بالأكدية إيشنو (išinnu) بمعنى(ساق)[٢٩]،أما في عهد الملك نبوخذ نصر الأول فقد وردت بالصيغة "URU I.si.in "[٣٠]

ولم يتم العثور على دليل واضح يبين ان عاصمة الحكم كانت تقع في مدينة إيسن خاصتا وان ملوك هذه السلالة لم يطلقوا على أنفسهم لقب (ملك إيسن) مثلما فعلوا ملوك سلالة إيسن الإولى[٣١]ربما كانت إيسن هي العاصمة ومقر حكم الملك "مردوخ-كابت-آخيشو" ثم تحولت الى مدينة بابل أثناء حكم ملكها الثاني "إتي-مردوخ-بلاطو" عندما أصبحت معظم مدن بلاد بابل تحت سيطرته،كذلك الحال خلال عهد الملك الرابع نبوخذ نصر الأول لكن من الصعب التعرف على أصول ملوك سلالة إيسن الثانية إن كانوا فعلا من مدينة إيسن أو قد يقتصر الأمر على نسب مؤسسها وذلك من المسلمات في تأريخ العراق القديم فقد تأتي أسم سلالة معينة إما من المدينة التي ينتسب لها الملك المؤسس لسلالة الحاكمة أو بسبب أتخاذهم مدينة معينة عاصمة مركزية للدولة ومقر لحكمهم وفي جميع الأحوال يبقى الأمر غامض الى أن يعثر على الدليل الآثاري الواضح،وتعد أشهر الوثائق الكتابية التي تم العثور عليها هي أحجار الحدود (الكودورو) المتعلقة بالاراضي الزراعية والمتضمنة عمليات البيع والمنح والهبات والإعفاءات الضريبية المرتبطة بالممتلكات وتسوية النزاعات الملكية[٣٢]،تعد سلالة إيسن الثانية أو كما عرفت بسلالة بابل الرابعة تمثل الجزء الأخير من العصر البابلي الوسيط ولما تميز به هذا العصر من أهمية تأريخية في حضارة بلاد الرافدين على الرغم من كونه أكثر العصور غموضا لقلة المدونات فيه سيما السلالة التي نحن بصددها الآن إلا إن الأحداث التأريخية المهمة التي جرت عبر السلالات الحاكمة فية وبمختلف مسمياتها دفعت الباحثين لمعرفة حقائق مجرياته السياسية والعسكرية والحضارية ومن خلال إستقراء تلك الدراسات تبين إن هذا العصر تحديدا شهدت بلاد بابل فيه أطول فترات الإحتلال الأجنبي في تأريخ العراق القديم للسلالات التي سبقت سقوط بابل

عام ٥٣٩ق.م،رافق هذه السلالة أحداث سياسية وعسكرية وتأريخية قادها الملك الرابع نبوخذ نصر الأول الملك المنتصر الذي أعاد لبلاد بابل هيبتها السياسية والدينية ووثق أعماله بصورة أدبية من خلال أستعراضه للحملات العسكرية التي نفذها خلال فترة حكمة بصورة ملاحم شعرية ثنائية اللغة وهذا أمر شاع في كتابات سلالة بابل الرابعة .وعند الحديث عن ذلك يجب القاء الضوء على من سبقه من ملوك السلالة لما لهم دور كبير وفعال في تهيئة الأرض الخصبة لتحقيق تلك النجاحات الرائعة التي بقت تتغنى بها الأجيال اللاحقة سواء على مستوى بلاد بابل وآشور.

ج- ملوك السلالة الأوائل:

بحسب قائمة الملوك البابلية (A) التي تضمنت أحد عشر ملكا حكموا في سلالة إيسن الثانية (EŠBALA.PA.) مدة مائة وإثنان وثلاثون عاما وستة أشهر (١١٥٧-١٠٢٦ق.م) ومن خلال التأريخ التعاصري مع قوائم الملوك الآشورية وبالإعتماد على مضامين الرسائل الملكية وما حوته المكتبة الآشورية من نصوص مسمارية كذلك توافق الأحداث التأريخية والعسكرية ومطابقتها لكتابات ملوك السلالة يقدم صورة واضحة ومنطقية عن أسماء الملوك وسنوات حكمهم[٣٣]،يعد الملك "مردوخ-كابت-اخيشو" (١١٥٧-١١٤٠ق.م) مؤسس سلالة إيسن الثانية وأول ملوكها حكم ثمانية عشر عاما بحسب ما ورد في القائمة (C) لملوك سلالة إيسن الثانية وتعد الأقدم والأكثر حفظا،عاصر الملك الآشوري "آشور- دان الأول" (١١٧٩-١١٣٤ق.م)، ولا يعرف على وجه الخصوص الضروف التي مكنته من تأسيس السلالة ربما ضعف الدولتين المجاورتين الآشورية والعيلامية مكنته من تأسيس السلالة وضم مناطق جديدة دون معرفة العاصمة المركزية والمقر السياسي للدولة ومن المحتمل إنه إتخذ من أيسن عاصمة لحكمه[٣٤]،تمكن من طرد الحامية العسكرية من بابل وإخضاع بعض المدن المجاورة وبسط سيطرته على مدن تقع شمال ووسط وجنوب بلاد الرافدين[٣٥]خلفه في الحكم ابنه "اتي- مردوخ-بلاطو" **(١١٣٩-١١٣٢ق.م)** استطاع أن يوسع نفوذ المملكة ويزيد من قوتها أن يوسع نفوذ المملكة ويزيد من قوتها هو الملك الثاني لسلالة إيسن الثانية،بحسب قائمة الملوك (C) حكم مدة ثماني سنوات[٣٦].يبدو إن إسمه لم يكن معروفا من قبل ويظهر لإول مره في هذا العصر وتحديدا في أسماء الأعلام الكاشية[٣٧]،عاصر

الملك الآشوري "آشور-دان الأول" وأولاده ولا يعرف نوع العلاقات التي ربطت "إتي-مردوخ-بلاطو" مع معاصرية من بلاد آشور[٣٨]عمل"إتي-مردوخ- بلاطو"على تقوية البلاد وتوسيع حجم المملكة لكننا لم نتعرف على أعماله السياسية والعسكرية،فضلا عن إنجازات العمرانية[٣٩]،لقب نفسه بملك الملوك وحاكم بابل والملك القوي[٤٠]،خلفه في الحكم الملك "ننورتا- نادن-شومي" (١١٣١-١١٢٦ق.م)،هو ثالث ملوك سلالة إيسن الثانية،ووالد الملك نبوخذ نصر الأول،إمتد حكمه ستة أعوام ولم تشير الوثائق المكتوبة من عهده وجود صلة قرابة بمن سبقه من الملوك[٤١]، وبتوليه عرش بابل ترأس أسرة حاكمة تألفت من إبنه البكر الملك "نبوخذ نصر الأول" وحفيده" إنليل-نادن-ابلي" وإبنه الأصغر" مردوخ-نادن-آبلي" والملك"مردوخ-شابك-زيري" إستطاعت هذه العائلة الحاكمة السيطرة على بلاد بابل مدة زمنية تفوق النصف قرن[٤٢] ،وهو أول من أطلق على نفسه لقب (ملك بابل) في سلالة بابل الرابعة إذ وردت أشارة من عهده وجدت مكتوبة على كسرة لحجرة حدود تذكر أسمه ومجموعة من الألقاب الملكية التي أطلقها على نفسه وكما ورد في النص التالي[٤٣]:

(لننورتا-نادن-شومي،ملك العالم،ملك بابل،ملك سومر وأكد)،سيطر على جميع مدن بلاد بابل[٤٤]،وشن هجمات متقطعة على بلاد آشور[٤٥]،وإن لم يتمكن من إحراز الإنتصار عليها لكن هذا دليل على قوة بلاد بابل خلال عهده[٤٦]،خلفه في حكم البلاد إبنه الأكبر الملك نبوخذ نصر الأول.

ثانيا:الملك نبوخذ نصر الأول (١١٢٥-١١٠٤ق.م):

أحد أهم ملوك بلاد الرافدين وهو رابع ملوك سلالة إيسن الثانية وأكثرهم شهرة على الاطلاق،حكم إثنان وعشرون عاما (١١٢٥-١١٠٤ق.م)،إرتبط إسمه في العديد من المؤلفات التأريخية والآداب البابلية والآشورية، ورث الحكم عن أبيه الملك "ننورتا-نادن-شومي"،عاصر الملك الآشوري آشور-ريشا-إشي الأول (١١٣٢-١١١٦ق.م)[٤٧] ،كانت الساحة السياسية مهيئة آنذاك لعودة بلاد بابل الى مكانتها العظيمة ومد نفوذها داخل وخارج بلاد الرافدين،تفرد نبوخذ نصر الأول في تأريخ سلالة إيسن الثانية بإحرازه انجازات وأعمال بطولية ظلت عالقة في أذهان الأجيال البابلية القادمة ومثلا يحتذى به،كما وأثر في العديد من ملوك بلاد الرافدين ربما بسبب الفراغ السياسي وضعف ملوك الدول والأقاليم المعاصرين

له جعلت الساحة السياسية مهيئة آنذاك لعودة بلاد بابل الى مكانتها العظيمة ومد نفوذها داخل وخارج بلاد الرافدين [٤٨]،تميزت بلاد بابل خلال عهده بظهور نهضة أدبية ملحوضة متمثلة باللغة الشعرية للكتابات الملكية وفي أحجار الحدود "الكودورو" فقد وصلت ذروة إزدهار الحركة الأدبية آنذاك ربما أن عظمة الإبداع الذي وصل اليه الأدب البابلي الوسيط هو رغبة ملوك هذا العهد وهذه السلالة الوطنية المتمثلة بملكها الرابع نبوخذ نصر الأول لتمجيد إنجازاته العسكرية المميزة وتكريس أعماله وتخليدها عبر الأجيال المتعاقبة تلك الإنجازات الحربية والعسكرية والإدارية وغيرها كانت مصدر إلهام الشعراء والكتاب البابليين سواء المعاصرين له أم من اللاحقين الذين تغنوا بأمجاده ووثقوا أحداثة باللغتين السومرية والأكدية بلهجتيها البابلية والآشورية[٤٩]وبالرغم من معاناة بلاد بابل المستمرة من التهديدات العيلامية المتكررة على مدنهم الحدودية لكن نبوخذ نصر الأول بشجاعته الوطنية الفائقة وإلتفاف شعب بلاده معه وشجاعة جيشه التواقين لتحقيق النصر على الأعداء ووازعه الديني العميق وإيمانه المطلق بمردوخ والآلهة العظام تمكن من تحرير البلاد وعودة الإله مردوخ الى مدينة بابل.

أسمه:

تعد الأسماء الشخصية واحدة من أهم المصادر الرئيسة في معرفة الكثير من الخصائص الحضارية لبلاد الرافدين وأرتبطت بشكل مباشر بالجوانب الدينية والإجتماعية والسياسية وعلى ما يبدو ان أغلب الاسماء الشخصية كانت ذات طابع ومدلول ديني لتعلق الفرد العراقي القديم بالآلهه ولأن الجانب الديني كان يشغل حيزاً كبيراً في فكر وحياة المجتمع القديم آنذاك،وعند قراءة وتحليل أسم الملك نبوخذ نصر الأول،نجده إسم مركب يتكون من ثلاث مقاطع بابلية ذات مضمون ديني وهو أول ملك حمل إسم نابو- كودوري - أوصور (nabû-kudurrī-uṣur) في تأريخ بلاد الرافدين هو الملك نبوخذ نصر الأول وأصبح بعد ذلك إسما معروفا عند سكان بلاد بابل وتحديدا منذ سلالة إيسن الثانية واستمر خلال العصور التالية إذ ظهر ثلاث ملوك من العصر البابلي الحديث حملوا نفس الأسم وأشهرهم الملك الكلدي نبوخذنصر الثاني(٦٠٤-٥٦٢ق.م) ونبوخذ نصر الثالث(٥٢٢ق.م) ونبوخذ نصر الرابع(٥٢١ق.م)، ومن الجدير بالذكر ان جميع الكتابات الملكية والمصادر المسمارية

الخاصة بالملك نبو خذنصر الأول لم يظهر فيها إسمه بهذا الشكل بل كتب أسمه بصيغ متعددة وعلى الرغم من أختلاف قراءاتها إلا انها حملت نفس المعنى والمضمون وقد وردت بالصيغ التالية:

1) ^{d}NÀ.ku.dur.ri.ŠEŠ(50)
2) ^{d}AG-ku-dúr-ri. ŠEŠ(51)
3) ^{d}AG-ku-dúr-ri-ÙRU(52)
4) ^{d}AG. NÍG.DU. ÙRU(53)
5) ^{d}AG. NÍG.DU. ŠEŠ(54)
6) ^{d}na-bi-um-ku$_7$-dur-ri-ú-ṣur(55)
7) nabû-kudurrī-uṣur(56)

وعند تحليل الأسماء ذات المقاطع السومرية نجدها تعبر عن معنى مطابق تماما للصيغة البابلية نابو- كودوري- أوصر (nabû-kudurrī-uṣur) وكالآتي:

١- (^{d}NÀ و ^{d}AG) : سبقت المقاطع السومرية بالعلامة الدالة (^{d}) التي تسبق أسماء الألهه وهي أختصار للمقطع السومري (DINGIR) ويقابله بلأكدية **(ilu)** بمعنى إله(٥٧)، أما (NÀ وAG) ويقابلها بالأكدية (nabû) بمعنى الاله" نبو/نابو"هو إله الكتابة والعلم و الإله الرئيس لمدينة بورسيبا وإبن الإله مردوخ الاله الرئيس لمدينة بابل(٥٨) .

٢- تألف المقطع الثاني من الصيغة السومرية (NÍG.DU) وترادفها الصيغة البابلية (kudurru) بمعنى إبن/الإبن البكر ومن معانيها الأخرى حجرة حدود أو حد(٥٩) ،ومفردة الكودورو عند البابليين كانت تطلق على أحجار الحدود التي استخدمت لتوثيق نقل ملكيات الاراضي الممنوحة من قبل الملك الى بعض الشخصيات المميزة والمقربه منه أو بين شخص وآخر وهي بمثابة السندات العقارية في وقتنا الحاضر(٦٠)،ومن غير المعقول ان يكون المقطع كودورو في إسم الملك نبوخذ نصر الأول له علاقة بالحدود وأحجار الحدود لأنه ورد وبشكل متكرر في الأسماء الشخصية بمعنى نسل أو ذرية(٦١) كذلك ورد في أسماء بعض ملوك السلالة الكاشية(٦٢) كما وأشارت الوثائق التأريخية للملك العيلامي كودور- ناخونتي والذي تضمن أسمه المفردة الأكدية كودورو بأنه الإبن البكر للملك شتروك- ناخونتي(٦٣)،كذلك الحال بالنسبة للملك الكلدي نبوخذ نصر الثاني الإبن البكر للملك نبوبلاصر مؤسس السلالة الكلدية(٦٤)

٣-المقطع الثالث والأخير من الإسم (ÙRU/ŠEŠ) هو مرادف للصيغة (uṣur) من الفعل naṣaru بمعنى أحمي/إحفظ[٦٥] وهي صيغة دعاء وأمر ورجاء من الإله نابو للحفظ والحماية.

وإذا ما تأملنا بمعاني المفردات الثلاثة للأسم نابو- كودورو- أوصر نجده يحمل المعنى (يا اله نابو إحمي ابني الأكبر) كذلك يدل على المعنى (يا اله نابو إحمي ذريتي).

نسبه :

يعود نسب الملك نبوخذ نصر الأول بحسب قائمة ملوك سلالة إيسن الثانية الى الملك "ننورتا-نادن-شومي" فهو الإبن البكر له وخليفته في حكم البلاد، ويعد "ننورتا-نادن-شومي" مؤسس عائلة ملكية إبتدأت به وأستمرت حتى نهاية حكم الملك "مردوخ-شابك-زيري"، ولم تشير المصادر المسمارية الى نسبه أو علاقته بمن سبقه من ملوك السلالة[٦٦]،وهو أول من أطلق على نفسه لقب (ملك بابل) في سلالة بابل الرابعة،كونها أصبحت العاصمة المركزية لبلاد بابل فضلا عن مد نفوذه وضم العديد من المدن لدولته[٦٧] ورث عرش نبوخذ نصر الأول إبنه (إنليل-نادن-ابلي) حكم أربع سنوات (١١٠٣- ١٠٩٩ق.م) كانت أسباب وفاته غامضة وغير معروفة ومن المرجح ان عمه المتمرد (مردوخ-نادن-آبلي) تمكن من القضاء عليه والإستيلاء على عرش بابل [٦٨] هو إبن الملك ننورتا-نادن-شومي وشقيق الملك نبوخذ نصر الأول وسادس ملوك سلالة إيسن الثانية وآخر ملوك الأسرة الحاكمة لعدم وجود أي إشارة تذكر صلة قرابته بمن خلفه من الملوك ،بلغت مدة حكمه ثمانية عشر عاما (١٠٩٩-١٠٨٢ق.م) عرف بقوته العسكرية وإنجازاته العمرانية والإقتصادية [٦٩] إنتهى حكم هذه العائلة المالكة بنهاية حكم الملك "مردوخ-شابك-زيري"،ويبدو إن هذه الأسرة الحاكمة التي ترأسها الملك ننورتا-نادن-شومي وخلفاءه قد أحتفظت بالعرش لفترة زمنيه فاقت مدة حكم الأسر الحاكمة الأخرى من سلالة إيسن الثانية [٧٠]

نسب الملك نبوخذ نصر الأول نفسه الى أحد ملوك ما قبل الطوفان وأعاد جذوره الى أصول سومرية أصيلة موغلة في القدم،إذ تشير النصوص الأدبية من عهده أنه كان مولع بالتراث السومري ومزجه بالثقافة البابلية لينقل لنا صورة شعرية ذات طابع ديني وأبعاد سياسية ووطنية وإجتماعية،وكما ورد في النص[٧١]

نبوخذ نصر ملك بابل

الذي يشرف على جميع مراكز العبادة بالشكل الصحيح

الذي يحافظ على القرابين المنتظمة

سليل الملكية القديمة ،بذرة محفوظة من قبل الطوفان

سليل (نسل) إنميدورا (إنكي)،ملك سبار

الذي أقام وعاء نقي وأمسك بخشب الإرز

الذي جلس في حضرة الآلهة شمش وأدد القضاة الإلهيين

الإبن البكر ل [ننورتا - نادين]-شومي

الملك العادل، الراعي الأمين

الذي يثبت أسس الأرض

ذرية مميزة للإله أدد وكولا، الآلهه العظيمة

سليل نفر (ذو) نسب من إصول قديمة

يبدو إن الغاية من نسب الملك نفسه للملك إنميدورإنكي هي لمعرفته بحجم هذه الشخصية العظيمة وقد ورث نفس صفاته كونه سليل الملوكية المقدسة و إنميدورإنكي هو سابع ملوك عصر ماقبل الطوفان ملك سبار من القابه وصفاته الحكيم محبوب الآلهه (آنو-إنليل-أيا) وهو البطل (جالس على عرش من الذهب)للدلالة على وجوده في مجمع الآلهه الرئيس،أما الصفة الثالثة المهمة والمميزة هي المعرفة التي تلقاها في مجمع الآلهه هي معرفة الأسرار وعرف ب(عارف وحارس الأسرار)و(عالم متعلم) و(الكاتب المميز) والمعلم والكاهن والعراف ،وعليه يمكن تفسير هذا الإدعاء الى إحترام البابليون للأنساب الأصيلة ذات الجذور القديمة،كذلك من أجل التأكيد على إحياء التقاليد البابلية الأصيلة ورغبة نبوخذ نصر الأول إضفاء جميع تلك الصفات والألقاب لنفسه لترسيخ جذورة في المجتمع البابلي آنذاك(٧٢)

القابه:

إتخذ ملوك بلاد الرافدين القابا دينية وسياسية تتلائم وقدراتهم العسكرية والإدارية وطموحاتهم الواسعة في بسط نفوذهم خارج حدود مدنهم وأبعد من ذلك بكثير،وقد نسب الملك نبوخذ نصر الأول محرر بلاد بابل لنفسه القابا عده كونه القائد المنتصر ومخلص أهلها من وخوف المحتل الذي بقي ملازما لهم عقودا طويلة،إتخذ القابا ذات مدلول ديني عكست علاقته بالإلهه وتنفيذ أوامرهم ومواصلة العمل على خدمتهم والقابا ذات طابع سياسي ابرزت قوته وكشفت عن إنجازاته العظيمة ونفوذه الواسع آنذاك. وفيما يلي الألقاب والصفات التي وردت في النصوص وحجرة الحدود والمعروفة بوثيقة النصر:

((الأمير المتعبد،الأمير المحارب،الأمير البطل،المتواضع،المطيع،المتعبد،الراعي الحقيقي لمراكز العبادة، الملك النبيل،الأمير محبوب الإله مردوخ،أنبل الملوك،إبن مدينة بابل، الذي لا مثيل له،الملك المكين،ملك العدالة،ملك العالم،ملك بابل، ملك سومر وأكد،حاكم أريدو، داحر بلاد اللولوبيين،قاهر بلاد الآموريين، سالب الكاشيين، حامي الحدود،حافظ التخوم، حامل القوس المرعب،الشجاع، بطل الملوك،شمس بلاده،مسعد شعبه))

ثالثا:النشاطات العسكرية للملك نبوخذ نصر الأول في بلاد آشور:

العداء بين بابل وآشور في القرن الثاني عشر قبل الميلاد:

أولى بوادر العداء بين بلاد بابل وآشور بدأت من شعور ملوك بابل بعدم التكافئ السياسي والعسكري بين الطرفين مما جعل بعض الحكام الكاشيين بحكمتهم يتبنون مبدأ التصالح والتسامح وتجنبهم خوض الحروب والصرعات بإستثناء بعض ملوكهم الذين زجوا بابل في صراعات سياسية وعسكرية مع قوى عظمى وأقطاب دولية كبيرة كانت مهيمنة على مساحات واسعة من مناطق الشرق الأدنى القديم ،فعند أعتلاء الملك "كاشتلياش الرابع" (١٢٤٢-١٢٣٥ق.م)كانت لديه رغبة جامحة بتوسيع حدوده الشمالية على حساب بلاد أشور مستغلا الظرف الصعب الذي كانت تعيشها بلاد آشور وإنشغال الملك الآشوري بمجابهة الخطر الميتاني والقضاء عليهم[٧٣]،عندما علم "توكلتي-ننورتا الأول" بالتدخل البابلي وتحركات الملك الكاشي نحو بلاده ورغبته في التوسع والهجوم على بلاد آشور

مستغلا أنشغاله في حملاتة العسكرية خارج البلاد،توجه بحملة عسكرية على بلاد بابل وشن حربا شرسة على أراضيها، وثق الملك "توكلتي-ننورتا الأول" أخبار الحرب هذه في نص مسماري عرف (بملحمة بابل وآشور)[٧٤]،غزا الملك "توكلتي-ننورتا الأول" بلاد بابل لكن القوات البابلية أنسحبت من أمامه وفر الملك الكاشي "كاشتلياش الرابع" خوفا من مجابهة الجيش الآشوري وأستمرت المراسلات بين الملكين لغاية في نفس كاشتلياش[٧٥] وهي خداع العدو ليستجمع جنوده وتصبح قواته العسكرية جاهزة لملاقاة الآشوريين،إن مماطلة وضعف الملك الكاشي وتخليه عن حماية أرضه وشعبه قد أثار حفيظة الملك الآشوري الذي لطالما إتهم نظيرة الكاشي بالحقد والعداء لهم خصوصا بعد نقض الكاشي للمعاهدة الدولية التي أبرمت بينهما[٧٦] ورغبته الجامحة في محاربة الآشوريين الذين إستولوا على أراضيه وأقاموا فيها وقد عسكر الجيش على بعد أميال من الجيش البابلي ربما كان كاشتلياش ينتظر حدوث فيضان في شهر الربيع ليقضي على القوات الآشورية ويخلص البلاد من سطوتهم،وربما لعلمة بلإمكانات الآشورية وأراد الإستعداد الكامل لها وفعلا بعد فترة أعطى "كاشتلياش الرابع" الأمر لقواته العسكرية ببدأ الحرب لكن دون مواجهة وأستمر" توكلتي-ننورتا" يرسل له الرسائل ينتظر هجومه لكن دون جدوى، وأخيرا التقى الجيشان أراد كاشتلياش أن ينقذ نفسه لكنه وقع أسيرا بيد الآشوريون **((بسلاح الإله إنليل ،سيد العالم،حاصر الأعداء ،حطم القوات البابلية وأسقط قادة الجيش وحاشية الملك قتلى كالماشية في ساحة المعركة))**[٧٧]وأقتاد ملكها الكاشي" كاشتلياش الرابع" أسيرا الى بلاد آشور وحمل معه الغنائم الكثيرة التي لاتقدر بثمن كتمثال الإله مردوخ والنفائس الأخرى والغلات والرقم الطينية كما وسيطر على جميع مدن بلاد بابل وأصبحت حدود آشور الجنوبية تتمثل بمنطقة الخليج العربي[٧٨]،وأصبحت بلاد بابل آنذاك جزءا من الدولة الآشورية استمرت تحت سيطرتها مدة سبع سنوات حكم فيها حكام تابعين بشكل مباشر للدولة الآشورية هو الملك الذي لايضاهيه ولا يشابهه ولا ينافسه أي ملك من الملوك سيطر على جميع المدن فأصبح ملك الجهات الأربع ملك سومر وأكد وبقي إله بابل العظيم تحت الأسر الآشوري وكان بقائه هو الخلاف الحقيقي بين الدولتين[٧٩]

ثالثا:المراسلات الملكية بين بلاد بابل وآشور (١١٣٤-١١٢٥ق.م)

إنتهى حكم الملك أشور-دان الأول بوفاته عام ١١٣٤ق.م،بعد حكم دام حوالي ستة وأربعون عاما، خلفه إبنه "موتكل-نوسكو" ولم يكن توليه العرش بالأمر الهين، إذ شهدت البلاد حروب أهلية داخل القصر الملكي وحالة صراع كبير بينه وبين أخيه "توكلتي-ننورتا-آشور" الذي كان يشغل مركزا سياسيا مهما أثناء حياة والده، وأشارت اليه المراسلات الملكية مع الحثيين بصفته ملك يحمل لقب لوكال،ربما إنه مارس الحكم كملك على بلاد آشور مدة طويلة أثناء وجود والده بالنيابة عنه كونه مسن[٨٠]،يبدو إن توكلتي-ننورتا-آشور كان على علاقة طيبة مع بلاد بابل،وكان مقرب من والده فتمكن من إقناعه بإعادة تمثال الإله مردوخ الذي جلبه الملك "توكلتي-ننورتا الأول" كما ذكرنا سابقا فتمت إعادته في حياة الملك آشور-دان الأول[٨١]،الأمر الذي أغاظ أخاه "موتكل-ناسكو" المعارض لسياسة الصداقة مع ملوك بابل إنتهز فرصة وفاة والده فقام بسلب سلطة "توكلتي-ننورتا-آشور" في آشور وإبعاده بشكل قسري عن البلاد[٨٢]**((ننورتا-توكلتي-آشور،إبن آشور-دان، مارس الملوكية (خلال) مدة قصيرة غير محددة من الزمن،موتاكل-نوسكو أخوه حاربه، فساقه الى بابل،خلعه وإستولى موتاكل-نوسكو على العرش))**[٨٣]،خلفه إبنه "آشور-ريشا-إيشي" (١١٣٢-١١١٦ق.م) يعد أحد أبرز ملوك العصر الآشوري الوسيط تعرضت البلاد في عهده لهجمات عده من قبل بلاد بابل[٨٤]

كشفت مجموعة نسخ لكسر من رسالة ملكية من العصر البابلي الوسيط تم إعادة تدوينها في العصر الآشوري الحديث شكل العلاقات السياسية والدبلوماسية الغير ودية بين الدولتين بابل وآشور أواخر الألف الثاني قبل الميلاد التي تم تبادلها بين ملوك بابل وآشور وثقت الحرب التي نشبت بين الأخوين(١١٣٤ق.م)[٨٥] لم يتمكن الباحثون من معرفة إسم الملك البابلي المرسل لها وإسم الملك المستلم،بحسب ماورد في الرسالة انها أرسلت الى إبن الملك "آشور-دان الأول"يحتمل إنه الملك "موتاكل-نوسكو"[٨٦]رجح (لاندسبيركر) إن الملك البابلي المرسل هو الملك "ننورتا-نادين-شومي"[٨٧]،أما (برنكمان) يعتقد إن الملك البابلي المرسل هو نبوخذ نصر الأول مستندا بذلك على الأحداث التأريخية لحملتة العسكرية على مدينة(زانقو)الحصن الأشوري التي تقع على نهر الفرات ويذكر إنه قام بفرض حصار على المدينة أستمر سبعة أيام[٨٨]،أظهرت الرسائل قوة الملك البابلي الذي يحاور نظيره الآشوري

بعبارات السخرية والتقليل من شأنه((**أي من حولك يصدر أمرا مثل الملك /أي من حولك يقوم بإصدار الأوامر**))[٨٩] وعدم التزامه بالوعد لحظور الإجتماع المزمع عقده في المنطقة الحدوديه بين الدولتين[٩٠]،((**أي من حولك يصدر أمرا مثل الملك /أي من حولك يقوم بإصدار الأوامر**)) ولم تقتصر عبارات السخريه على الملك فحسب بل طالت شعبها أيضا((**رجال بلاد آشور هم مثل النساء**))[٩١]،وكشفت الرسائل كذلك عن رغبة الملك البابلي بالتدخل المباشر في الشأن الآشوري وإعتماد إسلوب التهديد مستغلا حالة الصراع الداخلي فيها،والعودة الى الإتفاقية السياسية التي عقدت بين الطرفين في عهد الملك ننورتا–نادن–شومي،من الواضح في النص أن الملك البابلي كان يستخدم إسلوب التهديد ويخاطب الملك الآشوري بصيغة غير مألوفه من قبل خلال المراسلات الملكية البابلية–الآشورية إذ يخاطبه ويتوعده إذا لم يلتزم الملك الآشوري الحالي بتعهداته لبلاد بابل فسوف يعيد الملك "ننورتا–توكلتي–أشور" الى حكم بلاد آشور[٩٢]،)وأخيرا بالرغم من ترجيح معظم الباحثين إن هذه الرسائل تمثل الملك نبوخذ نصر الأول و لا يخفى على أحد عدم تزامن حكمه مع الملك "موتاكل–نسكو" لكن الأمر لا يمنع مرافقة الأخير لوالده أثناء حكمه سيما وأن مدة حكم والده كانت قصيرة لاتتجاوز الست أعوام هذه من جهه،ومن جهه أخرى جميع الكتابات التي وصلت الينا دونت من وجهة نظر آشورية وقد نسبت الى الملك نبوخذ نصر الأول الأمر الذي يبقى كل ماتقدم تحتاج الى إكتشافات ودراسات لتبين حقيقة الأحداث التأريخية وشخصياتهم الحقيقية[٩٣]

رابعا: النشاطات العسكرية للملك نبوخذ نصر الأول على بلاد آشور.

على الصعيد الداخلي قام الملك نبوخذ نصر الأول بعدة حملات عسكرية على بلاد آشور يلاحظ إن الدراسات الآثارية والتأريخية تحدد زمن حدوثها بعد حملاته على بلاد عيلام وتعزو فرض سيطرته على كل من جهة الغرب وشمال بلاد الرافدين نتيجة إهتمامه الكبير بتأسيس جيش قوي وإعادة تنظيمة وبناء قوة عسكرية تتناسب مع حجم الأخطار للمرحلة التي عاشتها بلاد بابل أثناء السيطرة العيلامية، فضلا عن الرغبة الشعبية لخوض حروب التحرير وإستعادة هيبة وعظمة بابل مستغلين بذلك حالة الضعف السياسي والعسكري للدول المجاورة

لهم خصوصا بعد أعادة الإله مردوخ ،لكن إذا ماعدنا الى التأريخ التعاصري وقائمة الملوك البابلية نجد إن الملك نبوخذ نصر الأول كان معاصرا للملك الآشوري آشور . ريشا . ايشي الذي حكم في المدة (١١٣٢-١١١٦ ق.م) والمتوفي عام (١١١٦ق.م) وهو أحد أبرز ملوك العصر الآشوري الوسيط حمل على عاتقه إعادة هيبة آشور وجيشها وإعادة بلاد آشور الى الساحة السياسية بعد فترة من الضعف السياسي والعسكري[٩٤]،وخلفه في الحكم إبنه الملك تجلات بلاصر الأول (١١١٥-١٠٧٧ق.م)[٩٥]

وإن تأريخ وفاة الملك الآشوري يتعارض مع تواريخ حملات الملك نبوخذ نصر الأول على بلاد عيلام،إذ حدثت الحملة الأولى في عام ١١١٥ق.م والثانية وقعت عام ١١١٠ق.م وكلتا الحملتين تمت بعد وفاة الملك الآشوري "آشور- ريشا-ايشي"،الأمر الذي يؤكد إن حملاته الداخلية سبقت حملته على بلاد عيلام ولا علاقة للجيش البابلي الذي حقق إنتصارات على العيلاميين أن دفع الملك نبوخذ نصر الأول بعد ذلك للهجوم على بلاد آشور أو المناطق الغربية البلاد،يعتقد (برنكمان) ان تأريخ شن العمليات العسكرية على بلاد آشور كانت في السنة التاسعة من حكمه أو السنة التي قبلها[٩٦] ،تباينت أراء الباحثين حول الأحداث السياسية والعسكرية وشكل العلاقات الدبلوماسية التي ربطت بلاد بابل وآشور خلال حكم الملك نبوخذ نصر الأول سيما وانها إتسمت بالعدائية خلال عهد والده الملك "ننورتا-نادن-شومي.

١-الحملة العسكرية على مدينة زانقو الآشورية:

بتولي الملك الآشوري "آشور-ريشا-إيشي"ساد التوتر في العلاقات السياسية بين بلاد بابل وآشور إذ تعرضت بلاد آشور لهجمات بابلية متكررة للمناطق الحدودية التي تفصل مابين الدولتين فبعد هجمات الملك "ننورتا-نادن-شومي" ورغبته في مد نفوذه السياسي والعسكري نحو المدن الشمالية لبابل وعدم تمكنه من ذلك فقد تكررت تلك الهجمات العسكرية من قبل أبنه البكر "نبوخذ نصر الأول" إذ يبدو ان العلاقات بين الدولتين لم تتحسن وأستمر العداء بينهم فقد تعرضت آشور لهجمات بابلية ظهرت فيها بلاد بابل كقطب سياسي أقوى من بلاد آشور التي ظهرت بموقف الدفاع عن أراضيها والتغلب على بلاد بابل،تشير المصادر التأريخية أن الملك نبوخذ نصر الأول غزا بلاد آشور ثلاث مرات ولم يتم العثور على

تفاصيل الأحداث العسكرية للغزوه الأولى[٩٧]، تعرضت بلاد آشور لغارتين عسكريتين في السنة التاسعة من حكم الملك نبوخذ نصر الأول الذي إستغل حالة الضعف التي مرت بها أبان نهاية عهد الملك "آشور-ريشا-إيشي" فجهز حملة عسكرية لتوسيع حدود مملكته الشمالية على حساب المدن الآشورية ومد سيطرته على كل من مدينتي زانقو[٩٨] Zanqu" " "وأدو "Iduوبحسب ما أشارت اليه النصوص الآشورية الحديثة من نشاطات عسكرية لنبوخذ نصر الأول قيامه بمحاصرة قلعة زانقو الآشورية الحصينة الواقعة على الحدود الآشورية-البابلية وعندما علم الملك "آشور-ريشا-إيشي" بذلك قام بإضرام النيران في المعدات الحربية للجيش البابلي المحاصرة للمنطقة وفك الحصار عنها[٩٩] وإضطر الملك البابلي للإنسحاب من الموقع خوفا من ملاقاة ،وبذلك لم يحقق الملك نبوخذنصر الأول النصر على بلاد آشور ولكن محاولته للإستيلاء على المدن الآشورية تظهر مدى قوة بلاد بابل وملكها وجيشها آنذاك.

٢-الحملة العسكرية على مدينة أدو الآشورية.

أما الحملة العسكرية الثانية على آشور كانت على مدينة "Idu" الآشورية إذ قام الملك نبوخذ نصر الأول بإرسال سلاح العربات الحربية وفرقة مشاة عسكرية بابلية بإتجاه المدينة وصلت أخبار الحملة العسكرية للملك "اشور-ريشا-إيشي" فخرج مصطحبا معه فرقة مماثلة لملاقاة البابليين ومنعهم من دخولها إستطاع أن يهزم الجيش البابلي والسيطرة على المعسكر البابلي بأكملة والإستيلاء على أربعين عربة حربية وأسر قائد الحملة البابلية،يذكر إن الملكين البابلي والآشوري كانا ملتزمين بمعاهدة سلام ربما تمت بفترة من العلاقات الجيدة بين الدولتين،الإ أن الملك البابلي لم يلتزم ببنود تلك المعاهدة فشن غاراته المتكررة على المدن الحدوية الآشورية[١٠٠]

بالرغم من القوة التي تمتعت بها بلاد بابل آنذاك إلا إنها لم تتمكن من أحراز الانتصارات على بلاد آشور التي تمكنت من التغلب على البابليين وإن كانت دائما بموقف دفاعي وليس توسعي[١٠١]،إن معظم الأحداث العسكرية التي قام بها الملك نبوخذ نصر الأول وصلتنا مكتوبة من وجهة نظر آشورية بحته بالرغم من إحترامهم الشديد لشخص الملك نبوخذ نصر الأول وتصويره بأفضل صورة إلا إنهم كانوا يحرصون وبصورة دائمة على إظهار قوة ملوكهم

وتحقيق الإنتصارات على بلاد بابل فضلا عن الغنائم الكبيرة التي كانوا يحصلون فعلى سبيل المثال حصول الملك "اشور- ريشا-إيشي" على أربعين عربة حربية بابلية في غارة صغيرة تعد مكسب كبير للآشوريين،لقد تمكن ملوك آشور خلال العصر الآشوري الوسيط من إحراز انتصارات كبيرة تكللت بحصولهم على الكثير من النفائس البابلية وفي مقدمتها تمثال إلههم القومي مردوخ فضلا عن توسع حدود بلادهم نحو الجنوب والجنوب الغربي وتلقب ملوكهم بلقب ملك بابل وملك سومر وأكد(١٠٢)

خامسا: النشاطات العسكرية للملك نبوخذ نصر الأول في بلاد عيلام:

١-الحملة العسكرية الأولى على بلاد عيلام:

عاشت منطقة الشرق الأدنى القديم خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد صراعات وحروب وفترات إحتلال شرسة وتغيرات سياسية وإقتصادية، ففي بلاد الرافدين تصدت بلاد آشور للهجمات العيلامية والآرامية،رافق ذلك تغيير الوضع السياسي لبلاد بابل بعد نهاية سلالة بابل الثالثة وزوال الحكم الكاشي على يد العيلاميين وحالة الفراغ السياسي التي عانت منه البلاد لفترة من الزمن في الوقت الذي كانت بلاد عيلام تعيش حالة من الإزدهار السياسي مكنها من فرض هيمنتها على بلاد بابل وبعض المدن الحدودية لبلاد آشور وبالرغم من تعرض البلاد للغزوات العيلامية المستمرة إلا إن نفوذها لم يتعدى حدود المملكتين،انتهز الملك نبوخذ نصر الأول حالة التفكك والفوضى السياسية في بلاد عيلام من جهة ورغبة عارمه منه بأخذ الثأر منتقما لبلاده وشعبه،كان المجتمع البابلي آنذاك بأمس الحاجة الى بطل محارب يعيد هيبة البلاد وقوتها من خلال توجيه ضربة قاضية تطيح بالعدو ويرجع الإمور الى نصابها الحقيقي،فمنذ أن تسلم الحكم وهو يخطط لتخليص البلاد من خطر العيلاميين وإعادة تمثال الإله مردوخ الى بابل وإيمانا منه بالعمل في قضية إصلاح مجتمع أثقل كاهله الإحتلال الأجنبي لبلاده والبعد النفسي الكبير الذي عانوا منه في سنوات غياب الههم القومي(١٠٣)

بلاد بابل عام ١١١٥ق.م:

في حدود عام ١١١٥ ق.م جهز الملك نبوخذ نصر الأول حملة عسكرية لمحاربة العيلاميين في عقر دارهم لإرتكابهم جرائم شنيعة يذكرها في كتاباته المسمارية بألم وحزن شديد(١٠٤)

((الشياطين الشريرة عديمة الرحمة ملأت الأرض ودنست أماكن العبادة، العيلامي الشرير دمر البلاد،أصبحت الأرض مقفرة وحمل معه الآله مردوخ ،كبير الآلهه وحول مراكز العبادة الى أنقاض))

تمكن من الهجوم على عيلام فسلك طريق مدينة الدير (دور-آنو) الواقعة بالقرب من مدينة بدرة الحالية ويصفها في كتاباتة التي وثق من خلالها تفاصيل حملته بأنه أقتحم الاراضي العيلامية ووصل بجيشه عند منابع أحد فروع نهر الكرخا المسمى أوقنو (uqnû) لملاقات العدو لكن بسبب الضروف السيئه التي عاقت تقدمهم وتفشي الوباء (مرض الطاعون) بين صفوف الجيش البابلي وتقدم الملك العيلامي وقواته العسكرية نحوهم(١٠٥) أضطر الملك للإنسحاب بجيشه مسرعا من أرض المعركة خوفا من خسائر محتملة قد تفقدهم حياتهم متوجها الى مدينة (كار- دور-آبل -سين) التي تسكنها قبيلة (بيت كرزيابكو) يبدو إن الانسحاب السريع من داخل الأراضي العيلامية جعل الملك (خولتيلوديش-انشوشناك) Ḫulteludiš – Inšušinak (١١٢٠. ١١١٠ق. م) يظن أن نبوخذ نصرالأول قد فر من أرض المعركة خوفاً منه ،ويشير النص المسماري الى أنسحاب إضطراري آخر للملك نبوخذ نصر الأول وجنوده من مدينة (كار- دور-آبل -سين) بسبب ملاحقة الجيش العيلامي لهم،وبالنتيجة باءت الحملة العسكرية بالفشل فأصيب نبوخذ نصر الأول بحالة حزن كبير(١٠٦)،والملفت إن تفاصيل هذه الحملة قد دونت في قفا نفس النص المسماري الذي سجل تفاصيل الصراعات الكاشية العيلامية التي وقعت في عهد الملك زبابا-شوما-إيدنا وخليفته إنليل-نادن-آخي والتي ذكرت آنفا،مضمون النص المسماري وصف أحداث المعركة بأسلوب تأريخي -أدبي ودون باللغة الأكدية(١٠٧)،وكما ترجمه (تدمر)

((كنت قلقا، متضايق، ومضطرب،أحدث نفسي،[لا أريد أن أكون مثل] من سبقني الذي وثب في عيلام، أريد أن أموت في هذا اليوم بالذات وأنا أقاتل في المعركة،[لن أتجنب]

مقاتلته ولن أتراجع وأنسحب، وقفت مع الجيش بإنتظار ملاقاة العدو عند منبع نهر أوقنو (uqnû) ولم أتراجع، الإله إيرا،الإله العظيم،أهلك محاربي،أصاب [الجيش!] الوهن،وأصاب جموع خيولي، (ظن العدو) كنت خائفا من الموت ،لم أتقدم للقتال (بل) تراجعت الى الخلف، أنسحبت مسرعا مذهولا الى بلدة كار-دور-آبل-سين وعندما تقدم (الملك) العيلامي إنسحبت من أمامه [أرقد على] فراش الإكتئاب والحسرة أدعو وأصلي،لاتفتحوا أقفال الابواب فيدخل العدو بشره،ودعوت أن يطمئن قلب الآله إنليل وتهدء عواطفه) [١٠٨]

بسبب التلف الكبير في العلامات المسمارية نتيجة الكسر الشديد الذي تعرض له النص ضاعت الكثير من العبارات لذا أصبح من الصعب جداً معرفة الأحداث التأريخية التي جرت في أرض المعركة آنذاك،كذلك يوجد فارق زمني يفصل المعارك التي دارت بين الكاشيين والدولة العيلامية وسقوط البلاد تحت حكمهم وبين تولي الملك نبوخذ نصر الأول الحكم لكن النص المسماري تضمن أحداث الحملتين العيلامية والبابلية على الأغلب قيام نبوخذ نصر الأول بتوثيق الأحداث التي أثقلت قلبه وبلاده بالهم والحزن جراء ما أقترفته بلاد عيلام بحقهم،فضلا عن التهديدات المستمرة من قبل العيلاميين للمناطق الحدودية الواقعة شرق نهر دجلة وغيرها من الأسباب التي دفعته للقتال وتوثيق جميع الأحداث بإسلوب أدبي-تأريخي.

٢-توسلات نبوخد نصر الأول والتوكيل الإلهي:

لم يتوقف العيلاميون من تهديداتهم المستمرة للمناطق الحدودية الأمر الذي شكل خطرا حقيقي على بلاد بابل وشعبها وبإخفاق الحملة العسكرية الأولى للملك نبوخذ نصر الأول على بلاد عيلام لم يتوقع العيلاميون أي هجوم آخر للبابليين، لكن بالمقابل يبدو إن الملك البابلي إزداد إصرارا وعزيمة لتخليص بلاده من خطرهم وشرورهم.

أ- تفويض الإله مردوخ:

كان الملك نبوخذ نصر الأول يصلي ويطلب من الإله مردوخ وبشكل يومي أن يعود الى أرضه بابل المحببه اليه ومقر عرشه في الإيساكيلا،لقد كان يتضرع وينتحب كي يرق قلبه عليه وعلى بلاده وشعبه فبرحيل الإله القومي لبابل فقدت هيبتها وقوتها وخيراتها كان نبوخذنصر الأول يصف حالة الحزن العميق الذي يصارعه هو وبلاده وقد وثقت تلك الأحداث في نص مسماري يعود للملك نبوخذ نصر الأول وصل الينا من خلال كسرة تعود

لنسخة من العهد الآشوري الحديث تمثل نص ذو مضمون أدبي-تأريخي مكتوب باللغة الأكدية يصف فيه كيف أستمع الإله مردوخ الى صلواته وأمر بإعادته من بلاد عيلام الى مدينته بابل[١٠٩] :((**يسكن نبوخذ نصر [الملك] في بابل متوثبا كان يزأر كالأسد،ويزمجر كالرعد مثل الإله أدد،يخيف الملوك، وكان رجاله العظماء اللامعون يزأرون مثل الأسود ،[صلاته] دعائه يذهب الى الإله مردوخ سيد بابل،يا الهي [مردوخ] إرحمني عند اليأس وعند الأفراح،إرحم من هو حزين ومكتئب وهو يصلي لك، إرحم أرضي التي تنوح وتبكي،إرحم شعبي الذين يندب ويبكي،يا سيد بابل الى متى ستبقى ساكن في بلد العدو؟،نطلب منك ونرجوك أن تتذكر بابل الجميلة ،التفت بوجهك اليها مرة أخرى ونحو الإيساكيلا**))

فتحقق ما كان يصبو اليه وصل دعائه الى الإله مردوخ فقد حصل على مساندته ووصل اليه الدعم الآلهي وأرسل الإله اليه حسن الحظ والفأل الحسن في حربه ضد العيلاميين،وأمره أن يلتزم بتعليماته وأن يصطحبه من بلاد عيلام ويرجعه الى بابل لقد مكن الإله مردوخ الملك نبوخذ نصر الأول من تحقيق النصر المؤزر على أعدائه والإستيلاء على بلادهم ومقدساتهم وجلب الغنائم الى مدينته بابل [١١٠]

((سمع سيد بابل دعاء نبوخذ نصر[وأستجاب له] وأنزل اليه أمره الآلهي من السماء ،لقد القيت عليك كلماتي [الأوامر الواعدة بالنصر] أرسلت اليك حسن الحظ [بدعم] مني،عليك الهجوم على بلاد الآموريين ،[ثم] خذني من بلاد عيلام دعني [أذهب] الى بابل،[..... سيد بابل] سأعطيتك كل بلاد عيلام سأرفع [ملكك] في كل مكان))

لم يتوقف نبوخذ نصر الأول عن التضرع والتوسل للإله مردوخ فكان يصف نفسه بالخادم والمتعبد المتواضع والمطيع دوما لإوامر الهه فلم يغمض له جفن ولم يستقر بسبب حزنه الشديد على مغادرة الههم الرئيس كان الحاحه في تقديم الصلوات هو كي ينال رضى الإله مردوخ وكان حجم الطلب بقدر حجم المعاناة التي عاشها هذا الملك وما جرى ببلاد بابل إذ علق البابليون جميع المعانات والظروف السياسية والعسكرية وحالة التأهب التام لخوض معركة شرسة وحاسمة على سخط الإله مردوخ عليهم وعدم رضاه عن بابل فقرر هجرها

وبقائه في بلاد عيلام لكنه أستمع لتوسلات الملك وأشفق عليه وعلى بلاده وأخيرا قرر العودة الى بابل(١١١)

(([(.....)] خادم الإله الذي يقدسه،المتعبد المطيع،المهتم بشكل دائم بمظهر الإله مردوخ،لم يتوقف عن الصلاة حتى جعله (مردوخ) ينال رغبة قلبه،لطالما نظرت الى شموخه،ولطالما حزن القلب لقد أصابني الحزن بشكل يومي وبشكل غير متناه فلم يغادر [الحزن] جسدي،ولم أحصل على قسط كاف من النوم في جوف الليل الجميل،كانت توسلاتي الحزينة،وصلواتي المتحمسة وتضرعي ،كنت أتوسل [للإله مردوخ] بكل تواضع،وصلاتي اليه بشكل يومي،بقلبه السخي أشفق [الإله مردوخ] وعاد الى المدينة المقدسة [بابل]))

ب-تفويض الإله شمش :

تشير الكتابات المسمارية الى توسل الملك نبوخذ نصر الأول المستمرة الى اله الشمس (شمش) وتقديم الصلوات والدعوات بإلحاح وبشكل متكرر لطلب المساندة والعون الإلهي لتحقيق النصر على العيلاميين وهزيمة ملكهم،فقد عثر على كسرة لنص ملكي ذو مضمون تأريخي-أدبي لم يشير الى إسم الملك الذي يعود اليه النص وقد ينسبه الباحثون للملك نبوخذ نصر الأول لإن محتواه مماثل للأحداث السياسية والعسكرية والتأريخية التي سجلت في عهده ومضمون يصف ملكا على بابل قبل الإله شمش حاكما على بابل وأمره بالهجوم على بلاد عيلام والإستحواذ على خيراتها(١١٢)

((الذي يدير [جميع] مناطق [العالم] بشكل صحيح ،[الإله] الذي لا يتعب يراقب كل من في السماء والعالم السفلي،السيد [الإله] الذي شعاع نوره يغطي الجبال والبحر،وبريقه المذهل يغطي العالم الواسع،النبيل الذي تنصت آلهة الإيجيجو الى كلماته،وعند إصدار أوامره تخاف منه آلهة الآنوناكي ويركعون له،الساكن في الإيببار،في ذلك الوقت،من نسل ملكي،من سلالة متوارثة ومستمرة،سليل شوانا ((مدينة بابل)) الملك الحكيم،الموقر،المتعبد،الذي جعل الإله شمش قلبه سعيد،لأن الملك كان يتوسل بإستمرار الى الإله شمش ،نور الآلهة،بسبب دعائه وصلاته،نظر له [اله الشمس]بسعادة،ومنحه

ملوكية جميع الناس [و] وجميع مناطق العالم،أمره بنهب بلاد عيلام [.....] تم جلبه الى بلاد عيلام،لقد تراجع و الحق به الهزيمة))

ثانيا:الحملة العسكرية الثانية على بلاد عيلام:

٣- الحملة العسكرية الثانية على بلاد عيلام:

بلاد بابل عام ١١١٠ ق.م :

أخذ الملك نبوخذ نصر الأول يستجمع قواه للقيام بحملة عسكرية ثانية لتحرير تلك الآراضي من الخطر العيلامي(١١٣)،وهب شعب بابل إستعدادا معه لمعركة جديدة فجمعوا العربات الحربية من جميع مدن بلاد بابل والقرى الحدودية الواقعة عند الحدود الشرقيةالمحاذية لمدينة الدير والمتاخمة للأراضي العيلامية التي تسكنها قبيلة "بيت كرزيابكو" وهي إحدى أكبر القبائل الجزرية ذات الأصول الآرامية التي إستوطنت المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر دجلة وتمثل منطقة الأهواز حاليا،وقد التحقوا رجالها بالجيش البابلي وعلى رأسهم شيخ القبيلة (شتي- مردوخ)الذي لبى نداء الملك لمحاربة العيلاميين(١١٤)

انظم الى صفوف الجيش البابلي معارضين للحكم العيلامي لجأوا الى الملك نبوخذ نصر الأول هربا من سلطتهم الحاكمة طلبا للجوء في بلاد بابل فأكرمهم الملك وأحسن مثواهم وقد وردت أشارة من حجرة حدود دونت في لوح حجري تعود للملك نبوخذ نصر الأول مضمونها منحة ملكية لكاهني معبد(الاله ريا) أحد الهة بلاد عيلام[١١٥] ويقع في مدينة دن-شاري العيلامية طلبوا اللجوء في بلاد بابل وكانا سببا في خروج الملك بحملته العسكرية على بلاد عيلام وبعد تحقيق النصر البابلي بمساعدتهم قام الملك بمنحهم قطعة أرض وعقارات وهي منحة ملكية معفاة من الضرائب وأي التزام قانوني يذكر اللوح التفاصيل الكاملة للمنحة لكن مايهمنا ان التعاون كان من ضمن الحملة الثانية للملك على بلاد عيلام وليست حملة منفصلة عنها وإن الكاهنين كانا أحد أسبابها، وكما ورد في النص الآتي(١١٦) : **((الملك نبوخذ نصر ،قاد الحملة من أجلهما ،وذهبا معه الى بلاد عيلام،و أسقط بلاد عيلام))**

تقدم الملك بقواته العسكرية معلنا هجومه المباغت على بلاد عيلام في شهر تموز الذي يعد أشد أشهر السنة حرارة وجفاف ،أنطلقت الحملة العسكرية بالقرب من مدينة تل الدير نحو

بلاد العدو وواجهت الجيش البابلي آنذاك صعوبات جمه بسبب إرتفاع درجات الحرارة وقلة المياه لكن ذلك لم يعيقهم من التوغل داخل عمق الأراضي العيلامية ولمسافة تزيد على حوالي ثلاثمائة كيلومتر قبل أن يشتبك بالجيش العيلامي(١١٧)

((فمن مدينة الدير، مدينة الإله آنو شن هجومه لمسافة ثلاثين ميلاً مضاعفاً وكانت حملته في شهر تموز،عندما كانت الفؤوس تلتهب كالنار (بأيدي الجنود) والطريق يتوهج كألسنة اللهب،وقد نضبت مياه الآبار وانقطعت مياه الشرب، حتى كادت تخور قوى أشد الخيول، وتتراخى أرجل أقوى الأبطال))

وبالرغم من الظروف المناخية الصعبة وجميع ما ألم بالجيش لكن ذلك لم يثن من عزم الملك نبوخذ نصر الأول وجيشه المقدام فواصلوا سيرهم نحو أرض المعركة،أما قائد العربات الحربية للجناح الأيمن (رتي- مردوخ) فقد كان ينتظر اللحظة الحاسمة للقتال مع سيده وللإيعاز لجنوده وقواته الحربية للإشتباك مع العدو في أرض المعركة التي تقع على ضفاف نهر أولاي Ulaiu(الكرخة) وهو ينبع من جبال بشتكوه الغربية،ويقطع المنطقة الجبلية ثم يدخل سهل الأهواز ويصب في هور الحويزة داخل الأراضي العراقية،وعرف نهر أولاي عند البابليين بإسم " اوقنو " أي اللازورد ،سارت أحداث المعركة وفق ماخطط اليه الملك نبوخذ نصر الأول التقى الجيش البابلي بالجيش العيلامي بقيادة ملكهم "خوليتلوديش" إشتبك الجيشان في حرب ضروس فقد وصل الحد بالمقاتل البابلي عدم إمكانية رؤية رفيقه البابلي الذي بجانبه(١١٨)

((ثم أسرع الملك الشجاع فوصل الى ضفة نهر أولاي، واتخذ كلا الملكين موقعيهما [في أرض المعركة] ثم اشتبكا في معركة(ضارية)،كانت النيران تندلع (لهولها من بينهم)،ثم أظلم " وجه " الشمس بغبار معركتهم ، فكأن الزوابع كانت تهب والعواصف تهيج، ووسط عاصفة معركتهم (الضارية هذه)،لم يعد بإمكان المقاتل في المعركةأن يرى رفيقه الذي كان الى جانبه))

أوعز الملك نبوخذ نصر الأول لقائد العربات الحربية"شتي- مردوخ " للإنطلاق بقواته الى ساحة المعركة فاستجاب لنداء سيده وإستطاع أن يتوغل في العمق ويشق صفوف الجيش العيلامي،لقد تمكن الجيش البابلي من تحقيق النصر على العيلاميين أما الملك العيلامي فقد هرب من أرض المعركة(**هرب واختفى الى الأبد**)، حقق الملك نبوخذ نصر

الأول النصر على العيلاميين وخضعت بلادهم تحت سيطرته،حرر بلاد بابل وخلصها من إعتداءاتهم المتكررة،وعاد اليها محملا بالغنائم كان هدف الحملة العسكرية هو تحرير الإله مردوخ وإعادته الى أرضه وقد تم ذلك، كما وجلب معه تمثال الإله(ريا)[١١٩] ثمن الملك نبوخذ نصر الأول الجهود التي بذلها شيخ قبيلة كرزيابكو" شتي-مردوك "وموقفه البطولي في المعركة ، لذلك أمر بتكريمه ومنحه الاقطاعات والامتيازات[١٢٠] ،والتي أشير إليها في الوثيقة المعروفة ((بوثيقة النصر)) وهي الوثيقة الرسمية التي وثقت تفاصيل حملة الملك نبوخذ نصر الأول على بلاد عيلام ووقائع تلك المعركة،ودون فيها الإمتيازات من الإقطاعات مكافئة لقائد العربات للجناح الأيمن تثمينا لموقفه البطولي المشرف ،وقد نشرت القراءة الأولى لنص حجرة الحدود كانت عام ١٩١٢،أما القراءة الأخيرة والمعتمدة نشرت عام ١٩٩٦،تم العثور على حجرة الحدود في مدينة سبار أو بالقرب منها عام ١٨٨٢م،وتعد من أروع الملاحم الشعرية الوصفية الممتعة ذات الإسلوب الأدبي الرائع ،تألف النص المدون على حجرة الحدود من ١٢٠ سطر جاء في عمودين طويلين كل عمود يضم ستون سطرا،وقسم النص الى أربعة أقسام،تضمن القسم الأول الأسطر (١-٤٣) وشمل تفاصيل الحملة العسكرية،أما القسم الثاني المتألف من الأسطر (٤٤-٦٠) من العمود الأول و الأسطر (١-١٢) من العمود الثاني وقد تضمن المكانة التي إحتلها القائد "شتي مردوخ " والإمتيازات التي حصل عليها،أما القسم الثالث فقد تضمن الأسطر (١٣-٢٥) من العمود الثاني وقد إشتمل على قائمة بأسماء الأشخاص الذين حضروا إعلان الوثيقة والبالغ عددهم ثلاثة عشر شاهداً فضلاً عن اسم كاتب النص،بينما تألف القسم الرابع والأخير من الأسطر (٢٦-٦٠) من العمود الثاني تضمن دعاء للآلهة العظمى بإنزال أسوء العقوبات واللعنات والحاق الأذي بكل من يحاول تحريف أوتخريب وكسر الوثيقة[١٢١]،تضمن العمود الأول من النص بطاقة تعريفيه بإسم الملك نبوخذ نصر الأول وصفاته وألقابه وبعضا من إنجازاته ضد بعض القبائل والأقوام الذين شكلوا خطرا وتهديدا لإمن وسلامة بلاد بابل كالآموريين والكاشيين،فضلا عن تفاصيل دقيقة للحملة العسكرية وكل ما أشتملت عليه سطور في وثيقة النصر وبالإعتماد على أحدث قراءة وترجمة لما ورد فيها وكالآتي[١٢٢]:

((عندما نبوخذ نصر، الأمير المتعبد، نسل بابل، بطل الملوك،الأمير المحارب، الوصي على بابل، شمس كل البلدان، الذي أنعش ناسه (شعبه) الذي يحمي الحدود ويصون التخوم،الملك المكين الذي يصدر قرارات العدالة، البطل المحاربالذي كرس قوته للقتال، الذي يحمل قوس مرعباً،الذي لا يخشى القتال،قاهر بلاد اللولوبويين القوية بسلاحه ،هازم بلاد ألاموريين وسالب الكاشيين،البارز بين الملوك،الأمير المحبوب للإله مردوخ، كبير الآلهة، فوضه الإله مردوخ فرفع سلاحه لينتقم لبلاد أكد،من مدينة الدير مركز عبادة الإله آنو قطع مسافة ثلاثين فرسخاً في شهر تموز،شرع في حملة حربية، تصاعدت خلالها الحرارة كالهيب، وتوهجت المسالك كاللظى، لم يكن هناك ماء في المناطق التي كانت فائضة بالمياه، وجفت مواضع الشرب ،لقد كلت أفضل الخيول ،وتراخت سيقان أقوى المحاربين، الملك البارز، يسيروالآلهة سائرة معه، يتقدم نبوخذ نصر الذي لا مثيل له لم يخشى المشاق،فيحث الخطى،شتي-مردوخ رئيس قبيلة بيت كرزيابكو، الذي كانت عرباته مرابطة على الجناح الأيمن من سيده الملك، لم يتلكأ بل حافظ على عرباته جاهزة ولم يخشى القتال،أسرع الملك إلى ضفة نهر أولايا،تقابل الملكان واشتبكا في القتال،استمرت المعركة فيما بينها،وأظلم وجه الشمس بالغبار، هبت العواصف الترابية، واكتسحت ما حولها،في عاصفة قتالهما لم يكن المحارب في العربة يرى الآخر،شتي-مردوخ ،رئيس قبيلة بيت كرزيابكو، الذي ترابط عرباته إلى يمين الملك،لم يتلكأ بل حافظ على عرباته جاهزة ولم يخشى القتال،نزل ضد الأعداء، اخترق صفوفهم، بأمر الآلهة عشتار والإله أدد، والآلهة أرباب القتال، جبرت الملك خلتيلودش ((Ḫulteludiš))،ملك عيلام على الفرار اختفى، وهكذا وفق نبوخذ نصر بظفر،واستولى على بلاد عيلام فأخذ ثرواتها))

تلقت بلاد عيلام هزيمة كبرى عام ١١١٠ق.م،وظلت ذكرى هذه المعركة عالقة في الأذهان وحكايات إنتصارات الملك نبوخذ نصر الأول يترددها الأجيال على مر العصور واستخدم العرافون تأريخ حدوثها فأل حسن لبلاد بابل وقالوا **((بأن ذروة الماضي هو تدمير الملك نبوخذ نصر لبلاد عيلام))** ، وأستمر الصراع بين المملكتين بشكل متقطع ولسنوات عديدة[١٢٣] ،وبإنتهاء عهد الملك العظيم صانع الإنتصارات نبوخذ نصر الأول شهدت العلاقات البابلية العيلامية ركوداً بسبب الأوضاع الداخلية لبلاد عيلام فقد عانوا من سيطرة

الميديون على البلاد،أما بلاد بابل فدخلت في نزاعات شديدة وحروب مع الدولة الآشورية[١٢٤] ،وبعد تحقيق النصر العظيم على بلاد عيلام يظهر الملك نبوخذ نصر الأول وهو يمجد الإله العظيم الذي سانده ووقف الى جانبه في ساحات القتال للقضاء على أعدائه وتحقيق النصر المؤزر عليهم ،فقد عثر على نقش مكتوب باللغة الأكدية على فأس من البرونز يوثق صلاة الشكر للإله مردوخ[١٢٥]**((يا الهي مردوخ ،أنت قادر على إنقاذ الرجل المتعبد، والملتزم في خدمة مقدساتك أن يقف منتصرا على أعدائه،نسيمك العطر هب علي ومكنني من إسقاط أعدائي، عززت أسلحتي حتى تغلبت على أعدائي، أنا نبوخذ نصر ملك العالم))**

وفي إشارة لتمجيد الملك نبوخذ نصر الأول للإلهين العظيمين مردوخ وأدد لمساندتهم ووقوفهم الى جانبة في مقارعة العيلاميين وتحقيق النصر عليهم وكما ورد في النص التالي[١٢٦]

((الى الإله مردوخ بطل جميع الآلهة،الذي لا يساويه أحد، نبوخذ نصر الأمير المتعبد،....صلاته وتضرعه .....،الراعي المخلص،الذي يدير جميع الأماكن المقدسة،الملك العادل،ملك بابل ....،وإلى الإله أدد السيد القوي الأول،الملك،سيدي،بطل المعركة،صوته مدوي سيد "آنو-ماخ" الذي نصرني وساندني على أعدائي، ..... من بلاد سومر وأكد .... لإنه في ساحة المعركة نصرني وكان ذراعي، الإله العظيم الذي وقف الى جانبي، .... بأسلحته .... نبوخذ نصر في ساحة القتال ...))

سادسا:أعمال الملك نبوخذ نصر الأول في بلاد بابل :

كانت للملك نبوخذ نصر الأول بعض الأنشطة العسكرية في مناطق مختلفة ومنها مناطق غرب الفرات فتشير الكتابات المسمارية لبعض الإنشطة بإتجاه سوريا فقد إستلم أمر إلهي من ملك الآلهة مردوخ وهو يأمره بتوجيه ضربة عسكريه ضد الآموريين قبل أن يتوجه لمحاربة العيلاميين رغبة منه في فرض سيطرته المباشرة وتأمين حدود بلاده الغربية قبل أن يصل الى مدينته المقدسة بابل وكما ورد في النص المسماري[١٢٧]

((لقد أمرتك و أصدرت تعليماتي وأرسلت اليك حسن الحظ وبدعم مني ، عليك مهاجمة أرض آمورو، إستمع الى الأوامر))

وفي إشارة نادرة ومميزة من عهد سلالة إيسن الثانية وتحديد من مدة حكم الملك نبوخذنصر الأول الى محاربة الكاشيين وقهرهم وسلبهم أراضيهم إذ لم ترد لهم أي إشارة أخرى بعد نهاية حكمهم في بلاد بابل((**سالب الكاشيين**))،يبدو إن للملك نبوخذ نصر الأول مناوشات في سفوح المرتفعات الواقعة ضمن الجهة الشمالية الشرقية لبلاد بابل والمتمثلة بمحاربة اللولوبيون وعلى الرغم من عدم وجود وثائق مسمارية مدونه تسجل الأحداث التي جرت بين الطرفين وعدم معرفتنا هل أحكم الملك البابلي سيطرته المباشرة على كل من الجهات الشرقية والغربية لبلاد بابل وإنجازاته العظيمة التي حققها بوجود جيشه الباسل،لكن للأسف لم يرنا سوى شذرات مختصرة عن تلك العمليات العسكرية وكانت في حجرة الحدود التي ذكر فيها نبوخذ نصر الأول جميع أعمالة العسكرية داخل وخارج البلاد وكما ورد فيها بالعبارة ((**قاهر بلاد اللولوبويين القوية بسلاحه**)) فحاربهم وأنتصر عليهم بسيفة العظيم وأسلحته المجهزة من قبل إلهه العظيم مردوخ ، تميزت هذه الفترة بنشاط قوي وخطر محدق على كل من بلاد بابل وآشور فقد تزامنت حروب الدولتين البابلية بقيادته وبلاد آشور في عهد كل من الملكين "آشور-ريشا-أيشي" و "تجلاتبلاصر الأول "[١٢٨]

ومن خلال ما ورد في المدونات الخاصة بالملك نبوخذ نصر الأول نجده نهج على طريق من سبقه من الملوك البابليين في الحفاظ على التقاليد البابلية وإظهار الجانب الديني فصور نفسه بالأمير العابد الناسك المطيع لأوامر الآلهة والمحافظ على حدود بلاده من الخطر الخارجي والمحرر الأرض من العدو العيلامي والمنقذ للشعب البابلي الذي ساانده في جميع معاركه الحربية وفي مختلف الجبهات ، وأجمل ما شهدته بلاد بابل أثناء حكمه لها هو عودة الإله مردوخ من منفاه في بلاد عيلام وسط إحتفال مهيب وعندها تمت ترقية الإله مردوخ لسيادة مجمع الآلهة البابلية وعودة جميع الآلهة اليها بعد أن أمرهم مردوخ بالتخلي عنها فعادت البركة وحل عليها السلام .

الى جانب الأعمال العسكرية والسياسية التي إشتهر بها الملك نبوخذ نصر الأول داخل وخارج البلاد فقد ترك بصمة مميزة في مناطق واسعة من بلاد بابل بإعتباره الملك المنتصر الذي جعل حدود دولته تمتد من بلاد عيلام شرقا وحتى مدينة هيت على نهر الفرات غربا

ومن أوبيس ونامار شمالا وحتى أور جنوبا ،فقد قام بجملة أعمال إدارية وعمرانية مهمه وفي مقدمتها قيامه بإعادة إعمار معبد الإله أدد في مدينة بابل(١٢٩).

أما في مدينة نفر فقام بإعادة إعمار معبد الإله إنليل وقدم له الأضاحي والقرابين والهدايا،فقد عثر على آجرة في مدينة نفر مدون عليها باللغة السومرية إسم الملك نبوخذ نصر الأول وجاء فيها(١٣٠)

((إلى الإله إنليل سيد الأرض، خادمه نبوخذ نصر الأمير العابد، صنع آجرا مفخورا وبنى أساساتو-ماخ))

كانت له بصمة في مدينة أور فقد قدم وعائين من الذهب الأحمر وسلتين من القصب وأنواع المعادن الثمينة الى معبد الإله" ننا" وعين إبنته كاهنة عظمى فيه فقد وضع نصب تذكاري صور فيه الزي الإحتفالي الخاص بالكاهنة العليا وذكر فيه واجباتها وطقوسها وعندما عثر على هذا النصب في عهد الملك الكلدي نبونائيد من العصر البابلي الحديث قام بإحياء تلك الممارسات الدينية القديمة والمتوارثة عبر الأجيال إذ كان الملك نبوخذ نصر الأول خير قدوه يحتذى به عبر الأجيال وظل ذكره على مر العصور المختلفه(١٣١)

أما في جهات شرق نهر دجلة وتحديدا في منطقة" نامار" فتشير أحجار الحدود " الكودورو" للإعفاءات الضريبية لرئيس قبيلة المنطقة هناك لدوره الفعال هو ورجال قبيلته في مساندة الملك البابلي في مقارعة العيلاميين والإنتصار عليهم (كما مر بنا سابقا)، فضلا عن المنح الملكية والمتمثلة في عطايا الملك للكاهنين العيلاميين وإعفائهم من بعض الضرائب ،كذلك عثر على نصيين إقتصاديين يتضمنان مادة الحبوب وقد أرخ الأول بالسنة الثامنة من عهده والنص الثاني أرخ بالسنة الحادية عشر من حكمه بلاد بابل(١٣٢)

سابعا:دور الإله مردوخ في حياة الملك نبوخذ نصر الأول:

١-الإله مردوخ:

ظهر اسمه كإله معبود منذ عصر ميسلم بحوالي ٢٦٠٠ ق.م،وعرف بالسومرية « ^{d}AMAR.UTU» بمعنى « عجل اله الشمس »، ويقابله بلأكدية (Marduk) وباللغة البابلية (مار- دوكو) اي بمعنى ابن الاله « دوكو » ودوكو هو « التل المقدس » للدلالة على مجلس الآلهة،هو ابن الاله إنكي بينما معنى إسمه يدل على إرتباطه بالاله شمش اكثر

من الاله إنكي ، زوجتة هي صربانيتم وإبنه الإله نابو إله المعرفة والكتابة والعلم[١٣٣]،عد مردوخ اله مدينة بابل الرئيس وارتبط اسمه بها منذ عصر سلالة اور الثالثة ٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق. م ، ولهذا السبب اعتبرت قصة الخليقة البابلية الاله مردوخ هو من قام بخلق الانسان وهو الذي قرر قيامه بالعمل الذي كانت تقوم بأدائه الالهة قبل خلقه . ومنذ عام ١٤٠٠ ق ٠م انتقلت الطقوس الخاصة بعبادته الى بلاد اشور، فأصبح منذ ذلك الحين منافسا قويا للإله آشور في مركز عبادته المتمثلة بمدينة آشور نفسها[١٣٤]،بالرغم من التغيرات السياسية التي حدثت على مر العصور التأريخية وأختلاف الأنظمة الحاكمة التي أرتبطت بتعدد وتنوع الأقوام التي سكنت بلاد الرافدين على أختلاف لغاتهم ولهجاتهم إلا ان الجانب الديني لم يتأثر بتلك التغيرات بدليل إستمرار عبادة الآلهه السومرية من قبل الأكديين والآموريين وحتى الكاشيين وهم أقوام أجنبية دخيلة على سكان بلاد بابل ومختلفين عنهم من ناحية اللغة والديانة وحتى أسماء ووضائف آلهتهم إلا إنهم تأثروا بالديانة العراقية القديمة وعبدوا آلهة بلاد الرافدين وهذا دليل واضح على هيمنة آلهة السومريين على كل من سكن العراق القديم كما وإنتقلت عبادتها الى خارج حدوده[١٣٥] ،وأن اقدم وصف ادبي للاله مردوخ ظهر في العصر البابلي القديم وتحديدا في مقدمة شريعة حمورابي الذي منح الإله مردوخ سلطة مطلقة على جميع الشعوب،وكما ورد فيها :

((عندما (قضيا) الاله آنو المتسامي ، مالك الأنوناكي والاله إنليل سيد السماء والارض مقرر مصائر البلاد، قضيا للاله مردوخ الابن البكر للاله إنكى (ان يتمتع) بقدسية الاله إنليل على كل البشر وجعلاه عظيما بين الهة الايكيكي)) ، وعلى الرغم من عظمة مدينة بابل في هذا الوقت وارتفاع شأن الاله مردوخ الذي أصبح مقدسا في جميع البلاد التابعة لها لكن حمورابي لم يؤمن بملوكيته على جميع الآلهه والبشر ،أما في العصر البابلي الوسيط أثناء حكم الكاشيين بلاد بابل بدءت قدسيتة تزداد بشكل تدريجي حتى بلغ قمة المجد في سلالة إيسن الثانية وتحديدا أثناء حكم الملك نبوخذ نصر الأول،إذ ترأس مردوخ مجمع الآلهة البابلية وعرف ب(شار إيلاني)أي ملك الآلهة وشهدت عبادته في بلاد بابل نقطة تحول في تأريخ عبادته عبر العصور التأريخية،و لم ترد إشارة واضحة ومؤكدة خلال العصور التي سبقت تأسيس سلالة إيسن الثانية تبين إن الاله مردوخ منح لقب ملك

الإلهة[١٣٦]،يبدو أن أعظم تغيير في مسار الدين عند البابليين حصل في عهد الملك نبوخذ نصر الأول للمكانة الخاصة والمرتبة السامية التي حصل عليها وقد ظهرت في مدونات هذه السلالة ،ولم تقتصر ملوكيته على الناس فحسب بل تعدت لتشمل جميع آلهة بابل هذا الإعتقاد بتمجيد الإله مردوخ لم يفرضه رجل واحد كشخص نبوخذ نصر الأول على شعب كبير وعريق كشعب بابل وإنما هي ثورة فكرية دينيه عقائدية عفوية حدثت بفعل الأحداث العسكرية الكثيرة والعصيبة التي عاشها سكان بلاد بابل[١٣٧]

أجمع الباحثون إن تأريخ تأليف قصة الخليقة البابلية تم خلال الجزء الأخير من العصر البابلي الوسيط وتحديدا بعد عودة تمثال الإله مردوخ من بلاد عيلام،ولهذا السبب اعتبرت قصة الخليقة البابلية الاله مردوخ على انه هو الذي قام بخلق الانسان وهو الذي قرر قيامه بالعمل على خدمة الآلهة وتنفيذ جميع المهام التي كانت تقوم بها الآلهة قبل عملية خلقه[١٣٨]. ويعتقد لامبرت إن تأريخ تأليفها في هذا الوقت ربما ليحسم تحديد تأريخ إرتقاء مردوخ وهي نتاج الحملة التي أسفرت عن الترويج الرسمي لمكانته خلال عهد الملك نبوخذ نصر الأول،وربما هو من قام بتأليفها في هذا الوقت بالذات كمبرر للتغيير العقائدي الذي تبناه في بلاد بابل[١٣٩] ومنذ ١٤٠٠ ق ٠م انتقلت طقوس الاله مردوخ الى منطقة اشور،ويعتقد لامبرت إن تأريخ تأليفها في هذا الوقت ربما ليحسم تحديد تأريخ إرتقاء مردوخ وهي نتاج الحملة التي أسفرت عن الترويج الرسمي لمكانة مردوخ خلال عهد الملك نبوخذ نصر الأول،وربما هو من قام بتأليفها في هذا الوقت بالذات كمبرر للتغيير العقائدي الذي تبناه في بلاد بابل[١٤٠]

٢-غياب الإله مردوخ عن بابل:

تعرض تمثال الإله مردوخ للسرقة أربع مرات خلال عصور مختلفة وكالأتي:

١. غياب الإله مردوخ في عام ١٥٩٥ق.م[١٤١]
٢. غياب الإله مردوخ في عام ١٢٣٤ق.م[١٤٢]
٣. غياب الإله مردوخ عام ١١٥٧ق.م
٤. غياب الإله مردوخ عام ٦٨٩ق.م[١٤٣]

ما يهمنا في بحثنا هذا هو الأسباب التي دعت لغياب الإله مردوخ عن بلاد بابل:

غياب الإله مردوخ عام ١١٥٧ق.م:

تمت سرقة الإله مردوخ على يد الملك العيلامي "كودور-ناخونتي" (كما ذكرنا آنفا) وذلك عندما هاجم بلاد بابل بحمله عسكرية واسعة فأسقط مدن جنوب بابل الواحدة تلو الأخرى حتى تمكن من دخول مدينة بابل أسقطها ودنس معابدها وإستولى على ممتلكاتها وأسر الإله مردوخ وأصطحبه معه الى عيلام،تشير المدونات المسمارية أن الإله مردوخ غضب على بابل وشعبها ونتيجة غضبه مكن العيلاميون من إحتلال بلاد بابل نتيجة سوء أعمال أهلها(١٤٤)

((عندما غضب الإله مردوخ،آلهة الإيجيجي في [السماء] لا تستطيع أن تتحمل غضبه،غضبه مخيف،لا يستطيع أحد أن يتحمل كبرياءه وعظمته لم تصمد الأرض القاسية لخطواته، ارتعدت المياه من غضبه، ولم تصمد صخرة أمام خطواته، ركعت آلهة الكون أمامه! كل الوجود(؟) موكل إلى سلطته، وإذا غضب من يهدئه؟))، فأمر جميع الآلهة أن تغادر الأرض ربما بسبب ضعف البابليين وعدم تمكنهم من حماية أرضهم ومقدساتهم يظهر الملك نبوخذ نصر الأول في المدونات الأدبية-التأريخية ذات الطابع الديني وهو يصلي ويتوسل الإله ليقنعه بالعودة الى بلاده وأخذ يصف له حال بابل وسكانها عقب هجرة جميع الآلهة للبلاد(١٤٥)

((لقد اختفى الخير وساد الشر. فغضب الإله مردوخ واغتاظ. وأمر أن يتركها آلهة الأرض، فخرج شعبها عن وعيهم، وانقادوا إلى الباطل. غضب حارس الخير وصعد إلى السماء، ووقف إله العدالة الحامي جانبًا، [.....] حارس الكائنات الحية، [ألقى] على الناس، وصاروا جميعًا كما لو أنه ليس لديهم إله! الشياطين الشريرة ملأت الأرض، لقد اخترق الطاعون القاتل مراكز العبادة، وتضاءلت الأرض، وتغيرت مشورتها. العيلاميّ الشرير، الذي لم يكن نبيلا، وكان قتاله سريعًا، الذي جاء هجومه سريعًا، دمروا المساكن، ودمروا الآلهة، وحولوا المقدسات إلى أنقاض! مردوخ ملك الآلهة، الذي يتحكم بمصائر الأراضي، يحفظ كل شيء))

أمر الإله مردوخ الملك نبوخذ نصر الأول بغزو بلاد عيلام وتدميرها وإعادته الى موقعه الصحيح في الإيساكيلا(١٤٦)،**((السيد العظيم الإله مردوخ،الذي كان في الماضي غاضبا**

من جميع مراكز العبادة ولفترة طويلة،وإنه وافق وأشفق على بابل وأستدعاني لأصطحبه الى الإيساكيلا الحرم المقدس المذهل،وكلفني بمهمة عظيمة،قال لي إذهب عبر الطريق المؤدي الى بلاد عيلام ،في حملة على أراضيها،كنت قلق قمت بنفسي [بأمر السيد العظيم الإله مردوخ] بجمع القوات مستعينا بالآلهة إنليل،شمش،مردوخ))

يستمر الملك نبوخذ نصر الأول بوصف أحداث الرحلة التي رافق فيها الإله العظيم مردوخ نحو موطنه(١٤٧)،**[.....]لقد هرب، وتيبست أذرع كل من حمل السلاح، أولئك الذين ماتوا كما لو كان من البرد، وكانت جثثهم منتشرة في كل مكان، وجعل (مردوخ) يمر فوق[الأراضي]وتحتها، يمينًا ويسارًا، أمامًا وخلفا مثل الطوفان.لقد ملئ جميع المدن،والضواحي وخارجها، في السهوب، في السهول والأراضي المفتوحة، امتلأت بالسكون المميت وحولها إلى صحراء))**(١٤٨)

صورت النصوص الآشورية خروج الإله مردوخ غاضبا أسفا من بابل بسبب شعبها الذي لم يحافظ على أرضه،ولم يقرر مردوخ العودة الى الإيساكيلا إلا عندما تولى الملك نبوخذ نصر الأول عرش بابل لأنه لم ينقطع عن العبادة والصلاة والدعاء له فأشفق على بابل وعاد لينقذها مما ألم بها بسبب غيابه عنها من مصاعب وأذى(١٤٩)،**(([.....] الخادم الذي كان يقدسه،المهتم دائما بمظهره المستمر على صلاته لم يتوقف عن الصلاة،المصلي المطيع،ومنتظرًا وحيه باستمرار، لم ينقطع عن الصلاة حتى يحقق (مردوخ) رغبة قلبه،حتى أنظر إلى شكله الشامخ،فلطالما أصابني حزن القلب ولم يفارقني ولو ليوم واحد،كل يوم بلا نهاية،لم يغادر جسدي ولم أتمكن من النوم في جوف الليل الجميل ،على توسلاتي الحزينة،وصلواتي المتحمسة وتضرعي وسجودي وتعبيري على التواضع له فكنت أتوسل وأصلي اليه يوميا،بقلبه السخي أشفق وعاد الى المدينة المقدسة))**،عاد الإله مردوخ الى بابل وسط إحتفال مهيب وفرحة عارمة فقام شعب بابل بذبح الخراف والثيران المسمنه وتقديم القرابين الفاخرة،ملئت المدن بأكداس البخور،وتعطرت الطرقات بأجمل العطور وملئت القرابين المدن المملوءة بالفرح،وإقيمت الإحتفالات من قبل الناس والآلهة في إستقبال سيد الآلهة مردوخ العظيم(١٥٠)

((بعد أن إتخذ (الإله) قراره،عندما خرج من أرض الشر في بلاد عيلام،مارا [بطريق] المدينة و الأراضي الزراعية،سلك طريق الإبتهاج،طريق السرور،إهتم بي وتقبل صلواتي،الى شوانا ((بابل))،حدق شعب الأرض الى مكانته النبيلة (السامية) المهيبة المشرقة،وهيئته المبهجة،الجميع إهتوا به،دخل السيد (الإله) بعد أن دخل الإله وأقام في مسكنه الآمن،أشرق باب الإشراق فرحا، مقام ملوكيته،أصبحت مضيئة مليئة بالبهجة ،حملت له السماء رزقها، والأرض غلتها، والبحر صيدها، والجبال جزاؤها (هدايا)، [الشعب] بجميع لغاتهم المختلفة تصلي له،لمن لا مثيل له، تكريمهم الهائل لرب الأرباب!، تم ذبح الأغنام الجيدة والثيران المسمنة من النوع الممتاز وبكثرة، وكانت التقدمات رائعة وفخمة))،وبهذا يعد نبوخذ نصر الأول الملك البابلي الوحيد الذي أعاد تمثال الإله مردوخ من يد سارقيه ففي جميع العصور تتم إعادته من بعد سرقته من بابل على يد ملك من نسل الملك السارق للتمثال كنوع من الندم وإظهار النوايا الحسنة من قبل الملك المحتل لشعب بلاد بابل، تبرز أهمية عودة الإله مردوخ الى بابل في رفع درجته الدينية فقد ترأس مجمع الآلهة البابلية ولقب بسيد الآلهة كما وعاد البابليون يحتفلون بعيد الآكيتو بعد سنين طويلة من الغياب في بلادهم(١٥١).

٣-نبوءة الإله مردوخ :

إعتمدت الدراسات التأريخية لحملات الملك نبوخذ نصر الأول على بلاد عيلام وتحرير الإله مردوخ وإعادته الى بابل على الكتابات المسمارية التي وثقت وقائع الأحداث بأدق التفاصيل وأبرز تلك المدونات وكما مر بنا سابقا هما نصين ملكيين تم أستنساخهما في القرن السابع قبل الميلاد من عهد الملك آشوربانيبال كما ذكرنا سابقا، صورت الإله مردوخ محور المعركة ومركزها الرئيس المسبب لإنطلاقها ومنها إنبثقت المدونات الأدبية -التاريخية، يصف النص الأول كيف غضب الإله مردوخ على بابل وأهلها في الماضي فتعرضت للغزو العيلامي الذي دنس المعابد ودمرها ودمر المدن ونهب ممتلكاتها رفض البقاء في بابل وهو من دعا العيلاميين الى الذهاب معهم لبلادهم إستمر بقائه هناك الى أن أعتلى الملك نبوخذ نصر الأول عرش بابل فغير رأيه وقرر العودة(١٥٢) ، أما النص الثاني فقد تضمن كيف إستمع الإله مردوخ الى صلوات الملك نبوخذ نصر الأول وأستجاب له وأمر بإعادته الى بابل،أن

زمن النصين التي تم العثور عليهما خلال التنقيبات الآثارية في تل قوينجق من ضمن مكتبة آشوربانيبال في نينوى لا يعود تاريخهم إلى عهد الملك نبوخذ نصر الأول، وبالرغم من البعد الزمني بين النسخ هذه وتأريخ حدوثها عند نهاية الألف الثاني قبل الميلاد والذي بلغ قرنين من الزمان لكن تشابه الأحداث التأريخية هو من دعا بالكتبة القاء الضوء عليه والإهتمام بتفاصيله، فمن غير الممكن أن يدون الكتبة البابليون تفاصيل أحداث لم يروها أو يعيشوها،يبدو أن الكتاب البابليون كانوا يعملون تحت رغبة السلطة الآشورية فعندما قاموا بنسخ النصوص مع الكتاب الآشوريين القوا الضوء على شخصية مؤثرة جدا في المجتمع البابلي ربما كانت رغبة ملوك آشور ربط تلك الأحداث مع ماجرى معهم خلال القرن السابع قبل الميلاد،لقد وثقوا حملات الملك وصلواته بأسلوب شعري صنفت بالنصوص الأدبية-التأريخية وعلى الرغم من إستنساخها في العهد الآشوري الحديث لكن ذلك لا يمنع إن زمن تأليفها في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد من قبل البابليون، وتميز العصر الآشوري الحديث بالإهتمام الكبير في الجانب الأدبي والمعرفي وتوثيق الأحداث التأريخية، كذلك إهتم المنجمون الآشوريين بالفأل الحسن الذي تلقاه نبوخذ نصر الأول والذي مكنه من تحطيم عيلام[١٥٣]،لقد تضمنت النبوءة رحلات الإله مردوخ الى جميع البلدان الأقاليم تمت بموافقته ورغبته بالإقامة خارج بابل،وأول تلك الرحلات الى خاتي على يد الملك الحيثي مورشيلش الأول، ثم عاد من تلك الزيارة وقضى بعض الوقت في بابل ((**أنا مردوخ، السيد العظيم،الأعلى، أراقب دائمًا، وأسير ذهابا وإيابا بحذر فوق الجبال. الحارس المفتش الذي يضرب ؟ الأراضي يتجول في الأراضي. أنا الذي مشيت باستمرار في جميع الأراضي من شروق الشمس إلى غروبها. أمرت بأن أذهب إلى حاتي؛ لقد وضعت حاتي تحت الإختبار. وهناك وضعت عرشي الإلهي الأعلى في وسطها، وسكنت فيها أربعاً وعشرين عاما. أسست مشاريع تجارية فيها لمواطني بابل...أوصلوا الجزية أيتها الأراضي إلى بابل**)) ، ثم أصبح مسرورا بذهابه الى بلاد آشور على يد الملك الآشوري "توكولتي نينورتا الأول" وتسليم الأراضي للملك الآشوري،وأخيرا يذكر مردوخ أنه غادر بابل إلى عيلام وأن قرار تخليه عن مدينته المفضلة وشعبها سبب لهم المعاناة والألم والحسرة على فراقه ((**آشور كانت جيدة... إيكور(-)آشور... جعلت معابدها تتألق كالأحجار الكريمة. لقد منحت الرخاء... كنت**

أصلي شهريًا، يوميًا، سنويًا. جهزته وجمعت معه قوات إنليل؛ ووضعت عليه أجنحة مثل الطيور. لقد خصصت الأراضي بالكامل (له). عيّنت...و باركت أرض آشور. عرضت عليه [لوح] الأقدار ومنحته الإستقرار وأرجعتها الى وضعها الطبيعي. عدت إلى بابل (و) قلت: "أوصل جزية الأراضي إلى بابل)) ،ثم يذكر مردوخ خروجه من بابل وذهابه الى عيلام وما حل بالبلاد من بعده((**أنا مردوخ، السيد العظيم، سيد الأقدار والقرارات. من استولى على الطريق؟،لقد عدت من حيث ذهبت،وأنا الذي أمرت بذلك لقد أمرت بالذهاب إلى أرض عيلام. لقد أمرت بذهاب جميع الآلهة. أنا الذي قطعت القرباين عن المعابد)) ((هذا الأمير سوف يحكم كل الأراضي. وسأتصالح أنا وجميع الآلهة معه. سوف يسحق عيلام. سيحطم مدنها وسيهدم الحصون))** ،وينتهي مردوخ بالتنبأ بملك جديد يظهر في بابل يحكم البلاد ويصد عنها أي خطر خارجي ويحطم بلاد عيلام، ويعيده إلى الإيساكيلا ((**أكملت أيامي أكملت سنيني. كنت أرغب في الذهاب إلى مدينتي بابل وإيكور ساكيلا. لقد تحدثت إلى الجميع ... وأنا من أمر: سلموا الجزية والأراضي إلى بابل"؟ سيقوم ملك بابل. سوف يجدد إيكور ساكيلا، المقام الرائع،سوف ارسم مخطط السماء والأرض في الإساكيلا، سيغير ارتفاعه. سوف يحدد الإعفاءات لمدينتي بابل. فيأخذ بيدي في موكب فيدخلني المدينة وبابل والإساكيلا إلى الأبد .. سوف يقوم بتجديد قاربي الموكبي))**،مما لاشك فيه أن هذه النبوءة تشير إلى الملك نبوخذ نصر الأول، ولهذا السبب فقد أقترح الباحثون أن النبوءة هذه قد كتبت خلال فترة حكمه،ثم أعيد إستنساخها في القرن السابع قبل الميلاد وقد كتبت من وجهة نظر آشورية خاصة إنها صورت الملك نبوخذ نصر الأول مخلص بابل وشعبها من خوف وحزن مروا به بفقدانهم إلههم الحامي[١٥٤] ،وقد تم تأليف هذا النص في عهد نبوخذ نصر الأول وعند إعادة نسخه تم تعديل بعض الأحداث فيه ليتناسب مع العقلية الآشورية ومدى قناعتها بالموضوع في القرن السابع قبل الميلاد،والحقيقة أن في وقت وجود الإله مردوخ في بلاد آشور قام الملوك "ننورتا-نادن-شومي" وإبنه نبوخذ نصر الأول بعدة مناوشات على المناطق الحدودية مع بلاد آشور للتوسع والإستيلاء عليها ،تضمنت النبوءة المصالح الآشورية في بلاد بابل قبل عودة الإله مردوخ اليها عام ٦٦٨ق.م،لقد حرص كل من الملك أسرحدون وخليفته آشوربانيبال في مدوناتهم تقديم المبررات للشعب البابلي ليبرءوا

الملك سنحاريب من جميع ما قام به[١٥٥] كذلك التواجد الآشوري على أرض بابل كسلطة شرعية تحكم البلاد فيركز أسرحدون على عمليات إعمار بابل وعودة السكن فيها عام ٦٧٩ق.م[١٥٦]،أما الرسائل الموجهه لشعب آشور تضمنت تواجد الإله مردوخ على أراضيهم لم يكن تعدي على آلهة آشور ومقدساتها ولم يتواجد في بلدهم بشكل قسري وربطوا جميع الأحداث في نبوءة مردوخ ونشأت التقاليد التي تم الحفاظ عليها في بابل وإهتمام الملك نبوخذ نصر الأول بعودة الإله مردوخ وقدسية الإيساكيلا،وتعد نبوءة مردوخ أحد المصادر التأريخية التي كتبت بأسلوب أدبي وأحداث أسطورية روت سرقة تمثال الإله مردوخ الإله الراعي لمدينة بابل في عصور مختلفة ،هو أشبه بالسيرة الذاتية يتم سرد الأحداث فيها من وجهة نظر الإله نفسه، موضحا فكرة غيابه من مركز العبادة الخاص به ويبرر الأسباب التي دفعته للتخلي عن بابل وشعبها مرات عديدة،ويضع رحيله الى الأرضي الأجنبية بهدف مساندة شعبه إقتصاديا ومساعدة مدينة بابل المفضله لديه ويذكر إنها مجموعة الواح تم جمعها وتصنيفها تحت تعريف بسيرة الإله مردوخ سبقت تولي الملك نبوخذ نصر الأول عرش بابل[١٥٧]،أحد هذه الألواح يحمل مفردة نبوءة يعود الى عهد نبوخذ نصر الأول والأحداث السياسية والعسكرية التي تعرضت لها بلاد بابل،فضلا عن الحدث الديني المهم وهو ترأس مردوخ مجمع اللآلهة البابلية ونعته بملك الآلهة،لقد طرح الكاتب في لوح نبوءة مردوخ عدة مواضيع غايه في الأهمية وهي:

أ- قدسية مردوخ وترأسه مجمع الآلهة البابلية.

ب- غياب مردوخ خلال العصور المختلفة.

ج-فكرة الزيارة الطوعية لجميع البلاد التي سكن فيها بدلا من الغياب القسري.

يبدأ النص بعبارة مميزة وهي **((والآن بعد أن أصبحت مستعدًا للرحلة، سأخبرك باسمي،سألقي كلمتي.))** وهنا يقصد عندما أصبح جاهزا تحدث عن الأسباب التي دعته للغياب بفترات مختلفة ، ويستهل حديثة وهو يصف نفسه بالإله العظيم والحارس للأراضي والبلاد القريبة والبعيدة وواجبه مراقبة البلاد وشعبه والشعوب الأخرى[١٥٨] ،كذلك حمل هذا اللوح بين طياته مواضيع متنوعة وأفكار فلسفية -أدبيه-تأريخية تعمق عند الفرد البابلي عظم مسؤولية الإله مردوخ تجاه مدينة بابل وكل ما يتعلق بها،ويبين حرية تجوله بمناطق

خارج حدود بلاد بابل هذا يعني المركز الديني المرموق الذي تمتع به ويصف شكل القرابين وحجم التقدمات وتنوع الأضحيات والجزية التي كان يستلمها من مختلف الأراضي والأقاليم ، أراد الكاتب من خلال هذا النص الخيالي أن يسلط الضوء على نقطة مهمة جدا لدى شعب بابل وشعوب العالم القديم وهي:إن غياب مردوخ وتخليه عن بابل وشعبها والعرش الآلهي وألإيساكيلا هو ليس سرقة ولم يحدث رغما عنه أوضد إرادته،بل بالعكس هو قرار منه أمر بالذهاب الى أقاليم أجنبية كل شيء فيها غريب كاللغة والدين والعادات والتقاليد ،حول الكاتب الحوادث التي مربها مردوخ من إقامة قسرية الى زيارة طوعية،مما يحتم عليه هجر بابل هو لم يتخلى عنها ولا عن مواطنيها بل ذهب ليكون علاقات إقتصادية وتجارية وإجتماعية لشعبة ويؤسس مشاريع تجارية تدر على البلاد وأهلها بالخير والبركات،إن أختيار الإله السكن في حاتي وعيلام وآشور كان بإرادته وبمحض أختياره للزمان والمكان .

يُزعم أن نبوءة مردوخ هو خطاب للإله مردوخ يروي فيه الأحداث التي مر بها قبل زمن نبوخذ نصر الأول. ويوضح أنه معتاد على اجتياز الكون فقد سكن مدة من الزمن لدى الحثيين ،ثم عاد إلى بابل،ثم تحدث مردوخ عن إقامته في آشور في زمن الملك "توكيلتي-ننورتا الأول" وبارك آشور أثناء إقامته هناك ،أما إقامته في عيلام كانت عكس ذلك ،فقد تم الهجوم على بابل في عهد الملك العيلامي كودور-ناخونتي ، فقام بنقل تمثال الإله مردوخ إلى عيلام،و يتحدث مردوخ بحرارة عن الأمير الذي سيعتلي عرش بابل ويجهز حملاته العسكرية لسحق عيلام ويحرر الأرض، وهو الذي سيعيده إلى وطنه مرة أخرى، ومن خلال الملك نبوخذ نصر الأول ومساعيه الحميدة تصالح مردوخ مع بابل مرة أخرى. وبعودته سوف تزدهر بابل بعد ذلك وستكون أفضل من قبل. ربما تكون نبوءة مردوخ قد تم تأليفها لتمجيد نبوخذ نصر الأول وربما توضح "المستقبل" الذي تم الكشف عنه تضمن توصيات مفصلة حول بعض مراكز العبادة غير المعروفة[١٥٩]

٤-قصة الخليقة البابلية:

هي الإسطورة ذات الإصول السومرية التي عرفت بـ " قصة الخليقة البابلية وبالعنوان البابلي "حينما في العلى " وبالبابلية بالعبارة "إينوما إيليش" ،أطلق عليها بعض الباحثين تسمية " رقم الخليقة السبعة " لإنها دونت على سبعة الواح طينية إحتوى كل لوح منها على١١٥-١٧٠

سطرا أو بيتا شعريا والمجموع الكلي لأبياتها بلغ زهاء الألف بيت ،تم العثور على معظم الواحها في مكتبة الملك آشور بانيبال في مدينة نينوى وعثر على أجزاء منها في مدينة آشور ونسخ أخرى منها تم العثور عليها في مدن متفرقة من بلاد بابل ،تدور أحداثها في تمجيد الإله مردوخ يرجح إنها كانت تتلى أو ترتل بعيد رأس السنة البابلية "الآكيتو"[١٦٠]،وهي إسطورة أو شعر ملحمي يحتفي بالإله البابلي مردوخ بإعتباره الإله الأعلى لآلهة بلاد الرافدين بعد أن أنقذ الآلهة من هجوم تيامة ،لا يمكن اعتبار هذه القصيدة هي الإسطورة الحقيقية لقصة خليقة بلاد الرافدين بصورة عامة لأنها نسبت إلى مردوخ بعدما كانت تنسب الى الإله إنليل فقام مردوخ بإعادة تنظيم الكون ومدينة بابل مركزه، وإلهامه لخلق البشرية من أجل دعم الآلهة حتى أن الصفات الخمسين التي كانت تطلق على الإله إنليل خصصت الى الإله مردوخ، إذن هو عمل فردي لشاعر بابلي اعتبر بابل مركز الكون، ومردوخ، إله بابل، رئيسًا للآلهة فيها،مثلما نجد قصة مشابه لها في بلاد آشور تم استبدال الإله آشور بمردوخ[١٦١].

لذلك يمكن قراءة هذه القصيدة كوثيقة للقومية البابلية، تم تأليفها لتعبر عن النهضة القومية البابلية في عهد الملك نبوخذ نصر الأول،وعلى الرغم من عدم وجود دليل قاطع على تاريخ تأليفها ومن خلال لغتها ومحتواها، فإن القصيدة تعود إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، ربما أراد الكاتب أن يسلط الضوء على شكل تطور السلطة السياسية ومؤسساتها من وجهة نظر بابلية[١٦٢] تضمنت الإسطورة : قبل وجود أي شيء، اختلطت المياه المالحة الأم [تيامة] والمياه العذبة (؟) [أبسو] لينتجا أول زواج للآلهة عندما الأحفاد، بسلوكهم الصاخب، يثيرون تيامة وأبسو. على الرغم من أن تيامات تحمل جزءًا كبيرًا منه، إلا أن أبسو يرغب في قتل النسل. يتم حث الأب من قبل مستشاره. أحبط إيا نوايا أبسو، فقتله وقيد مستشاره. أسس منزله في أبسو، المنطقة المائية التي يمثلها الأب الأول المقتول، ويسكن هناك مع زوجته، كما ورد في النص الآتي مقتطفات بما كلف به الإله مردوخ ونجح في تحقيقه:

((فانتزع منه أيا ، تاج الالوهية وجلالها ومجدها ، ثم قتله وسجن وزيره ممو وابتنى في الـ أبسو ، بيتا له وسكن فيه هو وزوجه « دام ـ كنا » ، وفي حجرة "الاقدار والمصائر" ، ولد إبنه " مردوخ " ، وربي على الرضاعة من اثداء الآلهات . وسرعان ما شب واكتسب جلال ، الألوهية المخيف الصاعق ، وصار ثاقب النظر براق العينين حديدهما ، هائل

الاعضاء والجوارح ، لا يمكن النظر اليه ويصعب على البشر ادراكه له اربع عيون واربع اذان ، وحين تتحرك شفتاه ينبعث منهما اللهب . واستطالت آذانه واتسعت عيونه الاربع ، فصار يرى كل شيء . اكتسى بنور الألوهية واكتسب الجلال الذي يبعث الرعب النار))

((وبينما كان الآلهة في هذه الأزمة العصيبة عنت لانشار فكرة سعيدة ، اذ تذكر ما يتصف به احد احفاده ، وهو « مردوخ »، من مهارة وبسالة ، فاستدعى « ايا »، ابنه ،« مردوخ »، واعلمه بعزم الالهة على ان يعهدوا اليه بمنازلة « تيامة » فقبل « مردوخ »))

((« حقا ان مردوخ ملك ! » ، وقدموا له الخضوع والولاء بصفته ملكهم وقلدوه شارات « الملوكية » وهي الصولجان والتاج والجلباب ، وقلدوه السلاح الذي لا يقهر ، وحرضوه على قتال « تيامة » ،))

((، وقضى عليها ووقف على جثتها منتصرا . ولما ان رأى بقية اتباعها من الآلهة نتيجة النزال هموا بالهرب ولكن « مردوخ »، لم يدع أحدا منهم يفلت حيث أسرهم وسجنهم وانتزع من قائد جموعها و« كنگو » « لوح الاقدار»، وختمه بختمه وعلقه في صدره ، ثم رجع الى جثة « تيامة » ، ففلق رأسها بهراوته الضخمة وقطع أوردة دمها وجعل الريح الشمالية تحمل دمها الى الجهات الجنوبية النائية ، ثم شطر جثتها الضخمة شطرين خلق منهما الكون ، اذ جعل من نصفها الأعلى السماء ومن نصفها الأسفل خلق الأرض ، وعين للالهة العظام وعلى رأسهم ،« آنو » و « انليل » و « ايا »، الاجزاء التي يحكمونها من الكون))

تضمنت قصة الخليقة بصورة عامة جزئيه مهمة جدا ألا وهي عملية خلق الإنسان والسبب الذي دعت اليه وفي قصة الخلق البابلية على الرغم من منزلة الإله مردوخ فيها إلا أن قضية الخلق لم تتم على يده هو فقط من أمر بذلك بعد أن تمكن من قطع جسم الإلهة تيامة الى نصفين النصف الأول كون به السماء والنصف الثاني جعل منه الأرض ،أما الخالق الحقيقي للإنسان هو الإله أيا[١٦٣]

((ولما ان تم ذلك لمردوخ ارتأى ان يوجد مخلوقا سمي بالانسان . من أجل أن يخدم الآلهة ، وأعلن عن عزمه إلى ابيه « ايا »، فحبذ له ذلك واشار عليه ان يضحى احد

الآلهة لذلك الغرض . فقررت الالهة في مجمعهم ان يكون الاله المضحى « كنگو » ، لانه هو الذي حرض « تيامة » على محاربة الآلهة ، فامسك به « مردوخ » ، وجاء به الى « ايا » فذبحه وخلق من دمه الانسان وفرض « ايا » على هذا الانسان خدمة الآلهة ليريحها من العناء والتعب ، وقسم مردوخ من بعد ذلك مجموعة الآلهة المائة إلى مجموعتين ، مجموعة للسماء وأخرى للارض . وعرفانا بفضل مردوخ وبطولته في انقاذ الآلهة من الهلاك ، عمل آلهة . الأنوناكي ، طوال عام واحد في تشيد بيت يليق بمقامه ، فأقاموا معبده العظيم « إي – ساگيلا »، مع برجه في مدينة بابل بعد ان أسسوها . وخصصوا في هذا المعبد مزارات،وبعد ان تم ذلك اجتمع الآلهة في حفل ووليمة عزفت فيها الموسيقى وقدمت الجعة ورتل الآلهة بمديح « مردوخ » ، وتمجيده ، وتنازلوا له عن اسمائهم وصفاتهم ، فصار له « خمسون اسما » . وتنتهي القصيدة باللوح السابع الذي ربما كان يرتل تمجيدا لمردوخ في عيد رأس السنة))[١٦٤]

الخاتمة:

١-يعد الملك نبوخذ نصر الأول بحق صانع الإنتصارات الساحقة على الأعداء ومخلص البلاد من أي خطر خارجي.

٢-تميز الملك نبوخذ نصر الأول بأنه الملك الأوحد الذي تعاقبت الأجيال على التفاخر بأعماله وإقتداء الملوك بمنجزاته وإستذكار أمجاده حتى وإن كان بصورة غير مباشرة.

٣-أظهرت مضامين الرسائل الملكية قوة بلاد بابل وتعاظم شأن ملكها مقارنتا بنظيرة الآشوري حتى بات من الواضح إنعدام لغة الحوار بينهما وإفتقار الحديث للشكل الدبلوماسي فإلى جانب إسلوب السخرية والإساءة المتعمدة لشخص الملك الآشوري،كشفت كذلك عن رغبة الملك البابلي بالتدخل المباشر في الشأن الآشوري وإعتماد إسلوب التهديد مستغلا حالة الصراع الداخلي فيها،والعودة الى الإتفاقية السياسية التي عقدت بين الطرفين في عهد الملك ننورتا-نادن-شومي،من الواضح في النص أن الملك البابلي كان يستخدم إسلوب التهديد ويخاطب الملك الآشوري بصيغة غير مألوفه من قبل خلال المراسلات الملكية البابلية-الآشورية

٤-بلغت بلاد بابل درجة من القوة مكنتها من الهجوم على بلاد آشور ومناطق غرب بابل في عهده.

٥-تعلق الملك نبوخذ نصر الأول الكبير بالآلهة وتقربه منها مكنته من تحقيق النصر المؤزر على أعداءه.

٦- ملازمة الإله مردوخ المستمره له من خلال الكتابات المسمارية كشفت للباحثين بأن هذا الملك أحدث ثورة دينية قائمة على التوحيد في بلاد بابل ولو تعمقنا في قراءة الكتابات التي تتعلق بهذا الصدد لوجدنا إن هذا الفكر قد عم جميع مناطق بلاد الرافدين وعند بعض ملوك بلاد آشور حتى وإن كان بشكل غير معلن.

٧-إرتقاء الإله مردوخ ليصبح ملك وسيد الآلهة تم في عهده رافق عودته من بلاد عيلام.

٨-وقع إختيار الإله مردوخ عليه ليخلصه من شر بلاد عيلام ويعيده الى مدينته الحبيبه بابل بعد سبعة وأربعون عاما قضاها هناك.

٩-تمت إعادة كتابة قصة الخليقة البابلية في عهده وجعل بطل القصة مردوخ بدلا من إنليل الأمر الذي يقودنا الى معرفة تطور الفكر الديني لدى شعب بابل في آنذاك.

الهوامش:

Wiseman,D.J.,The end of the Kassite

[١] domination,CAH,Vol.2,London,1975,p.447

[2] Pottsp.D.T.THE ARCHAEOLOGY OF ELAM FORMATION AND TRANSFORMATION OF AN ANCIENT IRANIAN STATE, Cambridge,1999,p.188

[3] Cameron,G.G.,History of Early Iran,Chicago.illinois,1936,p.106

[4] Wiseman,D.J.,op.cit,p.447

[٥] سامي سعيد الاحمد،فترة العصر الكاشي،سومر،١٩٨٣،٤٩، ص١٤٣

[٦] Konig,F.W.,Die elamischen Konigsinschrijten,MDP,XI,1965,22

[7] Cameron,G.G.,,op.cit, p.110

[8] Frame,G.,Rulers of Babylonia From the Second Dynasty of Assyrian Domination (1157-612 BC),RIMA,Toronto,1995,p.19

[٩]) طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،حضارة العراق،ج١،بغداد،١٩٨٦،ص٤٦٣

[10]Trevor Bryce, Heather D., the Peoples and Places of AncientWestern Asia,The Near East from the Early Bronze Age to the Fall of the Persian Empire, London,2009,p.221-222

[11]Tadmor,H.,Historical implication of the Correct rendering of Arkadian daku,JNES,Vol.17 ,1958,p.137

[12]Frame, G., Rulers of Babylonia from the Second Dynasty of Isin to the End of Assyrian Domination (1157-
612 BC),Toronto,1995,RIMB,p.19

[13] Tadmor,H.,op-cit,p.138-139

[١٤]) فاضل عبدالواحد علي،سلالة ايسن الثانية صفحة مشرقة من النضال ضد الحكم الاجنبي،العراق في التأريخ،بغداد،١٩٨٣،ص١٠٨

[15] Brinkman,J.A.,Apolitical History of Post – Kassite Babylonia(1158-722 B.C) ,Roma,1968,vol.43.,p.88

[16] Van Dijk,J.J.A.,Die dynastischen Heiraten zwischen Kassiten und Elamern : eine verhangnisvolle Politik,Or.Ns,55,1986,p.155-156

[17] Brinkman,1968,p.81

[18] Van Dijk,J.J.A.op.cit,155-158

[19] Pottsp.D.T.,Op.Cit,p.233

[20]Konig,F.W.,op.cit,.54

[21] Cameron,G.G.,1936,p.13

[22] Konig,F.W.,op.cit.54,92

[٢٣]) عبدالقادر عبد الجبار الشيخلي، الوجيز في تاريخ العراق القديم،بغداد،٢٠١٨،ص١٥٩

[٢٤] قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، بغداد،١٩٨٧،ص٢٤٥

[25] Hrouda,B.,Identifikaion lageundforschugeschichte,in Isin Bahriyat,1,1977, p.9

[26] Borgr,R., Assyrisch-Babylonisch Zeichenlist,Neukirchen-Vluyn,1978, No.12

[27] Champdor. A., Babylon,London,1958, p. 45

[28] Toffteen, A.,Research in Biblical Archaeology,Chicago,1907, p.91

[٢٩]Gelb,I,J,and others,the Assyrian (١
dictionary,(CAD),Chicago1964ff,CAD,I,p.242

[30] BBSt,6,1 7, no. 2 5 : 2 7

[31] Brinkman,J.A1968,p.8

[32] Brinkman,J.A., 1968,90; Barton, G.,A.,The Royal Inscription of Sumer and Akkad,Newhaven,1929

[33] Brinkman.J.A.Isin,RLA,5,1977,p.183-189ff

[34]Frame,G.,Rulers of Babylonian From the Second Dynasty of Isin to the end of Assyreian Domination,RIM,1996,p.6

[35]Brinkman,J.A.,Article Kassiten,RLA,vol,8,1980,p.376

[36] RIMB,p.7

[37] Clay,Personal Names from Cuneiform Inscrption of the Cassite Period,CPN.p.94

[38] Brinkman,J.,A1968,p.98

[39] King,W.,Stoine Tablet Engraved with adeed of time of Itti-Marduk-balatu, BBST,1912,P.108-9

[40] Frame,G,RIM,p.8

[41] Frame,G,RIM,p.9

[42] Clay,A.T, Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection,Oxford,1915,YOS,1,45,130

[43](Borger,R.,Vier Grenzsteinukunden Merodabalaun 1 Von Bbylonien, AFO, 23,1970,pp.27

[44] Borger,R.,Op.Cit,1970,p.27-28

[45] Wiseman,D.J.,Murder in Mesopotamea,IRAQ,Vo].36,1974,P.25 f

[46] Grayson,A,K.,Assyrian Royal Inscriptions,Vol.1,1976,p.153

[47] RIMB,P.13

[48] Smith,S.,Early History of Assyrian to 1000 B.C.,London,1928,p.296

[49] Brinkman,A.J,1968,p.114

[50] BBST,6,P.29

[51] Brinkman,J.,A.,1968,p.84

[52] RIMB,P.13

[53] RIMB,P.18

[54] BBST,24,15,27

[55]yos,1,45 i,29

[56] RIMB,P.22

[57]Labat,R., Manuel D'épigraphie Akkadienne,Paris,1976, MDA,p.49

[٥٨] نبو/ نابو : هو إله الحكمة والعلم والمعرفة عرف في المصادر المسمارية بأنه الإله (ذو الاذن الواسعة) ،وهو إبن الاله مردوخ يقع مركز عبادته في بورسبا (برس نمرود) حيث شيد له معبد ضخم اسمه اى زيدا "البيت المكين" و زقورة مازالت بقاياها شاخصة الى يومنا هذا،قرينته هي (تشميثم) بمعنى " السامعة " ،.كان يشارك اباه الاله مردوخ في احتفالات رأس السنة البابلية "الآكيتو"،وعرف كذلك بالإله الرحيم،ينظر: تقي الدباغ،الفكر الديني القديم،ط١،بغداد،١٩٩٢،ص٢٤

[59] CAD,K,P.495 ;CAD,P,p510 ; MDA,P.38

[60] Parrot,A.,Kudurru archaique de senkrek,AFO,Berlin,1939,p.319

[61]Von Soden,W.,Akkadische Handworterbuch,Wiesbaden,AHW,p.500

[62] CPN,p.178

[63] Tadmor,H.,op.cit,p.137

[64]٦٤) فوزي رشيد،الملك نبوخذنصر الثاني،الموسوعة الذهبية٤،بغداد،١٩٩١،ص ١٩

[65] MDA,p.151

[66] RIMB,p.9

[67] Borger,R.,Vier Grenzsteinukunden Merodabalaun 1 Von Babylonien,AFO,23,1970,p.27

68 Brinkman, J.A.,op-cit,p.116-118

69 Al- Admi, KH., Anew Kudurru of Maroduk-Nadin-Ahhe, Sumer, 38,1982, P. 122

70 YOS,I,45 I 30

71 RIMB,p.25

72 Lambert,W.G,Enmeduranki and related matters,JCS,Vol.21,1967,128,133

73 Luckenbill,D,D.,Ancient Record Assyrian and Babylonia,ARAB.I,New York,1927,p.116

74 Lambert, W. G., Tukulti-Ninurta I and the Assyrian King List, Iraq, 38,1976, 85-94

75 Grayson, A.K., Assyrian Royal Inscriptions,vol,I,Wiesbaden,1976,119

76 Machininst,P.,The Epic of Tukulti- Ninuta,A Study in Middle Assyrian Literature, University of Yale,1978

77 Grayson1976, I, 108

78 Lambert, W.G.,Three Unpublished Fragments of Tukulti- Ninutai Epic,AFO,1957,pp.38-51

79 Grayson,K.A.,Op.Cit,p.276-277

Mune-Rankin,J.M.,Assyrian Military Power 1300-1200 B.C,CAH,2,1974,p.16

80 Furlong,P,J., Aspects of Ancient Near Eastern Chronology(1600-(٨٠
700B.C),University of Melbourne,February,2007,p.100

81 Smith,S.,Eaerly History Of Assyria To 1000 B.C,London,1928,p.296(٨١

٨٢ Gelb,I,J Two Assyrians King List , JNES, 13,1954,p.228(٨٢

٨٣ Smith, Early History of Assyrian, P.295(٨٣

84(Goodspeed,G.S., A History of the Babylonians and Assyrians,New York,1902,p.160;

Weidner, E., F.,, Royal Inscriptions for Aššur – reša- iši,AFO,4,Berlin, Weissbach

[٨٥] Brinkman,J.A,Mesopotamian chronology of the historical period in (Oppenheim, Ancient Mesopotam,1977,p.338

[٨٦] Von,J,L.;George,A.R,op.cit,p.3(

[٨٧] Landsberger, Urkunden aus der Zeit des Ninurta-tukul-Aššur.AfO,l0,1935-(36),p.143

[٨٨] Brinkman,1968,p.103(

[٨٩] Von,J,L.;George,A. op.cit, p.4(

[٩٠] Brinkman,1968,p.101 (

[٩١] Von,J,L.;George,A.R,2003,p.5(

[٩٢] Gryson, A.K.Assyrian Royal Inscriptions, Vol. P.143(

[٩٣] Gryson, A.K.,1976,p.143; Brinkman,J.,A.,1968,p.361(

[94] Goodspeed,G.S., A History of the Babylonians and Assyrians,New York,1902,p.160;

Weidner, E., F.,, Royal Inscriptions for Aššur – reša- iši,AFO,4,Berlin, Weissbach

[٩٥] فاتن حمي دقاسم محمد السراجي،الملك الآشوري تجلاتبليزر الأول (١١١٥-١٠٧٧ق.م)،رسالة ماجستيرغير منشورة،كلية الآداب،جامعة بغداد،قسم التأريخ،٢٠١٢،ص٢٤

[96] Brinkman,1968,p.110

[97] Smith,G.,History of Babylonia,Lndon,1884,p.101

[98] Lambert,W.G,Babylonian Wisdom Literature,oxford,1960,p.110

[99]Smith,G.,op.cit,p.296

[100] Grayson,A,K.,op.cit,p.153

[101] Olmsted,A.,T.,History of Assyria,New york – London,1923,p.60

[102] Grayson,A,K.,Chronecles and the Akitu festival,Bruxelles,1989,p.167

[103] Brinkman, J.A.,op-cit,p.105

[104] RIMB,p.26

[105] Tadmor,H.,op-cit,p.139

[106]Tadmor,H.,op-cit,p.138-139 ; RIMB,p.20-21

[107] (Cameron , G , Op , Cit , p. 132

[108] (Labat,R.,Elam and Western Persia,1200-1000,B.C.,CAH,Vol.11,Part 2,1975,p.502

[109] RIMB,p.18

[110] RIMB,p.18

[111] (RIMB,p.28

[112] (RIMB,p.32

[113] (Cameron , G , Op , Cit , p. 132

[114] Labat,R., ,1975,p.502

Hinke,J.,A New Boundary Stone Nebuchadnezzar I From [١١٥],p.31-32

١١Nippur,BE,4,Philadelphia,1904

[116] BBS,24,p.96

[117] BBST,6,P.29

[118] Brinkman,A.J,Foriegh Relations of,Op.Cit,p.278

[119] Labat,R., a,Op.Cit,p.502

[120] Herzfeld,E.,The Persian Impire,Wiesbaden,1968,p.28

[121] RIMB,p.33.

[122]-36 RIMB,p.33; BBST,6,P.29

[123] Trevor Bryce, Heather, D.,Op.Ciy,p.222.

[124] Ghirshman,R, Iran,London,1945,p.67

[125] Sommerfeld, W. Der Aufstieg Marduks,Die Stellung Marduks in der babylonischen Religion des zweiten Jahrtausends ,AOAT,213, Kevelaer /Neukirchen -Vluyn 1982,p.184;Dosen,op.cit,IRANIKA,2,1962,158

[126] RIMB,p.16

[127] BBST,6,P.29

[128] Brinkman,A.J,1968,p.112

[129] Böhl,op.cit, 42

[130] Behrens,H.,Enlil und Ninlil, Einsumerscher Mythosaus Nippur,JCS,37,1985,p.241

[131] RIMB,p.11.

[132] Brinkman,A.J,1968,p.114

[١٣٣] تقي الدباغ،الفكر الديني القديم،ط١،بغداد،١٩٩٢،ص٢٤

[١٣٤] فوزي رشيد،المعتقدات الدينية،حضارة العراق،ج١،بغداد،١٩٨٥،ص١٦٢

[135] 3 Lambert, W. G. 1984,p.

[136] King,L,W.,Op-Cit,p.32

[137] Lambert, W. G.,The Reign of Nebuchadnezzar I: A Turning Point in the History

of Ancient Mesopotamian Religion, in W. S. McCullough (ed.), The Seed of Wisdom:

Essays in Honour of T. J. Meek, Toronto,1964,p.6

[١٣٨] فاضل عبد الواحد علي،المعتقدات الدينية،موسوعة الموصل الحضارية،الطبعة الأولى،المجلد الأول،جامعة الموصل،١٩٩١،ص٣١٤

[139] Lambert,1984,p.4

[140] ambert,1984,p.4

[141] Goetze, A.,On the Chronology of the Second Millennium B.C,JCS,Vol.11,1957,p.65

[142] Grayson,K.A.,Op.Cit,p.272-273; Grayson, (1975),17

[143] Brinkman,J.A., Prelude to Empire: Babylonian Society and Politics,747-626 B.C.Occasional Publications of the Babylonian Fund 7. Philadelphia,1984,p.59-60; Borger, R. ,Die Inschriften Asarhaddons Königs von Assyrien. AfO,9, 1956,8-12

[144] Summerfeld,op.cit,p.187

[145] RIMB,p.22; 21; van Dijk op.cit 167.

[146] RIMB,p.22

[147] Thureau-Dangin, op.cit,p.185

[148] RIMB,p.22

149 Thureau-Dangin,Op.Cit,p.185

150 Lambert,W,G., Enmeduranki and Related Matters,JCS,21,1967,p.134-138

151 Lambert, W. G.,The Historical Development of the Mesopotamian Pantheon, Baltimore and London, 1975,p. 191-200.

152 Sumerfeld,W.,op.cit,p.187

153 RIMB,p.22

154 Parpola,S.,Letters from Assyrian and Babylonian Scholars,Helsinki,1993,p.24

155 ;Brinkman,J. A.,Sennacherib's Babylonian Problem, JCS,25,1973,p.89-95; Luckenbill,D.D.,The annals of sennacherib,Chicago,1924

156 Borger, R. ,Die Inschriften Asarhaddons Königs von Assyrien. AfO,9, 1956,8-12; Leichty, E.,The Royal Inscriptions of Esarhaddon,King of Assyria (680-669 B.C), Royal Inscriptions of the Neo-Assyrian Period 4. 2011

157 Longman, T.,Fictional Akkadian Autobiography, Winona Lake,III,1991,p.

158 Borger, R.,Gott Marduk und Gott-König Šulgi als Propheten Zwei prophetische Texte, Bibliotheca Orientalis 28,1971,p.3-24.

159 Borger, R.,op.cit ,p.5-13

١٦٠) طه باقر ،مقدمة في أدب العراق القديم،بغداد،١٩٧٦،ص٧٢

161 Lambert, W. G..The Assyrian Recension of Enūma eliš,1992,Heidelberg,77-79.

162. Lambert, W. G "Studies in Marduk," BSOAS,47 ,1984,p.4- 6; Sommerfeld, W. , op.cit, 174-181

١٦٣ فوزي رشيد ، ١٩٨٥،ص١٧٥-١٧٧

١٦٤ معظم الترجمة مقتبسة عن وقراءة وترجمة الأستاذ طه باقر في مقدمة في أدب العراق القديم، ص٧٢-٨٠

تاريخ ظهور المخطوط وتطوره

The history and development of the manuscript

أ.م . د ضياء نعمه محمد

كلية الآداب – قسم الاثار – جامعة بابل

DHIA NAMAA MOHAMMED

art.deyah.nemaa@uobabylon.edu.iq

أ. د . ناهض عبد الرزاق دفتر

NAHEDH ABDUL RAZZAQ DAFTAR

كلية الآداب – قسم الاثار– جامعة بغداد

تاريخ ظهور المخطوط وتطوره

أ. م . د ضياء نعمه محمد

أ. د . ناهض عبد الرزاق دفتر

الخلاصة : تعد المخطوطات ذاكرة الامة ونتاجها الفكري ، والدليل القاطع على مدى ما بلغته من مستوى في مجال العلم والمعرفة ، ولاشك أن هذا النتاج الفكري لم يكن وليد صدفة أو حدث ، أنما هو محصلة لتوفر عدة عوامل ساهمت في ايصال هذا النتاج الى مراحل متقدمة من النضوج والتطور، ومن أجل أن يحافظ عليه من الضياع والتلف ، ولضمان وصوله الى الاجيال ،كان لابد من تدوينه على مواد تضمن له ذلك الحفظ ، وبحسب توفرها في بيئته ، وقد كان لهذه المواد نصيب من التطور ، واكب حركة التطور العلمي التي شهدها النتاج الفكري ، وقد سعى العلماء والمفكرون والادباء والخطاطون للعمل على ايجاد افضل طرق التنظيم والترتيب والتوافق بين المادة العلمية والمكونات المادية من أجل الوصول الى اقصى غايات الفائدة المرتجات من هذا التراث الفكري ، ومن هنا فقد حاولنا تتبع مراحل بدء هذا التراث المخطوط وابداء رئي حول تاريخ ظهوره ، وبيان أهم العوامل التي ساهمت في نضوجه وتطوره من حيث الشكل والمضمون ، ليصل الى ما هو عليه من مكانة مهمة متقدمة عن سواه من مخطوطات الامم الاخرى .

الكلمات المفتاحية : المخطوطات – مواد الكتابة – التجليد

Abstract :The manuscripts are the nation’s memory and intellectual output, and conclusive evidence of the extent of its level in the field of science and knowledge. There is no doubt that this intellectual product was not by chance or event, but is the result of the availability of several factors that contributed to bringing this product to advanced stages of maturity and development, In order to preserve it from loss and damage, and to ensure that it reaches the generations, it had to be written down on materials that guarantee it that preservation, and according to its availability in its environment. These materials had a share in the development, and kept pace with

the movement of scientific development witnessed by the intellectual product. Scientists, thinkers, writers and calligraphers have sought to find the best methods of organization, arrangement and compatibility between scientific material and material components in order to reach the maximum benefit goals promoted from this intellectual heritage, and from Here we have attempted to trace the stages of the start of this manuscript heritage and to make a vision about the date of its appearance, and to clarify the most important factors that contributed to its maturity and development in terms of form and content, to reach what it is of an important position ahead of other manuscripts of other nations.

key words :Manuscripts - Written materials - Binding

المقدمة :

لاشك أن الكتابة لا توجد في أمة من الأمم ألا إذا توافرت لها عناصر ثلاثة ، هي ، وجود كتابة وكُتَاب ، ومواد صالحة للكتابة عليها وتكوين الكتب ، وتراث يحرص الناس على تدوينه والحفاظ عليه [١] ، لينبثق بعدها المخطوط الذي هو حاصل جمع هذه العناصر.

وقد تكون هذه العناصر توافرت في العصر الجاهلية* قبيل ظهور الاسلام ، وهي الفترة التي يرجح البعض أن تكون جذور المخطوط العربي الاسلامي بدأت منها .

الكتابة قبل الاسلام :

عرف العرب الكتابة قبل ظهور الإسلام بزمن طويل ، إذ سجلوا بها عهودهم ومواثيقهم ومآثرهم [٢] ، والصكوك المالية المستخدمة في تجارتهم ، ورسائلهم [٣] ، ومن أهم الشواهد التي تدلل على معرفتهم للكتابة والكتاب ، هو ما ورد في أشعارهم من تسميات وذكر للفظ الكتاب ، كما جاء في قول الشاعر سلامة بن جندل في ديوانه :

لمن طللُ مثلُ الكِتابِ المُنمقَ خَلا عَهدُهُ بَينَ الصَّليبِ فمطرق[٤]

وكذلك قول الشاعر حاتم الطائي [٥] :

اتعرفُ اطلالاً وَنؤياً مُهدّماً كخَطك في رق كتاباً مُنَمنَما [٦]

وقد سميت الكتابة والنقش على الحجر بالوحي ،كما جاء في قول الشاعر زهير بن ابي سلمى[٧] :

لمن الديار غشيتها بالفرفدِ ؟ كالوَحي في حَجَر المَسل المُخلد [٨]

كذلك ورد ذكر العديد من مواد الكتابة التي دونت عليها ، ومنها الحجر كما في قول الشاعر زهير بن ابي سلامى السابق الذكر ، ومن أهم انواعها ما يعرف باللخاف [٩] ، وقد عثر على العديد من قطع الحجارة المنقوشة بالكتابات في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر ، ومنها ايضاً العظام وخاصة عظم الكتف [١٠] ، وكذلك العسب والكرانيف [١١] والمهارق [١٢] والقباطي [١٣] ، ومنها الأقتاب [١٤] والجلود[١٥] ، وجميع هذه المواد ورد ذكرها في قصائد شعراء الجاهلية [١٦] ، بالإضافة الى ذلك ، فقد وردت اسماء العديد من أدوات التدوين ، كالأقلام [١٧] ، والدواة [١٨] ، والاحبار[١٩] .

الى جانب ذلك فقد وصلت الينا الكثير من الشواهد الاثرية تضمنت نصوص نبطية تحمل الخط العربي ، منذ القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السادس الميلادي [٢٠] .

وليس هذا وحسب ، فقد كان هناك من يجيد القراءة والكتابة [٢١] ، إذ يذكر أن ورقة بن نوفل[٢٢] " كان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب"[٢٣].

وقد وردت روايات أعتبرها البعض أنها تمثل أول المخطوطات العربية [٢٤]، منها أن المعلقات كتبت على القباطي بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة [٢٥].

ورواية أخرى تقول " أمر النعمان بن المنذر (ت ٦٠٢م) فنسخت له أشعار العرب في الطنوج – قال : وهي الكراريس – ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد (حوالي سنة ٦٧ هـ) قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار[٢٦]

ويرى البعض ان هذه الروايا موضع شك ولا يمكن الاخذ بها ، وأن العرب في جاهليتهم لم يكتبوا كتاباً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ولم يكن لفظ الكتاب يتجاوز في أذهانهم مفهوم الكتب السماوية ، وهو ما يفسر إطلاق تعبير " أهل الكتاب " في القرآن الكريم على أصحاب الديانات السماوية السابقة على الإسلام ، فقد كانت الكتابة مغلولة الخطى ، والإسلام هو الذي فك إسارها وانطلق بها على طريق التطور والنماء حين أخذ أصحابه بتعلمها وممارستها في مختلف شؤون الحياة التي يحيونها [٢٧] ، كما ورد ذلك في

الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ، (بسم الله الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا) [٢٨]، وفي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) [٢٩] .

المخطوط خلال العصر الاسلامي :

لقد مر المخطوط العربي بعدة مراحل حتى أصبح في الشكل الحالي للكتاب ، وباستعراض هذه المراحل نشير إلى إن المصحف الشريف هو الكتاب المخطوط الأول والأهم في الحضارة العربية الاسلامية ، بل هو "سيد الكتب " [٣٠] وهو المثال الأعلى لصورة المخطوط العربي الاسلامي من حيث المادة والتصميم والجمال .[٣١]

وقد كان لنشأة المخطوط العربي وتطوره خلال عصر الحضارة العربية الاسلامية ، عوامل عدة أسهمت في نضجه ، هي [٣٢] :

١- الحث على العلم والتعلم :

فقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحث على العلم والتعلم والقراءة ومنها قوله تعالى ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) [٣٣]، وبعد أن كانت الثقة عرفاً سائداً بين الناس لم يحتاجوا معه إلى توثيق ، أمر القرآن بعرف مخالف في سورة البقرة [٣٤]، إرشاد منه تعالى للمؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة (الدين) أن يكتبوها، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها، وأضبط للشاهد فيها [٣٥]، لان التسجيل يحفظ الحقوق ، وإجراءات التعامل تقتضي وجود الوثائق والمستندات ، كما ورد القسم في الكتاب وأدوات الكتابة في القرآن الكريم في قوله تعالى" وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ " [٣٦] ، وقوله تعالى " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ " [٣٧] ، وهي دلالة على اهمية الكتابة .

الى جانب أقوال الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وحثه على التعلم والكتابة ، كما في قوله (قيدوا العلم بالكتاب)[٣٨] توجيهاً منه (عليه الصلاة والسلام) في كتابة مختلف العلوم ومواضيعه نفعاً للصالح العام وحفظاً للعلوم من الضياع واستفادة الأجيال اللاحقة لهذه العلوم المحفوظة بكتب[٣٩]، (إن من حق الولد على والده أن يعلمه

الكتابة والسباحة والرماية)) [٤٠]، وكذلك قوله ((ما حق أمريء له ما يوصي فيه يبيت ثلاثة إلا وصيته عنده مكتوبة)) [٤١]؛ كما شجع النساء على تعلم القراءة والكتابة [٤٢]، كما طلب من اسرى المشركين في معركة بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة لقاء إطلاق سراحه من الأسر( )[٤٣].

كما ورد عن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ/٦٣٤-٦٤٣م) قوله: ((احسن الخط ابينه وابين الخط احسنه)) [٤٤]، وعنه ايضاً انه قال: ((شر الكتابة المشق [٤٥] ، وشر القراءة الهذرمة [٤٦]))[٤٧] .

وتواصى الناس بإتقان الكتابة ؛ فقال علي ابن ابي طالب (عليه السلام) لعبد الله بن أبي رافع " يا عبد الله ألق دواتك ، وأطل شباه قلمك ، وفرج بين السطور وقمط بين الحروف"[٤٨] ، وقال ايضاً: ((اكرموا اولادكم بالكتابة؛ فإن الكتابة من اهم الامور واعظم السرور)) [٤٩] ، من هنا نجد أن حث وحرص الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) على تعلم المسلمين الكتابة والاهتمام بها الاثر الكبير في تعلم الناس الكتابة وشيوعها وتجويدها . وهذه الظروف وفرت الارض الخصبة التي ادت الى ظهور المخطوط العربي وتداوله [٥٠] .

٢- جمع وتدوين القرآن والسنة :

ركز الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على نشر القران الكريم وحث المسلمين على حفظه والعناية به وامر كتاب الوحي بتدوينه ونشر صحائفه ليحفظ من التحريف والتغيير، ويرى البعض أنه كان مجموعاً مدوناً على عهده عند عدد من المسلمين[٥١] .

في حين يرى البعض الآخر أن القرآن الكريم لم يجمع كاملاً في نسخة واحدة عند انتقال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الى الرفيق الاعلى ، وكان جمعه وتدوينه في اثناء عصر الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦٠م) على عهد الخليفة الاول ابو بكر الصديق (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) ، وذلك على اثر استشهاد عدد كبير من الصحابة في معركة اليمامة عام ١٢هجرية ، فأشار الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) على الخليفة الأول، بان يأمر بجمع القرآن خوفاً عليه من الضياع ، فكلف الخليفة زيد بن ثابت كاتب وحي الرسول الاكرم بجمع القرآن [٥٢]، فحفظ بين دفتين مرتب الآيات

غير مرتب السور ، فعدت هذه الخطوة أول تدوين كامل للمصحف [٥٣]، ليكون أول مخطوط عرف في الاسلام [٥٤]، حاملاً الشكل المادي للكتاب المخطوط [٥٥].

وقد آلت الصحف التي جمعت في زمن الخليفة الاول بعد وفاته الى الخليفة الثاني ، لتؤول بعد ذلك الى أبنته حفصة [٥٦] ، ثم تم نسخ هذه المصاحف بالخط الكوفي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان [٥٧] (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٤م) ،على أثر الخلاف الذي حدث بين القراء حين التقى الشاميون بالحجازيين والعراقيين في فتح أرمينية وأذربيجان سنة (٣٠هجرية) وكفر بعضهم بعضاً، وقد أرسل نسخاً منها الى الامصار الاسلامية الكوفة والبصرة والشام ومكة وابقى واحداً في المدينة [٥٨]، وكانت تلك المصاحف مكتوبة على الرق لكونه أبقى دواماً وأكثر استيعاباً للنص ، وكانت مجردة من الشكل والاعجام ، وكانت مجلدة بشكل بسيط إذ وضعت بين لوحين بسيطين من الخشب المجرد من الحلي والزخارف [٥٩] .

وفي رواية اخرى ذكر بأن الأمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) (٣٥-٤٠هـ/٦٥٦-٦٦٠م) رأى من الناس طيره عند وفاة الرسول(محمد صلى الله عليه واله وسلم) فاقسم انه لا يضع عنه ردائه حتى يجمع القران ، فجلس في بيته ثلاثة ايام حتى جمع القران الكريم [٦٠].

ويوجد العديد من هذه المصاحف التي تنسب الى الخليفتين الثالث والرابع محفوظة في متاحف العالم اليوم [٦١].

الى جانب نسخ المصاحف هناك العديد من المؤلفات التي اختصت في علم العدد (عدد آي القرآن وكلماته وحروفه) والتي يرجع تاريخ تأليفها الى اواخر العصر الاموي وبداية العصر العباسي [٦٢].

كما ألفت العديد من المؤلفات التي تختص بنقط وشكل المصحف في القرون الثاني والثالث والرابع والخامس الهجرية ، وكذلك في علم رسم المصحف او هجاء المصحف [٦٣]، وغيرها من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم [٦٤] .

أما عن تدوين السنة الشريفة ، فكان هناك طبقة من الكتاب ، تدور حول فلك الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، إلى جانب كتاب الوحي ، إذ كان هناك من يكتب الرسائل التي يبعثها الرسول الى شتى بقاع الارض يدعو الناس فيها إلى الدخول في دين

الله، وآخرون يكتبون للرسول حوائجه ، وغيرهم يختصون بالكتابة في شؤون المسلمين ، وسرعان ما انتشرت الكتابة بين أتباعه ، حتى بلغ كتابه نحو (٤٢) كاتباً [٦٥] ، وقد حرصوا على تدوين اقواله وتداولها بينهم [٦٦] .

والعديد من الصحابة قيدوا بعض ما سمعوه من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من حديث ، وتشير بعض النصوص الى انه قد أذن بذلك وحث عليه [٦٧].

واتسع نطاق التدوين بالنسبة للحديث النبوي الشريف ، وكان الاهتمام بادئ الامر منصباً على التأليف في علوم القرآن والحديث فنشأت علوم كثيرة متصلة بهما كعلم القراءات والتفسير وعلوم الحديث [٦٨] وغيرها [٦٩].

كما كلف الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) ، بعض الثقات بتدوين الحديث [٧٠]، وأكمل كتاب وصل الينا هو نسخة من كتاب " الجامع في الحديث النبوي " لعبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ = ٨١٢ م) وهو محفوظ اليوم في دار الكتب المصرية برقم (٢١٢٣) حديث ، أكتشف في حفائر أجراها المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٢٢م ، في أدفو بالقاهرة [٧١] .

٣- تطور الكتابة وموادها وأدواتها :

يرتبط تطور شكل الكتابة بتطور الخط ، فقد شهدت القرون الاربعة الاولى للهجرة مراحل مهمة في تطور الخط العربي الذي تطور معه المخطوط العربي ، وتطورت صناعة المخطوط العربي وظهرت اساليب في تجويد الخط وتنويعه في الكتاب الواحد[٧٢] .

وكان للإسلام دور كبير في انتشار الكتابة بالخط العربي بوصفه لغة القرآن الكريم، اذ اصبح لغة الدين والدولة ولغة عامة بين سائر المسلمين فأينما حلّ الإسلام حلّ الخط العربي [٧٣]، وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد اهمية معرفة وتجويد الخط وتحث على تعلم الكتابة وتحسينها [٧٤].

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ((ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ))[٧٥] هو الخط ، وجاء في تفسير الآية الكريمة ((يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ))[٧٦] انه تدلل على الخط الحسن [٧٧]، والآية الكريمة ((عَلَّمَهُ الْبَيَانَ))[٧٨] فُسرها السيوطي ان المقصود

بالبيان هو الخط [٧٩]، كما فسر قوله تعالى ((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))[٨٠] بانه الخط [٨١].

وكان لاحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) دوراً في تطوير شكل الكتابة، فقد كان له (صلى الله عليه واله وسلم) خبرة كبيرة في تجويد الخط ، إذ وردت له عدة أقوال في ذلك [٨٢] ، وهذه الاحاديث كانت عبارة عن نصائح وارشادات من الرسول الكريم الى اصحابه في كيفية تجويد الخط والكتابة [٨٣] منها قوله " إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فلا يمدها قبل السين . يعني الباء " [٨٤] ، وكذلك قوله " من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوده غفر الله له " [٨٥] ، ((من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحسنه، احسن الله اليه))[٨٦] ، وذكر أنه نصح زيد بن ثابت بقوله " إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه " [٨٧] ، وقوله: ((اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن))[٨٨] ، وكذلك قوله : ((اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فلا يمدها قبل السين)) [٨٩].

ويرى البعض إنها لم تتطور في شكلها وصورتها ، وإنما ظلت كما كانت عليه قبل الاسلام مجردة من الشكل والاعجام [٩٠] اللذين استحدثا في الاسلام[٩١] ، إذ كانت بوادر تشكيلها وإعجامها ، خشية من اللحن[٩٢] في قراءة القرآن الكريم لاسيما بعد دخول الاعاجم[٩٣] في الاسلام[٩٤]، ونتيجة لذلك قام أبو الاسود الدؤلي البصري

(ت ٦٩ هـ – ٦٨٨م) [٩٥] بنقط المصاحف [٩٦]، ثم ظهر إعجام الحروف للتفريق بين المتشابه في البصرة زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ) ، ثم كانت عملية تيسير الكتابة العربية من الندب التي وضعها ابو الاسود الدؤلي وأبدالها بالحركات الإعرابية التي نعرفها اليوم ، وكان ذلك على يد الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) في بداية العصر العباسي [٩٧] .

أن لابتكار حركات الاعراب (الشكل) وحركات الاعجام (النقط) لتمييز الحروف المتشابهة كالباء والتاء ، وغيرها دور كبير في تطور كتابة المخطوط [٩٨].

ومن الطبيعي أن تكون مخطوطات المصاحف ميداناً لفن تجويد الخط وزخرفته ، وهي أول المخطوطات الدينية التي وجهت اليها العناية والاهتمام[٩٩] ، وقد غلب الخط الكوفي[١٠٠] في كتابة المصاحف ، ورى البعض سبب ذلك هو ما يتميز به هذا الخط من

الاستقامة والميل إلى التضليع بالإضافة إلى الطابع الهندسي الذي يضفي عليه من القداسة ما يناسب النص القرآني[١٠١] ، وعندما أخترع خط النسخ [١٠٢] كتبت به المصاحف ، وذلك لما فيه من نقط وحركات ومواكبته التطور الحضاري في الكتابة [١٠٣] ، والذي تطور فيما بعد حتى وصل الى قمة الجمال الفني[١٠٤].

ومع تطور الخط العربي وشيوع استخدامه في الامصار ، أخذ الخطاطون يجودون كتابة المخطوط ويبالغون في تحسينه ، فظهرت منه انواع كثيرة على يد الخطاطين خلال العصر الاموي ،ومنهم خالد بن أبي الهياج الأسدي المتوفى سنة (١٠٠-١٠٣هـ/٧١٨-٧٢١م) ، ومالك بن دينار المتوفى سنة (١٢٧-١٣١هـ/٧٤٤-٧٤٨م) و قطبة المحرر المتوفي سنة (١٥٤ هـ / ٧٧٠م) وغيره من الخطاطين[١٠٥] .

وفي العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) أزداد الاهتمام والازدهار بالخط العربي ، وظهرت منه انواع واشكال عديدة [١٠٦] نتيجة اتساع العلوم والمعارف بازدياد حركات التأليف والترجمة ، وبرز العديد من الخطاطين الذين ظهرت على ايديهم هذه الخطوط ، وتعددت الأقلام ووضعت للحروف قواعد وقوانين لتزيد جمالً ، وفي مقدمتهم الوزير ابو علي محمد بن مقله المتوفي[١٠٧] سنة (٣٢٨ هـ / ٩٣٩م)[١٠٨] ، وابن البواب المتوفى سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م)[١٠٩]، وياقوت المستعصمي المتوفى سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م) [١١٠]، فكان لكل خط اختصاص معين[١١١] .

وفيما يخص مواد الكتابة فقد كانت المواد التي كان العرب يكتبون عليها في عصر ما قبل الاسلام ، نفس المواد التي أتخذها المسلمون في عصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وخلفائه الراشدين لكتابة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة [١١٢] ، مثل العسب والكرانيف والاكتاف واللخاف والمهارق والجلود والرق والبردي [١١٣].

وفي عصر الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ، استخدم المسلمون مادتين جديدتين هما القباطي والبردي [١١٤] ، وبشكل خاص نبات البردي المصري التي وجدو فيها مادة طيعة له ، وكان ذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة (٢٠ هجرية) وانتشار تلك المادة في بلاد العرب ، فكانت تتلقى الكتابة جنباً الى جنب مع مواد اخرى وخاصة الرق ،

وكان لكل منهما استعمالاتها ومفضلوها بحسب صفات ومميزات كل منها [١١٥].وقد وصلت الينا نماذج كثيرة من البرديات محفوظة في المتاحف [١١٦].

وباتساع رقعة الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) اتسعت الحاجة الى كتابة المصاحف والصكوك وكتب الحديث والرسائل والدواوين ، وقد أصبحت أكثر مكاتبات الأمويين على اوراق البردي [١١٧]، ويرجع ذلك الى لكونه أحسن وأرخص مواد الكتابة وأسهلها وأيسرها ، لذلك ظل يتصدر مواد الكتابة ، بل بقي المادة الرئيسية للكتابة حتى نهاية الدولة الاموية [١١٨].

وفي العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) ، كأن من دلالات العناية بالمخطوط هو اختيار المادة المناسبة للكتابة ، فأستعمل المسلمين مادة جديدة للكتابة هي الورق[١١٩] ، وقد استعمل في الدواوين بدلا من الرقوق ، وأمر الخليفة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) ألا يكتب الناس إلا في الورق (الكاغد)[١٢٠] ، لأن الجلود ونحوهما تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد ، وإن كشط ظهر كشطه " [١٢١] ، لذا قل استخدامها وانحسر في كتابة الدواوين وتسجل عليها الصكوك والعهود [١٢٢] .

كما وظل البردي يستخدم كمادة للكتابة وخصوصاً في مصر ولكن سرعان ماحل الورق محله تدريجياً حتى انعدم استخدام البردى مع اوائل القرن الرابع الهجري [١٢٣].

وقد جود العرب الورق ونقوه من الشوائب ، وانتجوا أنواعاً جديدة منها الورق المقوى ، وغير المقوى والورق الناعم والورق الخشن والابيض الملون[١٢٤] ، وقد تحدثت الكثير من المراجع التاريخية عن صناعة الورق في البلدان الاسلامية وصفاته وانواعه ، فقد ذكر القلقشندي "أن احسن انواع الورق ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً ، متناسب الاطراف ، صبوراً على مرور الزمن ، ومن اهم انواعه هو الورق البغدادي ، والذي امتاز بانه ورق ثخين مع ليونة ورقة الحاشية ، وتناسب الاجزاء ، وقطعه وافراً جداً ، ويكون في المرتبة الاولى ، يليه الورق الشامي ، ثم المصري ، وهو على نوعين المنصور والعادي" [١٢٥].

وقد أكثر أصحاب مهنة الكتابة في العصر الإسلامي في الحديث عن القلم وشرفه وصفاته وحجمه وبرايته وضرورة اجادتها باعتبارها الأساس في الكتابة وتجويد الخط ، كما

فصلوا في ذكر المواد المساعدة للقلم كالمدية والمقط والمقلمة وغيرها من الأدوات [١٢٦] ، وكذلك عن انواع الاقلام [١٢٧].

اما المداد الذي يكتبون به فقد كانوا يجلبونه من الصين[١٢٨] ، ثم عرفوا صناعته في بلادهم من مواد كثيرة بعضها نباتي وبعضها معدني وبعضها من مصادر حيوانية ، وكانت تستعمل هذه المواد بمقادير مختلفة وبطرق معينة ، زادت عن (٣٠) طريقة، تختلف الواحدة عن الاخرى في المواد الأولية والمقادير وعمليات التحضير[١٢٩].

وقد ميز العرب بين المداد الذي يناسب الكتابة على الرقوق ، والمداد الذي يناسب الكتابة على الورق ، وكانت هناك انواع اخرى تضاف إلى عجينة الورق لتكسبه بريقاً او لونا آخر غير الاسود [١٣٠].

كما ابتكر العرب طرقاً مختلفة في إيجاد أكبر عدد من أنواع الأحبار الملونة وغير الملونة كالحبر رخيص الكلفة، والحبر الذي لا تؤثر عليه عوارض الزمان ، والحبر المضيء ليلاً والحبر السري[١٣١] .وقد ألفت بعض المؤلفات في هذا الموضوع منها مؤلف القلقشندي والذي يتحدث فيه عن طرق صناعة الحبر والمداد [١٣٢] ، وكذلك مؤلف الصنهاجي [١٣٣].

وبخصوص مواد حفظ المداد ، كانت تصنع من مواد من الخشب والمعادن كالنحاس والحديد ، ومع تقدم الزمن استخدم مواد أخرى لصناعة الدوى كالزجاج والأبنوس المحلى بالذهب ، وقد تفنن القوم في زخرفتها وتحليتها ، وحددوا مقاساتها وشكلها بحسب وظائف الكتاب [١٣٤].

٤- حركة التأليف :

وتعد من مصادر المخطوطات العربية في عصورها الاولى ، وأدى انتشار الإسلام إلى تظافر جهود مفسري القرآن الكريم في تأليف تفاسيرهم ، واتسع نطاق التدوين بالنسبة للحديث النبوي الشريف ، وكان الاهتمام بادئ الامر منصباً على التأليف في علوم القرآن والحديث فنشأت علوم كثيرة متصلة بهما كعلم القراءات والتفسير وعلوم الحديث وغيرها [١٣٥]، وبعد تدوين الحديث النبوي وجد المسلمون في الأحاديث النبوية أموراً تتعلق بحياة النبي ، فانطلقوا يجمعون هذه الاخبار ، فكانت أساساً لكتب السيرة باعتبارها مكملة للسنة النبوية الشريفة ، الى جانب الاهتمام بالأنساب ، وأخبار الأمم السابقة ، والحروب ،

والطب[١٣٦] ، وكذلك كتب النحو والصرف والمعاجم اللغوية العربية وأشهرها معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي [١٣٧].

وخلال الربع الأخير من القرن الأول الهجري ازدادت حركة التأليف وصاحبتها حركة الترجمة ،إذ ترجمة العلوم التي كانت لدى الأمم الأخرى إلى اللغة العربية[١٣٨].

وقد شهد القرنان الثاني والثالث الهجريان (٨ و٩ الميلادي) تطوراً ملحوظاً في هذا المجال وشهدت كثرة خزائن الكتب وظهور مجالس الإملاء وحلقات الدرس وإقبال الناس الشديد على تداول الكتب كما برزت طريقة جديدة للتأليف تتمثل في اشتمال المصنف الواحد على عدة موضوعات [١٣٩].

وتنوعت أساليب التأليف في المخطوطات العربية فشملت أنماطاً تفردت فيها ، وظهر فيها نبوغ المؤلفين وجهودهم في التأليف ومنها النمط الموسوعي الذي كان يضم فنوناً ومعارف شتى كالموسوعات الحديثة ، مما يؤكد السبق العلمي في هذا المضمار ، ومنها كتب في المختصرات والحواشي والشروح والذيول التي كانت تختصر المؤلفات الكبيرة ، وتضع حواشي وشروحاً تشرح بعض المؤلفات ، أو ذيولاً تتمم وتكمل المؤلفات ، أما التأليف الموسوعي فمنها على سبيل المثال مؤلفات جمعت علوماً وفنوناً متعددة في آن واحد ،. كما أن مؤلفي المخطوطات العربية سبقوا غيرهم في نمط من التأليف تميزوا به أيضاً ، وهو تأليف ووضع كتب الطبقات والتراجم على تنوعها وكثرتها [١٤٠].

٥- حركة التدوين :

وهي تعد الانطلاقة الكبرى في تدوين المعلومات الاسلامية ، وتوثيق التراث العربي الاسلامي [١٤١]، وقد قيد العديد من الصحابة بعض ما سمعوه من الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من حديث ، وتشير بعض النصوص الى انه (صلى الله عليه واله وسلم) قد أذن بذلك ، بل وحث عليه ، حتى أن الكثير من الصحابة نسبت لهم صحائف كانوا دونوها على عهد الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)[١٤٢] . فقد ورد عن السيدة عائشة انها قالت "وجد في قائم سيف رسول الله كتابان" [١٤٣] . كما ورد أن هناك كتاباً يدعى (بالصحيفة الجامعة) وهو بإملاء الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) وخط علي ابن ابي طالب (عليه السلام) بيده ، وهناك الكثير من الروايات التي وردت في كتب الصحاح

والمساند التي تؤيد وجود صحفية من املاء الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وخط علي (عليه السلام) كانت معلقة في ذؤابة سيف علي [١٤٤].

ويعتقد البعض انها كانت بسبب وفاة الكثير من الصحابة والتابعين والحفاظ والرواة في حروب الجهاد ، فضلاً عن تعذر الاعتماد على الرواية الشفهية نتيجة لتعدد الاسانيد وتشعبها ، وكثرة اسماء الرجال وكناهم وأنسابهم ، ويرجعها بالفضل الى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م)،، بعد ان سمح بكتابة كتب الخراج لتكون بين يدي أهل العلم والدولة ، كما كلف بعض الثقات بتدوين الحديث. [١٤٥]

وخلال القرن الثاني الهجري (شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، وكثر تدوين العلم ، ودونت كتب العربية والتاريخ وايام الناس [١٤٦] .

٦- حركة النقل والترجمة :

وكان لها اسهام كبير في تطور المخطوط العربي ، وكانت بدايتها كما يشير الى ذلك ابن النديم في الفهرست علي يد خالد بن يزيد بن معاوية " فهو الذي أمر بنقل الكتب في الصنعة من اللسان القبطي اليوناني إلى العربي " ، كما تم ترجمة بعض كتب الطب من السريانية الى العربية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز [١٤٧].

وكانت حركة الترجمة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) أساساً لحركات التأليف في الطب والفلسفة والزراعة [١٤٨] ، وقد مر هذه العصر بثلاث مراحل لتطور هذه الحركة ، المرحلة الاولى كانت في خلافة المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) ، إذ يعد اول خليفة شجع المترجمين على ترجمة الكتب التي تبحث في علم النجوم (علم الفلك) ، الى جانب كتب الفقه والحديث والتفسير والفلسفة والأدب والرياضيات [١٤٩].

وكانت المرحلة الثانية لتطور حركة الترجمة في زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-٨٠٩م) ، حيث نشطت حركة التأليف والترجمة حتى حق أن يسمى هذا العصر بالعصر الذهبي ، وقد ساعد على هذا التطور هو تصنيع الورق وانتشاره ورخص ثمنه، كما أن الرشيد دفع للعلماء الجوائز والهبات على سبيل التشجيع ، خاصة أولئك الذين اختصوا في نقل العلوم من اليونانية إلى العربية ، كما أرسل مجموعة من المختصين إلى بلاد الروم لشراء الكتب اليونانية [١٥٠]، ويقول القلقشندي أن الخليفة هارون الرشيد " أمر ان

لا يكتب الناس إلا في الكاغد ، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة ، فتقبل التزوير بخلاف الورق ، فانتشرت الكتابة بالورق الى سائر الأقطار [١٥١].

وكانت المرحلة الثالثة في عهد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) ، فقد تميز عصره بمنجزات علمية وفكرية كبيرة ، فقد ترجمت كتب كثيرة من اليونانية في الفلسفة والطب والرياضيات والجغرافية والطب والكيمياء ، حتى قيل أن عصره هو عصر الترجمة والمترجمون( )[١٥٢] .

وكنتيجة طبيعية لازدهار حركة التأليف والترجمة وكثرة الكتب وتداولها بين الناس في هذا العصر ، ظهرت في القرن الثاني الهجري أول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب وهي بيت الحكمة أو خزانة الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون ، وكانت مركزاً للثقافة الواسعة ومنتدى للعلماء وقاعة بحث للدارسين ومركزاً للترجمة والنشر بالمعنى الحديث [١٥٣] .

٧- الوراقة وطبقة الوراقين :

كان للنشاط الكبير في الحركة العلمية والفكرية خلال العصر العباسي وازدياد حركة التأليف والترجمة وكثرة الكتب وتنوع التأليف وحرص الناس على تناقلها ، ونتيجة لتصنيع الورق في بغداد في الربع الاخير من القرن الثاني الهجري وما تلاه من سهولة الحصول عليه وتداوله بين الناس [١٥٤]، أن ظهرت حرفة جديدة في المجتمع الاسلامي تدعى بالوراقة[١٥٥] ، وقد ازدهرت أخبار الوراقين في مدينة السلام (بغداد) عاصمة الثقافة والعلم، لدورها المتجسد في حفظ تراث الحضارة الإسلامية من الضياع بفضل ما قاموا بنسخه من كنوز المعارف والعلوم [١٥٦]، وقد مارس هذه المهنة عدد كبير من العلماء والأدباء والمفسرين وعلماء اللغة ، إلى جانب الحرفيين المحترفين للوراقة [١٥٧].

لقد كان للوراقين الدور الفعال في تنشيط الحركة العلمية وتسييرها ، كما اسهموا بدور كبير في انتاج المخطوطات وازدهارها، وكثر تداولها بين أهل العلم ، إذ كانت حوانيتهم مركزا للإشعاع العلمي ، والنشاط العقلي ، وملتقى للمثقفين في زمانهم [١٥٨] ، وقد ترك الوراقين ثروة ضخمة من الكتب التي عمرت بها المكتبات في شتى العلوم والمعارف ، والتي مازالت عامرة بما خلفه الأجداد من نفائس المخطوطات ونوادرها [١٥٩].

صفات المخطوط و شكله

وتدل اقدم المخطوطات على ان العرب استعملوا اساليب معينه في كتابة وتقنية المخطوطات ، فيبدا بمقدمة الكتاب او ديباجته التي تبدا بالبسملة والتحميد والثناء لله تعالى ورسوله ، وعادة ما تكون بداية كل ديباجة متميزة عن الاخرى ، وقلما تشترك بداية الديباجات بين المخطوطات ، ثم يبدا المؤلف بذكر اسمه واحيانا المصادر التي اعتمد عليها والتعرف بالكتاب والهدف من تأليفها ومحتوياتها وعنوانه بعد عباره (اما بعد ...)[١٦٠]، وتدل أقدم المخطوطات التي بين ايدينا أن العرب لم يعرفوا صفحة العنوان في أول عهدهم بصناعة الكتب ، وأن العنوان كان يأتي في المقدمة (إن وجد) وفي نهاية المخطوط [١٦١].

ولم يكن العنوان يتميز عن النص بخطه أو بلون مداده، ثم جرى تمييزه بلون مخالف لمداد الكتابة ، وكان اللون الاحمر في الغالب [١٦٢]، وكانت بعض العناوين تكتب بالمداد الذهبي أو الأحمر على ارضيات مزخرفة ، او ان يكتب العنوان واسم المؤلف على ارضيات مزخرفة على صفحة العنوان ، وظهرت بعد تلك المدة صفحه تسبق الكتاب يذكر فيها عنوان المخطوط واسم المؤلف وعادة ما كان يكتب بالخط الكوفي او بالثلث الغليظ [١٦٣].

اما عناوين الفصول والعناوين الجانبية فلم تكن تتميز عن بقية النص إلا في كتابتها في وسط السطر[١٦٤]، ثم اخذوا يكتبونها اما بقلم يختلف سمكه عن القلم الذي يكتب به المتن او يكون لونه بمداد مغاير للون مداد المتن لغرض ابرز العناوين الرئيسية ، وكانت الصفحة الاولى عادة تبدا بعد ترك فراغ من الاعلى فتكون سطور الصفحة الأولى اقل من بقية صفحات المخطوط التي عادة ما تكون متساوية[١٦٥].

وكان يراعى أن تكون رؤوس السطور وأواخرها متساوية ، وأن يكون تباعد ما بينها على نسبة واحدة تزداد عند الانتقال من فكرة إلى فكرة [١٦٦] .

ولم يستحسن في الكتابة ان تجزأ الكلمة ليكون جزء منها في نهاية السطر ويكمل الجزء الثاني في بداية السطر التالي وان وجدات مثل هذه الحالة فبصورة ضيقة جدا حيث كان النساخ يستعملون المد او المط في الكتابة لتلافي مثل هذه الحالة [١٦٧] ، و لضبط نهايات السطور ، ولم يكن مستحباً إلا في الخط الذي تتقارب سطوره وفي الكلمات التي لا تقل عن أربعة حروف [١٦٨].

وكانت الفراغات بين السطور متساوية ، ولم يكن يحرص على استقامة السطور فقط ، وانما حرصوا على القيمة الجمالية للكتاب ، وذلك بجعل استقامة الحروف متساوية في ارتفاعاتها وأسافلها لتسلم بذلك من الاعوجاج [١٦٩].

أما ترقيم الصفحات وضبط تسلسلها فلم يكن معروفا خلال القرون الاربع الاولى للهجرة ، ولكي لا يضطرب ترتيبها أو تختلط على القارئ أو المجلد ، بدأوا في اواخر القرن الخامس الهجري يكتبون الكلمة الاولى من السطر الاول من الصفحة اليسرى تحت اخر كلمة من السطر الاخير من الصفحة اليمنى وهي ما تسمى بالتعقيبات واستعمل بعد ذلك الى الجانب التعقيبات ترقيم الاوراق زوجيا او فرديه بواسطة رموز الارقام [١٧٠].

ولم يكن الناسخون العرب في القرون الأولى للهجرة يستعملون من علامات التنقيط إلا النقطة كأداة للفصل بين الجمل ، وكانت في أقدم صورها عبارة عن دائرة صغيرة تطالعنا كأداة للفصل بين آيات المصحف الأولى وكأداة للفصل بين الجمل في الكتب ، وقد توضع بداخلها نقطة . وكانت توضع للدلالة على موضع انتهاء المراجعة [١٧١] ، كما استخدمت دائرتان متجاورتان او متماستان ، أو دائرة يقطعها خط يخرج من داخلها إلى خارجها [١٧٢].

وكانوا يختزلون صيغ الاخبار والحديث لتكرارها في كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص ، فيكتفون بكتابة "أنا " بدلاً من " أخبرنا" وهكذا [١٧٣].

وفي حال أخطاء الناس وتنبه للخطأ في حينه ضرب عليه (شطبه) وكتب الصواب بعده ، او فوقه ، أما الكلمات المنسية فكانت تضاف احيانا في مكانها بين السطور اذا كانت كلمة او كلمتين ، واحياناً تضاف في مكانها وتذكر مرة أخرى في الهامش الخارجي في مقابل السطر الذي أضيفت فيه . أما اذا كان الكلام المنسي أكثر من الفراغ الموجود ، فكان يضاف في الحاشية أو الهامش الخارجي ويوصل اليه بخط وهو ما يعرف باللحق او التخريج ، واذا كانت الاضافات كثيره فتوضع جزارات بين الصفحات ونرى ذلك اكثر وضوحا في المخطوطات التي تكتب بأقلام المؤلفين [١٧٤].

وكان المخطوط لا يجاز للقراءة أو السماع أو النسخ إلا أثبت ذلك بأوله وآخره [١٧٥]،

اما اخر المخطوط فغالبا ما كان يذكر فيه عنوان المخطوط ودعاء ختم الكتاب وحمد الله تعالى على انجازه وتاريخ الفراغ من التأليف والمدينة الى كتب فيها ثم يذكر اسم الناسخ

والمدينة التي نسخ فيها الكتاب وتاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة وعادة ما يذكر التاريخ كتابة لا رقما ، كما استخدم اسلوب اخر في كتابة تواريخ المخطوطات وذلك بتقسيم العدد الى احاد وعشرات ومئات والوف وتجزئتها الى اعشار واسداس وارباع وكتابتها تصاعدية من اليوم والشهر والسنة الواحدة فالعشرات فالمئات او تكتب على قاعدة حساب الجمل مشرقية او مغربية . وتختم بعباره تفيد تمامه او اتباعه بأجزاء اخرى ، وعادة ما كان يكتب اخر المخطوط بشكل مثلث راسه الى الاسفل ، اما احجام المخطوطات فكانت ذات قطوع مختلفة ولم تخضع لمقاسات وقواعد معينة وعادة ما كان عرضها ثلث طولها او ربع طولها ووقد ذكر بعض المؤرخين اوصافا لهذه القطوع [١٧٦].

الجانب الفني للمخطوطات

فقد كان له دور كبير في تطور المخطوط العربي الاسلامي وهو يتمثل بالتذهيب[١٧٧] والتزويق والتجليد .

ويعد التذهيب من الفنون التي ازدهرت وتطورت في الاسلام [١٧٨] ، ودخل بالمخطوطات في أواخر القرن الثاني هجري وقد وصلوا بهذا الفن إلى درجة من الإتقان والتي تفي غاية الجمال [١٧٩] ، ولا شك أن المصاحف تعد أولى الكتب التي نالت أهمية كبيرة وعناية شديدة [١٨٠] ، وقد تحفظ المسلمون في بداية الأمر من تذهيب القرآن الكريم تجنباً للإسراف والتبذير وطلباً لحياة البساطة والتقشف [١٨١]، ثم بدأت اساليب زخرفة المصاحف وتذهيبها تبرز بصورة دقيقة وجميلة ، فأصبحت فواتح المصاحف تزخرف بأشكال مذهبة ، ثم شمل ذلك اجزاء اخرى من المصاحف [١٨٢] ، وتذكر المراجع العديد من الروايات التي تبين اهتمام الخلفاء والامراء بتذهيب القرآن الكريم ،واحتفاظهم بالنسخ المذهبة في الخزانات[١٨٣] .

ولم يقتصر فن التذهيب على تذهيب المصاحف فقط ، وإنما تجاوز ذلك إلى المخطوطات الأخرى من كتب الأدب واللغة وغيرها [١٨٤] ، وكانت الصفحات الاولى والثانية والحواشي وبدايات الفصول والابواب ميدان عمل المذهبين[١٨٥] ، ولم يقتصر عمل المذهبين المسلمين على تذهيب صفحات المخطوطات وزخرفتها ، وإنما شمل التذهيب جلودها أيضا ، فبلغ هذا الفن من الجودة والإتقان والازدهار حدا كبيراً [١٨٦].

أما التزويق ، فقد عرفت الصور والرسومات طريقها إلى المخطوط العربي منذ منتصف القرن الثاني على وجه التقريب ولكنها كانت في أول عهدها بسيطة ، خالية من الابداع الجمالي ، إذ ينظر اليها على انها وسيلة لا غاية ، توضيحية لا جمالية [١٨٧] ، ولا تعدو أن تكون مجرد خطوط تحدد الاشكال ينسخها الناسخ بقلمه بعد الفراغ من كتابة النص دون ان يستعمل فيها أي نوع من الألوان والظلال[١٨٨]، وقد وصلت الينا العديد من المخطوطات المزوقة بالتصاوير ولعل أقدم ما وصلنا هو " كتاب كليلة ودمنة" والمترجم في أيام أبي جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م)[١٨٩].

ويتبعها في ذلك من الكتب الأدبية "مقامات الحريري " والتي زينت بالمنمنمات مما أكسبها شهرة واسعة [١٩٠]، ولم يقتصر التزويق على الكتب الأدبية ، بل شمل كذلك الكتب العلمية ، ومن اهمها كتاب "الترياق لجالينوس " [١٩١] .

وأما التجليد [١٩٢] فتعتبر صناعة التجليد الصناعة المتممة للجهد والمحافظة على حصيلة الفكر والحافظة لأوراق الكتاب من التلف ، والتي تهتم كذلك بالعناية بمظهر الكتاب الخارجي ، بحيث يتلاءم مع قيمته ومحتوياته ، وتظهر آثار هذه الصناعة الفنية على الخصوص فيما وصل إلينا من مصاحف كريمة [١٩٣] ، وقد تعلم المسلمون أساليب التجليد عن القبط [١٩٤] في إعقاب فتح مصر سنة عشرين للهجرة [١٩٥] إلا أن ازدهارها على يد المسلمين لعنايتهم الفائقة بغلاف المصحف الشريف ، لأن المصاحف كانت أول الميادين التي عمل فيها الخطاطون والمجلدون والمذهبون[١٩٦] .

وكما مرت صناعة المخطوط بمراحل من التطور ، فأن التجليد مر كذلك بعدة مراحل، وكانت المرحلة الأولى تتم بوضع المخطوط بين لوحين من الخشب تربط على المتن[١٩٧] ، وفي المرحلة الثانية استعمل القماش المطرز في التجليد [١٩٨]، بعدها استبدلت ألواح الخشب بسبب ثقلها بأوراق البردي، لذا قاموا بلصق عدة أوراق من البردي حتى تبدو سميكة شبيهة بالورق المقوى(الكارتون) [١٩٩] ، ثم تغلف بعد ذلك بصفائح الذهب والفضة.، وبسبب سهولة انكسار اوراق البردي ، فقد استخدموا الواح الخشب ، ثم استعاضوا عن تغليف الخشب بصفائح الذهب وعوضوه بشرائح الجلد ومن هنا أطلق على هذه العملية بالتجليد [٢٠٠]، وبدأت الزخارف الهندسية والنباتية تظهر على متن الإطار[٢٠١] .

وفي ظل عناية الخلفاء والامراء بالعلوم والفنون ورواج حركة التأليف والترجمة ونشاط عمل الوراقين والنساخ خاصة بعد صناعة الورق ، فقد جودت عملية تجليد الكتب وبلغت مرحلة متقدمة خلال القرون الهجرية بدأ من الرابع الهجري وبشكل تصاعدي ، وقد تمكن المجلد المسلم من تطوير طرق التجليد القديمة وابتكار طرق جديدة ، وفي القرن الرابع الهجري تطورت صناعة الاغلفة إذ استخدمت المعادن النفيسة المرصعة بالأحجار في تجليد الكتب ، وقد نالت مدينة السلام (بغداد) شهرة واسعة في مجال فن التجليد . كما استخدمت طريقة الختم على الجلد بألة ساخنة لعمل زخارف نباتية وهندسية مذهبة ، كما استخدم اللسان الذي استخدم لحماية حافة المخطوط والذي يرجع الفضل في تطويره الى المجلد العراقي خلال العصر العباسي [٢٠٢].

كما اهتم المجلد في تزيين باطن الغلاف بطرق مختلفة عن السابق ، تقوم على استخدام قوالب معدنية محماة ي تنفيذ الزخارف مما أدى الى احداث زخارف بارزة ومذهبة ، ثم أستخدم الورق في التجليد بلاً من البردي ، كما تطورت اساليب الزخرفة عن طريق الختم والقطع .وقد ورد ذكر العديد من اللذين اختصوا بمهنة التجليد ، أضافة الى تأليف العديد من المراجع التي تختص بعملية التجليد والتصحيف [٢٠٣]، ومنها كتاب التيسير في صناعة التسفير للأشبيلي ، وكتاب صناعة التسفير وحل الذهب لأبي العباس احمد السفياني [٢٠٤].

ومن اهم دلالة ما وصل اليه فن التجليد عند المسلمين هو قيام طريقة تجليد خاصة بالمسلمين ، كما أن المجلدين الأوربيين أخذوا يقلدون نماذج التجليد الإسلامية التي خلفها العرب المسلمون بالأندلس [٢٠٥] .

الهوامش :

[1])- الحلوجي ، عبد الستار، نحو علم مخطوطات عربي ، ط١، دار القاهرة ، ٢٠٠٤م ص ٢٣

[*]) - يرى بعض الباحثين أن العصر الجاهلي الذي سبق ظهور الإسلام بقرابة مائة وخمسون عاماً ، والذي ظهر فيه الشعراء المشهورين من أصحاب المعلقات الذين بلغتنا أخبارهم وأشعارهم، كان يمثل قمة الذروة بالنسبة للغة و الشعر العربي ، ومن غير المعقول أن تكون نقطة البداية هي نفسها قمة الذروة ، لذا افترض المؤرخون أن يكون هناك عصراً سبق هذا العصر الجاهلي ، كان ممهداً له ، أي أن الكتاب واللغة مرت بمراحل حتى وصلت الى هذا العصر الذي كتبوا فيه بعض أشعارهم بماء الذهب وعلقوها على أستار الكعبة ، وقد عدها البعض أول مخطوطات عربية : ينظر، الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ١١.

[2])- الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٢٣.

[3])- الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م ، ص ٦١ وما بعدها .

[4]) - ابن جندل ، سلامه بن عمرو بن عبيد (ت ٢٣ق. هـ/ ٦٠٠م) ، ديوان سلامه بن جندل ، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص١٥٣.

[5]) - حاتم الطائي : هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أمرؤ القيس بن عدي وأسمه هزومة بن ربيعة بن جرول ، ويكنى أبا عدي و ابا سفانه ، وهو شاعر جاهلي من أهل نجد ، توفي سنة (٤٦ ق . هـ/ ٥٧٨م) ، للمزيد ينظر : أبن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ- ٨٩٩م) ، الشعر والشعراء ، حقق نصوصه وعلق على حواشيه وقدم له عمر الطباع ، شركة دار الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص١٥٧- ١٦٢ .

[6]) - الطائي ، حاتم بن عبد الله بن سعد (ت٤٧ق . هـ / ٥٧٨م) ، ديوان حاتم الطائي ، شرحه وضبط نصوصه عمر الطباع ، شركة دار الارقم بن أبي الارقم للطباعة والنشر(د . ت)، ص٨٠.

[7]) - زهير بن أبي سلمى : هو زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح بن قرة بن حارث بن مازن بن ثعلبة بن نور بن هرمة ، ولد في بلاد (مزينة) بنواحي المدينة ، وهو احد الثلاثة (امرئ القيس ، زهير ، النابغة الذبياني) المتقدمين على سائر الشعراء ، ودعيت قصائده بالحوليات لأنه كان ينظمها في شهر وينقحها ويهذبها في سنة ، توفي سنة (١٣ق. هـ / ٦٠٩م) للمزيد ، ينظر : الجمحي ، محمد بن سلام بن عبيد الله (ت٢٣١ هـ / ٨٤٥م) ، طبقات الشعراء ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩١٣م ، ص١٥

[٨]) – ابن ابي سلمى ، زهير بن ربيعة (ت١٣ق. هـ/ ٦٠٩م) ديوان زهير بن ابي سلمى ، شرحه وقدم له علي فاعور ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٥.

[٩]) – اللخاف : حجارة بيضاء عريضة رقيقة محددة ، ومفردها (لخفة) ، ينظر : ابن منظور ،المصدر السابق ، مادة (لخف) ، مج ٩ ، ص٣١٥ ؛ الزبيدي ، محب الدين ابو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م) تاج العروس من جوهر القاموس ، دراسة وتحقيق علي الشيري، دار الجديد ، بيروت ،(د. ت) . مادة لخف ، مج ١٢، ص ٤٧٨.

[١٠]) – الاكتاف : ومفردها كتف ، وهو العظم العريض الذي يكون في أصل كتف الحيوان خلف المنكب ، ويؤخذ من الخيل والبغال والحمير والأبل ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مج ٩ ، مادة (كتف) ، ص ٢٩٤؛ وهي من أشهر أنواع العظام المستخدمة في الكتابة ، ينظر : المسفر، المرجع السابق ، ص٢٥.

[١١]) – العسب : العسب جمع عسيب وهو السعفة أو جريد النخيل التي يبست ونزع خوصها ، اما الكرانيف ، فهي أصل السعفة الغليظ الحجم الملتصق بجذع النخلة ، للمزيد ينظر : أبن منظور ، المصدر السابق ، مج ١، مادة عسب ، ص٥٩٩؛ مج ٩ ، مادة كرنف ، ص ٢٩٧.

[١٢]) – المهارق : وهي من القماش ، وقيل هي ثوب ابيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، ينظر : ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) ، المخصص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج١٣، ص ٩٠٨.

[١٣]) – القباطي : ومفردها قبطية ، وهي ثياب من القماش الابيض الذي يمتاز بالدقة والرقة ، ينظر ، أبن منظور ، المصدر السابق ، مج٧ ، مادة (قبط) ، ص٣٧٣ ؛ وهي من الكتان كان يصنعها حاكة القبط في مصر ، وهي في غاية البياض والنقاء ، فتوحي ، ميري عبودي ، فهرست المخطوط العربي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارت الثقافة ، ١٩٨٠م ، ص٢٤.

[١٤]) – الاقتاب : جمع (قتب) وهي الإكاف الصغيرة على قدر سنام البعير ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ،مج ١، مادة (قنب) ، ص ٦٦١.

[١٥]) – هناك عدة تسميات اطلقت على الجلود ، وهي الرق : وهو صحيفة بيضاء من جلد رقيق يكتب فيه ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مج١٠ ، مادة (رقق) ، ص ١٢٣؛ والأديم : وهو جلد وقيل ما كان منه الأحمر المدبوغ ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مج ١٢، مادة (ادم) ، ص ٩؛ ومنها القضيم ، وهو الجلد الأبيض الذي يكتب فيه ، ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مج ١٢، مادة (قضيم) ، ص ٤٨٨.

[١٦]) – للمزيد ينظر : الأسد ، المرجع السابق ، ص٦١و ٧٣ و ٨٧ ؛ أبن قتيبة ، المرجع السابق ، ص٧٧و٧٨ و١٨٢؛ الجمحي ، المرجع السابق ، ص١٥وما بعدها .

[١٧]) – الأقلام ، ومفردها قلم ، وهو الذي يكتب به ، ينظر ، ابن منظور ، المصدر السابق ، مج١٢ ، مادة (قلم) ، ص٤٩٠؛ وقد ورد ذكر القلم في ابيات الشاعر المرقش الأكبر "

الدَار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلمُ " ، ينظر : الضبي ، ابو العباس المفضل بن محمد (ت١٦٨ هـ/ ٧٨٧م) المفضليات ، تحقيق وشرح وترجمة لإعلامها عمر فاروق الطباع ، شركة دار الارقم ابن ابي الارقم للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت) ، ص٢٢٥.

[١٨]) – الدواة : وهي ما يكتب منه ، والجمع دوي ودوى ،ينظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، مج١٤، مادة (دوا) ، ص٢٧٩؛ وقد ورد ذكرها في قول الشاعر الجاهلي سلامة بن جندل " أكَبَّ عليه كاتب بدواته وحادِثه في العين جدَّةُ مُهرق " ، ينظر : ابن جندل، ابو مالك سلامة بن جندل بن عبد عمرو (ت ٦٠٠م)، ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: لويس شيخو، لبنان، ١٩١٠م، ص١٥٤.

[١٩]) – الأحبار : وهو الذي يكتب به وموضعه المحبرة ، وسمي ايضا بالمداد ، ينظر ، ابن منظور ، المصدر السابق ، مج ٤، مادة (حبر) ، ص١٥٧؛ وقد ورد ذكره في العديد من قصائد شعراء ما قبل الاسلام مثل قول الشاعر عبد الله بن عنمة " فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما رد في خط الدواة مدادها " ينظر، الضبي، المصدر السابق، ص٣٧١؛ الأسد ، المرجع السابق، ص ٩٩

[٢٠]) – حميد ، دفتر، العبيدي ، د عبد العزيز ، د ناهض عبد الرزاق ، د صلاح حسين : الخط العربي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٩٠م ، ص ٣٣.

[٢١]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

[٢٢]) – ورقة ابن نوفل : هو ورقة بن نوقل بن أسد بن عبد الغري بن قصي ، كان حكيم جاهلي ، وهو ابن عم خديجة ام المؤمنين عليها السلام ، كان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني ، وقد أدرك اوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ، توفي نحو سنة (١٢ق.م /٦١١م) ، للمزيد ينظر ، الأصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦ هـ/ ٩٦٧م) ، الأغاني ، شرحه علي مهنا ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، مج٢ ، ج٣ ، ص ١١٣ .

[٢٣]) – الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص١١٤.

[٢٤]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ١١.

[٢٥]) – المسفر، المرجع السابق ، ص٢٦

[٢٦]) – بن جنى ، أبي الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الجزء الاول ، ط٢ ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢م ، ص٣٨٧.

[٢٧]) – الحلوجي ، عبد الستار ، الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجري ، مجلة الوعي الاسلامي ، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات ، الطبعة الاولى ، الاصدار التاسع والسبعون ، الكويت ، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤م ، ص ٦٦

[٢٨]) – القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٨٢.

[٢٩] – القران الكريم ، سورة النور ، الآية ٣٣.

[٣٠]) – عطية ، جورج : الكتاب في العلم الإسلامي ، ترجمة : عبد الستار الحلوجي ، الكويت ، عالم المعرفة ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٩ .

[٣١]) – حنش ، أدهم محمد : جمالية المصحف الشريف ، المدينة المنورة (السعودية) ، ندوة طباعة القرآن الكريم ونشره ، المجلد الخامس ، ١٤٣٦ هـ ، ص٢٢٦ ١.

[٣٢]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص١٤.

[٣٣]) – القرآن الكريم ، سورة العلق ، الآية ١–٥.

[٣٤]) – القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٨٢.

[٣٥]) – ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، تفسير ابن كثير، قدمه: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص٣٤٢.

[٣٦]) – القرآن الكريم ، سورة الطور، الآية ١–٢.

[٣٧])– القرآن الكريم ، سورة القلم ، الآية ١.

[٣٨])– الالباني ، محمد ناصر الدين ، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، الطبعة المجددة والمنقحة ، اشرف على طبعه ، زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، مجلد ١ ، ط٣ ، بيروت ١٩٨٨م ، رقم الحديث ٤٤٣٤، ص٨١٦.

[٣٩]) – سهيل ، سهاد محمد ، الخط العربي من القرن الاول حتى القرن السابع لهجري – دراسة اثرية تاريخية ، رسالة ماجستير كلية الآداب قسم الاثر جامعة بغداد ، سنة ٢٠١٣م ، ص٦٠.

[٤٠])– الزبيدي، محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، حكمة الاشراق الى كتاب الافاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، مج٢، ص٦٦.

[٤١])– ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تصحيح: ادوارد سمو، الجزء٢ ، مطبعة بريل، (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) ، ص١٠٨.

[٤٢]- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان تحقيق: صلاح الدين المنجد، الاجزاء ٢ ، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، بلا تاريخ. ، ص٥٨٠ .

[٤٣]- أبو عبيدة ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، كتاب الاموال ، حققه وعلق عليه ، أبو أنس سيد بن رجب ، قدمه وعلق عليه الشيح أبو اسحاق الهويتي ، ، دار الهدى النبوي ، مصر ، مجلد ١، الطبعة ١ ، سنة النشر (١٤٢٨- ٢٠٠٨م) ، ص١١٦ .

[٤٤]- التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، ثلاث رسائل، تحقيق: ابراهيم الكيلاني، سوريا، (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ص٣٨.

[٤٥]- المشق : بسكون الشين وضم القاف، السرعة في الكتابة ومدّ حروفها، وبفتح الميم والشين اذا اسرع الرجل بالكتابة، والمشق ظاهرة خطية قديمة قيل ان اهل الانبار كانت تكتب بالمشق : الرازي، مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، ضبطه وصححه حسب الترتيب الالفبائي: احمد شمس الدين، طبعة لونان، دار الكتب العلمية، لبنان، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٣٢٠

[٤٦] – الهذرمة : السرعة في القراءة والكلام وكثرته. – ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص٧٨٣

[٤٧] – الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م)، أدب الكتّاب، تصحيح: محمد بهجة الاثري، المطبعة السلفية، مصر، (١٣٤١هـ/١٩٢٢م). ، ص٥٦.

[٤٨] – حاج احمد ، يحيى بن بهوان ، مع التراث الجزائري ، جمعاً وتحقيقاً ودراسة ، مجلة رفوف ، العدد الخامس ، مارس ، جامعة أدرار– الجزائر ، ٢٠١٥م ، ص ١٥٤

[٤٩] – العباسي، يحيى سلوم، الخط العربي– تاريخه وانواعه، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٤م، ص١٥.

[٥٠] – النقشبندي ، المصدر السابق ، ص٤٣١ وما بعدها .

[٥١] – العاملي ، مصطفى قصير ، كتاب علي والتدوين المبكر للسنة النبوية الشريفة ، دار الثقلين ، ط١ ، بيروت لبنان ، ١٩٩٥م ، ص١١

[٥٢] – السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ج١ ، ص٨٢؛ الحجي ، أبي زكريا صالح بن سليمان ، رحلة إذاعية في عالم المخطوطات العربية ، ط١ ، الرايض ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، ص٣.

[٥٣] – المصحف : مأخوذة من أصحف أي جمعت فيه الصحف، وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسروا ميمها وأصلها الضم، مثل مصحف، ومطرف، ومغزل، والفرق بين الكتاب والمصحف هو أن الكتاب يكون ورقة واحدة ويكون جملة أوراق، والمصحف لا يكون إلا جماعة أوراق صحفت أي جمع بعضها إلى بعض: ينظر ، ابن منظور، المصدر السابق، ج٩، ص١٨٦؛ العسكري، ابو

هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، تنظيم: بيت الله بيات، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ايران، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٤٤٧.

[٥٤]) – النقشبندي ، المصدر السابق ، ص٤٣٢.

[٥٥]) – أمان ، محمد محمد ، الكتاب الاسلامي ، ترجمة سعد بن عبد الله الضبيعان ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، ص٢.

[٥٦]) – هي حفصة بنت عمر بن الخطاب المتوفاة سنة (٤٥هـ/٦٦٥م) ، ولدت بمكة في سنة ٦٠٤م اي قبل ١٨ سنة قبل الهجرة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، وعند ظهور الإسلام اسلما وهاجرا الى المدينة معا، خطبها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من أبيها بعد موت زوجها، فزوجه إياها سنة (٢هـ او ٣هـ/٦٢٣ او ٦٢٤م)، عاشت في المدينة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) إلى أن توفيت بها سنة (٤٥هـ/٦٦٥م)، روى لها البخاري المتوفى سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م)، ومسلم المتوفى سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م)، في الصحيحين ٦٠ حديثا ، ينظر : الزركلي ، خير الدين، الاعلام، تحقيق: زهير فتح الله ، الطبعة ٥، دار العلم للملايين، لبنان، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ج٢، ص٢٦٤-٢٦٥.

[٥٧]) – السيوطي ، المرجع السابق ، ص٨٢ ؛ النقشبندي ، المصدر السابق ، ص٤٣٣؛ جواد ، سهلة علوان ، المخطوطات في العراق ودور المركز الوطني للمخطوطات في حصرها وتنظيمها ، مطبعة ثائر جعفر العصامي للطباعة الفنية الحديثة ، ٢٠١٢م ، ص ٩.

[٥٨]) – البخاري ، ابي عبد الله اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، صحيح البخاري ، طبعة بولاق ، ج٦ / ١٨٣- ١٨٤

[٥٩]) – الحلوجي ، الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره الى أخر القرن الرابع الهجري ، مجلة الوعي الاسلامي ، علم المخطوط العربي ، بحوث ودراسات ، ط١، الكويت ، ٢٠١٤م ص ٦٩.

[٦٠]) – حميد ، دفتر، العبيدي، المرجع السابق ، ص ٥١- ٥٥.

[٦١]) – شرف الدين ، عبد التواب ، الموسوعة العربية في الوثائق والمكتبات ، الدار الثقافية ، الدوحة ، ١٩٨٦م ، ص ٩٧-١٠٥؛ حميد ،دفتر ، العبيدي ، المرجع السابق ، ص ٥١- ٥٥.

[٦٢]) – الجنابي ، احمد نصيف ، علوم القرآن الكريم ، حضارة العراق ، العلوم الدينية واللغوية ، الجزء السابع ، ١٩٨٥م ، ص ١٥.

[٦٣]) – علم رسم المصحف : او هجاء المصحف ، يعرفه اهل الاختصاص بانه العلم بقواعد رسم خط المصحف الامام الذي كتبه الصحابة بأمر من الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، ينظر : الجنابي ، المرجع السابق ، ص ٢١.

[٦٤]) – لا يسع المجال لذكر هذه العلوم وتفاصيلها ومؤلفاتها ، ومنها علم القراءات والتجويد وعلم الوقف والابتداء وعلم متشابه القرآن وعلم التفسير وعلم اسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ ، وقد كثرت التأليف في هذه العلوم وعلى امتداد العصور الاسلامي ، ينظر ، الجنابي ، المرجع السابق ، ص ٩-٧٤.

[٦٥]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٦٩.

[٦٦]) – النقشبندي ، المصدر السابق ، ص٤٣١ وما بعدها .

[٦٧]) – العاملي ، المرجع السابق ، ص١٢.

[٦٨]) – تفرع من هذا العلم العديد من العلوم الاخرى التي تخص الاسناد والجرح والتعدين ، وكانوا في البداية يجمعون الاحاديث المختلفة في صحف ، ثم أصبحوا يرتبونها على الابواب في التصانيف ، ثم صنفت بالمسانيد في منتصف القرن الثاني الهجري ، بحيث جعل حديث كل صحابي فيها على حدة ، ثم ظهرت كتب الصحاح التي اقتصرت على الصحيح من الحديث ، ثم ظهرت كتب المستخرجات وهي الاحاديث المخرجة من الصحيحين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم كتبت السنن المرتبة حسب الأبواب الفقهية ، وكتب المصنفات والجوامع ، وكتب المراسيل وكتب الحديثية وكتب الأمالي وكتب العوالي وكتب الأطراف والزوائد وكتب علم الرجال ، ولكل كل فئة من هذه الكتب العديد من المؤلفات ، للمزيد ينظر ، الدوري ، قحطان عبد الرحمن ، علوم الحديث الشريف ، حضارة العراق ، الفصل الثاني ، ج٧ ، ١٩٨٥م ، ص ٧٧ – ١٤٧ .

[٦٩]) – المحاسني ، سما ، دراسات في المخطوط العربي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٩٩٩م ، ص١٠.

[٧٠]) – حلوى ، فتيحة ، صناعة المخطوط ودوره في بناء الحضارة الاسلامية ،مذكرة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والحضارة ، جامعة ابي بكر بلقايد ، الجزائر ، ٢٠١١م ، ص١٦.

[٧١]) – سيد ، أيمن فؤاد ، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، الدار المصرية اللبنانية ،مصر ١٩٩٧م ، ج١، ص١٨؛ الطباع ، خالد ، المخطوط العربي وابعاد الزمان والمكان ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١١م ، ص٩٨.

[٧٢]) – النقشبندي ، المصدر السابق ، ص ٤٣١

[٧٣]) – العباسي ، المرجع السابق ، ص ٣١.

[74]) – Rosenthal, "Significant uses of Araboc Writing", Ars Orientalis, VOL. IV, 1961, p. 17

[٧٥]) – القرآن الكريم ، سورة الاحقاف ، الآية ٤ .

[٧٦]) – القرآن الكريم ، سورة فاطر ، الآية ١١.

[٧٧]) – القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، ج١، المطبعة الاميرية ، مصر ، ١٩٢٩م ، ج ٣ ، ص١.

[٧٨]) – القرآن الكريم ، سورة الرحمن ، الآية ٤ .

[٧٩]) – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، المزهر في علوم اللغة وانواعها، مطبعة السعادة، مصر، (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، ج٢، ص٢٢١.

[٨٠]) – القران الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٦٩.

[٨١])– ابن الصايغ، عبد الرحمن يوسف (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب، تحقيق: هلال ناجي، دار بو سلامة، تونس، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص٥٦٣-٥٦٤.

[٨٢])– القيسي ، ناهض عبد الرزاق دفتر ، تاريخ الخط العربي ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م ، ص٣٩.

[٨٣])– حمزه، حمود حمزه، التوريق والتزهير في الخط الكوفي حتى منتصف القرن الخامس للهجرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب– قسم الاثار، بغداد، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٨-١٠.

[٨٤]) – القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٢١.

[٨٥])– الحنفي ، الامام الواعظ محمد بن ابي بكر المعروف بإمام زاده ، المتوفي (٥٧٣هـ)، شرعة الاسلام ، قازان ، ١٩٠٦م ص ١١٤.

[٨٦]) – القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٦، ص٦.

[٨٧])– الزبيدي ، حكمة الإشراق ، محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م ، حكمة الاشراق الى كتاب الافاق، تحقيق: عبد السلام هارون، الاجزاء ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م). ص ٣٢

[٨٨]) – العباسي ، المرجع السابق ، ص ١٣.

[٨٩]) – القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٦، ص٢٢١.

[٩٠]) – الشكل والإعجام لكل منهما عدة معاني، فالشكل يأتي بمعنى الضبط والتقييد والضرب والمثل، بينما الإعجام بمعنى النقط والبيان والاختبار، للمزيد ، ينظر : الجبوري، محمود شكر، المدرسة البغدادية في الخط العربي، الجزء ٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١م ، ص١٥٦.

[٩١]) – هناك إشارات إلى أن الشكل قديم من زمن الصحابة ، وإن المصاحف كان فيها شكل ، وإن الصحابة أنفسهم بدأوا بنقط المصاحف ، ينظر، الداني ، ابو عمرو عثمان بن سعيد (ت

٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، سوريا، (١٣٧٩هـ/١٩٦٠م). ص٢؛ وهناك من يرى أنهم لم يعرفوا الشكل في عهدهم الاول ، وذلك لفصاحتهم ، ينظر : الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت ١١٢٢هـ/١٦١٣م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء ١،الطبعة ٣، مطبعة دار احياء الكتب العربية، مصر، (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م).ص٤٠٠؛ وقد ذكر احد الباحثين الجدد بعض الادلة حول معرفة الشكل والاعجام منذ عصر الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واصحابه ، للمزيد ينظر ، سهيل ، المرجع السابق ، ص ص١١٧ وما بعدها .

[٩٢]) – اللحن: هو الخطأ في الاعراب والبناء، لا سيما اثناء الكلام الفصيح، كرفع المنصوب وجر المرفوع وغيرها من الاخطاء. – عقل، عقل، محمد، ابجدية القرآن من مملكة سبأ، دار المحجة البيضاء للطباعة والتوزيع والنشر، لبنان، ٢٠٠٩م ، ص١٠٣.

[٩٣]) – حدث ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (١٣–٢٣ هـ) عندما بدأت الفتوحات الاسلامية ، أذ بدأت القراءات الخاطئة للقرآن من قبل الاعاجم ، والمقصود بهم كل شخص غير عربي ، ينظر ، القيسي ، المرجع السابق ، ص ٦٥.

[٩٤]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٧٢.

[٩٥]) – ابو الاسود الدؤلي ظالم بن عمر بن سليمان ينتهي نسبه إلى كنانة، هو أحد الأئمة في اللغة والأدب العربي ومن الطبقة الأولى من شعراء الإسلام ومن سادات التابعين وأعيانهم، صحب الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وشهد معه صفين، وهو بصري، وهو أول من وضع علم النحو بأمر من أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأول من شكل القرآن بصورته البدائية وعمل كتابا في النحو بعد الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ينظر : الطريحي، فخر الدين النجفي (ت ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)، مجمع البحرين ومطلع النيرين، تحقيق: احمد الحسيني، اعاده: محمود عادل، الطبعة ٢، ج٢، مكتب الثقافة الاسلامية، ايران، ١٩٨٨م ، ص٤

[٩٦]) – اختلفت الآراء بشأن هذا الموضوع ، فقيل ان ول من وضع علم النحو وأسس قواعده وحد حدوده هو الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام ، وآخذ عنه ابو الاسود الدؤلي ، وعن سبب وضع الامام لهذا العلم ، يروي الدؤلي قوله " دخلت على الامام علي فوجدت في يده رقعة ، فسألته ما هذه ، فقال: أني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعني العجم) فأردت ان اضع لهم شيئا يرجعون اليه ، ويعتمدون عليه ، ثم القى إلي الرقعة وفيها مكتوب الكلام كله " ينظر ، أبن الانباري ، أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، قام بتحقيقه ابراهيم السامرائي ، ط٣ ، مكتبة المنار ، الزرقاء – الاردن ،

١٩٨٥م ، ص١٨؛ ويرى أخرون ان ابا الاسود الدؤلي سمع ابنته تلحن فدفعه ذلك الى التفكير الجدي في عمل شيء يقي الناس من الوقوع في اللحن ، ويذكر اخرون ان زياد ابن ابي سفيان امير البصرة سمع لحنا فاحشا من قوم حضروا عنده ، فطلب من ابي الاسود الدؤلي ان يضع للناس ما يمنعهم من الخطاء في كلامهم ، للمزيد ينظر ، الداني ، المرجع السابق ، ص٣؛ حميد، دفتر، العبيدي ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

[٩٧]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٧١–٧٢ . .

[٩٨]) – النقشبندي ، المصدر السابق ، ص ٤٥٣.

[٩٩]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص٥٥.

[١٠٠]) – وسميت الخطوط عصرئذ نسبة الى المدن ففي مكة عرف بالخط المكي، وفي المدينة بالمدني، وفي البصرة بالبصري ، واشتهرت الكوفة بخطها الذي عرف فيما بعد بالخط الكوفي نسبة الى الكوفة ، خاصة عندما اتخذها الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)(٣٥– ٤٠ هـ) عاصمة للدولة العربية الاسلامية ، إذ استقطبت العلماء والادباء والخطاطين، لذا شاع على بقية انواع الخطوط العربية ،و كان يعرف بـ(اليابس) وتميز بوجود الزوايا القائمة في رسم الحروف وسمك الحرف وقصره و الزوايا القائمة ، ينظر ، القيسي ، المرجع السابق ، ص ٨٤– ٨٥ .

[١٠١]) – الحلوجي ، نحو علم مخطوط عربي ، المصدر السابق ، ص٧١.

[١٠٢]) – المقصود بالخط النسخي : هو الخط المدور وقد سمي بعدة تسميات منها البديع والمقور والمدور والمحقق ، ويدعى باللين وهو مرادفاً للخط الكوفي اليابس ، ينظر : القيسي ، المرجع السابق ، ص ٩٣.

[١٠٣]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص ٥٦ ، نقلا عن / مرتاض ، محمد ، الخط العربي وتاريخه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٤م ، ص٧٠.

[١٠٤]) – العباسي، يحيى سلوم، الخط العربي– تاريخه وانواعه، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٤م.ص ٥٣– ٥٤.

[١٠٥]) – حميد ، دفتر، العبيدي ،المرجع السابق ، ص ٥٧و٧٢؛ النقشبندي ، المصدر السابق ، ص ٤٥١–٤٥٣؛ سهيل ، المرجع السابق ، ص ١٥٨–١٦٠ .

[١٠٦]) – ذكر المختصون انواع من الخط العربي هي الخط الكوفي البسيط والخط الكوفي المورق والخط الكوفي المزهر والخط الكوفي المضفور والمربع الهندسي ، استطاع خطاطي العصر العباسي من اضافة خصائص زخرفية الى الخط فجعلوا منه اشكال وانواع مختلفة ، منها خط الثلث والنسخ والاجازة والريحاني والمغربي ، للمزيد ينظر : ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ٩؛ القلقشندي ،

المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥ ومابعدها ؛ حمزة ، المرجع السابق ، ص ٥٨ ومابعدها ؛ حميد ، دفتر ، العبيدي ، المرجع السابق ، ص ١٢٧، ومابعدها ؛ القيسي ، المرجع السابق ، ص ٨٦ومابعدها ؛ سهيل ، المرجع السابق ، ص ١٣٢وما بعدها .

[١٠٧]) – هو محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله بن مقلة ، ، ولد في شوال سنة (٢٧٢ هـ) ببغداد في اسرة عرفت بحسن الخط واجادته ، للمزيد ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق ابراهيم الزئبق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، بيرت ، ١٩٨٣م ، ج٥ ، ص٢٢٤.

[١٠٨]) – النقشبندي ، المرجع السابق ،ص ٤٥٥؛ سهيل ، المرجع السابق ، ص١٢٢وما بعدها .

[١٠٩])– ابن البواب : وهو ابو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المشهور بابن البواب ، ولد ومات في مدينة السلام ، بدأ مهنته مزوق للدور ، ثم تزويق الكتب ، وأخيرا امتهن الخط ، وقد جود الخط ، وتخصص في خطوط الثلث والرقعة والريحاني ، ينظر : ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، ج٨، ص١٠؛ القيسي ، المرجع السابق ، ص ٧٨؛ سهيل ، المرجع السابق ، ص ١٦٩.

[١١٠])– ياقوت المستعصمي : هو ابو الدر جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي الطواشي البغدادي الملقب بِقِبْلة الكُتَّاب ، كنيته ابو الدر وابو المجد ، وهو رومي الاصل اصبح مملوك الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) اخر خلفاء بني العباس في العراق فانتسب اليه، وقد جود الخط حتى اصبح من الأئمة المجودين في حسن الخط وقواعده ، وتميز خطه بانه دقيقا ورشيقا ويكتب بقلم مائل المقطع ، ينظر : ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب، الجزء ٥، مكتبة المقدسي، مصر، (١٣٥١هـ/١٩٣٢م).ص٤٣٤؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، تحقيق: زهير فتح الله، الجزء٨، الطبعة ٥، دار العلم للملايين، لبنان، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١٣١؛ القيسي ، المرجع السابق ، ص ٨٤.

[١١١]) – ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٣؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٣.

[١١٢]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص٨ .

[١١٣]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٨٠.

[١١٤]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص٩.

[١١٥]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٨٠ .

[١١٦]) – دفتر ، ناهض عبد الرزاق ، لفائف البردي من مواد الكتابة المهمة ، مجلة كلية الآداب ، العدد ، سنة ١٩٩٦م ، ص ١٦١–١٧٢.

[١١٧]) – زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، مصر، بلا تاريخ، ج١، ص٢٥٩؛ الجبوري ، الخط والكتابة ، ص٢٥٧.

[١١٨]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص٩.

[١١٩]) – من المعروف أن اختراع الورق تم في الصين في عصر الإمبراطور (هوني) سنة (١٠٥م) على يد تساى لون ، وقد ظلت صناعته حكراً على الصينيين إلى أن عرفه العرب عندما شاهدوه لأول مرة بعد فتحهم سمرقند سنة (٨٧ هـ / ٧٠٥م) ، وانتشر عندهم على اثر جلب اسرى من الصينين على اثر واقعة اطلح او اتلخ على ضفاف نهر طراز سنة (١٣٤ هـ / ٧٥١م) والتي قادها زياد بن صالح الحارثي المتوفي سنة (١٣٥هـ / ٧٥٢م) وقد جرت بين العرب وامراء الترك وحلفائهم الصينيين واسر فيها اكثر من عشرين الف رجل منهم صناع الورق الصينيين ، فتعلم العرب من هؤلاء الاسرى سر الصناعة واسسوا مصانع بمساعدة هؤلاء الاسرى ، وكان التجار ينقلونه الى بغداد ومن ثم الى مدن اخرى ، ثم ما لبث أن نقلت هذه الصناعة إلى بغداد عندما قام وزير الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي ، مصنعاً بها ، ينظر ، النقشبندي ، المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

[١٢٠]) – سهيل ، المرجع السابق ، ص ١٩٣؛ السيد النشار ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

[١٢١]) – القلقشندي ، الم السابق ، ج٢ ، ص٥٧٥.

[١٢٢]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٨٠ .

[١٢٣]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ١٢.

[١٢٤]) – المرجع السابق نفسه ، ص١٢ .

[١٢٥])– القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٧٦.

[١٢٦]) – ابن النديم ، المصدر السابق ، ص٤٩.؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٤٠ ؛ الجبوري ، الخط والكتابة ، المرجع السابق ، ص٢٨٤.

[١٢٧]) – للمزيد ينظر : الجبوري ، سهيلة ، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٦٢م ، ص ١١٩؛ الاعظمي ، وليد ، تراجم خطاطي بغداد المعاصرين ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ج١، ص٦٦؛ حميد ، دفتر العبيدي ، المرجع السابق ، ص ؛ ذنون، يوسف ، "مدخل الى ادوات الكتابة عند العراقيين القدماء "، مجلة آفاق عربية، ١٩٩٩م، عدد ٣–٤، ص٥٦.

[١٢٨]) – الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، التبصر بالتجارة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة الرحمانية مصر، ١٩٣٥م ، ص٢٦

[١٢٩]) – القيسي، ناهض عبد الرزاق دفتر،"صناعة الاحبار والدواة في الفنون العربية الإسلامية"، مجلة سومر ، العدد ، ٢٠١٣م ص٣ .

[١٣٠]) – البطليموسي ،أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٥٢١هـ/١١٢٨م) الاقتضاب في شرح الكتاب ، بيروت ، دار الجبل ، ١٩٧٣م ، ص ٦٨ ؛ السيد النشار ، المرجع السابق ، ص ١٥.

[١٣١]) – تسمى بالأحبار السرية لأنها تستعمل في كتابة المراسلات السرية ، ينظر : عبد الرحمن ، هالة شاكر ، الورق والوراقون في العصر العباسي ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ، ٢٠٠٤م ، ص ١٦١؛ الصنهاجي ، المعز بن باديس التميمي (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق نجيب ما يل الهروي وعصام مكية، ايران ، مجمع البحوث الاسلامية للنشر ، ١٩٨٨م ، ص٤٦.

[١٣٢]) – جاء وصفه لكثير من طرق صناعة الاحبار منها تحضير حبر الدخان إذ يقول " تتلخص طريقة صناعته بأخذ قدر رطل من العفص الشامي ويدق ليصبح جريشاً ثم ينقع في مقدار ستة أرطال ماء ، ويضاف إليه قليل من الأس لمدة أسبوع ثم يغلي على النار حتى يصبح مقدار ماءه نصف او ثلثين ثم يصفى ويترك ثلاث ايام ثم يصفى مرو اخرى ثانية ويضاف لكل رطل من هذا الماء الناتج اوقية من الصمغ العربي والزاج القبرسي ثم يضاف اليه دخان ما يكفيه حتى يثخن ، ثم يضاف اليه العسل لكي يدوم اطول مدة ، والصبر لكي يمنع وقوع الذباب ، ويمزج العسل والصبر ليكون معد للكتابة " القلقشندي ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٧٦.

[١٣٣]) – يلخص في هذا المؤلف احدى طرق تحضير الحبر السري(المخفي) ، فيقول " يؤخذ الزاج الابيض فتكتب به ثم تمسح عليه ماء العفص او تكتب بماء العفص وتمسح عليه بشيء من الزاج وتذر الزاج ايضاً مسحوقاً ناعماً ، فتظهر الكتابة " الصنهاجي ، المرجع السابق ، ص ٧٩.

[١٣٤]) – القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٤٢؛الجبوري ، المصدر السابق ، ص ١٢٩؛ الجبوري ،الخط والكتابة ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

[١٣٥]) – المحاسني ، المرجع السابق ، ص١٠.

[١٣٦]) – الجبوري ، يحيى وهيب ، الكتاب في الحضارة الاسلامية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ط١ ، ص٤٣ .

[١٣٧]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص ١٨–١٩ .

[١٣٨]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٣.

[١٣٩]) – الحجي ، المرجع السابق ، ص ٣

[١٤٠]) – المحاسني ، المرجع السابق . ص١٠

[١٤١])– سليمان ، حسين محمد ، التراث العربي الاسلامي ، دراسة تاريخية ومقارنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، ص٢٥٠.

[١٤٢]) – العاملي ، المرجع السابق ، ص١٢.

[١٤٣]) – البهيقي ، احمد بن الحسين بن علي البهيقي (ت ٤٥٨ هـ) السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٣، ج٨ ، ص٣٠

[١٤٤]) – العاملي ، المرجع السابق ، ص ٢٣و٥٢.

[١٤٥]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص ١٦–١٧ .

[١٤٦]) – الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله بن محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تذكرة الحفاظ، تنقيح التحقيق في احاديث التعليق، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب، الاجزاء ١، دار الوطن، السعودية، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، حيدر آباد ، ١٣٥٤هـ ، ج١ ، ص٢٢٩.

[١٤٧]) – أبن النديم ، المرجع السابق ، ص٢٠٣ و ١٤٢.

[١٤٨]) – بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، رمضان عبد الثواب ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٥م ، ج٤ ، ص٤٨.

[١٤٩]) – أمين ، احمد ، ضحى الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دت ، ط١٠، ج١، ص٢٦٤.

[١٥٠]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص ٢١.

[١٥١]) – القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٨٦.

[١٥٢]) – الجبوري ، المرجع السابق ، ص ١٥١.

[١٥٣]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٧٤.

[١٥٤])– عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٦٨.

[١٥٥] – وهي لفظة مشتقة من ورق ، وقيل هي حرفة الوراق ، ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة (ورق) ، مج١٠ ، ص ٣٧٥؛ وردت لها عدة تعاريف ، فقد عرفها أبن خلدون بأنها" معاناة الكتب بالانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين ، ينظر : ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المالكي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٩م ، ص٩٦٢.؛ كما عرفها السمعاني بقوله " الوراق اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها ، ويقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الوراق ايضاً ،

ينظر ، السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)،الانساب ، تحقيق عبد الله عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٥٧٩.

[١٥٦]) – سعيد ، خير الدين ، وراقوا بغداد في العصر العباسي ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، العدد ٢ ، لعام ٢٠٠١م ، ص٧٧٣.

[١٥٧]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص ٢٧.

[١٥٨]) – الحلوجي ، نحو علم مخطوط عربي ، المرجع السابق ، ص٤١.

[١٥٩]) – حلوي ، المرجع السابق ، ص٣١.

[١٦٠]) – القلقشندي ، المصدر السابق ، ص٤٣٥ ؛

[١٦١]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٨٤.

[١٦٢]) – أحمد ، كرم حلمي فرحات ، علم المخطوط العربي ، نشر المكتب العربي للمعارف ، ط١ ، مصر ، ٢٠١٩م ، ص ٤٤..

[١٦٣]) – جواد ، سهلة علوان ، المخطوطات في العراق ودور المركز الوطني للمخطوطات في حصرها وتنظيمها، ٢٠١٢م ، ص ١١.

[١٦٤]) – السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ ، ص١٥٧؛ الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٨٤.

[١٦٥]) – النقشبندي ، المرجع السابق ص٨٥ .

[١٦٦]) – النقشبندي ، المرجع السابق ، ص ٨٥. .

[١٦٧]) – احمد ، المرجع السابق ، ص ٤٤..

[١٦٨]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٨٥.

[١٦٩]) – المشوفي ، عابد سليمان : فهرس المخطوطات العربية ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، ١٩٨٩م ، ص٢٩.

[١٧٠]) – النقشبندي ، المرجع السابق ، ٤٣٦.

[١٧١]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٨٥.

[١٧٢]) – بنين ، أحمد شوقي ، التعقيبة في المخطوط العربي ، مجلة عالم الكتب ، مج ١٤ ، ع٥ ، ١٩٩٣م ، ص٥٢٠.

[١٧٣]) – المسفر ،عبد العزيز بن محمد ، المخطوط العربي وشيء من قضاياه ، الرياض ١٩٩٩م .ص١٢.

[١٧٤]) – النقشبندي ، المرجع السابق ، ص ٨٨؛ المسفر ، المرجع السابق ، ص١٢.

[١٧٥]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص٨٦.

[١٧٦]) – احمد ، المرجع السابق ، ص ٥٠..

[١٧٧]) – هو طريقة فنية لكساء الأشكال والزخارف بطلاء ذهبي المنظر براق ، ينظر ، بنين ، أحمد شوقي ، طوبي ، مصطفى، معجم مصطلحات المخطوط العربي ،المطبعة والوراقة الوطنية ، ط٣ ، مراكش ، ٢٠٠٣م ، ص٥١.

[١٧٨]) – حسن ، زكي محمد ، فنون الاسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١م ، ج٣، ص١٥٧؛ ويذكر أن المسلمون اقتبسوا هذا الفن من الاقباط في مصر الذين عرفوا بزخرفة كتبهم وزينوها بالصفائح الذهب ، ينظر : مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية في العصر العثماني ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٨م ، ص٢٣٣.

[١٧٩]) – الحلوجي ،عبد الستار ، المخطوط العربي ، مكتبة الصباح ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٢٢٥.

[١٨٠]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص ١٥٩.

[١٨١]) – حسن ، المرجع السابق ، ص١٥٩.

[١٨٢]) – النقشبندي، اسامة ناصر ، التذهيب والزخرفة ،حضارة العراق، ج٩ ،١٩٨٥م ، ص٤٦٠-٤٦١.

[١٨٣]) – ابن النديم ، الفهرست ، ص ٩٠.

[١٨٤]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص ٥٦.

[١٨٥]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩؛ النقشبندي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٣-٤٦٦.

[١٨٦]) – الجبوري ، سهيلة ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥.

[١٨٧]) – المسفر ، المرجع السابق ، ص١٣.

[١٨٨]) – الحلوجي ، المرجع السابق ، ص١٩.

[١٨٩]) – عكاشة ، ثروت ، موسوعة التصوير الإسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ط١، ص٧٥.

[١٩٠]) – سلمان ، عيسى ، الفن العربي الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والعلوم ، تونس ، ١٩٩٤م ، ج١ ، ص١٨٠ .

[١٩١]) – الجبوري ، المرجع السابق ، ص ٢٨٩.

[١٩٢])– التجليد: لغوياً التجليد مأخوذ من الجلد من كلمة الجلد ، ويعني غشاء الجسد ، ينظر : الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) ، كتاب العين ، مادة (جلد) تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، الاجزاء ٢ و٥، ط٢، مطبعة الصدر، بلا مكان، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). ج٦ ، ص٨١؛ ويعرف بالعراق باسم التصحيف ، وفي المغرب باسم التسفير ، ينظر ، النقشبندي ، الورق والكاغد ، المرجع السابق .

[١٩٣]) – عبد الكريم ، بلمير، نور الدين ، سريدي، واقع المخطوطات بالخزانة الزيانية القندوسية ببشار – دراسة جردية لبعض منها– مذكرة ماجستير ، جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار ، ٢٠١٠–٢٠١١، ص ٣٥.

[١٩٤])– الاقباط : هم سكان مصر ، وكلمة الاقباط كانت تطلق على المصريين القدماء ، ، ينظر ، كامل ، مراد، حضارة مصر في العصر القبطي دراسة تاريخية وفنية وأدبية واجتماعية ، تعليق ميخائيل مكسى اسكندر ، القاهرة ، مطبعة هارمي ، ٢٠٠٥م ، ص ٩٦.

[١٩٥]) – حذق الاقباط بهذه الصناعة وأتقنوها ثم نقلوها بعد ذلك إلى سائر أنحاء العالم ، وقد أزدهرت هذه الصناعة في الكنائس والأديرة القبطية وذلك لشدة اهتمامهم بتجليد الكتاب المقدس ، وقد كان لهم أثر في نقله الى فنون شعوب الشرق كبلاد ينظر ، الجبوري، المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

[١٩٦]) – الجبوري ، محمود شكر، بحوث ومقالات في الخط العربي ، دار الشرق للطباعة ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص٣٠٧.

[١٩٧]) – القصيري ، اعتماد يوسف ، فن تجليد الكتاب عند المسلمين منذ بداية العصر الاسلامي الى نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧١م ، ص ٥ ؛ السيد النشار ، في المخطوط العربي ، ص ٥٣؛ الجبوري ، يحيى ، الكتاب في الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥٣.

[١٩٨]) – الجبوري ، المرجع السابق ، ص ٢٥٠.

[١٩٩]) – القصيري ، المرجع السابق ، ص ٥ ، نقلاً عن :

john, Harthan . Victoria and Albert Museum , Book binding , London . 1961,p,5.

[٢٠٠]) – المسفر ، المرجع السابق ، ص ١٠٥.

[٢٠١]) – السيد النشار ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

[٢٠٢]) – القصيري ، أعتماد يوسف ، تجليد الكتب ، حضارة العراق ، نخبة من الباحثين ، ج٩ ، الفصل الثامن ، المبحث ، ٦ ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص٥١١–٥١٨.

[٢٠٣]) – القصيري ،فن التجليد ، المرجع السابق ، ص ٢٠، ٣٣، ٤٦، ٥٤,٦١.

[٢٠٤]) – بن شريفة ، محمد، حول ترميم المخطوطات في المغرب ، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية ، سلسلة مؤتمرات الفرقان (٣) ، اعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، لندن ١٨–١٩ نوفمبر ، ١٩٩٥م ، ص ٩٩.

[٢٠٥])– الحلوجي ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤.